الكامل

في اللغة والأدب

للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف
بـ المبرد النحوي
المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

تعاريد بيضون نعيم زرزور

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الكامل في اللغة والأدب

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۲۲۰۴۰۰
تاریخ ثبت :

الكامل في اللغة والأدب

للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد
المعروف بالمبرد النحوي
المتوفى سنة ٢٨٥هـ

الجزء الاول

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

روجعت هذه الطبعة وقوبلت على عدة نسخ
خطية ومطبوعة وشرح الضروري منها.

تعاريد بيضون
نعيم زرزور

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الكامِل
في اللغَة والأدب

للعَلاّمة أبي العَبّاس محمّد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين : وهي كتاب الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لإبن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها ١ هـ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ اللّه الرحمن الرحيم
وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وسلم

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ، قال : حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش قراءة عليه ، قال : قرىء لي هذا الكتاب على أبي العباس محمد بن يزيد المُبرِّدِ

مقدمة الكتاب

الحمد للّه حمداً كثيراً يَبْلُغُ رضاه ويوجب مَزيده ، ويُجيرُ من سَخَطِهِ، وصلى اللّه على محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين ، صلاة تامة زاكية، تؤدّي حقّه، وتُزْلِفُه عند ربه .

قال أبو العباس هذا كتاب ألّفناه يجمع ضروباً من الآداب ، ما بين كلام منثور ، وشِعْرٍ مَرْصوف، ومَثَلٍ سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خُطبة شريفة، ورسالة بليغة، والنيّة فيه أن نُفَسِّرَ كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مُسْتَغلِقٍ، وأن نشرح ما يَعْرِضُ فيه من الإعراب شرحاً شافياً حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يُرْجَعَ إلى أحد في تفسير، مستغنياً، وباللّه التوفيق والحول والقوة وإليه مَفزَعُنا في دَرْك كل طَلِبةٍ، والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا مِن عَمَلٍ بطاعته، وعَقدٍ يرضاه، وقولٍ صادقٍ يرفعه عمل صالح ، إنه على كل شيء قدير .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في شرح معنى فزع ـ وغيث

قال رسول اللّه ﷺ للأنصار في كلام جَرى : إنكم لَتَكْثُرُون عند الفَزَع وتَقِلُّونَ عند الطمع[1]، الفزع في كلام العرب على وجهين ، أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذُعر، والآخر الاستنجاد والاستصراخ، من ذلك قول سَلامة بن جَندَلٍ :

كُنَّا إذا ما أتانا صارخ[2] فَزِعٌ[3] كان الصُراخُ له قَرْعَ الظَّنابيب[4]

يقول: إذا أتانا مستغيث كانت إغاثته الجِدّ في نصرته، يقال قَرَعَ لذلك الأمر ظُنْبو به، إذا جدّ فيه ولم يَفْتُرْ، ويُشتق من هذا المعنى أن يقع فزِعَ في معنى أغاث كما قال الكَلْحَبةُ اليَربوعيّ :

(قال أبو الحسن الكلحبة لقبه واسمه مُبَيرةُ وهو من بني عَرين بن يَربوع والنسب إليه عَرينيّ، وكثير من الناس يقول: عُرَنيّ ولا يَدْري: وعُرَيْنةُ من اليَمَنِ، قال جرير يهجو عَرين بن يربوع :

عَرينٌ من عُرَيْنةَ ليس منا بَرئْتُ إلى عُرَيْنة من عَرين
فقلتُ لكاسِ الجِمْيها[5] فإني حَلَلْتُ الكثيب[6] من زَرود لا فزعا

(١) الطمع : قسمة المال توزيع المغانم.
(٢) الصارخ : المستغيث.
(٣) الفزع : الذعر.
(٤) الظنابيب : كناية عن الاسراع والجد في الاغاثة والنجدة.
(٥) الجميها : يقصد هنا الفرس. أي شدي وثاقها.
(٦) الكثيب : تل من الرمل.

يقول لأغيثَ، وكأس إسم جارية وإنما أمرها بإلحام فرسه ليغيث، والظُّنْبوب مُقَدَّمُ عَظْم الساق .

وقال رسول اللّه ﷺ: ألا أخبِرُكُمْ بأحَبِّكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة ،أحاسِنُكُمْ[1] أخلاقاًالموَطَّؤُن أكنافاً، الذين يألَفون ويُؤلَفون، ألا أخبركم بأبْغَضِكم إليّ وأبعدِكم مني مجالس يوم القيامة، الثرْثارونَ المُتَفَيْهِقون[2] قوله ﷺ الموطؤن أكنافاً مَثَلٌ، وحقيقته أن التوطئة هي التذليل والتمهيد، يقال دابة وَطيءٌ يا فتى وهو الذي لا يُحَرِّكُ راكبَهُ في مَسيره، وفِراش وطيء إذا كان وثيراً لا يُؤذي جَنْب النائم عليه، فأراد القائل بقوله مُوَطَّأ الأكناف، إن ناحيته يتمكن فيها صاحبُها غيرَ مُؤْذيّ ولا نابٍ به موضعُهُ .

(قال أبو العَباس): حدثني العباس بن الفَرَج الرِّياشيُّ قال: حدثني الأصمَعيّ قال: قيل لأعرابي: وهو المُنْتَجِعُ بن نَبْهان، ما السَمَيْدَعُ؟ فقال السيد المُوطَّأ الأكنافِ، وتأويل الأكناف الجوانبِ، يقال: في المَثَل فلانٌ في كَنَفِ فلانٍ ، كما يقال فلان في ظِل فلان، وفي ذَرَى فلانٍ وفي ناحية فلان وفي حَيِّزِ فلان، وقوله ﷺ: الثرثارون يعني الذين يُكْثرون الكلام تَكلُّفاً وتجاوُزاً وخروجاً عن الحق، وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال عين ثَرْثارةٌ وكان يقال لنهر بعينه الثرثارُ، وإنما سمي به لكثرة مائه .

قال الأخطلُ واسمه غياثُ بن غَوْثٍ يُكَنّى أبا مالك ويلقب بدَوْبَلٍ والدَوبَلُ الخنزير :

لَعَمْري لقد لاقَتْ سُلَيْمٌ وعامرٌ[3] على جانب الثَرْثارِ راغيةُ البَكْرِ[4]

---

(١) أحاسنكم: جمع أحسن. اسم تفضيل الغدير أي امتلاء ماء.

(٢) المتفيهقون: من فهق (بكسر بين فتحتين).

(٣) سليم: كزبير، قبيلة من قيس عيلان أو قبيلة جذام، وعامر قبيلة أيضاً من قبائل العرب ولعله أراد عامر بن صعصعة.

(٤) راغية البكر: ضربه لكثرة من قتل منهم في ذلك اليوم.

قوله راغية البكر، أراد أن بَكرَ ثمود رغا[1] فيهم، فأُهْلِكُوا، فضربتْه العرب مَثلاً وأكثرت فيه ، قال عَلْقَمةُ بن عَبْدَةَ الفَحْلُ:

رغا فوقهم سَقْبُ السماءِ فَداحِضٌ بِشِكَّتِهِ لم يُسْتَلَبْ وسَليبُ[2]

(قال أبو الحسن[3] الداحِض الساقط والداحض أيضاً الزالق) وكذلك إذا لم تُضَعّف الثاء فقلتَ عين ثَرَّةٌ، فإنما معناها غزيرة واسعة قال عَنْترَةُ:

جادَت[4] عَلَيْها كلُّ عين ثـرَّةٍ فَتركْنَ كلَّ حَديقةٍ كالدرهم

قال أبو العباس : وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثَّرْثارة، ولكنها في معناها، ويجب أن يكون من الثَّرةِ ثَرَّارةً .

وقوله ﷺ المتفيهقون إنما هو بمنزلة قوله الثرثارون وتوكيد له، ومُتَفَيْهِقٌ مُتَفَيْعِلٌ، من قولهم فَهِقَ الغَديرُ، يَفْهَقُ إذا امتلأ ماءً فلم يكن فيه موضع مَزيد كما قال الأعشى:

نفى الذَّمُّ عن رَهْطِ المحَلّقِ[5] جَفْنَةً[6] كجابيةِ[7] الشيخ العِراقيِّ تَفْهَقُ

كذا يُنشِدُهُ أهل البصرة وتأويله عندهم: إن العراقيّ إذا تمَكَّنَ من الماء ملأ جابيته لأنه حَضَريّ فلا يعرف مواقع الماء ولا مَحالَّهُ.

(قال أبو العباس): وسمعت أعرابية تُنشِدُ:

(قال أبو الحسن: هي أمُّ الهَيْثمِ الكِلابيَّة من ولد المحلَّق وهي راوية أهل

---

(١) الرغاء: صوت ضجيج، البكر: ناقة ثمود، كناية عن شدة العذاب.

(٢) السليب والمسلوب: نزل بهم القضاء وحل بهم العذاب.

(٣) أبو الحسن هو علي بن سليمان الأخفش الصغير، راوي هذا الكتاب عن أبي العباس.

(٤) جادت العين: كثر دمعها وهنا تشبيه منافذ السحاب التي ينزل منها الماء بالعيون التي تجود بالدموع واستعار هذا لذاك وشبه مواضع الماء التي يقر فيها بالدرهم في الاستدارة والصفاء.

(٥) الرهط: قوم الرجل وقبيلته ـ والمحلق كمعظم لقب عبد العزي بن صنم.

(٦) جفنة: القصعة.

(٧) الجابية: الحوض الضخم وهنا شبه الجفنة فيها الطعام بالحوض العظيم الضخم وقد امتلأ ماء فلم

الكوفة) كجابية السَّيْحِ تريد النهر الذي يجري على جابيته فماؤها لا ينقطع لأن النهر يَمُدُّهُ .

من أقوال أبي بكر في مرضه

ومثل قول البصريين فيما ذكَروا به العراقيَّ الشيخَ قولُ الشاعر (قال أبو الحسن هو ذو الرُّمَّةِ) :

لها[1] ذَنَبٌ ضافٍ ودِفرى[2] أسيلةٌ وخَدٌّ كمِرْآة الغَريبةِ أسْجَح[3]

يقول: إن الغريبة لا ناصح لها في وجهها لبعدها عن أهلها ، فمرآتُها أبداً مجْلوَّةٌ لفرط حاجتها إليها، وتصديقُ ما فسرناه من قول رسول اللّه ﷺ أنه يريد الصدقَ في المَنطِقِ والقصد، وتركَ ما لا يُحتاجُ إليه ، قولهُ لجرير بن عبد اللّه البَجَليِّ : يا جرير إذا قلتَ فأوجِزْ، وإذا بَلَغتَ حاجتَك فلا تتكلف .

قال أبو العباس) : ومما يؤثر[4] من حكيم الأخبار وبارع الآداب ما حُدِّثنا به عن عبد الرحمن بن عوف ، وهو أنه قال دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في عِلَّتِهِ التي مات فيها ، فقلت له أراكَ بارئا[5] يا خليفة رسول اللّه ﷺ ، فقال : أما أنّي على ذلك لَشَديدُ الوجع ، ولما لقيتُ منكم يا معشر المهاجرين أشدُّ عليّ من وجعي ، إني ولّيْتُ أموركم خيرَكم في نفسي فكلُّكم وَرِمَ أنفُه[6] أن يكون له الأمر من دونه ، واللّهِ لَتَتَّخِذُنَّ نَضائد

= يكن فيه موضع زيادة، يصفه بالكرم والجود والسخاء .

(١) لها: الضمير للفرس، وذنب ضاف ـ سابغ كثير الشعر .

(٢) الدفري: بالكسر من جميع الحيوان، هي العظم الشاخص، خلق الأذن والجمع دفارى والاسيل والاملس المستوي وقد اسل ككرم .

(٣) الأسجح: الحسن المعتدل، يصفها بجمال الخلق وحسن الوصف وشبه خدها بمرآة الغريبة في الملاسة والصفاء .

(٤) يؤثر: يعرف ـ يتداول .

(٥) بارئاً: اسم فاعل من برء: أي شافياً .

(٦) ورم أنفه: غضب والمراد بالأمر أمر الخلافة وأراد بخيرهم في نفسه عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يقول إني اخترت أن أولي عليكم من هو خيركم في ظني وعقيدتي فكل واحد منكم معاشر المهاجرين غضب أن يكون لعمر الأمر من دونه، فهذا هو الذي كان أشد على أبي بكر في وجعه .

الديباج وستُور الحرير ، ولتَألمُنَّ النوم على الصوف الأذرَبيِّ كما يألمُ أحدُكم النوم على حَسَك السَّعْدان[1] ، والذي نفسي[2] بيده لأن يُقَدَّم أحدُكم فتُضرَبَ عُنُقُهُ في غير حَدٍّ خير له من أن يخوض غَمرات الدنيا ،ياهاديَ[3] الطريقِ جُرْتَ إنما هو واللّهِ الفَجرُ أو البَجرُ ،فقلتُ خَفِّض[4] عليه يا خليفة رسول اللّه ﷺ فإن هذا يَهيضُكَ[5] إلى ما بك فواللّهما زِلتَ صالحاً مُصْلِحاً لا تَأسَ[6] على شيء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخَلَّيْتَ بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً ، قوله نضائد الديباج واحدتها نَضيدة وهي الوسادة وما يُنضَدُ من المتاع .

قال الراجز :

وقَرَّبَتْ خُدَّامُها الوسائدا حتى إذا ما علوَا النَضائدا
سَبَّحْتُ ربي قائماً وقاعداً

وقد تسمي العرب ذلك النَضَدَ والمعنى واحد ، إنما هو ما نُضِدَ في البيت من متاع .

قال : قال النابغة : ورَفَّعَتْهُ[7] إلى السجُفين[8] فالنضدِ . ويقال نَضَدْتُ المتاع إذا ضممت بعضه إلى بعض فهذا أصله .

---

(١) حسك السعدان ـ لعل المراد هنا شوكة ـ يقسم أبو بكر باللّه سبحانه أن الدنيا ستفتح عليكم وتكثر لديكم فتميلون إلى زينتها وزخرفها ولا تبالون بما حرم عليكم منها ـ يريد أنهم يفتتنون بها وأن عمر وحده هو الذي يكف عنها ويزهد فيها .

(٢) الذي نفسي بيده : أراد به النفير من الدنيا وغمرات الدنيا شدائدها .

(٣) يا هادي الطريق : جرت هنا إضافة الهادي إلى مابعده من إضافة إسم الفاعل إلى مفعوله ـ يريد يا هادي الناس الطريق والهادي هو الدال والمرشد والمراد بالطريق ـ طريق الحق .

(٤) خفض عليك : هون عليك .

(٥) يهيضك : يرجعك إلى ما كنت عليه من المرض .

(٦) تأس : تحزن ـ تأسف .

(٧) رفعته : الضمير البارز هنا يعود إلى الطين ووحل المطر المذكور في البيت قبله ـ والضمير المستتر إلى الوليده المتقدم ذكرها .

(٨) السجفين : مثنى سجف بالكسر ومعناه الستر والنضد محركاً ، كالسرير ينضد عليه متاع البيت . وهذا قسم من بيت للنابغة الذبياني .

قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ لها طَلْعٌ نضيدٌ ﴾[1] وقال عز وجل : ﴿في سِدْرٍ مَخضودٍ * وَطلح منضودٍ﴾[2] ويقال نَضَدْتُ اللبنَ على الميت ، وقوله على الصوف الأذربي فهذا منسوب إلى أذرَبيجان ، وكذلك تقول العرب .

قال الشَّمَّاخُ :

تَذَكَّرْتُها وَهناً وقد حال دونها قُرى أذرَبيجانَ المسالِحُ والجالِ[3]

وقوله على حَسَكِ السَّعْدان فالسعْدان ، نبت كثير الحسك تأكله الابل ، فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد في غيره ، فمن أمثال العرب مَرعىً ولا كالسَّعدان تفضيلاً له ، قال النابغة :

الواهبُ المائة[4] الابكارَ[5] زَيَّنها سَعْدانُ تُوضِحَ في أوبارها اللُّبدِ

ويروى في بعض الحديث أنه يؤمرُ بالكافر يوم القيامة فيُسحَبُ على السَعدان ، واللّه أعلم بذلك .

قال أبو الحسن : السَعدان نبت كثير الشوك كما ذكر أبو العباس ولا ساق له ، إنما هو مُنفرشٌ على وجه الأرض .

---

(١) سورة ق : الآية ١٠ .

(٢) سورة الواقعة : الآية ٢٨ .

الطلح : الموز : والطلع : شيء يخرج من النخل كأنه نعلان .

منضود : منضم بعضه إلى بعض .

(٣) تذكرتها : وهنا الهاء عائدة إلى الحبيبة ، والوهن نحو من نصف الليل . والمسالح : جمع ملسحة وتلفظ بالفتح وهي الثغر . موضع نفاذ العدو والجال : ناحية من البحر والجبل . والمسالح والجال كأنهما بدلان من قرى أذربيجان والمعنى أنني تذكرت من أحبه بعد وهن أي بعد انقضاء وقت من الليل وقد حال بيني وبينه الثغور والجبال .

(٤) الواهب المائة : قصد بها الشاعر الإشارة إلى النعمان بن المنذر

(٥) الابكار : مفردها بكر وهي الناقة إذا ولدت بطناً واحداً وتوضح بالضم وكسر الضاد ، موضع بين أمره إلى أسود العين واللبد المتلبد ـ ومعنى هذا البيت أن النعمان كريم ـ سخي يعطي العطاء الجزيل ، وأضافة السعدان هنا توضح أهمية ذلك الموضع احسن واهم من أي موضع آخر . وفي ذلك اشارة إلى أن الابل كانت سمينة وجميلة من كثرة اعتنائها بالسعدان .

حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشَيبانّي عن ابن الاعرابي قال : قيل لرجل من أهل البادية وخرج عنها أترجع إلى البادية؟ فقال: أمّا ما دام السَعدانُ مُستلقياً فلا يريد ، أنه لا يرجع إلى البادية أبداً ، كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبداً ، وقال أبو عليّ البَصير واسمه الفَضْل بن جعفر ، وإن لم يكن بحجة ولكنه أجاد فذكرنا شِعره هذا لجوْدته لا للاحتجاج به ، يمدح عُبَيدَ اللّه ابن يحيى بن خاقان وآلهُ فقال :

يا وُزَراءَ السلطان أنتم وآلَ خاقان
كبَعضِ ما رَوَيْنا في سالِفات الأزمان
ماءٌ ولا كَصَدّاءِ[1] مَرْعى ولا كالسَعدان

وهذه الأمثال ثلاثة منها قولهم مَرْعىً ولا كالسعدان ، وفتىً ولا كمالِكٍ ، وماء ولا كصَدّاء ، تُضرَبُ هذه الأمثال للشيء الذي فيه فضل وغيره أفضلُ منه ، كقولهم ما من طامّةٍ إلا وفوقها طامّةٌ أي ما من داهيةٍ إلا وفوقها داهيةٌ . ويقال : طَما الماءُ وطَمَّ ، إذا ارتفع وزاد . ومالك الذي ذكروا هو مالك بن نَويرةَ أخو مُتمِّم بن نويرة ، وصَدّاء يُمَدُّ ، وبعضهم يقول : صُدًى فيضم أوله ويَقصُر .

فأما أبو العباس محمد بن يزيد فإنه قال : لم أسمع من أصحابنا إلا صَدآءَ يا فتى وهو اسم لماء معرفة وهما همزتان بينهما ألف والالف لا تكون إلا ساكنة كأنك قلت صَدْعاعَ يا هذا ، وقوله : إنما هو واللّه الفجر أو البَجْرُ ، يقول : إن انتظرتَ حتى يُضيء لك الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قَصدَك ، وإن خَبطتَ الظّلماءَ وركبتَ العَشواء[2] هَجما بك على المكروه ، وضربَ ذلك مَثلاً لغَمرات الدنيا وتحييرها أهلَها ، وقوله يَهيضُكَ مأخوذ من قولهم هيض العَظمُ إذا جُبر ثم أصابه شيء يُعنِتهُ فآذاه فكسره ثانية أو لم يَكسِره ، وأكثر ما يستعمل

(١) صداء: عين ليس عندهم أعذب منها.
(٢) العشواء من العشا بالفتح والقصر وهو سوء البصر بالليل أو النهار.

في كَسرِه ثانية ، ويقال عظم مَهيضٌ وجناح مَهيضٌ في هذا المعنى ، ثم يشتق لغير ذلك وأصله ما ذكرت لك ، فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه ، لما كَسَر يزيدُ بن المُهلّب سِجنه وَهَرَب فكتب إليه لو علمتُ أنك تبقى ما فعلتُ ولكنك مسموم ، ولم أكن لأضع يدي في يد ابن عاتكة (هو يزيد بن عبدِ الملك بن مَروانَ وأمه عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية وليَ الملكِ بعد عمر ابن عبد العزيز ولا يعلم أحد أعرَقُ في الخلافة منه ، فقال عمر اللهم إنه قد هاضني فَهِضهُ فهذا معناه ، وقوله فكلُكم وَرَمَ انفُهُ ، يقول امتلأ من ذلك غضَباً ، وذكر أنفَه دون السائر ، كما يقال فلان شامخ بأنفه يريد رافع رأسه وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر : ولا يُهاجُ إذا ما أنفُهُ ورما ، أي لا يُكلَّمُ عند الغضب ويقال للمائل برأسه كِبرأمُتشاوسٌ[1] وثاني عِطفهِ وثاني جيده[2] إنما هذا كله من الكبرياء . قال اللّه عز وجل ﴿ **ثانيَ عطفِهِ ليُضلّ عن سبيل اللّه**﴾[3] . وقال الشمّاخُ (يهجو الرُبيْعَ بن عَلياء السُلَميَّ) .

نُبِّئْتُ أن رُبَيعاً أنْ رَعى إبلاً يُهْدي إليّ خَناهُ[4] ثانيَ الجِيدِ

بعض ما جاء في خطبة عمر بن الخطاب الأولى

وقوله أراكْ بارئاً يا خليفة رسول اللّه ﷺ يكون من بَرِئتُ من المرض ، وبَرَأتُ ، كلاهما يقال فمن قال بَرِئتُ قال أبرَأُ يا فتى لا غير ومن قال بَرَأتُ قال في المضارع أبرأُ وَابرُؤ يا فتى مثل فَرَغَ يَفرَغُ ويَفرُغْ ، والآية تُقرأ على وجهين : ﴿**سَنَفرُغُ لكم أيها الثَقلان**﴾[5] وسنفرَغُ : والمصدر فيهما البُرْءُ يا فتى . ومما روي لنا عنه رضي الله عنه حيث عَهِدَ عند موته ، وهو بسم الله الرحمن

---

(١) متشاوس : من التشاوس وهو النظر بمؤخر العين . تكبراً .

(٢) ثاني الجيد : عبارة تستعمل كناية عن الوصف بالتكبر .

(٣) سورة الحج : الآية ٩ .

(٤) الخنا : التكبر .

(٥) سورة الرحمن : الآية ٣١ .

الرحيم هذا ما عَهدَ به أبو بكر خليفةُ محمد رسول اللّه ﷺ عند آخر عهده بالدنيا وأوّل عهده بالآخرة في الحال التي يؤمِنُ فيها الكافر ويَتّقي فيها الفاجر ، إني استعملتُ عليكم عمر بنَ الخطاب فإن بَرّ وعَدَلَ فذلك عِلمي به ورأيي فيه . وإن جار وبَدّل فلا علمَ لي بالغيب ، والخيرَ أرَدتُ ولكل امرىء ما اكْتَسَب ، «وسَيَعلمُ الذين ظلموا أيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلبون»[1]،نَصَبَ أي بقوله يَنقلبون ولا يكون نصْبها بـ «سيعلم» لأن حروف الاستفهام إذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يَعْمل فيه ما قبله ، وذلك نحو قولك علمتُ زيداً منطلقاً فإن أدخلتَ الألف قلتَ علمتُ أزيدٌ منطلقٌ أم لا ، فأيٌّ بمنزلة زيدٍ الواقع بعد الألف ، ألا ترى أن معناها إذا أم ذا .

وقال اللّه عز وجل ﴿ لنعلمَ أيُّ الحِزْبينِ أحْصَى لما لَبثوا أمَداً﴾[2] . لأن معناها أهذا أم هذا .

وقال تعالى ﴿ فَلْيَنْظُرْ أيُّها أزكى طعاماً ﴾[3] على ما فسرتُ لك وتقول أعْلمُ أيَّهمْ ضرَبَ زيد أو أعلم أيُّهُمْ ضرب زيدٌ تنصب أيا بضرب لأن زيداً فاعل فإنما هذا لما بعده ، وكذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء المُستَفهَم بها نحو قد علمتُ غلامُ أيهمْ في الدار وقد عرفتُ غلامُ مَنْ في الدار وقد علمتُ غلامَ مَنْ ضربتَ فتنصبه بضربتَ فعلى هذا مجرى الباب ، ومما يُؤثرُ من هذه الآداب ويُقدَّمُ قولُ عمر بن الخطاب رضي اللّه تعالى عنه في أول خُطبة خَطَبَها ، حدثنا العُتبيُّ قال : لم أر أقلّ منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى حَمد اللّه وأثنى عليه ، وهو أهله وصلّى على نبيه محمد ﷺ ثم قال : أيها الناس إنه واللّه ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعفُ عندي من القويّ حتى آخذ الحق منه . ثم نزل وإنما

---

(١) سورة الرحمن : الآية ٣١ .

(٢) سورة الكهف الآية ١٢ .

(٣) سورة الكهف : الآية ١٩ .

حَسُنَ هذا القولُ مع ما يستحقه من قِبل الاختيار بما عَضَدهُ به من الفعل المشاكل له .

رسالة عمر « لأبي موسى الأشعري »

قال أبو الحسن: قد رَوَيْنا هذه الخطبة التي عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبي بكر رضي اللّه عنهما وهو الصحيح) قال أبو العباس ومن ذلك رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري وهي التي جَمَعَ فيها جُمَلَ الأحكام واختصرها بأجود الكلام وَجَعَلَ الناسُ بَعده يتخذونها إماماً ولا يجد مُحِقٌّ عنها مَعْدلاً[1] ولا ظالمٌ عن حدودها محيصاً[2] ،وهي : بسم اللّه الرحمن الرحيم من عبد اللّه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد اللّه بن قيس[3] : سلامٌ عليك أما بعد فإن القضاء فريضة مُحْكَمَةٌ[4]، وسُنّة مُتّبَعَةٌ[5]، فافهَمْ إذا أُدْلِيَ إليك[6] فإنه لا ينفع تكلُّمٌ بحق لا نفاذ له ،آسِ[7] في الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يَطمَعَ شريف في حَيْفك ، ولا يَيْأس ضعيف من عدلك ، البيِّنةُ على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحَلَّ حراماً أو حرَّمَ حلالاً ، لا يمنعنّك قضاءٌ قضيتَهُ اليومَ فراجعتَ فيه عقلك وهُديتَ فيه لرُشدك أن ترْجِعَ إلى الحق، فإن الحق قديم ، ومراجَعةُ الحق خير من التمادي في الباطل الفَهْمَ الفَهْمَ[8] فيما تَلَجْلَجَ[9] في صدرك

---

(١) معدلاً أي مصرفاً، وحدودها: أحكامها الفاصلة التي تمنع الظالم عن ظلمه.

(٢) المحيص: المخلص والمنجي.

(٣) عبد اللّه بن قيس: أبو موسى الأشعري.

(٤) فريضة محكمة: غير منسوخة.

(٥) سنه متبعة: طريقة يهتدي بها.

(٦) فافهم إذا أدلي إليك: معناه أعمل بما أقوله إليك إذا أوكل إليك القضاء وكنت حاكماً بين الناس.

(٧) أس: ساوي.

(٨) الفهم الفهم: دعوة للحض على اتخاذ قرار ما.

(٩) التلجلج: التردد.

مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعْرفْ الأشياء والأمثال ، فقِسْ الأمور عند ذلك واعمِد إلى أقربها إلى اللّه وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينةً أمداً[1] ينتهي إليه فإن أحضر بينته أخذتَ له بحقه وإلا استحللْتَ عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى . عُدول بعضُهم على بعض إلا مَجْلوداً في حدٍّ أو مُجَرّباً عليه شهادة زُورٍ ، أو ظنيناً في ولاءٍ أو نَسب فإن اللّه تولّى منكم السرائر ودَرَأ بالبينات والإيمان وإياك والغلق[2] والضَجَر والتأذّي بالخصوم[3] والتَنَكُّر عند الخصومات فإن الحق في مواطن الحق يُعْظِمُ اللّه به الأجر ، ويُحْسِنُ به الذُخْرَ ، فمن صحّت نيته وأقبل على نفسه كفاه اللّه ما بينه وبين الناس ومن تَخَلّق للناس بما يعلم اللّه أنه ليس من نفسه شأنَه اللّه فما ظنك بثواب غير اللّه عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .

(قال أبو العباس) : قوله آس[4] بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك يقول سوِّ بينهم ، وتقديره اجعل بعضَهم أسْوَة بعضٍ ، والتأسّي[5] من ذا أن يَرى ذو البلاء مَنْ به مِثلُ بلائه فيكون قد ساواه فيه ، فيُسَكِّن ذلك من وَجدِه قالت الخَنْساءُ :[6]

فَلَوْلا كَثْرَةُ الباكين حَوْلي ... على إخْوانهمْ لقتَلْتُ نَفسي
وما يَبْكونَ مثلَ أخي ولكن ... أُعَزّي النفْسَ عنه بالتأسّي
يُذَكّرُني طُلوعُ الشَمْس صَخْراً ... واذكُرُهُ لكُلِّ غُروبِ شَمْسِ

تقول أذكره في أوّل النهار للغارة وفي آخره للضِيفان ، وَتمثّلَ مُصْعَبُ بن الزُبيرِ يوم قُتِلَ بهذا البيت :

---

(١) أمداً : مترة راميته تمهله فيها .
(٢) الغلق : عدم التبصر بالأمور .
(٣) التأذي بالخصوم : الثأر والانتقام من الخصوم وهم في موضع الحق .
(٤) آس : اعتمد المساواة .
(٥) التأسي مصدر تأسى الحزين بكذا أي تعزيه وتسليه .
(٦) الخنساء شاعرة جاهلية . وهنا قصيدتها التي قالتها بعد وفاة أخيها صخر .

وإنَّ الألى [1] بالطفِّ [2] من آل هاشم تـآسَـوْا فَسَنُّـوا للكِـرام التّـآسيـا

وقوله حتى لا يطمح شريفٌ في حيفك [3] يقول في مَيْلك معه لشرفه، وقوله فيما تلَجْلَجَ في صدرك يقول تردَّدَ ، وأصل ذلك المُضْغةُ والأكْلَةُ يُرَدِّدُها الرجل في فَمِه فلا تزال تتردد إلى أن يُسيغَها أو يقْذِفَها ، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يَصِلَها بأخرى ، يقال للعَيِيّ لَجْلاجٌ ، وقد يكون من الآفة تَعْتري اللسان قال زُهيرٌ :

تُـلجْلِجُ مُضغَةً [4] فـيـهـا أنـيضٌ أصَـلَّتْ فهي تحت الكَشْحِ داءُ

وقوله أنيض [5] أي لم تَنضَجْ ، ومن أمثال العرب الحقُّ أبْلَجُ [6] ،والباطل لَجْلَجٌ ، أي يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مَخْرجاً ، وقولـه : أوْ ظَنيناً في وَلاءٍ أو نسب فهو المُتَّهَمُ وأصله مَظنون وهي ظننت التي تتعدى إلى مفعول واحد ، تقول ظننتُ بزيد وظننت زيداً أي اتَّهَمْتُ ، ومن ذلك قول الشاعر وأحْسِبُهُ عبد الرحمن بن حَسَّان :

فـلاوَيمينِ [7]اللّهِ مـا عَـنْ جِنـايةٍ [8] هَـجَـرْتَ ولكـنَّ الـظنين [9] ظَـنـيـنُ

وفي بعض المصاحف ﴿ وما هو على الغَيْب بظنَين ﴾[10]، وإنما قال عمر رضي اللّه عنه ذلك لِمـا جاء عن النبي ﷺ مَلْعونَ مَلْعون من انتَمى إلى غير

---

(١) الألى: اسم موصول.

(٢) الطف: موضع قرب الكوفة كانت به وقعة الحسين بن علي أيام يزيد بن معاوية.

(٣) الحيف: الجور والظلم.

(٤) المضغة: بالضم وهي القطعة من اللحم.

(٥) أنيض: تغير.

(٦) أبلج: بين ـ واضح.

(٧) لا ويمين: من عادة العرب إضافة «لا» قبل القسم.

(٨) جناية: الجريمة.

(٩) الظنين: المتهم.

(١٠) سورة التكوير: الآية ٢٤.

أبيه أو إدعى[1] إلى غير مَواليه[2]، فلما كانت معه الاقامةُ على هذا لم يره للشهادة موضعاً . وقوله : ودَرَأ بالبينات والإيمان إنما هو دَفَعَ، من ذلك قول رسول الله ﷺ : أدْرَؤا الحُدودَ بالشُّبُهات .

وقال الله عزّ وجل : ﴿قُلْ فادْرَؤا عن أنفُسِكُم الموْتَ إن كنْتمْ صادِقين﴾[3] وقال فادَّرأتُمْ فيها أي تَدافعْتُمْ . وأما قوله وإياك والغَلَق والضَجَرَ فإنه ضيقُ الصدر وقلة الصبر ، يُقال في سوء الخُلُقِ رجل غَلِقٌ وأصل ذلك من قولهم أُغْلِقَ عليه أمرُهُ إذا لم يتَّضح ولم ينفتح ، من ذلك قولهم غَلِقَ الرَهنُ[4] أي لم يوجد له تخَلُّصٌ وأغْلَقْتُ الباب من هذا قال زُهيرٌ :

وفارقَتْكَ برَهْنٍ لا فَكاكَ لهُ يَومَ الوَداعِ فأمْسى الرهْنُ قد غَلِقا

قوله ومن تَخلَّقَ للناس يقول : أظهرَ للناس في خُلُقِه خلافَ نيّته ، وقوله تخلَّق ، يريد أظهَرَ خُلُقاً مثل تَجَمَّل يريد أظهر جمالاً وتصنّعَ وكذلك تجبّر إنما تأويله الاظهار أي أظهر جَبَرِيّة[5](وإن شئت جَبَرُوَّة وإن شئت جَبَروتاً وإن شئت جَبَرُوتيَ ومن كلام العرب على هذا الوزن رَهَبوتيَ خيرٌ لك من رَحَموتي ، أي لأنْ تُرْهَبَ خيرٌ لك من أن تُرْحَمَ) قال أبو العباس : وأنشدونا عن أبي زيد (الشعر لسالم بن وابِصَةَ الأسَدِيّ) :

يا أيها المُتَحَلِّي [6] غَيْرَ شيمَتِهِ [7] (ومن سَجِيَّتِهِ الأدْغالُ والمَلَقُ [8]

---

(١) ادعى : انتسب .

(٢) الموالي جمع مولى وهو المالك للعبد .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٨ .

(٤) الرهن : ما يوضع بدلاً مما يؤخذ .

(٥) الجبرية : بفتح الجيم وسكون الباء إسم للتجبر وهو التكبر وفيها لغات أخرى نبه على بعضها سا بن وابصه التابعي .

(٦) المتملي : المتزين .

(٧) الشيمة : بالكسر الطبيعة والادغال .

(٨) الملق : التملق أي تعطي من اللسان ما ليس في القلب .

دَعْ التَخَلُّقَ [1] يَبْعُـد عـنـك أوَّلَـهُ) إن الـتَـخـلُّقَ يـأتـي دونَـهُ الخُلُقُ [2]
ولا يُؤاتيـكَ فيمـا نـابَ من حَـدَثٍ إلا أخـو ثِـقَـةٍ فـانـظُر بِمَـنْ تَثِـقُ

قال : وأنشَدَتني أمُّ الهَيْثمِ الكلابيَّةُ :

وَمَنْ يَتّخِذْ خِيماً [3] سِوى خِيمِ نفْسِهِ يَـدَعْـهُ ويَغْلِبْـهُ على النفْسِ خيمُهـا

وقـال ذو الإصبَعِ العَـدْوانيُّ (ذو الاصبع اسمـه حُـرْثـانُ بن الحَـرِث بن مُحَرِّثٍ وقيل له ذو الاصبع لأن أفعى نهَشَتْ أصبعه) :

كـلّ امْـرِىءٍ راجِـعٌ يَـومـاً لشيمَتِـهِ وإن تَمَتّـعَ أخْـلاقـاً إلى حـيـنِ

وأما قوله ثواب فاشتقاقه من ثابَ يَثوبُ إذا رجَع ، وتـأويله ما يَثـوبُ إليك من مُكافأة اللّه وفضله ! .

بعض ما جاء في رسالة من عثمـان بـن عفان إلى علي بن أبي طالب

وكتب عثمـان بن عفّـان إلى عليّ بن أبي طـالب رضي اللّه عنهمـا حين أحيطَ به : أما بعد فإنه قد جاوَزَ الماءُ الزُبى [4] ، وبَلَغَ الحِزامُ الطُّبْيَـين، وتجاوَزَ الأمر بي قدْرَه ، وطَمِعَ [5] فيَّ من لا يَدْفعُ عن نفسه .

فـإن كنتُ مـأكـولاً فكُنْ خَيـرَ آكِـلٍ وإلا فـأدْرِكـنـي ولـمّـا أُمـزَّقِ

قوله قد جاوز المـاء الزبى فـالزُبْيَـةُ مصيدة الأسـد ولا تُتَخَذُ إلا في قُلَّةٍ أو رابيةٍ أو هَضْبةٍ قال الراجز :

---

(١) التخلف : التظاهر بخلاف ما تنطوي عليه السجية .

(٢) الخلق بضمتين : السجية والطبع .

(٣) خيما : بكسر الخاء ومعناها الطبع والسجية .

(٤) جاوز الماء الزبى وما بعده . مثلان يضربان في اشتداد الأمر ووصول المكروه إلى غايته .

(٥) طمع من لا يدفع عن نفسه : معناه تطاول على الضعفاء والجبناء .

وكـان أكثر القـوم إذا ذاك متأهـل مصر والبيت الذي تمثـل به «للمـزق» . كمعـظم ومحـدث وهـو شاس بن نهار لقب بهذا اللقب لقوله هذا البيت .

فـأنـت والأمـرُ الـذي قدْ كيدا[1] كـالـلـذ تَـزَبّى زُبْيَـةً فـاصْـطيـدا

وقال الطِرِمّاحُ[2] :

ياطَيِيءَ[3] السَهْلِ والأجْبالِ موعِدُكمْ[4] كمُبْتَغي[5] الصيْد أعلى زُبْيَةِ[6] الأسَدِ

(ويروى في عرّيسة الأسد) وتقول العرب قـد علا المـاءُ الزُبى وقـد بَلَغَ السّكينُ العَظْمَ وبَلغَ الحِزامُ الطُبْيَين ، وقد انقـطع السَّلى في البطن ، فـالسَلى من المرأة والشاة ما يَلتَفُّ فيه الولدُ في البطن . قال العجّـاجُ : فقدْ عـلا الماءُ الزُبى فلا غِيَـرْ . أي قد جَـلَّ الأمرُ عن أن يُغَيّـرَ ويُصْلِحَ ، وقولـه وبلغ الحزام الطبيين فإن السّباع والخيل يقال لمواضع الاخْلاف منهـا أطْباءٌ يـا فتى واحدهـا طُبْيء كمـا يقال في الـظِلفِ والخُفِّ ، خِلفٌ هذا مكـانُ هذا فـإذا بلغ الحزامُ الـطبيين فقد انتهى في المكـروه ومثل هـذا من أمثالهم التَقَتْ حَلْقَتا البِطان[7]، ويقولون التقتْ حَلقتا البطان والحقَبُ[8]، ويقالَ حَقِبَ البعيرُ إذا صار الحزامُ في الحقَبِ قال الشاعر (أبو بكرُ هو الوليدُ بن يزيد بن عبد الملِك[9] وأوّله :

سُـلَيْـمـى تـلك فـي الـعِيرِ[10] قِـفـي إن شِئـتِ أو سـيـري

فـلمـا أن بَـدا الـصـبـحُ بـأصـواتِ الـعـصـافـيـرِ

---

(١) قدكيدا: من الكيد وهو المكر.

(٢) الطرماح: أحد شعراء بني أمية.

(٣) طيء من القبائل العربية وقد أضيفت هنا للسهل والمجال تعبيراً عن كثرتها.

(٤) موعدكم: وعدكم.

(٥) مبتغي: مريدي.

ومعنى البيت هنا أن وعدكم بعيد المنال وهو كمن يطلب صيداً في أعلى زبية الاسد.

(٦) زبية الأسد: عريسة الأسد. وهي البيت والمأوى.

(٧) البطان: حزام من القتب. والحلقتان: مثنى حلقة.

(٨) الحقب حركة: احزام يلي حقو البعير.

(٩) ليس أبو بكر الوليد بن يزيد بن عبد الملك هو من قال هذا الشعر وإنما قائله شاعر من شعراء الدولة العباسية.

(١٠) العير: القافلة.

خَرَجْنا نَبْتغي الصيد بأمثال اليَعافيرِ[1]
إذا ما حَقَبٌ جالَ شَدَدْناه بتَصْدِيرِ[2]
(زَجَرْنا العِيسَ فارْمَدَّت بأهْذابٍ وتشمير[3]

وقال أوْس بن حَجَر:

وازْدَحمتْ[4] حَلْقَتَا البِطان بأقوا م وطارَتْ نفوسُهُم جَزَعا[5]

وتَمَثُّلُهُ[6] بالبيتِ يشاكِلُ قول القائل :

فإن أكُ مَقتولاً فكُنْ أنتَ قاتلي فبَعضُ مَنايا القومِ أكرمُ من بَعْض

عتاب عثمان لعلي

ويروى عن قَنْبرٍ مولى علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه أنه قال : دخلتُ مع علي بن أبي طالب على عثمان بن عفّان رضي اللّه عنهما فأحبّا الخَلوَة ، فأوْمأ إليّ عليٌّ بالتَنَحّي فتَنَحّيْتُ غيْرَ بعيدٍ فَجَعَلَ عثمانُ يعاتب علياً وعليٌ مُطرِقٌ فأقبلَ عليه عُثمانُ فقال : ما بالك لا تقول . فقال : إن قلتُ لم أقل إلا ما تَكرَهُ وليس لك عندي إلا ما تُحبُّ ، تأويل ذلك إن قلتُ اعْتَدَدْتُ عليك بمثل ما اعتددتَ به عليَّ فلذَعكَ عتابي وعَقْدي ألا أفعَل وإن كنتُ عاتباً إلا ما تُحِبُّ . وتحدَّثَ ابن عائشة في إسنادٍ ذكره أن علياً رضي اللّه عنه انتهى إليه أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملاً له يقال حَسّانُ بن حسان فخرج مُغْضَباً يُجرُّ ثوبه حتى أتى النُخَيْلَةَ[7] واتبعه الناس فَرَقيَ رباوَةً[8] من الأرض فحمدَ

---

(١) اليعافير: جمع يعفور وهو الظبي بلون التراب.

(٢) التصدير: شد الحبل حول البعير.

(٣) أهذاب وتشمير: أهذاب بالذال المعجمة الاسراع. التشمير هو الجد في السير.

(٤) أزدحمت: التقت.

(٥) الجزع: الخوف.

(٦) الهاء في تمثله تعود إلى عثمان رضي اللّه عنه.

(٧) النخيلة: كجهينة موضع بالعراق حصلت به وقعة بين الخوارج وعلي رضي اللّه عنه.

(٨) الرباوة: مثلثة ما ارتفع من الأرض وكذا البروة.

اللّه وأثنى عليه وصلّى على نبيه ﷺ ثم قال : أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمَن تركه رغبةً عنه ألبسه اللّه الذل ، وسيما الخَسْف ، ودُيِّثَ بالصَّغار ، وقد دعوتكم إلى حَرْب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسرّاً وإعْلاناً ، وقلتُ لكم اغزوهم من قبل أن يَغْزوكم فوالذي نفسي بيده ما غُزيَ قومٌ قطُّ في عُقْر دارهم إلا ذلّوا ،فتخاذلتم [1] وتواكلْتمْ ، وَثَقُل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيّاً حتى شُنّت عليكم الغارات ، هذا أخو غامد [2] قد وَرَدتْ خَيْلُهُ الانبار وقتلوا حسّان بن حَسّان ورجالاً منهم كثيراً ونساءٍ ، والذي نفسي بيده لقد بلغني أنه كان يُدخَلُ على المرأة المسلمة والمعاهِدة فتُنْتَزَعُ أحجالهما ورُعُثُهما ثم انصرفوا موْفورين لم يُكلَمْ منهم أحدٌ كلْماً ، فلو أن امرأً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي فيه ملوماً بل كان عندي جَديراً ، عَجَباً كلَّ العَجب عَجبٌ يُميت القلب ويَشْغَل الفَهْم ويُكثِر الاحزان من تَضافُر هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشَلِكم عن حقّكم ، حتى أصبحتم غَرَضاً[3] تُرْمَوْنَ، ولا تَرْمون ويُغارُ عليكم ولا تُغيرون ، ويُعصى اللّه عزّ وَجَلّ فيكم وتَرْضَوْنَ ، إذا قلتُ لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا أوانُ قُرٍّ وصرٍّ[4]، وإن قلت اغزوهم في الصيف قلتم هذه حَمارَّةُ القَيْظ ، أنظِرْنا[5] ينصرم الحرُّ عنا فإذا كنتم من الحر والبرد تفِرُّون فأنتم واللّه من السيْفِ أفرُّ ، يا أشباهَ الرجال ولا رجالٌ ويا طَغامَ الاحلام ، ويا عُقولَ ربّاتِ[6] الحِجال، واللّهِ ، لقد أفسدتم عليَّ رأيي بالعِصْيان ولقد ملأتم جوفي[7] غيظاً حتى قالت قُرَيْشٌ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأيَ[8] له في الحرب، للّه دَرُّهمْ وَمَنْ ذا يكونُ أعْلم بها مني أو أشدّ لها مراساً !

---

(١) التخاذل: الكسل ـ التهاون.

(٢) أخو غامد، الرسول الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان لقتال أهل الأنبار.

(٣) غرضاً ـ هدفاً ينال منه كثيرون.

(٤) القر بضم القاف ـ البرد.

(٥) انظرنا: إمهلنا.

(٦) الحجال موضع يزين بالثياب والستور.

(٧) جوفي: صدري.

(٨) رأي: دراية ـ معرفة.

فواللّه لقد نَهَضت فيها وما بَلغتُ العِشرين ولقد نيَّفتُ[1] اليوم على الستين ولكن لا رأي لمن لا يُطاع ، يقولها ثلاثاً فقام إليه رجل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يُعْرفان بابنيْ عَفيفٍ من الأنصار) فقال : يا أمير المؤمنين أنا وأخي هذا كما قال اللّه تعالى رَبِّ إني لا أَمْلِكُ إلا نَفسي وأخي فمُرْنا بأمرك فواللّه لننتهينَ إليه ولو حال بيننا وبينه جَمْرُ الغَضَى[2] وشوْكُ القَتَادِ، فدَعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تَقعان[3] مما أريد ؟ ثم نَزَلَ .

(قال) أبو العباس قوله سيما الخَسْفِ قال هكذا حدّثونا وأظنه سيمَ الخَسْف يا هذا من قول اللّه عزّ وَجَلّ ﴿ يَسومونَكم سوءَ العذاب﴾ [4] ومعنى قوله سيما الخسفِ تأويله علامَةٌ هذا أصل ذا . قال اللّه عَزّ وَجَلّ ﴿ سيماهُم في وجوهِهِمْ من أثرِ السُجودِ ﴾[5] وقال عزّ وجلّ ﴿ يُعرَفُ المجرمون بسيماهُم ﴾[6] وقال أبو عبيدة في قوله عزّ وجلّ مُسَوَّمين ، قال مُعْلمينَ واشتقاقه من السّيما التي ذكرنا ، ومن قال مُسوَّمين فإنما أراد مُرْسَلين من الابل السائمة أي المرسَلةِ في مراعيها ، وإنما أُخذَ هذا من التفسير ، وقال المفسرون في قوله تعالى ﴿ والخيلِ المسوَّمةِ﴾ [7] القولين جميعاً من العلامة والإرسال .

وأما قوله عزّ وجلّ ﴿حِجارةً من سِجِّيل[8] مَنضودٍ [9] مسوَّمةً عند ربك﴾[10] فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحداً، قالوا مُعْلَمَةً وكان عليها أمثال

---

(١) نيفت: تجاوزت.

(٢) الغضا: جمع غضاة وهو شجر عظيم إذا أحرق أعطى ناراً شديدة يضرب بجمرها المثل.

(٣) تقعان مما أريد: يعني لا تفيتان عما أريد شيئاً.

(٤) سورة البقرة: الآية ٤٩.

(٥) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٦) سورة الرحمن: الآية ٤١.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٤.

(٨) سورة هود: الآية ٨٢.

(٩) سورة هود: الآية ٨٣.

(١٠) سجيل: كسكيت حجارة من مدر كانت مما كتب لهم أنهم يعذبون بها.

الخواتيم، ومن قال سيما قصر ويقال في هذا المعنى سيمياء ممدود قال الشاعر (وهو ابن عَنقاء الفزارِيُّ في عُمَيْلَةَ الفزاريِّ) :

غلامٌ رَماهُ اللّه بالحسْنِ يافعاً[1] لهُ سيماءُ لا تشُقُّ على البَصَرْ
(كأنّ الثُريّا عُلّقَتْ في جَبينِه وفي أنفه الشِعْرى وفي جيدِهِ القمَر)

شرح رد علي على عثمان

وقوله : وقتلوا حسّانَ بن حسّان من أخذَ حسّاناً من الحُسْنِ صَرَفهُ لأن وزنه فعّالٌ فالنون منه في موضع الدال من حَمّادٍ ، ومن أخذَهُ من الحَسِّ لم يَصْرِفْهُ لأنه حينئذ فَعْلانُ فلا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة لأنه ليست له فَعْلى ، فهو بمنزلة سَعْدانٍ وسرْحانٍ . ودُيّثَ بالصغار تأويله ذُلِّل يقال للبعير إذا ذلّلَتْهُ الرياضةُ بعير مُدَيَّثٌ أي مذلل . وقوله في عُقر دارهم ، أي في أصل دارهم والعُقْرُ الأصل ، ومن ثمّ قيل لفلان عَقار أي أصل ومال . ويروى عنه ﷺ أنه قال : من باعَ داراً أو عقاراً فلم يَرُدُّ ثمنهُ في مثله فذلك مال قَمَنٌ ألا يُبارَكَ له فيه . وقوله قَمَنٌ يريد خَليقٌ ويقال أيضاً قَمين وقَمينٌ .

(قال أبو الحسن من قال قَمَنٌ لم يُثَنِّ ، ولم يَجْمعْ ، ومنْ قال قمِنٌ وقمينٌ ثَنّى وجَمَعَ) ويقال للرجل إذا اتخذ ضَيعةً أو داراً ، تأثّل فلانٌ أي اتخذ أصلَ مالٍ . وقوله تواكلتم إنما هو مشتق من وكلْتُ الأمر إليك ، ووكلتَهُ أنت إليّ أي لم يَتوَلّهُ واحدٌ منا دون صاحبه ، ولكن أحال به كلُّ واحدٍ منا على الآخر ، ومن ذلك قول الحُطيئةَ :

فِلأياً[2] قَصَرْتُ[3] الطرْفَ عَنْهُمْ بجَسْرةٍ[4] أمُونٍ[5] إذا واكلْتُها[6] لا تُوَاكِلُ

---

(١) يافعاً : شاباً قوياً .
(٢) اللأي : كالسعي : ومعناه الابطاء والشدة .
(٣) قصرت الطرف : حبسته .
(٤) الجسرة : العظيمة من الابل الماضية في سيرها .
(٥) الامون : صفة الناقة ومعناه وثيقة الخلق .
(٦) واكلتها : تركتها وشأنها .

وقوله واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيّاً أيْ رميتم به وراء ظهوركم ، أي لم تلتفتوا إليه ، ويقال في المثَل لا تجْعَلَ حاجَتي منك بظَهْر ، أي لا تَطرَحها غير ناظر إليها . وقوله حتى شُنّت عليكم الغاراتُ يقول صُبّت ، يقال شَنَنْت الماء على رأسه أي صَبَبْتُه وشَنَنْتُ الشراب في الاناء أي صَبَبْتُهُ ، ومن كلام العرب فلما لقِيَ فلانٌ فلاناً شَنَهُ السيفَ أي صَبّه عليه صَبّاً . وقوله هذا أخو غامدٍ فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية من بني غامد بن نَصر بن الازْد بن الغَوث ، وفي هذه القبيلة يقول القائل :

ألا هَلْ أتاها[1] على نأيها[2] بما فَضَحَتْ قَوْمَها غامدُ
تَمَنَّيْتُمُ مائتيْ فارسٍ فَرَدُّكُمُ فارسٌ واحِدُ

(هو رَبيعَةُ بن مُكدَّمٍ)

فَلَيْتَ لنا بارْتباط الخُيو لِ ضاناً لها حالبٌ قاعِدُ[3]

وقوله فَتُنْتَزَعُ أحجالهُما يعني الخَلاخيل واحدها حِجْل ، ومن هذا قيل للدابة مُحَجّلٌ ، ويقال للقيد حِجْل لأنه يقع في ذلك الموضع .

قال جريرٌ يُعَيّر الفَرَزْدق حين قيّدَ نفسه وأقسم ألا يَحُلّها حتى يحْفظَ القرآن ، فلما هاجى جرير البعيثَ هجا الفرزدقُ جريراً مَعونةً للبَعيث ، وذبّاً عن عشيرتِهِ فقال جرير :

ولما اتّقى القَيْنُ العِراقيُّ باستِهِ فرَغتُ إلى العبدِ المقيّد في الحِجل

(يعني بقوله ولما اتقى القين العراقي باسته البعيثَ وسمّاهُ القين لأنه من رهط الفرزدق) ومعنى فرغت عَمدْتُ .

---

(١) الأهل أتاها : استفهام وتوبيخ وتقريع .

(٢) النأي : البعد .

(٣) فليت لنا بارتباط الخيول : هذا الترجي يعني اليأس والقنوط .

قال اللّه عزّ وجلّ ﴿ سَنفرُغُ لكم أيها الثقلان ﴾[1] أي سنَعْمِدُ (تميمٌ تقول فَرَغَ يَفرغُ فراغاً وأهل العالية وهم قُريشٌ ومن والاها يقولون فرغَ يفرُغُ فُروغاً) . وقوله ورُعُثُهما الواحدة رَعْثةٌ وجمعها رِعاثٌ ، وجمع الجمع رُعُثٌ وهي الشّنوفُ ، وقوله ثم انصرفوا مَوْفورين [2] من الوَفر أي لم يُنلْ أحَدٌ منهم بأن يُرْزأ في بَدنٍ ولا مالٍ ، يقال فلانٌ مَوفور وفلان ذو وفْرٍ أي ذو مال ويكون موفوراً في بدنه إذا ذكر ما أصيب به غيرُه في بدنه قال حاتم الطائيُّ :

وقَدْ عَلِمَ الاقوامُ لو أن حاتماً أراد ثراءَ [3] المال كان لهُ وَفرُ

ويروى أمسى له وَفر ، وقوله لم يُكلمْ أحد كَلْماً يقول لم يُخْدشْ أحدٌ منهم خدشاً ، وكلُّ جُرْحٍ صَغُرَ أو كَبُرَ فهو كلْمٌ . قال جرير :

تَوَاصَتْ [4] من تَكرمِها قُريْشٌ بِرَدِّ الخيْل دامية الكلوم [5]

وقوله مات من دون هذا أسفاً يقول تحسّراً ، فهذا موضع ذا وقد يكون الأسف الغضب .

قال اللّه عزّ وجلّ ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾[6] والاسيفُ يكون الاجير ويكون الأسير فقد قيل في بيت للأعشى

أرى رجُلاً منهم أسيفاً كأنما يَضُمُّ إلى كشحَيْه كفّاً مُخَضّبا

المشهور أنه من التأسف لقطع يده ، وقيل بل هو أسير قد كُبِلتْ يدُهُ ، ويقال قد جَرَحها الغُلُّ ، والقول الأول هو المُجتَمَعُ عليه . ويقال في معنى أسيفٍ عسيفٌ أيضاً ، وقوله من تضافُرِ هؤلاء القوم على باطلهم يقول من

---

(١) سورة الرحمن : الآية ٣١ .
(٢) موفورين : سالمين .
(٣) ثراء المال : النمو والزيادة .
(٤) تواصت : أوصي بذلك أولهم آخرهم .
(٥) الكلوم : الجروح .
(٦) سورة الزخرف : الآية ٥٥ .

تعاوُنِهم وتظاهُـرهم . وقولـه وفشلِكم عن حقكم يقال فشِـلَ فلانٌ عن كـذا إذا هابه فنكل عنه وامتنع من المُضِي[1] فيه. وقوله قلتم هذا أوان قُـرٌّ وصرٌّ ، فالصرُّ شدّة البرد قال اللّه عزّ وجلّ : ﴿ **كمثل ريح فيها صـرٌّ** ﴾[2] وقولـه هذه حَمَّـارةُ القيّظ فالقيظُ الصيف وحمّارتُهُ اشتداد حـرّه واحتدامُـهُ وحمارّة ممـا لا يجوز أن يحتج عليه ببيت شعرٍ لأن كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وَزن الشعر إلا في ضربٍ منه يقال له المُتقارِبُ فـإنه جُـوِّزَ فيه على بُعـدِ التقاءُ الساكنين وهو قوله :

فـذاكَ الـقِـصـاصُ وكـان الـتَـقـا صُّ فـرْضـاً وحَتْمـاً على المُسلمينـا

ولو قال وكان القصاص فرضاً كان أجود وأحسن ولكن قد أجازوا هـذا في هذه العَروض ولا نظير له في غيرهـا من الأعاريض ، وقـوله يـا طَغامَ الأحـلام فمجازُ الطغام عند العرب مَنْ لا عَقل له ولا معرفة عنده ، وكانوا يقولون طَغـامُ أهلِ الشام ، كما قال :

(إذا مـا كـان مِـثـلُهُـمُ رجـامـاً) فمـا فضْـلُ اللبيبِ على الـطَغـامِ

وقوله ويا عقولَ ربّاتِ الحِجال يَنسُبُهَمْ إلى ضَعفِ النسـاء وهو السـائر في كلام العرب .

قال اللّه تعالى يذكر البنات ﴿ **أَوَ مَن يُنشأ في الحِلية وهو في الخصام غير مُبين** ﴾[3] .

---

(١) المضي : انحام الأمر والوصول به حتى النهاية .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١١٧ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ١٨ .

١ ـ باب في أهمية الاختصار والاطناب عند العرب

قال أبو العباس : من كلام العرب الاختصار[١] المُفهِم، والأطناب[٢] المُفخَّم ، وقد يقع الايماءُ إلى الشيء فيُغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لَمَحَةٌ دالةٌ، وقد يُضطَرُّ الشاعرُ المُفلِقُ[٣] والخطيبُ المصقَع[٤] والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المُستَغلِق[٥] واللفظ المُستكرَه[٦]، فإن انعطفت عليه جَنْبَتا[٧] الكلام غَطتّا على عَوارِه[٨] ، وسَترتا من شَيْنه، وإن شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح في الكلام الحسَن أظهرُ ، ومجاورته له أشهر ، كان ذلك له ولكن يغتفر السيء للحسن والبعيد للقريب ، فمن ألفاظ العرب البيّنة القريبة المُفهِمَةَ الحسنةِ الوصف الجميلة الرصفِ قول الحُطَيئة :

وذاك فتىً إنْ تَأتِهِ في صَنيعةٍ[٩] إلى مالِهِ لا تَأتِهِ بشَفيع[١٠]

---

(١) الاختصار: هو التعبير بأقل ما يمكن من الألفاظ.

(٢) الأطناب: التعبير بأكثر ما يمكن من الألفاظ وهنا يعني أن كلام البلغاء إما أن يكون مختصراً مفهماً للغرض الذي يرمي إليه المتكلم إما أن يكون فيه أطناب وطول مع جزالة في اللفظ ووضوح في المعنى وأصابة الغرض.

(٣) المعلق: الذي يأتي بالعجيب.

(٤) المصقع: كثير البليغ عالي الصوف جهودي وهو الذي لا يرتج عليه في كلامه.

(٥) المستغلق: غير المفهوم.

(٦) المستكره: القبيح.

(٧) جنبتان: ناحيتان.

(٨) العوار بالفتح العيب.

(٩) الصنيعة: الصلة والاحسان.

(١٠) الشفيع: صاحب الشفاعة.

وكذلك قول عَنترةَ :

يُخْبِـرْكِ مَنْ شَهِـدَ الوَقيعةَ [1] أنني أغشى الـوغى وأعِفُّ عندالمغْنَم [2]

وكما قال زُهَيرٌ :

علىمُكثريهِمْ [3] حَقُّ مَنْ يَعْتَـريهِـمُ وعند المُقلِّينَ [4] السماحَـةُ والبـذْلُ

ومما وقع كالايماء قولُ الفرزدق :

ضَـربَتْ عليـكَ العَنكبـوتُ بنسْجِهـا وَقَضى عليـك بـه الكتـابُ المُنَـزَّلُ

فتـأويل هـذا أن بيت جريـر في العرب كـالبيت الـواهي الضعيف فقـال : وقضى عليك به الكتاب المنزل ، يريد به قول اللّه تَبـارك وتعالى ﴿ **وإنَّ أوْهَنَ البُيـوتِ لَبَيتُ العَنكبوتِ لـو كانـوا يعلمون**﴾ [5] ومن كـلامه المُسْتَحسَنِ قـولُهُ لجرير :

فهَـلْ ضـرْبـةُالروميِّ [6] جـاعلةٌ لكمْ أبـاً عَـن كُلَيْـبٍ أو أبـاً مثـل دَارمِ

من الألفاظ الغريبة والمستهجنة

ومن أقبح الضرورة وأهجنِ [7] الألفاظِ وأبعدِ المعاني قوله :

ومـا مثلُهُ فـي النـاسِ إلاَّ مُـمَلَّكـاً أبـو أُمِّـهِ حَـيٌّ أبـوه يُـقـارِبُـهْ

---

(١) الوقيعة: الحرب.

(٢) المغنم: الكسب.

(٣) المكثر: صاحب المال الوفير.

(٤) المقل: صاحب المال القليل.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤١.

(٦) ضربة الرومي: يريد بذلك الأسير الذي أسره المسلمون من بلاد الروم وقد جيء به إلى عبد الملك بن مروان فعرضه على الفرزدق ليقتله. فجيء عليه فعيره بذلك لجرير، يريد فهل هذه جعل لكم أباً غير أبيكم كليب أو أبا مثل أبي، يصف جريراً بدقة الأصل ودناءة النسب.

(٧) أهجن: أكثرها عيباً.

مَدحَ بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المُغيرة ابن عبد اللّه بن عمر بن مَخْزومٍ ، وهو خال هشام بن عبد الملك ، فقال : وما مثلُه في الناس إلا مُمَلّكاً يعني بالمُمَلّكِ هشاماً أبو أُمّ ذلك المُمَلّكِ أبو هذا الممدوح ، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وضَعَ الكلامَ في مَوضعه أن يقول وما مثله في الناس حَيٌّ يقاربه إلا مُمَلّكٌ أبو أُمّ هذا المُمَلّكِ أبو هذا الممدوح فدلَّ على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهَجّنَهُ بما أوقع فيه من التقديم والتأخير ، حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رَجل واحد مع قوله حيث يقول :

تَصَرَّمَ[1] مني وُدُّ بَكْر بنِ وائل[2] وما كادَ مِنّي وُدُّهم يَتَصَرَّمُ
قَوارِصُ[3] تأتيني ويحْتقِرونَها وقد يَمْلأ القَطْرُ الإناءَ فَيَفعَمُ

(القارصة الكلمة المؤذية) وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول :

والشَيبُ يَنْهَضُ في السواد كأنه لَيْلٌ يَصيحُ بجانبَيْه نهارُ

فهذا أوْضحُ معنىً وأعْرَبُ لفظٍ وأقربُ مأخذٍ ، وليس لِقِدَمِ العَهدِ يُفضّلُ القائلُ ولا لِحدْثانَ[4] عَهْدٍ يُهْتَضَمُ[5] المصيب، ولكن يُعطى كلّ ما يستحق ، ألا ترى كيف يفضل قول عُمارة على قرب عهده :

تَبَحْتُمُ[6] سُخْطي[7] فَغَيّر بَحْثُكم نُخَيْلَةَ نَفسٍ[8] كان نُصْحاً ضميرُها

---

(١) تصرم : تقطع .
(٢) بكر بن وائل بن قاسط والمراد به القبيلة ومعنى هذا البيت أنه لُجهم قد تمكن منّي حتى كنت أظنّ أنه لا ينقطع ولكنه انقطع .
(٣) القوارص : المؤلم من الكلام .
(٤) الحدثان : بكسر الحاء ضد القديم .
(٥) يهتضم : يظلم ويبخس حقه .
(٦) تبحثتم : فتشتم .
(٧) سخطي : ما يزعجني .
(٨) يريد نفساً نافله أي صافيه .

ولنْ يُلبِثَ التخْشينُ[1] نفساً كريمةً عَريكتُها أن يَستمِرَّ مَريرها[2]
وما النفسُ إلا نُطفةٌ[3] بقرارةٍ إذا لم تُكدَّرْ كان صَفْواً غديرُها[4]

فهذا كلام واضح وقول عَذبٌ، وكذلك قوله أيضاً:

بَني دارِمٍ[5] إن يَفنَ عُمري فقَد مضى حياتي[6] لكم مِّني ثناءٌ مُخَلَّد
بَدأتُمْ فأحسَنتُمْ فأثنَيْتُ جاهداً وإن عُدْتُمُ أثنَيْتُ والعَوْدُ أحمدُ

ما يفضل العرب من ألفاظ

ومما يُفضَّل لتخَلُّصِه من التكلُّف وسلامته من التزَيُّد وبُعدِهِ من الاستعانة قولُ أبي حَيّة النُمَيريِّ:

رمَتْني وسِترُ اللّهِ بَيني وبَينها عَشِيّةَ أرآمِ[7] الكِناسِ رَميمُ

(قيل في سِترِ اللّه الإسلامُ وقيل فيه أنه الشَيْبُ وقيل ما حرَّم اللّه عليهما).

ألا رُبَّ يومٍ لوّ رَمتني رَميْتُها ولكنَّ عَهدي بالنّضالِ قديمُ
(يَرى الناسُ أني قد سَلَوْتُ[8] وإنني لَمَرْميُّ احناءِ[9] الضُلوع سَقيمُ)

---

(١) التخشين: مصدر خشن صدره إذا وغره والعريكة بفتح العين النفس.
(٢) استمر مريرها: قويت شكيمتها واستحكمت ومعنى هذا أن أبغار الصدر لا يدع النفس الكريمة السهلة السلسه على حالها بل لا تلبث إلا أن تقوى وتشتد على من خاشنها وترجع عما كانت عليه من الصفاء.
(٣) النطفة بالضم الماء الصافي قل أو كثر.
(٤) الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل وفي ذلك ضرب مثل للنفس التي تكون صافية نقية، فإذا نالها مكروه وأصابها غضب وسخط تكدرت وتغيرت عما كانت عليه كالماء يكون صافياً ما دام ساكناً حتى إذا هيج تكدر وتغير.
(٥) بني دارم: حي من تميم نسبوا إلى أبيهم دارم بن مالك بن حنظلة.
(٦) يريد هنا مدة حياتي.
(٧) الأرام: جمع رئم بالكسر وهو الظبي خالص البياض.
(٨) السلو: موت الحب والتخلص منه.
(٩) الاحناء: جمع حنو. ما أعوج من العمود وهو يقول: يرى الناس من حالي إني قد سلوت وذهب عني الحب وهم لا يعلمون بما في قلبي وما انطوت عليه جوانحي وابن السقيم حرص بالحب فيما بين الضلوع، يصف نفسه هنا بالتعير والتجلد وإن كانت نار الحب في قلبه تتقد.

يقول رَمتْني بطرَفْها وأصابَتني بمحَاسنها ولو كنتُ شاباً لرَميْتُ كما رُميت، وفتَنتُ كما فُتِنْتُ، ولكن قد تطاوَلَ عَهْدي بالشباب فهذا كلام واضح.

قال أبو الحسن أنشَدنا أبو العباس أحمد بن يحيى البيتين عن عبد الله ابن شَبيبٍ وروى عَشيّة أحجارِ الكِناس رَميمُ، وزاد فيه:

رميم التي قالتْ لجاراتِ بَيْتِها ضَمِنتُ لكم أن لا يزالَ يَهيمُ

الكِناس والمكنِسُ الموضع الذي تأوي إليه الظِباءُ، وجمع الكِناس كُنُسٌ، وجمع المَكْنِس مكانِس، ورميم اسم جارية مأخوذ من العظام الرميم وهي البالية وكذلك الرِمةُ القطعة البالية من الحبل وكل ما اشتق من هذا فإليه يرْجِعُ.

قال أبو العباس وأما ما ذكرناه من الاستعانة فهو أن يُدْخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليُصَحِّح به نظماً أو وزْناً ان كان في شعر أو ليتذكر به ما بعده ان كان في كلام منثور كنحو ما تَسمَعُهُ في كثير من كلام العامة، مثل قولهم: ألستَ تَسْمعُ، أفهمتَ أين أنت وما أشبه هذا. وربما تشاغل العَيِيُّ بفتْل اصبعه ومَسِّ لحيتِهِ وغير ذلك من بدنه، وربما تنَحْنَحَ وقد قال الشاعر يعيب بعض الخُطباء في شعره:

مَليءٌ ببُهْرٍ[1] والنفاتٍ وسُعْلةٍ ومَسْحةِ عثنونٍ[2] وفَتلِ الأصابع

وقال رجل من الخَوارج يصف خَطيباً منهم بالجُبنِ، وأنه مُجيدٌ لولا أن الرُّعبَ أذْهَلهُ:

نَحْنَحَ زيْدٌ وسَعَلْ لما رأى وقْعَ الأسلْ[3]

---

(١) البهر بالضم إنقطاع النفس من الاعياء.

(٢) العثون: بالضم ـ اللحية.

(٣) الأسل: محركاً الرماح والنبال.

ويَـلُمّـهِ[1] إذا ارْتَـجَلْ[2] ثـم أطـال واحـتَفَـلْ[3]

(وقال رجل يصف رجلاً من أبادٍ بالعِيِّ وكان أبوه خطيباً وخالهُ:

جَمَعتَ صُنوفَ العِيِّ[4] من كل وجْهَـةٍ وكنتَ مَليئـاً بـالبلاغـةِ منْ كَثَبْ[5]

أبوك مُعِمٌّ[6] في الكـلام ومُخْوِلٌ[7] وخالُكَ وَثّابُ الجراثيم[8] في الخُطَبْ)

ومما يشاكل كل هذا المعنى ويُجانسُ هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد اللّه القسريّ، فإنه كان متقدماً في الخَطابةِ، ومتناهياً في البلاغة، فخرج عليه المُغيرةُ بن سعيد بالكوفة في عشرين رجلاً فعَطْعطوا[9] به، فقال خالد: أطعموني ماءً وهو على المنبر، فَعُيِّرَ بذلك، فكتَب به هشامٌ إليه في رسالة يُوَبّخُهُ فيها وسنذكرها في موضعها إن شاء اللّه وعَيَّرَهُ يحيى بن نَوْفلٍ فقال:

لأعْلاجٍ[10] ثمانيَةٍ وعَبدٍ لَئيمِ الأصلِ في عَددٍ يَسيرِ

هتَفتَ بكلِّ صَوْتك أطعمُوني شَراباً ثم بُلتَ على السريرِ

فهذا عارضٌ وقال آخر يُعَيِّرُهُ:

---

(١) يلمه: بكسر اللام وضمها ـ كلمة تقال للداهي المجيد وأصلها ويل لأمه، وركبوه وجعلوه كالشيء الواحد واستعملوه في التعجب.

(٢) ارتجل الكلام: قاله دون تحضير أو استعداد.

(٣) احتفل أكثر من التوضيح والإنابة.

(٤) العي: عيوب النطق.

(٥) كثب: قرب.

(٦) معم: إذا كان هناك شبه بين فرد وعمه قالت عنه العرب معم.

(٧) مخول: إذا كان هناك شبه بين الفرد وخاله. قالت عنه العرب مخول.

(٨) الجراثيم: أصول الاشياء، وهنا كناية عن المواقف الصعبة والمواقع الشديدة. يقول أبوك قوي متمكن في الكلام وخالك لا يهاب المواقف ولا يخشى المجامع ولا يأخذه خوف ولا وهل في الخطب فما بالك أنت.

(٩) عطعطوا به: من العطعطة وهي تتابع الأصوات وإختلاطها في الحرب.

(١٠) لا علاج: يقصد بها الانكار والتوبيخ والاعلاج جمع علج بالكسر، أما أن يكون أصله حمار وحشي سمين قوي واستعاره لهم أو أن الرجل من كفار العجم مبالغة في فجورهم وخروجهم عن الحق، يريد لهذا العدد اليسير، فعلت ما فعلت مما جر عليك العيب والعار ـ يرميه هنا بالضعف والخذلان.

بَلَّ المنابِرَ منْ خَوْفٍ ومِنْ وَهَلٍ [1] واستَطعَمَ الماءَ لما جَدَّ في الهَرَبِ
وألحنُ الناسِ كلَّ الناسِ قاطبةً وكان يُولَعُ بالتشْديقِ [2] في الخُطَبِ

ومما يُسْتَحْسنُ لفظه ويُسْتغرَب معناه ويُحْمَدُ اختصاره قولُ أعرابيّ من بني كلاب:

فَمَنْ يَكُ لمْ يَغْرَضْ فإني وناقتي بحَجْرٍ [3] إلى أهْلِ الحَمى غَرِضانِ
(هَوَى ناقتي خَلْفي وقُدّامي الهوى وإنسي وإياها لمَخْتلِفانِ) [4]
تحنُّ [5] فتُبْدي ما بها من صَبابَةٍ [6] وأُخْفي الذي لَوْلا الأسى لقَضاني

(أنشد صاعدٌ بعدهما زيادةً فيهما:

فيا كبِدَيْنا أجْمِلا [7] قد وَجدْتُما بأهْلِ الحِمى ما لمْ يجِدْ كبِدانِ
إذا كبِدانا خافَتا وَشْكَ [8] بَيْنةٍ وعاجَلَ بَيْنٍ ظَلّتا تجِبانِ)

يريد لقَضى عَليّ فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحْسنَ مُخْرَجٍ. قال اللّه عزّ وجل: ﴿إذا كالوهُم أو وَزَنوُهمْ يخْسِرونَ﴾ [9] والمعنى إذا كالوا لهم أو وَزَنوا لهم، ألا تَرى أن أول الآية الذين إذا اكْتالوا على الناس يَسْتَوْفونَ [10] فهؤلاء أخَذوا منهم ثم أعطوهم، وقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿واختار موسى

---

(١) الوهل: الضعف والحزن والفزع.
(٢) التشديق: أن يلوي الانسان شدقه للتفصح.
(٣) حجر بفتح الحاء قصبة اليمامة وتوضع بدار بني عقيل وواد بين بلاد غذره وغطفان وبلده بين سليم ولا أدري أي ذلك أراد يريد أن لم يوجد عاشق محب فإني وناقتي عاشقان.
(٤) هوى ناقتي، يريد ما تهواه وتحبه وهو ولدها وقوامي الهوى: من أحبه.
(٥) تحن من الحنين وهو صوت الطرب عن حزن وفرح.
(٦) الصبابة: الشوق ـ فناقتي تظهر ما عندها من الصبابة والعشق وأنا أخفي ما عندي ولولا التأسي لقضي علي وهلكت.
(٧) أجملا: إصبرا ـ اعتدلا ولا تفرطا.
(٨) الوشك: الاسراع وقد وشك الأمر ككرم وأسند الخوف إلى الكبد مجازاً وسعة.
(٩) سورة المطففين: الآية ٣.
يخسرون: ينقصون الميزان.
(١٠) يستوفون: يعدلون في الوزن والمكيال.

﴿قَوْمَهُ سَبْعين رَجُلاً لميقاتِنا﴾[1] أي من قومه وقال الشاعر:

(هو أعْشى طَرودٍ واسمُهُ اياسُ بن عامرٍ).

أمَرْتُكَ الخَيرَ فافْعَل ما أُمِرْتَ بِه فقد تَرَكتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ[2]

أي أمَرْتُكَ بالخير. ومن ذا قول الفرزدق:

ومنّا الذي اخْتيرَ الرِجالَ سماحَةً وَجوداً إذا هَبّ الرِّياحُ الزَعازِعُ[3]

أي من الرجال فهذا الكلام الفصيح، وتقول العرب أقمْتُ ثلاثاً ما أذوقُهُنّ طَعاماً ولا شراباً أي ما أذوقُ فيهنّ، وقال الشاعر:

وَيَوْماً شَهِدْناهُ سَلْيماً وعامِراً قَليلاً سِوى الطعْنِ النِهالِ نَوافِلُهْ[4]

(قال أبو الحسن: قوله لم يَغْرَضْ، أي لم يَشْتَقْ. يقال: غَرِضْتُ إلى لقائك وحَنَنْتُ إلى لقائك، وعَطِشْتُ إلى لقائك، وجُعْتُ إلى لقائك، أي اشْتَقْتُ. أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي، وأنْشَدَنا عنه:

مَنْ ذا رَسولٌ ناصِحٌ[5] فَمُبلِّغُ عَنّي عُلَيّةَ غَيْرَ قَوْلِ الكاذبِ

أني غَرِضْتُ إلى تَناصُفِ وَجْهِها غَرَضَ المُحِبِّ إلى الحبيب الغائبِ

التناصُفُ الحُسْنُ، وأما قوله لقضائي فإنما يريد لقَضى عليّ الموت.

كما قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿فلمّا قضَيْنا عليه المَوْتَ﴾[6]، فالموتُ في النية وهو معلوم بمنزلة ما نَطقْتَ به فلهذا ناسب هذا قولَهُ عزّ وجل: ﴿واخْتارَ موسى قَوْمَه﴾[7]، وكذلك قولُه تعالى: ﴿كالوُهم﴾[8] فالشيءُ المَكيلُ معلوم

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٥.
(٢) النشب: المال الكثير.
(٣) الزعازع: الرياح الشديدة.
(٤) النوافل: الصفات الحسنة.
(٥) ناصح: لا غش فيه.
(٦) سورة سبأ: الآية ١٤.
(٧) سورة الأعراف: الآية ١٥٥.
(٨) سورة المطففين: الآية ٣.

فهو بمنزلة ما ذُكِرَ في اللفظ ولا يجوز مررت زيداً وأنت تريد مررت بزيد لأنه لا يتعدّى إلا بحرف جر وذلك أنه فعل الفاعل في نفسه وليس فيه دليلٌ على المفعول وليس هذا بمنزلة ما يَتعَدّى إلى مفعولين فيتعدّى إلى أحدهما بحرف جَرٍّ وإلى الآخر بنفسه لأن قولك: اخْتَرْتُ الرجالَ زيداً قد عُلِمَ بِذكْرِكَ زيداً، أن حرف الجر محذوف من الأوّل. فأما قول الشاعر وهو جرير وإنشادُ أهل الكوفة له وهو قوله:

تَمُرُّونَ الدِيارَ ولمْ تَعوجوا[1] كلامُكُمْ عَليّ إذاً حَرامُ

وروايةُ بعضهم له أتَمْضونَ الدِيارَ، فليسا بشيء لما ذكرْتُ لك والسماع الصحيح والقياس المُطّرِدُ لا تَعْتَرِضُ عليه الرِوايةُ الشاذةُ.

في ما يستحسن ويستجاد

أخبرنا أبو العباس محمد بن يَزيدَ قال: قرأت على عُمارَةَ بن عَقيل بن بلال بن جَرير: مَررْتُمْ بالدِّيارِ ولم تَعوجوا، فهذا يَدُلُّكَ على أن الرواية مُغَيَّرَةٌ، فأما قولهم أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً ولا شراباً وقولُ الراجز:

قَدْ صَبّحَتْ صَبّحَها السَّلامُ بكَبِدٍ خالَطَها سنامُ
في ساعةٍ يُحَبُّها الطعامُ

يريد في ساعةٍ يُحَبُّ فيها الطعامُ، وكذلك الأول معناه: ما أذوقُ فيهنّ فليس هذا عندي من باب قوله جَلّ وعلا: ﴿واختار موسى قَوْمَهُ﴾[2] إلا في الحذف فقط وذلك أن ضمير الظَرْف تجعله العربُ مفعولاً على السَّعَةِ كقولهم: يَوْمُ الجمعة سِرْتُهُ، ومكانُكمْ قمتُهُ، وشهْرُ رمضان صمتُه، فهذا يُشَبّهُ في السَعَةِ بقولك: زيدٌ ضربتُهُ وما أشبهه فهذا بَيّنٌ).

قال أبو العباس: ومما يُسْتحْسَنُ ويُستجادُ قول أعرابي من بني سَعْد بن

---

(١) تعوجوا: تقفوا.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٥.

زيد مَنَاةَ بن تميم وكان مُمْلَكاً، فنزل به أضياف فقام إلى الرَحى فطحن لهم فَمَرّتْ به زوجتُهُ في نِسْوَةٍ فقالت لهنّ. أهذا بَعْلي، فأُعْلِمَ بذلك فقال: (قال أبو الحسن أخبرنا به عن أبي مُحَلّم له يعني السَعْدِيّ):

تَقولُ وصَكّتْ[1] صَدْرَها بِيمَينِها ... أَبَعْلِيَ[2] هذا بالرحَى المُتَقاعِسُ
فَقُلتُ لها ولا تَعْجَبي وتَبَيّني[3] ... بلائي[4] إذا التَفّتْ عليّ الفَوارِسُ
ألَسْتُ أرُدُّ القِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ[5] ... وفيه سنانٌ ذو غِرارَيْنِ يابسُ[6]
إذا هابَ أقْوامٌ تَجَشّمْتُ[7] هَوْلَ[8] ما ... يَهابُ حُمَيّاهُ الألَدُّ المُداعِسُ
لَعَمْرُ أبيكِ الخَيْرِ إني لَخادِمٌ ... لِضَيْفي وإني إن رَكِبْتُ لَفارِسُ

قوله المُتقاعِسُ إنما هو الذي يُخْرِجُ صَدْره ويُدْخِلُ ظهره، ويقال: عِزّةٌ قَعْساءُ، وإنما هذا مَثَلٌ أي لا تَضَعُ ظهرَها إلى الأرض، وقوله: بالرحى المتقاعس لو أراد الذي يَتقاعَسُ بالرحى لم يَجُزْ لأن قوله بالرحى من صلة الذي، والصلة من تمام الموصول فلو قدمها قبله لكان لحناً وخطأ فاحشاً وكان كمَنْ جَعَلَ آخر الاسم قبل أوله، ولكنه جعَلَ المتقاعسَ اسماً على وجهه وجعل قوله بالرحى تَبْييناً بمنزلة لَكَ التي تَقَعُ بعد قولك سَقْياً، وبمنزلة بكَ التي تقع بعد مرحباً فإن قدَّمْتَها قبل سَقْياً ومَرْحباً فذلك جَيِّدٌ بالغ، نقول: بك مرحباً وأهلاً ونقول: لك حَمْداً ولزيدٍ سَقْياً، فأما قولُ اللّه عزّ وجل: ﴿وأنا

---

(١) صكت صدرها: ضربته ضرباً شديداً.

(٢) أبعلي هذا الهمزة للتعجب يقول لما رأتني أطحن الدقيق بالرحى ضربت صدرها بيمينها ضرباً شديداً وتعجبت من ذلك وأنكرته عليّ.

(٣) تبيني: أعرفي ـ اتوضحي.

(٤) بلائي: بأسي. يقول لها لا تعجبي مما ترين وإسألي عن قومي وبأسي عند التمام الحرب والتفات الفوارس بي، وهنا فخر.

(٥) ركب ردعه أي خرج لوجهه على دمه.

(٦) يابس: صلب. قوي.

(٧) تجشمت: تكلفته على مشقة.

(٨) الهول: المخافة من الأمر لا يدري ما هجم عليه منه يقول إذا اشتد البأس وهاب الناس الحرب، تكلفت هولها على مشقة وتعب في حين أن الشجاع القوي ينفر ويخاف منها.

على ذَلكمْ من الشّاهِدين﴾[1] وكذلك: وقاسَمَهُما إني لَكُما لِمن الناصحين فيكون تفسيره على وجهين أحدهما[2] أن يكون وأنا ناصحٌ لكما وأنا شاهد على ذلكم، ثم جعل من الشاهدين ولمن الناصحين تفسيراً لشاهدٍ وناصحٍ، ويكون على ما فسرنا يراد به التبيين فلا يدخل في الصلة ويكون على مذهب المازني، وقال أبو العباس؛ وهو الذي اختار على أن الألف واللام للتعريف لا على معنى الذي: ألا ترى أنك تقول نِعْمَ القائم زيدٌ ولا يجوز نِعْمَ الذي قامَ زيد فإنما هو بمنزلة قولك نِعْمَ الرجلُ زيدٌ، وهذا الذي شرحناه متصلٌ في هذا البابِ كُلِّهِ مُطّرِدٌ على القياس، وقوله: ألسْتُ أردُّ القِرْن يركب رَدْعَهُ، فإنما اشتقاقه من السهم، يقال: ارْتَدَعَ السهمُ إذا رجع النَصْلُ متأخراً في السِنْخِ[3]، ويقال: ركب البعيرُ رَدْعَهُ، إذا سقط فدخلتْ عُنُقُهُ في جوفه، فالكلام مُشْتَقٌّ بعضُه من بعض ومُبَيِّنٌ بعضُه بعضاً فيقال من هذا في المثَل: ذهب فلانٌ في حاجتي فارْتَدَعَ عنها أي رجع، وكذلك فلان لا يَرْتَدِعُ عن قبيح والأصل ما ذكرتُ لك أوّلاً، ومثل هذا قولهم: فلانٌ على الدّابة وعلى الجبل أي فوق كل واحد منهما، ثم نقول: فلانٌ عليه دَيْنٌ تمثيلاً، وكذلك: رَكِبَهُ دَيْنٌ، وإنما تريد أن الدَيْنَ علاه وقهَرَهُ، وكذلك: فلان على الكوفة إذا كان والياً عليها وكذلك: علا فلانٌ القومَ إذا علاهم بأمره وقهرهم أو جُعِلَ في هذا الموضع، وقوله: وفيه سنانٌ ذو غِرارَيْنِ يابسُ، فالغِرار ههنا الحَدُّ وللغرار مواضع. قال أبو العباس: وحدثني الرياشيُّ في إسنادٍ له قال: قال جَبْرُ بن حبيبٍ وذكر الراعي أخطأ الأعْوَرُ قال: ولم يَعْلَمْ الحاكي عنه ان الراعي كان أعْوَرَ إلا من هذا الخبر في قوله:

فصادَفَ سَهْمُهُ أحْجارَ قُفٍّ[4] كسَرْنَ العَيْرَ[5] منْهُ والغِرار

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٥٦.

(٢) خطأ مطبعي والمقصود أحدهما.

(٣) السنخ: بالكسر. الأصل.

(٤) قف بالضم ما ارتفع من الأرض.

(٥) العير: بالفتح كل ناتىء في مستوى.

وجَبْرٌ بن حبيب هو المخطىء لأن الغِرار ههنا هو الحدّ، وذهب جبْرٌ إلى أنه المثالُ، وقد يكون المثالَ وليس ذلك بمانعه من أن يَحْتمِلَ معانيَ، يقال: بَنَوْا بيوتَهُمْ على غرارٍ واحدٍ أي على مثالٍ واحدٍ كما قال عمرو بن أحمر الباهلي:

وَضعْنَ وكلُّهُنَّ على غِرارٍ هِجانَ[1] اللوْنِ قد وسَقَتْ[2] جَنِينا

(الرواية عن أبي العباس وَضعْنَ بفتح الضاد والواو والصحيح وُضِعْنَ بضم الواو وكسر الضاد) ويقال: لسُوقِنا دِرّةٌ وغِرارٌ أي نَفاقٌ وكسادٌ، فهذا معنى آخر وإنما تأويل الغرار في هذا المعنى الأخير أنه شيء بعد شيء ومن هذا: غارَ الطائرُ فَرْخَهُ لأنه إنما يعطيه شيئاً بعد شيء، وكذلك غارّت الناقةُ في الحَلَبِ، ويقال من هذا ما نِمْتُ إلا غِراراً، قال الشاعر:

ما أذوقُ النَوْمَ إلا غِراراً مِثْل حَسْوِ[3] الطيْرِ ماءَ الثمادِ[4]

فكشَفَ في هذا البيت معنى الغِرار وأوضحه. وقوله: يَهابُ حُمَيّاهُ الألدُّ المُداعِسُ، فأصل الحُمَيّا إنما هي صَدْمةُ الشيء، يقال: فلان حامي الحُمَيّا، ويقال: صدَمَتْهُ حُمَيّا الكأس، يراد بذلك سَوْرتها. وقوله الألدّ فأصله الشديد الخصومة، يقال خصمٌ ألدٌّ أي لا ينثني عن خصمه.

قال الله عز وجل: ﴿وتنذِرَ به قوماً لُدّاً﴾[5]، كما قال: ﴿بَل هُم قوم خَصِمون﴾[6] وقال مُهلهلٌ:

إنّ تحتَ الأحجار حَزماً وجُوداً وخصيماً ألدّ ذا مِعلاقِ

ويروى مِغلاق فمن رَوى ذلك فتأويله أنه يغلقُ الحجّة على الخصم، ومن

---

(١) الهجان: الابل البيض.

(٢) وسقت: حملت.

(٣) حسو الماء: أخذ الماء شيئاً بعد شيء.

(٤) الثماد: الماء القليل. هنا شبيه حاله في النوم، ينقطع عنه مره ويهجم عليه أخرى كالطائر يحسو ماء الثماد.

(٥) سورة مريم: الآية ٩٧.

(٦) سورة الزخرف: الآية ٥٨.

قال ذا مِعلاق فإنما يريد أنه إذا عَلِق خصماً لم يَتخلص منه، وجعل السعديَّ الألدَّ الذي لا ينثني عن الحرب تشبيهاً بذلك، والمداعس المطاعن يقال دَعَسهُ بالرمح إذا طَعنهُ قال عُمَيرُ بن الحُبابِ السُلميُّ.

أنا عُميرٌ وأبو المُغلّسْ[1] وبالقناة مازنيٌّ مِدْعَس[2]

(قال أبو الحسن تأويل قوله أي قول السعدي، أبَعليَ هذا بالرحى المتقاعسُ، بالرحى تبيين ولم يوضحه فإن تقدير ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال أبعلي هذا بالرحى المتقاعسُ، فإن المتقاعِسَ يدل على أن تقاعُساً وقعَ فكأنه قال وقعَ التقاعُس بالرحى ولم يرد أن يُعمِلَ المتقاعِسَ في قوله بالرحى لأنه في الصلةِ والصلةُ من المؤصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء، فكما لا يجوز أن يتقدم حروفُ الاسم بعضُها على بعضٍ لم يجز أن تتقدمَ الصلة على الموصول.

فأما قول اللّه عز وجل ﴿وقاسَمُهما إني لكما لِمنَ النّاصِحين﴾[3] وكذلك ﴿وأنا على ذلِكم من الشاهدين﴾[4] فإنه يكون على التبيين الذي قدّمنا ذِكرهُ وهو قول البصريين أجمعين. إلا أن أبا عمر الجَرمي أجاز أن يجعل لكما وعلى ذلك مُعَلقين بشيئين محذوفين دلّ عليهما من الناصحين ومن الشاهدين لأن مِن مُبغِّضةٌ فكأنه قال واللّه أعلم، وقاسَمهُما إني ناصحٌ لكما من الناصحين وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين وأما اختياره وذِكْرُهُ أنه قولُ المازنيّ، وَجعلهُ الألفَ واللام للعهد مِثلهُما في الرجل وما أشبهه فإن هذا القول غير مَرْضيٍّ عندي، لأنك إذا قلتَ نِعْم القائمُ زيدٌ فجُعلتَ الألف واللام كالألف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالإنسان والفرس وما أشبهه فإنه إذا كان هكذا دخل في باب الأسماء الجامدة وهي التي لم تؤخذ

---

(١) المغلس: كنية عمير والمازني الماضي لوجهه، الذاهب إلى ما أراد لا يرده شيء.

(٢) المدعس كمنبر الكثير الطعن يفتخر بنفسه ويذكر ما فيه من قوة وشجاعة.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢١.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٥٦.

من أمثلة الفعل وامتنع من أن يعمل مؤخراً إلا على حيلةٍ ووجهٍ بعيدٍ من التبيين الذي ذكرنا. وإذا كان في التأخير لا يَعْمَلُ بنفسه فكيف يَعمل إذا تقدم عليه الظرفُ وهذا مستحيل لا وجهَ له. وأما انشاده:

لا أذوق النوم إلا غراراً. فإن هذه أبيات أربعة أُنشِدناها عن الزياديّ وذكر أنه كان يستحسنها، وهي لأعرابيّ قال:

ما لِعيني[1] كُحِلتْ بالسُهادِ[2] ولجنْبي نابياً[3] عن وسادي[4]
لا أذوقُ النومَ إلا غِراراً مثلَ حَسْوِ الطيرِ ماءَ الثِماد
أبتغي إصلاحَ سُعدى بهُدي وهيَ تسعى جُهدها في فسادي
فتتاركْنا[5] على غيرِ شيءٍ رُبما أفسَدَ طولُ التمادي

وأما إنشاده، وَضعنَ وكلُّهُنّ على غرار، فإن البيت لعمرو بن أحمر بن العَمَرَّدِ الباهليّ.

في الأشعار السهلة

قال أبو العباس ومن سَهلِ الشعرِ وحَسنِهِ قول طُخَيم بن أبي الطَخماء الأسديّ يمدح قوماً من أهل الحيرةِ من بني امرىءِ القيس بن زيد مناة بن تميم ثم رهطِ عَديّ بن زيد العباديّ قال:

كأن لم يَكُن يَومٌ بزورةَ[6] صالحٌ وبالقَصر ظِلٌ دائمٌ وصديقُ
ولم أَردِ البطحاءَ[7] يَمزُجُ ماءَها شرابٌ مِن البَرُّوقَتَينِ[8] عَتيقُ

(١) ما لعيني: تجاهل العارف.
(٢) السهاد: الأرق.
(٣) نابياً من قولهم بناجينه على الفراش لم يطمئن عليه.
(٤) الوساد: الفراش.
يقول أي شيء أصابني حتى نقى عني النوم ولم يطمئن جنبي إلى فراشي.
(٥) تتاركنا: تركنا بعضنا بعضاً.
(٦) زوره بالضم، موضع قرب الكوفة.
(٧) البطحاء مسيل واسع فيه دفاق الحصى.
(٨) البروقتان: ربما كان موضعاً يجلب منه الخمر.

مَعي كلُّ فضفاض القميص كأنّهُ إذا ما سَرتْ فيه المُدامُ فنيقُ
بَنو السِمطِ[1] والحَدّاء كلُّ سَميدعٍ[2] لهُ في العُروف الصّالحات عُروقُ
وإني وإن كانوا نصارى أُحبُّهُم ويَرتاحُ قلبي نحوَهُم ويَتوقُ[3]

قال أبو العباس أنشدني هذا الشعرَ أبو مُحلِّم، ثم أنشدنيهِ رجلٌ نصراني يُكنى أبا يحيى شاعرٌ من هؤلاء القوم الذين مُدِحوا به، وذكر أنه يَذكرُ طخيماً وهو يَتردّدُ إليهم ويَظلُّ عندهم، قال هذا النصراني وهو رجل من بني الحدّاء قال أذكرُه وأنا صغير جداً والسلطانُ يطلبه لقوله: له في العروق الصالحات عروق. يقول أتقول هذا لِقومٍ من النصارى وكان هذا النصراني قد قارب مائة سنةٍ فيما ذُكِر، وقوله معي كل فضفاض القميص يريد أن قميصه ذو فُضولٍ، وإنما يقصد إلى ما فيه من الخُيَلاء كما قال زُهَيرٌ:

يَجُرُّون الذُيول وقد تمشّتْ حُميّا الكأسِ فيهم والغناء[4]

ويقال أن تأويل قول رسول الله ﷺ فضلُ الإزارِ في النار، إنما أراد معنى الخُيلاءِ. وقال الشاعر:

ولا يُنسيني الحَدَثانُ عِرضي ولا أُرْخي من المَرحِ[5] الإزارا

وقد رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال لأبي تميمةَ الهُجَيميِّ: إياكَ والمخيلةَ، فقال يارسول الله نحنُ قومٌ عَربٌ فما المخيلةُ فقال ﷺ سَبْلُ الإزار، والحديثُ يَعرضُ لما يجري في الحديث قبلهُ وان لم يكن من بابه ولكن يُذْكرُ بهِ، قال أبو العباس رُويَ لنا أن رجلاً من الصالحين كان عند إبراهيم بن هشام فانشدَ إبراهيمُ قولَ الشاعر:

---

(١) بنو السمط: بالكسر. قوم من النصارى وكذا بنو الحداء.
(٢) السميدع: السيد الكريم الشيريف.
(٣) يتوق: يشتاق.
(٤) الفتاء: كالسماء ومعناها الشباب.
(٥) المرح: الاختيال.

إذْ أنتِ فينا لِمنْ يَنهاكِ عاصيةٌ وإذ أجُرُّ إليكمْ سادراً[1] رَسَني [2]

فقام ذلك الرجل (هو ابن أبي عَتيق) فَرَمى بشِقِّ رِدائِه وأقبَلَ يَسْحَبهُ حتى خرج من المجلس ثم رجع على تلك الحال فجلس، فقال له إبراهيم بن هشام ما بكَ، فقال إني كنتُ سمعتُ هذا الشعر فاستحسنته فآليتُ ألا أسمعَهُ، ألا جَرَرتُ ردائي كما ترى كما سَحبَ هذا الرجل رَسَنهُ. وأما الفنيقُ فإنه الفَحلُ، وإنما أراد خطَرَ أنهُ بذنبهِ من الخُيَلاءِ فشبّهَ الرجلَ من هؤلاء إذا انتشى بالفحل وهو إذا خَطرَ ضَربَ بذَنبهِ يَمنةً وشأمةً. قال ذو الرُّمّةِ:

وقرّبْنَ بالزُرقِ[3] الجمائِلِ[4] بَعْدما تَقوَّبَ[5] عن غِربانِ أوراكِها[6] الخطرُ[7]

ومنْ حَسَنِ الشعر وما يَقرُبُ مأخَذُهُ قولُ مُخيِّس بن أرطأةَ الأعرجي، والأعْرجُ الحَرِثُ بن كعب بن سَعْد بن زيد مناةَ بن تميم لرجل من بَني حَنيفة يقال له يَحْيى وكان يَصيرُ إلى امرأة في قرية من قرى اليمامةِ يقال لها بقعاءُ، (قال أبو الحسن أنشدته عن الرياشيِّ نَقْعاءَ بالنون، وسألت رجلاً من أهل اليمامة فصيحاً من بني حنيفة عن هذا فقال ما أعرفه إلا بَقْعاءَ بالباء).

عَرضْتُ نصيحة مني لِيَحْيى فقالَ غَشَشْتَني والنُصْحُ مُرُّ
وما بي أن أكونَ أعيبُ يَحْيى ويَحْيى طاهِرُ الأخلاقِ بَرُّ
ولكنْ قد أتاني أن يَحْيى يُقالُ عليه في بَقعاء شرُّ
فقلت له تَجَنَّبْ كلَّ شيءٍ يُعابُ عَليْك أنّ الحُرَّ حُرُّ

فهذا كلام ليس فيه فضْلٌ عن معناه، وقوله أن الحر حر إنما تأويله أن الحُرّ على الأخلاق التي عُهدت في الأحرار. ومثلُ ذلك: أنا أبو النَجْم

---

(١) السادر: غير المهتم.

(٢) الرسن بالتحريك وهو الحبل.

(٣) الزرق بالضم: جمع أزرق وهو بياض لا يطبق بالعظم كله ولكنه وضح في بعضه.

(٤) الجمائل: جمع جمل.

(٥) تقوب: انتشر.

(٦) غربان الأوراك: أطرافها.

(٧) الخطر: ما تلبد على أوراك الابل من أبدالها وأبعارها.

وشِعري شِعري. أي شعري كما بَلَغَكَ وكما كنت تَعهَدُ. وكذلك قولهم الناسُ للناسُ أي الناس كما كنتَ تَعهَدُهم.

(قال أبو الحسن ومنه قول الله عز وجل ﴿فَغَشِيَهُم من اليَمِّ ما غشيَهُم﴾[1]) وقوله فقلتُ له تجنّبْ كل شيء يعاب عليك كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وصَف عَبدَ الملِك بن مروان فقال: آخذٌ بثلاث تاركٌ لثلاث، آخِذٌ بقلوب الرجال إذا حَدّث وبحُسْنِ الاستماع إذا حُدِّث، وبأيْسَر الأمرين عليه إذا خُولِف، تاركٌ لِلمراء، تاركٌ لمقاربةِ اللئيم، تاركٌ لما يُعْتَذرُ منه كقوله:

تَجَنَّبْ كلّ شيءٍ يُعابُ عليك أن الحُرَّ حُرُّ

ومما يُسْتَحْسَنُ انشاده من الشعر لصحة معناه وجَزالةِ لفظه وكثرة تردُّد ضَرْبِهِ[2] من المعاني بين الناس، قولُ ابن مَيّادة لرياحِ بن عثمان بن حَيّان المرّيِّ من مُرّة غَطفان وكلاهما من مُرّةِ غَطفانَ، بقوله في فتنة محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، وكان أشار عليه بأن يَعْتزِلَ القوم فلم يفعل فقُتِلَ فقال ابن مَيّادة:

أمَرْتُكَ يا رياحُ بأمرِ حَزْمٍ فقلْتَ هَشيمة[3] من أهلِ نَجْدِ
نَهيْتُك[4] عن رجال من قُرَيشٍ على محْبوكةِ الأصْلاب جُرْدِ
وَوجْداً ما وجَدْتُ على رياحٍ وما أغنَيْتُ شيئاً غيرَ وجْدي

فقوله فقلت هشيمة من أهل نجد تأويله ضعَفَةٌ، وأصل الهشيم النَبْتُ إذا ولّى وجَفّ وتكسر فذَرتهُ الرياحُ يميناً وشمالاً.

قال الله تعالى: فأصْبَح ﴿هشيماً تَذروه الرياحُ﴾[5] والنجْدُ أعالي

---

(١) سورة طه: الآية ٧٨.
(٢) ضربه: نوعه.
(٣) الهشيمة: الأرض التي يبس بناتها معنى البيت: أني أمرت الرياح أن تعتزل هذه الفتنة وأن لا تدخل فيها وكان ذلك رأياً حازماً فاستضعفتني ولم تسمع قولي.
(٤) تهنيك: صرفت نظرك.
(٥) سورة الكهف: الآية ٤٥.

الأرض. وقوله على مَحبوكة الأصلاب جُرْد، فالمحْبوك الذي فيه طَرائق واحدها حِبالٌ والجماعة حُبُكٌ، يقال لطرائق الماء حُبُكٌ وكذلك فالمحْبوك الذي فيه طَرائق واحدها حِبالٌ والجماعة حُبُكٌ، يقال لطرائق الماء حُبُكٌ وكذلك الطرائق التي على جَناح الطائر، ومن ذلك قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿والسّماء ذات الحُبُكِ﴾[1] قال أبو الحسن ابن مَيادة اسمه الرمّاحُ وأمه مَيّادةُ وأبوه أبرَد وكان عاقّاً بأمه ولها يقول:

اعْـرَنـزمِي مَيّـادَ للقَـوافي واسْتَمِـعيـهنّ ولا تـخـافي
سَتجـديـنَ ابْنـكِ ذا قِـذافِ

وأصل الأعْـرنزامِ التَجمُّعُ والتَقَبُّضُ، يقول اسْتعدّي لها وتهيّئي. وأنشدنا أبو العباس محمد بن يَزيدَ له:

ونـواعمٍ[2] قـد قُلنَ يـوم تَرحُّلي[3] قَـولَ المجِـدّ وهُـنّ كـالـمُـرّاحِ
يـا لـيْـتَـنـا مِـنْ غَـيرِ أمـر فادِحٍ[4] طَلَعَتْ عـلينـا العِيسُ بـالـرُّمّـاح

في أبيات له يعني نفْسه، قال أبو الحسن وتمام الأبيات:

بَيْنـا كـذاكَ رأيْـتني مُتَعَصِّبـاً بـالخـزِّ فـوْقَ جُـلالةٍ سِرداحِ[5]
فيهِنّ صَفـراءُ المَعاصِمِ[6] طَفلةٌ[7] بَيضـاءُ مِثـلُ غَـريضةِ[8] التُفّـاح
رَيْشن[9] حين أرَدْن أن يَـرْمِـينَـني نَـبْلاً بـلا ريشٍ ولا بـقداح[10]

---

(١) سورة الذرايات: الآية ٧.
(٢) نواعـم ـ جمع ناعمة وهي الحسنة العيش والغذاء.
(٣) الترحل: الانتقال من مكان إلى آخر.
(٤) فادح: خطير.
(٥) السرداح: بالكسر وهي الناقة الطويلة.
(٦) المعاصم: جمع معصم ـ كمنبر وهو اليد هنا.
(٧) الطفلة: الرخصة الناعمة.
(٨) الغريض: الأبيض الطري.
(٩) ريشن: أصل الترييش الزاق الريش على السهم وهنا استعارة للعين الجميلة الساحرة تفتن من نظرت إليه.
(١٠) القداح: جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل أن يلصق به الريش.

ونَـظَرْنَ من خَلل السُتـور بـأعْين مَرْضى مُخالِطها السَقـامُ صِحاح)

نبذة من كلام الحكماء

قـال أبو العبـاس ثم نذكـرُ من كلام الحكمـاء وأمثالهم وآدابهم صَـدرا ثم نعود إلى المُقَطّعاتِ إن شاء اللّه. يروي عن ابن عمر أنه كان يقول: إنّا مَعْشر قريش كنا نعُدُّ الجود والحلم السُـودَد ونعُدُّ العَفـاف وإصلاح المـالِ المُروءة، قال الأحنفُ بن قيسٍ كثرةُ الضَحِكِ تُذهِبُ الهَيبةَ وكثرةُ المزْح تُذْهبُ المـروءَةَ ومن لزَم شيئاً عُـرفَ به، وقيـل لعَبد المِلك بن مـروانَ ما المـروءةُ فقال مُـوالاة الأكْفاءِ ومُداجاةُ الأعداءِ، وتأويل المُداجاة المُداراة أي لا تُظهِـرْ لهم ما عنـدك من العداوة وأصله من الدُجي وهو ما ألبَسَك الليلُ من ظلمته.

وقيل لمعاويـة ما المُـروءة فقال احتمـال الجزيـرةِ وإصلاحُ أمْـر العشيرةِ، فقيـل له ومـا النُبلُ فقـال: الحِلمُ عند الغضب والعَفـوُ عند القُـدْرة. وكان أبـو سفيان إذا نَزل به جارٌ قال له يا هذا إنك قد اخترتني جاراً واخترت داري داراً فجنايةُ يدك عليَّ دونكَ وان جَنَت عليك يدٌ فاحْتِكم عليَّ حكم الصبيِّ على أهله. وذلك أن الصبي قد يَطلبُ ما لا يوجد إلا بعيداً ويطلب ما لايكون البَتّة[1]. قال الشاعر (هو الأعرجُ المعنيُّ):

ولا تحْكُمـا حُكمَ الصّبيِ فـإنـهُ كثيـرٌ على ظَهر الـطّريق مَجا هِلهْ

ويروى أن معاوية بن أبي سفيان لما نصَّب يزيـد الولايـةِ العَهدِ أقعَـدهُ في قُبّة حمراء، فجَعَل الناسُ يُسَلّمون على معاويـة ثم يميلون إلى يزيـد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقـال: يا أميـر المؤمنين اعلَمْ أنك لـو لم تولِّ هذا أمور المسلمين لأضَعْتَها، والأحنفُ جالس فقال له معاويـة: ما بـالُك لا تقـولُ يا أبـا بحرٍ فقـال: أخافُ اللّه أن كـذبْتُ وأخافكم أن صَـدقتُ فقال: جزاك اللّه عن الطاعة خيراً وأمـر له بـألوفٍ، فلمـا خرج الأحنفُ لقيَـهُ الرجُـل بالباب فقال: يا أبـا بحْرٍ إني لأعْلمُ أن شَـرّ مَن خَلق اللّهُ هذا وابْنُـهُ ولكنهم قد

(١) البتة: مطلقاً.

استوْثقوا من هذه الأموال بالأبوابِ والأقفالْ فلَسنا نطمعُ في استخراجها إلا بما سمعتَ، فقال له الأحنف: يا هذا أمْسِك فإن ذا الوجهين خليقٌ ألا يكونَ عند اللّه وجيهاً.

وقال رجل يَهجو بلال بن البَعير المحاربيَّ (الشاعرُ الرمّاحُ ابن ميادة):

يقولون أبناءُ البعير وما لهُ سنامٌ ولا في ذروة المجد غارِبُ[1]
أرادتْ وذاكمْ مِن سَفاهة رأيها لأهجوَها لمّا هَجَتني مُحاربُ
مَعاذ إلهي أنَّني بعَشيرتي ونفسيَ عَن ذاك المَقامِ لراغِبُ

وقال أبو الطَمَحانِ القَينيُّ (اسمه حَنظلةُ بن الشرقيِّ والطَمَحانُ فَعَلان من طَمَح بأنفه وبصره إذا تَكبّر والقينُ الحَدّادُ وكلُّ صانعٍ قَينٌ والقَيْنُ أيضاً موضع القيْد من البعير):

وإني من القوْم الذين هُمُ هُمُ إذا مات مِنهُم سيّدٌ قام صاحِبُه
نُجومُ سماءٍ كُلّما غار كوكبٌ بَدا كوْكبٌ تأوي إليه كواكبُه
أضاءتْ لهم أحسابُهُمُ[2] ووُجوهُهم دُجى الليلِ[3] حتى نظّم الجزع[4] ثاقبه
وما زال منهم حيث كانوا مُسَوَّدٌ تَسيرُ المنايَا حيثُ سارت ركائِبُهْ

وقال إياس بن الوليدِ يمدح قومه:

إني وَجدِّك من قومٍ إذا طَلَبوا بَعد النَسيئة دَيْناً أحسنوا الطلبَا
لا تحْسِبوا هَجْمَ أبياتي[5] عَلانيةً ولا اسْتِلابَ سلاحي ذاهباً لعِبا
تَبقى المعايرُ[6] بعْد القوم باقيةً وَيذهبُ المالُ فيما كان قد ذهَبا

وقال آخر:

---

(١) الغارب: من البعير هو ما بين العنق والسنام.

(٢) الاحساب جمع حسب بالتحريك وهو ما يعد من مفاخر الاباء.

(٣) دجى الليل: بالضم ظلمته.

(٤) الجزع بفتح الجيم: الخرز اليماني فيه سواد وبياض وتشبه به الأعين ومعنى البيت أن حساب هؤلاء القوم واضحة ظاهرة نقية صافية بكاء صفاؤها يضيء للناس ظلام الليل حتى أن ناظم العقد ينظم فيه وهذه مبالغة شريفة.

(٥) هجم: هدم.

(٦) المعاير: المعايب ومعنى البيت هنا أن المال يذهب ويفنى وتبقى المعايب والمخازي.

لَيسوا لعَمرٍو غيَر تأشِيبِ[1] نِسبةٍ ولكن عمْراً غَيَّبَتهُ المقابرُ
إذا عُيّروا[2] قالوا مَقاديرُ قُدِّرتْ وما العارُ إلا ما تجُرُّ المقادِرُ

وقال رجل من بني نهشَلِ بن دارِمٍ:

إذا مَوْلاك كان عليك عَوْناً أتاكَ القوْمُ بالعجَبِ العَجيبِ
فلا تَخنَعْ إليه ولا تُردْهُ ورامٍ برأسهِ عُرْض الجَبوبِ
فما لِشآفةٍ من غيرِ ذنبٍ إذا ولّى صديقُك من طَبيبِ

قوله ورام برأسه عُرض الجبوب يريد الأرض وهو اسم من أسمائها، أنشدني التَوّزيُّ لرجل من بني مُرّة يَرثي ابنه:

بُنَيّ على عَيْني وقَلبي مَكانُهُ ثَوى بين أحجارٍ ورهَنَ جَبوبِ

وقوله: فما الشآفة يقول لبُغضٍ يقال شئفتُ الرجل أشأفُه شآفةً وشأفاً مثل شَعْفاً وقد يقال في هذا المعنى شَنِفتُهُ. قال الراجز:

لمّا رأتني أمُّ عَمرو صَدَفتْ وشَنِئتني خيرها وشنِفَتْ

وقال آخر: ولم تُداو غُلَّة القَلب الشَنِفْ.

وقال نبهانُ بن عَكّيٍ العَبْشمي:

يُبقِرّ بعَيني أن أرى مَن مكانهُ ذُرا عَقِداتِ الأبرق المتقاودِ
وأن أردَ الماءَ الذي شربَتْ بهِ سُلَيْمى وقد مَلَّ السُرى كلُ واجدِ
وأُلصِقَ أحْشائي ببرْدِ ترُابهِ وان كان مخلوطاً بسُمِّ الأساوِدِ

قوله: ذُرا عقدات فالذُرْوةُ من كل شيء أعلاه فذُرْوةُ السنام أعلاه وذُروةُ المجدِ أرفعُهُ وأسناه. ويقال فلان في ذُروة قَوْمِهِ إذا كان في الموضع الرفيع منهم، وأما قول لَبيدٍ:

مُدْمنٌ يجْلو بأطراف الذُرا دَنسَ الأسْوُقِ عن عَضْب أفَلْ

---

(١) التأشيب: التفاف الشجر واستعمل هنا للدلالة على تشابك النسب.
(٢) عيروا: نسب العيب.

فإنما يقول هذا رجل يُعَرقبُ الإبـل لِيَنحرهـا ثم يمسح ذرا أَسْنِمتهـا بسيفه لِيَجْلوَ ما عليه من دم الأسوَق. وقوله عَضب أي قاطع، ومن ذلـك رجل عَضْبُ اللسان، وجعله أفَلّ لكثرة ما يُقارعُ به الحُروب كما قال النابغةُ:

ولا عَيْبَ فيهم غيـرَ أنّ سُيوفَهُم بهنّ فلولٌ[1] من قِراعِ[2] الكَتـائِبِ

وقوله: عَقِدات فهو ما انعَقد وصَلُب من الـرمل، الـواحدة عَقِـدةٌ والجمع عَقِدٌ وأعقادٌ أيضاً وعَقِدات.

ذو الرمة يمدح هلال بن أحوز المازني

قال ذو الرُمّةِ لهِلالِ بن أحْوزَ المازنيِّ يمدحه.

رَفعْتَ مجْـد تميمٍ ياهِـلالُ لهـا رفعَ الطِّرافِ[3] على العَلياءِ بالعمدِ[4]

حَتى نسـاءُ تميمٍ وهي نـازحةٌ[5] بقُلّةِ الحـزن فالصّمّـانِ فـالعَقِـدِ

لويَسْتطعنَ إذا ضافتكَ مُجْحِفةٌ[6] وقَيْنَـكَ الموْت بـالآبـاءِ والـولـدِ

وقوله الأبرق: فالأبرقُ حجارة يخلطها رمْلٌ وطين، يقال لتلك بُرْقـةٌ وأبرَقُ بَرقاءُ يا فتى، كما يقـال الأمْعَزُ والمَعـزاءُ وهي الأرض الكثيرة الحصبـاءِ. ومثل ذلك الأبطحُ والبَـطحاءُ وهـو ما انبَـطحَ من الأرض، فمن قال أبـرَقُ فإنمـا أراد المكان ومن قال بَرقاءُ فإنما أراد البقعة. وقوله المتقاود يريد المنقاد المستقيم، ومن ذلك قولهم قُدْتهُ أي جَررتهُ على استقامة وكذلك طريق مُنقاد وفـلان قائـد الجيش. قال حاتم بن عبد اللّه الطائيّ يضرب هذا مثلاً:

إنّ الكـريمَ مَن تَلفَّتَ حـولـهُ وإنّ اللئيم دائمُ الـطَرْف أقـوَدُ

وقوله: ولو كان مخلوطاً بسم الأساود، يـريد جميـع أسْودَ سـالخٍ وجَمعَـهُ

---

(١) فلول: شقوق.

(٢) قراع: معارك.

(٣) الطراف: بيت في أدم.

(٤) العمد: جمع عامود.

(٥) نازحة: بعيدة.

(٦) مجحفة: الداهية.

على أساود لأنه يجري مجرى الأسماءَ وما كان من باب أفعَل اسماً فجَمْعُهُ على أفاعل نحو أفكَل وأفاكل والأكبر والأكابر وكذلك كلُ ما سَمّيْتَ به رجلاً تقول أحمدُ وأحامدُ وأسْلَمُ وأسالمُ فإن كان نعتاً فجَمْعُه على فُعْلٍ نحو أحمَرَ وحُمْرٍ وأصْفَر وصُفرٍ ولكنّ أسودَ إذا عَنَيْت به الحيةَ، وأدْهمَ إذا عَنَيت به القَيد، وأبْطحَ إذا عنيت به المكان المُنبطِح، وأبرقَ إذا عنيت به المكان مُضارِعةٌ للأسماء لأنها تدل على ذات الشيء وان كانت في الأصل نعتاً، تقول في جمعها الأباطِحُ والأبارقُ والأداهمُ والأساوِد، فإن أردْتَ نعتاً مَحْصناً يَتبَعُ المنعوت قلت مررت بثياب سُودٍ وبخَيْلٍ دُهم وكل ما أشْبه هذا فهذا مجراه قال جَريرٌ:

هو القَيْنُ وابنُ القَينِ لاقَين مثلهُ لفطحِ المساحِي[1]أولجدْلِ[2]الأداهمِ

رثاء الأشهب لقوم قتلوا الفلج

وقال الأشهَبُ ابن رُمَيلةَ (قال أبو الحسن رُميلةُ اسم أمِّهِ):

أُسودُ شرىً[3] لاقتْ أُسود خَفيّة[4] تَساقَوْا على حَرْدٍ دماء الأساودِ

قوله على حرد يقول على قصْدٍ فأما قولُ اللّه عز وجل: ﴿وغدَوا على حَردٍ قادرين﴾[5]فإن فيه قولين أحدهما ما ذكرْنا من القصد. قال الشاعر:

قد جاءَ سَيْلٌ جاء من أمرِ اللّه يَحْرِدُ حَرْد الجَنّةِ المُغِلّة

(قال أبو حاتم هذه صنعة مَن لا أحْسَن اللّهُ ذِكْرهُ يعني قَطريّاً) وقالوا على حَردٍ أي على مَنعٍ، من قولهم حاردتْ السنةُ إذا مَنعَتْ قَطْرَها وحاردت الناقة إذا مَنعَتْ درّها.

---

(١) المساحي: جمع مسحاة بالكسر وهو ما يسحى به الطين.

(٢) الجدل: أحكام الفتل.

(٣) شرى: كعلى ـ طريق في الجبل ـ في جبل سلمى كثير الأسود.

(٤) خفية: كغنية ماء لسد أيضاً.

(٥) سورة القلم الآية ٢٥.

قال أبو الحسن رواية أبي العباس يُقِر بعيني يريد يُقِر عيني ثم أتى بالباء توكيداً، وقال لنا هكذا سمعته، ويقال أقرَّ اللّه عينه يُقرّها وقَرّتْ عينُهُ تَقر وقررْتُ بالمكان أقِر وقال الأصمعي قرّت عينهُ من القِرِّ وهو البَردُ أي جَمدتْ فلم تدمع، وهو بِحذاءِ سَخِنتْ عينُهُ وأجْودُ مما روى عندي يَقَرُّ بعيني وهو الأصل والباء في موضعها غيرُ مؤكِّدةٍ. وقال أبو العباس الذي رَويتُ وقد مَلّ السُّرى كلُّ واحد وهو المنفرد في السير المتَوحِّد به. وروى غيره كلُّ واجِدٍ أي عاشق ورُويَ أيضاً كل واخِدٍ وهو من الوخْدِ والوخَدانِ وهو السير الشديد والوخْدُ المصدرُ والوخَدانُ الاسم) قال أبو العباس وقال القَتّال الكلابيُ واسمه عُبيدُ بن المَضْرَحيِّ:

أنا ابن أسماءَ أعمامي لها وأبي ... إذا ترامى بَنو الإمْوانِ بالعارِ
لا أرْضعُ الدهْرَ إلا ثَدْي واضحةٍ ... لواضح الخدِّ يحمي حَوْزة الجار
من آلِ سُفيان أو ورقاء يَمنعُها ... تحت العجاجة[1] ضَربٌ غير عُوّار
ياليْتني والمُنى ليْست بنافعةٍ ... لمالكٍ أو لحِصْنٍ أو لسيّار
طوالُ أنْضيةِ الأعناق لم يجِدوا ... ريحَ الإمام إذا راحَت بأزفارِ

قوله إذا ترامى بنو الاموان بالعار، فالإمْوان جمع أمةٍ وأصل أمةٍ فَعَلةٌ متحركة العين، وليس شيءٌ من الأسماء على حرفين إلا وقد سقط منه حرف يُستدلُ عليه بجمعه أو بتثنيته أو بفعل ان كان مشتقاً منه، لأن أقل الأصول ثلاثة أحرف ولا يَلحَقُ التصغير ما كان أقلّ منها، فأمَةٌ، قد علمنا أن الذاهب منها او بقولهم إموان، كما علمنا أن الذاهب من أبٍ وأخٍ الواو بقولهم أبَوانِ وأخوانِ وعلمنا أن امةٌ فَعَلةٌ متحركة بقولهم في الجميع آمٍ، فوزنُ هذا أفعُلٌ كما قالوا أكمةٌ وآكمٌ ولا تكون فَعْلةٌ على أفعُل، ثم قالوا إمْوانٌ كما قالوا في المذكّر الذي هو منقوص مثله إخوانٌ. واستوى المذكر والمؤنث لأن الهاء زائدة كما استويا في فَعْلٍ الساكن العين، تقول كلبٌ وكلابٌ وكعبٌ وكِعابٌ

---

(١) العجاجة: الغبار الذي تنشره حوافر الخيل.

كما تقول في المؤنث طَلحةٌ وطِلاحٌ وجَفنةٌ وجفانٌ وصَحفةٌ وصِحافٌ ونظير ذلك من غير المعتل وَرَلٌ وورلانٌ وبَرقٌ وبرقانٌ وخَرَبٌ وخِربانٌ وهو ذكرُ الحُبارى والبرقُ الحَملُ. ومن أنشد أُمْوانٌ فقد غلط لأنه يحتَجُّ بقولهم حَمَلٌ وحُمْلانٌ وفلَقٌ وفُلقانٌ وهذا إنما يحمل على ما كان معتلاً مِثلهُ نحو أخ وإخوانٍ، وقد روى أبو زيدٍ أُخوان فإلى هذا ذهبوا. والقياس المطرد لا تَعْترضُ عليه الرواية الصَّعيفةُ. وقوله لا ارْضَعُ الدهْرَ فهذا على لغته لأن قَيْساً تقول رَضِعَ يَرضَعُ وأهل الحجاز يقولون رضَع ويرضعُ وينشدون بيت عبد اللّه بن هَمَّام السَّلوليّ على وجهين وهو:

إذا نَصَبوا للقَوْلِ قالوا فأحسَنوا ولكنّ حُسْن القولِ خالفَهُ الفِعل

وذمُّوا لنا الدُنيا وهمْ يَرْضِعونها أفاويقَ[1] حَتى ما يَدرُّ لها ثُعْلُ[2]

وبعضهم يقول يَرْضَعونها. وقوله لا أرْضع الدهر الاثْدَيَ واضحةٍ يقول إنما ترْضِعُني أمي وليست غير كريمة كما قال الأعْشى:

ياخيرَ مَنْ يَركبُ المطِيَّ ولا يَشْربُ كأساً بكفّ مَن بَخِلاً

يقول إنما تشْربُ بكفك ولسْتَ ببخيل، ومثلُ هذا قولُ التميمي لِنجدةَ ابن عامرٍ الحنَفيِّ الخارجيِّ:

مَتى تلقَ الحَريشَ حَريش سَعْدٍ وعَبّاداً يَقودُ الدّارِ عينا[3]

تَبيَّنْ أنّ أمّك لم تَبورُكْ ولم تُرْضِعْ أميرَ المؤمنينا

وقوله واضحة أي خالصة في نسبها وليست بأمةٍ، وهذا توكيد لبيته الأول. وقد أنشد بعضهم لواضح الجَدِّ والمعنى قريب. وقوله يَحْمي جَوزةَ الجار أي ما يجوزُهُ، يقال فلان مانع لحَوْزَتهِ أي لما صار في حَيِّزِهِ.

ويُروى عن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه تعالى عنه أنه قال للأزْد ارْبَعْ

---

(١) الأفاويق: جمع فيق. بالكسر وهي إسم للبن المتجمع في الضرع بين الحلبتين.

(٢) الثعل بالضم زيادة في أطباء الناقة والبقر والشاة وهنا تشبيه لا يتزاحم المال.

(٣) الدارعين: لابسي الدروع.

ليستْ لحيٍّ : بَذْلٌ لما مَلَكت أيديهم ومَنعٌ لحوْزتهمْ وحي عمارةٌ لا يحتاجون إلى غيرهم وشُجعانٌ لا يجْبُنونَ. وقولُه لمالك أو لحِسْنٍ أو لسَيَّار فهؤلاء بيت فَزارةَ وبُيوتاتُ العَربِ في الجاهلية ثلاثة، فبيتُ تميمٍ بنو عبد اللّه بن دارمٍ ومَرْكزُهُ بنو زُرارة، وبيتُ قيْسٍ بنو فَزارةَ ومرْكزةُ بنو بدرٍ، وبيت بَكرِ بن وائِلٍ بنو شيبان ومَركزُهُ بنو ذي الجَدين، وقوله طوالُ انضيهِ الأعناقِ، فالنضيُّ مُرَكَّبُ النصْل في السِنخِ وضَرَبهُ مثلاً وإنما أراد طِوال الأعناق كما قال الأعشى :

الـواطِئينَ على صُـدور نِعـالهمْ يمْشـونَ في الدَّفَنِيِّ[1] والأبـرادِ

يريد السُّودَد والنِعْمة ولم يخْصُصّ الصدور وإنما أراد النعال كلها. وقال الشاعر (هو الشَمَرْدلُ بن شُرَيْكٍ اليرْبوعيُّ عن ابن قُتَيبةَ) :

يُشَبَّهـونَ مُلوكـاً في تجِلَّتهـمْ وطـولِ أنضيةِ الأعنـاقِ واللُّمَمِ
إذا بدا المِسْكُ يَندى في مَفارقِهم[2] راجـوا كأنَّهُم مَـرْضى من الكرم

(قال أبو الحسن وغيره يرْوي يُشَبَّهـون قُرْيشـاً في تجلتهم). وقولـه بأزفـار فالزِفْرُ الحْملُ ويُضربُ مثلاً للرجل فيقال إنه لزُفَرٌ أي حمَّالٌ للأثقال ويقـال أتى حْملهُ فازْدَفَرَهُ. قال أبو قُحافة أَعْشى باهلة :

أخو رغائِبَ[3] يُعـطيهـا ويُسْئَلُهـا يأبى الظُلامةَ[4] مِنهُ النـوْفلُ[5] الزُفرُ

وإنما يريده بعينه كقولك لئن لَقيتَ فلاناً ليَلقينَّك منه الأسدُ. وقوله النَوْفـلُ من قولهم إنه لذو فضلٍ ونـوافِل. وقـال رجل من بني عَبْسٍ (قـال أبو الحسن يقوله لعُرْوة بن الورد) :

---

(١) الدفني: ثوب مخطط.

(٢) المفارق: جمع مفرق كمقعد ومجلس وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر، يريد أنهم أهل ترف ونعمة ومجد.

(٣) رغائب جمع رغبة وهي العطاء الكثير.

(٤) الظلامة: ما يؤخذ ظلماً.

(٥) النوفل: صفة للكرم والجود أو الشدة والصلابة.

لا تَشتُمَنِّي يـا ابن وردٍ فـإنَّني تَعودُ على مالي الحُقوق العوائِد[1]
ومنْ يؤثـر الحقَّ النَؤوبَ تكن بهِ خَصاصةُ[2] جسمٍ وهُوطيّانُ[3] ماجدُ
وإني امْـرُؤٌ عافي[4] إنائيَ شِـرْكةٌ وأنت امْرءٌ عافي إنـائـك واحـدُ
أقسم[5] جسْمي في جُسومٍ كثيـرةٍ وأحْسـو قَراحَ المـاء والماءُ بـاردُ

قوله النؤوب يريد الذي يَنوبُهُ، وكلُّ واو انضَمَّتْ لغير عِلةٍ فأنت في همزها وتركِها بالخيار، تقول في جمْعِ دارٍ أدْؤرٌ وان شئت لم تهمزْ، وكذلك النؤوبُ والقؤولُ لانضمام الواو. فأما الواو الثانية فإنها ساكنة وقبلها ضمة وهي مَدَّةٌ فلا يُعتدُّ بها، ولو التقتْ واو ان في أوّل كلمةٍ وليستْ أحداهما مدّة لم يكن بُدٌّ من همز الأولى، تقول في تصغير واصِلٍ وواقِدٍ أُويْصِلُ وأُوَيْقِدُ لا بُدَّ من ذلك. فأما وُجوهٌ فإن شئت هَمزْت فقلت أجُوهٌ وان شئتَ لم تَهْمِزْ.

قال اللّه عز وجل: ﴿**وإذا الرُّسُلُ أُقّتَتْ**﴾[6]. والأصل وُقِّتَت. ولو كان في غير القرآن لجاز إظهار الواو وإن شِئت. وقولـه تعالى: ﴿**ما وُوُري عنهما**﴾[7]، الـواو الثانيـة مَدَّةٌ فـلا يُعْتدَّ بهـا ولو كـان في غير القـرآن لجاز الهمـز لانضمام الواو، وقولي إذا انضمت من غير علة فالعلة أن تكون ضمُتها إعـراباً نحـو هذا غزوٌ يا فتى ودلْوٌ كما ترى فهذا مما لا يجوز همزُهُ لأن الضمة للاعراب فليستْ بلازمة أو تَنضم لالتقـاء الساكنين فـذلك أيضـاً غير لازم فـلا يجوز همـزه نحو اخْشَـوا الرجـل ولتُبْلَوُنَّ في أموالِكم وأنفُسِكم ولتَـرَوُنَّ الجحيم، ومن هَمَـز من هذا شيئاً فقد أخطأ.

---

(١) العوائد: ما ينتاب المال من خسارة ومصائب.
(٢) الخصاصة: بالفتح ـ الفقر والضعف والخلل.
(٣) طيان بالفتح. الذي لم يأكل شيئاً.
(٤) العافي: الذي يطلب العفو وهو هنا الفضل والزيادة.
(٥) أقسم بعين اتحمل أمور الناس وأقسم عليهم مالي وإن كنت محتاجاً إليه.
(٦) سورة المرسلات. الآية ١١.
(٧) سورة الأعراف: الآية ٢٠.

من فخر القطامي

وقال رجل من بني تميمٍ:

ألبـانُ إبْـلِ تَـعِـلَّة بـن مُـسـافـرٍ ... مـا دام يـمـلِكُـهـا عـلـيَّ حَـرامُ
وطـعـامُ عمْـران بـن أَوْفى مِـثلُهـا ... مـا دام يَسْلُكُ في البُـطون طعـامُ
إنّ الـذيـن يسـوغُ فـي أعنـاقِـهـمْ ... زادٌ يـمـنُّ عـلـيْـهـمُ لـلِئـامُ
لَـعَـن الإلـهُ تَـعِـلَّة بـن مُـسـافِـرٍ ... لَـعـنـاً يُـشَـنُّ عـلـيـه مِـن قُـدّامِ

وهذا كلام فصيح جداً. قوله يسوغ في أعناقهم يريد حُلوقَهمْ لأن العُنقَ يحيط بالحَلقِ، ويُشْبه هذا في الاتساع في الفصاحة لا في المعنى قول القُطاميِّ:

لم تـرَ قـومـاً هُمُ شـرٌّ لإخْـوتهمْ ... منّا عشيّة يجري بالـدّمِ الـوادي
نقـريهُمُ[1] لـهـذميّات[2] نقُدُّ[3] بها ... مـا كـان خـاطَ عَليهم كـلُّ زرّاد

لأن الخياطة تضُمُّ خِرَق القميص، والسّرْدُ يضم حَلَق الدرْعِ فضَربَهُ مَثلاً فجعَلهُ خِياطة (قال أبو الحسن رَوى أبو العباس: وطعام عمران بن أوفى مثلها. رد الهاء والألف على الألبان وهذا لا نظر فيه، وروى أيضاً مثلُهُ لأن الألبان تجري مجرى اللبن فحمَلَهُ على المعنى وقد يجوز أن تُجعل الألبانُ جمعاً فتُذكّر لتذكير الجمع. ورُوي أيضاً: ما دام يَسلك في الحُلوق طعام. وروى الفَرّاءُ في هذا الشعر: إن الذين يَسوغ في أحلاقهم. وإنما كان ينبغي أن يكون في أحْلُقِهِمْ كقولك فَلسٌ وأفلُسٌ وما أشبهه ولكنه شبّه باب فعلٍ بباب فَعلٍ كما قالوا زندٌ وازنادٌ، وفرْخٌ أفراخٌ قال الحُطيئةُ لعُمَر رحمه اللّه تعالى:

---

(١) نقريهم: هذا تهكم واستخذاء: من قِرى الأضياف: إطعامهم، وهو يطعمهم الموت.
(٢) واللهذميات نسبة إلى اللهذم وهو القاطع من الأسنة.
(٣) نقد بها: تقطع ما كان قد خيط عليهم وهو الدروع

مـاذا تقـولُ لأفـراخٍ بذي مَرَخٍ[1] حُمْرِ الحواصِـل لا ماءٌ ولا شجـرُ

ففعلوا هذا تشبيهاً بباب فعلٍ كما شَبّهوا فَعَـلاً بفَعْلٍ في الجمـع فقالـوا جبلٌ وأجبُلٌ وزمنٌ وأزمُنٌ كما قال:

إني لأكني بـأجبـالٍ عن اجْبُلِهـا وبـاسم أوْديـةٍ حُبـاً لـواديهـا

فأتى به على الأصل وتشبيهاً بغيره على ما أخْبرتك. وقال ذو الرُمة:

أمنـزلَتـيْ ميّ سـلامٌ عـليكـمـا هل الأزْمنُ اللائي مَضينَ رواجعَ

والباب أزمان كما قال رُؤْبَةُ:

أزمـانَ لا أدْري وإن سـألْـتِ مـا فـرقُ بين جُـمعـةٍ وسبتِ

وروى أبو العباس البيت الأخير مُقوىً وجَعله نكرة وهو قوله من قُـدّام كما تقول جئتك من قبلٍ ومن بعدٍ ومن علٍ وما أشبهـه، كما قـرأ بعضهم للّهِ الأمرُ من قبلٍ ومن بعدٍ كمـا تقول أوّلاً وآخِـراً، ورواه الفَرّاء من قُـدّامُ وجعله معرفـة وأجراهُ مجرى الغايات نحو قبلُ وبعدُ كما قال طرفةُ بن العبد:

ثم تَفـري اللُجْمَ من تَعـدائهـا فهي من تحتُ مُشيحات الحُزُمْ[2]

وكما قال عُنيٌّ بن مالكٍ العُقَيليُّ أنشده الفراء أيضاً:

إذا أنـا لم أُومَنْ عليك ولم يكنْ لـقـاؤُك إلا مـن وَرَآءُ ورآءُ

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهةِ التعـريف، وجهةُ التعـريف أن يكون مُعرّفاً بنفسه كزيد وعمرو أو يكون مُعرَّفاً بالألف واللام أو بالإضافـة فهذه جهة التعريف وهـذا الضرب إنمـا هو مُعـرَّف بالمعنى فلذلـك بُني إذ خَرج من البـاب، ويُـروى لعنـاً يُسنُّ عليـه بـالسين ويُسَنُّ ويُشنُّ واحـد أي يُصبُ إلا أن

---

(١) ذي مرخ: كناية عن حمرة الحواصل.

(٢) تفري: تشق. تفري الشيء، نشقه بقصد الإطلاع أو الإفساد.

واللجم بضمتين جمع لجام وسكن هنا لـوزن الشعر والتعـداء بالفتـح. الإحضار هـو ضرب من السير والشيح بالضم يعني المقبل عليك أو المانع لما وراء ظهره.

وهنا استخدام هذا لوصف الخيل في عدوها السريع.

بعضهم، قال السنّ الصَبُّ على جهة واحدة وقالوا يقال شَنَنْتُ عليه الماء وسَننتُهُ، وسَنَنْتُ عليه الدرْعَ لا غير وقالوا شنَنتُ عليه الغارة لا غير) قال أبو العباس وقال القُطاميُّ:

فمنْ تكُنِ الحضارةُ أعجَبْتهُ ... فأيَّ رجال بادية[1] ترانا

ومَن ربَط الجِحاشَ[2] فإنّ فينا ... قناً سُلباً وأفراساً حِسانا

وكُنَّ إذا أغرنَ على قبيلٍ ... فأعْوزَهنَّ كونٌ حيثُ كانا

أَغَرْن من الضِباب على حِلالٍ ... وضَبَّة[3] إنهُ مَن حانَ حانا

وأَحْياناً على بَكْرٍ أخينا ... إذا ما لمْ نجِدْ إلا أَخانا

قوله الحضارةُ يريد الأمصار، وتقول العرب فلانٌ بادٍ وفلانٌ حاضِرٌ وفي الحديث ولا يَبيعنَّ حاضرٌ لبادٍ، وتأويلُ ذلك أن البادي يَقدُم وقد عرفَ أسعار ما معهُ وما مِقدارُ ربحه فإذا جاءه الحاضرُ عرّفهُ سُنّة البَلد فأغلى على الناس، ومثل ذلك النهي عن تلقّي الجَلَب ومثله دعُوا عباد اللّه يُصِب بَعضُهم من بَعضٍ ويقال حيٌّ حِلالٌ إذا كانوا مُتجاورين مُقيمين وأنشد الأصمعي:

أَقَوْمٌ يَبعَثون العِيرَ نَجْراً ... أَحَبُّ إليك أَمْ حَيٌّ حِلالُ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) البادية خلاف الحضر ـ يقول من أعجبه رجال الأمصار والحضر فليذهب إلى البادية ولينظر إلى أهلها فإنه يرى رجالاً أحسن منهم وأعجب ـ يريد أن يفضل رجال البادية على رجال الحاضرة بما لهم من العزة والمنعة.

(٢) الجحاش: جمع جحش وهو هنا مهر الفرس.

(٣) ربما يكون المعنى المقصود أنه من قرب منهم إلينا هلك ـ أو معناه أنه من قضي عليه بالهلاك هلك ـ وهنا مدح القوم بالغرة وقوة الإرادة.

٢ ـ باب في أقوال الحكماء

قيل لمعاوية ما النُبلُ فقال الحلمُ عند الغضب، والعَفو عند القدرة.

ويُرْوى عن النبي ﷺ أنه قال: أَلا أُخْبرُكم بشِرارِكم، قالوا بَلى قال من أكلَ وحْدَهُ ومنعَ رِفْدهُ، وضَرب عبدهُ، أَلا أُخْبرُكم بشَرٍّ من ذلِكم مَنْ لا يُقيل عَثرةً ولا يقبل معْذرةً ولا يغفِرُ ذنْباً، أَلا أُخْبِركُم بشرٍّ من ذلِكم منْ يُبغِض الناس ويُبغِضونهُ.

ويُروْى عنه ﷺ أنه قال المُسْلمون تتكافأُ دماؤهم ويسعى بِذمّتِهِمْ أَدْناهُمْ وهُمْ يدٌ على من سِواهُم والمرءُ كثير بأخيه. قوله ﷺ: تتكافأ دماؤهم من قولك فلان كفء لفلان أي عديلهُ وموضوعٌ بحذائه. قال اللّه عزّ وجل ﴿ولم يكُنْ له كُفُوًا أحدٌ﴾[1]. ويقال فلان كِفاءُ فلانٍ وكفيء فلانٍ وكُفءُ فلان ويروى أن الفَرزدق بلغهُ أن رجلاً من الحبطان بن عمْروُ بن تميم خطب امرأَة من بني دارمٍ بن مالك بن حنْظلة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم فقال الفرزدق:

بَنو دارمٍ أكفاؤُهمْ آلُ مِسْمعٍ وتنكِحُ في أكفائِها الحَبِطاتُ

فآل مسمع بيت بكْرِ بن وائلٍ في الإسلام وهم من بني قيْس بن ثعْلَبة بن عُكابة بن صعْبِ بن علي بن بكر بن وائل، والحبطات هم بنو الحَرثِ بن عمرو بن تميم، فقوله اكفاؤهم إنما هو جمع كفءٌ يافتى، فقال رجل من الحبطاتِ يُجيبُهُ:

---

(١) سورة الإخلاص: الآية ٤.

أمَـا كـان عَبّـادٌ كَفيئـاً لِـدارِمٍ بَلى ولِأبْيـاتٍ بهـا الحُـجُـراتُ

يعني بني هـاشم من قول اللّه عـز وجل: **﴿إن الـذين يُنـادونَـك من وَراءِ الحُجُرات﴾**.[1] وقال عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه: مَنْ لانَتْ كلِمَتُهُ وجَبَتْ محَبّتُـهُ. وقال قيمـةُ كلِّ امْـرىءٍ ما يُحْسِنُ. وقـال عمر بن الخـطاب رضي اللّه عنه: ثلاثٌ يُثبِتْنَ لكَ الوُدَّ في صَـدْرِ أخيك، أن تَبْـدأهُ بالسَّـلام وتوسِّـعَ له في المجلس وتَدعوَهُ بأحَبِّ الأسماء إليهِ. وقال كفى بالمَرْءِ غيّـاً أن تكون فيـه خَلّةٌ من ثلاثٍ، أن يَعيبَ شيئاً ثم يأتي مِثلَهُ أو يَبْدوَ لـه من أخيه مـا يخفي عليه من نَفْسه، أو يؤْذي جَليسه فيما لا يَعنيه، وقال عبد اللّه بن العباس لبعض اليَمانيـةِ لكم من السماء نجْمُها ومن الكعْبـةِ رُكنها ومن السُّيـوفِ صَميمُها يعني سُهَيْـلاً من النجوم، والرُكن اليماني وصمْصامةَ عمرو بن مَعْدي كرِبَ. ويروى ان عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قـال يَومـاً مَنْ أجْودُ العـرب، فقيل لـه حاتِمٌ قـال: فمَن شـاعِرُهـا؟ قيل امـرُؤ القَيْس بن حُجْـرٍ، قال فَمنْ فـارسُها؟ قيـل عمرو بن معدي كَـرب، قال: فـأيُّ سيوفهـا أمضى قيل: الصَمْصـامة. وقـال مُعاوية بن أبي سُفيان للأحنفِ بن قيسٍ وجـاريةَ بن قُـدامةَ ورجـالٍ من بني سَعْدٍ معهمـا كـلاماً أحْفَـظَهُم[2]، فرَدَّا عليه جواباً مُقْذِعاً وابْنةُ قَرَظة[3] في بيْتٍ يَقْـربُ منـه، فسَمِعَتْ ذلـك فلمـا خـرجـوا قـالت: يـاأميـر المؤمنين لقـد سمِعْتُ من هؤلاء الأجلافِ كلاماً تَلَقّوْكَ به فلم تُنكِرْ، فكِدْتُ أخْرُج إليهم فأسطو بهم، فقـال لها معاوية إنّ مُضَرَ كاهِـلُ العَربِ وتميمـاً كاهـلُ مُضَرَ وسَعْـداً كاهِـلُ تميم وهؤلاء كاهِلُ سَعْـدٍ. وكان معـاوية يقـول إني لا أحملُ السيْفَ على مَنْ لا سيْفَ معـه وان لم تكن إلا كلمـةٌ يَشْتفي بهـا مُشْتفٍ جَعلتُهـا تحْتَ قَـدمي ودُبُـرَ أذني. المُقْذِعُ الذي فيه إقذاعٌ وهو السيىء من القول.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٤.

(٢) أحفظهم: أثار حفيظتهم ـ أغضبتهم.

(٣) قرظة بالتحريك لعله قرظة بن كعب الصحابي.

٣ ـ باب في الرثاء والإرث والغزل

قال أبو العباس: قال رجل أَحسِبُهُ من بني سَعْد يرثي رجلاً:

ومُحْتَضَرِ[١] المنافِعِ أرْيَحِيّ ... نبيلٍ[٢] في مَعاوِزَةٍ طِوالِ
عَزيزٍ عِزّةً في غيرِ فُحْشٍ ... ذليلٍ للذَليلِ من الموالي
جَعَلْتُ وسادَهُ إحْدى يَدَيْهِ ... وتحْت جَمائِهِ خَشباتُ ضالِ
وَرِثْتُ سلاحَهُ وورثت ذَوْداً ... وحُزْناً دائماً أُخْرى الليّالي

قوله: أرْيَحِيّ هو الذي يَرْتاح للمَعْروف أي يخفّ له ويقال: أخَذتْ فلاناً أرْيَحِيّةٌ أي خِفّة وحركة لفعل المعروف والمعاوِزُ الثياب التي يَتبذَّلُ فيها الرجل وهي دون الثياب التي يَتجَمّلُ بها واحدها مِعْوَز. قال الشّماخُ في نعت القَوْس:

إذا سَقَط الأنداءُ صينتْ وأُشْعِرتْ ... حَبيراً ولم تُدْرَجْ عليها المعاوِزُ

وقوله في مَعاوِزَةٍ فزاد الهاء فإنما يُفْعلُ ذلك لتحقيق التأنيث لأن كل جَمْعٍ مؤنث كما تقول في جمع صَيْقلٍ صياقِلُ وصياقلة، وكذلك: جواربُ وجواربه، إلا أن أكثر الأعجمي يختص بالهاء وهو في العربيّ جيِّد وفي العجميِّ أكثر استعمالاً نحو الموازجةِ[٣]، فإن كان منسوباً كان البابُ فيه إثباتَ الهاء وتركُها جائز نحو المهالِبة والمسامِعَةِ والمناذِرةِ والأحامرة وقالوا السَيابجةُ لأنه قد اجتمع

---

(١) محتضر المنافع ـ حاضرها، وما ينتفع به ويرتفق.

(٢) النبيل: الذكي، النجيب.

(٣) الموازجة: جمع موزج وهو الخف لفظه فارسية معربة.

فيه النسبُ والعُجْمةُ. وقوله: تحت جمائه يعني شخثه، والضال السِدْرُ البرِّيُّ وما كان من السِدْر على الأنهار فليس بضالٍ ولكن يقال له عُبْريٌ. قال ذو الرُّمَّةِ:

(قَطَعْتُ إذا تَجَوَّبَتِ العَواطي[1] ضُروبَ السِّدْرِ عُبْرِيّاً وضالاً)

وقوله: وَرِثْتُ سلاحه وورِثْتُ ذَوْداً يصف قُرْبَ نَسَبِهِ منه والذَودُ القطعة من الإبل وأكثر ما يُسْتعمل ذلك في الإناثِ ويجوز في السائر، ومنه قولهم الذَوْدُ إلى الذَوْدِ إبلٌ. ثم قال: وحُزْناً دائماً أخرى الليالي، كما قال الأول وغُبِطَ بميراثٍ وَرِثَهُ من أحد أهله:

يقول جَزْءٌ ولم يَقُلْ جللاً أني تروَّحْتُ ناعماً جَذِلاً
إنْ كنتَ أزْنَنْتَني بها كذِباً جَزْءُ فلاقَيْتَ مِثلَها عَجِلا
أُغْبَطُ أن أرزأ[2] الكِرامَ وانْ أُورثَ ذوْداً شصائِصاً نَبِلاً

قوله ولم يقل جللاً أي صغيراً والجَللُ يكون للصغير ويكون للكبير، من ذلك قوله: كلُّ شيءٍ ما خلا اللّه جَلَلْ، أي صغير. وقال لبيدٌ في الكبير:

وأرى أَرْبَدَ قدْ فارَقَني ومن الأرْزاءِ رُزْءٌ ذو جَلَلْ

وقوله شصائصاً يعني حقيرةً دميمةً، وزعم التَوَّزِيُّ أن النَبِل من الأضداد يكون للجليل والحقير واحْتجَّ بهذا البيت الذي ذكرناه، قال يريد ههنا الحقيرة. وقوله: أَزْنَنْتَني أي قرْفتَني ونَسبْتَني إليه يقال: فلان يُزَنُّ بكذا أي يُسَمَّى به ويُنْسبُ إليه، قال امْرُؤُ القَيْس بن حُجْرٍ:

كذَبْتِ لقدْ أُصْبي على المرْءِ عِرْسَهُ[3] وأَمْنعُ عِرْسي أن يُزَنَّ بها الخالي

وفي معنى قوله ورثت سلاحه قولُ الشاعر:

---

(١) تجويت العواطي: جمع عاطية وهي الظبية تتطاول إلى الشجر لتتناول منه والشاهد في قوله عبرياً وضالاً فقسم السدر إليهما.

(٢) أريد به أخوه.

(٣) أصبي على المرء عرسه: أخدعها وأفشها وعرس الرجل بالكسر إمرأته.

يَفرَحُ الوارِثُ بالمال إذا وَرِثَ المالَ ويَبْكي إنْ غضِبْ

ومثله قول نعامةَ الفزارِيِّ: ياحَبَّذا التُراثُ لولا الذِلَّة.

وقال جميلُ بن مَعْمَرٍ:

ما صائِبٌ من نابل[1] قَذفَتْ بهِ يَدٌ ومُمَرٌّ العُقْدَتَيْنِ وثيقُ
لهُ من خَوافي النَسْرِ حُمٌّ نظائرُ ونَصْلٌ كنَصْلِ الزَّاعِبيِّ فَتيقُ
على نَبْعَةٍ زَوْراء[2] أَيْما خطامُها فَمَتْنٌ وأَيْما عودُها فعتيقُ
بأَوْشَك قِتْلاً[3] منْك يَوْمَ رَمَيْتني[4] نَوافذ[5] لَمْ تُعْلَمْ لهُنَّ خُروقُ
كأن لَمْ نُحارِبْ يابُثَيْنَ لو أنَّها تكشَّفُ غُمَّاها وأنتِ صَديقُ

قوله: ما صائب يريد قاصداً يقال صابَ يَصوبُ إذا قصَد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كصَيِّبٍ منَ السَّماء﴾[6] وقد قالوا النازلُ والقصْدُ أَحْكَمُ كما قال بِشْرُ ابن أبي خازِمٍ الأَسَدِيُّ:

تُؤمِّلُ أَن أُؤبَ[7] لها بغُنمٍ ولَم تَعْلَمْ بأنَّ السهْمَ صابا

(صدرُ البيت عن أَبي الحسن) وقولُه: ومُمَرٌّ العُقْدَتين يعني وَتراً والمُمَرُّ الشديد الفَتْل، وقولُه من خوافي النَسْرِ حُمٌّ نظائر يريد ريش السهم والحُمُّ السّودُ وذلك أَخْلَصُهُ وأَجْوَدُهُ، وجعلها نظائر في مقاديرها لأنه أقصدُ للسهم وإذا كانت الريشاتُ بَطنُ الواحدة منها إلى ظهر الأخرى فهو الذي يُخْتار وهو الذي يقال له اللُؤام، وإنما أُخِذَ من قولهم مُلْتَئِمٌ وان كان ظهرُ الواحدة إلى ظهر

---

(١) نابل: صاحب النبل. الوثيق المحكم.

(٢) الزوراء: التي فيها ميل وعوج والخطام هنا الذي يعلق به وتر القوس.

(٣) باوشك قتلاً: هذا مرتبط بأول الكلام وواقع خبراً عنه، يقول ما سهم صابت رمي به نابل من فرس قوية متينة محكمة بأسرع مقتلاً منك لي.

(٤) رميتني: وجهت سهمك إليّ.

(٥) نوافذ: بالنصب على السعة ونزع الخافض يريد بنوافذ وأراد بها العيون وشبهها بالسهام في النفاذ والمضاء.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٩.

(٧) أؤب: أعود.

الأخرى وبَطنُها إلى بطن الأخرى فذلك مكروه يقال له اللُّغابُ، وقوله: كنصل الزاعبي شَبَّه نَصْلَ السَهْمِ بِنَصْلِ الرَمحِ الزَّاعِبي وهو منسوب إلى رجل من الخَزْرجِ يقال له زاعِبٌ كان يَعْمَلُ الأسِنَّةَ، هذا قول قوم، وأما الأصمعي فكان يقول الزَّاعبِيُّ هو الذي إذا هُز فكأنْ كعُوبَهُ يجْري بعضُها في بعضٍ للينه وتثنيه، يقال: مرَّ يَزْعَبُ بجِمْلِه إذا مرَّ به مراً سَهْلاً. وقوله: فتيق يعني حاذاً رقيقاً يقال: فَتيقُ الشَفْرَتيْنِ، وتأويله أنه يَفْتُقُ ما عُمِدَ به له، وفَعيلٌ يقع اسماً للفاعل ويقع للمفعول فأما الفاعل فمِثْلُ رحيمٍ وعَليمٍ وحَكيمٍ وشهيدٍ، وأما ما كان للمفعول فنحو: جريحٍ وقَتيلٍ وصَريعٍ. وقوله: زَوْراء يريد مُعْوَجَّةً وكلمَّا كانت القَوْسُ أشدَّ انعطافاً كان سَهْمُها أمضى. وقوله على نَبْعَةٍ يعني قوْساً وأكرَمُ القِسِيِّ ما كان من النبْعِ. وقوله أيما يريد أمّا واستثقل التضعيف فأبدلَ الياء من إحدى الميمين، ويُنْشَدُ بيتُ ابن أبي ربيعَةَ:

رأَتْ رجُلاً أيْماإذا الشَمْسُ عارضتُ[1] فيَضْحى[2] وأيْما بالعَشِيِّ فيَخْضَرُ

وهذا يقع وإنما بابه أن تكون قبل المضاعف كسْرَةٌ فيما يكون على فِعَّالٍ فيكرهون التضعيفَ والكسْرَ فيُبْدِلون من المُضَعَّفِ الأولِ الياء للكسرة، وذلك قولهم: دينارٌ وقيراطٌ وديوانٌ وما أشبه ذلك فإن زالت الكسْرَةُ وانفصل أحد الحرفين من الآخر رجَعَ التضعيفُ فقلتَ: دنانير وقراريط ودواوينُ وكذلك إن صَغَّرْتَ قلتَ: قُرَيْريطٌ ودُنَيْنيرٌ، وقوله: وايما عودُها فعَتيقٌ يصف كرَمَ هذه القوس وعِتْقَها ويُحْمَدُ منها أن تُتْرَكَ ولحاؤها عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه كما قال الشَّماخُ:

فَمَظَّعها حَوْلَيْنِ ماء لحائلها[3] ويَنْظرُ منها أيُّها هُوَ غامِزُ

مَظَّعَها شَرَّبَها (قوله فمظعها حولين أي تركها في الظل حولين حتى تَشرَب ماء اللِّحاء يقال تمَظَّعَ الرجلُ الظلَّ إذا تَحَوَّلَ من مكان إلى مكان). وقوله:

---

(١) عارضت: اعترضت في السماء.

(٢) فيضحى: تصيبه الشمس.

(٣) اللحاء: ككتاب ـ قشر الشجر والضمير للقوس.

بأوْشكَ قتلاً منكَ يقول بأسرع، يقال أمرٌ وَشيكٌ أي سريع ويقال: يوشكُ فلانٌ أن يفعل كذا وكذا أي يقاربُ ذاك ويوشِكُ يفعل كذا بطرح أن كل جيّدٌ، قال الشاعر (هو أمةُ بن أبي الصَّلتِ):

يُوشِكُ منْ فرَّ من مَنِيَّتِهِ ... في بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوافِقُها
منْ لم يمُتْ عَبْطَةً يمُتْ هَرماً ... لِلمَوْتِ كأسٌ فالمرْءُ ذائِقُها

(قال أبو الحسن هذه الأبيات أربعة وهي لرجل من الخَوارج قَتَلهُ الحَجّاج أوّلها:

ما رَغْبَةُ النفسِ في الحَياةِ وإنْ ... عاشَتْ قليلاً فالموْتُ لاحِقُها
وأيقَنَتْ أنها تعودُكما ... كان بَراها بالأمْس خالقُها)

قوله: عَبْطةً أي شاباً يقال اعْتُبِط الرجلُ إذا مات شاباً من غير مرض واصل العَبيطِ الطريُّ من كل شيء، وقوله: نوافذَ لم تُعْلم لهن خروق معنى طريفٌ وقد أخذه أبو حيّة منه فكشفه في أبيات مختارة وهي (اسم أبي حيّة الهَيْثمُ بن الربيع):

وإنَّ دماً لو تعْلمينَ جَنَيْتِهِ ... على الحَيِّ جاني مِثْلِه غيرُ سالمِ
أمَا إنهُ لوْ كان غيْرُكِ أرْقَلَتْ[1] ... إليْهِ القنا بالرَّاعِفاتِ اللّهاذِمِ[2]
ولكِنْ لَعَمْرُ اللّهِ ما طلَّ[3] مُسْلماً ... كغُرِّ الثنايا واضِحاتِ الملاغِمِ[4]
إذا هُنَّ ساقطْنَ الحديثَ كأنّهُ ... سِقاطُ حصى المرْجانِ من سلكِ ناظمِ
رمَينَ فأقصَدْنَ القلوب[5] فلمْ نجِدْ ... دماً مائراً إلاجويّ[6] في الحَيازمِ[7]

---

(١) أرقلت: أسرعت بالراعفات.
(٢) اللهاذم: وردت في مكان آخر.
(٣) طل: أهدر دمه وهي هنا على صيغة المبني للفاعل.
(٤) الملاغم: ما حول الفم.
(٥) أقصدن القلوب: أصبنها دماً.
(٦) الجوى: الهوى الباطن والحزن.
(٧) الحيازم جمع حيزوم وهو ما استدار في الظهر والبطن.

(الكاف في قوله كغُرٍّ فاعلةٌ بقوله طلَّ، ومنه قول الأعشى:

أتنْتَهــونَ ولنْ ينْهي ذوي شــططٍ كالطَعْن يَذْهبُ فيه الـزيتُ والفُتُلُ

وقول امرىء القَيْس:

وإنّـك لمْ يَفْخَـرْ عليْـكَ كفـاخـرٍ ضَعيفٍ ولم يَغْلِبْــكَ مثـلُ مُغَلّب

قال أبو الحسن وأول هذه الأبيات المختارة أنْشدنْاه غيرُهُ:

خَبّـرَكِ الـواشــونَ أنْ لنْ أحِبَّكمْ بلى وسُتــورِ اللّه ذاتِ المحَـارمِ
أَصـدُّ ومـا الصـدُّ الـذي تعْلمينَـهُ شِفـاءٌ لنـا إلا اجْتِــراعَ العـلاقِمِ
حيـاءً وبُقْيــا أنْ تشيــعَ نَميمَــةٌ بنــا وبكُمْ أُفٌّ لأهـلِ النمــائمِ)

قال أبو العباس: فهذا مأخوذ من ذلك. وقولـه: ولكنْ لعَمْرُو اللّه مـا ظلَّ مسلماً يقول ما طلَّ دمَـهُ، يقال: دمٌ مـطلولٌ إذا مَضى هدَراً كمـا قال الـراجز:

بغَيْـر عقْلٍ ودمٍ مَـطْلولِ. وحدثني التَـوَّزِيُّ قال: قـال يحْيى بن يَعْمَر لـرجـل نازعَتْهُ امرأته عنده: آنْ طالبَتْكَ بثمَنِ شَكْرهـا وشَبْرِك أنشـأتَ تطُلُّهـا وتضْهَلُها، قوله ثمن شكرها فـإنما يعني الـرِّضاع والشْبـرُ النكاح والشَكْـرُ الفَرْجُ. وقـوله: أنشأتَ تطلُّها أي تسْعى في بُطلان حقهـا، وقولـه: تضهلها أي تعـطيها الشيء بعد الشيء يقال بئـر ضهولٌ إذا كـان ماؤهـا يخْرُجُ من جِـرابها شيئـاً بعد شيء وجرابُها جوانبُها. وإنما يغْزُرُ ماؤها إذا خرج من قرارتها فتعْظُمُ جَمتُهـا. وقولـه واضحات الملاغم يريد العوارض. قال الفرزْدق:

سقتْها خُروقٌ في المسامِعِ لم تكُنْ غِلاظاً ولا مخْبـوطةً في المـلاغِم

يقـول: عَلِمَ أربابُ المـاء لمنْ هي فسقاهـا ما سمعـوه من ذكر أصحـابها لعِزّهـمْ ومَنعتِهمْ ولـم تحْتجْ أن تكون بها سمةٌ والعِلاطُ وسْمٌ في العُنُقِ والخِبـاطُ في الوجه.

٤ ـ باب نبذ من كلام الحكماء

قال بعض الحكماء: مَنْ أدَّب ولدهُ صغيراً سُرَّ به كبيراً، وكان يُقال: منْ أدَّب ولده أرغم حاسِدَهُ، وقال رجل لعبْدِ الملِك بن مرْوان: إني أريد أن أسرَّ إليك شيئاً. فقال عبدُ الملِك لأصحابه: إذا شئتم. فنَهضوا فأراد الرجلُ الكلامَ فقال له عبدُ الملك: لا تَمدَحْني فأنا أعْلمُ بنفسي منك ولا تَكذِبْني فإنه لا رأيَ لمكْذوبٍ ولا تغْتَبْ عندي أحداً، فقال الرجل: يا أميرَ المؤمنين أفتأذن لي بالانصراف، قال له: إذا شئت. وقال بعض الحكماء: ثلاثٌ لا غُرْبةَ معهنَّ: مجانَبَةُ الرِيَب[1] وحُسْنُ الأدب وكفُّ الأذى. وقال عمرو بن العاصي لدِهْقانِ[2] نَهْر تيرى: بِمَ يَنْبُلُ الرجلُ عندكم؟ فقال: بترك الكَذِب فإنه لا يَشْرُفُ إلا منْ يوثَقُ بقوله، وبقيامه بأمر أهْلِهِ فأنه لا يَنْبُلُ منْ يحتاج أهلهُ إلى غيره، وبمجانبة الرِيَبِ فإنه لا يَعِزُّ من لا يُؤْمَنُ أن يُصادَفَ على سَوْأةٍ، وبالقيام بحاجات الناس فإنه من رُجِيَ الفرَجُ لدَيْهِ كَثُرَتْ غاشِيَتُهُ. وقال بَزْرَجُمَهْرُ: من كثُرَ أدَبُهُ كثُرَ شرَفُهُ وإن كان قَبْلُ وَضيعاً وبَعُدَ صيتُهُ وإن كان خاملاً وسادَ وإن كان غريباً وكثُرَتْ الحاجةُ إليه وإن كان مُقْتِراً، وكان يُقال: عليكمْ بالأدَبِ فإنه صاحبٌ في السَفَرِ ومُؤنِسٌ في الوحدةِ وجَمالٌ في المَحْفِلِ وسَبَبٌ إلى طلب الحاجة. وقال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: من أفضل ما أُعْطِيَتْهُ العربُ الأبياتُ يُقدّمُها الرجلُ أمامَ حاجتِهِ فيَسْتَعْطِفُ بها الكريم ويستنزل بها

(١ الريب: الشك.

(٢) دهقان: زعيم ملاحي العجم.

اللئيم. وكان شُعْبَةُ بن الحجاج أو سِماكُ بن حَرْبٍ (قال أبو الحسن هو سِماكٌ بلا شك) إذا كانت له إلى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه. وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد مِحْنَتَهُ: ما خَيْرُ ما يُرْزَقُهُ العبد؟ قال: عَقلٌ يعيش به. قال: فإن عَدِمَهُ قال: فأدبٌ يَتحلَّى به. قال: فإن عَدِمَهُ. قال: فمالٌ يستره. قال: فإن عَدِمَهُ. قال: فصاعِقةٌ تَحْرِقُهُ فتُريحُ منه العبادَ والبلاد. وقيل لرجل من ملوك العجم: متى يكونُ العِلْمُ شرّاً من عَدمه؟ قال: إذا كَثُرَ الأدَبُ وَنَقَصَتْ القَريحةُ. وقال أزْدَشيرُ: من لم يكن عقله أغْلَب خِلال الخير عليه كان حَتفُهُ في أغلب خلال الخير عليه. وقال محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس، وذكر رجلاً من أهله: إني لأكره أن يكون لعِلْمِه فضلٌ على عقله كما أكره أن يكون للسانه فَضْلٌ على علمه، وقال محمد بن علي بن الحسين: جميع التَعايُش والتَناصُف والتَعاشُر في مِلْءِ مِكيال ثلثاه فِطْنَةٌ وثلث تغافُلٌ، فلم يجْعَلْ لغير الفطنة نصيبٌ من الخير ولا خطأ في الصّلاح لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عَرَفَهُ وفَطِنَ به.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٥ ـ باب في الوصف والمدح

قال رجل من بني عبد اللّه بن غطفَان وجاوَر في طيىء وهو خائف:

جـزى اللّهُ خَيْراً طَيِّـئاً منْ عَشيـرةٍ ومنْ صاحبٍ تَلْقاهُمُ كـلَّ مَجمَعِ
هُمُ خَلطوني بـالنُّفـوسِ ودافعـوا وَرائي بِرُكْنٍ ذي مناكِبَ[١] مِدْفعِ[٢]
وقـالوا تَعَلَّمْ إنّ مـا لـكَ إنْ يُصَبْ نُفِـدْكَ وإنْ تُحْبَسْ نَزُرْكَ وَنشْفـعِ

وقال رجل من بني سلامانَ بن سَعْد هُذَيْم قُضاعَة وجاورَ في طَيّىءٍ:

كـأنّ الجـارَ في شَمَجى بن جَرْم[٣] لَـهُ نَـعْـمـاءُ أو نَـسَـبٌ قـريـبُ
يُـحـاطُ ذِمارُهُ[٤] ويُـذَبُّ عَـنْـهُ ويَحْمي سَـرْحَهُ[٥] أنفٌ غضُوبُ[٦]
أَلِـفْتُ مَـسـاكِنَ الـجَبَـلَيْـنِ إنّـي رأيْتُ الغَـوْثَ يَـألَفُهـا الغـريبُ

(الجبلان سَلْمى وأجأ وهُمـا لِـطَيّىءٍ والغَـوْثُ قبيلة من طيىء) وأنشـدني عبـد الوهـاب بن جَنْبَةَ الغَنَـويُّ لعُبَيْدِ بن العَـرَنْدسِ الكـلابيّ يصف قومـاً نَزَلَ بهم:

---

(١) المناكب: في الأصل ما كان من الريش بعد القـوادم. استعارة لمن يـدافع عنه من الرجـال الذين يكونون حول الرئيس.

(٢) المدفع كمنبر: شديـد الدفـع. يقول لمـا جاورت هـذه القبيلة وأقمت فيهم جعلوني كواحـد منهم وحاطوني ودافعوا عني بركن شديد.

(٣) بنو شمجي بن جرم: بطن من قضاعة ـ يقول ان الجـار في هؤلاء القوم عـزيز مكـرم كأن لـه يداً عليهم أو نسباً قريباً فيهم.

(٤) الذمار: بالكسر ما يلزمك حفظه وحمايته.

(٥) السرح بالفتح ـ المال السائم.

(٦) أنف غضوب: كناية عن الشجاع الشديد اليأس.

هَيْنونَ لَيْنونَ أيسارٌ[1] ذَوو يَسَرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أبناءُ أيْسارِ
لا يَنْطِقونَ على العَمْياءِ إن نَطَقوا ... ولا يُمارونَ إنْ مارَوْا بإكْثارِ
مَنْ تَلقَ مِنهُمْ تَقُل لاَقيْتُ سيِّدَهُمْ ... مثل النُجوم التي يَسري بها الساري

(قال أبو الحسن: حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حُدِّثتُ عن أبي الفضل العبّاس بن الفرَجِ الرِّياشيِّ قال: قصَدَ رجل من الشعراء ثلاثةَ إخوَةٍ من غَنِيٍّ وكانوا مُقِلِّينَ فامتدحهم، فجعلوا له عليهم في كل سنة ذَوْداً فكان يأتي فيأخذ الذَوْدَ[2]، والشعرُ الذي امتدحهم به قوله:

يا دارُ بَينَ كُلَيَّاتٍ وأظْفارِ ... والحُمتَينِ سقاكِ اللّهُ منْ دارِ
عَلى تَقادُمِ ما قَدْ مرَّ من عُصُرٍ ... مع الذي مَرَّ من ريحٍ وأمطارِ
عنّا غَنيتِ[3] بذاتِ الرِمْثِ[4] من أجلي ... والعَهدُ مِنكِ قديمٌ مُنذ أعصارِ

أراد أنّي فقلب الهمزة عيناً.

وقدْ نرى بكِ والأيّامُ جامِعةً ... بيضاً عَقائِلَ من عينٍ وأبكارِ
فيهنَّ عَثْمَةٌ لا يَمَللْن عَشرتها ... ولا عَلِمْنَ لها يَوماً بأسرارِ
إذْ يحْسِبُ الناسُ أنْ قد نِلتَ نائلها ... قِدْماً وأنتَ عليها عاتِبٌ زاري
بَلْ أيُّها الراكِبُ المُفني شَبيبتَهُ ... يَبكي على ذاتِ خَلخالٍ وأسوارِ
خَبِّرْ ثناءَ بَني عَمروٍ فإنَّهُمُ ... أولُو فُضولٍ وأنفالٍ وأخطارِ
هَينونَ لَينون أيسارٌ ذو وكَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكرُمَةٍ أبناءُ أيسارِ
فيهِمْ ومِنهُمْ يُعدُّ المجدُ مُتَّلِداً[5] ... ولا يُعدُّ نَثا خِزْيٍ ولا عارِ
لا يَظعنونَ على العمياءِ إن ظَعنوا ... ولا يُمارونَ إن مارَوْا بإكثارِ
وإنْ تَليَّنْتهُم لانوا وإن شُهِموا[6] ... كشَّفتَ اذمارَ[7] حَرْبٍ غير أغمارِ

---

(١) أيسار: جمع يسر بالتحريك وهو السهل كالياسر ـ ذوويسر ـ ذوو غنى.
(٢) الذود: الشرذمة من الابل خاصة.
(٣) غنيت: يقال غني الشيء كرخي قام وعاش.
(٤) الرمث: مرعى للأبل.
(٥) المتلد: القديم.
(٦) شهموا: ربعوا وخزعوا.
(٧) إذمار: جمع ذمر بالكسر وهو الشجاع.

إنْ يُسئَلُوا العُرفَ يُعطوه وإنْ جُهدوا[1] فالجُهدُ يَكشِفُ منهُمْ طيبَ أخبارِ
من تَلقَ منهُم تَقُلْ لاقيتُ سَيِّدهُم مثلَ النُّجوم التي يَسري بها الساري)

في ذم بني العنبر

قال أبو العباس: وكان قوم نزلوا ببني العَنْبرِ بن عَمرو بن تميمٍ والقومُ من بني ضَبّة فأغير عليهم فاستغاثوا جيرانهم فلم يُغيثوهُمْ، وجعلوا يُدافِعونهم حتى خافوا فوْتها فاستغاثوا ببني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم فركبوا فردُّوها عليهم، فقال المُكعْبرُ الضَّبيُّ في ذلك (اسمه حُرَيْثُ بن عَفوطٍ):

أبلغْ طريقاً حيثُ شطّتْ بها النوَى فليْس لدْهر الطّالبين فناءُ
كُسالى إذا لاقيْتَهُم غَيرَ مَنطِقٍ يُلهي به المحْرُوبُ وهو عناءُ
وإني لأرْجوكم على بُطْءِ سَعْيكُمْ كما في بُطونِ الحامِلاتِ رَجاءُ
أُخبرُ مَنْ لاقَيْتُ أنْ قدْ وَفيْتُمُ ولو شِئْتُ قال المُخْبِرون أساؤوا
فهلاَّ سَعَيْتُمْ سَعْيَ أُسرَةِ مالِكٍ وهَلْ كُفَلائي في الوفاءِ سَواءُ
كأنَّ دَنانيراً على قَسمائِهم وإن كانَ قدْ شَفَّ الوجوهَ لِقاءُ
لهُمْ أذْرُعٌ بادٍ نَواشِرُ لَحْمِها وبَعْضُ الرِّجالِ في الحُروبِ غُثاءُ

قوله: حيث شطّت بها النوى معنى شطّت تباعدت، يقال: أشطَّ فلانٌ في الحُكم إذا عَدلَ عنه متباعداً قال اللّه تعالى: ﴿فاحْكُمْ بيننا بالحَقِّ ولا تُشْطِطْ﴾[2]، وقال الأحوصُ:

ألا يالقَوْمي قد أشطَّتْ عَواذلي ويَزْعُمْنَ أن أوْدي بحَقّيَ باطِلي
ويَلْحَينَني في اللّهْوِ ألا أُحِبُّهُ وللّهْوِ داعٍ دائبٌ غيْرُ غافِل

والنَوى البُعدُ ويقال شَطّت بهم نيّةٌ قَذَفٌ أي رِحلةٌ بعيدةٌ قال الشاعر:

وصَحْصَحانٍ[3] قذَفٍ كالتُرْسِ. وليس بمأخوذ من نأيْتُ في اللفظ ولكنه

---

(١) وإن جهدوا: بذلوا كثيراً من المعروف.

(٢) سورة ص: الآية ٢٢.

(٣) الصحصحان: ما استوى من الارض، والقذف: الفلاة الواسعة البعيدة ونسبها في الترس للغلظ والقساوة.

مثله في المعنى. وقوله: فليس لدهر الطالبين فناء، يقول الطالب في أثرِ طَلِبَتِه أبداً. ويُروى أن رجلاً من قُرَيْشٍ بَعثَ إلى رجل منهم وكان أخذَ له غلاماً: يا هذا ان الرجل ينام على الثُكلِ ولا ينام على الحَرَبِ فإمّا رَدَدْتَهُ وإما عرضتُ اسمك على اللّه في كل يوم وليلة خمس مرات. ومن أمثال العرب: لا ينام إلا مَنِ اثأرَ، ويقال لِمنْ أدْركَ ثأراً نبيلاً أصاب ثأراً مُنيماً وأنشد:

تَقولُ لي ابنَةُ البَكريِّ عَمرٍو لعلّكَ لَستَ بالثأرِ المُني

وقوله:

وإني لأرْجوكم على بُطْءِ سَعْيكُمْ كما في بُطونِ الحامِلاتِ رَجاءُ

يقول: هذا رجاءٌ غيرُ صادقٍ ولا موقوفٍ عليه[1] كما أن هذه الحَوامل لا يُعْلَمُ ما في بطونها وليس بِمَيْئوسٍ منه وإنما يَتهكّمُ بهم وهو يعْلمُ أن سَعْيَهُم غير كائن، ألا تراه يقول:

أخَبِّرُ من لاقيتُ أن قد وفَيْتُم ولو شِئتُ قال المخْبَرون أساؤوا

وقوله: كأنّ دنانيراً على قَسِماتهم، زعم أبو عبيدة أن القَسِمات مجاري الدُّموع واحدتها قَسِمة، وقال الأصمعيُّ: القسماتُ أعالي الوجه ولم يبيِّنْهُ بأكثر من هذا، وقول أبي عبيدة مشروحٌ ويقال من هذا رجل قَسيمٌ ورجل مُقسمٌ ووجه قسيمٌ ومُقسَّمٌ، قال الشاعر:

وَيوماً توافينا بوجهٍ مُقسَّمٍ كأنْ ظَبْيةً تَعْطو إلى وارِقِ السَلَمْ

قوله: تعطو أي تتناول، ويقال عطا يعطو إذا تناوَلَ، وأعطيتهُ أنا أي ناولته قال امرؤ القيس:

وتعْطو برَخْصٍ[2] غيرِ شَثْنٍ كأنه أساريعُ ظَبيٍ أو مساويكُ أسْحلِ

والسَّلَمُ شجر بعينه كثير الشوك فإذا أرادوا أن يَحْتطبوهُ شدّوه ثم قطعوه،

---

(١) لا موقوف عليه غير معلوم ولا مطلع عليه.

(٢) الرخص: بالفتح: اللين والناعم.

فمن ذلك قولُ الحَجّاج: واللّه لأحْزِ منكم حَزْمَ[1] السّلَمَةِ ولأضرِبَنّكمْ ضربَ غرائبِ الإبل. قال: وحدّثني التَّوَزِيُّ عن أبي زيد قال: سمعت العرب تُنشدُ هذا البيتَ فتنصب الظَّبْيةَ وترفعها وتخفضها قال أبو العباس: أما رفعها فعلى الضمير يريد كأنها ظَبيةٌ وهذا شرط أنّ وكأنّ إذا خُفِّفَتا إنما هو على حذف الضمير، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أنْ سَيَكونُ منكم مرْضى﴾[2] وهذا الباب وقد شرحناه في الكتاب المُقْتضَب في باب أنّ وإنّ بجميع عِلله، ومن نصَبَ فعلى غير ضمير وعَملُها مخففةَ عَمَلُها مُثَقّلةً لأنها تَعْمَل تَعْمَل لشَبهها بالفعل فإذا خُفّفتْ عمِلَتْ عمَل الفعل المحذوف كقولك: لم يَكُ زيدٌ منطلقاً فالفعل إذا حذف يَعْمَل عمَلهُ تاماً فيصير التقدير كأنّ ظبيَةً تَعْطو إلى وارِقِ السَلم هذه المرأة وحَذف الخبر لما تقدم من ذكره ومن قال: كأنْ ظَبْيةً جعلَ أن زائدة وأعمَل الكاف أراد كظبية وزاد أن كما تريدُها في قولك لما أن جاء زيدٌ كلّمْتُهُ وواللّه أنْ لو جئتني لأعطيتك، وقوله: لهم أذْرُعٌ بادٍ نواشِرُ لحمها، فكل شيء كان على فِعالٍ من المؤنث فجَمعُهُ أفعُلٌ، وكذلك فُعالٌ نقول ذِراعٌ وأذرع وكُراعٌ وأكرُعٌ لأنهما مؤنثتان ومن أنّث اللسان قال: ألسُنٌ ومن ذكرَهُ قال: ألسِنةٌ وشمالٌ وأشمُلٌ كما قال (هو أبو النجْم العِجْليُّ): يأتي لها من أيْمُنٍ وأشمُلِ: فأما المذكر فعَلى أفعلةٍ في أدنى العدد وفُعُلٍ في الكثير يقال حِمارٌ وأحمِرَةٌ وحَمَرٌ وفِراشٌ وأفرِشةٌ وفُرُشٌ والنواشرُ ما يظهر.

في رثاء الفرزدق لصديقه عطية

من العروق في ظهر الذراع مما يُداني المِعْصمَ وذلك الموضع يقال له أسَلَةُ الذراع.

قال زُهيرٌ:

---

(١) الحزم: الشد.

(٢) سورة المزمل: الآية ٢٠.

ودارٌ لها بالرَّقْتَيْنِ[1] كأنها مَراجِعُ[2] وشْمٍ في نواشِرِ مِعْصَمِ

وقوله: وبَعضُ الرجال في الحروب غُثاء، فالغُثاءُ ما يَبِسَ من البَقْلِ حتى يصيرُ حطاماً وينتهي في اليُبْسِ فيَسْوَدّ فيقال له. غثاءٌ وهَشيمٌ ودِنْدِنٌ وثِنٌّ على قَدْرِ اختلاف أجناسه ويقال له الدارين.

قال اللّه عزّ وجل: ﴿فَجعَلهُ غُثاءً أحْوى﴾[3] وقال: ﴿فأصبَحَ هَشيماً تذْروهُ الرِّياحُ﴾[4]. وقال الشاعر يصف سحاباً (هو ابن مَيّادَةَ وقبله:

سَحائِبُ لا من صَيِّفٍ ذي صَواعِقٍ ولا مُخْرِفاتٍ[5] ماؤُهنَّ حَميمُ)

إذا ما هَبَطْنَ الأرْضَ قَد ماتَ عُودُها بَكَيْنَ بها حَتى يَعيشَ هَشيمُ

وقال الراجز: تَكْفي الفَصيلَ أُكْلَةٌ من ثِنٍّ. وقد يقال للشيء الذي لا خير فيه هذا غُثاءٌ أي قد صار كذلك الذي وَصفناه، ويُضْرَبُ هذا مَثلاً للكلام الذي لا وَجهَ له. وقال رجل أحسِبُهُ تَميمياً (هو الفَرَزْدَقُ):

لَوْ لمْ يُفارِقْني عَطِيّةُ لم أَهُنْ ولمْ أُعْطِ أعدائي الذي كنتُ أَمْنَعُ

شُجاعٌ إذا لاقى ورامٍ إذا رَمى وهادٍ إذا ما أظْلَمَ الليلُ مِصْدَعُ[6]

سأبْكيكَ حَتى تُنفِدَ العَينُ ماءَها ويَشفِيَ مِنّي الدَّمْعُ ما أتَوَجّعُ

أحسنُ الإنشادَينِ عندي: لَمْ أَهِنْ يأخذه من وَهنَ يَهِنُ لأنه إذا قال لم أُهَنْ فهو من الهَوانِ ومن قال لم أهَنِ فإنما هو من الضَعْفِ وهو أشبه بقوله: ولم أُعْطِ أعدائي الذي كنت أمنع. والآخر غير بعيد يقول: لم أهُن على أعدائي

---

(١) الرقمتين: روضتان بناحية الصمان.

(٢) المراجع ـ جمع مرجع وهو خط الواشمة.

(٣) سورة الأعلى: الآية ٥.

(٤) سورة الكهف: الآية ٤٥.

(٥) المخرفات: التي يصاف حصولها أو مرورها في الخريف.
والماء الحميم الحار أو البارد.
والمعنى هنا أن هذه السحائب قد أتت في فصل الربيع فأحيت الأرض والزرع.

(٦) المصدع: منبر البليغ، وصف للرأي الصائب وحسن البيان.

وإذا قال: لم أهِنْ فالأصل لم أوْهِنْ ولكنّ الواو إذا كانت في موضع الفاء من الفِعلِ وكان ذلك الفعل على يَفْعِلُ فالواو محذوفة، وإنما تُحْذَفُ الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وتصير حروف المُضارَعَةِ الباقيةُ تابعةً للياء لئلا يَخْتَلِفَ البابُ، وهي التاء من قولك تفْعِلُ إذا عَنَيْتَ مخاطباً أو مؤنثاً غائباً نحو: أنت تَعِدُ وهي تَعِدُ والهمزة إذا عنيت نفسك نحو: أنا أعدُ، والنون إذا أخْبرْتَ عن نفْسكَ ومعك غَيرُكَ نحو: نحْنُ نَعِدُ، فإن قال قائل إنما هذا لأن الفعل المتعدي تحذف منه الواو فإن كان غَيرَ مُتَعدٍّ ثبتت فقد قال أقبَحَ قولٍ لأن التَعَدّي أو غيرَ التعدّي لا يُحْدِثُ في أنفُسِ الأفعال شيئاً ولو كان كما يقول لأثبَتَ الواو في وهَنَ يَهِنُ لأنك لا تقول وهَنْتُ زيداً، وكذلك وَرِمَ يَرِمَ ووَكَفَ البيتُ يَكِفُ ووَثَمَ الذُبابُ يَثِمُ وهذا أكثر من أن يُحْصى فإن لم تكن بعد الواو كسرةٌ لم تُحْذَفَ نحو: وجِلَ يَوْجَلَ ووَجِلَ يَوْجَلُ ووَجِعَ الرجلُ يَوْجَعُ وقد يجوز يَيْجَعُ وياجَعُ ويَيجَعُ لما نذكره إذا جَرى ذِكرُ هذه المفتوحة إن شاء اللّه. فأما الحذف فلا يكون فيها. فإن قال قائل فما بالُ يَطأو يَسَعُ حذفتْ منهما الواوُ، ومثلهما ثَبَتَتْ فيه الواوُ فإنما ذلك لأنه كان فَعِلَ يَفْعِلُ مثل وَلِيَ يلي ورَمَ يَرمُ فَفَتَحَتْهُ الهمزةُ والعينُ والأصل الكسر فإنما حذفت الواو مما يَلْزَمُ في الأصل، ألا ترى أنك تقول ولَغَ السَّبُعُ يَلغُ فهذا فعَلَ يَفْعَلُ والأصل يَفْعِل ولكن فَتَحَتْهُ الغينُ لأن حروف الحَلْقِ تَفْتَحُ ما كان على يَفْعِل ويفْعُلُ ولولا ذلك لم تقع فَعَلَ يَفْعَلَ، وحروفُ الحَلْقِ ستة الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء وهنَّ يَفْتَحْنَ إذا كنَّ في موضع العين واللام، فأما العين فنحو سألَ يَسْألُ وذهَبَ يَذْهَبُ، وأما اللام فمثل قَرأ يَقرأُ وصَنَعَ يَصنَعُ وسائر هذا الباب على ما وصفْتُ لك، وقوله:

وهادٍ إذا ما أظْلَم الليلُ مِصْدَع، فتأويل مِصْدع أي ماضٍ في الأمر قال اللّه عزّ وجل: ﴿فاصْدَعْ بما تُؤمَرُ﴾[1] ويقال: أحْزَمُ الناس مَنْ إذا وضَحَ له الأمرُ صَدعَ به.

---

(١) سورة الفجر: الآية ٩٤.

مدح سوار بن عبد اللّه القاضي

وقال أعرابيّ يمدح سَوّارَ بن عبد اللّه القاضي وسَوّارٌ أحد بني العَنْبر بن عَمْرو بن تميم:

وأوْقَفُ عِنْدَ الأمرِ ما لم يَضِحْ[1] لهُ وأمْضي إذا ما شَكَّ مَنْ كان ماضِياً

فاسْتَجْمَعَ في هذا المدْح ركانةَ الجَزْم وإمْضاء العزْمِ، ومثله قوله النابغة الجَعْدِيِّ:

أَبي لي البلاءُ وإني أمرؤٌ إذا ما تَبيَّنْتُ لم أرتَبِ

ومن أمثال العرب السائرة الجَيِّدَةِ: رَوِّ تَحْزُمْ فإذا اسْتَوْضَحْتَ فاعْزِمْ. ومن أمثالهم: قد أحْزَمُ لو أعْزِمُ وإنما هذا بعد التَوقُّفِ والتَبَيُّنِ، فقد قال الشَعْبيُّ: أصابَ مُتأمِّلٌ أو كاد وأخْطأ مُسْتَعجِلٌ أو كادَ، ومثل قوله: ويَشْفِيَ مني الدَمْعُ ما أتوَجَّعُ، قول الفَرَزْدَقِ:

ألمْ تَرانيَ يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ[2] بَكَيْتُ فنادْتني هُنَيْدَةُ[3] مالِيَا

فقلْتُ لها إنَّ البُكاءَ لَراحَةٌ به يَشْتَفي مَنْ ظَنَّ أنْ لا تَلاقِيَا

(قال أبو الحسن ويتْلو هذين البيتين مما يُسْتَحسَنُ:

قَعيدَكُما اللّهَ الذي أنْتُما لَهُ ألمْ تَسْمَعا بالبَيْضَتَينِ المُنادِيا

حَبيبٌ دَعا والرَملُ بَيني وبَنَهُ فأسْمَعَني سَقياً لذلك داعِيَا

يقال: قَعيدَكَ اللّهَ وقِعْدَكَ اللّهَ ونِشدَكَ اللّهَ أي سألتُكَ باللّه كما قال مُتَمِّمُ ابن نُوَيرَةَ وهو من بني يَرْبوعٍ:

قَعيدَكِ ألا تُسْمعيني مَلامَةً ولا تَنْكِئي[4] قَرْحَ الفُؤادِ فَيَنْجَعا

ويروى فَقِعْدكِ ألا تُسمِعيني (والبيضتان موضع معروف) قال أبو العباس

---

(١) يضح له: يتبين معالمه.

(٢) جو سويقة: إسم موضع.

(٣) هنيدة بالتصغير: إسم إمرأة.

(٤) لا تنكئي: نكأ فلان القرحة: إذا قشرها قبل أن تبرأ أو تجف. وهنا كناية عن تهيج الحزن.

وقال أبو بكر بن عَيّاشٍ نزَلتْ بي مصيبة أوْجَعَتني فذكرتُ قول ذي الرُمّة:

لَعلّ انحدارَ الدَمعِ يُعقِبُ راحَةً من الوَجد أو يَشفي نَجِيّ البلابلِ

فخَلَوتُ فبكيتُ فسلَوْت.

وقال: نَضلةُ السُلمِيُّ في يومِ غَوْلٍ[1] وكان حَقيراً دميماً وكان ذا نَجدَة وبأسٍ:

ألمْ تَسَلِ الفَوارسُ يَوْمَ غَوْلٍ بِنَضَلةَ وهو مَوْتورٌ[2] مُشيحُ

رَأوْهُ فازْدرَوْهُ وهوَ حُرٌ ويَنفَعُ أهلَهُ الرَجُلُ القَبيحُ

فشَدّ عَلَيهِمُ بالسيفِ صَلتاً كما عَضّ الشّبا الفرسُ الجَموحُ

فأطلقَ عُلَّ صاحِبِهِ وأرْدى قَتيلاً منهُمُ ونجا جَريحُ

ولم يَخشَوا مَصالَتَهُ عليهم وتحتَ الرغوَةِ اللبنُ الصريحُ

قوله: وهو مَوتور مُشيح فالمُشيحُ الحاملُ الجادُّ، يقال أشاحَ يُشيحُ إذا حَمَل، وأنشدني التَوّزِيُّ قال أنشدني أبو زَيدٍ (وهو لأبي العِيال الهُذَليّ:

مُشيحٌ فوقَ شيحانٍ يَشُدُّ كأنهُ كَلِبُ

قال: شيحان اسم فرسه. (قال أبو الحسن ويروى شَيحان بفتح الشين وحفه على رواية أبي زيد أن لا يَنصَرِفَ لأنه فَعْلان فالألف والنون زائدتان وهو معرفة فضارَعَ عطشان وما جَرى مجراه وإنما اضطُرّ فصَرفَهُ) وقال ابن الإطنابةِ واسمه عمرو:

وإجشامي[3] على المكروهِ نفسي وَضربي هامَةَ البَطل المُشيحِ

ويقال في هذا المعنى رجل شِيحٌ كما يقال: ناقة نِقْضٌ إذا كانت هَزيلاً. قال أبو ذُؤيب: وشايَحتَ قبلَ اليومِ إنك شِيحُ. وقوله: بالسيف صَلتاً يقول: مُنتَضىً ورجل صَلتُ الجَبين إذا كان نقِيهُ، وقوله: كما عَضّ الشبا يريد حدّ

---

(١) غول بالفتح أسم موضع كانت به وقعة.

(٢) موتور: صاحب الوتر وهو الثأر.

(٣) الإجشام مصدر أجشمه الأمر إذا حمله على أن يتكلفه على تعب ومشقة.

اللجامِ وشَبا كلِّ شيءٍ حدُّهُ، وقوله: وأردى أي أهلكَ، يقال: رَدِيَ يردي إذا هَلك والردى الهَلاكُ.

قال اللَّه عزّ وجل: ﴿وما يُغني عنهُ مالهُ إذا تردّى﴾[1]. قيل فيه قولان أحدهما إذا تردّى في النار والآخر إذا مات، وهو تفَعّلَ من الردى. وقوله: ولم يخشَوا مُصالتَهْ عليهم، فهي مُفْعَلةٌ من صال يَصُولُ ويقال: صال البعيرُ إذا عضّ وقيل للمُغيرةِ بن شَعبةَ أنّ بوابك يَأذنُ لأصحابه قبل أصحابك، فقال. إن المعرفة لتنفعُ عند الكلب العقُورِ والجمل الصؤُلِ فكيف بالرجُل الكريم. وقوله: وتحت الرغوةِ اللبنُ الصّريح، يقول إذا رأيتَ الرغوةَ وهو ما يَرغو كالجلدة في أعلى اللّبنِ لم تدرِ ما تحتها فربما صادَفتْ اللبن الصريح إذا كشَفْتَها، أي أنهم رأوْني فازْدَرَوْني لدمامَتي فلما كشفوا عني وجَدوا غير ما رأوا، والصّريح المحْضُ الخالص من ذلك قولهم: عَرَبيٌّ صريحٌ أي خالص، ومَوْلىً صريحٌ. ومن أمثال العرب: أنه لَيُسِرُّ حَسْواً في ارْتغاء[2]، ومعنى ذلك أنه يوهِمُكَ أنه يأخذ بقية تلك الجلدةَ عن اللبن ليُصْلِحَهُ لك وإنما يَحْسو من تحتها: يُضْرَبُ هذا المَثَل لمن يُريكَ أنه يُعينُكَ وإنما يَجْترُّ النفعَ إلى نفسه.

في بعض ما يحب العرب وما يكرهون

وقال أعرابي خُبِّرْتُ أنه من بني سَعْدٍ وقد تَمثّلَ بهذا الشِّعْر الحنوت وهو تَوْبَةُ بن مُضَرِّسٍ أحد بني مالك بن سَعد بن زيد مَناة بن تَميم في خِلاف الدَمامة:

ولما التَقى الصَفّان واختلَفَ القنا[3] نِهالاً وأسبابُ المنايا نِهالُها
تَبَيَّنَ لي أنّ القَماءَة[4] ذِلّةٌ وأن أشِدّاء الرجالِ طِوالُها

---

(١) سورة الليل: الآية ١١.

(٢) الإرتغاء: الأخذ والإحتساء.

(٣) القنا: الرماح.

(٤) القماءة: مصدر قمأ الرجل أي صغر وذل.

دَعـوْا يـا لَسَعْـدٍ وانْتَمَيْنـا لِـطيءٍ أُسـودُ الشَّـرى إقـدامُهـا ونِـزالُهـا

قوله: نِهالاً فإنما يريد أنها قد وَرَدَتِ الدّم مرة ولم تُثنّ، وذلك أن النـاهل الذي يَشْرَبُ أوّل شَرْبةٍ فإذا شَرِبَ ثانية فهو عالٌ، يقـال: سقاه عَـلا بعد نهَـلٍ وعَللاً بعدَ نهَلٍ وفي المثل سُمْتُهُ سوْمَ عالّةٍ إذا عَرضْت عليه عَرضاً يستحي من أن يُقْبِلَ معه والعالّةُ لا حاجة بها إلى الشُرْبِ وإنما يُعرَضُ عليها تَعزيزاً، قال: وأسباب المنايا نهالها، أي أول ما يقع منها يكون سبباً لما بعده. وأنشدني غير واحـد: وأنّ أشِدّاءَ الـرجالِ طِيـالُها، وليس هـذا بالجيّـدِ وإنما قُلِبت الواو ياءً لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم: ثيابٌ وحِياضٌ وسِياطٌ، الواحد ثوبٌ وَحَوْضٌ وسوْطٌ وهذا جيد لسكون الواو في الواحد فأما في مثل طِوالٍ فإنمـا يحوز على التشبيه بهذا وليس بجيد لتَحرُّكِ الواو. وأنشدني مَسْعود بـن بشْرٍ المازنيُّ:

لهُمْ أوْجُـهٌ بيضٌ حِسـانٌ وأذْرُعٌ طِيـالٌ ومن سيمـا الملوكِ نِجـارُ

ومجاز هذا في النحو ما وَصفْتُ لـك. والعرب تَمْـدَحُ بالـطول وَتضَعُ من القِصَرِ، فلا يَذْكره منهم إلا مُحْتَجٌّ عن نفسه ولا يَمْدَحُ به غَيرَهُ قال عَنْترَةُ:

بَـطلٌ كـأن ثيـابَـهُ في سَـرْحـةٍ[1] يُحْذى نِعالَ السِبْتِ[2] ليْس بتوأمِ[3]

يقول لم يُشارَك في الرَحِم، وقال جرير:

تَعـالَـوا ففـاتـونـا ففي الحُكمِ مَقْنَـعٌ إلى الغُـرُّ من أهلِ البِـطاحِ الأكارمِ
فإني لأرْضى عَبْدَ شمْسٍ ومـا قَضَتْ وأرضى الطِوالَ البيضَ من آل هاشمِ

وقال حسّان بن ثابت:

وقـد كُنّـا نقـولُ إذا رأينـا لـذي جسمٍ يُعَـدُّ وذي بَيـانِ
كـأنـكَ أيهـا المُعـطى بيـاناً وجِسماً من بَني عَبدِ المدانِ[4]

---

(١) السرحة: شجرة طويلة عظيمة.
واستعمالها هنا كناية عن تمام الخلق والعظمة.

(٢) السبت: بالكسر جلود البقر. أو كل جلد مدبوغ تتخذ منها البغال وكني بذلك عن عزه ومجده.

(٣) ليس بتوأم: كناية عن تمام خلقه.

(٤) المدان: كسحاب اسم لصنم نسبت إليه القبيلة.

ويقال إن عليَّ بن عبد اللّه بن العباس بن عبد المُطَّلِب كان إلى مَنكِبِ عبد اللّه وكان عبدُ اللّه إلى مَنكب العبَّاس وكان العباسُ إلى مَنكِبِ عبد المُطّلب. وحدثني التَوَّزِيُّ قال: طافَ عليُّ بن عبد اللّه بالبيت وهناك عَجوزٌ قديمة، وعليٌّ قد فَرَعَ الناس كأنه راكِبٌ والناسُ مُشاة، فقالت: من هذا الذي فرَعَ الناس، فقيل: عليُّ بن عبد اللّه بن العباس. فقالت لا إله إلاّ اللّه إن الناس لَيُرْذَلونَ عَهْدي بالعباس يَطوفُ بهذا البيت كأنه قُطاط أبيضُ. وحدثني عليُّ بن القاسم بن عليّ بن سُليمان بن علي بن عبد اللّه بن العباس قال: كان يُقالُ صار شَبَهُ عليّ بن عبد اللّه في عِظَمِ الأجسام في العَلِيَّينِ يعني عليَّ بن أمير المؤمنين المهْدِيَّ المنسوبَ إلى أُمِّهِ رَيْطَةَ وعليَّ بن سليمان بن عليّ.

ويُرْوى أن رسول اللّه ﷺ وهو الأسْوَةُ والقدْوَةُ كان فوق الرَبْعَةِ ولم يكن بالطويل المُشذَّبِ[1] وكان إذا مَشى مع الطِوالِ طالَهُم ولم يختلف أهل الحِكمةِ والنَظرِ من العَربِ والعَجَمِ أن الكمال في الاعتدال، ولا يقال غير هذا عن حكيمٍ، وأبْيَنُ ما فيه ما اختاره اللّه تعالى لنبيِّه محمد ﷺ وقد يقال: الكَيْسُ[2] في القِصَرِ، وقد قيل في خَبَرِ قَصيرٍ وكَيْدِه ومَكرِهِ ما قد سارَ به المثلُ واستغنى عن الإعادة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إعرابي يرد على مغنيه عابثة بالقصر

وحدّثني العباس بن الفَرَج الرِّياشِيُّ قال: حدثني أبو عُثمان المازنيّ قال: كان أعرابيّ يختلفُ إلى مُغَنِّيَةٍ لآل سليمان فأشرفَتْ عليه ذات مَرّةٍ فأوْمَأتْ إليه بيدها إيماءَ عائِبٍ له بالقِصَر فأنشأ يقول:

يا جَعفَرٌ يا جَعفَرٌ يا جَعفرُ إنْ أكُ رَبعَةً فأنتِ أقصرُ

---

(١) المشذب: المعظم: الطويل ـ الحسن الخلق.

(٢) الكيس بالفتح ـ خلاف الحمق، وقد كاس ـ يكيس إذا كان حاذقاً فطناً وقصير كأمير هو ابن سعد صاحب جذيمة الأبرش ومنه المثل «لا يطاع لقصير أمر».

أو أنَّ ذا شَيبٍ فأنتِ أكبرُ غرّكِ سِرْبال[1] عليك أحمرُ
ومِقنَع من الحرير أصفرُ وتحت ذاكِ سوْأة لو تُذكرُ

(قال أبو الحسن: أنشدني أبو العباس محمد بن الحسن الورّاقُ الشعر الذي فيه قولُهُ:

ولمّا الْتَقى الصَفّان واختَلَفَ القَنا. بتمامه وهو شِعْرٌ مختارٌ لرجل من طيءٍ ويدل على ذلك ما تَسْمعُه في الشعر وهو قوله:

جَمَعنا لَهمُ منْ حيِّ غوْثٍ ومالكٍ كتائِبَ يُردي المُقْرِفينَ نَكالُها
لهُمْ عَجُزٌ[2] بالحَزْنِ فالرمْلِ فاللّوى وقد جاوزَتْ حَيَّيْ جَديسَ رِعالُها
وتحْتَ نُحورِ[3] الخيلِ حَرشَفُ رَجلةٍ تُتاحُ لحبّات القُلوبِ نِبالُها
أبى لهُمُ أن يَعرِفوا الضَيْم[4] أنهم بَنو ناتِقٍ كانتْ كثيراً عِيالُها
فَلمّا أتَيْنا السَّفحَ[5] من بَطنِ حائلٍ بحَيثُ تَناصى طَلحُها وسَيالُها
دعَوْا لِنزارٍ وانتَمَينا لِطيِّءٍ كأُسْدِ الشَّرى[6] إقدامُها ونِزالُها
فلمّا التَقَيْنا بَيَّنَ السَيفُ فيهمُ لِسائلةٍ عنّا حَفيٍّ[7] سُؤالُها
ولمّا عَصينا بالرِّماحِ تَضَلَّعَتْ[8] صُدورُ القَنا منهم وعلّت نِهالُها
ولمّا تَدانَوْا بالسُّيوف تَقطعَتْ وسائل كانت قبْلُ سِلماً حِبالها
فَوَلَّوا وأطْرافُ الرماح عليهمُ قَوادِمُ مَربوعاتُها وطِوالها

---

(١) سربال: سروال.
(٢) العجز: مؤخرة الشيء.
(٣) نحور الخيل: هنا كناية عن الرجال الذين يمشون على أقدامهم.
(٤) الضيم: الظلم.
(٥) عرض الجبل.
(٦) أسد الشرى: ذكرت في مكان سابق.
(٧) الحفي: من يكثر السؤال.
والمقصود هنا أنه لما التحم القتال وحمي الوطيس وفتكت سيوفنا بهم وظهر فعلها لسائله كانت تكثر السؤال عنا.
(٨) تضلعت: إمتلأت بالدماء.

الكتائب جمع كتيبةٍ سميت كتيبةً لاجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض، يقال تَكَتَّبَ القومُ إذا تَضامُّوا ومنه أُخِذَ الكتابُ لانضمام حروفه، ولذلك قالوا بَغلة مكتوبة إذا شُدَّ حياؤها وضُمَّ، ويردي يُهْلِكُ، يقال رَدِيَ الرجلُ إذا هَلَكَ، والرَدى الهَلاكُ والإرْداءُ الإهلاكُ، والمُقْرِفونَ الذين دخلوا في الفَساد والعَبْثِ وهو في الأصل الهُجْنةُ يقال فَرَسٌ مُقرِفٌ إذا كان هَجيناً ثم يَشيعُ في الفساد، والعَجُزُ مؤخَّرُ العَسكرِ ههنا وهو مستعار، والحَزنُ ما خَشُنَ من الأرض وغَلُظَ واللِّوى مُسْتَدَقُّ الرَملة حيث ينقطع يقال: ألويتُمْ فانزلوا، أي صِرْتمْ إلى آخر الرملة وهو اللوى، وجَديس قبيلة معروفة فلذلك لم يَصرفها والرِعالُ الجماعات المتفرقة واحدها رَعْلةٌ، والحرْشَف نبت يكثر في البادية وإنما شَبَّهَ النَبْلَ به في الكثرة، والرَجُلةُ الرجّالةُ وتُتاح تُقدَّرُ يقال أتاحَ اللّه له كذا وكذا أي قدَّرَ له، والنِبالُ جمع نَبْلٍ والناتِقُ الوَلودُ فإذا أسْرَفتْ في ذلك وكثر ولدها جدّاً قيل مِنتاقٌ، والسفحُ أصل الجبل من الوادي، وحائل موضع، وتَناصي تقابَلَ وتقرّب حتى يَعلَق هذا بهذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح يقال: تَناصى الرجلانْ نصاءً وتناصياً إذا اقتتلا فأخذَ كلُّ واحد منهما بناصِية صاحِبه، والطَلْحُ والسَّيال ضربان من الشجر معروفان، وانتَمى ونمي انتَسَب والشَرى موضع كثير السباع وإنما يريد كإقدامِ أَسْدِ الشَرى إقدامُها ثم حَذف لعلم السامع، وعَصيْنا جعلنا الرماح كالعِصيّ، والعَلَلُ الشُرْبُ الثاني والنَهَلُ الأول يريد إنّا أعَدْناها إلى الطعن مرة بعد أخرى، وقوادم ذاتِ إقدامٍ فجاء به على الأصل كما قال.

يَخْرُجْنَ من أجوازِ ليلٍ غاضٍ أي مُغضٍ فجاء به على الأصل وهو كثير، والمَرْبوعات المُعْتدِلةُ التي لم تَبلُغْ أن تكون رُمحاً وهو رَفْعٌ كأنه قيل له ما هي فقال: هي مربوعاتها وطِوالُها ولو خَفَضَ وجَعلهُ بدل البعض من الكل لكان حَسناً وكان يكون مُقوّى ولكن هكذا أنشدَنَاهُ مرفوعاً على التقدير الذي ذكرناه)

٦ ـ باب في مدح لصبرة بن شيمان بحضور معاوية

قال أبو العباس حُدِّثتُ أن صَبرةَ بن شَيْمان الحُدَّانيَّ دخل على معاوية والوُفودُ عنده فتكلّموا فأكثروا فقام صَبرةُ فقال يا أمير المؤمنين إنّا حي فِعالٍ ولْسنا بحيّ مقالٍ، ونحنِ بأدنى فِعالنا عند أحسن مقالهم، فقال صدَقْتَ. وحُدِّثتُ أن أبا بكر رضي اللّه عنه ولّى يَزيدَ بن أبي سفيان رُبعاً من أرباع الشام فَرَقِيَ المِنبَرَ فتكلّمَ، فأرْتجَ عليه، فاسْتأنَفَ فأرْتجَ عليه، فقطع الخطبة، فقال سيَجْعَلُ اللّهُ بعد عُسْرٍ يُسْراً وبعد عيٍّ بياناً وأنتم إلى أمير فَعّالٍ أحْوجُ منكم إلى أمير قَوّال، فَبَلَغَ كلامُهُ عمرو بن العاص فقال هُنَّ مُخْرِجاتي من الشام[1]، استحساناً لكلامه.

من أقوال علي بن أبي طالب

وقال عثمان بن عَفّان رضي اللّه عنه لعامر بن عَبْد قَيسٍ العَنبريِّ ورآه ظاهِرَ[2] الأعرابيةِ: ياأعرابيُّ أين ربك؟ فقال: بالمِرْصاد[3]. وقال قائل لعليِّ ابن أبي طالب رضي اللّه عنه: أين كان ربُّنا قبل أن يَخلُقَ السمواتِ والأرضَ؟ فقال عليّ: أين سُؤالٌ عن مكانٍ، وكان اللّهُ ولا مكانَ. وحُدِّثتُ أن راهبين دخلا البصرةَ من ناحية الشام فنظرا إلى الحسن البصري، فقال أحدهما

---

(١) هي مخرجاتي في الشام. كان عمر يريد أن يزيد، فأتى بهذا الكلام الجزل الموجز بما ينشر ذكره ويزيد في فضله ويدل على عقله ونبله حتى لا يحتاج إلى مشارك له في ملكه وتدبير علمه.

(٢) ظاهر الإعرابية: يحمل سحت أهل البادية.

(٣) المرصاد: مكان ترصد منه تحركات العدو والمعنى هنا أن سبحانه وتعالى رقيب على خلقه ومطلع عليهم، لا تخفي منهم عليه خافية.

لصاحبه: مِلْ بنا إلى هذا الذي كأنّ سَمْتَهُ سَمْتَ المسيحِ فعَدَلا إليه فألفَياهُ مُفترِشاً بذَقَنِهِ ظاهرُ كَفِّهِ وهو يقول: ياعَجباً لقوم قدأُمِروا بالزاد وأُوذِنوا[1] بالرحيل وأقام أوّلهم على آخرهم فليت شعري ما الذي ينتظرون! ونظَر الحَسَنُ إلى الناس في مُصلّى البَصْرة يضحكون ويلعبون في يومِ عيدٍ، فقال الحسنُ أن اللّه جَعَلَ الصوم مِضْماراً[2] لعباده ليَسْتَبِقوا إلى طاعته فَسَبَقَ أقوامٌ ففازوا وتخلّفَ آخرون فخابوا ولَعَمْري لو كُشِفَ الغِطاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بإحسانه ومُسيءٌ باساءته عن تجْديد ثوبٍ أو تَرْطيل شَعَرٍ. قوله ترطيل شعر إنما هو تليين الشَعَرِ بالدُهْنَ وما أشبه، ويقال للرجل إذا كان فيه لينٌ وتوضيع رجلٌ رَطلٌ والذي يُوزَنُ به ويُكال يقال له رِطْلٌ بكسر الراء. وكان الحسن يقول اجْعَلْ الدنيا كالقَنطرةِ تجوزُ عليها ولا تَعْمُرُها، قوله القنطرة يعني هذه المَعْقودة المعروفة عند الناس والعرب تُسَمّي كل أزَجٍ [3] قنطرةً. قال طَرَفةُ بن العَبْدِ:

كَقَنطَرَةِ الرُّوميِّ أقْسَمَ رَبُّها لتُكْتَنَفا حتى تُشادَ بقَرْمَدِ

قوله: حتى تشاد، يقول: تُطْلى وكلُّ شيء طَلَيْتَ به البناء من جصّ أو جَيّارٍ وهو الكلِسُ فهو الشِّيدُ يقال دار مُشَيّدةٌ وقصرٌ مشيدٌ. قال اللّه عز وجل: «ولو كنتم في بُروجٍ مُشيّدةٍ»[4] وقال الشَمّاخُ:

لا تَحسِبَنّي وإن كنتُ امْرأً غُمُراً[5] كحَيّةِ الماءِ بَينَ الطينِ والشّيدِ

قال عَديُّ بن زيد العِبادي:

شادَهُ مَرْمراً وجلّلَهُ كِلْساً فلِلطيرِ في ذُراه وُكورُ

---

(١) أوذنوا بالرحيل: أعلنوا بالسفر عن هذه الديار.

(٢) مضماراً: في الأصل غاية الفرس في السباق. وهنا يريد أن اللّه يجعل الصوم غاية يتسابق إليها الخلق.

(٣) أزج: محركاً نوع من الأبنية.

(٤) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٥) الغمر: ساكن الميم، الكريم: الواسع الخلق.

والمُقَرْمَدُ المَطليُّ أيضاً، فمن ثَمَّ قال حتى تُشاد بقَرْمَدِ في معنى حتى تُطلى: ومن ذلك قول النابغة: رابي المَجَسّةِ بالعَبير مُقَرمَدِ[1].

أقوال وتفاسير للحسن البصري

وقال الحسن: تَلقى أحَدُهم أبيضَ بضّاً يَمْلَخُ في الباطل مَلخاً ينفُضُ مَذْرَويْه[2] ويضْرب أصْدَرَيْهِ،[3] ويقول ها أنا ذا فاعْرِفوني قد عَرفْناك فسَقَتك اللّه ومَقَتَك الصالحون، قوله أبيض بضاً فالبَضُّ الرقيقُ اللونِ الذي يؤثِّرُ فيه كلُّ شيء، وفي الحديث أن معاوية قدِمَ على عمر بن الخَطّاب رضي اللّه عنه من الشام، وهو أبَضُّ الناسِ فَضَرَبَ عُمَرُ بيده على عَضُدِه فأقْلَعَ عن مثل الشِراكِ، فقال هذا واللّهِ لِتَشاغُلكَ بالحَمّاماتِ وذَوو الحاجاتُ تقَطّعُ أنفُسُهُمْ حَسرات على بابك. وقال حُمَيدُ بن ثَوْرٍ الهِلاليُّ:

مُنعّمَةٌ بَيْضاءُ لَوْ دَب[4] محْوِلٌ[5] على جِلدها بَضّتْ[6] مَدارجُهُ[7] دَما

وقوله: يَمْلخُ في الباطل مَلخاً يقول يَمُرُّ مَرّاً سريعاً، يقال بَكْرةٌ مَلوخٌ إذا كانت سَهْلة المَرِّ. وقوله يَضْربُ أصدَرَيْه وأزْدَرَيْهِ فإنما يقال ذلك للفارغ، يقال جاء فلانٌ يَضرِبُ أصْدَرَيْهِ وازدَرَيْه ولا يُتَكَلَّمُ منه بواحد، ويقال فلانٌ ينقُض مذْرَويْهِ وهما ناحيتاه وإنما يوصف بالخُيَلاءِ، قال عَنترةُ:

أحَوْلي تَنْقُض اسْتُكَ مذْرَويْها لِتَقتُلَني فها أنا ذا عُمارا

---

(١) يصف فرج المتجرده في قصيدة له: وهذا غضب عليه النعمان بن المنذر وأهدر دمه، فهرب النابغة منه ومضى إلى ملوك غسان بالشام.

(٢) المذروان: بالكسر أطراف الأليتين.

(٣) الاصدران: عرقان تحت الصدغين وجاء يضرب أصدريه أي فارغاً.

(٤) الودب: مشى على هينة.

(٥) محول: بكسر الواو ما أتى عليه حول ولعله أراد به الذر والذباب.

(٦) بض الماء والدم ـ سال قليلاً قليلاً.

(٧) المدارج: المسالك واحدها مدرج يصفها بالترف والنعمه ولين الجسم والنعيمة.

وهنا يقول إن هذه المرأة بيضاء منعمة لودب الذر على جلدها لرأيت مدارجه تسيل دماً وهذا فيه مبالغة شريفة مقبولة.

ولا واحد لهما ولو أُفْرِدتْ لقلتَ في التثنيةِ مُذريَانِ لأن ذواتِ الواو إذا وقَعَتْ فيهنّ الواو رابعةً رَجَعتْ إلى الياء، كما تقول في مَلهىً مَلهَيان وهو من لَهَوْتُ وفي مَغزىً مغزيانِ وهو من غَزوتُ، وإنما فعلتَ ذلك لأن فِعلَهُ فيه الألفَ قلتَ أغْزَيْتُ وكذلك غازَيْتُ واسْتَغزَيْتُ، وإنما وجب هذا لانقلابها في المضارع نحو يُغْزي ويَسْتَغزي ويُغازي وإنما انقلبت لانكسار ما قبلها، فإن قال قائلٌ فما بالُ يَترجّى ويَتغازى يكونان بالياء نحو: هُما يَتغازيان ويَترجيّانِ، فإنما ذلك لأنهما في الأصل رجّى يُرجّي، وغازي يُغازي ثم لَحِقَتْ التاء بعد ثَبات الياءِ، والدليلُ على ذلك أن التاء إنما تَلحقُهُ على معناه فقولك مِذْرَوانِ لا واحد له لما أعلمْتُكَ، وثَبات الواوِ دليلٌ على أن أحدهما لا يُفرَدُ من الآخر فلذلك جاء على أصله.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٧ ـ باب من أشعار الصقيل العقيلي وابن حبناء التميمي

قال أبو العباس: قال يزيد بن الصَقيلِ العُقَيليُّ وكان يَسرقُ الإبل ثم تاب وقُتِل في سبيل اللّه:

ألا قُلْ لأربابِ المَخائِض أهمِلوا ... فقَد تابَ مِمّا تَعْلمونَ يزيدُ
وإنّ امْرأ ينجو من النار بَعْدما ... تَزوَّدَ من أعمالها لَسَعيدُ

وفي هذا الشعر:

إذا ما المَنايا[1] أخطأتْكَ وصادَفتْ ... حَميمَك فاعلَم أنها سَتَعودُ

قوله ألا قُلْ لأرباب المخائض، فإن الناقة إذا لَقِحَتْ قيل لها خَلِفةٌ وللجميع المخَاضُ وهذا جمْعٌ على غير واحده إنما هو بمنزلة امرأةٍ ونِساءٍ ثم جَمع الجَمْعَ فقال مَخائضُ كقولك في رسالةٍ رَسائلُ، وكما تقول في قوم أقوام فتَجْمَعُ الاسم الذي هو للجَمعِ، وكذلك أعراب وأعاريبُ وأنعامٌ وأناعيم. وقوله: أهمِلوا أي اسرحَوا إبلَكَمْ والهَمَلُ ما كان غير مَحظور وهو السُّدى ويُروى في مِثلِ قوله:

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميمك

عن بعض الصالحين (هو محمد بن الحَنَفيّةِ) أنه كان يقول: إذا مات له جار أو حَميم أوْلى لي كدتُ واللّه أكونُ السّوادَ المحترم. وقال ابن حَبناء التميمي:

---

(١) المنايا: الموت.

أعـوذُ بـاللّه من حـالٍ تُـزيّنُ لي لـوْمَ العَشيـرةِ أو تُـدني من النـار
لا أقـرَبُ البَيتَ أحبُو من مؤخَـرِه ولا أُكسِّـرُ في ابن العَمِّ أظفـاري
إن يحجُبِ اللّهُ أبصـاراً أراقِبُهـا فقد يَرى اللّه حال المُدلِجِ الساري

قوله لا أقرب البيت أحبو من مؤخره، يقول لا آتيه لريبةٍ، ومِثلُ ذلك قولُ الشاعر: (وهو عَقيلُ بن عُلّفةَ)

ولَستُ بصـادِرٍ من بَيتِ جـاري كفِعـلِ الغَيـرِ غـمّـرَهُ الـوُرودُ

يقول: لا أخرجُ خُـروجَ الخائف لأنـه إنما يقـال تَعمّر الشـارب إذا لم يَرْوَ ويقال للقدحِ الصغير الغُمَرُ من هذا، وقوله: ولا أكسر في ابن العم أظفـاري. يقول لا أغتابه وهذا مثـل كما قال الحُطيئةُ:

مَلُّوا قِـراهُ وهـرّتهُ[1] كِـلابهُـمُ وجَـرَّحـوهُ بـأنيـابٍ وأضـراسِ

وقوله: فقد يرى اللّه حال المدلج الساري فـالمُدْلِجُ الذي يسيـر من أول الليل يقال أدْلجْتُ أي سِرتُ من أول الليل وأدّلجتُ أي سرت في السحرِ. قال زُهَيرٌ:

بَكَرنَ بُكوراً وادّلَجنَ بِسُحـرةٍ. والسُّرى لا يكـون إلا سير الليـل، قال اللّه عز وجل: ﴿فأسر باهلِكَ﴾[2]، من قولك أسريْتُ وهي اللغة القُرشيّة وغيرُهم من العرب يقول سَريْتُ وقد جاءت هذه فـي القـرآن. قـال اللّـه عـز وجـل: ﴿والليل إذا يَسري﴾[3] فهذا من سَرى ولو كان أسرى لكان يُسْـري كما قـال: (هو لَبيدُ بـن ربيعةَ).

فبـاتَ وأسـرى القـومُ آخِـر ليلِهِمْ ومـا كـان وفّـاقاً بغيـر مُعصّـرِ

والمعصـر الملجأ والسـاري إنما هـو من قولـك سَرى كقـولك قضى فهـو

---

(١) هرّته: صوتت به ـ هنا وصف بالبخل.
(٢) سورة الفجر: الآية ٦٥.
(٣) سورة الفجر: الآية ٤.

قاضٍ ومِن أسرى يقال للفاعل مُسرٍ كما تقول أعطى فهو مُعطٍ كما قال الأخطلُ:

نازعتُهُمْ[1] طَيِّبَ الراحِ الشمولِ[2] وقد صاح الدَجاجُ وحانتْ وقعةُ الساري[3]

والدجاج ههنا الدُيوك يريد وقتَ السحرِ، لأنه يقال للديك هذا دَجاجةٌ فإن أردت الأنثى قلت: هذه وكذلك هذا بقرة وهذا بَطّةٌ وهذا حمامةٌ إذا أردت الذكر. ولهذا بابٌ يُذكرُ فيه ان شاء اللّه. قال جَريرٌ:

لما تَذكّرتُ بالديرَيْن[4] أرقني صَوتُ الدّجاجِ وقَرْعٌ بالنَواقيس[5]

من شعر أعرابي من بني الحارث بن كعب

(قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الأبيات الرائيّة المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن أبي عبد اللّه بن الأعرابي وهي لأحد ابنيْ حبناء أحسِبُهُ صَخراً وهما من بني تميم وكانا من الأزارِقة قال:

إني هَزئتُ[6] من أمِّ الغَمر[7] إذ هَزئتْ بشيبِ رأسي وما بالشيْبِ من عار
ما شقوةُ المَرءُ بالإقتارِ[8] يُقتِرُهُ ولا سَعادتُهُ يوْماً بإكثار

يُقتِرُهُ الهاء تعود على الإقتار.

---

(١) نازعتهم: جاذبتهم.
(٢) الشمول ـ بالفتح الخمر.
(٣) حانت وقعة الساري يريد الوقت الذي يحتاج فيه إلى النوم وهو آخر الليل. يقول دارت علينا كؤوس الخمر في هذا الوقت.
(٤) الدير: خان النصارى والجمع أديار.
(٥) النواقيس: جمع ناقوس وهو الذي يضربه النصارى لأوقات صلاتهم.
(٦) هزئت: سخرت.
(٧) أم الغمر: إسم إمرأته. يقول إني سخرت من هذه المرأة إذ سخرت حين رأت الشيب لاح برأسي والشيب لا عار فيه.
(٨) الاقتار: ضيق العيش.

إنّ الشقيَّ الـذي في النـار مَنـزِلـهُ والفَـوْزَ فَـوْزُ الـذي يَنجـو من النـار
أعـوذ بـالـلّه من أمْـرٍ يُزَيِّنُ[1] لـي لَـوْمَ العَشيرةِ[2] أو يُـدني من العـار
وخَيـرِ دُنيـا يُـنسِّـي شـرّ آخِـرةٍ وسـونَ يُنبِئُني الـجَبّـارُ أخبـاري

ثم يتفقان بَعْدُ في الرواية وكـان ربما أنشَـدَنا. إني هَـزأتُ من أم الغَمرِ). قال أبو العباس، وقال أعرابي من بني الحرث بن كَعْبٍ:

رَئِمتُ لسَلمى بَـوَّ ضَيْـمٍ وإنّـني قـديماً لآبي[3] الضَيْمِ وابنُ أُبـاةِ
فقَـدْ وقَّفتني بين شـكٍّ وشُبْهـةٍ وما كُنتُ وقّافـاً على الشُبُهـاتِ
فيـا بعلَ[4] سَلمى كم وكمْ بأذانِها عـدِمتُـكَ من بَعـلٍ تُـطيـلُ أذاتي
بِنفْسي حَبيبٌ حـال بـابُـكَ دونـهُ تَقـطّعُ نفسي دونَـهُ حَسَـراتِ
ووالّلهِ لـوْلا أن يُساءَ لـرُعْتها[5] بمـا لَيْسَ بالمأمونِ من فَتكاتي[6]

قوله: رَئِمتُ لسَلمى بَـوَّضَيْمٍ فإنمـا هذا مَثَلٌ وأصله أن الناقـة إذا أُلْقِتْ سَقْبَهـا فخيفَ انقطاع لبنهـا أخذوا جِلدَ حُـوارٍ فحَشَوْهُ تِبناً ولَـطخـوهُ بشيء من سَلاها، ثم حَشَوْا أنفها بِخرْقةٍ فتَجِدُ لذلك كَرْباً ويقال للخرقة التي تُجعَـلُ في أنفها الغِمامةُ، ثم تُسلُّ تلك الخـرقة من أنفهـا فتجدرَ رَوْحـاً، وترى ذلـك البَوّ تحتها وهو جلد الحُوار المَحْشُوُّ فَتـرأمُهُ فإن درَّت عليه قيـل ناقـة دَرورٌ وتَرأمُـهُ تَشُمُّهُ، ويقال في هذا المعنى ناقة ظَؤُورٌ فيُنْتَفَعُ بلبنها. ويقال نـاقة رائِمٌ ورؤومٌ إذا كانت تَرأمُ ولـدها أو ربَوها فـإن رئِمتْ ولم تَدرَّ عليـه فتلك العَلوق ولا خير عندها. وأنشدونا عن أبي عمرو وكان يقرأ ثم كان عـاقبةُ الـذينَ أسـاؤا

---

(١) يزين: يحسن.

(٢) عشيرة الرجل: بنوابيه.

(٣) لآبي الضيم: الآبي إسم فاعل من من قولك أبي الشيء يأباه ـ إذا كرهه وعف عنه.

(٤) بعل: الزوج.

(٥) لرعتها: أفزعتها.

(٦) الفتكات جمع فتكة وهي ركوب ما عظم من الأمور ودعت إليه الغش، يقسم بالله أنه قادر على أن يفتك به لولا أنها تساء لذلك وتفزع.

السُّوأى[1] على فُعْلى . (الشِعرُ لأفنونِ التَغلبيِّ) .

أنّى جَزَوْا عامِراً سوأي بفِعلِهِمُ ... أم كَيفَ يَجزونني السُّوأي من الحَسنِ

أم كيف يَنفَعُ ما تُعطي العَلوقِ[2] بهِ ... رِئمانَ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللبن

فقوله: رئمتُ لسلمى بَوَّضيم أي أقمتُ لها على الضَيْمِ. ويقال فلان رَؤومٌ للضَيم إذا كان ذليلاً راضياً بالخسْفِ. وقال أعرابي أحْسِبُهُ تميمياً:

وداهيةٍ داهي بها القَومُ مُفلِقٌ[3] ... شديدٌ بِعُورانِ[4] الكلامِ أَزومُها[5]

أصَختُ لها حتى إذا ما وَعَيْتُها ... رَمَيْتُ[6] بأخرى يَستديرُ أميمُها

ترى القَوْمَ منها مُطرقينَ[7] كأنما ... تَساقَوْا عُقاراً لا يَبتل سَليمُها

فلم تلقَني فَهّاً ولم تَلقَ حُجَّتي ... مُلجْلَجةً أبغي لها مَنْ يُقيمُها

قوله: وداهية يعني حُجَّةً، داهي بها القومَ مُفلِقٌ يريد عَجيبةً، والفِلقُ اسم من أسماء الدواهي. ويقال: فَلقٌ في هذا المعنى. ويقال: داهية فَليقٌ وجاء القوم بالفَليق وهذا مشهور كثير في الكلام. ومنه قول خَلفٍ الأحمرِ.

مَوتُ الإمامِ فِلقة من الفِلَق. وأنشَدَني مُنشِد:

---

(١) السوأى: ضد الحسنى وقوله من الحسن يريد بدل الحسن بالقبيح.

(٢) العلوق: صور كالناقة التي تعطف على غير ولدها ـ فلا ترأمه بل تشمه بأنفها وتمنع عنه لبنها. وقوله رئمان أنف مصدر قولك رئم الشيء كمسمع إذا أحبه وألفه.

(٣) مفلق: الذي يأتي بالفليق وهو الأمر العجيب.

(٤) عوران الكلام: القبيح من الكلام.

(٥) الأزوم: مصدر أزم ـ يأزم وهو العض بالفم كله، وقد استعاره الشاعر هنا لشدة التعلق والامساك يقول ورب حجة مملوّة بالكلام القبيح شديدة التمسك به ألقى بها إلينا خصيم مفلق ألد.

(٦) رميت بأخرى: أي بدامية أخرى والأميم الذي أصيب بأم رأسه.
يريد القول لما ألقى الينا ذلك المفلق بتلك الداهية واستمعت إليها وجمعتها في أذى رميته بحجة أشد منها، فلما قصدته وصدقته أصابه الدوار والخبل منها.

(٧) مطرقين: ساكتين.

(إذا عَرَضَتْ داويَّة[1] مُدْلَهِمة)[2] وَغرّدَ حاديها[3] عمِلنَ بنا فَلقا

بفتح الفاء، وقوله شديد بعُوران الكلام العَوْراءُ هي القبيحة. قال حاتم ابن عبد اللّه الطائيُّ:

وعَوْراءَ قد أعْرَضتُ عنها فلم تَضِرْ وذي أوَدٍ قوَّمْتُهُ فتقوَّما

وأزومُها إمْساكُها يقال أزِم به إذا عَضَّ فأمسكهُ بين ثنيَّتيْهِ. وفي الحديث أن أبا بكر رضي اللّه عنه، قال في يوم أُحُدٍ فنَظرْتُ إلى حَلقةٍ من ذرْعٍ قد نَشِبتْ في جبين رسول اللّه ﷺ فانكبتُ لأنزعَها فأقسمُ عليَّ أبو عبيدة بثنيَّتيهِ، فجذبها جذْباً رفيقاً فانتزعها وسقطت ثنيَّتُهُ، ثم نصرْتُ إلى أخرى فأرَدْتها، فأقسمَ عليّ أبو عبيدة ففعل فيها ما فعل في الأولى وكان مُشفِقاً من تحريكها لئلا يُؤذي بذلك رسول اللّه ﷺ، فكان أبو عبيدة أهتم. وقوله: فأزَم بها. يقال: أزَم يأزِمُ وأزِمَ يأزمُ. وقوله: أصختُ لها. يقول: استمعتُ لها. قال العْبديُّ (وهو المُثقِّبُ):

يُصيخُ لِلنَبأةِ أسماعَهُ إصاخةَ الناشد للمُنشد

والإصاخةُ الاستماع والناشد والطالب والمنشد المُعَرِّفُ، يقال نشَدْتُ الضالة أنشُدُها نِشْداناً إذا طلبتها، وأنشَدْتُها إذا عَرَّفتها، والنَبْأةُ الصوتُ، قال ذو الرُمّةِ:

وقد تَوَجَّسَ[4] رِكزاً[5] مُقْفِرٌ نَدُسٌ بنبْأةِ[6] الصوْتِ ما في سَمْعِهِ كَذِب

---

(١) داوية: فلاة.

(٢) المدلهمة: شديدة السواد.

(٣) الحادي: سائق الابل.

(٤) توجس: تسمع إلى الصوت.

(٥) رِكزاً: الركز بالكسر. الصوت الخفي والمقفر: الذي يسكن الفر كعضد: السريع الاستماع للصوت الخفي.

(٦) النبأة: الصوت الخفي.

وقوله: إذا ما وَعَيْتُها يقول جَمْعتُها في سمعي يقال وعَيْتُ العلم وأوعيتُ المتاع في الوعاء.

قال الله عز وجل: ﴿وَجمعَ فأوْعى﴾[1] وقال الشاعر (عبيدُ بن الأبرص):

الخَيرُ يبقى وإن طالَ الزمانُ بهِ والشرُّ أخْبَثُ ما أوعَيْتَ من زاد

وقوله: رَميتُ بأخرى يستدير أميمُها، يريد يستدير من الدُوار، ويقال في هذا المعنى يستديم ومنه سميت الدُوّامةُ. وفي الحديث كُرِهَ البولُ في الماء الدائم لأنه كالمستدير في موضعه. قال جَرير:

عَوى الشُّعَراءُ بَعضُهُم لِبعضٍ عَلَيَّ فقَدْ أصابَهُمُ انْتِقامُ
إذا أرسَلتُ صاعِقةً عليهم رأوْا أخرى تَحرَّقُ واستدامُوا

وقوله أميمها يريد المأمون بها. يقال: أميمٌ ومأمومٌ كقولك قَتيلٌ ومقتول وجريح ومجروح. ويقال للشجَّة التي قد وَصَلتْ إلى أُمّ الدماغِ، وأُمُّ الدماغ جُلَيْدةٌ رقيقة تحيط بالدِماغ، فإذا وُصلَ إلى تلك فالشَجَّةُ آمَّةٌ ومأمومة. قال الشاعر:

يَحُجُّ[2] مأمومةً في قَعْرها لَجَفٌ فاستُ الطبيبِ قذاها كالمغَاريد

المغاريد صِغارٌ من الكمأةِ، وقوله في قعرها لجف أي تقلُّعٌ. ويقال: تَلجَّفَتْ البئر إذا انقلع طَيُّها من أسفلها، ولَجَفَ القومُ مِكيالهم إذا وسّعوه من أسفله. وقوله: تَسافَوْا عُقاراً يريد كأنهم سُكارى لما نالهم من تلك الحُجة والعُقارُ اسم من أسماء الخمر، وإنما سميت عُقاراً لمُعاقرَتها الدَنَّ. وقوله: ما يَبِلُّ يقال بَلَّ وأبَلَّ من مرضه وكذلك اسْتَبَلَّ والسليمُ الملسوع. وقيل له سَليم على جهة التفَؤُل، كما يقال للمَهْلِكة مَفازةٌ وللغراب الأعورُ على الطَيرة منه لصحَّةِ بَصَرِهِ. وقوله فلم تلقني فهّاً يقول ضعيفاً. يقال فهَّ فلانٌ عن حُجّتِهِ إذا

---

(١) سورة المعارج: الآية ١٨.

(٢) يحج: سير الشجة بالمسبار، هنا وصف لطبيب رأى شجه فسبرها فخاف منها وفزع من سقها.

ضَعُفَ عنها، ويقال رجل مُفَهَّةٌ إذا كان عاجزاً. وقوله مُلَجْلَجةً وهو ان يُردِّدَها في فيه وقد مضى تفسيره.

بعض أشعار الفخر

وقال رجل يُكْنى أبا مَخزوم من بني نَهْشَلِ بن دارمٍ (هو بَشامةُ بن حَزْنٍ النهشَليُّ عن أبي رياشٍ):

إنّا بني نَهشَلٍ لا نَدّعي[1] لأبٍ ... عَنهُ ولا هو بالأبناءِ يَشْرينا
إنْ تُبتَدَرْ غايةٌ[2] يوماً لِمكرُمةٍ ... تَلقَ السَّوابقَ مِنا والمُصَلِّينا
وليس يَهْلِكُ مِنّا سيِّدٌ أبَداً ... إلا افتَلَيْنا غلاماً سيِّداً فينا
إني لِمَنْ مَعشَرٍ أفنى أوائِلَهُمْ ... قِيلُ الكُماةِ[3] ألا أينَ المُحامونا
لو كانَ في الألفِ مِنا واحدٌ فدَعوْا ... من فارسٍ خالَهُمْ إياهُ يَعْنونا
ولا نَراهم وإنْ جَلَّت رزيَّتُهمْ ... مَعَ البُكاةِ على مَن مات يَبكونا
إنّا لنُرخِصُ يَومَ الروْعِ[4] أنفُسَنا ... ولو نُسامُ[5] بها في الأمنِ أُغلينا
إذا الكُماةُ تنحَّوْا أن يَنالهم ... حدُّ الظُباتِ وصَلناها[6] بأيدينا
فَرضٌ على مُكثرينا نيلُ بَذلهم ... والجودُ والبذلُ في طَبعِ المُقِلِّينا
إني ومَن كابي يَحْمَى وعِترَتِهِ ... لا فَخرَ إلا لنا أمَّنْ يُوازينا

قوله: إنا بني نهشل يعني نَهْشَلَ بن دارِم بن مالك بن حَنظلةَ بن مالك بن زيْدِ مَناةَ بن تميمٍ، ومن قال إنّا بَنو نَهْشَلٍ فقد خَبّرَكَ وجعلَ بني خبر إنَّ، ومن قال بني فإنما جَعَل الخبر أن تُبْتَدَرْ غايةٌ يوماً لمكرُمةٍ تَلقَ السوابق منا

---

(١) ندَّعي: يريد الانتساب إلى غيره.

(٢) الغاية المكرمة بضم الراء.

وهنا وصف بالمسارعة إلى المجد والمبادرة إلى فعل الخير.

(٣) الكماة: جمع كمي وهو الشجاع. لابس السلاح.

(٤) الروع: الفزع.

(٥) منسام من السوم وهو المغالاة في الثمن عند البيع.

(٦) وصلناها بأيدينا: كناية عن الصبر على الهول وعدم الخوف وقت الشدة.

والمصلينا، ونَصَب بني على فِعل مضمَر للاختصاص، وهذا أمدحُ ومثله: نحنُ بَني ضَبّةَ أصحابُ الجَمَلْ. أراد نحن أصحاب الجمل ثم أبان من يَختصُّ بهذا؟ فقال أعني بني ضبة، وقرأ عيسى بن عمر ﴿وامرأتُهُ حَمّالةَ الحَطَبِ﴾[1] أراد وامرأتُهُ ﴿في جيدِها حبْلٌ من مَسَدٍ﴾ ثم عَرَّفها بَحَمّالة الحطب.

وقوله عز وجل: ﴿والمُقيمين الصلاةَ﴾[2] بعد قوله: ﴿لكن الرّاسخون في العِلم منهم والمؤمنون﴾[3] إنما هو على هذا وهو أبلغ في التعريف، وسنشرحُهُ على حقيقة الشرح في موضعه إن شاء اللّه. وأكثر العرب يُنشِدُ (هو لعَمرِو بن الأهتمِ المِنقريِّ):

إنّا بَني منقرٍ[4] قومٌ ذوو حَسبٍ فينا سَراةُ[5] بني سعْدٍ ونادِيها

وقرأ بعض القرّاء ﴿فَتبارك اللّهُ أحسَنَ الخالقين﴾[6] وقوله: يَشرينا يريد يَبيعُنا يقال شَراه يَشريه إذا باعه فهذه المعروفة.

قال اللّه عز وجل: ﴿وشَرَوْه بثمنٍ بخسٍ دَراهم مَعدودةٍ﴾[7] وقال ابن مُفرِّغٍ الحَميريُّ:

شَرَيْتُ بُرْداً ولولا ما تكَنَّفني من الحوادِث ما فارقتُهُ أبداً
(يابُردُ ما مَسَّنا دَهر أضرَّ بنا مِن قبْلِ هذا ولا بِعْنا له ولداً)

ويكون شَرَيْتُ في معنى اشتريتُ وهو من الأضداد، وأنشدني التوَّزيُّ:

---

(١) سورة المسد: آية ٤.
(٢) سورة النساء: آية ١٦٢.
(٣) سورة النساء: آية ١٦٢.
(٤) منقر: بطن من تميم.
(٥) سراة بالفتح: اسم جمع لسرى وهو من كانت له مروءة وشرف.
(٦) سورة المؤمنون: الآية ١٤.
(٧) سورة يوسف: الآية ٢٠.

اشْروا لها خاتِنا [1] وابغُوا لخَتنْتِها مَواسياً [2] أربعـاً فيهنّ تَـذْكيـرُ

(كان ابن جابر يَرْوي لِخُنتَتها ويقول الخُنتُ العَفَلُ). وقوله تلق السوابق منا والمصلينا، فالمُصَلي الذي في إثر السابق وإنما سُمِّيَ مصلياً لأنه مع صَلوى السابق وهما عِرقان في الرِدْفِ. قال الشاعر:

تـرَكتُ الرُمـحَ يَعْمَلُ في صَلاهُ كـأنّ سِنانـهُ خُـرْطـومُ نَسْـر

وقوله إلا افتلينا غلاماً سيداً فينا، مأخوذ من قولهم فَلَوتُ الفَلوّ يافتى إذا أخذته عن أمه. قال الأعشى:

مُلمِعٍ [3] لاعَةِ الفؤادِ إلى جَحْشٍ فَـلاهُ عـنـهـا فَـبِئسَ الـفـالـي

وأخَذَ هذا المعنى من قول أبي الطَمَحان القَيْنيّ:

آذا ماتَ منهم سَيِّدٌ قام صاحِبهْ

وقوله:

لو كان في الألف منا واحد فَدَعَوْا مَنْ فـارسٌ خـالَهُمْ إيـاه يَعنـونـا

مأخوذ من قول طَرَفةَ بن العَبْدِ:

إذا القَوْمُ قالوا مَن فتىً خِلتُ أنني عُـنِيتُ فلم أكْـسَـلْ ولم أتَـبـلّدِ

ومن قول مُتمِّم بن نُويرةَ:

إذا القَـوْمُ قالـوا مَن فتىً لعظيمـةٍ فمـا كُلُّهُم يُـدْعى ولكنّـه الفَتى

وقوله حَدُّ الظُبـات، فالـظُبةُ الحـدُّ بعينه، يقـال أصابتـه ظُبَةُ السيف وظُبـة النَّصلِ وجمعه ظباتٌ وأراد بالـظُبةِ ههنـا موضـع المَضربِ من السيف، وأُخَـذ هذا المعنى من قول كعبِ بن مالك بن أبي كعب الأنصاري:

---

(١) الخاتن الـذي يقوم بعملية الختان. وهي قطع القلفة من ذكر الغلام.

(٢) والمواسي جمع موسى وهو الذي يحلق الشعر.

(٣) الملمع: الأتان التي أشرفت على الحمل واتان لاعة الفؤاد إلى جحشها كأنها ولهى فرعاً وجزعاً من اللوعة وهي ألم الهم والمرض.

نصِلُ السُّيوف إذا قصُرنَ بخَطونا قُـدُمـاً ونُلحِقُهـا إذا لم تَـلحَقِ

وقـوله: أنـا لنُرْخِصُ يـوم الرَوْعِ أنفُسَنـا، أخذه من قـول الهَمْـذانيّ وهـو الأجدَعُ أبو مسروق بن الأجدع الفقيه:

لقـد علمتْ نِسْـوانُ همْـدانَ أنني لهُنَّ غـداة الـرَوْعِ غيـرُ خَـذولِ

وأبْـذُلُ في الهَيجـاء وجهي وإنني لـهُ في سوى الهَجْـاء غيرُ بَـذولِ

ومن القَتّالِ الكِلابيِّ حيث يقول:

أنـا ابن الأكـرَمينَ بني قُشَيـرٍ وأخـوالي الكِـرامُ بنـو كـلابِ

نُعَـرِّضُ للطِعـان إذا الـتَقَيْنـا وُجـوهـاً لا تُعَـرَّضُ للسِّبـاب

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٨ ـ باب في بعض أقوال الحكماء

قال أبو العباس قال عُمَرُ بن عبد العزيز رضي اللّه تعالى عنه: ثلاثٌ مَن كنّ فيه فقد كَمُلَ، مَن لم يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عن طاعة اللّه ولم يستنزله رضاه إلى معصية اللّه وإذا قدَرَ عفا وكفّ. وقال الحسن نِعَمُ اللّه أكثرُ من أن تُشكرَ إلا ما أعانَ عليه، وذُنوبُ ابن آدم أكثر من أن يَسلمَ منها ألا ما عفا اللّه عنه. وقال عمر بن ذَرٍّ ودخل على ابنه وهو يَجود بنفسه فقال: يابُنيّ أنه ما علينا من موتك غَضاضةٌ[1] ولا بنا إلى أحد سوى اللّه حاجةٌ فلما قضي وصلى عليه وواراه وَقَفَ على قبره فقال: ياذرُّ أنه قد شَغَلنا الحُزْنُ لك عن الحُزن عليك لأنا لا ندري ما قُلتَ ولا ما قيلَ لك، اللهم إني قد وَهَبتُ له ما قصّرَ فيه مما افترضتَ عليه من حَقّي فهَبْ له ما قَصّر فيه من حقك، واجعل ثوابي عليه له وزِدْني من فضْلك إني إليك من الراغبين. وسُئِلَ ما بلغَ من برِّه بك؟ فقال: ما مشى معي بنهارٍ قطُّ إلا قدّمَني، ولا بليل إلا تقدّمني، ولا رَقيَ سَطحاً وأنا تحته. وماتت بنت عمٍّ للمنصور فحَضَر جنازتها وجلس لدفنها، وأقبل أبو دُلامة الشاعرُ فقال له المنصور: ويحَكَ ما اعدّدتَ لهذا اليوم فقال: يا أمير المؤمنين ابنةَ عمّك هذه التي وارَيتَها قُبيلُ. قال: فضحِكَ المنصور حتى استغرب[2]. ودخل لَبطةُ ابن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك بن المُنذرِ بن الجارود، ومالكٌ عاملٌ على البصرة لخالد بن عبد اللّه القَسريِّ فقال: يا أبتِ هذا عُمَرُ

---

(١) الغضاضة المذلة والمنقصة.

(٢) استغرب: بالغ في الضحك.

ابن يزيد الأُسَيديُ ضُربَ آنفاً ألفَ سوطٍ فمات فشُدّ على حمار. فقال الفرزْدقُ: كأنك واللّه يابُني بمثل هذا الحديث قد تُحُدِّثَ به عن أبيك، والحَسَنُ إذ ذاك عند محبوس له فقال: يا أبا فِراسٍ ما عندك أن كان ذلك؟ فقال: واللّه يا أبا سعيدٍ اللّه أحَبُ إليّ من سمعي وبصري ومن مالي وولدي ومن أهلي وعشيرتي افتراه يخذُلني. فقال الحسنُ: لا وكان عمر بن يزيد الأُسَيْديُ شريفاً. حدثني التَوَزيُّ عن أبي عُبيدة قال: كان رجُل أهل البَصرةِ عُمَرَ بن يزيد الأُسَيديَّ، ورجلُ أهل الشام عمر بن هُبَيرة الفَزاريّ، ورجل أهل الكوفة بلالَ بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري، فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال: أجَل لولا خِبٌّ في بلالٍ، فقال بلالٌ لما بلغه ذلك رَمَتني بدائها وانسلّت[1]، وقتله مالك بن المُنذر تَعَصُّباً فيما تذكره المُضَريّةُ[2] فلما دُخِل بمالك على هشام أقبَلَ على أصحابه، فقال: أما رأيتم عمر بن يزيد، أما إني ما تَمنّيتَ أن تكون أمي ولدَتْ رجلاً من العرب غَيرَهُ ثم قال لمالك، قتلتَ واللّه خيراً منك حَسباً ونسَباً ودِيناً وعقِباً فقال: وكيف يا أمير المؤمنين ألَستَ ابن المنذر بن الجارود وابن مالك بن مِسْمعٍ وكان جَدُّهُ أبا أمّه، وجعل عمر والسياطُ تأخذه ينادي يا هِشاماهْ، ففي ذلك يقول الفَرَزدقُ:

ألم يَكُ مقتلُ العبْدي ظُلماً أبا حفْصٍ من الكُبَر العِظام
قتيلُ جماعةٍ في غير حقٍّ يُقطّعُ وهو يدعو ياهِشام

في حادثة تعلق الفرزدق بأستار الكعبة

والتقى الحَسَنُ والفرزدق في جنازةٍ فقال الفرزدق للحسن: أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون اجتمع في هذه الجنازة خيرُ الناس وشرُّ الناسِ. فقال الحسن كلا لستُ بخيرهم ولَستَ

(١) انسلت: إنطلقت في استخفاء وهذا مثل يضرب للرجل يرمي غيره بعيب هو فيه وغيره بريء منه ولا يغير المثل في كل حال عما سمع عن العرب. يريد بلال أن عمر بن عبد العزيز هو الذي فيه هذا الوصف.

(٢) المضرية: إحدى قبائل العرب.

بشرهم ولكن ما أعدَدْتَ لهذا اليوم، فقال شهادة أن لا إله ألا اللّه منذ ستون سنة، وَخْمسَ نجائبَ لا يُدْرَكنَ، يعني الصلوات الخمسَ، فيزعم بعض التميميّة أنه رُئيَ في النوم، فقيل له ما صَنعَ بك ربُّك فقال: غَفر لي فقيل له بأيِّ شيء فقال بالكلمة التي نازعني فيها الحسنُ. وحدثني العباس بن الفَرَج الرياشيُ في إسناد ذكرَه قال: كان الفرزدق يخرُجُ من منزله فيرى بني تميم والمصاحفُ في حُجورهم فيُسَرّ بذلك ويجذَلُ به ويقول: ايهٍ فداً لكم أبي وأمي كذا واللّه كان آباؤكم (قال أبو الحسن إنما هو فِداءٌ لكم فمن فتَحَ قَصَرَ لا غير ومن كَسر مدّ لكنه قصَر الممدود على هذه الرواية). قال أبو العباس ونظر إليه أبو هُريرة الدوْسيُّ، فقال له: مهما فعلتَ فقَنّطك الناس فلا تقنط من رحمة اللّه، ثم نظر إلى قدميه فقال: إني أرى لك قدمين لطيفتين فابْتغِ لهما موقفاً صالحاً يوم القيامة، يقال قنِطَ يقنطُ وقنط يَقنِطُ وكلاهما فصيح فاقرأ بأيهما شئت، وكذلك نَقِم يَنقَمُ ونقَم ينقِم والفرزدق يقول في آخر عُمْرِهِ حين تعلّقَ بأستار الكعبة وعاهد اللّه أن لا يكذِب ولا يشتمَ مُسْلماً:

ألم ترني عاهدْتُ ربي وأنني ... لَبينَ رتاجٍ قائماً ومقامِ
على حَلفةٍ لا أشتِمُ الدهرَ مُسلماً ... ولا خارجاً من فيّ زورُ كلام[1]

وفي هذا الشعر:

أطعْتكَ يا ابليسُ تسعين حِجّة ... فلما انقضى عُمْري وتمَّ تمامي
رجعتُ إلى ربي وأيقْنتُ أنني ... مُلاقٍ لأيام المَنون حِمامي

قوله: لَبينَ رتاجُ فالرتاج علقُ الباب، ويقال باب مُرتجٌ أي مُغلقٌ، ويقالُ أُرْتِجَ على فلان أي أُغلِقَ عليه الكلام، وقولُ العامةُ ارْتُجّ عليه ليس بشيء إلا أن التَوَّزيَّ حدثني عن أبي عُبَيدةَ قال: يقال أُرتُجَّ عليه، ومعناه وقعَ في رَجّة أي في اختلاط وهذا معنى بعيد جداً، وقوله: ولا خارجاً إنما وضعَ اسم

(١) زور الكلام: الكلام الكذب والباطل والبيت هنا معناه أني عاهدت ربي عند البيت الحرام أن لا أهجو مسلماً وان لا يخرج في فمي كلام باطل كذب.

الفاعل في موضع المصدر أراد لا أشتِمُ الدهر مُسلماً ولا يخرُجُ خروجاً من فيَ[1] زُور كلام لأنه على ذا أقسمَ، والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل يقال: ماءٌ غَوْرٌ أي غائر.

كما قال اللّه عز وجل: ﴿إن أصبَحَ ماؤُكم غَوْراً﴾[2] ويقال: رجل عَدلٌ أي عادل ويوم غمّ أي غام، وهذا كثير جداً فعلى هذا جاء المصدر على فاعِلٍ، كما جاء اسم الفاعل على المصدرِ، يقال: قُمْ قائماً فيوضع في موضع قولك، قُم قياماً وجاء من المصدر على لفظ فاعِلٍ حروفٌ منها، فُلِجَ فالجاً وعُوفيَ عافية وأحْرُفٌ سوى ذلك يسيرة. وجاء على مَفعول نحو رجل ليس له مَعقولٌ، وخذ مَيسورَهُ ودَعْ مَعْسوره لدخول المفعول على المصدر، يقال: رجل رِضاً أي مَرضيٌ وهذا درهم ضَربُ الأمير أي مَضْروبٌ، وهذه دَراهم وزن سبعةٍ أي مَوْزونةٌ. وكان عيسى بن عمر يقول: إنما قوله لا أشتِمُ حال فأراد عاهَدتُ ربي في هذه الحال وأنا غير شاتِمٍ ولا خارجٍ من فِيَّ زورُ كلامٍ، ولم يذكرُ الذي عاهَدَ عليه. وقال الفرزدق في أيام نُسْكِهِ:

أخافُ وراء القَبرِ إن لم يُعافِني ... أشدَّ من القبرُ الْتهاباً وأضْيقاً
إذا قادَني يومَ القيامة قائدٌ ... عنيفٌ وسَوّاقٌ يسوقُ الفَرزْدقا
لقدْ خابَ من أولاد آدمَ من مَشى ... إلى النار مَغلول[3] القِلادةِ مُوثَقاً
إذا شَربوا فيها الحميمَ رأيتَهُم ... يَذوبون من حَرّ الحميم تمزُّقا

من أشعار النسك عند الفرزدق

وحدثني بعض أصحابنا عن الأصمعيّ عن المُعْتَمِر بن سُليمان عن أبي مخزومٍ عن أبي شَفقَلٍ روايةِ الفرزدق، قال: قال لي الفرزدق يوماً امْضِ بنا

---

(١) فيَّ: يقصد فمي.

(٢) سورة الملك: الآية ٣٠.

(٣) مغلولٌ يريد مغلول موضع القلادة أي العنق، في عنقه الغل ـ يذكر الحال التي يكون عليها بعض الناس يوم القيامة.

إلى حَلقةِ الحسنِ فإني أريد أن أُطلِّق النَوارَ، فقلتُ: إني أخاف عليك أن تَتْبَعها نفسُك ويَشْهَد عليك الحسن وأصحابه، فقال: امْض بنا فجئنا حتى وقَفنا على الحسن، فقال كيف أصْبَحت يا أبا سعيدٍ؟ فقال: بخير كيف أصبحت يا أبا فِراسٍ؟ قال تَعَلَّمُنْ أن النوار مني طالق ثلاثاً. فقال الحسنُ وأصحابه: قد سمعنا. قال: فانطلقنا. قال فقال لي الفرزدق ياهذا أن في قلبي من النَوار شيئاً، فقلت قد حَذَّرْتُك فقال:

نَدِمْتُ ندامة الكُسَعي[1] لمّا ... غَدتْ مِني مُطلّقةً نَوارُ
(وكنتُ كفاقئٍ عَيْنَيه عمْداً ... فأصْبَح لا يُضيءُ له النهارُ
وما فارقتها شِبَعاً ولكنْ ... رأيتُ الزُهْد يأخذ ما أُعارُ)
وكانتْ جنّتي فَخرجْتُ منها ... كآدم حين أخْرجَه الضِرارُ[2]
ولو أني ملكْتُ يدي ونفسي ... لكان عَليَّ للقدرَ الخيارُ

قال الأصمعي ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجل هذا البيت:

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) الكسعي رجل من كسع، كصرد وهو حي باليمن أو من بني ثعلبة بن سعد بن قيس عيلان واسم ذلك الرجل غامد بن الحرث وقد اتخذ قوساً وخمسة أسهم وخرج للصيد فكمن ـ فمر عليه قطيع من حمر الوحش فرمى عيراً منه فنفذ منه السهم وصدم الجبل فأورى ناراً فظن أنه اخطأ فرمي ثانياً وثالثاً إلى آخرها وهو يظن خطاه فعمد إلى قوسه فكسرها وبات فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطروحة مصرَّعه وأسهمه بالدم مضرَّجةٍ فندم وشد على إبهامه فقطعها وأنشد:

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذن لقطعت خمسي
تبين لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قوسي

فضربت به العرب المثل.

(٢) الضرار بالكسر: المخالفة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٩ ـ باب في الخمريات

قال لقيطُ بن زُرارة:

شـربْتُ الخمـرَ حتى خِلتُ أنـي أبـو قـابـوس[١] أو عبْـدُ المَـدانِ
أُمشِّي في بني عُـدَسَ بن زيْـدٍ[٢] رخِـيَّ[٣] البالِ مُـنطلِق الـلسـانِ

وحدثني أبو عثمان المازني قال: أُسِر رجلٌ يوم الحسين بن عليٍّ رضي اللّه عنه فأُتيَ به يزيدُ بن معاوية، فقال له أليس أبوك القائِل:

ارجِّـلُ جُـمَّتـي[٤] وأجُـرُّ ذيْلي[٥] وتـحْـمِـلُ شِـكّـتـي افُـقٌ كـمـيْـتُ
امشِّي فـي سَـراة بني غُـطَيْفٍ[٦] إذا مـا سـامـنـي ضـيْـمٌ أبَـيْـتُ

قال: بَلى فأمَر به فقُتِل، قال أبو العباس: ونُمي إليّ أن معاوية ولّى كثير ابن شِهاب المَذْحِجيّ خُراسان فاختانَ مالاً كثيراً ثم هرب فاسْتتر عند هانىء ابن عُرْوة المُراديّ، فبلغ ذلك معاوية فنذر دم هانىء فخرج هانىء فكانَ في جوار معاوية ثم حضر مجلسهُ ومعاويةُ لا يعرفهُ، فلما نَهضَ الناس ثَبتَ مكانه، فسأله معاوية عن أمره فقال: أنا هانىءُ بن عُرْوَةَ فقال: إن هذا اليومَ

---

(١) أبو قابوس: النعمان بن المنذر ملك العرب.

(٢) عدس بن زيد بن عبد اللّه بن دارم.

(٣) رخي البال: آمناً مطمئناً.

(٤) أرجل جمتي: أجعلها سبطة والجمة بالضم مجتمع شعر الرأس وأجر ذيلي كناية عن العجب والخيلاء.

(٥) كناية عن الكبر والخيلاء.

(٦) غطيف: حي من العرب.

ليس بيومٍ يقولُ فيه أبوك أُرَجِّلُ جُمَّتي الشِعْرَ فقال له هانىء: أنا اليوم أعَزُّ مني ذلك اليومَ. فقال له: بِمَ ذاكَ؟ فقال: بالإسلام يا أمير المؤمنين. فقال له: أين كثيرُ بنِ شهابٍ؟ قال: عندي في عَسْكَرِكَ يا أمير المؤمنين فقال له معاوية: انظُرْ إلى ما اختانه فَخُذْ منه بَعْضاً وَسوِّغْهُ بَعْضاً. وقال أعرابي:

ولقد شَرِبْتُ الرَّاحِ حتى خِلتُني ... لما خَرَجْتُ أجُرُّ فضْلَ المِئْزَرِ
قابوسَ أو عَمْرو بنَ هِندٍ ماثلاً ... يُجْبى له ما دونَ دارةِ[1] قَيْصَرِ

وقال آخر:

شَرِبْنا من الدَّاذِي[2] كأننا ... مُلوكٌ لَهُم بَرُّ العِراقَيْن والبَحرُ
فلمّا انجَلَتْ شَمْسُ النّهار رأيتُنا ... تَوَلّى الغِنى عَنّا وعاوَدَنا الفَقْرُ

وقال آخر وهو عبد الرحمن بن الحَكم:

وكأسٍ ترى بَيْنَ الإناءِ وبَيْنَها ... قَذى العَينِ قَدْ نازَعْتُ أُمَّ ابانِ
تَرى شارِبَيْها حينَ يَعْتَورانِها[3] ... يَميلانِ أحْياناً ويَعْتَدِلانِ
فما ظَنُّ ذا الواشي بأرْوع[4] ماجِدٍ ... وبَدّاءَ خَوْذٍ حينَ يَلْتَقِيانِ

وقال آخر:

دَعْتني أخاها أُمُّ عَمْرٍو ولم أكُنْ ... أخاها ولم أرْضَعْ لها بلبانِ
دَعْتني أخاها بَعدمَا كان بَيْنَنا ... من الأمْرِ ما لا يَفْعَلُ الأخوانِ

وقال آخر (أنشده أبو عليّ لأمّ ضَيْغَمٍ البَلَوِيَّة):

فَبِتْنا فَوَيْق الحَيِّ لا نَحْنُ مِنْهُمُ ... ولا نَحْنُ بالأعْداء مُخْتَلِطانِ
وباتَ يَقِينا ساقِطَ الطلِّ والنَدى ... من اللَّيْلِ بُرْداً يُمْنَةٍ عَطِران
نُعَدّي بذِكرِ اللّهِ في ذاتِ بَيْنِنا ... إذا كانَ قَلْبانا بِنا يَرِدانِ

---

(١) الدارة: الأرض الواسعة الواقعة بين الجبال في دارات العرب.
(٢) الداذي: نوع من الأشربة.
(٣) يعتورانها: يتداولانها. أروع: من يعجبك
(٤) أروع: الرائع. الذي يعجبك لحسنه وجهارة منظره.

ق ٢٤٤٢

قال أبو الحسن وزادني فيه غيرُ أبي العباس:

ونصْدُرُ عَنْ زيِّ العَفافِ ورُبَّما نَقعْنا غَليلَ النفْسِ بالرشَفَانِ

قال أبو العباس: نُعَدِّي أي نَصْرِف الشر بذكر اللّه، يقال: فَعَدَّ عما تَرى، أي فانصَرِفْ عنه إلى غيره. ويقال: لا يَعْدُوَنَّكَ هذا الحديثُ، أي لا يَتجاوَزَنَّكَ إلى غيرك. قال أبو العباس: وقال رجل من قُرَيْشٍ:

مَنْ تَقرَعِ الكاسُ اللئيمةُ سِنَّهُ فلا بُدَّ يوماً أن يُسيءَ وَيجْهَلا
ولم أرَ مَطْلوباً أخسَّ غنيمةً وأوْضَعَ للأشرافِ منها وأخمَلا
وأجْدَرَ أنْ تَلْقى كريماً يَذُمُّها ويَشْرَبُها حَتى يخِرَّ مُجَدَّلا
فواللّه ما أدري أخُبْلٌ أصابَهُمْ أم العَيْشُ فيها لم يُلاقوهُ أشْكلا[1]

وقال آخر:

إذا صَدَمَتْني الكأسُ أبْدَتْ محاسِني ولم يَخْشَ نَدْماني أذاتي ولا بُخْلي
ولسْتُ بفَحَّاشٍ عليه وإنْ أسا وما شكْلُ منْ آذى نَداماهُ مِن شكلي

وقال آخر:

كُلْ هَنيئاً وما شرِبْتَ مَريئاً ثُمَّ قُمْ صاغِراً فغَيرُ كريمِ
لا أُحِبُّ النَديمَ يُومِضُ بالعَيْنِ إذا ما انتشى لعِرْسِ النَديمِ

الإيماضُ تَفحُّ البَرْقِ ولَمْحُهُ، يقال أوْمضَتْ المرأةُ إذا ابتَسَمتْ، وإنما ذلك تشبيه لِلَمْعِ ثناياها، بِتَبَسُّمِ البرق فأراد أنه فَتَحَ عينهُ ثم غَمَّضَها بغمزٍ

وقال حسّان بن ثابت:

كأنَّ سَبيئَةً[2] من بَيْتِ رأس يكونُ مِزَاجها عَسلٌ وماءُ
إذا ما الأشرِباتُ ذُكِرْنَ يوْماً فَهُنَّ لِطَيِّبِ الراحِ الفِداءُ

---

(١) أشكلا: مختلطاً، متغيراً وأصله ما كان فيه حمرة وبياض مختلطين وهنا يعيب الشاعر على الشاربين ويصفهم بفساد العقل معاً.

(٢) السبيئة: كخريمة الخمر وبيت رأس موضع بالشام تنسب إليه الخمر.

تُـوَلّـيـهـا الـمـلَامـةَ إن ألـمْـنـا إذا مـا كـان مَـغْـثٌ[1] أو لِـحـاءُ
وَنـشْـرَبُـهـا فـتَـتْـرُكُـنـا مُـلوكـاً وأُسْـداً مـا يُـنَـهْـنِـهُـنـا الـلِّقـاءُ

المَغْثُ المُماغثَةُ باليد، واللِّحاءُ المُلاحاةُ باللسان. يقول: يعْتَذِرُ المُسيءُ بأن يقول كنتُ سَكرانَ فيُعذَرُ، وقوله: كأنَّ سبيئةً يقال سَبَأتُها إذا اشتريتها سِباءً يعني الخمر، والسابيءُ الخَمَّارُ، وقوله: من بيت رأسٍ يعني موضعاً كما يقال حارِثُ الجَوْلان.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(1) المغث: الضرب الخفيف أو الشر وهتك العرض.

١٠ ـ باب في كلام الأحنف بن قيس

قال أبو العباس: قال الأحْنَفُ بن قَيْسٍ: ألا أدُلُّكم على المَحْمِدَةِ بلا مَرْزِئَةٍ[١] الخُلُقُ السجيحُ والكفُّ عن القبيح، ألا أخْبِرُكم بأدْوَإِ الداء الخُلُقُ الدَّنيءُ واللسانُ البَذيءُ. وقال الأحنف: ثلاثٌ فيَّ ما أقولُهُنَّ إلا لِيَعْتَبِرَ مُعتبِرٌ ما دَخلت بين اثنين حتى يُدْخِلاني بينهما ولا أتيتُ بابَ أحدٍ من هؤلاء ما لم أدْعَ إليه يعني السُّلطانَ ولا حَلَلْتُ حَبوَتي إلى ما يقومُ إليه الناسُ، تَكسِر الحاء وتضمها إذا أردتَ الاسم وتفتحها إذا أردتَ المصدر، أنشدني عُمارةَ بن عَقيلٍ لَجريرٍ:

قُتِلَ الزُّبَيْرُ وأنتَ عاقِدُ حُبْوةٍ ... قُبحاً لحُبْوتِكَ التي لم تُحْلَلِ

ويقال في جمع حُبْوةٍ حباً وحُباً مقصوران. وقال عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتبةَ: ما أحسَنَ الحسَنات في آثار السيّآت وأقبَحَ السيآت في آثار الحسنات، وأقبَحُ من ذاو أحسَنُ من ذاكَ السيّآتُ في آثار السيّآت والحسناتُ في آثار الحسناتِ، والعربُ تلُفُّ الخبرين المختلفين ثم تَرْمي بتفسيرهما جُمْلةً ثقةً بأن السامع يرُدُّ إلى كلٍّ خَبرَهُ. (٢)

وقال الله عزّ وجل: ﴿مِنْ رَحمَتِهِ جَعلَ لكم الليل والنّهارَ لِتسْكُنوا فيه، ولِتَبْتغوا من فَضْلِهِ﴾[٢]. وقال رجل لَسَلْمِ بن نَوفلٍ: ما أرْخَصُ السُّؤدد فيكم. فقال سَلْمٌ: أما نحنُ فلا نُسوِّدُ إلا من بَذلَ لنا مالهُ وأوْطأنا عِرْضَهُ

---

(١) المرزئة: النقص اللين السجيح السهل.

(٢) سورة القصص: الآية ٧٣.

وامتَهنَ في حاجتنا نفسه. فقال الرجل: إن السُّؤددَ فيكم لغالٍ. ولسَلْمٍ يقول القائل:

يُسَوَّدُ أقوامٌ وَلَيْسوا بسادةٍ بل السّيدُ المعروفُ سَلْمُ بن نوْفلِ

قال معاوية لعرابَةَ بن أوْس بن قَيْظِيٍّ الأنصاريِّ: بمَ سُدْتَ قومَك؟ فقال: لَستُ بسيدهم ولكني رجلٌ منهم فعزمَ عليه. فقال: أعطيْتُ في نائبتهم وَحُلْمتُ عن سَفيهِهم وشَدَدْتُ على يَدَيْ حَليمهم فَمن فعل منهم مثلَ فعْلي فهو مثلي، ومن قصَّرَ عنه فأنا أفضَلُ منه، ومن تجاوزه فهو أفضل مني وكان سَببُ ارتفاع عَرابة أنه قَدِمَ من سَفرٍ فجَمَعهُ الطريقُ والشَّماخ بن ضِرارٍ المري. فتحادثا فقال له عَرابةُ: ما الذي أقدَمَكَ المدينة، قال قَدْمتُ لأمْتار[1] منها. فملأ له عرابةُ رواحِلَهُ بُرّاً وتمراً وأتحفه بغير ذلك. فقال الشَّماخُ:

رأيتُ عرابةَ الأوْسيَّ يَسْمو إلى الخَيراتِ مُنْقَطعَ القَرينِ[2]
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمَجْدٍ تَلقّاها عَرابةُ باليَمينِ[3]
إذا بَلّغْتَني وحَمَلْتِ رَحْلي عرابةَ فاشرَقي بدَمِ الوَتينِ[4]
ومثلُ سَراةِ قوْمِك لم يُجارَوْا إلى رُبعِ الرِّهانِ ولا الثمينِ[5]

قوله: تلقّاها عرابةُ باليمين، قال أصحاب المعاني معناه بالقوّة وقالوا: مثلَ ذلك في قول اللّه عزّ وجل: ﴿والسّموات مَطوِيّاتٌ بيمينه﴾[6] وقد أحسنَ كلّ الإحسانِ في قوله:

إذا بلّغتني وحملتِ رحلي عرابةَ فاشرقي بدمِ الوتين

---

(١) امتار: أجلب الطعام لأهلي.

(٢) القرين: الصاحب.

(٣) كناية عن القوة والرغبة، يقول إذا ظهرت راية المجد والشرف راى طريقة إليه بادٍ واستبق بعزم وقوة.

(٤) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه وهذا الكلام كناية عن الهلاك والدعاء عليها بالموت لأنه لا يحتاج إليها بعد.

(٥) الثمين: لغة في الثمن.

(٦) سورة الزمر: الآية ٦٧.

يقول: لستُ أحتاج إلى أن أرحلَ إلى غيره، وقد عاب بعضُ الرُّواةِ قولهُ؛ فاشرقي بدم الوتين، وقال: كان ينبغي أن يَنظُرَ لها مع استغنائه عنها، فقد قال رسولُ اللَّه ﷺ للأنصارية المأسورة بمكة وقد نجَتْ على ناقة رسول اللَّه ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه إني نذَرْتُ إنْ نَجَوْتُ عليها أن أنحَرها. فقال رسول اللَّه ﷺ: لَبِئسَ ما جَزيْتِها، وقال: لا نذْرَ في معصيةٍ ولا نذر للانسان في غير ملكه. ومما لم يُعَبْ في هذا المعنى قول عبد اللَّه بن رَواحةَ الأنصاريِّ لما أمّرهُ رسولُ اللَّه ﷺ بعد زيْدٍ وجعَفْرٍ على جيش مُؤتة[1]:

إذا بَلَّغْتِني وحمَلْتِ رحْلي ... مَسيرةَ أرْبَعٍ بعدَ الحِساءِ
فشأنكِ[2] فانعَمي وخلاكِ ذَمٌّ ... ولا أرجِعْ إلى أهْلي وَرائي

الحِساءُ جمع حِسْيٍ وهو موضع رمْلٍ تحته صلابةٌ، فإذا مَطَرتِ السماءُ على ذلك الرمل نزل الماء فَمنعَتْهُ الصّلابةُ أن يغيضَ، ومنعَ الرملُ السّمائمَ أن تُنشّفَه، فإذا بُحِثَ ذلك الرملُ أصيب الماء يقال حِسْيٌ وأحساءٌ وحِساءٌ ممدودة. وقوله: ولا أرجع إلى أهلي ورائي مجزوم لأنه دعاء، فقوله لا هي الجازمة له ومعناه، اللهم لا أرْجِعْ كما تقول، يقول زيد ولا يَغْفِر اللّه له فهذا الدعاء يَنجَزمُ بما ينْجزمُ به الأمر والنهي، كما تقول زيد لِيَقُمْ وزيدٍ لا يَبْرحْ وقد اتّبع ذو الرُّمّة الشّماخَ في قوله:

إذا ابنَ أبي موسَى بلالاً بَلغْتِه ... فقامَ بفأسٍ بينَ وِصْليْك جازِرُ[3]

الوِصل المفْصِلُ بما عليه من اللحم يقال قطَعَ اللّهُ أوصاله ويقال وِصْلٌ وكِسرٌ وجِدلٌ في معنى واحد.

---

(١) مؤتة: بالضم. موضع بمشارف الشام قتل فيه جعفر بن أبي طالب وفيه كانت تشتهر صناعة السيوف.

(٢) فشأنك: أي إذهبي وشأنك وانعمي بالاً واستريحي من عناء السفر وقد برئت من الذم ثم دعا اللّه سبحانه أن لا يرجع إلى أهله خرجا بالشهادة في سبيله ومؤشراً لها على الرجوع.

(٣) هذا دعاء عليها بالموت والهلاك والفأس حديده معروفة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١١ ـ باب في حديث لرجل من بني تميم في الوصف

قال أبو العباس: أنشدني التوَّزيُّ لرجل من رُجّاز بني تميم في وقْعة الجُفْرة[١]:

نحْنُ ضربْنا الأزد بالعراق ... والحَيَّ من ربيعةَ المرّاق
وابنَ سُهيْلٍ قائدَ النِّفاق ... بلا مَعونات ولا أرزاق
إلا بقايا كرَمِ الأعْراق ... لشِدّة الخَشْية والإشْفاق

من المخازي والحديثِ الباقي

الأعْراقُ جمع عِرْقٍ، يقال فلان كريم العِرْقِ ولئيم العِرْق أي الأصل

وقال آخر يصِفُ ابنه:

أعرِفُ منهُ قِلّةَ النُعاسِ ... وخِفّةً في رأسِه من رأسي
كيفَ تَرَيْنَ عنْدَهُ مراسي

يخاطب أمَّ ابنه، فقوله: أعرف منه قلة النعاس أي الذّكاء والحركة، وكان عبد الملك بن مرْوانَ يقول لمؤدِّبِ ولده: عَلمْهُمُ العَوْم وهَذِّبهُمْ بقلة النوم. وكذا قال أبو كبيرٍ الهُذَليُّ:

فأتتْ به حُوشَ الجنانِ مُبَطَّناً[١] سُهُداً أذا ما نامَ ليْلُ الهَوْجَلِ[٣] وقال الآخر:

---

(١) الجفرة: موضع بالبصرة حدثت به حرب شديدة عام ٧٠ هـ.

(٢) حوش الجنان: مستوحش الفؤاد لا ينام: وأنت به ولدته.

(٣) الهوجل: البطيء، الأحمق. هنا اسند النوم إلى الليل: مجازٌ عقلي لقد أراد الشاعر المدح بالنشاط والخفة. وذكاء القلب.

فجاءتْ به حُوشَ الفُؤادِ مُسَهَّداً وأفضَلُ أولادِ الرِّجال المُسَهَّدُ

لعروة بن الورد يرد على زوجته وقد نهته عن السفر ليلاً

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ عَيْنَيّ تنامان ولا ينامُ قلبي». وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ العَبْسيُّ وهو عُرْوَةُ الصَّعاليك:

لحا اللَّهُ[1] صُعْلوكاً إذا جَنّ لَيْلُهُ مُصافي المُشاشِ[2] آلِفاً كلّ مجزَرِ[3]
يَعُدُّ العِنى من نفْسِه كلّ ليلةٍ أصاب قِراها من صديق مُيَسَّرِ[4]
ينامُ ثقيلاً ثم يُصْبِحُ قاعداً يحُتُّ الحصى عن جَنْبِه المتَعَفِّرِ[5]
يُدعينُ نِساءَ الحيِّ ما يَسْتَعِنَّهُ فيُضْحي طليحاً[6] كالبعير المُحَسَّرِ
ولكنّ صُعْلوكاً صَفيحةُ وجْهِهِ كضَوء سراجِ القابس[7] المُتَنَوِّرِ
مُطِلاً على أعدائِه يزْجُرونَهُ بساحَتِهِمْ زجْرَ المنيحِ[8] المُشَهَّرِ[9]
وإنْ بَعُدوا لا يأمَنونَ اقترابَهُ تَشَوُّفَ أهْلِ الغائب المُتَنَظِّرِ
فذلك إنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَها حميداً وإنْ يَسْتَغْنِ يوماً فأجْدِرِ
يُريحُ عليّ الليلَ أضيافُ ماجِدٍ كريمٍ ومالي سارِحاً مال فأجْدِرِ

قال أبو الحسن: كذا أنشده فذلك لأنه لم يَرْوِ أوّل الشعر، والصواب كسر الكاف لأنه يخاطِب امرأة ألا تراه قال:

أقِلّي عليّ اللَّوْمَ يا ابنةَ مالكٍ ونامي وإنْ لم تَشْتَهي ذاكِ فاسْهَري

---

(١) لحا الله فلاناً: أي قبحه، ولعنه.
(٢) والمشاش جمع مشاشة بالضم وهي رأس العظم الممكن المضغ.
(٣) والمجزر موضع الجزر يصفه بدناءة النفس وتتبع المواضع القذرة لالتقاط الطعام الدون الخسيس.
(٤) ميسر: بكسر السين كأنه من قولهم يسر الرجل تيسير أسهلت ولادة أبله وغنمه.
(٥) المتعفر: الملوث بالتراب.
(٦) الطليح: الذي به تعب وإعياء.
(٧) القابس: النور الضوء.
(٨) المنيح: كامير قدح بلا نصيب.
(٩) المشهر: من الشهرة بالضم وهي ظهور الشيء في شنعه.

قوله: يحث الحصى عن جنبه المتعفر، يريد المُتَتَرِّبَ والعَفْر والعَفَر اسمان للتراب، من ذلك قولهم عَفَّر اللّه خَدَّهُ، ويقال للظَبْية عَفْراءُ إذا كانت يَضْرِبُ بياضُها إلى حُمْرة. وكذلك الكَثيبُ الأعْفَرُ، وقوله كالبعير المحسر هو المُعْيِي، يقال جملٌ حسير وناقة حسير.

قال اللّه عزّ وجل: ﴿ينْقلِبْ إليك البصرُ خاسئاً وهو حسيرٌ﴾[1] وقوله: وان بعُدوا لا يأمَنون اقترابَهُ، على التقديم والتأخير، أراد لا يأمنون اقترابه وان بعدوا وهذا حسن في ا لإعراب إذا كان الفعل الأوّل في المجازاةماضياً كما قال زُهَيرٌ:

وان أتاه خليلٌ يوْم مسْئلةٍ يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

فإن كان الفعلُ الأول مجزوماً لم يَجُزْ رفع الثاني إلا ضرورة، فسيبويه يذهب إلى أنه التقديم والتأخير وهو عندي على ارادة الفاء لعِلّةٍ تْلزمُهُ في مذهبه نذكُرها في باب المجازاة إذا جَرى في هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى، فمن ذلك قوله:

يا أقرَعُ بن حابسٍ يا أقرعُ إنكَ إن يُصْرَعْ أخوك تُصْرَعُ

أراد سيبويه إنكَ تُصْرَعُ إن يُصرَعْ أخوك، وهو عندي على قوله إن يُصرَع أخوك فأنت تُصرَعُ يافتى ونَسْتقْصي هذا في بابه إن شاء اللّه تعالى. قوله: كيف تَرَيْنَ عنده مراسي. يقول للمرأة: عَزَزْتُكِ[2] على شَبَهِهِ، ويقال أنجَبُ[3] الأولاد ولدُ الفارِكِ[4]، وذلك لأنها تُبغِضُ زوجها فيَسبِقُها بمائه فيخرُجُ الشَبَهُ إليه فيخرج الولد مُذَكّراً. وكان بعض الحكماء يقول: إذا أردت أن تطْلُبَ ولد المرأة فأغضِبْها ثم قَعْ عليها فإنك تسْبِقُها بالماء، وكذلك ولد الفَزِعَةِ كما قال أبو كبيرٍ الهُذَليُّ:

---

(١) سورة الملك: الآية ٤.

(٢) عززتك: غلبتك.

(٣) انجب: من النجابة وهي الكرم والحسب.

(٤) الفارك: التي تبغض زوجها.

مِمَّنْ حَمَلْنَ بـه وهُـنَّ عَـواقِـدٌ حُبُكَ[1] النِّطاقِ[2] فشَبَّ غيرَ مُهَبَّلِ

(المهبل الكثير اللحم ومُهَبَّلٌ غير مدْعُوٍ عليه بالهَبَل).

حَمَلتْ بـه في لَيْلةٍ مـزْؤودةٍ[3] كَـرْهـاً وعقْـدُ نطاقها[4] لم يُحْلَلِ

مـزؤودة ذات زُؤُدٍ وهو الفـزَعُ، فمن نَصب مزؤودة فـإنما أراد المـرأة ومن خفض فإنه أراد الليلةَ وجعل الليلة ذات فزَعٍ لأنه يُفْزَعُ فيها. قال اللَّه عزّوجل: «بَلْ مَكرُ الليلِ والنَّهارِ»[5]، والمعنى بل مَكرُكمُ في الليل والنهار. وقال جرير:

لَقـدْ لُمتِنـا يـا أمَّ غَيْـلانَ في السُّـرى ونِمْتِ ومـا لـيـلُ المـطِيِّ بنـائم

وقال آخر: فنامَ لَيْلي وتجَلّى همِّي، وهذا الرجز ضدُّ ما قال الآخر في ولده فإنه أقرّ بأن امرأته غلَبَتْهُ على شَبَهِه، وذلك قوله:

والـلّه مـا أشْبَـهني عِصـامُ لا خُـلُقٌ مـنـهُ ولا قَـوامُ

نِـمْتُ وعِـرْقُ الـخـالِ لا ينـامُ

يقول عزَّتني أُمُّهُ على الشَّبَهِ فذهبَتْ به إلى أخواله. وقال آخر:

لقـد بَعثْتُ صـاحبـاً من الـعَجَمْ بين ذوي الأحْـلامِ والبِيضِ الـلُّمَمْ

كـان أبـوه غـائبـاً حتى فُـطِمْ

يقول لم يُسْقَ غيْلاً[6]؛ وقال رسول اللّه ﷺ: : هَمَمْتُ أن أنهي أمّتي عن الغيلةِ حتى عَلِمْتُ أنّ فـارس والرُّوم تفعـل ذلك بـأولادها فـلا تضيرُ أولادهـا، والغيلة أن تُرْضِعَ المرأةُ وهي حامل أو تُرْضعَ وهي تُغْشى، ويَزْعُمُ أهل الطـب

---

(١) الحبك: جمع حبكة بالضم وهي الحبل شد به على الوسط والنطاق.

(٢) النطاق: ككتاب شقه تلبسها المرأة، تشد وسطها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض والأسفل ينجر على الأرض.

(٣) مزؤودة: فيها فزع.

(٤) النطاق: ذكرت في مكان سابق.

(٥) سورة سبأ: الآية ٣٣.

(٦) الغيل: الذي ترضعه أمه وهي حامل.

من العرب والعجم أن ذلك اللبنَ داءٌ. وقالت أُمُّ تأبّط شرّاً: واللّه ما حَمَلْتُهُ تُضْعاً[1] ووُضْعاً أيضاً، ولا وَضعْتُهُ يَتْناً ولا سقَيْتُهُ غَيْلاً، ولا أَبَتُّهُ مِئَقاً. وقال الأصمعي: ولا أَبَتُّهُ على مأقَةٍ. قولها ما حملته تُضْعاً يقال إذا حملتْ المرأة عند مَقْبلِ الحيض، حَمَلْتهُ وُضعاً وتُضْعاً وإذا أخرجتْ رجلا المولود من قبل رأسه قيل وضَعْتهُ يتناً. قال الشاعر:

(١) فجاءَتْ به يَتْناً يجُتر مشيمةً تُسابقُ رِجلاهُ هناك الأنامِلا

ويقال للرجل إذا قلبَ الشيءَ عن جهته جاء به يَتْناً، قال عيسى بن عمر: سألت ذا الرُّمّةِ عن مسئلة فقال لي: أتعْرِفُ اليَتنَ؟ قلتُ: نعم، قال: فسئلتك هذه يَتْنٌ، قال: وكنت قد قبلت الكلام، والغَيْلُ ما فسرناه، وأما قولها ولا أبتُّه مِئقاً تقول: لم أُبِتْهُ مغيظاً، وذلك أن الخَرْقاءَ تُبيتُ ولدها جائعاً مَغْموماً لحاجته إلى الرضاع ثم تحركه في مَهْده حتى يغلبه الدُوارُ فيُنَوِّمَهُ، والكَيِّسةُ تُشْبِعُهُ وتُغَنّيه في مهْده فيسْري ذلك الفَرحُ في بدنه من الشِبَع كما سرى ذلك الغمُّ والجوع في بدن الآخر. ومن أمثال العرب: أنا تَئِقٌ وصاحبي مَئِقٌ فكيف نتفِقُ: التئق المملوء غيظاً وغضباً، والمئق القليل الاحتمال فلا يقع الاتفاق.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) التضع: الذي تحمل به أمه في آخر الطهر عند إقبال الحيض.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٢ ـ باب في كلام ابن عباس وعبد الله بن جعفر

قال أبو العباس: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يُزَهِّدَنّك في المعروف كُفْرُ من كفره فإنه يشْكرُك عليه من لم تصطَنِعْهُ إليه. وأنشِدَ عبدُ الله ابن جعفر قولَ الشاعر:

إنَّ الصَّنيعةَ لا تكونُ صنيعةً حتى تُصيبَ بها طريقَ المَصْنعِ

فقال: هذا رجل يريد أن يُبَخِّلَ الناس، أَمْطِرِ المعروف مَطَراً فإن صادف موضعاً فهو الذي قصَدْتَ وإلّا كنتَ أحقَّ به. (قال أبو الحسن الأخفش حدّثنا المبرّد في غير الكامل قال: قال الحَسَنُ والحُسَينُ رضوان الله عليهما لعبد الله بن جَعفَر إنك قد أسْرَفت في بذْلِ المال. قال: بأبي أنتما وأُمّي إن الله عوَّدَني أن يُفْضِلَ عليَّ، وعوَّدْتُهُ أن أُفضِلَ على عباده، فأخاف أن أقْطع العادةَ فيَقْطعَ عني). ومرَّ يَزيدُ بن المُهَلَّب بأعرابيّة في خروجه من سجْنِ عمر بن عبد العزيز يريد البَصْرة، فقَرَتْهُ عَنْزاً فقَبِلَها وقال لابنه معاوية: ما معك من النفقة؟ فقال: ثماني مائةِ دينارٍ. قال: فادْفَعْها إليها. قال له ابنه: إنك تريد الرجالَ ولا يكون الرجالُ إلا بالمال، وهذه يُرْضيها اليسير وهي بعْدُ لا تَعْرِفُكَ. فقال له: إن كانت ترضى باليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي، ادْفَعْها إليها. وزعم الأصمعي أن حرباً كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقَمَ الأمر فيها ثم مُشِيَ بين الناس بالصُّلح فاجتمعوا في المسجد الجامع قال: فبُعِثْتُ وأنا غلام إلى ضِرار بن القَعْقاع من بني دارِمٍ فاستأذنتُ عليه فأذِنَ لي، فدخلتُ فإذا به في شَمْلةٍ يخْلِطُ بَزْراً لعَنْزٍ له حَلوبٍ، فخَبَّرْتُهُ

بمُجْتَمَعِ القوم فأمْهَلَ حتى أكلت العنز ثم غسَل الصَفْحة وصاح: يا جاريةُ غَدِّينا قال فأتته بزيت وتمر. قال: فدعاني فقَذَرْتُهُ أن آكُلَ معه حتى إذا قَضى من أكله حاجةً وَثبَ إلى طينٍ مُلْقىً في الدار، فغَسل به يَدَهُ، ثم صاح: يا جارية اسقيني ماء. فأتته بماء فشَرِبَهُ ومسح فَضْلَهُ على وجهه ثم قال: الحمد للّه، ماءُ الفُراتِ بتمر البصرة بزيت الشام متى نُؤدِّي شُكْرَ هذه النِعَمِ. ثم قال: يا جارية عليَّ بردائي. فأتته بِرداءٍ عَدَنيٍّ فارْتَدَى به على تلك الشَمْلةِ. قال الأصمعي: فتجافَيْتُ عنه استقباحاً لِزِيِّه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى إلى القوم فلم تَبْقَ حُبْوَةٌ إلا حُلَّتْ إعْظاماً له. ثم جلس فتَحَمَّلَ جَميعَ ما كان بين الأحياء في ماله وانصرف. وحدثني أبو عثمان بكر بن محمد المازِنيُّ عن أبي عُبيدة قال: لما أتى زِيادُ بن عمرو المِرْبَدَ[1] في عَقِبِ قتلِ مسعود بن عمرو العَتَكِيِّ[2] جَعلَ في المَيْمَنةِ بَكرَ بن وائل وفي المَيْسَرة عبد القَيْس وهم لُكَيْزُ بن أفْصى بن دُعْمِيّ بن جَديلةَ بن أسد بن ربيعةَ، وكان زياد بن عمرو العتَكِيُّ في القَلب فبلغ ذلك الأحْنَفَ فقال: هذا غلام حَدَثٌ شأنُهُ الشُهْرَةُ وليس يُبالي أين قَذَفَ بنفسه، فَنَدَبَ أصحابَهُ فجاءه حارثةُ بن بَدْرٍ الغُدانيُّ وقد اجتمعت بنو تميم فلما طلع قال: قوموا إلى سيّدكم ثم أجلسه فناظَرهُ فجعلوا سَعْداً والرِباب[3] في القلب ورئيسُهُم عَبْسُ بن طَلْقٍ الطُعانُ المعروف بأخي كَهْمَسٍ وهو أحَدُ بني صُرَيْم بن يَرْبوع، فَجُعِلَ في القلب بحذاء الأزْدِ، وجُعِلَ حارثةُ بن بَدْرٍ في بني حَنْظلةَ بِحِذاء بَكر بن وائِل، وجُعِلَتْ عمرو بن تميم بحذاء عبد القَيْس، فذلك حيثُ يقول حارثةُ بن بَدْرٍ للأحْنف:

سَيَكفيكَ عَبْسٌ أخو كَهْمَسٍ ... مُقارعَةَ الأزْدِ بالمِرْبَدِ
وتَكْفيكَ عمْروٌ على رِسْلِها[4] ... لُكَيْزَ بن أفْصى وما عَدَّوا

(١) المربد: موضع بالبصرة.
(٢) العتكي: نسبة إلى عتيك ـ كأمير فخذ من الأزد.
(٣) الرباب: بالكسر ـ سموا بذلك لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا.
(٤) الرسل: بالكسر ـ الرفق والتؤدة وفي هذه الأبيات إقواء وهو مخالفتها.

وتَكفيـكَ بَكْـراً إذا أقبَلَتْ بِضَـرْبٍ يَشيبُ لـه الأمْـرَدُ

فلما تواقفوا بَعثَ إليهم الأحْنَفُ: يا مَعْشَرَ الأزْدِ وربيعةَ من أهل البصرة أنتم واللّه أَحَبُّ إلينا من تميمِ الكوفةِ، وأنتم جيرانُنا في الدار ويَدُنا على العَدُوِّ وأنتم بدأتمونا بالأمس ووطِئْتُمْ حَريمَنا وحَرَّقتُمْ علينا فدَفعْنا عن أنفسنا ولا حاجة لنا في الشرّ ما أصبْنا في الخير مَسْلَكاً، فتَيَمَّموا بنا طريقةً قاصدةً. فوَجَّه إليه زياد بن عمر: تخَيَّرْ خَلَّةً من ثلاثٍ: إن شئت فانزِلْ أنت وقومُكَ على حُكْمنا، وإن شئتَ فخَلِّ لنا عن البصرة وارحلْ أنت وقومُك إلى حيث شئتم، وإلا فَدوا قَتْلانا واهْدُروا دِماءَكمْ ولْيُودَ مسعودٌ دِيَةَ المُشْعَرةِ. قال أبو العباس: وتأويل قوله دِية المشعرة، يريد أمرَ الملوك في الجاهلية وكان الرجلُ إذا قُتِلَ وهو من أهل بيت المُلْكة وُدِيَ عشرَ دِياتٍ. فبَعَثَ إليه الأحنفُ: سنختارُ فانصرفوا في يومكم. فهَزَّ القومُ راياتِهِمْ وانصرفوا فلما كان الغَدُ بعث إليهم: إنكم خيرتمونا خِلالاً ليس فيها خيارٌ: أما النزول على حُكْمِكمْ فكيف يكونُ والكَلْمُ يَقْطُرُ دَماً، وأما ترك الديار فهو أخو القَتْلِ.

في الفخر

قال اللّه عزّ وجل: ﴿ولو أنّا كتبْنا عليهم أن اقتُلوا أنفسكم أو أخرجوا من دِيارِكمْ ما فَعَلوهُ إلا قليلٌ﴾[1] ولكنَّ الثالثة إنما هي حَمْلٌ على المال فنحنُ نُبْطِلُ دماءنا ونَدي قَتْلاكمْ، وإنما مسعودٌ رجل من المسلمين وقد أذْهَبَ اللّهُ أمر الجاهلية. فاجتمع القوم على أن يَقِفوا أمر مسعودٍ ويُغْمَدَ السيفُ ويُودي سائرُ القَتْلى من الأزْدِ وربيعة، فَتَضمَّنَ ذلك الأحنفُ ودَفعَ إياسَ بن قتادةَ المُجاشِعيَّ رَهينةً حتى يُؤدَّى هذا المالُ فرَضِيَ به القومُ ففَخَرَ بذلك الفرَزْدقُ فقال:

ومِنّا الذي أعْطى يَديهِ رَهينةً لِغارَيْ[2] مَعَدٍّ يوْمَ ضَرْبِ الجَماجِمِ
عَشِيَّـةَ سـالَ المِـرْبَـدانِ كـلاهُمـا عَجاجةَ مَـوْتٍ بالسيوفِ الصَّوارِمِ

= القوافي، فبعض الأبيات فيها مرفوع وبعضها مجرور وآخر منصوب.

(١) سورة النساء: الآية ٦٦.

(٢) الغاري: الجيش.

هُنالك لو تَبْغي[1] كُلَيْباً وَجدْتَها أذلَّ من القِرْدانِ[2] تحتَ المناسمِ[3]

(قال أبو الحسن: وكان أبو العباس ربما رواه لغازي مَعَدٍّ ويقال أن تميماً في ذلك الوقت مع باديتها وخُلَفائها من الأساوِرَةِ والسيَّابجَةِ وغيرهم كانوا زُهاءَ سبعين ألفاً، ففي ذلك يقول جرير:

سائِلْ ذَوي يَمَنٍ ورَهْطَ[4] مُحَرِّقٍ[5] والأزْدَ إذْ نَدَبوا لنا مَسْعودا
فأتاهُمُ سَبْعون ألفَ مُدَجَّجٍ مُتَسَرْبِلِينَ يَلامِقاً وحَديدا

قال الأحنفُ بن قيْس: فكَثُرَتْ عليَّ الدِياتُ فلم أجِدْها في حاضرة تميم، فخرجتُ نحوَ يَبْرينَ فسألتُ عن المقصود هناك فأرْشِدْتُ إلى قُبَّةٍ، فإذا شيخٌ جالس بفنائها مُؤْتَزِرٌ بشَمْلةٍ مُحْتَبٍ بحبل، فسَلَّمْتُ عليه، وانتسبت له، فقال: ما فعَلَ رسولُ الله ﷺ. فقلت: تُوُفِّيَ صلوات اللّه عليه. قال: فما فعَلَ عُمَرُ بن الخطاب الذي كان يحْفَظُ العرب ويَحوطُها. فقلت له: مات رحمه اللّه تعالى. قال: فأيُّ خَيْرٍ في حاضرتكم بعدهما. قال: فذكرتُ له الدياتِ التي لَزِمَتْنا للأزْد وربيعةَ قال: فقال لي: أقِمْ فإذا راعٍ قد أراح ألفَ بعير، فقال: خُذْها ثم أراحَ عليه آخرُ مثلها. فقال: خذها. فقلت: لا أحتاج إليها. قال: فانصرفتُ بالألف عنه ووالله ما أدري من هو إلى الساعة. قوله المناسِم واحدها مَنْسِمٌ وهو ظفْرُ البعير في مُقدَّمِ الخُفِّ: وهو من البعير كالسُنْبُكِ من الفَرس. وقوله: عشية سالَ المربَدانِ كلاهما يريد المِرْبَدَ وما يليه مما جرى مجْراه، والعرب تفعل هذا في الشيئين إذا جَرَيا في بابٍ مَجْرىً واحداً. قال الفرزدق:

أخَذْنا بآفاقِ السَّماءِ عليكم لنا قَمَراها والنُّجومُ الطَّوالِعُ

---

(١) تبغي: تطلب.

(٢) القردان: حيوانات صغيرة تعرف بالذلة.

(٣) المناسم: مفردها منسم وهو خلف البعير.

(٤) رهط: جمع.

(٥) رهط محرق، لعل المراد بمحرق امرؤ القيس بن عمرو أو الحرث بن عمرو ملك الشام أو غيرهما فهم كثير عند العرب.

يريد الشمس والقمر لأنهما قد اجتمعا في قولك النَّيِّرانِ، وغُلِّبَ الاسم المُذَكَّرُ وإنما يُؤثرُ في مثل هذا الخِفَّةُ. وقالوا: العُمَران لأبي بَكرٍ وعُمَر فإن قال قائل: إنما هو عمر بن الخطاب وعمرو بن عبد العزيز فلم يُصِبْ لأن أهل الجمَلِ نادَوْا بعَلِيِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه: أَعْطِنا سُنَّةَ العُمَرَيْنَ. فإن قال قائل: فلِمَ لمْ يقولوا أَبَوَيْ بكر وأبو بكر أفضلهما؟ فلأن عمر اسم مفرد وإنما طلبوا الخفة. وانشدني التوَّزِيُّ عن أبي عُبيْدَة لجرير:

وما لِتَغْلِبَ إنْ عدُّوا مساعِيهمْ[1] نَجْمٌ يُضيءُ ولا شمسٌ ولا قمر
ما كان يَرْضى رسولُ اللَّه فِعْلَهُمْ والعُمَرانِ أبو بكر ولا عُمَرُ

هكذا انشَدَنيه (إنما قال هكذا انشدنيه لأن غير التَّوَّزِيُّ يرويه والطيِّبان أبو بكر ولا عمر). وقال آخر (هو حُمَيْدٌ الأرْقطُ): قَدْنِيَ من نصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي، يريد عبد اللَّه ومُصْعَباً ابني الزُبَيْر، وإنما أبو خُبَيْبٍ عبد اللَّه. وقرأ بعضُ القرَّاء سَلامٌ على الياسِينَ فجَمعَهُم على لفظ الياسَ. ومن ذا قولُ العرب المسامِعَةُ والمهَالِبَةُ والمناذِرَةُ فجَمعَهُمْ على اسم الأب. والمُشْعَرةُ اسم لقَتْلى الملوك خاصَّةً كانوا يُكبِرونَ أن يقولوا قُتِلَ فلانٌ فيقولون أُشْعِرَ فلانٌ من إشعار البُدْنِ. ويروى أن رجلاً قال: حضرتُ الموْقِفَ مع عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه فصاح به صائح: يا خليفةَ رسول اللَّه ثم قال: يا أمير المؤمنين فقال رجلٌ من خَلفي دعاه باسم مَيِّتٍ، ماتَ واللَّه أمير المؤمنين. فالتَفَتُّ فإذا رجل من بني لهْبٍ وهم من بني نصْرِ بن الأزْدِ وهم أزْجرُ[2] قوم. قال كُثَيِّرٌ:

سألتُ أخا لهْبٍ لِيَزْجُرَ زجْرةً وقد صار زَجْرُ العالمين إلى لهْبِ

قال: فلما وقفنا لرمي الجمارِ إذا حصاةٌ قد صَكَّتْ صَلْعةَ عمر فأدْمتْهُ فقال قائل: أُشعِرَ واللَّه أمير المؤمين لا يَقِفُ هذا الموْقفَ أبداً. فالتفَتُّ فإذا بذلك اللهْبِيِّ بعينه، فقُتِلَ عمرُ بن الخطاب رضي اللَّه عنه قبل الحَوْلِ[3].

---

(١) المساعي جمع مسعاة وهي الكرمة.
(٢) الزجر: التهكن والعرافة.
(٣) الحول: العام.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٣ ـ باب بعض ما قيل في المال

قال أبو العباس: أنشدَني رجل من أصحابنا من بني سَعْدٍ قال: أنشدني أعرابي في قصيدة ذي الرُّمَّةِ:

أَلا يا اسْلَمِي[١] يا دارَ مَيَّ على البِلى ولا زالَ مُنْهَلاً[٢] بجَرْعائِك[٣] القَطْرُ

بيتين لم تأتِ بهما الرُواةُ وهما:

رأيتُ غُراباً ساقطاً فوق قَضْبةٍ[٤] من القَضْبِ لم يَنْبُتْ لها ورَقٌ نَضْرُ
فقلتُ غُرابٌ لاغْتِرابٍ وقَضْبةٌ لقَضْبِ النوى هذي العِيافة[٥] والزَجْرُ

وقال آخر (قال أبو الحسن هو جَحْدرٌ العُكْلِيُّ[٦] وكان لصّاً):

وقَدْماً هاجَني فازْدَدْتُ شَوْقاً بكاءُ حمامتَيْنِ تَجاوبانِ

(وقَدْماً عن أبي الحسن)

تَجاوَبَتا بلَحْنٍ أعجَمِيٍّ على عودَيْنِ من غَرَبٍ[٧] وبانِ

---

(١) أيا: للتثنية، أسلمي فعل دعاء.
(٢) أنهل المطر: سقط واشتد.
(٣) جرعاء: الرملة الطيبة.
(٤) القضب: كل شجرة طالت وبسطت أغصانها.
(٥) العيافة: بالكسر ـ زجر الطير وهو أن تعتبرها بأسمائها ومساقطها وأنوائها.
(٦) نسبة إلى جده عكل بالضم واسمه عوف بن عبد مناة حضنته أمه تعدى عكلا فلقب به وهو أبو قبيلة من العرب فيهم غباوة.
(٧) الغرب محركاً شجر.

فكـان البـانُ أن بـانتْ سُلَيْمى وفي الغَـرَبِ اغتِرابٌ غيـرُ دانِ

وأنشدني أبو مُحَلِّمٍ لرجل من ولد طَلِبةَ بن قَيْسِ بن عاصِمٍ:

وكُنْتُ إذا خـاصَمْتُ خَصْماً كَبَبْتُهُ[1] على الوَجْهِ حتى خاصَمَتني الدَّراهِمُ
فلمّـا تنـازَعْنـا الخُصـومـةَ غُلِّبَتْ عـليّ وقـالـوا قُمْ فـإنّـك ظـالـمُ

وقـرأت على أبي الفضْـل العبـاس بن الفَـرجِ الـرِيـاشـي عن أبي زيـد الانصاري:

ولقد بَغَيْتُ[2] المـالَ من مَبْغـاتِهِ والمـالُ وَجْـهُ للفتى مَعْـروضُ
طَلبَ الغِنى عن صـاحِبي ليُحِبّني إنّ الـفقيـر إلى الـغَنيِّ بَغيضُ

وقال آخر أنشدَنيه التَوَّزيُّ عن أبي زيد:

وصـاحِـب نبَّـهْتُـهُ لـيَـنْـهَـضـا إذا الكرى في عَيْنِهِ تمَضْمَضا[3]
فـقـامَ عَجْـلانَ ومـا تـأرَّضـا يَمْسَـحُ بـالكفَّينِ وجْهـاً أبيضـا

قـوله: ومـا تأرّضـا أي لم يلزم الأرض. وأنشـدني التَـوَّزي عن أبي زيـد الأنصاري (قال أبو الحسن هو شَبيبُ بـن البَرْصاء):

لـقـد عَلِمَـتْ أُمُّ الصـبيَّـينِ[4] أنّـني إلى الضيْفِ قـوّامُ السِّنـاتِ خَـروجُ
إذا المُرْغِثُ العَوْجـاءُ[5] باتَ يعُـزُّها على ضَـرْعهـا ذو تُـومَتَينِ لهُـوجُ
وإنـي لأغْـلي الـلّحـمَ نِيّـاً وإننـي لمِمّـنْ يُهينُ الـلحْمَ وهـو نـضيـجُ

قوله: قوّامُ السِّنات يريد سريع الانتباه، والسِنَةُ شـدة النُعاس وليس بـالنوم بعينه.

---

(١) كببته: صرعته.
(٢) بغيت: طلبت.
(٣) تمضمض: حرك الماء في الفم.
(٤) أم الصبيين: أراد بها امرأته.
(٥) العوجاء: الضامرة من الابل وكني بهذا الكـلام عن زمن الشدة والقحط ويـذكر أنـه كريم في ذلك الوقت.

قال اللّه عزّ وجل ﴿لا تأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نوْمٌ﴾[1] وقال ابن الرِّقاع العامِليُّ:

لَـوْلا الحَياءُ وأَنَّ رأسيَ قد عَسا[2] فيـه المَشيبُ لـزُرْتُ أُمَّ القـاسِمِ
وكـأنهـا بين النِّسـاءِ أعـارهـا عَيْنَيْـهِ احْـوَرُ من جآذِر[3] عاصمِ
وَسْنانُ[4] أقصدَهُ النُعاسُ فـرَنّقتْ في عينـه سِنَـةٌ وليس بنـائـم

في الفخر

معنى رنقت تهيأت، يقال: رنّقَ النَسْرُ إذا مَدَّ جناحيه ليطير.

قال ذو الرُمّة:

(إذا ضَـرَبْتـهُ الـريـحُ رنّقَ فـوْقَنـا على حَـدَّ قـوْسَيْنـا كمـا رنّق النسْـرُ

وقوله: المُرْغِثُ يعني التي تُرْضِعُ تُرْغِثُ ولدها، ويقـال لها رغُـوثٌ. قال طَرَفةُ:

ليْت لنـا مكـان الملْكِ عمـرو رغُـوثـاً حَـوْلَ قُبتِنـا تخُـورُ

وقوله: يَعُزُّها أي يغْلِبها.

وقال اللّه عزّ وجل: ﴿وعزَّني في الخِطاب﴾[5] ،يقول:غَلَبني في المخاطبة وأصله من قوله: كان أعزَّ منّي فيها. ومن أمثال العرب: من عَزَّ بَزّ وتأويله: من غَلَبَ اسْتَلبَ. وقال زُهَيرٌ: وعَزّتْهُ يَداهُ وكاهِلُهْ. يقـول: كان ذلـك أعَزَّ مـا فيه. ويقال: لَهِجَ الفَصيلُ فهو لَهُوجٌ إذا لَزِمَ الضَرْعْ. ويقال: رجل مُلْهِجٌ إذا لَهِجَتْ فِصـالُهُ فيَتَّخِـذُ خِلالاً فَيَشُـدُّهُ على الضَـرْعِ أو على أنفِ الفَصيـل، فـإذا جـاء لِيَرْضَعَ أوْجَعَها بالخِلال فَضَرَحَتْهُ عنها برجلها. قال الشَمّـاخ يصف الحمار:

---

(١) سورة البقرة: الآية رقم ٢٥٥.

(٢) عسا: اشتد بياضه.

(٣) الجآذر: جمع جؤذر بضم الجيم والذال وتفتح الذال ويصبح معناها ولد البقرة الوحشية.

(٤) الوسنان من به سنة.

(٥) سورة ص: الآية ٢٣.

رَعَى بـارِضَ الوَسْمِيِّ[1] حتى كـأنما يَـرَى بِسَفـا البُهْمَى أخِـلَّةَ مُلْهِـجِ

البارِضُ أوّلُ ما يَبْدُو من النبت، والبـهْمَى يُشبه السُنْبُلَ. يقول: فهـو لما اعتـاد هذا المَـرْعَى اللَّدْنَ اسْتَخْشَنَ البُهْمى وسفـاها شـوكُهـا فيقـول: كـأنـه مَخْلول عن البُهْمى أي يراها كـالأخِلَّةِ. وقولـه: ذو تُومتين فـالتُومـةُ في الأصل الحبَّـةُ ولكنها في هذا الموضع التي تُعَلَّقُ في الأذن. (وقوله: الحبة إنما معناه من حَبَّاتِ النَظْم) وكالبيت الأخير قوله:

وإني لأُغْلِي لَـحمَـهـا وهي حَـيَّـةٌ ويَـرْخُصُ عندي لَحمهـا حين تُذْبَـحُ
بـذا فـانْـدُبيني وامْـدَحيني فـإنَّني فَتىً تَـعْتَـريـه هِـزَّةٌ حـين يُـمْـدَحُ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الوسمي: قطر الربيع.

١٤ ـ باب في أقوال بعض الحكماء

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: أيُّ الجهادِ أفضلُ؟ فقال: جِهادُك هَوَاكَ. وقال رجل من الحكماء: إغْصِ النساء وهواكَ واصْنَعْ ما شئتَ. وقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: ما لَكَ من عَيْشَك إلا لَذَّةٌ تَزْدَلِف بك إلى حِمامِكَ، وتُقَرِّبُكَ من يومِك، فأيَّةُ أكْلةٍ ليس معها غَصَصٌ أو شُرْبةٍ ليس معها شَرَقٌ فتأمَّلْ أمرَك، فكأنك قد صِرْتَ الحبيبَ المفقودَ، والخَيالُ المُخْتَرَمَ، أهْلُ الدنيا أهلُ سَفَرٍ لا يَحُلُّونَ عَقْدَ رِحالِهم إلا في غيرها. قوله، تَزْدَلِفُ بكَ إلى حِمامِكَ، يقول: تُقَرِّبُكَ ولذلك سُمِّيَتْ المُزْدَلِفةُ. وقوله عزّ وجل: ﴿وزُلَفاً من الليل﴾[1]، إنما هي ساعات يَقْرُبُ بعضُها من بعض. قال العَجّاجُ:

ناجٍ طَواهُ الأيْنُ مما وَجَفا طَيَّ الليالي زُلَفاً فَزُلَفا
سَماوةَ الهِلال حَتى احْقَوْقَفا

ناجٍ سريع والأيْنُ الإعْياءُ، والوَجيفُ ضَرْبٌ من السَيْرِ، ونَصَبَ طَيَّ الليالي لأنه مصدر من قوله طواه الأيْنُ وليس بهذا الفعل ولكنّ تقديره طواه الأيْنُ طَيّاً مثل طَيِّ الليالي، كما تقول زيد يشرب شُرْب الإبل إنما التقدير يشرب شرباً مثل شُرب الإبل فمثل نَعت، ولكن إذا حذفتَ المضافَ استغنى بأن الظاهر يُبَيِّنُهُ وقام ما أضيف إليه مَقامه في الإعْراب. من ذلك قول الله

---

(١) سورة هود: الآية ١١٤.

تبارك وتعالى ﴿واسْئَلِ القَرْيَةَ﴾[1] نصب لأنه كان واسئل أهلَ القريةِ وتقولَ بنو فلانٍ يَطَؤُهُمُ الطريق، تُريد أهلُ الطريقِ، فحذفتَ أهلُ فرفعتَ الطريق لأنه في موضع مرفوع فعلى هذا فَقِسْ إن شاء اللّه. وقوله: سماوة الهلال إنما هو أعلاه، ونَصَبَ سماوةَ بطيّ يريد طواه الأيْنُ كما طَوَتِ الليالي سَماوةَ الهلال، والشاهد على أنه يريد أعْلاه قول طُفَيْلٍ:

سَماوَتُهُ أسْمالُ[2] بُرْدٍ مُحَبَّرٍ وسائِرُهُ من انْحَمِيٍّ مُشَرْعَب

ويروي مُعَصَّب: وإنما سماوته من قولك سَماءُ فاعلم، فإذا وقع الإعراب على الهاء أظهرْتَ ما نَبْنيه على التأنيث على أصله فإن كان من الياء أظهرتَ الياءَ وإن كان من الواو أظهرتَ فيه الواوَ، تقول: شَقاوةٌ لأنها من الشَقْوةِ، وتقول: هذه امرأةَ سقَّايَةٌ إذا أردتَ البناء على غير تذكير فإن بنيته على التذكير قَلَبْتَ الياء والواو همزتين لأن الإعراب عليهما يَقَعُ، فقلتَ سَقَّاءٌ وَغزَّاءٌ يا فتى فإن أنَّثْتَ قلت سَقَّاةٌ وَغزَّاةٌ، والأجْوَدُ فيما كان له تذكير الهَمْز وفيما لم يكن له تذكير الإظهار، وإنما السماء من الواو لأن الأصل سَما يَسْمُو إذا ارتفع وسَماءُ كلِّ شيء سَقْفُهُ. وقوله، حتى أحْقوقفا يريد اعْوَجَّ وإنما افْعَوْعَلَ من الحِقْفِ، والحِقْفُ النَقا من الرمْلِ يَعْوَجُّ ويَدِقُّ.

في أقوال علي بن أبي طالب

قال اللّه عزّ وجل ﴿إذْ أنذَرَ قَوْمَهُ بالاحْقافِ﴾[3] أي بموضع هو هكذا. وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في خُطْبةٍ: يا أمير المؤمنين صِفْ لنا الدنيا. قال ما أصِفُ من دارٍ أولُها عناءٌ وآخرها فناءٌ، في حَلالها حِسابٌ، وفي حرامها عِقابٌ، مَن صحَّ فيها أمِنَ ومَن مَرِضَ فيها نَدِم، ومن

(١) سورة يوسف: الآية ٨٢.

(٢) الاسمال: الثياب الممزقة.

(٣) سورة الاحقاف: الآية ٢١.

استغنى فيها فُتِنَ، ومن افْتَقَرَ فيها حَزِنَ. وقال الربيعُ بن زيادٍ الحارثيُّ: كنتُ عاملاً لأبي موسى الأشعريّ على البحرين، فكتب إليه عمرُ بن الخطاب رضي اللّه عنه، يأمره بالقُدم عليه هو وعُماله وأن يَسْتخلِفوا جميعاً قال: فلما قَدمنا أتيتُ يَرفأ فقلتُ (يا يَرفأُ[1] مُسْتَرْشِدٌ وابنُ سبيل أيُّ الهيآت أَحَبُّ إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عُمّالَه، فأوْمأ إليّ بالخشونة، فاتخذتُ خُفَّينِ مُطارَقَيْن[2] ولبستُ جُبةَ صوفٍ، ولُثتُ عمامتي على رأسي، فدخلنا على عمر فصَفَّنا بين يديه فصَعَّد فينا وصوّب، فلم تأخُذ عينُه أحداً غيري، فدعاني. فقال: مَن أنت؟ قلت الربيع بن زياد الحارثي. قال: وما تتولى من أعمالنا؟ قلتُ: البحرين. قال كم تَرتزِق؟ قلتُ ألفاً. قال كثيرٌ فما تصنعُ به؟ قلت أتَقوَّتُ منه شيئاً وأعود به على أقاربَ لي فما فضَل عنهم فعلى فقراءِ المسلمين. قال فلا بأسَ ارجِعْ إلى موضعك، فرجعت إلى موضعي من الصفِّ فصعَّد فينا وصوّب فلم تقع عينه إلا عليّ فدعاني فقال: كم سِنُّكَ؟ قلتُ خمس وأربعون سنة. قال الآن حين اسْتَحكَمتْ، ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثٌ عهدهم بلَيِّنِ العيش وقد تجوَّعْتُ له، فأتيَ بخبز وأكسارِ بعير، فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكلُ فأجِيدُ فجعلت أنظرُ إليه يلحَظُني من بينهم ثم سبقتْ مني كلمةٌ تمنّيتُ أني سُخْتُ في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدْتَ إلى طعام ألْيَن من هذا، فزجرني ثم قال كيف قلت؟ فقلتُ أقول يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين فيُخبز لك قبل إرادتك إياه بيوم، ويُطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز ليّناً واللحم غريضاً، فسكن من غربهِ وقال أههنا غُرْتَ؟ قلت نعم. فقال يا ربيع إنا لو نشاء ملأنا هذه الرحابَ من صلائقَ وسبائك وصِناب، ولكني رأيت اللّه عز وجل نَعى على قوم شهواتهم فقال: ﴿أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا﴾[3] ثم أمر أبا

---

(١) يرفأ: كيمنع مولى عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه.

(٢) مطارقين: من قوله طارق بين نعلين إذا أخفض أحدهما على الأخرى ويقال منه نعل مطارقه أي رفع رأسه نحونا وخفضه.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ٢٠.

موسى بإقراري وأن يَستبدلَ بأصحابي. قولُه فلثتُها على رأسي يقول أدَرت بعضها على بعض غير استواء، يقال رجل ألوَثُ إذا كان شديداً، وذلك من اللَّوْثِ، ورجل ألوَثُ إذا كان أهْوَجَ[1] وهو مأخوذ من اللُوثةِ[2]. وحدّثني عبد الصمدِ بن المُعدَّلِ قال: سئل الأصمعيُّ عن المجنون والمسمى قيسَ بن مُعاذٍ فَثَبَّتَهُ، وقال: لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لُوثةٌ كلوثةِ أبي حَيَّةَ الشاعِر. وقيل للأشعثِ بن قيْس بن مَعدِ يكربَ الكِنْديِّ بمَ كنتم تعرفون السُّؤدد[3] في الصبيّ منكم قال: إذا كان مَلُوثَ الأزْرةِ، طويلَ الغَزلة[4] سائلَ الغُرَّةِ كأنّ به لُوثةً فلسنا نشُكُّ في سُودَدِه. وقوله تؤتى باللحم غَريضاً يقول رَيّاً، يقال لحمٌ غَريض وشِواءٌ غَريض يُراد به الطراءُ قال: الغَسّانيُّ (هو السَمَوْأَلُ).

إذا ما فاتني لَحْمٌ غريضٌ ضَرَبْتُ ذراع بَكري فاشْتويتُ

وقوله صَلائق فمعناه ما عُمِلَ بالنار طبخاً وشيّاً، يقال صَلَقْتُ الجَنْبَ إذا شَوَيْتَهُ، وصَلَقْتُ اللحم إذا طبختَه على وجهه. وقوله سبائك يريد ما يُسْبَكُ من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحُوَّارى[5] وكانت العرب تُسَمّي الرِّقاق السّبائك وأصله ما ذكرنا. والصِّناب صِباغٌ يتّخذُ من الخرْدلِ والزبيب، ومن ذلك قيل للفرس صِنابيٌّ إذا كان في ذلك اللونِ.

وكان جرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة ففَرِكَتْ جريراً وجعلت تَحِنُّ إلى زيد فقال جرير:

تُكلِّفُني معيشةَ آلِ زيْدٍ ومَن لي بالمُرَقَّقِ والصِّنابِ
وقالَتْ لا تَضُمُّ كضَمِّ زيد وما ضمّي وليْسَ معي شبابي

---

(١) أهوج: من الهوج بالتحريك وهو طول في حمق وطيش وتسرع واللوثة بالضم الحمق والهيج ومس الجنون.

(٢) اللوثة بالضم الحمق والهيج ومس الجنون.

(٣) السؤدد: السيادة والمجد.

(٤) الغرلة: جلدة موجودة في قصبة الأنف.

(٥) الحوارى: بضم الحاء وشد الواو وفتح الراء هو لباب الدقيق.

فقال الفَرَزْدَقُ يُجيبه:

فإنْ تَفْرَكَكَ عِلجةُ آلِ زَيْـد ... ويُعْـوِزْكَ المُـرَقَّق والصِّنـابُ
فقِـدْمـاً كـان عَيْشُ أبيـك مُـرّاً ... يَعيشُ بما تعيشُ بـه الكِـلابُ

وأما قوله: أكسار بعير فإن الكِسْرَ والجِدْلَ والوِصْلَ العظمُ ينفصِلُ بما عليه من اللحم. وأما قوله، نَعى على قوم فمعناه أنه عابهم بها ووبّخَهُم. قال أبو عبيدة: اجتمع العكاظيُّون على أن فُرسانَ العرب ثلاثةٌ، ففارسُ تميمٍ عُتَيْبةُ بن الحرث بن شهاب، أحدُ بني ثَعْلبةَ بن يَرْبوع بن حَنظَلة صَيّادُ الفَوارس وسَمُّ الفُرْسان، وفارسُ قيسٍ عامرُ بن الطُفَيْلِ بن مالك بن جَعفر بن كِلابٍ، وفارس ربيعةَ بِسْطامُ بن قَيْسِ بن مسعود بن قيس بن خالد أحدُ بني شَيْبان بن ثَعْلَبةَ بن عُكابةَ بن صَعب بن علي بن بَكْر بن وائل. قال ثم اختلفوا فيهم حتى نَعَوْا عليهم سَقَطاتِهِمْ. وأما قوله: أهنا غُرْتَ، يقول ذَهَبْتَ، يقال غارَ الرجلُ إذا أتى الغَوْرَ وناحيتَهُ مما انخفض من الأرض، وأنجَد إذا أتى نَجْداً وناحيتَهُ مما ارتفع في الأرض، ولا يقال أغار إنما يقال غارَ وأنجَدَ، وبيتُ الأعشى يُنشَدُ على هذا:

نبيٌّ يَرى ما لا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ ... لَعَمْرِيَ غارٌ في البِلادِ وأنجَدا

وقوله سكن من غَرْبِهِ يقول من حَدِّه وكذلك يقال في كل شيء في السَّيْفِ والسهمِ والرجلِ وغير ذلك، وقوله: خُفين مطارَقَيْنِ تأويله مُطبقين، يقال طارَقْتُ نَعلي إذا أطبَقتها، ومن قال طَرَقْتُ أو أطرَقْتُ فقد أخطأ. ويقال لكل ما ضوعِفَ قد طورقَ قال ذو الرُّمّة (يصِفُ صَقْراً):

طِراقُ الخَوافي[1] واقِعٌ ريعةٍ ... نَدى لَيلهِ في ريشِهِ يَتَرَقرَقُ

قوله ريعةٍ موضعُ ارتفاعٍ قال الله عز وجل: ﴿أتَبْنونَ بكُلِّ ريعٍ آيةً تَعْبَثون﴾[2]، وهو جمع ريعة. وقال الشَّمّاخ.

---

(١) الخوافي: بعض من ريش الطائر، وقد يختفي إذا بسط الطائر جناحيه.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٢٨.

تَعِنُّ لـه[1] بِمَذْنَبِ كلِّ وادٍ إذا ما الغَيْثُ أخْضَلَ كلَّ رِيع

أقوال لعمر بن عبد العزيز

قال أبو العباس وحدثني العباس بن الفَرَجِ الرياشيُّ عن الأصمعي قال: قال عَديُّ بن الفُضَيْلِ: خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز استحضره بئراً بالعَذْبةِ فقال لي: وأين العَذْبةُ؟ فقلت على ليلتين من البصرة، فتأسف ألا يكونَ بمثل هذا الموضع ماءٌ فأحْفَرني واشترط عليّ أن أوّل شارب ابنُ السبيلِ، قال فَحَضَرْتُهُ في جُمْعة وهو يخطُبُ فسمعتُهُ وهو يقول: يا أيها الناس إنكم مَيِّتون ثم إنكم مَبعوثون ثم إنكم مُحاسَبونَ فَلَعمري لئن كنتم صادقين لقد قَصَّرْتمْ ولئن كنتم كاذبين لقد هَلَكتُمْ، أيها الناس أنه من يُقدَّر له رزقٌ برأس جبل أو بحَضيضِ أرض يأتِهِ، فاتقوا اللّه وأجمِلوا في الطلَبِ. قال: فأقمْتُ عنده شهراً ما بي إلا استماع كلامه. قوله بحَضيض يعني المُسْتَقَر من الأرض إذا انحَدرَ عن الجبل، ولا يقال حَضيضٌ إلا بحَضرةِ جبلٍ يقال: حضيضُ الجبلِ ويُطرَحُ الجبلُ فيُسْتَغْنى عنه لأن هذا لا يكون إلا له ومن ذلك قول امْرىءِ القَيْس: نظرْت إليه قائماً بالحضيض.

وعظ لعلي بن أبي طالب رضي اللّه عنه

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه: يا ابن آدم لا تحْمِلْ همّ يومك الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه فإنه إن يُعلَمْ من أجلِك يأتِ فيه رزقك، واعلم أنك لا تَكسِب من المال شيئاً فوق قوتِكَ، إلا كنت خازِناً لغيرك فيه. ويروي للنابغة (هذا من شعر أوْسِ بن حَجَرٍ مُثْبَتٌ فيه في كلمة لم يعْرفها الأصمعي:

ولَسْتُ بخابىءِ أبداً طعاماً جِذارَ غَدٍ لِكُلِّ غدٍ طعامُ

---

(١) تعن: تظهر، والضمير المرفوع يعود إلى الاتن الوحشية والجار والمجرور إلى الصائد والمذنب كمنبر: مسيل الماء إلى الأرض.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: من كان آمناً في سَرْبِهِ، مُعافى في بَدنه، عنده قوتُ يَوْمِهِ كان كمَنْ حِيزتْ[1] له الدنيا بحَذافيرِها[2] (كذا وقعتْ الرواية بفتح السين عن أبي العباس والصواب كسرها وإنما السَرْبُ بفتح السين المال الراعي) قوله ﷺ في سربه يقول في مَسْلكِهِ يقال فلان واسعُ السَربِ وخليُّ السَرْب يريد المَسالكَ والمذاهِب، وإنما هو مَثلٌ مضروب للصَدر والقلب يقال حَلَّ سَرْبَه أي طريقه حتى يَذهب حيث شاء ويقال ذلك للابل لأنها تَنسَربُ في الطُرُقات، ويقال: سَرَّبْ عليَّ الابل، أي أرْسلها شيئاً بعد شيء فإذا قلت سِرْبٌ بكسر السين فإنما هو قَطيعٌ من ظِباءٍ، أو بقر أو شاء، أو نساء، أو قَطا، قال امْرُؤُ القيسِ:

فعَنَّ لنا سِربٌ كأنّ نِعاجَهُ عذارى دُوارٍ في المَلاءِ المُذيَّلِ

دُوارٌ تُسُكٌ يَنْسَكون عنده في الجاهلية ودُوّارٌ ما استدار من الرمل ودَوّارٌ سِجْنُ اليَمامةِ. قال بعض اللُصوص (واسمه جَحْدرٌ):

كانت مَنازلُنا التي كُنا بها شَتّى فألّفَ بيننا دوّارُ

وقال عُمَرُ بن أبي ربيعةَ:

فَلَمْ تَرَ عَيْني مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرجْنَ علينا من زُقاق ابن واقِفِ

من أقوال الحجاج

وكان الحسنُ يقول ليس العَجَبُ ممن عَطِب كيف عَطِب إنما العَجَبُ ممن نجا كيف نجا، وكان الحجّاج بن يوسف يقول على المِنبر: أيها الناس اقْدعوا هذه الأنْفُس فإنها أسْأَلُ شيءٍ إذا أُعْطيَتْ، وامْنَعُ شيءٍ إذا سُئِلَتْ فرحِم اللّه امْرأً جَعَل لنفسه خِطاماً[3] وزِماماً فقادها بخِطامها إلى طاعة اللّه، وعَطَفها بزِمامها عن معصية اللّه، فإني رأيت الصَّبر عن محارم اللّه أيْسَر من الصبر

---

(١) حيزت: من حوز وهو جمع.

(٢) حذافيرها: جوانبها.

(٣) خطام: ما يوضع في أنف البعير ليقاد به.

على عذابه. قوله اقدعوا يقول امْنعُوا يقال قَدَعْتُهُ عن كذا أي منعته عنه ومنه قول الشَمّاخ:

إذا ما اسْتهافهُنّ ضَربْن منه مَكانَ الرُمْح من أنْفِ القَدوع

قوله استافهُنّ يعني حِماراً يَسْتافُ أُتُناً، يقول يَرْمحْنَهُ إذا اشْتَمَهُنّ والسَوْفُ الشَمُّ. وقوله مكان الرمح من أَنْفِ القَدوع يريد بالقَدوع المقدوع وهذا من الأضداد، يقال طريق ركوبٌ إذا كان يُرْكَبُ، ورجل ركوبٌ للدوابِّ إذا كان يَرْكَبُها، ويقال ناقة رفُوثٌ إذا كانت تُرْضِعُ وحُوار رَغُوثٌ إذا كان يرْضَعُ، ومثل هذا كثير يقال شاة حَلوبٌ إذا كانت تُحْلبُ ورجل حلوبٌ إذا كان يحْلُبُ الشاة، والقدوعُ ههنا البعير الذي يُقدعُ وهو ان يريد الناقةَ الكريمة، ولا يكون كريماً فيُضْربُ أَنفُهُ بالرُمْح حتى يَرْجع. يقال قدعْتُهُ وقدعْتُ أنفه. ويروى أن رسول اللّه ﷺ لما خَطب خديجةَ بنت خُوَيْلِدِ بن أَسد بن عبْد العُزّى بن قُصيّ ذِكر ذلك لورقة بن نوفلٍ فقال: محمد بن عبد اللّه يخطب خديجة بنت خُوَيْلِدٍ الفحْلُ لا يُقذعُ أنفه. وكان الحجاج يقول: إنّ امْرأً أَتتْ عليه ساعةٌ من عُمْره لم يَذكُرْ فيها ربه أو يستغفرْ من ذنبه أو يُفكّرْ في مَعاده لجديرٌ أَن تطولَ حَسرتُهُ يوم القيامة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٥ ـ باب في الحض على القتال

قال أبو العباس أنشدني عمارة بن عقيلٍ لنفسه يُحضُّ بني كعبِ وبني كِلاب ابني ربيعةَ بن عامر بن صَعصعة بن معاوية بن بكْر بن هَوازِن على بني نُمَيْرِ بن عامر بن صعصعة وبينهم مُطالَباتٌ وِتراتٌ[١] وكانت بنو نُمَيْر أعداءَ عمارة، فَكان يحُضُّ عليهم السلطانَ ويُغري بهم إخْوَتَهُمُ، ويحاربهم في عشيرتِهِ فقال:

رَأَينا كُمايا ابْنَيْ ربيعةَ خُرْتماً[٢] لِبَضِّ الحروبِ والعَديدُ[٣] كثيرُ
وصَدَّقْتُما قولَ الفَرَزْدقِ فيكما وكَذَّبْتُما ما كان قالَ جَريرُ
أصابَتْ نُمَيْرٌ منكمُ فوق قَدرِها فكُلُّ نُمَيريٍّ بذاكَ أميرُ
فإنْ تَفخَروا بما مَضى من قَديمكمْ فَقَدْ هُدِّمَتْ مدائنُ وقُصور
رَمَتْها مجانيقُ[٤] العَدوّ فَقُرِّضتْ مَدائنُ منها كالجبال وسور
وشَيَّدَها الأملاك[٥] كِسرى وهُرمزٌ وآلُ هِرَقلٍ حِقْبةً ونضِير
فإن تَعْمُروا المجدَ القَديمَ فلم يَزلْ لكم في مُضِرّاتِ[٦] الحُروب ضريرُ

---

(١) ترات: الظلم، مفردها ترة.

(٢) خرتما: من الخور: الضعف ـ ضعفتما تو اكلمتا.

(٣) العديد: اسم من العدد هو الأحصاء.

(٤) مجانيق واحدها منجنيق بفتح الميم وكسرها آلة ترمى بها الحجارة.

(٥) كسرى بكسر الكاف، وبفتح ملك الفرس، مغرب خسرو ومعناه واسع الملك والرمز والهرمزان الكبير من ملوك العجم. وهرقل ملك الروم أول من ضرب الدنانير وأول من أحدث التجارة.

(٦) المضرات: التي تأتي بالضرر.

خَبَطْتم ليوثَ الشأمِ حتى تناذَرت[1] حماكُم وحتى لا يَهِرُّ عَقور
فكيف بأكنافِ الشُرَيفِ[2] تُصيبُكمْ ثَعالبُ[3] يَبْحثنَ الحَصى وأُبورُ

قوله فقد هُدّمَت مدائن وقصور مَثَلٌ يريد أنّ مَجدَكم الذي بناه آباؤكم، متى لم تَعمُروا بأفعالكم خَرِبَ وذهبَ، وهذا كما قال عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب.

لَسْنا وإن كرُمَتْ أوائِلُنا يوماً على الأحساب نتّكِلُ
نبْني كما كانت أوائِلُنا تَبني ونفعَلُ مثلَ ما فَعَلوا

وكما قال الآخر:

ألهى بني جُشَمٍ[4] عن كلّ مَكرُمةٍ قصيدةُ قالهَا عَمْرو بن كُلثومِ
يُفاخِرون بها مُذ كان أوّلهُمْ يا لِلرجالِ لِفَخرٍ غيرِ مَسؤمِ
إنّ القديم إذا ما ضاعَ آخِرُهُ كساعِدٍ فَلَّهُ الأيامُ محطومِ

وكما قال عامر بن الطُفَيلِ العامريّ:

إني وإن كنتُ ابنَ فارسِ عامِرٍ وفي السرّ منها والصريحِ المُهذّبِ
فما سَوّدَتْني عامِرٌ عن وِراثةٍ أبى اللّه أن أسمو بأمٍّ ولا أب
ولكنني أحمي حِماها وأتّقي أذاها وأَرمي مَن رماها بمِقتَبِ[5]

(قال أبو الحسن أنشدني هذه الأبياتَ محمد بن الحسن المعروف بابن الحَرون، ويكنى أبا عبد اللّه العامر بن الطُّفيل العامِري قال أبو الحسن قال الأصمعي: وكان عامر بن الطفيل يُلَقَّبُ مُحَبِّراً لِحُسنِ شِعْرِهِ وأوّلها:

---

(١) تناذروا: أي أنذر بعضهم بعضاً.
(٢) الشريف: ماء لبني نمير بنجد.
(٣) الثعالب جمع ثعلب وهو في الأصل ذلك الحيوان المعروف بالضعف والخبث.
(٤) جشم: كصرد ـ عبد حبشي حضن الحارث بن لؤي فقيل لبنيه بنو جشم وأراد بالقصيدة التي قالها عمرو بن كلثوم تلك القصيدة المشهورة التي أولها ألا هبي بصحنك فأصبحينا وهي من المعلقات.
(٥) المقتب كمنبر زهاء ثلثماية من الخيل.

تقولُ ابنةُ العَمريّ مالَكَ بَعْدَما ... أراكَ صحيحاً كالسّليمِ المُعَذّب
فقلتُ لها همّي الذي تَعْلمينَهُ ... من الثأرِ في حَيّيْ زُبَيْدٍ وأَرْحَب
إنَ اعْزَزُ زُبَيْداً أَعَزُ قوماً أَعِزّةً ... مُركّبُهُمْ[1] في الحيّ خيرُ مُرَكّب
وإن أَعْزَ حَيّيْ خَثعَمٍ فدِماؤُهمْ ... شفاءٌ وخيرُ الثأرِ للمُتَأَوّبِ
فما أدْرَكَ الأوْتارَ مِثلُ مُحقّقٍ ... بأجْردَ طاوٍ كالعَسيب المُشَذّب
وأسمَرَ خطيّ وأبْيَضَ باتِرٍ ... وزغْفٍ دلاصٍ كالغَديرِ المُثوّب
سِلاحُ امْرِءٍ يَعْلمُ الناسُ أنّهُ ... طَلوبُ لثاراتِ الرجال مُطَلّب

ثم نأتي بإنشاد أبي العباس على وجهه إلا أنه رَوى مَن رماها بمَنكِبٍ السليم الملدوغ، وقيل له سليم تفاؤلا له بالسلامة، وزُبيدٌ وأرحَبُ حَيّانِ من اليمن، والثأر ما يكون لك عند من أصاب حَميمَك من التِرةِ ومن قال ثار فقد أخطأ. والمتأوب الذي يأتيك لطلب ثأره عندك. يقال: آب يؤبُ إذا رَجَع والتأويبُ في غير هذا السير في النهار بلا توقُّفٍ. والأوتار والأحقادُ واحدهما وِترٌ وحِقْدٌ، والأجردُ الفرس المُتَحسِّرُ الشَعر والأجرد الضامر أيضاً، والعسيب السَعفةُ والمُشَذَّبُ الطويل الذي قد أُخِذ ما عليه من العُقَدِ والسُلاّء والخُوص، ومنه قيل للطويل المُعَرّقِ مُشَذّب، وخَطيّ رمح منسوب إلى الخطّ، وهي جزيرة بالبحرْيْن يقال إنها تُنبِت عَصى الرِماح. وقال الأصمعي: ليستْ بها رماح ولكن سفينة كانت وقعتْ إليها فيها رماحٌ وأُرْفِئتْ بها في بعض السنين المتقدمة، فقيل لتلك الرماح الخطّيّةُ ثم عَمّ كلَّ رمحٍ هذا النَسبُ إلى اليوم، والزغف الدرع الرقيقة النسج والمثوّب الذي تُصَفّقُه الرياح فيَذْهَبُ ويجيء، وهو من ثابَ يَثوبُ إذا رجَعَ، وإنما سُميّ الغَديرُ غديراً لأن السيل غادَرهُ أي تركه). قال أبو العباس وقوله لكم في مُضِرّاتِ الحروب ضرير، يقال رجل ذو ضريرٍ إذا كان ذا مشقة على العَدوّ. وقال مُهَلهِلُ بن ربيعة التَغْلَبيُّ:

قتيلٌ ما قتيلُ المَرءِ عمْرٍو ... وهمّامُ بن مُرّةَ ذو ضريرِ

(ما زائدة وفيها معنى التعظيم) وقوله: خبطتم لُيوث الشام، يريد ما كان

(١) كمركب: معظم الأصل والمنبت.

من نصرِ بن شَبَثٍ العُقَيْليّ وهو عُقَيل بن كعبِ بن ربيعة. وقوله وأُبور جمع وبرٍ[1] إذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز وقد ذكرنا ذلك قبلُ وقال عُمارة أيضاً لهم أنشَدنيه:

ألا للّهِ درُّ الحيّ كعْبٍ ذوي العَددِ المضاعَفِ والخُيول
أما فيهم كريمٌ مثْل نصْرٍ يورّع عَنهُم سَنَنَ الفُحول
تنوْخُهُمْ[2] نمَيْرٌ كلّ يوم كفِعْل أخي الغَزارة بالذّليل
وليْسوا مثلَ عُشرِهم ولكن يضيع القوم من قِبَل العُقول
فإن فوارس السلمَات عنهم وجعْدة والحريشُ وذو الفضول
وأين عبادة الخَشْناء عنهم إذا ما ضاقَ مطّلع السبيل

قوله ألا للّه درّ الحي كعب، يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعْصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرِمةَ بن خَصَفَةَ بن قيس ابن عَيْلانَ بن مضر، وقوله أما فيهم كريم مثل نصْرٍ، يعني نصر بن شبثٍ أحد بني عُقْيل بن كعب بن ربيعة، وقوله يورع عنهم سنن الفحول هو مثلٌ ضربهُ فجعلهم لامساكهم عن الحرب بمنزلة النُّوق التي يَقْرَعهُا الفَحْل، ويُورِّع يَكُفُّ ويَمْنَعُ ويَدْفَعُ، والوَرَعُ في الدين إنما هو الكَفُّ عن أخذ الحرام، وجاء في الحديث: لا تنظروا إلى صومه ولا إلى صلاته، ولكن انظروا إلى وَرَعِهِ إذا أشْفى ومعناه إذا أشرف على الدينار والدرهم والسَنَنُ القَصْدُ، ثم أبان ذلك بقوله: : تَنوَّخُهُمْ نُمَيْرٌ كلَّ يوم يقال سانَّ الفحلُ الناقةَ فتَنوَّخَها، وذلك إذا ركبها من غير أن توَطَّأ له، ولكن يَعْترِضُها اعْتراضاً وتقول العرب ان ذلك أكرم النِّتاج، وذلك الولد يخرج صَليبا مُذكَّراً، ويقال لذلك الحَمْلِ الذي يقع من التَّوخِ والاعتراض يَعارَةً، وعِراضٌ يقال حمَلتْهُ عِراضاً وحملتْه يعارةً يا فتى. قال الراعي:

---

(١) الوبر بسكون الباء دويبه كالسنور.

(٢) تنوخ الجمال: إذا بركت من ناخ، أو أناخ.

قَلائِص[1] لا يُلْقَحْنَ إلا يَعارةً عِراضاً ولا يُشْرَبْنَ إلا غَواليا

وقال الطِرِمَّاحُ:

سوفُ تُدنيكَ من لَميس سَبَنْدَا ةٌ أمارَتْ بالبول ماءَ الكِراض

نَضَّجَتْهُ عِشرين يوماً ونيلَتْ حينَ نيلتْ يَعارةٍ في عِراض

قوله سَبَنداةٌ فهي الجريئةُ الصَدْرِ، يقال للجَريءِ الصدرِ سَبْنتاة وستبنداه وأصل ذلك في التَمرِ وزعم الأصمَعيُّ أن الكِراضَ حَلَقُ الرَحِمِ قال: ولم أسمَعهُ إلا في هذا الشِعرْ، وقوله نَضَّجَتْهُ عشرين يوماً إنما هو أن تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ أياماً نحْوَ الذي عَدَّ فلا يخرج الولد الا مُحْكَماً. قال الحُطيئةُ:

لِأدماءَ منها كالسَّفينةِ نَضَّجَتْ به الحَوْلَ حتى زاد شهراً عَديدُها

والعَزازةُ العِزُّ والمَصادر تقع على فَعالة للمبالغة يقال: عَزَّ عِزّاً وعَزازة كما يقال الشراسةُ والصرامةُ.

قال اللّه تعالى: ﴿قال يا قوْم ليس بي سفاهة﴾[2]. وفي موضع آخر ﴿ليس بي ضلالة﴾[3]، وقوله بأينَ فوارس السُّلمات، يريد بني سَلَمةِ الخيرِ وبني سَلَمة الشرابَنيْ قُشيْر بن كعب وَجَمَعَ لأنه يريد الحيَّ أجمَعَ كما تقول المَهالبةُ والمَسامِعةُ فتجمعهم على اسم الأب على المهلَّبِ ومِسْمعٍ، وكذلك المَناذرةُ، وقد مرت الحجة في هذا وجَعْدةُ بن كَعْبٍ والحريشُ بن كعب وبنو عُبادة من بني عُقَيْلِ بن كعبٍ.

وقال الخَنْساء يريد القبيلة وذكرها بالخشونة على الأعداء. ويروى أن

---

(١) القلائص: جمع قلوص وهي من الإبل الشابة الباقية على السير، يصف هذه النوق بالقوة والكرم وان الفحل لا يقع عليها إلّا معارضة من غير أن توطأ له.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٦٧.

(٣) سورة الأعلاف: الآية ٦١.

معاوية بن أبي سُفْيان رحمه اللّه تعالى قال لدَغْفَلِ بن حَنظلَةَ النَّسّابةِ ما تقول في بني عامر بن صَعْصَعةَ.

فقال، أعناق ظِباءٍ وأعْجازُ نِساءٍ، قال: فما تقول في بني تميم؟ قال: حَجرٌ أَخْشَنُ إن صادَمْتَهُ آذاكَ وان تَرَكتَهُ تركك. قال: فما تقول في اليَمَنِ؟ قال سَيِّدٌ وأنْوَكُ[1].

قال أبو العباس وأنشدني عُمارةُ لنفسه وسبب هذا الشعر الذي نذكره أن رجلاً من بني تميم يُكْنى أبا سَعْدٍ كان منقطعاً إلى أبي نصر بن حُمَيْدٍ الطائيِّ ثم أحد بني نَبْهانَ، وكان أبو نصر والياً على العرب، وكتب أبو سعد إلى عُمارة يأمره أن يَضَعَ يده في يد أبي نصر، فقال عَمارة:

دعاني أبو سَعْدٍ وأهدى نصيحةً إليَّ ومِمّا أنْ تَغُرَّ النصائِحُ

(مما بمعنى رُبما).

لأُجْزِرَ لَحْمي كلبَ نَبهانَ كالذي دعا القاسِطِيَّ حَتْفُهُ[2] وهو نازحُ
أبو البُرْجميُّ حين أهداه حَيْنُهُ لِنارٍ عليها مُوقِدانِ وذابِح
ورأيُ أبي سَعْدٍ وإنْ كان حازماً[3] بصيراً وان ضاقَتْ عليه المَسارح
أعار به مَلعونَ نَبْهانَ سَيفَهُ على قومِهِ والقولُ عافٍ وجارحُ
ونَصْرُ الفَتى في الحرْبِ أعداءَ قومِهِ على قوْمِهِ للمَرْءِ ذي الطَعْم فاضِحُ

قوله لاجزر لحمي كلب نبهان، أي لا كونَ جزرَةً له والجَزَرةُ البَدَنةُ تُنْحَرُ، يقال أجْزَرْتُ فلاناً وتركتُ فلاناً جزراً. قال عنترةُ العَبسيُّ:

إنْ تَشْتِما عِرْضي فإنّ أباكما جَزَرَ السِّباعِ وكلُّ نَسرٍ قَشْعَمِ[4]

وقوله كالذي دعا القاسطيَّ حَتْفُهُ وهو نارِح فهذا رجل من النَمِرِ بن قاسطٍ

---

(١) أنوكُ: أحمقُ.
(٢) الحتف: الموت.
(٣) الحزم: ضبط الأمور.
(٤) القشعم: المسن من النسور.

خرج يبتغي قرظا من بعدٍ، فنهَشَتْهُ حيّةٌ فمات فهو أحد القارِظَيْنِ، والقارِظُ الأول من عَنزةَ كان خرج مع ابن عَمٍّ له في قلب القَرَظِ فقتله ابن عمه لأنه كان يريد ابنته فمنعه منها. قال أبو خِراشٍ الهُذَليُّ (الصحيح أن الشعر لأبي ذؤيْب).

وحتى يُؤوبَ القارِظانِ[1] كلاهما ... ويُنشَرَ في القَتْلى كُلَيْبُ لِوائِلِ

وقوله كالذي دعا القاسطي حتفه، الهاء في حتفه ترجع على الذي وتقديره كالسبب الذي دعا القاسطيَّ حَتفُهُ، وقوله أو البُرْجميَّ فهذا رجل من البَراجِمِ وهم بنو مالك بن حَنْظَلةَ كان عمرو بن هندٍ لما قَتَل بني دارمٍ بأوارَةَ[2]، وكان سببُ ذلك أن أخاه أسْعَدَ بن المُنذِر وكان مُسْتَرْضَعاً في بني دارِمٍ في حَجْرِ حاجب بن زُرارةَ بن عُدَسَ بن زيد بن عبد اللّه بن دارِمٍ، انصرف ذات يوم من صَيدِهِ وبه نبيذٌ فعبثَ كما تعْبَثُ الملوك فرماه رجل من بني دارم بسهم فقتله، ورَمى ناقةً بسهم فقتلها والرجلُ الذي قتله سُوَيْدُ بن ربيعةَ بن زيد بن عبد اللّه بن دارِمٍ) ففي ذلك يقول القائل وهو عمرو بن مِلْقَطٍ الطائيُّ لعمرو بن هند:

فاقتُلْ زُرارةَ لا أرى ... في القوم أوْفى من زُرارهْ

فغَزاهم عمرو بن هند فقتلهم يوم القُصَيْبة ويوم أُوارَةَ ففي ذلك يقول الأعْشى:

وتكونُ في الشَرَفِ المُوا ... زي مِنْقَراً وَبني زُرارهْ

أَبْناءَ قَوْمٍ قُتِّلوا ... يَوْمَ القُصَيْبةِ والأُوارهْ

ثم أقسَمَ عمرو بن هندَ ليحَرِّقَنَّ منهم مائة فبذلك سُمِّي مُحَرِّقاً، فأخَذَ تسعة وتسعين رجلاً فَقَذَفَهُمْ في النار، ثم أراد أن يُبِرَّ قَسَمَهُ بعجوز منهم لتَكمُلَ بها العِدَّةُ فلما أمَرَ بها قالت العجوز (على ما ذَكَرَ أصحابُ الأخبار اسمها

---

(١) القارظان: الأول ابن عنزة. والثاني ابن عمه عامر بن رهم وكلاهما من عنز.

(٢) أواره: جبل لتميم.

الحَمْراءُ بنت نَضْلةَ) ألا فتىً يَفْدي هذه العجوز بنفسه ثم قالت: هيهات صارت الفِتْيانُ حُمَماً، ومَرَّ وافدُ البَراجِمِ وهو الذي ذكَرْنا فاشْتَمَّ رائحة اللحم فظَن أن المِلِكَ يتخذ طعاماً فَعَرَّج إليه فأُتِيَ به إليه فقال له: من أنت؟ فقال أبيْتَ اللَعْن[1] أنا وافد البراجم فقال عمرو أن الشَقيَّ وافِدُ البراجِمِ، ثم أَمرَ به فقُذِف في النار.

في هجاء جرير للفرزدق

ففي ذلك يقول جَرير يُعيِّرُ الفَرَزدَق:

أينَ الذينَ بنار عَمْرٍو حُرِّقوا ... أمْ أينَ أسْعَدُ فيكمُ المسْترضَعُ

وقال أيضاً:

وأخزاكُمُ عَمْرٌو كما قد خَزيتُمُ ... وأدرَكَ عَمّارا شقيّ البَراجِمِ

وقال الطِرِّماح:

ودارِمٌ قد قَذَفْنا منهُمُ مائةً ... في جاحِمِ[2] النار إذ يَنْزونَ بالجَدَدِ[3]
ينزونَ بالمُشتَوى منها ويوقِدُها ... عمرو ولوْلا شُحومُ القَوْمِ لم تَقِدِ

ولذلك عُيِّرَتْ بنو تميم بحب الطعام يعني لطمع البُرْجميِّ في الأكل. قال يزيد بن عمرو بن الصَعِق[4] أحد بني عمرو بن كلابٍ:

ألا أبْلِغْ لَدَيْكَ بني تميمٍ ... بآية ما يُحِبُّونَ الطَّعاما

وقال آخر (ذكر ابن حَبيبٍ أن هذا الشعر لأبي مُهَوِّشٍ الفَقْعَسيِّ وذكرِ دغْبِلٌ أنه لأبي الهَوَسَ الأَسَديِّ):

إذا ما مات مَيْتٌ من تميمٍ ... فَسَرَّكَ أن يعِشَ فجيءَ بزادِ

---

(١) أبيت اللعن: عبارة تستعمل في الجاهلية وفيها دعاء بأن يقيك الله فعل ما تؤاخذ عليه.
(٢) الجاحم: الجمر شديد الاشتعال.
(٣) والجدد بالتحريك: الأرض الغليظة المستوية.
(٤) الصعق: لقب خويلد بن نفيل ولقب فارس لبني كلاب.

بِخُبزٍ أو بتَمْرٍ أو بلَحْمٍ أو الشيءِ المُلَفَّفِ في البِجادِ[1]
تَراهُ يُنَقِّبُ[2] البَطْحاءَ حَوْلاً ليأكلَ رأسَ لُقمانَ بن عادِ

وقوله للمَرْءِ ذي الطَعْمِ يعني الراجع إلى عقل، يقال فلان ليس بذي طَعْم وفلان ليس بذي نَزَلٍ أي ليس بذي عقل ولا معرفةٍ وإنما يقال هذا طعام ليس له نَزَلٌ إذا لم يكن ذا رَيْعٍ ومن قال نُزْلٌ في هذا المعنى فقد أخطأ وقال اعرابي يَهْجو قوماً من طَيّىءٍ:

ولَمّا أن رأيتُ بني جُوَيْسٍ جُلوساً ليس بينهم جَليسُ
يئِسْتُ من التي أقبَلتُ أبْغي لَدَيهِمْ إنني رَجُلٌ يَؤُسُ
إذا ما قلتُ أيُّهُمُ لأيٍّ تَشابَهَتِ المناكِبُ والرؤوسُ

قوله جلوساً ليس بينهم جليس يقول هؤلاء قوم لا يَنتَجِعُ الناسُ معروفهم فليس فيهم غيرهم، وهذا من قبح الهِجاءِ ومن أمثال العرب سَمْتُهُمْ في أديمِهِمْ ومعناه في مأدومهم، وقيل أديم ومأدوم مثل قتيلٍ ومَقتولٍ وتقول الحكماء من كَثُر خيره كثر زائره، وقال المُهلّبُ بن أبي صُفرة لبنيه يا بَنيّ إذا غَدا عليكم لرجل وراحَ مُسلِّماً فكفى بذلك تقاضياً وقال الآخر:

أروحُ لِتسليمٍ عليكَ واغتدي وحَسْبُكَ بالتسليم مِني تَقاضيا
كفى بِطِلابِ المرْءِ ما لا يَنالُهُ غَناءً وباليأسِ المُصَرِّحِ ناهيا

(وربما قال أبو العباس هو مُصَرَّحٌ بكسر الراء قال أبو الحسن والكسر أجود:

في أفضل المديح

ومن أحسن المدح قول زُهَيرٍ:

قد جعل الطالبون الخيرَ في هَرِمٍ والسائلون إلى أبوابِهِ طُرُقاً

---

(١) البجاد: بالكسر: ثوب مخطط.

(٢) ينقب: كناية استعملت هنا للدلالة على الشره والجشع.

وقال رُؤْبةَ:

ليس لـرؤبة وهـو لابن أبي نُخَيْلةَ إنّ النَـدى حَيْثُ نـرى الضِغـاطـا[1]

وقال آخر:

يَـزْدَحِـمُ الـنـاسُ عـلى بـابـهِ والمَشـرَبُ العَذْبُ كثيـرُ الـزِّحـام

وقال أَشْجَعُ في محمد بن منصور:

عـلى بـاب ابن مَـنصـورٍ عَـلامـاتٌ مـن البَـذْلِ
جمـاعـاتٌ وحَسْبُ البـا بِ نُـبْـلاً كـثـرةُ الأهـل

وقوله تشابهت المناكب والرؤوس إنما ضـربه مَثـلاً للأخـلاق والأفعال أي ليس فيهم مُفَضَّلٌ ويقال إن الأضبطَ بن قُرَيْعِ بن عَـوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ بـن زَيدِ مَناةَ بن تميم آذَتْهُ عَشيرتُهُ من بني سَعدٍ، فخرج عنهم فَجَعلَ لا يُجاوِرُ قوماً إلا آذَوْهُ فقال: أينما أذهَبْ أُلْقَ سَعْداً أي أفِرُّ من الأذى إلى مثله.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الضغاط والمزاحمة. واستعملت هنا كناية عن الإكرام والقيام بواجبات الضيف.

١٦ ـ باب في أطايب المجالس

قال أبو العباس قال أبو ادريس الخَوْلانيُّ: المَساجِدُ مجالِسُ الكِرام وقيل للأحنف بن قَيْسٍ أحد بني مُرَّةَ بن عُبَيْدِ بن الحَرثِ بن كَعْبِ بنَ سَعْدٍ أي المجالس أطيَبُ؟ فقال ما سافر فيه البصر واتَّدَعْ فيه البَدنُ. اتدَعَ افتَعل من التَوْديعِ والأصل أو تَدعَ فتَقلِبُ الواو ياء لانكسار ما قبلها وهذا القول مذهب أهل الحجاز، يقولون ايتزر ياتَزِر، وهو رجل مُوتَزِرٌ والأجود أن تقلب ما كان أصله الواوَ والياءَ في باب افتَعَل تاءً وتُدْغِمَها في التاء من افْتَعَل فتقول، اتّدعَ يَتّدِعُ وهو مُتّدِعٌ ومُتَزرٌ ومُتَعِدٌ من الوَعْدِ ومُتَّئِسٌ من اليأس تكون الياء كالواو لأنها ان أُظهِرَتْ انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالواو، وتكونانِ واوين عند الضمة نحو مُوعِدٍ وموتَعِدٍ وموئِسٍ ومؤتَسٍ وياءين للكسرة. والواو قد تُقْلَبُ إلى التاء ولا تاءَ بعدها، نحو تُراثٍ من وِرِثْتُ وتُجاهٍ من الوجهِ ونُكاةٍ وإنما ذلك كَراهيةَ الضمة في الواو وأقربُ حروف الزوائد والبَدَلِ منها التاءُ فقُلِبَتْ إليها. وقد تُقْلَبُ للبدل في غير ضم نحو هذا اتْقى من هذا، وضربته حتى أتْكأتُهُ فلما كانت بعدها تاء افْتَعَل كان الوجهُ القلبَ ليقع الادغام وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب المُقتَضَبِ.

في خير المجالس

وقيل للمُهَلَّب بن أبي صُفْرةَ. ما خَيرُ المجالس فقال ما بَعُدَ فيه مَدى الطرْفِ وكثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس. ويروى عن لُقْمانَ الحكيم أنه قال لابنه:

يا بُنيّ إذا أتيتَ مجلسَ قومٍ فارْمِهِمُ بسَهْم الإسلام ثم اجلس، فإن أفاضوا في ذكر اللّه فأجِلْ سَهْمَك مع سهامهم، وان أفاضوا في غيره فَخلِّهِمْ وانهَضْ، قوله فارمهم بسهم الإسلام يعني السّلام وقوله، فأجلْ سهمك مع سهامهم يعني ادْخُلْ معهم في أمرهم، فَضَرَبَهُ مَثلاً من دخول الرجل في قِداحِ المَيْسِر[1]، وقال وهْب بن عبد مَناف بن زُهْرة جَدّ رسول اللّه ﷺ لأمه:

وإذا أتيْتَ جماعةً في مجْلِسٍ فاخْتَرْ مجالسَهُمْ ولما تَقْعُدِ
ودَعِ الغُواة الجاهِلينَ وَجهلَهُمْ وإلى الذين يُذكِّرونكَ فاعمِد

وقال ابن عباس رحمه اللّه: لجليسي عليّ ثلاثٌ أن أرْميَهُ بطَرْفي إذا أقبل وأُوَسِّع له إذا جلس وأُصْغي إليه إذا حَدّثَ.

في ما يفعله القعقاع بن شور

وكان القَعْقَاعُ بن شَوْرٍ أحدُ بني عمرو بن شَيْبان بن ذُهْلِ بن ثَعْلَبةَ بن عُكابَةَ بن صَعْب بن علي بن بَكْرِ بن وائلٍ إذا جالسه جَليسٌ فَعَرَفَهُ بالقَصْد إليه جَعَل له نصيباً في ماله، وأعانَهُ على عدُوِّهِ، وشَفعَ له في حاجته، وغد إليه بعد المجالسة شاكراً له حتى شُهِرَ بذلك، وفيه يقول القائل:

وكُنتُ جَليسَ قَعْقاعِ بن شَوْرٍ ولا يَشْقى بقَعْقاعٍ جَليسُ
ضَحوكُ السِنّ أن امروا بخيرٍ وعند السُّوءِ مِطراقٌ عَبوسُ

وحدثني التَوَزيُّ أن رجلاً جالَسَ قوماً من بني مَخْزوم بن يَقظة بن مُرة بن كعبِ بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالِك بن النَضْر بن كِنانة، فأساؤوا عِشْرتَهُ وَسَعوْا به إلى معاوية فقال:

شَقيتُ بكم وكُنتُ لكم جَليساً فَلَستُ جَليسَ قَعْقاعِ بن شَوْرِ
ومن جَهلٍ أبو جَهْلٍ أخوكُمْ غَزا بَدْراً بمِجْمَرةٍ[2] وتَوْرِ

(١) الميسر: اللعب بالقدح أو هو الجزر التي كانوا يتقامرون عليها.
(٢) المجمرة: التي كان يوضع فيها الجمر.

نَسَبَهُ إلى التوضيع كقول عُتْبَةَ بن ربيعةَ بن عَبْدِ شمس بن عبد مناف الحكيم بن حِزام لما بلغه قولُ أبي جَهْلِ بن هشام انتَفَخ واللّهِ سَحْرُهُ ونَحْرُهُ سَيعلمُ مُصَفِّرُ استِهِ مَنِ انتُفِخَ سَحرةُ[1] اليومَ. وقال رجل من بني مَخزوم للأحْوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفْلَح الأنصاري ليؤذِيَهُ، أتعْرِفُ الذي يقول:

ذَهبَتْ قُرَيْشُ بالمكارمِ كُلِّها واللؤمُ تحتَ عَمائِمِ[2] الأنصار

فقال الأحْوصُ لا أدري ولكنِي أعْرِفُ الذي يقول:

الناسُ كنّوْهُ أبا حَكَمٍ واللّهُ كنّاه أبا جَهلِ
أبقَتْ رِياستُهُ لأسْرَتِهِ لُؤْمَ الفُروع ودِقّة الأصْلِ

وهذا الشعر لحَسّانَ بن ثابتٍ والبيت أنشده المخزومي للأخطل وكان يَزيدُ بن معاوية عَتَبَ على قوم الأنصار فأمَرَ كعْبَ بن جُعَيْلٍ التَغْلَبي بهجائهم، فقال له كعْبٌ أأهجو الأنصار أرادِّي أنتَ إلى الكُفرِ بعد الإسلام؟ ولكني أدُلُّكَ على غلام من الحَيِّ نصْرانيّ كأنَّ لسانَهُ لسانُ ثَوْرٍ يعني الأخطَلَ، قال فلما قال هذا البيت دخلَ النُعْمانُ بن بَشيرِ بن سعْدٍ الأنصاريُّ على معاوية فحَسَرَ عمامته عن رأسه ثم قال: يا معاوية أترى لُؤماً فقال ما أرى إلا كَرماً فقال النعمان:

مُعاويَ إنْ لا تُعْطِنا الحَقّ تَعْترفْ لِحي الأزْدِ مَسْدولاً عليها العَمائمُ
أيَشتِمُنا عَبدُ الأراقم[3] ضَلّةً[4] فماذا الذي تجدي عليك الأراقم
فمالِيَ ثأرٌ دون قَطع لسانِهِ فَدونَكَ مَن تُرْضيه عنهُ الدّراهِم

في المحافظة على تقاليد العرب

وكان الأحنف بن قيس يقول: لا تزال العرب عَرَباً ما لبِسَت العمائم

---

(١) السحر: بفتح السين.

(٢) العمائم: جمع عمامة وهي المغفر والبيضة في أدوات الحرب وهذا كناية عن دفاعهم عن حوزتها.

(٣) الاراقم: حي من تغلب.

(٤) ضلة: الضلة بالفتح ـ الغبيه خير أو لشر على حد سواء.

وتَقَلّدَت السيوف ولم تَعدُدِ الحِلمَ ذُلاً ولا التَواهُبَ فيما بينهـــا ضعةً، وقالوا في تأويل قوله، ما لبست العمائم. يقول ما حافظت على زيِّها، قولـه وتقلدت السيوف، يريد الامتناع من الضَيْم. وقـوله ولم تعـد الحلم ذلاً يقول مـا عَرَفَتْ موضـع الحلم، وتـأويـل ذلـك أن الـرجـل إذا أغضى للسلطان أو أغْضى عن الجواب وهو مـأسورٌ لم يُقَـلْ حَلُم، وإنما يقـال حَلُمَ إذا تَرَكَ أن يقـول الشيء لصاحبه مُنتصِراً ولا يخاف عـاقبةً يَكـرَهُها فهـذا الحلم المحْضْ فإذا لم يفعـل ذلك ورأى أن تَرْكهُ الحِلمُ ذُلٌّ فهو خـطأ وسَفَهٌ، وقـوله: ولم تـر التواهب بينهـا ضَعةً نحوٌ من هذا وهو أن يَهَبَ الرجلُ من حقه ما لا يُسْتَكرَهُ عليه وكـان يقال: أحْيُوا المعروف بإماتَته. وتأويل ذلك أن الرجل إذا امتنّ بمعـروفه كـدّرَهُ. وقيل المنّةُ تَهدِمُ الصنيعة وكان يقال كتمان المعروف من المُنْعَمِ عليه كفرٌ وذكره من المُنعِمِ تكـديـر لـه. وقـال قيسُ بن عـاصم يـا بني تميم اصْحَبـوا مني ذكـر احسانكم إليه وينسى أياديَهُ إليكم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٧ ـ باب حديث عبد الملك مع اسلم بن الأحنف

قال أبو العباس: قال عبدُ المَلِك بن مرْوانِ لأسْلَمَ بن الأحْنف الأسـدِيِّ: ما أحسنُ ما مُدِحْتَ به؟ فاستعفاه فـأبى أن يُعْفِيَهُ وهـو معه على سـريره، فلمـا أبى إلا أن يُخْبِرَهُ قال قول القائل:

ألا أيها الرَكْبُ[١] المُخِبُّـون هَـلْ لكم ... بِسَيِّـدِ أهْلِ[٢] الشام تُحْبَوْا وتَـرْجِعـوا
من النَفَـرِ البيضِ الـذين إذا اعْتَـزَوْا ... وهـابَ الرجـالُ حلْقةَ البـابِ قَعْقَعوا
إذا النَفَرُ[٣] السُّودُ اليَمانونَ نَمْنَمـوا[٤] ... لـه حَـوْكَ بُـرْدَيْـهِ أجـادوا وأوسعـوا
جلا المِسْكُ والحَمَّامُ والبيضُ كالدُّمى ... وفـرْقُ المَدَاري[٥] رأسَـهُ فهـو أنزَعُ

فقال له عبد الملك: ما قال أخو الأوْسِ أحسنُ ممـا قيل لـك. (قال أبو الحسن هو أبو قَيْسِ بن الأسْلَتِ):

قـد حَصَّت البَيْضـةُ[٦] رأسي فمـا ... أطْعَمُ نـومـاً غيـرَ تَـهْـجـاعِ[٧]

---

(١) الركب: اسم جمع يقال لركبان الابل من العشرة فصاعداً. وقد يكون للخيل والمخب من الخبيب بالتحريك وهو ضرب من العدو.

(٢) سيد أهل الشام: فيها حصن. يريد هل لكم أن تعتصموا بسيد أهل الشام.

(٣) النفر: الجماعة من الناس ووصفهم بأنهم بيض كناية عن طهارتهم ونقاوة أعراضهم واعتزوا أي انتسبوا إلى أبيهم.

(٤) نمنموا: زخرفوا ونقشوا.

(٥) المداري: جمع مدرى ـ مشط.

(٦) حصت البيضة: أي أزالت شعر رأسي، حص الشعر أي حلقه والبيض هنا، بيضة الحديد توضع فوق الرأس عن الحرب.

(٧) التهجاع: النوم ليلاً.

وحُدِّثْتُ أن كُثَيِّراً كان يقول: لوَدِدتُ أني كنتُ سبقتُ الأسْوَدَ أو العبدَ إلى هذين البيتين يعني نُصَيْباً في قوله:

من النَفَرِ البيضِ الذين إذا انْتَجَوْا ... أقَرَّتْ لِنَجْواهُمْ لُؤَيُّ بن غالِبِ
يُحَيُّونَ بَسّامِينَ طَوْراً وتارةً ... يُحَيَّوْنَ عَبّاسَينَ شُوس[1] الحَواجِبِ[2]

والمختار من الشعرْ الأول قوله:

من النفر البيض الذين إذا اعْتَزَوْا ... وهاب الرجالُ حَلْقةَ الباب قَعْقعوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم وثقتهم بأن مثلهم لا يُرَدُّ. وقد قال جرير للتَيْمِ خلافَ هذا وهو قوله:

قَوْمٌ إذا احْتَضَرَ الملوكَ وفُودُهُمْ ... نَتِفَتْ شَوارِبُهُمْ على الأبْوابِ

وحُدِّثْتُ أن جريراً كان يقول: وَدِدْتُ أن هذا البيت من شعر هذا العبد، كان لي بكذا وكذا بيتاً من شعري يعني قولُ نُصَيْبٍ:

بزَيْنَبَ أَلْمِمْ قبل أن يَرْحَلَ الرَكبُ ... وقُلْ إنْ تَمَلَّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ

وأما قولُ نُصَيْبٍ:

أهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَييتُ وإنْ أمُتْ[3] ... وَكِّلْ بدَعْدٍ مَن يَهيمُ بها بَعْدي

فلم تجد الرُّواةُ ولا مَنْ يفهم جواهر الكلام له مَذْهباً حَسناً. وقد ذكر عبد الملك ذلك لِجُلسائِهِ فكلٌّ عابَهُ، فقال عبد الملك: فلو كان إليكم كيف كنتم قائلين؟ فقال رجل منهم كنت أقول:

أهيم بدعدٍ ما حييت وإن أمُتْ ... فَواحَزَنا مَنْ ذا يَهيمُ بها بعدي

فقال عبد الملك: ما قلتَ واللّه أسْوَأَ مما قاله. فقيل له: فكيف كنتَ قائلاً في ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال كنتُ أقول:

---

(١) الشوس: النظر بمؤخرة العين.

(٢) الحواجب: المراد بالحواجب العيون.

(٣) أهيم بدعد: وقد انتقدته سكينة بنت الحسين وقالت له لقد جعلت نفسك فؤاداً.

أهيم بـدعـدٍ مـا حييت وإن أمُتْ فَلا صَلَحَتْ دَعْدٌ لِذِي خُلَّةٍ بعدي

فقالوا: أنت والله أشْعَرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين. وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ على الفَرَزْدَقِ في مَوْقِفِهِ عند سليمان بن عبد الملك، وذلك أنهما حَضَرا فقال سليمانُ للفرزْدق: أنشدْني. وإنما أراد أن يُنْشِدَهُ مَدْحاً له فأنشده:

وَرَكْبٍ كأنَّ الريحَ تَطْلُبُ عندهم لهاتِرَةً من جَذْبِها بالعَصائبِ[1]
سَرَوْا[2] يخْبِطونَ الريحَ وهي تَلُفُّهُمْ إلى شُعَبِ الأكْوارِ ذاتِ الحَقائبِ
إذا آنَسوا[3] ناراً يقولون لَيْتَها وقد خَصِرَتْ[4] أيديهِمُ نارُ غالِبِ

فأعرض سليمان كالمُغْضَبِ فقال نصيب: يا أمير المؤمنين ألا أنْشِدُكَ في رَوِيَّها ما لعله لا يَتَّضِعُ عنها. فقال: هاتِ. فأنشده:

أقول لِرَكْبٍ صادِرين[5] لَقيتُهُمْ قِفا ذاتِ أوْشالٍ ومَوْلاكَ قاربُ
قِفوا خَبِّروني عن سليمان انني لِمَعْروفه من أهل وَدَّانَ[6] طالبُ
فعاجوا فأثْنَوْا بالذي أنتَ أهْلُهُ ولو سكتُوا أثنَتْ عليكَ الحَقائبُ

وهذا في باب المدح حس ومُتجاوَزٌ ومُبْتَدَعٌ لم يُسْبَقْ إليه على أن الشاعروهو أخو هَمْدانَ قد قال في عَصْرِهِ في غير المدح:

يَمُرُّون بالدَّهْناء[7] خِفافاً عِيابُهُمْ[8] ويَخْرُجْنَ من دارِينَ[9] بُجْرَ الحَقائبِ
على حينِ ألْهى الناس جُلُّ أمورِهِمْ فَنِذلاً زُرَيْقُ المالَ نَذْلَ الثعالبِ

---

(١) العصائب: العمائم.
(٢) سروا: مشوا ليلاً.
(٣) آنسوا: أبصروا.
(٤) خصرت أيديهم: أصابها البرد.
(٥) صادرين: راجعين.
(٦) ودان: رستاق بنواصي سمرقند بلده قرب الأبواء.
(٧) الدهناء: مكان لتميم بنجد، وهي الفلاة.
(٨) العياب: جمع عيبة.
(٩) دارين: موضع بالبحرين يجلب منه المسك الداري.

وليس شِعْرُ نُصَيْبٍ هذا الذي ذكرناه في المدح بأجودِ من قول الفرزدق في الفخر، وإنما يُفاضَلُ بين الشيئين إذا تناسَبا. وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب: كيف تُراهُ؟ قال: هو أشعر أهل جِلْدتِهِ. فقام الفرزدق وهو يقول:

وخَيْرُ الشِعْرِ أَشْرَفُهُ رجالاً وشَرُّ الشِعْرِ ما قال العَبيدُ

ثم نرجع إلى تفسير الشعر قوله: يمرون بالدهنا خفاقاً عيابهم، يعني قوماً تِجاراً وقد قالوا إنما ذَكَرَ لُصوصاً والأوّل أثبَتُ، وذلك أن دارين سُوقٌ من أسواق العرب. وقوله بُجْرَ الحقائب يقول: عِظام، ويقال للرجل إذا انْدَلَقَتْ سُرَّتُهُ فنَتَأتْ متقدمةً، رجل أبْجَرُ ويقال لها البُجْرَةُ، والبَجَرَةُ فُعْلَةٌ وَفَعَلَةٌ تقعان في الشيء، يقال: قُلْفَةٌ وقَلَفَةٌ وصُلْعَةٌ وصَلَعَةٌ ومثل هذا كثير. وقوله: على حين ألهى الناس إن شئتَ خفضتَ حين وإن شئت نصبته أما الخفض فلأنه مخفوض وهو اسم منصرف وأما الفتح فلإضافتك إياه إلى شيء غير مُعْرَبٍ فبنيته على الفتح لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحدٌ، فبنيته من أجل ذلك ولو كان الذي أضفته إليه معرباً لم يكن إلا مخفوضاً وما كان سوى ذلك فهو لحن، تقول: جئتك على حين زيدٍ وجئتك في حينِ إمْرَةِ عَبْدِ الملِكِ، وكذلك قولُ النابغة:

على حين عاتَبْتُ المَشيبَ على الصِّبا وقُلْتُ أَلَمّا[1] أصْحُ والشَيْبُ وازِعُ

إن شئت فتحت حين، وإن شئت خفضت، لأنه مضاف إلى فعل غير متمكن وكذلك قولهم: يَوْمئذٍ نقول عجبت من يومِ عبدِ اللّه لا يكون غيره فإذا أضفتَهُ إلى إذ فإن شئت فتحتَ على ما ذكرتُ لك في حين وإن شئت خفضتَ لِما كان يستحقه اليومُ من التَمَكُّنِ، قبل الإضافة تقرأ إن شئتَ من عذاب يومَئِذٍ وإن شئت من عذاب يَومَئِذٍ على ما وصفتُ لك، ومن خفض بالإضافة قال:

---

(١) ألما: الهمزة للانكار والما للنفي والجزم وأصح مضارع صحا صحوا إذا ترك اللهو والباطل والوازع والزاجر والرادع يلوم نفسه وينكر عليها التصابي والتعلق بالنساء أيام كبره وشيبه.

سِيرَ بِزَيدٍ يَوْمَئِذٍ فأعربته في موضع الرفع كما فعلتَ به في الخفض ومن قال: مِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ فبناه. قال: سيرَ بِزَيدٍ يَوْمَئِذٍ يكون على حالة واحدة لأنه مبنيّ كما تقول: دُفِعَ إلى زيد خمسةَ عَشَرَ دِرْهَماً، وكما قال اللّه عزّ وجل ﴿عليها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[1] وأما قوله: فَنْدَلاً زُرَيْقُ المالَ نَدْلَ الثعالب فزُرَيْقٌ قبيلة، وقوله: نَدْلاً مصدر يقول انْدُلي نَدْلاً يا زُرَيْقُ المالَ والنَدْلُ أن تَجْذِبَهُ جَذْباً. يقال: نَدَلَ الرجلُ الدَلْوَ نَدْلاً إذا كان يَجْذِبها مملوءة من البئر فنصب نَدْلاً بفعل مضمر وهو انْدُلي وهذا في الأمر تقول: ضَرْباً زيداً وشَتْماً عبدَ اللّه لأن الأمر لا يكون إلا بفعل فكان الفعلُ فيه أقوى فلذلك أضمرته ودل المصدر على الفعل المضمر، ولو كان خبراً لم يُجز فيه الإضمارُ لأن الخبر يكون بالفعل وغيره والأمر لا يكون إلا بالفعل.

قال اللّه عزّ وجل ﴿فإذا لَقيتُمُ الذين كَفَروا فضرْبَ الرِقابِ﴾[2] فكان في موضع اضْربوا حتى كأن القائل قال: فاضْربوا، ألا تَرى أنه ذكر بعده الفعل مَحْضاً في قوله: حتى إذا ﴿أثْخَنْتموهُم فشُدُّوا الوَثاقَ﴾[3] ولو نَزَلَ مُلَوَّنٌ في غير القرآن لَنَصَبَ الرِقابَ، وكذلك كل موضع هو بالفعل أَوْلى وقوله: نَدل الثعالب يريد سرعةَ الثعالب يُقال في المثَل: أكْسَبُ من ثَعْلَبٍ، وأما قول نُصَيْبٍ: ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب فإنما يريد أنهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رِفْدِه، فقد أثْنَتْ عليه الحقائب قبل أن يقولوا. فأما قول الأعْشى:

وإنَّ عِتاقَ[4] العِيسِ سَوْفَ يَزورُكُمْ ثَناءً على أعْجازِهِنَّ مُعَدَّلُ

فإنما أراد المدح الذي يُحْدَيْنَ به والحادي من ورائها كما أن الهادي أمامها. وأما قول أبي وَجْزَةَ.

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٤.

(٢) سورة محمد: الآية ٤.

(٣) سورة محمد: الآية ٤.

(٤) العتاق بالكسر: النجائب والكرام.

راحَتْ بستِّينَ وَسْقـاً[1] في حَقيبتهـا ما حَمَلَتْ حَمْلَها الأدْنى ولا السَّنَدا

فإنما أراد ما يوجب ستين وَسْقاً لا أن الناقة حَمَلَتْ ستين وَسْقاً.

حديث أبي وجزة السلمي

وكـان من حديث ذلـك أن أبا وَجْـزَةَ السُّلَمِيَّ المعروف بـالسَّعْدِيِّ لنـزوله فيهم ومخالفته إياهم، كان شَخَصَ إلى المدينة يـريد آل الـزُّبَيْرِ، وشَخَصَ أبـو زيد الأسلَمِيُّ يريد ابراهيمَ بن هشـام بن اسمعيل بن هشـام بن المُغيرة بن عبـد اللّه بن عُمَرَ بن مَخْزومٍ وهو والي المدينةِ، فاصْـطَحَبا فقـال: أبو وجـزة: هَلُمَّ فَلْنَشْتَرِكْ فيما نُصيبه. فقال أبو زيد الأسلَمِيُّ: كلاَّ أنا أمْدَحُ الملوك وأنت تمدح السُّوَقَ[2]. فلما دخلا المدينة صار أبو زيد إلى ابـراهيم بن هشام فـأنشده: يـا ابنَ هِشامٍ يا أخا الكِرام، فقال ابراهيم: وإنما أنا أخـوهم وكأني لَسْتُ منهم. ثم أمرَ به فضُرِبَ بالسياط. وامْتَدَحَ أبو وَجْزَةَ آل الزُّبَيْرِ فكتبـوا إليه بستين وَسْقـاً من تمر وقالوا: هي لك عندنا في كلِّ سنةٍ. فانصرفا فقال أبو زيد:

مَدَحْتُ عروقاً[3] للنَدى مَصَّت الثرى حَـديثـاً فلم تَهْمُمْ بـأن تَتَزَعْـزَعـا

نَقـائـذَ بُؤْسٍ ذاقَت الفَقْـرَ والغِنى وحَلَبْتِ الأيـامَ والـدَّهْـرَ أضْـرُعـا

سَقاهاذووالأرْحامِ[4] سَجْلاً على الظَما وقـد كَـرَبَتْ أعْنـاقُهـا أنْ تَقَـطَّعـا

بِفَضْلِ سِجالٍ[5] لو سَقَوْامن مَشى بها على الأرض أرْواهُمْ جميعـاً وأشْبعـا

---

(١) الوسق بفتح الواو: ستون صاعاً أو حمل بعير.

(٢) السوق: جمع سُوقة بالضم ومعناها الرعية أو الجمع.

(٣) العروق: جمع عرق بالكسر وكأنه أراد به الأرض الملح التي لا تنبت شيئاً واستعاره لهم ذماً وهجاءً والثرى الندى الساقط من السماء استعارة للغني وكثرة المال.

(٤) ذوو الأرحام: قصد بهم «بنو أمية» وكـان إبراهيم بن هشـام خال هشـام بن عبد الملك بن مـروان وهمـا من ملوك بني أمية، قـد أدركا أقـاربهما من بني مخـزوم - فأنقـذوهم من الفقر وأفضلوا عليهم بالغنى بعد أن كادت أعناقهم تقطع من البؤس والفاقة.

(٥) سجال: بفتح السين وهي الدلو العظيمة مملوءة واستعمال ذلك ورد هنا كنـاية عـلى ما أفضلوا بـه عليهم.

فَضَمّتْ بأيديها على فَضْلِ مائها ... من الرِيِّ لمّا أوْشَكَتْ أن تُضَلّعا[1]
وزَهّدَها أن تَفْعَلَ الخيرَ في الغِنى ... مُقاساتُها[2] من قَبْلِهِ الفَقْرَ جُوَّعا

وقال أبو وجزة:

راحَتْ رَواحاً قَلوصي وهي حامِدةٌ ... آلَ الزُبَيْرِ ولم تَعدِلْ بهم أحدا
راحَت بستين وَسْقاً في حَقيبتها ... ما حَمَلَتْ حَمْلَها الأدْنى ولا السَّدَدا
ما إن رأيتُ قَلوصاً قبلها حَمَلَتْ ... ستّين وَسْقاً ولا جابَتْ به بَلَدا
ذاك القِرى لا قِرىَ قَوْمٍ رأيْتُهُمْ ... يَقْرونَ صَيْفَهُمُ المَلْوِيَّةُ الجُدُدا[3]

أما قول أبي زيد لابراهيم: مدحتُ عروقاً للندى مصّت الثرى حديثاً، فإنما عَنَى أن إبراهيم وأخاه محمداً إنما تَطَعَّما بالعيش ودخلا في النِعمة وخرجا من حدّ السُوَقِ إلى حدِّ الملوك حديثاً، وذلك بهشام بن عبد الملك لأنهما كانا خالَيْهِ، فإنما وَلّاهُما عن خُمولٍ. وقوله: فلم تهمم بأن تتزعزعا فإنما هذا مَثَلٌ، يقال: فلانٌ يَهْتَزُّ للنَدى ويرتاح لفعل الخير، كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ:

تَراه كنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ للنَدى ... إذا لم تجِدْ عند امْرِىءِ السَوْءِ مَطْمَعا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تَحَرُّكَ سُرور لفعل الخير، قال أبو العباس: وأنشدني التَوَّزيُّ لأبي رِباط يقول لابنه:

رأيتُ رِباطاً حين تَمَّ شَبابُهُ ... ووَلّى شَبابي ليس في بِرِّهِ عَتْبُ
إذا كان أولادُ الرجالِ مَرارَةً ... فأنتَ الحَلالُ الْحُلْوُ والبارِدُ العذْبُ
لنا جانِبٌ منه أنِيقٌ[4] وجانِبٌ ... شديدٌ على الأعْداءِ مَرْكَبُهُ صَعْبُ

---

(١) تضلع: شبع وإمتلأ طعاماً حتى أضلاعه.
(٢) مقامات: جمع مقامة وهي الاقامة والمكوث.
(٣) الجدد: بضمتين: جمع جديد وهو المقطوع.
(٤) الأنيق: الحسن، المعجب.

وتـأخـذه عـنـد المكـارِمِ هِـزَّةٌ كما اهْتزَّ تحتَ البارِحِ[1] الغُصُنُ الرَطب

في استجداء إعرابي لعمر بن هبيرة

قال: وحدثني علي بن عبد الله قال: حدّثني العُتْبِيُّ قال: أشْرَفَ عمر بن هُبَيْرَة الفَزارِي من قصره يوماً فإذا هو بأعرابي يُرَقِّص جَمَلَهُ الألُ[2]، فقال لحاجبه: إن أرادني هذا فأوْصِلْهُ إليّ. فلما دنا الأعرابيُّ سأله فقال: قصدتُ الأمير. فأدْخَلَهُ إليه فلما مَثَلَ بين يديه قال له عمر: ما خَطْبُكَ؟ فقال الإعرابي:

أصْلَحَكَ اللّهُ قَلَّ ما بيدي فما أُطيقُ العِيالَ إذْ كَثُروا
ألحَّ دَهْرٌ أنْحَى بكَلْكِلِهِ[3] فأرْسَلُوني إليك وانتَظَروا
(رَجَوْكَ للدَهْرِ أن تكونَ لَهُمْ غَيْثَ سَحابٍ إن خانَهُمْ مَطَرُ)

قال: فأخذتْ عمرَ الأرْيَحِيَّةُ فَجَعَلَ يَهْتَزُّ في مجلسه ثم قال: أرسلوك إليَّ وانتظروا إذاً والله لا تجلسُ حتى ترجعَ إليهم غانماً، فأمَرَ له بألف دينار ورَدَّهُ على بعيره. قال أبو العباس: وحدثني أبو اسحق اسمعيل بن اسحق القاضي أن الخبر لِمَعْن بن زائدة وصحّ ذلك عندي. وقوله: نقائذ بؤس واحدتها نَقيذَةٌ وتأويله أنهم أُنْقِذُوا من بُؤسٍ، يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد تقول هذا نَقيذةُ بُؤسٍ وتقع الهاء للمبالغة لأن أصله كالمصدر كقولك: زيد مَكْرُمَةٌ لأهله، وزيد كريمةُ قومِهِ أي يَحُلُّ مَحَلَّ العقدة الكريمة والخَصْلة الكريمة. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ أكْرَمَ جرير بن عبد الله البَجَلِيّ لما وَرَدَ عليه فبسط له رِداءه وعَمَّتَهُ بيده وقال: إذا أتاكم كريمةُ قومٍ فأكْرِموهُ. هكذا روى فُصَحاءُ أصحاب الحديث. وقد قال ﷺ قبل ورُوده عليه: يَطْلُعُ عليكم من

---

(١) البارح: الريح الحارة في الصيف.
(٢) الألّ: أول النهار.
(٣) الكلكل: الصدر.

هذا القبح[1] خَيْرُ ذي يَمَنٍ عليه مَسْحَةُ مَلكٍ.

في هجاء الصخر بن عمرو الشريد

وقال صَخْرُ بن عمرو بن الشريد يعني معاوية أخاه وكان قتله هاشم ودُرَيْدُ ابنا حَرْمَلَةَ المُرِيّانِ من غَطْفان فقيل لصخر: اهْجُهُمْ فقال: ما بيني[2] وبينهم أقْذَعُ من الهِجاءِ ولو لم أُمْسِكْ عن هجائهم إلا صَوْتاً لنفسي عن الخَنى[3] لفعلت. ثم قال:

وعاذِلةٍ هَبَّتْ بليلٍ تَلومُني ... ألا لا تلوميني كفى اللَّوْمَ ما بِيَا
تقولُ ألا تَهْجو فَوارِسَ هاشِمٍ ... وما لي إذ أهْجوهُم ثم ما لِيا
أبى الشَّتْمَ أني قد أصابوا كريمتي ... وأن ليس إهْداءُ الخَنى من شِماليا
(إذا ذُكِرَ الإخْوانُ رَقْرَقت[4] عَبْرةً ... وحَيّيْتُ رَسْماً عند لَثّةَ ثاوِيا
إذا ما امْرُؤٌ أهْدى لمَيْتٍ تَحيّةً ... فحَيّاكَ رَبُّ العرشِ عَنّي مُعاويا
وهَوّنَ وَجْدي أنني لم أقُلْ له ... كَذَبْتَ ولم أبخَلْ عليه بمالِيا

قال الأخفش: وأنشدني الأحْوَلُ: وما لِيَ إنْ أهْجوهُمُ ثم مالِيا) وتقول العرب للرجل: راوِيةٌ ونسّابَةٌ فتزيد الهاءَ للمبالغة وكذلك عَلّامةٌ وقد تلزم الهاءُ في الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد نحو: رَبْعَةٍ ويَفَعةٍ وضَرورةٍ وهذا كثير لا تُنْزَعُ الهاءُ منه فأما راوية وعلامة ونسّابة فحذف الهاء جائز فيه ولا يَبْلُغُ في المبالغة ما تَبْلُغُهُ الهاءُ وقوله:

وحلبت الأيام والدهر أضرعا، فإنه مَثَلٌ يقال للرجل المُجَرّبِ للأمور فلان

---

(١) الفج: الطريق الواسع بين جبلين ويقال على فلان مسحه من جمال بفتح الميم أي شيء منه وكان جرير هذا يلقب بذي المسحة.

(٢) ما: إسم موصول واقع في محل مبتدأ خبره أقذع من الهجاء ـ وأقذع من القذع محركاً وهو الفحش في القول والفعل معاً.

(٣) الخنى: الفحش في القول والشمال بالكسر الفحش في الطبع.

(٤) رقرق: أي صُب رقيقاً.

قد حَلَبَ الدَهْرَ أشْطُرَهُ، أي قد قاسى الشِدّةَ والرخاءَ وتَصَرّفَ في الفقر والغنى كما قال القائل:

قد عِشْتُ في الناس أطواراً على طُرُقٍ ... شَتّى وقاسيْتُ فيها اللّينَ والفَظَعا[1]
كُلاًّ بَلَوْتُ فلا النَعْماءُ تُبْطِرُني ... ولا تَخَشّعْتُ من لأوائِها[2] جَزَعا
لا يَمْلأُ الهولُ صدري قبل مَوْقِعِهِ ... ولا أضيقُ به ذَرْعاً إذا وَقَعا

ومعنى قوله أشْطُرَهُ فإنما يريد خُلوفَهُ يقال: حَلَبْتُها شَطْراً بعدَ شَطْرٍ وأصل هذا من التَنَصُّفِ لأن كل خِلْفٍ عَديلٌ لصاحبه وللشَطرِ وجهان في كلام العرب فأحدهما النصف كما ذكرنا من ذلك قولهم: شاطَرْتُكَ مالي والوجه الآخر القَصْدُ يقال: خُذْ شَطرَ زيدٍ أي قصدَهُ.

قال اللّه عزّ وجل ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطرَ المَسْجِدِ الحَرام﴾[3] أي قصده وحَيث ما كُنْتُمْ فوَلّوا وجوهَكم شَطرَهُ، قال أبو العباس: وأنشدني التَوّزِيُّ عن أبي عُبيدة قول الشاعر:

إنّ العسير بها داءٌ مُخامِرُها ... فَشَطرَها نظَرُ العَيْنَينِ مَحْسور

يريد ناحيتها وقصدها والعَسير التي تَعْسِرُ بِذَنبِها إذا حَمَلتْ أي تُشيلُهُ وترفعه، ومنه سُمّيَ الذَنبُ عَوْسَراً أي تضرب بذنبها، ومعنى ذلك أنه ظهر من جَهْدها وسُوءِ حالها ما أُطيلَ معه النظر إليها حتى تَحْسِرَ العينان والحَسير المُعْيي وفي القرآن ﴿يَنقَلِبْ إليكَ البَصَرُ خاسِئاً وهو حَسيرٌ﴾[4] وقوله: سقاها ذوو الأحلام سَجْلاً على الظما، فالسَجْلُ في الأصل الدَلْوُ وإنما ضربَه مَثلاً لِما فاض عليها من نَدى أقارها يقال للدلو وهي مؤنثة سَجْلٌ وَذَنوبٌ وهما مُذَكّران

---

(١) الفظعا: مصدد فظع الأمر من باب تعب إذا استعظمه ولم يثق بأن يطيقه وفظع بالأمر أيضاً ضاق به ذرعاً.

(٢) لأوائها: الشدة.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٤) سورة الملك: الآية ٤.

والغَرْب مذكر وهو الدلو العظيمة. ويقال: فلان يُساجِلُ فلاناً أي يُخْرِجُ من الشرف مثل ما يُخرجُ الآخر وأصل المُساجلة أن يَسْتَقي ساقيان فيُخْرجَ كلُّ واحدٍ منهما في سَجْلِهِ مثل ما يُخْرجُ الآخر، فأيُّهما نَكل فَقد غُلِبَ فضربَتْهُ العرب مثلاً للمفاخرة والمسامات وبَيّنَ ذلك الفَضْلُ بن العباس بن عُتْبَةَ بن أبي لَهَبٍ في قوله:

مَنْ يُساجِلْني يُساجِلْ ماجِداً يَمْلأُ الدَلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ[1]

ويقال: إن الفَرَزْدقَ مَرَّ بالفَضْل وهو يَسْتَقي ويُنْشِدُ هذا الشعر، فَسَر الفرزْدقُ ثيابه عنه ثم قال: أنا أُساجِلُكَ ثِقَةً منه بنَسَبه. فقيل له: هذا الفَضْلُ بن العباس بن عتبة بن أبي لهب. فردّ الفرزْدق ثيابه عليه ثم قال: ما يُساجلك إلا مَن عَضَّ بأير أبيه. يقال سَرا ثوبَه وَنضا ثوبه في معنى واحد إذا نزعه، ويقال سَرى عليه الهَمُّ إذا أتى ليلاً. وأنشد:

سَرى هَمّي وهَمُّ المَرْءِ يَسْري (وغارَ النَجْمُ إلا قِيدَ فِتْرِ

البيت لعُرْوَةَ بن أُذَيْنَةَ اللَّيْثِيِّ شيخ مالك بن أنس) وسَرى هَمُّهُ إذا ذهب عنه والمواضَخَةُ مثل المُساجلة قال العَجّاجُ: تُواضِخُ التَقْريب[2] قِلْواً مِخْلجاً، أي تُخرجُ من العَدْوِ مثل ما يخْرجُ.

قال اللّه عزّ وجل على مَخْرَجَ كلام العرب وأمْثالِهِمْ ﴿فإنَّ لِلَّذين ظَلَموا ذَنوباً مثل ذَنوبِ أصْحابِهِمْ﴾[3]. وأصل الذَنوب لدَلْوُ كما ذكرتُ لك. وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدةَ للحرث بن أبي شَمِرٍ الغَسّانيِّ (قال أبو الحسن غير أبي العباس يقول شِمْرٌ وبعضهم يقول شَمْرٌ) وكان أخوه أسيراً عنده وهو شَأسُ بن عَبَدَةَ أَسَرَهُ في وقعة عَين أُباغَ[4] (قال أبو الحسن غيره يقول إباغَ) في الوقعة التي

---

(١) حبل صغير يشد في وسط العراقي يعلي الماء، فلا يتعفن بدلك الحبل الكبير وهذا استعمل هنا كناية عن التفوق والغلبة.

(٢) التقريب: نوع من العدو. أي أن يرفع قوائمه الأمامية معاً ويضعها معاً.

(٣) سورة الذرايات: الآية ٥٩.

(٤) عين أباغ: موقع بالشام بين الكوفة والرقة وقد ذكر في بعض المصادر أنه موقع في الشام.

كانت بينه وبين المُنْذر بن ماءِ السماء في كلمةٍ له مَدَحَهُ فيها:

وفي كلِّ حَيٍّ قد خَبَطْتَ بِنعْمةٍ فَحُقَّ لشَأسٍ من نَداك ذَنوبُ

فقال الملِكُ: نعم وأذْنَبَةٌ. وقوله: وقد كَرَبَتْ أعناقُها أن تَقَطَّعَا، يقول: سُقِيْت هذا السَجْلَ وقد دَنتْ أعناقُها من أن تَقَطَّعَ عطشاً وكَرَبَ في معنى المُقاربة. يقال: كاد يفعلُ ذلك وجَعلَ يفعلُ ذلك وكَرَبَ يفعلُ ذلك أي دنا من ذلك. ويقال: جاء زيد والخيلُ كاربتُهُ أي قد دَنتْ منه وَقَرُبَتْ، فأما أخذَ يفعلُ وجَعلَ يفعلُ فمعناهما أنه قد صار يفعل ولا تقع بعد واحدة منهما أن، فأما كاد وكرب فأنْ لا تُسْتَعْمَلُ بعد واحدة منهما إلا أن يُضْطَرَّ شاعرٌ.

قال اللّه عزّ وجل: ﴿إذا أخْرجَ يَدَهُ لم يَكدْ يراها﴾[1] أي لم يَقْرُبْ من رؤيتها وإيضاحه لم يَرَها ولم يَكدْ. وكذلك: يَكادُ سنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبصار. وكذلك: كاد تزيغُ قُلوبُ فريقٍ منهم بغير أن ومن أمثال العرب: كادَ النعامُ يطير، وكاد العروسُ يكون أميراً، وكاد المُنْتَعِلُ يكون راكِباً، وقد اضطُرَّ الشاعرُ فأدْخَلَ أن بعد كاد كما أدخلها هذا بعد كَرَبَ فقال: وقد كَرَبَتْ أعناقُها أن تَقطَّعا. وقال رُؤْبَةُ:

قد كاد من طُول البِلى أن يَمْصَحا[2]،

فكاد بمنزلة كَرَبَ في الإعمال والمعنى.

قال الشاعر:

أغِثْني غِياثاً يا سُلَيْمانُ إنني سَبَقْتُ إليكَ الموْتَ والموتُ كارِبي[3]
خَشِيَّةَ جَوْرٍ من أميرٍ مُسَلَّطٍ[4] ورَهْطي وما عاداكَ مثلُ الأقارِبِ

وقوله: لما أوْشَكتْ أن تضَلَّعا يقول: لما قارَبتْ ذلك، والوَشيكُ القريب من الشيء والسريع إليه. يقال: يُوشِكُ فلانٌ أن يفعل كذا وكذا والماضي منه

---

(١) سورة النور: الآية رقم ٤٠.

(٢) يمصحا: يصيبها بالبلى.

(٣) كاربي: مقاربي.

(٤) مسلط: من التسليط وهو السيطرة والقدرة والقهر.

أوشَك ووقعتْ بأنْ وهو أجود وبغير أنْ كما كان ذلك في لعلَّ تقول: لعلَّ زيداً يقوم فهذه الجَيِّدةُ.

قال اللّه عزّ وجل: ﴿**لعلَّ الساعةَ تكونُ قريباً، ولعَلَّهُ يَتذَكَّرُ أو يَخْشى، ولعلَّ اللّه يُحْدِثُ بَعْدَ ذلك أمراً**﴾[1]. وقال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ:

لَعَلَّكَ يَوْماً أنْ تُلِمَّ مُلِمَّةً عليك من اللّائي يَدَعْنَكَ أجْدعا

وعَسى الأجودُ فيها أن تُسْتَعْمَل بأن كقولك: عسى زيد أن يقوم.

كما قال اللّه عزّ وجل: ﴿**فَعسى اللّه أن يأتي بالفَتْحِ**﴾[2] وقال جلَّ ثناؤه ﴿**عسى اللّهُ أنْ يتوب عليهم**﴾[3] ويجوز طَرْحُ أنْ وليس بالوجه الجيد. قال هُدْبَةُ:

عَسى الكَرْبُ الذي أمْسَيْتَ فيه يكونُ وَراءَهُ فَرَجٌ قريب

وقال آخر:

عَسى اللّهُ يُغْني عَن بلادِ بن قادرٍ بمُنْهَمِرٍ جَوْنِ الرَّبابِ[4] سَكوبِ[5]

وحروف المُقارَبَةِ لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها في الكتاب المُقْتَضَب بغاية الاستقصاء. وقوله: أن تَضَلَّعا معناه أن تمتلىء، وأصله أن الطعام والشراب يَبْلُغانِ الأضْلاعَ فيَكُظّانِها. كذلك قال الأصمعي في قولهم: أكلَ حتى تضَلَّعَ. وأما قول أبي وَجْزَة: راحتْ بستين وَسْقاً فالوَسْقُ خمسة أقفزه بِمُلْجَمِ البَصْرةِ. وفي الحديث عن النبي ﷺ ليس فيما دونَ خَمْسةِ أوْسُقٍ صَدَقةٌ، فما كان أقل من خمسة وعشرين قَفيزاً بالقفيز الذي وصفنا وهو نصف القَفيز البَغْداديِّ في أرض الصدقة فلا صدقة فيه، وإنما أراد أنه أخذَ الكتاب

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٦٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٢.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٢.

(٤) الرباب: السحاب الأبيض.

(٥) السَّكوب: المنصبّ.

بهذه الأوْسُقِ فلذلك قال:

مـا إنْ رأيتُ قَلوصاً قبلهـا حَمَلَتْ ستِّينَ وَسْقـاً ولا جـابَتْ بـه بَلداً

وأما قوله: يَقْرون ضَيْفهُمُ المْلوِيَّةَ الجُدُدَا فإنما أراد السياط وجمعَ جديدٍ جُدُدٌ، وكذلك باب فَعيلٍ لذي هو اسم أو مضارع للاسم نحو: قَضيبٍ وقُضُبٍ ورَغيفٍ ورُغُفٍ وكذلك سريرٌ وسُرُرٌ وجديدٌ وجُدُدٌ لأنه يجْري مَجْرى الأسماء وجَريرٌ وجُرُرٌ، فما كان من المضاعف جاز فيه خاصةً أن تُبْدَل من ضمته فتحةٌ لأن التضعيف مُسْتَثْقَلٌ، والفتحة أخَفُّ من الضمة فيجوز أن يُمال إليها استخفافاً فيقال: جُدَدٌ وسُرَرٌ ولا يجوز هذا في مثل قَضيبٍ لأنه ليس بمضاعفٍ وقد قرأ بعضُ القُرَّاءِ على سُرَرٍ مَوْضوعةٍ، ويقال للسوط الأصْبَحِيُّ ينسَبُ إلى ذي أصْبَحَ الحِمْيَرِيِّ وكان أوّلَ من اتخذ هذه السياطَ التي يُعاقِب بها السلطانُ ويقال له العِرْفاصُ والقطيعُ، وقال الشَّماخُ تكادُ تطيرُ من رأيِ القَطيعِ وقال الصَلتانُ[1] العَبْدِيُّ:

أرى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَها وقد زيدَ في سوطها الأصْبَحِيّ

وقال الراعي:

أخذوا العريفَ[2] فَقَطّعوا حَيْزومَهُ[3] بالأصْبَحِيّةِ قائماً مَغْلولاً

وقال الراجز: حتى تَرَدَّى طَرَفُ العُرْفاص. وقوله: ولا جابَت به بَلداً، يقول ولا قَطعَتْ به يقال جُبْتُ البلاد.

قال اللّه عز وجل: ﴿وَثمودَ الذينَ جابوا الصَخْرَ بالواد﴾[4]. ويقال: رجلٌ جَوّابٌ جَوّالٌ. وأنشَدني عليُّ بن عبد اللّه قال: أنشدني القَحْذَمِيُّ:

---

(١) الصلتان بالتحريك ـ أصله النشيط الحديد الفؤاد، من الخيل وتسمى به ثلاثة من الشعراء، العبيدي والضبي والفهمي.

(٢) العريف: رئيس القوم.

(٣) الحيزوم: ما استدار من الظهر والبطن.

(٤) سورة الفجر: الآية ٩.

ما[1] مَنْ أتتْ منْ دون[2] مَوْلِـدِهِ خَمْسـونَ بالمعْذور[3] بـالجَهْـلِ
فـإذا مَضَتْ خمسـونَ عن رَجُـلٍ تـرَكَ الصِبـا ومشى على رِسْـلِ

وأمرَ مُصْعَبُ بن الزُبَيْرِ رجلاً من بني أسدِ بن خُزَيمَةَ بقتل مُـرَّة بن مَحْكانَ السَعْديِّ، فقال مُرَّةُ في ذلك:

بني أَسـدٍ إنْ تـقتلوني تُـحـارِبـوا تَميماً إذا الحَـرْبُ العَـوان اشْمَعَلَّتِ
وَلـسْتُ وإن كـانـتْ إلـيّ حَـبيبـةً بِبـاكٍ على الـدُنْيـا إذا مـا تَـوَلَّتِ

قـوله: إذا الحـرب العوان فهي التي تكـون بعد حَـرْبٍ قد كـانتْ قبلهـا، وكذلك أصل العوان في المرأة إنما هي التي قـد تزوجت ثم عـاودتْ فخرجت عن حَدِّ البِكْرِ.

وقول اللّه عزّ وجل في كتابه العزيـز: ﴿لا فارِضٌ ولا بِكْـر﴾[4] وهو تمـام الكـلام ثم استأنف فقـال: عَـوانٌ بين ذلـك، والفـارِضُ ههنـا المسنـة والبِكْـرُ الصغيرة ويقال لَهاةٌ فارِضٌ أي واسعة، وَفرْضُ القَوْسِ موضع مَعْقِدِ الوَتَرِ وكـل حَزٍّ فرْضٌ والفُرْصةُ مُتَطرَّقٌ إلى النَهْر. قال الراجز: لها زِجاجٌ ولَهاةٌ[5] فـارِضُ.
وقوله اشمَعَلَّتْ إنما هو ثارَتْ فأسرعتْ. قال الشَمّاخُ:

رُبَّ ابـنِ عَمٍّ لـسُلَيْـمى مُـشْمَـعِـلٍّ أزوَعَ في السَفْـرِ وفي الـحَيِّ غَـزِلْ
طَبَّـاخِ سـاعـاتِ الكَـرَى زادَ الكَسِـلْ

وقـوله: وَلَسْتُ وإن كـانتْ إليّ حبيبةً بِبـاكٍ على الدنيـا.. إنمـا هـو على التقديم والتأخير، أراد ولست بباكٍ على الدنيا وإن كـانت إليّ حبيبةً ولـولا هذا

---

(١) ما: نافية حجازية ومن أسمها.
(٢) دون: معنى: فوق.
(٣) المعذور ـ خبرها زيد فيه الباء والجل. متعلق به بخير إن من مضى عليه خمسون سنة لا عـذر له في الصبوة والفتوة.
(٤) سورة البقرة: الآية ٦٨.
(٥) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق، والزجاج بالكسـر جمع زج بالضم والحـديدة توجد في أسفل الرمح.

التقدير لم يجز أن يُضْمِرَ قبل لذكْرِ، ومثله:

إنْ تَلْقَ يوماً على عِلاَّتِهِ[1] هَرِماً تَلْقَ السَّماحةَ منه والنَدَى خُلقا

وكذلك قول حَسّان بن ثابت:

قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَن كنْتُ واحِدَهُ أو كان مُنْتَشِباً في بُرْثُنِ الأسَدِ

يقول: من كنتُ واحده قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ. وكذلك قوله:

شَرَّ يَوْمَيْها وأخْزاهُ لها رَكِبَتْ هِنْدٌ بِحِدْجٍ[2] جَمَلا

يقول ركبتْ هندُ بحدْجٍ جَملاً في شَرِّ يَوْمَيْها وقال رجل من مُزَيْنَةَ:

خَلِيَلَيَّ بالبَوْباةِ عُوجا فلا أرى بها مَنْزِلاً إلا جَديبَ المُقَيَّدِ
نَذُقْ بَرْدَ نجْدٍ بعدما لَعِبَتْ بنا تِهامةُ في حَمّامها المُوَقَّدِ

قوله بالبوباة فهي المُتّسَعُ من الأرض، وبعضهم يقول هي المَوْماةُ بعينها قلبت الميم باء لأنهما من الشَفَةِ. ومثلُ ذلك كثير يقولون ما اسمُكَ وبا اسمُكَ، ويقولون: ضَرْبةٌ لازِمٌ ولازِبٌ، ويقولون هذا ظأمي وظأبي يعْنون السلْفَ (قال أبو الحسن الجَيِّدُ سَلِفٌ وما قال ليس بممتنع ويقولون: رُكْبَةُ سَوْءٍ وزُكمةُ سَوْءٍ أي وَلدُ سَوْءٍ، ويقولون رجل أخْرَمُ وأخْرَبُ وهذا كثير. وقال عُمَرُ بن أبي رَبيعة:

عوجا نُحَيِّي الطَّلَلَ المُحْوِلا[3] والرَبْعَ من أسماءَ والمَنْزِلا
بجانِبِ البَوْباةِ لم يَعْدُهُ تقادُمُ العَهْدِ بأنْ يُؤْهَلا[4]

وقوله: إلا جَديبَ المُقَيَّدِ. يقال: بلد جَدْبٌ وجديبٌ وخِصْبٌ وخَصيبٌ والأصل في النعت خَصيبٌ ومُخْصِبٌ وجَديبٌ ومُجْدِبٌ والخَصْب والجَدْبُ إنما هما ما حُلَّ فيه، وقيل خَصيبٌ وأنت تريد مُخْصِبٌ وجَديبٌ وأنت تريد

---

(١) على علاته يريد كل حال من حالاته.

(٢) حدج: بالكسر للنساء كالمحفة.

(٣) المحول: الذي مرت عليه أحوال.

(٤) تقول العرب مكان أهل أي له أهل دماء هوك ـ فيه أهله وقد أهل كعنى.

مُجْدِبٌ كقولك عذابٌ أليمٌ وأنت تريد مُؤْلِمٌ. قال ذو الرمة:

وَنَـرْفَعُ من صُـدور شَمـرْدَلاتٍ[1] يَـصُـكُّ وُجـوهَـهـا وَهَجٌ[2] أَلـيـمُ

ويقال: رجل سَميعٌ أي مُسْمِعٌ. قال عَمْرو بن مَعْد يكرب:

أَمِنْ ريحـانـةَ الـدّاعـي السَّـمـيـعُ يُـؤَرِّقُـنـي وأصـحـابـي هـجـوعُ

وأما قوله المُقَيَّد فهو موضع التقييد، وكل مَصْدَرٍ زيدتْ الميمُ في أوله وإذا جاوَزْتَ الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المفعول، وكذلك إذا أردتَ اسم الزمان واسم المكان تقول: أَدْخَلْتُ زيداً مُدْخَلاً كريماً وسَرَّحْتُهُ مُسَرَّحاً حسناً واستخرجتُ الشيء مُسْتَخْرَجاً. قال جرير:

ألـم تَعْـلَمْ مُسَـرّحِيَ القـوافـي فـلا عِـيّـاً بِهن ولا اجْـتِـلابـا

أي تَسْريحي. وقال عزّ وجل: ﴿وقُلْ رَب أَنْزِلْني مُنْزَلاً مُباركاً﴾[3]. ويقال: قُمتُ مَقاماً وأقْمتُ مُقاماً. وقال عز وجل: ﴿إنها ساءَتْ مُسْتَقَرّاً ومُقاماً﴾[4] أي موضع إقامة. وقال الشاعر (حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهلالي):

تَـطولُ القِصَـارُ والـطِوالُ يَـطُلْنَهـا فَمَنْ يَـرَهـا لا يَنْسها[5] مـا تَكَلّمـا

ومـا هِـيَ إلا فـي إزارٍ وعِـلْقةٍ[6] مُغـارَ ابنِ هَمّـام على حَيِّ خَثْعَمـا

يريد زمنَ من إغارةِ ابن هَمّامٍ. وأما قوله: نَذُقْ بَـرْدَ نَجْدٍ فـذاك لأن نَجْداً مرتفعةٌ وتِهامةُ غَوْرٌ منخفض فَنَجْدٌ باردة. ويروى عن الأصْمَعِي أنه قال: هَجَمَ عليّ شهـرُ رمضان وأنـا بمكة فخـرجتُ إلى الطائف لأصـومَ بها هَـرَباً من حَـرِّ مكـة، فلقيني أعرابي فقلت لـه: أين تريـد؟ فقـال: أريـد هـذا البلدَ المبـارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه. فقلت له: أمـا تخاف الحـرّ؟ فقال: من الحَـرِّ

---

(١) الشمردلة: الناقة الحسنة الجميلة.

(٢) الوهج: اسم من قولهم وهجت النار، تهج وهجا إذا انقدت وتوهجت.

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٩.

(٤) سورة الفرقان الآية رقم ٦٦.

(٥) يريد: هذا ما بقي متكلماً.

(٦) علقة: العلقة بالكسر: قميص بلا كُمين.

أفِرُّ. وهذا الكلام نظير كلام الرَبيع بن خُثَيْم، فإن رجلاً قال له وقد صَلّى ليلةً حتى أصبح: أتعَبْتَ نفسك. فقال: رَاحتَها أطلبُ، إنّ أفْرَهَ العبيد أكْيَسُهُمْ[1]. ونظير هذا الكلام قولُ رَوْحِ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلّبِ ونظر إليه رجل واقفاً بباب المنصور في الشمس فقال: قد طال وقُوفك في الشمس فقال رَوْحٌ: ليطول وقوفي في الظل. ومثله من الشعر قوله: قال أبو الحسن هو عُرْوَةُ ابن الوَرْدِ العبسي):

تقولُ سَلْمى لو أقَمْتَ بأرضنا ... ولم تَدْرِ أني للمُقامِ أُطوّفُ
(لَعَلّ الذي خَوّفْتِنا من وَرائنا ... سَيُدْرِكُهُ من بَعْدِنا المتَخَلِّفُ)

ويروى لَسَرّنا. وقال آخر:

سَأطلُبُ بُعْدَ الدار منكم لتَقْربُوا ... وتَسْكُبُ عيْنايَ الدُموعَ لتَجْمُدا

وهذا معنى كثير حسن جميل وقال حَبيبُ بن أوْسٍ الطائيُّ:

أآلِفَةَ النّحيبِ كم افتراقٍ ... أجدّ[2] فكان داعِيَةَ اجتماع
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأوْبات[3] إلا ... لمَوْقوف على تَرَحِ الوَداعِ

ما قيل في القرية

وقال رجل واعْتَلّ في غُرْبَةٍ فتذكّر أهله:

لو أنّ سَلْمى أبْصَرَتْ تخَدُّدي ... ودِقّةً في عَظْم ساقي ويدي
وبُعْدَ أهْلي وَجفاءَ عُوّدي ... عَضّتْ من الوَجدِ بأطراف اليدِ

قوله: أبصرت تخدُّدي يريد ما حَدثَ في جسمه من النُحول وأصل الخَدّ ما شَقَقْتَهُ في الأرض. قال الشّماخُ:

فقلتُ لهم خُدُّوا له برِماحكمْ ... بطامِسةِ الأعْلام خَفّاقَةِ الآلِ

---

(١) من الفراهة وهي الحذق ـ الكيس: الذكي النشيط.
(٢) أجد: أسرع وأعجل.
(٣) الأوبات: جمع أوبة وهي الرجوع.

ويقال للشيخ قد تَخدّدَ يراد قد تشنّجَ جِلْدُهُ وقال اللّه عزّ وجل: ﴿قُتِلَ أصحابُ الاخْدودِ﴾[1]. وقيل في التفسير هؤلاء قوم خَدُّوا أخاديدَ في الأرض وأشعلوا فيها نيراناً فحرّقوا بها المؤمنين. وقوله: عَضّتْ من الوَجْدِ بأطراف اليد فإن الحَزين والمَغيظ والنادِمَ والمُتأسِّفَ يَعَضُّ أطراف أصابعه جَزعاً. قال اللّه عزّ وجل: ﴿عَضُّوا عَليكم الانامِلَ من الغَيْظِ﴾[2]. وفي مثل ما ذكرنا من تَخدُّدِ لحم الشيخ.

في الرثاء

يقول القائل:

ذَهبَ الشبابُ فلا شبابَ جُمانا[3] وكأنّ ما قد كانَ لم يَكُ كانا
وطَوَيْتُ كفّي يا جُمانَ على العصا وكفَى جُمانَ بطيِّها حَدَثانا)
يا مَنْ لِشَيْخٍ قد تَخدّدَ لحمُهُ أفْنى ثلاثَ عَمائِمٍ ألوانا

(ألوانا صفة لثلاث على المعنى كأنه قال مختلفاتٍ):

سَوْداءَ حالِكةٍ وسَحْقَ مُفوّفٍ وأجَدّ لوْناً بَعْدَ ذاك هِجانا
(صَحِبَ الزمانَ على اختلاف فُنونه فأراهُ منه كارهَةً وهَوانا)
قَصَرَ الليالي خَطْوَهُ فَتَدانى وحَنَوْنَ قائِمَ صُلْبِهِ فَتَحانا
والمَوْتُ يَأتي بَعْدَ ذلك كُلِّهِ وكأنما يُعْني بذاك سِوانا

قوله: أفنى ثلاث عَمائمٍ يعني أن شعره كان أسود ثم حَدثَ فيه شيب مع السواد، فذلك قوله مُفَوّفٌ والتَفْويف التنقيش وإنما أخذ من الفُوف وهي النكتة البيضاء التي تَحْدُثُ في أظفار الأحْداثِ وسميت بذلك لشَبَهها بشجرة يقال لها الفُوَفةُ وجمعها فُوفٌ، والسَحْقُ الخَلَقُ يقال عنده سَحْقُ ثوبٍ وجَرْدُ ثوبٍ وسَمَلُ ثوبٍ، وقوله أجَدُّ أي اسْتَجَدّ لوناً، والهجان الأبيضُ وهي العمامة الثالثة يعني حيث شَمَلَهُ الشيب.

---

(١) سورة البروج: الآية ٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٩.
(٣) جمانا: إسم إمرأة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٨ ـ باب في أمثال العرب

قال أبو العباس: من أمثال العرب: لم يَذْهَبْ من مالِكَ ما وَعَظكَ، يقول: إذا ذهب من مالك شيء فَحَذّركَ أن يَحُلّ بك مِثْلُهُ فتأديبُه إياك عَوضٌ من ذَهابه. ومن أمثالهم: رَبّ عَجَلةٍ تهَبُ رَيْثاً، وتأويله أن الرجل يَعْمَل العمل فلا يُحْكِمُهُ للاستعجال به فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف. والرَيثُ الإبْطاءُ وراث عليه أمْرُهُ إذا تأخر. ومن أمثال العرب: عَشّ ولا تَغْتَرّ وأصل ذلك أن يَمُرّ صاحبُ الإبلِ بالأرض المُكْلِئةِ فيقول أدَعُ أن أعَشّي إبلي منها حت أرِدَ على أخرى ولا يَدْري ما الذي يَرِدُ عليه. وقريب منه قولهم: أنْ تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكْيَسُ وتأويله أن يَمُرّ الرجل بالماء فلا يَحْمِلَ منه اتّكالاً على ماء آخر يصير إليه فيقال له: أن تحْمِلَ معك ماءً أحْزَمُ لك فإن أصبتَ ماء آخر لم يضِرك فإن لم تحْمِلْ فخففت من الماء عَطِبْتَ. ومن أمثالهم قد أحْزَمُ لو أعْزِمُ يقول: أعْرفُ وجه الحَزْم فإن عَزمْتُ فأمضيتُ الرأي فأنا حازمٌ وإن تركت الصواب وأنا أراه وضَيّعْتُ العَزْمَ لم ينفعني حَزمي. ومثله قول النابغة الجَعْدي:

أبى لي البَلاءُ وإني امرُؤٌ إذا ما تَبَيّنْتُ لم أرتَبِ

وقال أعرابي يمدح سَوّارَ بن عبد الله:

وأوْقفُ عند الأمر ما لم يَضِحْ له وأمْضى إذا ما شكّ من كان ماضِيا

فالذي يُحْمَدُ إمْضاءُ ما تبين رُشْدُهُ فأما الاقدام على الغَرر وركوب الأمر على الخَطَر فليس بمحمود عند ذوي الألباب وقد يَتحسّنُ بمثله الفُتّاك كما قال

(هو سَعْدُ بن ناشِبٍ المازِنيُّ عن الرِياشيّ وغيره):

عَلَيْكُمْ بداري فاهْدِموها فإنها ... تُراثُ كريمٍ لا يَخافُ العواقِبا
إذا هَمَّ ألقى بين عَينَيْهِ عَزمَهُ ... وأعْرَضَ عن ذِكْرِ العَواقِبِ جانبا
ولم يَسْتَشِرْ في رأيه غيرَ نفسِهِ ... ولم يَرْضَ إلا قائِمَ السيفِ صاحِبا

فهذا شأن الفُتّاكِ، وقال الآخر:

غلامٌ إذا ما هَمَّ بالفَتْكِ لم يُبَلْ ... ألامَتْ قليلاً أم كثيراً عواذِلُهْ

وقال آخر:

وما العَجْزُ إلا أنْ تُشاوِرَ عاجِزاً ... وما الحَزْمُ إلا أن تَهُمَّ فتفعلا

فأما قول عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه مَن أكْثَرَ الفِكرةَ في العَواقب لم يَشْجُعْ، فتأويله أنه من فَكَّرَ في ظَفَرِ قِرْنِهِ به وعُلوّهِ عليه لم يُقْدِم. وإنما كان الحَزْمُ عند عليٍّ رضي اللّه عنه أن يحْظُرَ أمر الدين ثم لا يُفكِّرَ في الموت وقد قيل له، أتقتل أهل الشام بالغداة وتَظهَر بالعَشيِّ في إزارٍ ورِداءٍ؟ فقال: أبا لموتِ أُخَوِّفُ، واللّه ما أبالي أسَقَطتُ على الموت أم سَقَطَ الموتُ عليَّ، وقال للحسن ابنِهِ: لا تَبْدأ بدعاءٍ إلى مبارزةٍ، فإن دُعيتَ إليها فاجِبْ، فإنّ طالبها باغٍ فالباغي مَصروع. وكان عمر بن الخطاب رضي اللّه عنة يَلتَفُّ في كِسائِهِ وينام في ناحية المسجد فلما وُرِدَ بالمَرْزُبانِ عليه. (كذا وقعت الرواية المَرْزُبان[1] والصواب الهُرْمُزان وكان صاحبَ تُسْتَرا) جعلوا يسألون عنه فيقال مَرَّ ههنا آنِفاً فَيَصغُرُ في قلب المَرْزُبان إذ رآه كبعض السُّوَقِ حتى انتهى إليه وهو نائم في ناحية المسجد. فقال المَرْزُبانُ: هذا واللّه المُلكُ الهَنيءُ، يقول لا يحتاج إلى أحراسٍ ولا عُدَدٍ. فلما جلس عمر امتلأ قلبُ العِلْجِ منه هَيْبةً لِما رأى عنده من الجِدِّ والاجتهاد وأُلْبِسَ من هَيبة التقوى. وقال الكلْبيُّ: قال

(١) المرزبان أو الهرمزان وقد اشترك هذا المجوسي مع المسلم في التآمر على قتل الخليفة عمر. والهرمزان لقب للكبير من قوم العجم.

لي خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز القَسريُّ[1] ما تَعُدُّون السُّودَدَ؟ فقلتُ، أما في الجاهلية فالرياسة، وأما في الإسلام فالولاية وخَيْرٌ من ذا وذاك التَقوى، فقال لي صَدَقتَ. كان أبي يقول لم يُدْرِك الأولُ الشَرَف إلا بالفعل ولا يدركه الآخِرُ إلا بما أدركَ به الأولُ. قال فقلتُ صدقَ أبوك ساد الأحْنفُ[2] بحلمه وساد مالك بن مِسْمَعٍ بمحبة العَشيرة له وساد قُتَيْبَةُ بدَهائه وساد المُهَلَّبُ بجميع هذه الخِلال، فقال لي: صدقتَ كان أبي يقول خيرُ الناسِ للناس خيرهم لنفسه، وذلك أنه إذا كان كذلك اتَّقى على نفسه من السَرَقِ لئلا يُقطَعَ، ومن القَتلِ لئلا يقادَ، ومن الزنا لئلا يُحَدَّ فَسَلِمَ الناسُ منه باتقائه على نفسه.

قال أبو العباس وكان **عبد الله بن يزيد أبو خالد** من عقلاء الرجال، قال له عبد الملك يوماً ما مالُكَ. فقال شيآن لا عَيْلَةَ عليَّ[3] معهما الرِضا عن الله والغِنى عن الناس فلما نَهَضَ من بين يديه. قيل له: هَلّا خَبّرتَهُ بمقدار مالكَ؟ فقال لم يَعْدُ أن يكون قليلاً فيَحْقِرني أو كثيراً فيحْسُدَني، وقال رسول الله ﷺ مَنْ سَرَّهُ أن يكون أعزَّ الناس فليَتَّقِ الله، ومن سَرَّهُ أن يكون أغْنى الناسِ فليَكُن بما في يد الله أوثَقَ منه بما في يده ومَنْ سَرَّهُ أن يكون أقوى الناسِ فليتوكل على الله.

وقال **عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه**: من سَرَّهُ الغِنى بلا مال والعِزُّ بلا سُلطانٍ والكثرة بلا عشيرةٍ فليَخْرُجْ من ذُلِّ معصية الله إلى عزِّ طاعته فإنه واجدٌ ذلك كله. وخَطَبَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم فَحَمِدَ الله بما هو أهله ثم أقْبَلَ على الناس فقال: أيها الناس أن لكم مَعالِمَ فانتهوا إلى مَعالِمِكم، وان لكم نِهايةً فانتهوا إلى نهايتكم فإن العبد بين مَخافَتين، أجَلٌ قدمضى لا يَدري ما

---

(١) القسري: نسبة إلى قسر بطن من بجيلة.

(٢) الأحنف: كان إسمه صخراً ويكن أبا بحر وكان تابعياً كبيراً ولقب بالأحنف لحنف كان برجليه وهو اعوجاج في الرجل.

(٣) العيلة: الفقر.

اللّه فاعِلٌ فيه، وأَجَلٌ باقٍ لا يَدري ما اللّه قاضٍ فيه، فليأخُذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته، ومن الشَبيبة قبل الكِبَرِ، ومن الحياة قبل المَماتِ، فو الذي نفسُ محمدٍ بيدهِ ما بعد الموت من مُستَعْتَبٍ، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلا الجنةُ أو النارُ. وقال رسول اللّه ﷺ: أمرني ربي بتسع، الإخلاصُ في السِّر والعَلانيةِ والعَدْلُ في الغضب والرضا والقَصدُ في الفقر والغِنى، وأن أعفُوَ عمن ظلمني وأصِلَ من قَطَعني وأُعطي مَن حَرمَني، وأن يكونُ نُطْقي ذِكراً وَصْمتي فكْراً ونظري عبرةً. وحُدِّثتُ أنه الْتَقى حَكيمان فقال أحدهما للآخر. إني لأُحِبُّك في اللّه. فقال له الآخر: لو علمتَ مني ما أعْلَمُهُ من نفسي لأبْغَضْتَني في اللّه، فقال له صاحبه: لو عَلِمتُ منك ما تَعْلَمُهُ من نفْسكَ لكان لي فيما اعلَمُهُ من نفسي شُغلٌ. وكان مالكُ بن دينارٍ يقول: جاهدوا أهواءَكم كما تُجاهدون أعداءكم. وكان يقول ما أشَدَّ فِطامَ الكبير.

وقيل **لعمر بن عبد العزيز أيُّ الجِهادِ أفضلُ؟** فقال جِهادُكَ هَواكَ. وكان الحسن يقول: حادثوا هذه القلوبَ فإنها سريعة الدُّثور[1]،واقدَعوا هذه الأنفُسَ فإنها طُلعَةٌ وانكم إلا تقْدَعوها تَسرِعْ بكم إلى شرٍّ غاية. قوله: حادثوا مَثَلٌ، ومعناه اجْلوا واشْحَذوا، تقول العرب حادَثَ فلانٌ سَيْفه إذا جلاه وشَحَذَهُ. وقال زيْدُ الخيْلُ:

وقد عَلِمَتْ سلامةُ أنّ سَيفي كريهٌ كُلّما دُعيتْ نَزالِ
أُحادِثُهُ بصقْلٍ كلّ يوْمٍ وأعجمُهُ بهاماتِ الرجالِ

قوله: أعجُمُهُ بهاماتِ الرجالِ أي أُعِضُّهُ، يقال عَجَمَهُ إذا عَضَّهُ والدثور الدُروسُ، يقال دَثَرَ الرَبْعُ إذا انمحى ومعناه تَعَهّدوها بالفِكرِ والذِكْرِ. وقوله: فإنها طُلعَةٌ، يقول كثيرة التَشَوُّفِ والتَنزِّي إلى ما ليس لها. وأنشد الأصمَعيُّ:

ولا تملّيتِ من ماءٍ ولا عُمُرٍ إلا بما ساء نفْسَ الحاسِدِ الطُلعَهْ

(الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها في

---

(١) الدثور: للنفس.

الشعر يدعو عليها). قال: ويقال للجارية، إذا كانت تُبرِزُ وجهها لِتُريَ حُسْنها ثم تُخفيه لتُوَهِّم الحياءَ خُبَأَةٌ[1] طُلَعَةٌ. وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: أيها الناس إنما خُلِقتُم للأبَدِ ولكنكم تُنقلون من دارٍ إلى دارٍ ويروى عن المَسيح صلواتُ اللّه عليه وسلامه أنه كان يقول: إن احتجتم إلى الناس فكلوا قصَداً وامشوا جانِباً.

ولما احْتُضِرَ **قيسُ بن عاصِمٍ**، قال لبَنيه: يا بَنيَّ احفظوا عني ثلاثاً فلا أحد أنصَحُ لكم مني إذا أنا مِتُّ فَسَوِّدوا كِباركم ولا تُسوِّدوا صِغارَكم فيُحقِّرَ الناسُ كباركم وتَهونوا عليهم وعليكم بحِفْظِ المال، فإنه مَنبَهةٌ[2] للكريم ويُستَغنى به عن اللئيم وإياكم والمَسْئلةَ فإنها أخِر كسْبِ الرجل. (أخِرُ بقصر الهمزة لا غير ومن رواه بالمد فقد أخطأ ومعنى أخِر أدْنى وأرذلُ).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) الخبأة: المرأة الملازمة لبيتها.

(٢) أي مسعر وحمل له.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٩ ـ باب في الرثاء والعتب

قال أبو العباس أُنْشِدْت لرجل من الأعراب يَرثي رجلاً منهم:

فلو كان شَيخاً قد لبِسنا شَبابَه[١] ولكِنَّهُ لم يَعدُ أن طرَّ شاربُهْ
وقالَ الرَدى مَن ودَّ أنّ ابنَ عمِّه يُرى مُتبِراً أو أنَّهُ ذُلَّ جانِبُه

وقال الآخر (حَسّانُ بن ثابتٍ) لامرأته:

فأما هَلَكْتُ فلا تَنكحي ظَلومَ العشيرةِ حَسَّادَها
يَرى مَجْدَهُ ثَلبَ[٢] أعْراضِها لَدَيه ويُبْغِضُ من سادها

وقال آخر (قال أبو الحسن هو ليزيدَ بن حَبْناءَ[٣] أو لصخْرِ بن حسناء يقوله لأخيه):

لَحى اللّهُ أكْبانا زِناداً وشَرَّنا وأيْسَرَنا عن عِرْضِ والدِهِ ذبّا[٤]
رأيتُكَ لمّا نِلتَ مالاً ومَسنا زمانٌ تَرى في حَدّ أنيابه شَغْبا
جَعَلتَ لنا ذنباً لتَمنعَ نائِلاً فامْسِك ولا تَجعَلْ غِناك لنا ذنْبا

قوله أكبانا زناداً الزنادُ التي تُقدَحُ بها النار، ويقال أورى القادِحُ إذا خرجت

---

(١) مثل يراد به الدلالة على التمتع بالشباب.

(٢) ثلبة: عابة.

(٣) حبناء أم المغيرة ويزيد وصخر وكلهم شعراء.
وقد ورد في القاموس وهو مؤلف للمجد نقلاً عن أبي الفرج في أغانية أن هؤلاء الشعراء هم أولاد عمر بن أبي ربيعة وأن حبناء لقب أبيه حبني بن عمرو بن ربيعة.

(٤) ذب: دافع.

لـه النارُ وأكبى إذا أخْفَقَ منهـا، هذا أصله يُضـرَبُ للرجل الـذي ينبعِثُ الخيرُ على يديه، ويُضرَبُ الإكباءُ للذي يمتنع الخيرُ على يديه. قال الأعشى:

وَزَنْدُكَ خـيـرُ زنـادِ الـمُـلو ... كِ صـادَفَ منهنّ مَـرخٌ عَفـارا
ولـوبِـتّ تَقـدحُ فـي ظُلمـةٍ ... صفـاةً بنَبْـعٍ لأوْريتَ نـارا

والمَـرْخُ والعَفار شجـر تُسْرِعُ فيـه النار، ومن أمثـالهم في كلِّ شَجَـرٍ نـارٌ واستَمجَدَ المَرْخُ والعَفارُ، واسْتَمجَدَ استكثـرَ يقال أمجَـدتُهُ ذمـاً إذا أكثرتَ من ذلك، ومن أمثالهم أرْخِ يـديك واسترخِ أنّ الزنـادَ من مَرْخ، ويقـال رجل ذو شَغب إذا كان يَشغَبُ على خصمه ضربه مَثـلاً للزمان الـذي يَهُرُّ على أربـابه، أي يَمَسُّهُمْ بالفقر والجَدْب. وقال عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب:

رأيتُ فُضَيـلاً كـان شيئـاً مُتلفَّفاً ... فكَشَّفَـهُ التَمحيصُ حتى بـدالِيـا
أأنتَ أخي مـا لم تَكنْ ليَ حاجـةٌ ... فإنْ عرضَتْ أيقنتُ أن لا أخـا ليا
فـلا زاد مـا بيني وبَيْنـكَ بَعـدمـا ... بَلوْتُـكَ في الحاجـات إلا تَماديـا
فلَستُ بِـراءٍ عَيْبَ ذي الـوُدِّ كلِّهُ ... ولا بَعضَ مـا فيه إذا كنتُ راضيـا
فعَينُ الـرِضا عن كـلِّ عَيب كليلةٌ ... ولكنّ عينَ السُخطِ تُبدي المساويا
كِـلانـا غَنيٌّ عن أخيـه حَيـاتَـهُ ... ونحْنُ إذا مُـتنـا أشَـدُّ تَـغـانيـا

قوله: كان شيئاً ملففـاً يقول كـان أمراً مُغَـطًى والتمحيص الاختبار، يقـال أدخلتُ الذهَبَ في النار فَمَحَّصْتُهُ،أي خرج عنهما لم يكن منه وخَلَص الذهبُ.

قال اللّه عز وجل: ﴿**وليُمَحِّصَ اللّهُ الذين آمنوا ويَمْحَق الكافرين**﴾[1] ويقال مُحِّص فـلانٌ من ذنوبـه. وقولـه أأنت أخي ما لم تكن لي حـاجة تقـرير وليس باستفهام ولكنّ معناه إني قد بَلوْتُك تُظهـرُ الإخاء فـإذا بدت الحـاجة لم أر من اخائك شيئاً. قال اللّه عز وجل: ﴿**أأنت قُلت للناس اتّخذوني وأُمّي الهَيْنَ من دون اللّه**﴾[2]. إنما هو توبيخ وليس بـاستفهام وهـو جل وعـز العالِمُ بـأنّ عيسى لم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤١.
(٢) سورة المائدة: الآية ٢١٦.

يَقُلهُ، وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام في موضعه من الكتاب المُقتَضبِ مُستَقصىً ونذكر منه جملة في هذا الكتاب ان شاء اللّه تعالى.

وقال **عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه**: ثلاثةٌ لا يُعْرفون إلا في ثلاثٍ، لا يُعْرفُ الشُجاعُ إلا في الحرْب ولا الحليمُ إلا عند الغضَب، ولا الصديقُ إلا عند الحاجة. وقال عبد اللّه بن معاوية أيضاً، (ذكر دِعْبِلٌ في أخبار الشُعراء له أن هذا الشعر لعبد اللّه بن الزبيرِ الأسَديّ):

أنّى[1] يكونُ أخاً أو ذا مُحافَظةٍ[2] مَن كُنت في غيْبه مُسْتشعِراً وجِلاً
إذا تَغَيّب لم تَبرحْ تَظُنُّ به سُوءاً وتسألُ عما قال أو فعَلا

وقال آخر:

سأشكُرُ عمراً[3] ما تراخَتْ منيّتي أيادي[4] لم تُمْننْ وإنْ هي جلَّتِ
فتىً غيرُ محجْوب الغِنى عن صَديقِه ولا مُظهِرُ الشكوى إذا النعلُ زلّت[5]
رأى خَلّتي[6] من حيث يخفى مكانُها فكانت قذى عَيْنَيه حتى تجَلّت

وتمثل عليٌّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه في طَلحة بن عُبَيد اللّه رضي اللّه عنه.

فتىً كان يُدنيه الغِنى من صديقهِ إذا ما هو اسْتغنى ويُبعِدُه الفقرُ
فتىً لا يعُدُّ المال ربّاً ولا تُرى به جَفوة[7] إن نال مالاً ولا كِبر

---

(١) أنّى: بمعنى كيف، استفهام على وجه الانكار.
(٢) المحافظة: الاستمرار على الود.
(٣) عمراً منصوب على السعة ـ يريد سأشكر لعمرو لأن الأفصح في هذا الفعل أن يتعدى إلى مفعوله الأول بالام.
(٤) الأيادي: المكرمات.
(٥) زلة النعل كناية عن الشدة وسوء الحال.
(٦) خلتي: الحاجة والفقر.
(٧) جفوة: نقيض الصلة.

فتىً كانَ يُعطي السيف في الرَوع[1] حقَّهُ إذا ثَوَّب الداعي وتشقى به الجزْر[2]
وهوَّن وجدي إنّني سوْفَ أغتدي على إثره يوْماً وإنْ نفَّس[3] العمرُ

(قال أبو الحسن بعضهم يقول هو للأبَيْرْدِ الرياحيّ. وبعد البيت الثالث:

فلا يُبعِدنك[4] اللّه إما تركْتَنا حميداً وأوْدى[5] بَعدكَ المجدُ والفخرُ)

قال أبو العباس حدثني التَوَّزيُّ قال حدثني محمد بن عَبّاد بن حبيب بن المُهلّب أحسِبُهُ عن أبيه قال: لما انقضى يوم الجَمل خرج عليُّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه في ليلة ذلك اليوم، ومعه قنبَرٌ وفي يده مَشعلةٌ من نار يَتصفّح القَتلى حتى وقف على رجلٍ، قال التَوَّزيُّ فقلتُ أهو طلحةُ قال: نعم، فلما وقف عليه قال: أعزز[6] عَليّ أبا محمدٍ أن أراك مُعَفّراً تحت تُخوم السماء وفي بطون الأودية، شَفَيتُ نفسي وقتلتُ مَعْشري إلى اللّه أشكو عُجَري، وبُجْري قوله مُعَفّراً أي مُلصَق الوجه بالتراب، ويقال للتراب العَفَرُ والعَفْرُ، يقال ما مشى على عَفرِ التراب مِثلُ فلان، وقوله إلى اللّه أشكو عجري وبجري، يقول ما أُسِرُّ من أمري قال الأصمعي، وهو قولٌ سائرٌ في أمثال العرب لَقي فلانٌ فلاناً فأبثّهُ عُجَرَهُ وبُجَرَه. وقال النِمرُ بن تَوْلَب: (كل نَمْرٍ في العرب كالنِمر بن قاسِطٍ وغيره مكسورِ النون مجزوم الميم إلا النمر بن تَوْلب[7] عن ابن دُريد قال أبو حاتم يقال النَمْرُ بفتح النون وتسكين الميم ولا يقال النَمِرُ):

---

(١) الرَّوْعُ: بالفتح، الخوف والفزع وأراد به الحرب.

(٢) الجُزُرُ: بالضم جمع جزور بالفتح وهو البعير المجزور أو خاص بالناقة المجزورة، يريد أنه شجاع كريم لا يبقى على ماله وأنه يعقر الابل للضيافة.

(٣) إتسع وطال: يقول إن الذي هون وجدي عليه وصبر نفسي على فراقه هو يقيني بأني لا بد ماض على أثره وإن طال العمر واتسع.

(٤) فلا يبعدك اللّه عن الخير.

(٥) أودى: ذهب وهلك.

(٦) أعزز: كلمة تعجيب فيها توجع وتمسر ويريد ما أشد هذا أعظمه.

(٧) النمر بن تولب: شاعر مخضرم أدرك النبي صلى اللّه عليه وسلم وآمن به.

تَدارَكَ[1] ما قبل الشباب وبَعدهُ حوادثُ[2] أيامٍ تمُرُّ وأغفُلُ
يسُرُّ الفتى طولُ السلامة والبقا فكيف يرى طول السلامةِ يفعَلُ
يرُدُّ الفتى بعد اعتدالٍ وصحّةٍ يَنوءُ إذا رام القيامَ ويُحمَلُ

قصرَ البقاء ضرورةً وللشاعر إذا اضطُرَّ أن يقصُر الممدود وليس له أن يمُدَّ المقصور، وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة، فإذا احتاجَ حَذَفَها. وردّ الشيء إلى أصله، فلو مدّ المقصور لكان زائداً في الشيء ما ليس منه. قال الشاعر وهو يزيدُ بن عمرو بن الصعِق:

فرغتُم[3] لِنمْر بن السِّياط وأنتُمُ يُشنُ عليكم بالفِنا كلُ مَرْبَعِ

فقصر الفِناء وهو ممدود وقال الطِرمّاحُ:

وأخرجَ أمُّهُ لِسَواس[4] سلمى[5] لمعْفور[6] الضَرا ضَرِم الجَنين

قوله: وأخْرج يعني رَماداً، والأخرجُ الذي في لونه سواد وبياض، يقال نعامةٌ خَرْجاءُ، وقوله لسواس سلمى فإن أجَأ وسَلْمى جَبلاً طَيِّىءٍ، وسواسُ سلمى الموضع الذي بحضْرةِ سلمى يقال هذا من سُوس فلانٍ ومن تُوس فلان أي من طبعه، وأمُّهُ يعني الشجرة التي هي أصله. وقوله لمعفور الضرا فالضراءُ ما واراك من شجرٍ خاصّةً والخَمَرُ ما واراك من شيء، والمعفور ما سقط من النار من الزنْدِ. وقوله: ضرم الجنين يقول مُشْتعلٌ والجنين ما لم يظهرْ بعدُ يقال للقبرِ جَنٌ والجنينُ الذي في بطن أمه والمجنُّ التُرْسُ لأنه يستُرك والمجنون المعطى العقلِ ويسمى الجن جناً لاختفائهم وتُسمى الدُروعُ الجُنَنَ

---

(١) تدارك: تتابع وتلاحق.
(٢) حوادث الأيام: نوبها.
(٣) تقول العرب فلان من كذا خلا باله منه وفرغ لكذا قصد إليه تمرين السياط، تنيفها وشن الشيء، صبه من كل وجه وفناء الدار ونحوها بالكسر والمد ما اتسع من أمامها.
(٤) سواس: كسحاب شجر أفضل ما اتخذ منه زند.
(٥) سلمى أحد جبال طيء.
(٦) المعفور الذي عفر بالتراب.

لأنها تَنْهَتر من كان فيها. وَقصرَ الضراءَ وهو ممدود ومثل هذا كثير جداً، وقوله ينوء إذا رام القيام يقول ينهضُ في تثاقُلٍ. قال اللّه عز وجل ﴿**ما إنّ مفاتحهُ لتنوءُ بالعُصبةَ**﴾ (١) والمعنى أن العُصبةَ تنوء بالمفاتيح ولشرح هذا موضع آخر وقال آخر: (لعمرِ بن قميئةَ:

على الـراحتيْنِ مرّةً وعلى العَصـا) أنـوءُ ثَـلاثـاً بعـدهُـنّ قـيـامي

ويُرْوى عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: كفى بالسلامةِ داءً. وقال حُمَيْد بن ثَوْرٍ الهِلاليُ:

أرى بَصَـري قـد رابَني بعـدَ صحّـةٍ وحسْبُـكَ داءً أن تَـصِـحّ وتَسلمَـا
ولا يَـلبثُ الـعـصـرانِ يـومٌ ولـيـلةٌ إذا طلبَـا أن يُـدْركـا مـا تيمّمـا

وقال أبو حيّةَ النُميْري:

ألا حَيّ من أجلِ الحبيبِ المغانيا(٢) لِبْسْنَ البِلى ممّـا لَـبِسْـنَ الليـالـيـا
إذا مـا تقـاضى المَـرءَ يـومٌ وليلةٌ تقـاضـاه شيءٌ لا يمَـلّ التقاضيـا

وقال بعض شعراء الجاهلية:

كـانتْ قنـاتي لا تلينُ لغـامِـزٍ(٣) فـالانـهـا الإصبـاحُ والإمـسـاءُ
ودعـوْتُ ربي في السّلامـة جاهِـداً ليُـصّحـني فـإذا الـسـلامـةُ داءُ

وقال عنترةُ بن شدّادٍ:

فمـا أوْهى مِراسُ(٤) الحربِ رُكني(٥) ولـكـنْ مـا تـقـادمَ مـنْ زمـانـي

ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا: لقد أكلَ عليه الدهْرُ

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٦.
(٢) المغانيا: جمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله ثم ظعنوا عنه.
(٣) الغامز: الذي يتعرض لك ممتحناً قوتك.
(٤) مراس الحرب: معالجتها.
(٥) الركن بالضم: الجانب الأقوى.

وشرِبَ، إنما يريدون أنه أكلَ هو وشرب دهراً طويلاً. قال الجعديُّ:

(كم رأَيْنا من أُناسٍ هَلَكوا) أكلَ الدهْرُ عليهم وشرِبْ

والعرب تقول نهارُك صائم وليلك قائم، أي أنت قائم في هذا وصائم في ذاك، كما قال اللّه عز وجل ﴿بل مَكرُ الليل والنهار﴾[1] والمعنى واللّه أعلم، بل مَكرُكم في الليل والنهار. وقال جرير:

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ في السُرى ونِمْتِ وما لَيْلُ المَطيِّ بنائِمِ

من رثاء الفرزدق لابني مسمع

وقال الفَرَزْدقُ:

تُبكّي على المَنْتوفِ بَكرُ بن وائِلٍ وتَنهى عن ابْنَي مِسْمَعٍ مَن بَكاهُما
غلامانِ شبَّا في الحُروب وأدْرَكا كِرامَ المساعي قبلَ وصْلِ لِحاهُما

وابنا مِسْمعٍ كان قتلهما معاوية بن يزيد بن المُهَلَّب مع عَديِّ بن أرطاةَ لما أتاه خبر قتل أبيه، وكان ابنا مسمع ممن خالف على يزيد بن المهلب والمَنْتوفُ كان مَوْلىً لبني قيسِ بن ثَعْلبةَ بن عُكابةَ وابنا مسمع من بني قيْس بن ثعلبة وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب، وفي ذلك يقول جَرير:

والأزْدُ قد جَعلوا المَنتوفَ قائدهم فَقَتَّلْتُهُمْ جُنود اللّه وانتُتِفوا[2]

وتمام شعر الفرزدق:

ولو قُتِلا من جَذمِ بَكْر بن وائِلٍ لَكانَ على النّاعي شديداً بكاهما
ولو كان حَيّاً مالِكٌ وابنُ مالك إذاً أوْقَدا نارَيْن يعلو سَناهما

---

(١) سورة سبأ: الآية ٣٣.

(٢) لعله كناية عن نقص عددهم وكسر مدهم وجعلهم كالشعر النابت على الجسم تحقيراً لهم.

السَنا ضوء النار وهو مقصور.

قال اللّه عز وجل ﴿يكاد سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبصار﴾[1] والسَناء من الشرف ممدود. قال حَسّانُ بن ثابتٍ:

وانَّكَ خَيرُ عُثمانَ بن عَمْرٍو وأسْباهـا إذا ذُكِرَ السَناءُ

والبكاء يمد ويُقصَرُ، فَمَنْ مَدَّ فإنما جعله كسائر الأصواتِ، ولا يكون المصدر في معنى الصوت مَضْموم الأول إلا ممدوداً لأنه يكون على فُعالٍ، وقَلَّما يكون المصدر على فُعَلٍ، وقد جاء في حروف نحو الهُدى والسُّرى وما أشبهه وهو يسير. فأما الممدود فنحو العُواءِ والدُعاءِ والرُغاءِ والثُغاءِ، فكذلك البُكاء ونظيره من الصحيح الصُراخُ والنُباحُ ومن قَصَرَ فإنما جعل البكاء كالحُزن، وقد قال حَسّانُ فقَصَرَ ومَدّ:

بَكَتْ عَيْني وحُقَّ لها بُكاها وما يُغني البُكاءُ ولا العَويلُ[2]

وقال جرير:

قالوا نصيبَكَ من أجْرٍ فقلتُ لَهُمْ كيفَ العزاءُ[3] وقد فارقتُ أشبالي
هذا سَوادهُ يَجْلو مُقلَتَيْ لَحِمٍ[4] بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْقبِ العالي
فارقْتُه حين غضَّ الدَهرُ من بَصَري وحين صِرْتُ كعَظمِ الرِمَّةِ البالي

(نصيبك بالنصب لا غير لأنه مفعول بإضمار فعل تقديره احْفَظ نصيبَك أو احْرُز نصيبك). قوله يجلو مقلَتي لحم شَبَّهَ مُقْلَتيهِ بمُقْلَتيْ البازي ويقال طائر لَحِمٌ من هذا، وقوله يُصَرْصِرُ، يعني يُصَوِّتُ. يقال صَرْصَرَ البازي والصَقْرُ وما كان من سباع الطير، ويقال صَرْصَرَ العُصفورُ وأحسِبهُ مستعاراً لأن الأصل فيه

---

(١) سورة النور: الآية ٤٣.

(٢) العويل: إسم من قولهم أعول عليه أعوالاً إذا رفع الصوت بالبكاء والصياح.

(٣) العزاء: بالفتح الصبر.

(٤) لحِم: أكول اللحم، أو القِرم إليه.

أن يستعمل في الجوارح من الطير. قال جرير:

بـازٍ يُصَـرْصِـرُ بـالسَهْبي قَـطاجُـونـا

وقال آخـر:

كـما صَرْصَرَ الـعُصْفورُ في الرُطَبِ الثَعْدِ[1].

وأنشدني عمارةُ: باز يُصَعْصِعُ وهـو أصح)قـال أبو الحسن يُصَعْصِـعُ وهو الصواب، ولكن هكذا وقع في كتابه ويُصَرْصِرُ لا يَتعدَّى). وقوله: كعظم الرِمَّةِ فهي البالية الـذاهبة والـرَميمُ. مُشتق من الرِمَّـةِ، وإنما هـو فعيلٌ وفِعْلةٌ، وليس بجمع له واحد.

في تكفير الحجاج

ومما كفَّرت بـه الفقهاء الحَجّاجَ بن يوسف قـولُهُ والنـاس يطـوفـون بقبر رسـول اللّه ﷺ ومِنْبرِهِ وإن شئت قلت يُطيفون قـال أبو زيـد: تقول العـرب، طُفتُ وأطَفْتُ به ودُرْتُ وأدَرْت به. ويقال، حَدَقَ وأحدَقَ. قال الأخطَلُ:

المُنعِمـونَ بنـو حَـرْبٍ وقـد حَـدَقَتْ بيَ المنيَّـةُ واسْتَبْـطأتُ أنـصـاري

إنمـا يَطوفـونَ[2] بأعْـوادٍ ورِمَّةٍ. ومن أمثـال العرب لـوْلا أن تُضَيّعَ الفِتْيـان الذِمّةَ لَخَبَّرْتها بما تجِدُ الإبلُ في الرِمّةِ، يقول: لولا أن تَدَعَ الأحداثُ التمسُّكَ بالوفـاء والرِعـايةَ للحُـرْمةِ لأعلمتهـا أن الإبل تتنـاول العظم البـالي، وهو أقـل الأشياءِ فتجدُ له لذّةً. ومثل بيت جريرٍ الأخير قولُ أبي الشَغْبِ يرثي ابنه شَغْباً:

قـد كـان شَغبٌ لـو أنّ اللّه عَمَّـرَهُ عـزّاً تُـزادُ بـه في عِـزِّهـا مُضَـرُ
لَيْتَ الجبـالَ تَـدَاعَت قبـلَ مَصـرَعِـهِ دكّـاً فلم يَبْقَ من أحجـارهـا حجـرُ
فـارَقتُ شَغْبـاً وقـد قـوَّسْتُ من كِبَـرٍ بِئسَ الخَليفـانِ طولُ الحُـزنِ والكِبـرُ

---

(١) الثعد: بثر غلبت عليه الأرطاب.

(٢) المقصود هنا وصف الجرأة العظيمة.

قوله قوّست، يقول انحَنَيْتُ كالقوس. قال امرُؤ القَيس:

أراهُنَّ لا يُحْبِبنَ مَنْ قَلَّ مالُهُ ولا مَن رَأَينَ الشَّيْبَ فيه وقَوَّسا

وقال سليمان بن قتة يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنهما:

مَرَرْتُ على أبياتِ آلِ مُحمَّدٍ فلمْ أرَها كَعَهدِها يَومَ حُلَّتِ
فلا يُبْعِدِ اللّهُ الديارَ وأهلَها وإن أصْبَحتْ من أهلها قد تَخلَّت
وإنّ قتيلَ الطفِّ من آل هاشِمٍ أذَلَّ رِقابَ المسلمين فذَلَّتِ
وكانوا رجاءً ثم صاروا رزيّةً[1] فقد عَظُمَت تلك الرَزايا وجلَّتِ
وعندَ غنيٍ[2] قطرةٌ من دِمائنا سنَجْزيهُمُ يوماً بها حيثُ حَلّت
إذا افْتَقَرَت قيسٌ جَبرْنا فقيرها وتَقتلنا قيسٌ إذا النعْلُ زلّت

وسليمان بن قتة رجل من بني تميم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وكان منقطعاً إلى بني هاشم.

في رثاء الفرزدق لابنيه

وقال الفَرَزدقُ يرثي ابْنَيه:

بِفي الشامتين[3] التُرْبُ أن كانَ مَسَّني رَزيّةُ شِبْغَيْ مُخْدِرٍ في الضَراغم
وما أحَدٌ كان المَنايا وَراءَهُ ولو عاش أيّاماً طِوالاً بسالم
أرى كلَّ حَيٍّ ما تزالُ طَليعةً عليه المَنايا من ثَنايا المخارمِ[4]
يُذَكِّرُني ابْنيَ السِماكانِ[5] مَوْهِنا إذا ارتفعا فوقَ النجوم العواتم[6]

---

(١) الرزية: المصيبة وأصلها الهمز وكذا الرزء بالضم.

(٢) غني: حي من غطفان وغطفان من قيس عيلان فهم المذكورون في البيت بعده نسبة إلى جدهم الأكبر.

(٣) يريد بفمهم التراب وهذا دعاء عليهم بالهلاك الشامت الذي يفرح بالمصيبة تنزل بغيره.

(٤) المخارم: الطرق القاسية ـ الغليظة.

(٥) السماكان: الاعزل والرامح، وهما نجمان.

(٦) النجوم العواتم: التي تظلم.

وقـــد رزئَ الأقـــوامُ قبْلي بَـنيـهم ... وإخـــوانَهُم فـــاقْنَيْ حيـاءَ الكـــرائم
ومـــات أبي والمُـنـــذِرانِ كِـــلاهُمـــا ... وعمْـــرُو بن كُلثـومٍ شِهـــابُ الأراقِم
وقـد كان مـات الأقـرعـانِ وحـاجِبٌ ... وعَمـرو أبو عَمْـرٍو وقيسُ بن عـاصم
وقد مات بِسْطامُ[1] بنِ قيسِ بن خالدٍ ... ومـاتَ أبـو غسّـانَ شيـخُ اللُهـازِم[2]
وقـــد مـات خَيْـــراهُمْ فلم يُهْلِكـاهُمُ ... عَشيّةَ بانا[3] رَهْطِ[4] كعبٍ وحـــاتـمِ
فما ابْناكِ إلا مِنْ بني الناس فاصبري ... فَلَن يَـــرْجِـعَ المـــوتى حَنينُ المـآتِم

وأنشـدني التَـوَّزيّ عن أبي زيـد خَنينُ المـآتم معجمـة، (الخَنين بـالخـاء صوت من الخَيشوم). قوله ما تزال طليعة يريد طالِعةٍ، والثنايـا جمع ثَنيّـةٍ وهي الطريقُ في الجبل من ذلك، (الشعر لسُحَيْمِ بن وثيلٍ الرياحيُّ)[5].

أنا ابنُ جَلا[6] وطَـلّاعُ الثَنـايا[7] ... مَتى أضَـع العُمامة[8] تعْـرفـوني

والمخـارِمُ جمع مَخْـرَمٍ وهو مُنْقَـطَعُ أنف الجبـل، وقـولـه فـوق النجـوم العَواتِمِ يعني المتأخـرة، يقال فـلان يأتينـا ولا يُعَتِّمُ أي لا يتأخـر، وعَتَمةٌ اسم للوقت فلذلك سميت الصلاةُ بذلك الوقتِ، وكل صلاة مضافةٌ إلى وقتها تقـول صلاةُ الغَداةِ وصلاةُ الظهرِ وصلاةُ العصرِ، وأما قـولك الصـلاةُ الأولى، فالأولى نعت لها إذ كانت أوّلَ ما صُليَ وقيل أوّلَ ما أُظهِرَ. وقوله فاقَنَيْ حَياءَ الكـرائم،

---

(١) بسطام: بالكسر والفتح لحن.

(٢) اللهازم: لقب بني قيم اللّه بن ثعلبة.

(٣) بانا: ذهبا وانقطعا من الدنيا.

(٤) الرهط: القوم، الجماعة.

(٥) الرياحي: نسبة إلى رياح بن يربوع أبي القبيلة.

(٦) أنا ابن جلا، قال أبو هلال يقال للرجل الجلد المجرب هو ابن الأيام، ابن جلا وابن جلى ومعناه أنا المشهور الواضح.

(٧) الثنايا: ثنايا الجبال وهي الطرق فيها أو هي الجبال نفسها وضرب ذلك مثلاً لقوته واضطلاعه بالأمور الضعيفة الشاقة.

(٨) العمامة: بالكسر: المقفر، والبيضة ما يلف على الرأس وتمثل الحجاج بهذا البيت على منبر الكوفة حين أرسله عبد الملك والياً عليها.

يقول فالزَمي، وأصل القِنيَةِ المالُ اللازمُ تقول اقتَنى فلانٌ مالاً إذا اتخذ أصل مالٍ، وقيل في قول اللّه عز وجل ﴿وأنه هو أغنى وأمتن﴾[1] أي جَعَل لهم أصل مال. وأنشد أبو عبيدة (الشعر لأبي المُثلَّمِ الهُذَليِّ يرثي صخراً):

لو كان للدهرِ عزٌّ يَطمَئِنُّ به لكان للدهرِ صَخرُ مالَ قُنيانِ

والكَرائم جمع كريمةٍ، والاسم من فَعيلةٍ والنعتُ يجمعان على فَعائِلَ، فالاسم نحو صَحيفةٍ وصحائفَ وسفينةٍ وسَفائنَ؛ والنعت نحو عَقيلةٍ وعقائلَ وكريمةٍ وكرائِمَ. وقوله ومات أبي يريد التأسي بالإشراف وأبوه غالِبُ بن صَعصَعة بن ناجيةَ بن عِقال بن محمد بن سُفيان بن مُجاشِع، وكان أبوه شريفاً وأجداده إلى حيث انتَهَوْا ولكل واجد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها، والمُنذرانِ، المنذرُ بن المنذر بن ماء السَماء اللخَميُّ، يريد الابن والأب وعمرو بن كلثوم التَغلَبيُّ قاتل عمرو بن هند وكان أحَد أشراف العرب وفُتّاكِهم وشعرائِهم، والأراقمُ قبيلة من بني تَغْلبَ بنتِ وائل من بني جُشَم بن بَكرٍ وزعم أهل العلم أنهم إنما سُمُّوا الأراقم لأن عُيونهم شُبِّهَتْ بعيون الحَيّاتِ والأراقم، واحدها أرْقَمُ فكانوا معروفين بهذا. قال الفرزدق يردُّ على جَرير في هِجائه له وللأخْطلِ:

إن الأراقِمَ لنْ ينالَ نَديمَها كلبٌ عَوى مُتَهَتِّمُ الأسنانِ

وجعله شِهاباً لهم لنوره وبَهائه وضيائه، تقول العرب: إنما فلانٌ نجْمُ أهلِهِ، وكذلك قالت الخَنساءُ: كأنه عَلَمٌ في رأسه نارُ. والأقرعان: الأقرَعُ بن حابِسٍ وابنه الأقرعُ من بني مُجاشِعِ بن دارم، وكان الأقرعُ في صدر الاسلام سَيِّد خِندِفَ[2] وكان محَلُّهُ فيها محلّ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ في قَيسٍ. وحاجبُ بن زُرارةَ بن عُدَسَ سَيِّدُ بني تميم في الجاهلية غير مُدافَعٍ. وعمرو أبو عمرو يريد

(١) سورة النجم: الآية ٤٨.

(٢) خندف بكسر فسكون إسم قبيلة، وهنا القوم نسبوا إلى أمهم وهي ليلى بنت حلوان بن عمران ولقبها خندف وهي إمرأة الياس بن مضر، وقد أولدها عمراً وعامراً وعميرة.

عمرو بن عُدَس وكان شريفاً وكان ابنه عمرو شريفاً قتل يوم جَبَلَةَ[1]، قتلتهُ بنو عامر بن صعصعةَ وقتلوا لقَيطَ بن زُرارةَ، وكان الذي وَلِيَ قتله عُمارة الوَهّاب العَبسي وينسب إلى بني عامر لأن بني عَبسٍ كانوا فيهم مع قيسِ بن زُهَير وعُمارةُ هذا هو الذي كان يقال له دالقٌ وقَتَله شِرْحافٌ الضَبّيُّ.

في فخر الفرزدق بكرمه

ولذلك يقول الفرزدق:

وهُنَّ بِشِرحافٍ تَدارَكنَ دالِقاً[2] عمارةَ عَبْسٍ بعدما جَنَح العَصرُ

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنتَ الخُرْشُبِ[3] الانماريّةَ أُريَتْ في منامها قائلاً يقول: أعشرٌ هُدَرةٌ[4] أحبُّ إليك أم ثلاثةٌ كعشرة؟ (هدرة بالدال غير معجمة. قال أبو الحسن: هم السُّقاطُ من الناس) فلم تقل شيئاً فعاد لها في الليلة الثانية فلم تَقُلْ شيئاً ثم قَصّتْ ذلك على زوجها، فقال: إن عاد لك الثالثة فقولي ثلاثة كعشرة، وزوجُها زيادُ بن عبد اللّه بن نَاشِب العبسي. فلما عاد لها، قالت ثلاثة كعشرة فولدتهم كلهم غاية: ولَدَتْ ربيعَ الحُفّاظِ وعُمارةَ الوهّابَ وأَنَسَ الفَوارسِ وهي إحدى المُنْجِباتِ[5] من العرب، وأَسَروا حاجباً فذلك حيث يقول جرير يُعيِّرُ الفرزدق ويُعلِمُهُ فخر قيسٍ عليه:

تُحَضِّضُ يا ابْنَ القَينِ قيساً ليَجعلوا لِقَوْمِك يوماً مِثلَ يوْمِ الأراقِم
كأنّك لم تَشْهَد لقيطاً وحاجِباً وعَمْرو بن عمْروٍ إذ دعَوْا يالَ دارِم
ولم تَشهَدِ الجَوْنينِ والشِعبَ ذا الصفا وشَدّاتِ قيْسٍ يوم دَيرِ الجماجِم

الجَوْنانِ معاويةُ وحسّانُ ابنا الجَوْنِ الكِنديانِ أُسِرا في ذلك اليوم فقُتِل

---

(١) جبلة: هضبة بين موقعين أحدهما الشريف لبني نمير والشرف لبني كلاب.

(٢) دالق: لقب للرجل الذي يزل كثيراً.

(٣) الخرشب: إسم أبيها.

(٤) هدره ـ للواحد والجمع والذكر والأنثى وهو بفتحتين وكعنبه وهمزه.

(٥) المنجبة من النساء التي تلد النجباء وكذا المنجب من الرجال.

حَسّانُ وفُودِي معاويةُ بسبب يطول ذكره. والشِعْبُ شِعْبُ جَبَلة. وقوله: وشدات قيس يومُ دير الجماجم هذا في الإسلام، يعني وقْعةَ الحَجّاج بن يوسف بن الحَكم بن أبي عقيلٍ الثَقَفيَّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن مَعد يَكربَ الكِندِيِّ بدير الجماجم. وقوله: وقد مات بسطام بن قيس بن خالد يعني الشَيْبانيَّ وهو فارس بَكر بن وائل وابن سيدها وقتل بالحَسَنِ وهو جَبَلٌ، (كذا وقعت الرواية بالحسن وهو جبل بالجيم والصحيح حَبلٌ بالحاء قال ابن سراج رحمه الله تعالى: الحسَنُ والحُسَينُ حَبلا رملٍ) قتله عاصم بن خَليفةَ الضَّبِّيُّ، وكان عاصِمٌ أسلم في أيام عثمان رحمه الله، فكان يقف ببابهُ فيستأذن عليه، فيقول عاصم بن خليفة الضبي قاتلُ بسطامِ بن قيسٍ بالباب. (قال أبو الحسن الوجه عندي في بسطام أن لا ينصرف لأنه أعجمي) وكان سببُ قتله إياه أن بِسطاماً أغارَ على بني ضبّة وكان معه حازٍ (قال أبو الحسن حازٍ بالزاي زاجرٌ) يحزو له، فقال له بِسْطامٌ إني سمعت قائلاً يقول: الدَلوُ تأتي العَربَ المَزِلّةَ. فقال الحازي: فهَلاّ قلتَ ثم تَعودُ بادناً مُبْتلّهُ. قال: ما قلتُ فاكتَسَح إبلهم، فتَنادَوْا واتّبعوهُ، فنظرت أم عاصم إليه وهو يَقَع حديدةً له، أي يحُدُّها، والمقَعةُ المِطْرقةُ. فقالت له ما تَصنَعُ بهذه؟ وكان عاصم مَنقوصاً، فقال لها: أقتل بها بِسطام بن قيس، فنهَرتهُ وقيلت: إستُ أمِّك أضْيَقُ من ذاك. فنظر إلى فَرسٍ لعَمِّهِ موثَقةً إلى شجرة فاعْرَوْراها أي ركبها عُرْياً ثم أقبل بها الريحَ، فنظر بسطام إلى الخيل قد لحِقَتْهُ فجعل يَطعَنُ الإبل في إعجازها فصاحتْ به بنو ضبّة: يا بسطام ما هذا السفَهُ دعْها إمّا لنا وإمّا لك، وانحطّ عليه عاصمٌ فطعَنَهُ، فرمى به على الألاءة وهي شجرة ليست بعظيمة وكان بسطام نَصرانياً، وكان مَقْتَلهُ بعد مَبْعثِ النبي ﷺ، فأراد أخوه الرجوع إلى القوم فصاح به بسطامٌ أنا حَنيفٌ إن رجَعْت ففي ذلك يقول ابن عَتَمة الضَبِّيُّ وكان في بني شيبان:

فخَرَّ على الألاءة لم يُوسَّدْ كأن جَبينَهُ سَيفٌ صَقيلُ

ولما قُتِل بسطام لم يَبقَ في بكر بن وائل بيتٌ إلاّ هُجِم أي هُدِم. وقوله:

مات أبو غسان شيخ اللَهازم، يعني مالك بن مِسْمع بن شَيْبان بن شِهاب أحَد بني قيس بن ثعلَبة، وإليه تُنسَبُ المسامِعةُ وكان سيد بَكر بن وائلٍ في الاسلام، وهو الذي قال لعُبَيْد اللَّه بن زياد بن ظَبْيان أحد بني تَميْم اللاتِ بن ثعْلَبةَ وكان حين حدث أمرُ مسعود بن عمرو المَعنّى من الأزْدِ فلم يُعْلِهُ به. فقال له عبيد اللَّه، وهو أحد فُتّاك العرب، وهو قاتل مُصعَبِ بن الزبير: أيكونُ مثل هذا الحَدثِ ولا تُعلِمُني به لهَمَمْتُ أن أُصَرِّم دارك عليك ناراً. فقال له مالك: اسكتْ أنا مَطَرٍ فواللَّه إن في كنانتي سَهْماً أنا أوْثقُ به مني بك. فقال له عبيد اللَّه أوَ أنا في كِنانتِك فواللَّه لو قد قعدتُ فيها لطُلبتها ولو قمتُ فيها لخرقْتُها. فقال له مالك، وأعجبه ما سَمِع منه: أكثر اللَّه في العشيرة مثلَكَ. قال: لقد سألت ربك شططاً[1] وفي مالك بن مسْمعٍ يقال:

إذا ما خَشينا من أميرٍ ظُلامةً دعَوْنا أبا غسان يوماً فعَسْكرا

وقوله: وقد مات خيراهم تثنيةً كقولك: مات أحمراهمْ ولم يخْرُجُ مَخْرَج النعتِ. ألا ترى أنك تقول هذا أحمَرُ القوم إذا أردت هذا الأحمرُ الذي للقوم، فإذا أردت الذي يَفضُلُهُم في باب الحمرة قلت هذا أشدُّهمْ حمرةً، ولم تقل هذا أحمرُهم. وكذلك خيراهم وإنما أردت هذا خيرُهم ثم ثَنّيت أي هذا الخير الذي هو فيهم. وقوله عشيّةَ بانا مردودٌ على قوله خيراهم. وقوله رهْط كعب وحاتم، إنما خفضتَ رهطاً لأنه بدلٌ من هم التي أُضَفت إليها الخيرين، والتقدير: وقد مات خَيراً رهطِ كعبٍ وحاتمٍ فلم يُهْلكاهم عشية بانا، فأما كعبٌ فهو كعب بن مامةَ الإيادِيُّ، وكان أحد أجواد العرب الذي آثر على نفسه، وكان مسافراً ورفيقُهُ رجل من النَمِر بن قاسطٍ، فقلَّ عليهما الماءُ فتَصافناهُ، والتصَافُنُ[2] أن يُطرح في الاناء حَجرٌ (هذا الحجر الذي يُقسَمُ به الماء، يقال له المَقلةُ بفتح الميم)، ثم يُصبّ فيه من الماء ما يغمُرُهُ لئلا يتغابنوا[3]، وكذلك كل شيء

(١) الشطط: الابتعاد الشديد عن الحق.

(٢) التصان: إقتسام الماء بالحصص على الوجه الذي ذكره أبو العباس.

(٣) التغابن: : أن يغبن البعض بعضاً آخراً.

وُقِف على كَيْلِهِ أو وزنِهِ، والأصل ما ذكرنا، فجعل النَمِريُّ يشرب نصيبه، فإذا أخذ كعبٌ نصيبه قال: اسْقِ أخاك النَمريّ فيُؤثِرُهُ حتى جُهِد كعبٌ[1] ورُفعتْ له أعلام الماء، فقيل له رِدْ كعْبُ ولا ورودَ به، فمات[2] عَطشاً ففي ذلك يقول أبو دُوادٍ الإياديُّ:

أوْفى على الماء كعْبٌ ثم قيل لهُ ... رِد كعْبُ إنك وِرّادٌ فما وردا

فضُرِبَ به المثلُ[3] فقال جرير في كلمتِهِ التي مَدح فيها عُمَر بن عبد العزيز:

يعود الفَضْلُ منك على قُرَيْشٍ ... وتَفرُجُ عنهم الكُربَ الشِدادا
وقد أمَنْت وحشَهُم برفْقٍ ... ويُعْيي الناس وحْشُك أن تُصادا
وتبني المجْد يا عُمرُ بن ليْلى ... وتكفي المُمحِل[4] السَنةَ الجمادا
وتدْعو اللَّه مُجْتهداً ليَرْضى ... وتذكُرُ في رعيَتِك المَعادا
وما كعْبُ بن مامةَ وابنُ سُعدى ... بأجْودَ منك يا عُمَرُ الجَوادا
تعَوّد صالح الاخْلاقِ إني ... رأيتُ المَرْء يَلزمُ ما اسْتعادا

فيما تتفاضل فيه العرب

هذا كعب بن مامة الذي ذكرناه. وأما ابن سُعْدى فهو أوسُ بن حارثة بن لأمٍ الطائيُّ، وكان سيداً مُقدّماً، فَوفد هو وحاتمُ بن عبد اللَّه الطائيُّ على عَمرو بن هند، وأبوه المُنذرُ بن المنذر بن ماء السماء، فدعا أوْساً فقال له: أأنت أفضل أم حاتمٌ؟ فقال أبيْت اللعن لو ملكني حاتم وولدي ولُحْمتي لوهبنا في غداةٍ واحدةٍ، ثم دعا حاتماً فقال له: أنت أفضلُ أم أوْسٌ؟ فقال أبَيت

---

(١) جهد كعب: بالبناء لما لم يسم فاعله والأصل جهده الأمر والمرض إذا بلغ منه المشقة وقوله اسق أخاك النمري مما جرى مجرى المثل يضرب لكل من طلب الشيء مراراً.

(٢) لم يكن له قدره على الورود.

(٣) فضرب به المثل في الجود والسخاء فقالوا أجود من كعب بن مامة وكان كعب إذا جاوره رجل فمات وداه وإذا مات له بعير أو شاه أخلف عليه.

(٤) الممحل: المجدب، والسنة الجماد التي لم ينزل فيها مطر فتكون محظ وجدب.

اللعْن إنما ذُكِرْتُ بأوسٍ ولأَحَدُ وَلدِهِ أفضلُ مني، وكان النُعْمان بن المُنْذِرِ دعا بحُلَّةٍ وعنده وفُودُ العربِ من كل حَيٍّ فقال: احْضُروا في غدٍ فإني مُلْبِسٌ هذه الحُلَّةَ أكْرَمَكمْ. فحضر القوم جميعاًإلا أوساً فقيل له. لم تَخَلَّفْتَ؟ فقال: إن كان المُراد غيري فأجمَلُ الأشياء أن لا أكونَ حاضراً وإن كنتُ أنا المراد فسَأُطْلَبُ ويُعْرَفُ مكاني. فلمّا جلس النعمان لم يَرَ أوساً فقال: إذهبوا إلى أوس فقولوا له احْضُرْ آمناً مما خِفْتَ. فحضر فألْبِسَ الحلةَ فحسده قوم من أهله فقالوا للحُطَيئة: اهْجُهُ ولك ثلثُمائة ناقة. فقال الحطيئة: كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلاّ من عنده؟ ثم قال:

كيْفَ الهِجاءُ وما تَنْفَكُّ صالحةً ... من آلِ لأم بظهرِ الغَيْبِ تأتيني

فقال لهم بِشْرُ بن أبي حازِمٍ أحدُ بني أسد بن خُزَيْمة: أنا أهجوه لكم. فأخذ الإبل وفعل فأغار أوس على الإبل فاكتَسحَها فجعل لا يستجير حَيّاً إلاّ قال: قد أَجَرْتُكَ إلاّ من أوس. وكان في هجائه إياه قد ذكر أُمَّهُ فأتِيَ به فدَخَلَ أوْسٌ على أمِّهِ فقال: قد أتينا ببِشْرٍ الهاجي لكِ ولي، فما تَرَيْن فيه؟ فقالت له: أَوَتُطيعُني فيه؟ قال: نعم. قالت: أرى أن تَرُدَّ عليه ماله وتعفو عنه وتَحْبُوَهُ وأفعلُ مثل ذلك فإنه لا يَغْسِلُ هِجاءَهُ إلاّ مَدْحُهُ. فخرج إليه فقال: إن أميّ سُعْدى التي كنتَ تهجوها قد أمرتْ فيك بكذا وكذا. فقال: لا جَرمَ واللّه لا مَدَحْتُ أحداً حتى أموتَ غيْرَكَ. ففيه يقول:

إلى أوْسِ بن حارِثَةَ بن لأمٍ ... لِيَقضِيَ حاجتي فيمَنْ قضاها
وما وَطِيءَ الثرَى مثلُ ابنِ سُعْدى ... ولا لَبِسَ النِعالَ ولا احْتَذاها

وأما حاتِمٌ الذي ذكره الفَرَزْدقُ، فهو حاتم بن عبد اللّه الطائيُّ جَوادُ العرب. وقد كان الفرزدق صافنَ رجلاً من بني العَنْبرِ بن عمرو بن تميم إداوةً في وقت، فرامَهُ العَنْبرِيُّ وسامه أن يُؤثرهُ، وكان الفرزدق جَواداً فلم تطِبْ نفسُه عن نفسه فقال الفرزدق:

فلمّا تصافنّا الإداوَةَ أجْهَشَتْ ... إليَّ غُضونُ العَنْبرِيِّ الجُراضِم
فجاءَ بجَلْمودٍ له مِثلِ رأسهِ ... لِيَشْرَبَ ماء القوم بين الصرائم

على ساعة لو أنَّ في القوم حاتِماً على جودِهِ ضَنَّتْ به نفسُ حاتم

قوله: أجْهَشتْ[1] فهو التسرُّعُ وما ترامى فحْواه من مُقاربة الشيء. يقال: أجْهشَ بالبكاء، والغُضونُ التكسر في الجلد، والجُراضم الأحمر الممتلىء، وقوله: ليشرب ماء القوم بين الصرائم فهي جمع صَريمة وهي الرملة التي تنقطع من مُعْظمِ الرمل وقوله: صَريمةٌ يريد مصرومةٌ والصَرْمُ القطع. وأنشد الأصمَعِيُّ:

فباتَ يقول أصْبِحْ ليْلُ حتى تَجَلى عن صَريمتهِ الظلامُ

يعني ثَوْراً وصَريمته رَمْلته التي هو فيها. وقال المفسرون في قول اللَّه عزّ وجل: ﴿فأصْبحَتْ كالصريم﴾[2]. قولين قال قوم: كالليل المُظْلِمِ وقال قوم: كالنهار المضيء أي بيضاء لا شيء فيها فهو من الأضداد. ويقال لك سوادُ الأرض وبياضُها أي عامرها، وغامِرُها فهذا ما يُحْتَجُّ به لأصحاب القول الأخير. ويحتج لأصحاب القول الأول في السواد بقول اللَّه عزّ وجل: ﴿فَجعَلهُ غُثاءً أحْوى﴾[3]، وإنما سُمِّيَ السواد سواداً لعَمارتِهِ وكل خُضْرةٍ عند العرب سَوادٌ. ويروى:

على ساعةٍ لو أنَّ في القوم حاتماً على جودِهِ ما جادَ بالماء حاتِمِ

جَعل حاتمِ تبييناً للهاء في جوده وهو الذي يُسميه البصريون البدل أراد على جود حاتِم.

---

(١) أجهش: فزع إليه وهو يريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمه. والغضون واحدها غضن بفتح فسكون.

(٢) سورة القلم: الآية ٢٠.

(٣) سورة الأعلى: الآية ٥.

٢٠ ـ باب في اللذة والعيش الرغد

قال أبو العباس: كان يقال إذا رغِبْتَ في المكارم فاجْتَنِبِ المحارمَ، وكان يقال: أنعَمُ الناس عيشاً مَن عاش غيره في عيشه. وقيل في المثل السائر: من كان في وطَنٍ فَلْيُوطِنْ غيره وطنه ليَرْتَعَ في وطَن غيره في غربته. قال: وانتبه معاوية من رَقْدةٍ له فأنْبَهَ عمرو بن العاص فقال له عمرو: ما بقي من لذَّتِك يا أمير المؤمنين. قال: عيْنٌ خَرَّارةٌ[١] في أرض خَوَّاره، وعينٌ ساهِرةٌ لعين نائمةٍ، فما بقي من لذتك يا أبا عبد اللّه؟ قال: أن أبيتَ مُعَرِّساً بعَقيلةٍ[٢] من عقائل العرب، ثم نَبَّها وَرْدانَ فقال له معاوية: ما بقي من لذتك؟ فقال: الإفْضالُ على الإخوان. فقال له معاوية: أسكتْ فأنا أحقُّ بها منك. فقال له: قد أمْكنَكَ فافعَلْ، ويروى أن عمراً لما سئل قال: إنْ أسْتَتِمَّ بناء مَدينتي بمصر، وأن وَرْدانَ لما سُئِلَ قال: أن ألقى كريماً قادراً في عَقِبِ إحسانٍ كان مني إليه، وأنه معاوية سئل عن الباقي من لذته فقال: مُحادَثةُ الرجال. ويروى عن عبد الملَكَ أنه قال وقد سئل عن الباقي من لذته. فقال: مُحادَثةُ الإخوان في الليالي القُمْرِ على الكُثْبانِ[٣] العُفْرِ[٤]. وقال سليمان بن عبد الملك: قد أكلنا الطيِّبَ ولَبِسْنا الليِّنَ وركبنا الفارةَ وامْتَطيْنا العَذْراءَ فلم يَبْقَ من لذَّتي إلّا صَديقٌ أصرَحُ بيني وبينه مَؤنَةَ التَحَفُّظِ. وقال رجل لرجل من قريش: إني واللّه ما أمَلُّ

---

(١) خراره من الخرير وأرض خواره مطمئنة.

(٢) العقيله: الكريمة من النساء.

(٣) الكثبان: جمع كثيب وهو التل من الرمل.

(٤) العفر من البياض واحده أعفر.

الحديثَ. قال: إنما يُمَلُّ العَتيقُ. وقال المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرةَ: العيش كلُّه في الجليس المُمْتِعِ. وقال معاوية: الدنيا بحَذافيرها الخَفْضُ[1] والدَّعَةُ. وقال يزيد بن المهلب: ما يَسُرني أني كُفيتُ أمرَ الدنيا كلَّه. قيل له ولِمَ أيها الأميرُ؟ قال أكرَهُ عادة العَجْز. ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: لو أنزل اللَّه كتاباً أنه مُعَذِّبٌ رجلاً واحداً لخِفْتُ أن أكونَهُ أو أنه راحِمٌ رجلاً واحداً لرَجوْتُ أن أكونه، ولو علمت أنه مُعَذِّبي لا مَحالةَ ما ازْدَدْتُ إلاّ اجْتهاداً لئلا أرْجِعَ على نفسي بلائمةٍ. ويُروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل إليه سالم مَوْلى بني مَخْزومٍ، وقالوا بل زيادُ، وكان عمر أراد شراءه وعِتْقه فأعتقه مَوَاليه، وكان عمر يسميه أخي في اللَّه، فكان إذا دخل وعُمَرُ في صدر مجلسه تنحَّى عن الصَدْر. فيقال له في ذلك فيقول: إذا دَخلَ عليك مَن لا تَرى لك عليه فضْلاً فلا تأخُذْ عليه شرَفَ المجلس. وهَمَّ السِراجُ ليلةً بأن يخْمُدَ فَوَثَبَ إليه رجاءُ بن حَيْوَةٍ لِيُصْلِحَهُ فأقسم عليه عمر فجلس، ثم قام عمر فأصلحه، فقال له رجاءُ: اتقوم يا أمير المؤمنين؟ قال قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز. وروي عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: لا تَرْفعوني فَوْقَ قدْري فتقولوا فيَّ ما قالت النصارى في المسيح فإن اللَّه اتَّخذَني عبداً قبل أن يَتّخِذَني رسولاً، ودخل مَسْلمةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مَرْضَتِهِ التي مات فيها فقال: ألا توصي يا أمير المؤمنين؟ فقال: فِيمَ أُوصي فواللَّه إنْ من مالٍ. فقال: هذه مائة ألف فَمُرْ فيها بما أحْبَبْتَ. فقال: أوَتقْبَلُ؟ قال: نعم. قال: تُرَدُّ على من أُخِذَتْ منهُ ظُلماً. فبكى مَسْلَمَةُ ثم قال: يرحمك اللَّه لقد ألَنْتَ منا قلوباً قاسية وأبقيتَ لنا في الصالحين ذِكراً. وقيل لعليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللَّه تعالى عنهم: إنكَ من أبَرِّ الناسِ بأمّك ولَسْنا نراك تأكل مع أمّكَ في صَحْفةٍ. فقال: أخافُ أن تَسْبِقَ يدي إلى ما قد سَبَقَتْ عينُها إليه فأكون قد عَقَقْتُها[2]. وقيل لعمر بن ذرٍّ حيث نُظِرَ إلى

---

(١) الخفض والدعة: السعة في العيش والراحة في هناء.

(٢) عققتها: أغضبتها.

تعزِّيةٍ عن ابنه كيف كان بِرُّهُ بك؟ فقال: ما مشيت بنهارٍ معه قطُّ إلاّ مَشى خَلْفي ولا بليلٍ إلاّ مَشى أمامي ولا رَقِيَ سَطْحاً وأنا تحته. وقال أبو المِخَشِّ[1]. كانت لي ابنةٌ تَجْلِسُ معي على المائدة فتُبْرِزُ كفّاً كأنها طَلْعَةٌ[2] في ذِراعٍ كأنها جُمَّارةٌ فلا تقع عينُها على أُكْلةٍ نَفيسةٍ إلاّ خَصَّتْني بها فزَوَّجْتُها وصار يجلس معي على المائدة ابنٌ لي فيُبْرِزُ كفاً كأنها كِرْنافةٌ[3] في ذِراعٍ كأنها كَرَبةٌ فواللّه إنْ تَسْبِقُ عيني إلى لُقْمةٍ طَيِّبَةٍ إلاّ سَبَقَتْ يدهُ إليها. وقال الأصمعي: قيل لأبي المِخَشِّ: أما كان لك ابنٌ؟ فقال المِخَشُّ: وما كان المَخَشُّ كان واللّه أشدَقَ خُرْطُمانياً[4] إذا تكلم سال لُعابُهُ كأنما ينظر من قَلتَيْنِ[5]، وكأنّ تَرْقُوَتَهُ[6] بُوانٌ أو خالفةٌ وكأنَّ مُشاشَ[7] مَنْكِبَيْه كِرْكِرةُ جَملٍ، فقأ اللّه عَيْنيَّ هاتين إنْ كنتُ رأيتُ بهما أحسَنَ منه قبله ولا بعده. قوله: بوان أو خالفة فهما عَمودانِ من عُمُدِ البيت البوانُ في مُقدَّمِهِ، والخالفةُ في مُؤَخَّرِهِ، والكِرْنافة صَرَفُ الكَرَبةِ العريض الذي يتصل بالنخلة كأنه كتفٌ. حدثني بهذا الحديث العباسُ بن الفَرَجِ الرياشيُّ عن الأصمَعِيِّ وحدثني عمن حدّثه قال: مرَّ بنا أعرابي يَنْشُدُ ابناً له فقلنا: صِفْهُ. فقال: دُنَيْتِيرٌ[8]. قلنا لم نَرَه. فلم نَلْبَث ان جاء بجُعْلٍ[9] على عُنُقِهِ، فقلنا: لو سألتَ عن هذا لأرْشَدْناكَ ما زال مُنذُ اليوم بين أيدينا وأنشدني مُنشِدٌ وأنشدني الرياشيُّ أحد البيتين:

---

(١) المخش بالكسر وهو في الأصل الجريء على العمل بالليل.

(٢) طلعة: ما يخرج من النخل.

(٣) الكرناف بالكسر وبالضم أصول الكرب تبقى في الجذع بعد قطع السفن.

(٤) خرطمانياً: كبير الأنف، كأنه خرطوم الفيل وقل هذا الوزن في اللغة.

(٥) القلتين: مثنى قلت بفتح فسكون وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء شبه عينيه بنقرتين في الجبل في الاستدارة وعدم الاتساع.

(٦) الترقوة: وزنها فعلوه بفتح الفاء وضم اللام ولا تضم تاؤه وهي العظم الذي بين ثغره النحر والعاتق من الجانبين قال بعض أهل اللغة ولا تكون الترقوة لشيء من الحيوانات إلا للانسان خاصة.

(٧) المشاش: بالضم رأس العظم اللذي مضغه.

(٨) دنيتير: مصدر دينار شبه ابنه به في البهاء والسخي فيما يزعم.

(٩) الجعل: كصرد الأسود الذميم.

نعم ضَجيعُ الفَتى إذا بَرَدَ الـ ـليلُ سُحَيراً وَقَرْقَفَ[1] الصَّرِدُ
زَيَّنَها اللَّهُ في الفُؤادِ كما زُيِّنَ في عَيْنِ والِدٍ وَلَدُ

أم ثواب الهزانية تصف عقوق ابنها

وقالت أمُّ ثَوابٍ الهِزَّانيَّةُ من عَنَزَةَ بن أَسدِ بن ربيعةَ بن نِزارٍ تعني ابنها:

رَبَّيْتُهُ وهو مِثْلُ الفَرْخِ أَعْظُمُهُ أُمُّ الطعام[2] تَرى في ريشِهِ زَغَبا[3]
حَتى إذا آضَ[4] كالفُحّالِ[5] شَذَّبَهُ أَبّارُهُ ونَفى عن مَتْنِهِ الكَرَبا
أنشأ[6] يُخَرِّقُ[7] أثوابي ويَضْرِبُني أَبْعَدَ سِتِّينَ عِندي تَبْتَغي الأدَبا
إني لأُبْصِرُ في تَرْجيلِ[8] لِمَّتِهِ وخَطِّ لِحْيَتِهِ في وَجْهِهِ عَجَباً
قالتْ له عِرْسُهُ يوماً لتُسْمِعَني رِفْقاً فإنَّ لنا في أَمْنا أَرَبا[9]
ولَوْ رأَتني في نارٍ مُسَعَّرَةٍ من الجَحيم لَزادَتْ فَوْقَها حَطَبا

قولها: أَباره فهو الذي يُصْلِحُهُ، يقال أَبرتُ النخل وأَبَرْتُهُ خفيفةً إذا لَقَّحْتَهُ. ويروى أن مالك بن العَجْلانِ أو غيره من الأنصار كان يُتْحِفُ أبا جُبَيْلةَ الملِكَ حيث نزل بهم بتمرٍ من نخلةٍ لهم شريفةٍ، فغاب يوماً فقال أبو جُبَيْلةَ: إن مالكاً كان يُقَوِّتُ علينا جنى[10] هذه النخلة فجُدُّوها. فجاء مالك وقد جُدَّتْ فقال: مَن

---

(١) قرقف: صدم الواحد الآخر.

(٢) أم الطعام: لعله أراد بها الحوصلة وهي من الطير كالمعدة للانسان.

(٣) الزغب: محركاً صغار الريش أو اللين منه حين يبدو واحده زغبة بالتحريك أيضاً وكنت بذلك عن صغرة.

(٤) آض: الايض: الصيرورة والتحول.

(٥) الفحال: ذكر النخل.

(٦) أنشا: بتخفيف الهمزة، تمزيق الثياب.

(٧) تخريق الثوب: استعملت مجاز عن الشتم والإهانة.

(٨) الترجيل: ترجيل اللمة تسريحها واللمة بالكسر شعر يلم بالمنكب أي يقرب منه.

(٩) الإرب: الحاجة.

(١٠) جنى: ما يجني من الشجر ما دام غضا.

سَعى على عَذْقٍ[1] المُلْكِ فَجَدَّهُ. فأعلموه أن الملِكَ أَمَرَ بذلك فجاء حتى وَقفَ عليه فقال:

جَـدَدْتَ جَنى نَخْلَتي ظـالِمـاً وكـان الثِمـارُ لِـمَنْ قـد أَبَـرْ

فلما دخل النبيُّ ﷺ المدينة أطرَفوه بهذا الحديث فقال ﷺ: الثمر لمن أَبَر إلاّ أن يَشْتَرِطَهُ المشتري. والفُحّالُ فحْلُ النخل ولا يقال لشيء من الفُحول فُحّالٌ غيرِهِ. وأنشدني المازِنيُّ:

يَـطُفْنَ بفُحّالٍ كـأنَّ ضِبـابَـهُ بُـطونُ الموالي يَـوْمَ عيدٍ تغـدَّت

وضِبابُهُ طَلْعُهُ وآضَ عاد وَرَجـعَ. وقولهـا: شَذَّبَـهُ تقول قطعَ عنه الكـرَبَ والعناكيلَ، وكلُّ مُشَذَّبٍ مقطوعٌ ويقال للرجـل الطويـلِ النحيفِ مُشَذَّبٌ يُشَبَّهُ بالجذْع المحذوف عنه الكَربُ، وأصل التَشْذيب القَطع. وقال الفَرزْدقُ:

عَضَّتْ سيـوفُ تميمٍ حين أَغْضَبهـا رأسَ ابنِ عَجْلى فأضحى رأسُهُ شَذَبَا

أراد عَضَّتْ سيـوفُ تميمٍ رأسَ ابنِ عَجْلى حين أغضبهـا. وابنُ عَجْـلى عبـد اللّه بن خازِمٍ السُلَمِيُّ وامـه عَجْلى وكانت سـوداء، وهو أحـد غِرْبـانِ[2] العـرب في الإسـلام. وسُئلَ المُهَلَّبُ: من أشجعُ الناس؟ فقـال: عَبّـادُ بن حصين وعمر بن عُبَيْدِ اللّه بن مَعْمَرٍ والمُغيرةُ بن المُهَلَّبِ. فقـيل لـه: فـأين ابن الزُبَيْرِ وابن خازِمٍ وعُمَيْرُ بن الحُبابِ؟ فقال: إنما سُئِلْتُ عن الإنسِ ولم أُسْأَلْ عن الجِنِّ.

---

(١) علق: الفتو من النخل.

(٢) غربان العرب: سودانهم في الجاهلية وهم عشرة وخفاف بن ندبه وأبو عمير بن الحباب وسليك بن السلكة وهشام بن عقبة بن معيط، وهذا الاخير مخضرم وعبد أدرك الإسلام، وفي الإسلام، عبد اللّه بن خازم وعمير بن أبي عمير وهمام بن مطرق ومنتشر بن وهب ومطر بن أوفي وتأبط شراً والشنفري.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢١ ـ باب في بعض أقوال عائشة وتحريم الخمر

روى شعبة عن واقِدِ بن محمد عن ابن مُلَيْكَةَ عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضي اللَّه عنها: مَنْ أرْضى اللَّهَ بإسْخاطِ الناس كفاهُ اللَّه ما بينه وبين الناس، ومَنْ أرْضى الناسَ بإسخاط اللَّه وَكلَهُ اللَّهُ إلى الناس، ومَن أصْلَحَ سريرته أصْلَحَ اللَّهُ علانيته. ويروى أن الحسن بن زَيد لما وَلِيَ المدينة قال لابن هَرْمةَ: إني لسْتُ كمنْ باعَ لك دينَهُ رجاء مَدْحِكَ أو خوْفَ ذَمِّك، قد أفادني اللَّه بولادة نبيه المَمادِحَ وجَنَّبَنى المقابِحَ، وإنَّ من حَقِّهِ عليَّ ألا أُغْضِيَ على تقصير في حقه، وأنا اقْسِمُ باللَّه لئن أتيتُ بكَ سَكرانَ لأضْرِبَنَّكَ حَدَّيْنِ حَدّاً للخمر وحَدّاً للسكر ولأزيدنَّ لموضع حُرْمَتكَ بي فليَكُنْ تَرْكُكَ لها للَّه تُعَنْ عليه ولا تَدَعْها للناس فتُوكلَ إليهم، فنَهَضَ بن هَرْمةَ وهو يقول:

نَهاني ابنُ الرسولِ عن المُدامِ ... وأدَّبَني بآدابِ الكرامِ
وقال ليَ اصْطَبِرْ عنها ودَعْها ... لخَوْفِ اللَّهِ لا خَوْفِ الأنامِ
وكيْفَ تَصَبُّري عَنها وحُبِّي ... لها حُبٌّ تَمَكَّنَ في عِظامي
أرى طيبَ الحَلالِ عليَّ خُبْثاً ... وطيبَ النَفْسِ في خُبْثِ الحرام

وصف متانة الدين

وقال الحسن لمُطَرِّفٍ بن عبد اللَّه بن الشِخِّيرِ[1] الحَرَشِيِّ: يا مُطرِّفُ عِظْ أصحابك. فقال مُطرِّفٌ: إني أخافُ أن أقولَ ما لا أفعَلُ. فقال الحسن:

---

(١) الشخير: هو تابعي وأبوه عبد اللَّه صحابي.

يرحمُك اللَّه وأيُّنا يفعل ما يقول! لَوَدَّ الشيطانُ إنه ظَفِرَ بهذه منكم فلم يأمُرْ أحدٌ بمعروفٍ ولم يَنْهَ عن مُنْكَرٍ. وقال مُطرِّفُ بن عبد اللَّه لابنه: يا عبد اللَّه العِلْمُ أفضلُ من العمل، والحَسَنَةُ بين السيِّئتين وشرُّ السير الحَقْحَقَةُ. قوله: الحسنة بين السيئتين،[1] يقول الحقُّ بين فعل المُقَصِّر والغالي، ومن كلامهم خَيرُ الأمور أوساطُها وقوله: وشرُّ السير الحقحقةُ وهو أن يَسْتَفْرِغ المسافر جُهْدَ ظهره فيقطعَهُ فيُهْلِكَ ظهرَهُ ولا يَبْلُغَ حاجته. يقال: حَقْحَق السيرَ إذا فعل ذلك. وقال الراجز: : وانْبَتَّ فِعْلَ السائر المُحُقْحِقِ. (فعل بالنصب الرواية الصحيحة لأنه مصدر معنى) وحُدِّثتُ أن الحسن لَقِيَ سابق الحاج[2] وقد أسْرَع فجعل يُومِئُ إليه باصبعه فِعلَ الغازلة وهو يقول: خَرْقاءُ[3] وجَدَتْ صوفاً، وهذا مثل من أمثال العرب يضربونه للرجل الأحمق الذي يجِدُ مالاً كثيراً فيَعيثُ فيه. وشَبيهٌ بهذا المثلِ قوله: عَبْدٌ وخَلاً[4] في يديه. ويروى عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: إنّ هذا الدين مَتِينٌ فأوْغِلْ فيه برِفْقٍ ولا تُبَغِّضُ إلى نفسك عبادة ربّك فإن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطَعَ ولا ظَهْراً أبْقى. قوله: متين المتين الشديد.

قال اللَّه عزّ وجل: ﴿وأُمْلي لَهُمْ أنّ كَيْدي مَتينٌ﴾[5] وقوله: فأوغل فيه برفق، يقول: أدخل فيه هذا أصل الوُغول. ويقال مُشتقاً من هذا للرجل الذي يأتي شَرابَ القومِ من غير أن يُدْعى إليه، واغِلٌ ومعناه أنه وَغَل في القوم وليس منهم. قال امْرُؤُ القَيْس:

حَلَّتْ ليَ الخَمْرُ وكُنْتُ امْرَأً ... عن شُرْبِها في شُغُلٍ شاغِلِ
فاليومَ أُسْقَى غيْرَ مُسْتَحْقَبٍ ... إثْماً من اللَّه ولا واغِلِ

---

(١) الحسنة بين السيئتين ـ وهما: التقصير والغلو والحسنة: الاعتدال.

(٢) سابق الحج: من يتقدم وفد الحج.

(٣) خرقاء: وجدت صوفا قالوا هي المرأة من قريش وجدت صوفاً ومالاً فأفسدت.

(٤) عبد وخلي في يديه! عبد خبر مبتدأ محذوف أي هو عبد وهذا عبد. وخلى تصغير خلى بالقصر وهو الرطب من النبات وهذا المثل يضرب للرجل اللئيم يفوض إليه الأمر فيعبث فيه.

(٥) سورة القلم: الآية ٤٥.

والمُنْبَتّ[1] مثل المُحَقْحِقِ، واشتقاقه من الانقطاع. يقال: انْبَتْ فلانٌ من فلان أي انقطع منه وبَتَّ اللّه ما بينهم أي قطَعَ. قال محمد بن نُمَيْرٍ:

نواعَدَ للبين[2] الخليطُ ليَنْبَتُّوا ... وقالوا لِراعي الذَوْدِ مَوْعِدُكَ السَبتُ
وفي النَفْسِ حاجاتٌ اليهم كثيرةٌ ... ومَوعِدُها في السَبْتِ لَوْقَدْ دَنَا الوقْتُ

(روى الأخفش البيت الأخير ويروى: ألا قَرَّبَ الحَيُّ الجِمالَ لِيَنْبَتُّوا) وحُدِّثتُ أن ابن السَّماكِ كان يقول: إذا فعَلْتَ الحسنة فَافْرَحْ بها واسْتَقْلِلْها فإنك إذا استقللتها زِدْتَ عليها، وإذا فرِحْتَ بها عُدْتَ إليها ويروى عن أوَيْسٍ القَرَنيِّ[3] أنه قال: إن حقوق اللّه لم تَتْرُكْ عند مسلم درهماً.

يزيد بن هبيرة ينصح المنصور

ودخل يَزيدُ بن عُمَر بن هُبَيْرة على أمير المؤمنين المنْصور فقال يا أمير المؤمنين تَوسَّعْ تَوسُّعاً قُرَشِيّاً ولا تَضِقْ ضيقاً حجازيّاً. ويروي أنه دخَلَ عليه يوماً فقال له المنصورُ: حَدِّثْنا فقال: يا أمير المؤمنين إن سُلْطانَكم حَديثٌ وإمارَتكم جديدةٌ فأذيقوا الناسَ حلاوةَ عَدْلِها وجَنِّبوهُمْ مَرارةَ جَوْرِها، فواللّه يا أمير المؤمنين لقد مَحَضْتُ لك النَصيحة. ثم نَهَضَ فنَهَضَ معه سبعمائة من قَيْسٍ فَأتأرَهُ المنصور بَصَرَهُ، ثم قال: لا يَعِزُّ مُلْكٌ يكون فيه مِثْلُ هذا. قوله: مَحَضْتُ لك النصيحة يقول أخلصت لك، وأصل هذا من اللبن والمَحْضُ منه الخالص الذي لا يَشوبُهُ شيء وأنشد الأصمَعِيُّ:

امْتَحَضا[4] وسَقيَاني ضَيْحا ... وقد كفَيْتُ صاحِبَيَّ الميْحا

(الميح طلب الشيء ههنا وههنا) ويقال: حَسَبٌ محْضٌ. وقوله: أتأره

---

(١) المنبت: الذي يجد في سيره حتى يثبت أخيراً سماه بما تؤول إليه عاقبته.

(٢) البين: الفراق.

(٣) أويس القرني: منسوب إلى جده قرن بالتحريك بن ردمان بفتح الراء وسكون الدال بن ناجية بن مراد، وهو أويس بن عامر وكان من سادات التابعين.

(٤) إمتحضا: أي شربا اللبن المحض وهو الخالص.

بصره يقول: اتبعه بصره وحَدَّد اليه النَظَر، وانشد الأصمعي وهو للكُمَيْتِ بن زيْدٍ):

ما زِلْتُ أرْمُقُهُمْ والآلُ يَرْفَعُهُمْ حتى اسْمَدرّ بطَرْفِ العين إتّاري[1]

ويروي عن أسماء بن خارِجةَ انه قال لا أشاتِمُ رجلاً ولا أرُدُّ سائلاً، فإنما هو كريمٌ أسُدُّ خَلَّتَهُ أو لئيمٌ أشتري عِرْضي منه. ويروي عن الأحْنف بن قيسٍ أنه قال: ما شاتمْتُ رجُلاً مُذْ كنتُ رجُلاً، ولا زَحَمتْ رُكْبتايَ رُكْبَتَيْه، وإذا لم أصِل مُجْتدِيّ حتى ينتِجَ جبينُهُ عرقاً كما ينْتِح الحميتُ، فواللّه ما وصَلْتُهُ. قوله مُجْتديّ يريد الذي يأتيه يطلب فضله، يقال: اجتداه يجْتديه واعْتفاه يعْتَفيه واعتراه يَعْتريه واعْتَرّهُ يعْترُّهُ وعراه يعروه إذا قصده يتعرّض لغائلة، وأصل ذلك مأخوذ من الجَدي مقصور وهو المطر العامُّ النافع. يقال: اصابتْنا مَطْرةٌ كانت جدىً على الأرض، فهذا الاسم فإذا أردتَ المصدر قُلت: فلان كثير الجداء[2] ممدود، كما تقول: كثير الغناء عنك ممدود. هذا المصدر، فإذا أردت الاسم الذي هو خلاف الفَقْر قلت: الغِنى بكسر أوله وقصرْت. قال خُفافُ بن نَدْبة يمدح أبا بكرٍ الصدِّيق رضي اللّه عنه:

لَيْسَ لشيْءٍ غيرَ تَقْوى جَداء وكُلُّ شيء عُمرُهُ لُلفَناءْ
ان أبا بَكرٍ هو الغَيْثُ[3] إذ لم تَشْمَلِ الأرضَ سحابٌ بماءْ
تاللّه لا يُدْرِكُ أيامَهُ ذو طُرَّةٍ[4] حافٍ ولا ذو حِذاءْ
مَنْ يَسْعَ كيْ يُدْرِكَ أيامَهُ يَجْتَهِد[5] الشَدَّ بأرضٍ فضاء

وهذا من طريف الشِعر لأنه ممدود فهو بالمد الذي فيه من عَروض السَريع الأولى وبيته في العَروض:

---

(١) أرمقهم: من رمق أي نظر، الآل السراب ضحى أسمدر كل وخسر، أتاري بصري.

(٢) جداء: بالمد واصله القصر ومعناه النفع مستعار من الجدي وهو العطية، وهنا يقصد إلى أنه ما من شيء جدي على المرء سوى التقوى.

(٣) الغيث: المطر.

(٤) الطره: الإجتهاد.

(٥) الاجتهاد: بذل الوسع.

أزْمانَ سَلْمى لا يَرى مِثْلَها الراؤنَ فـي شـأمٍ ولا فـي عِـراقْ

ثم نرجع الى تأويل قول الأحْنفِ، قوله: « حتى يَنْتِحَ جَبينُهُ عَرقاً فهو مثل الرَشْحِ. وحدّثني أبو عثمان المازنيُّ في إسنادٍ له ذكرَهُ قال: قال رُؤْبَةُ بن العَجّاج: خرجتُ مع أبي نريد سليمان بن عبد الملِكِ، فلما صِرْنا في الطريق أُهْدِيَ لنا جَنْبٌ من لحم عليه كَرافيءُ الشحم وخَريطةٌ من كَمْأةٍ ووَطْبٌ من لبن، فطبخنا هذا بهذا فما زالت ذِفْرَيايَ تَنْتِحانِ منه الى أن رجعتُ. وقوله: الحميت[1] فالحَميتُ والزِقُّ اسمان له، وإذا زُفِّتَ أو كان مَرْبوباً فهو الوَطْبُ وإذا لم يكن مَرْبوباً ولا مُزَفتّاً فهو سِقاء ونحْيٌ. والوَطْبُ يكون للبن والسمن والسِقاء يكون للبن والماء.

قالتْ **هندُ بنت عُتْبة لأبي سُفيان** بن حَرْب لما رجع مسلماً من عند النبي ﷺ الى مكة في ليلة الفتح فصاح: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ألا إني قد أسْلمْتُ فأسْلِموا، فان محمداً قد أتاكم بما لا قِبَلَ لكم به. فأخذَتْ هند رأسه وقالت بئس طَليعةُ القومِ أنتَ، واللّه ما خُدِشْتَ خَدْشاً، يا أهل مكة عليكم الحَميتَ الدَسِمَ فاقتلوه. وأما قول ؟رؤْبةَ: كرافيءُ الشحمِ يريد طَبقَات الشحم. وأصل ذلك في السحاب إذا رَكِبَ بعضُهُ بعضاً يقال له: كِرْفيءٌ والجميع كرافيءُ، قال أبو الحسن الأخفش واحد الكرافيءِ كِرْفِئةٌ، وهاء التأنيث اذا جُمِعَت جمع التكسير حُذِفتْ لأنها زائدة بمنزلة اسم ضُمَّ الى اسم، واحْسِبُ أن أبا العباس لم يَسْمعَ الواحدَ من هذا فقاسه، والعرب تَجْتزِيءُ على حذف هاء التأنيث اذا احتاجت الى ذلك، وليس هذا موضع حاجة إذ كانت قد اسْتُعْمِلتَ الواحدةُ بالهاء. ونظير هذا قولهم: ما في السماء كِرْفئةٌ وما في السماء قُذَعْمِلةٌ وقُذَعملية، وما في السماء طُحْرُبةٌ، وطِحْرِبةٌ وما في السماء قِرْطَعْبةٌ، وما في السماء كَنَهْوَرةٌ وهي القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه).

---

(١) الحميت: وعاء للسمن.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢٢ ـ باب في هجاء لحسان بن ثابت

قال أبو العباس: قال حسّان بن ثابت يهجو مُسافِعَ بن عِياضٍ التَيْميَّ من تيْمِ بن مُرَّةَ بن كَعْبِ بن لُؤَيِّ رَهْطِ أبي بكر الصِدِّيق رضي اللّه عنه:

لو كنْتَ من هاشمٍ أو من بَني أَسدٍ ... أوعَبْدِ شمْسٍ أو أصحابِ اللِّوا الصيدِ[1]
أو من بَني نَوْفلٍ أو رَهْطِ مُطلِّبٍ ... للّه دَرُّكَ لم تَهْمُ بتهديدي
أو في الذُؤابةِ[2] من قَومٍ ذوي حَسَبٍ ... لم تُصْبِحِ اليوم نِكْساً ثانيَ الجِيد
أو من بَني زُهْرَةَ الأخْيارِ قد عُلِموا ... أو من بَني جُمَحَ البيضِ المناجيدِ
أو في السَرارةِ من تَيْمٍ رَضيتُ بِهِمْ ... أو من بني خَلَفِ الخُضْرِ الجَلاعيد
يا آل تَيْمٍ ألا تَنْهوا سَفيهَكُمُ ... قَبْلَ القِذاف بقَوْلٍ كالجَلاميد
لَوْلا الرسولُ فإني لسْتُ عاصِيَهُ ... حتى يُغَيِّبَني في الرَمْسِ مَلحودي
وصاحِبُ الغارِ إني سَوْفَ أحْفَظُهُ ... وطَلْحةُ بن عُبَيْدِ اللّه ذي الجود
لقَدْ رَمَيْتُ بها شَنعاءَ فاضِحةً ... يَظلُّ منها صحيحُ القوم كالمُودي

قوله: لوكنتَ من هاشمٍ، يريد هاشم بن عَبْدِ مَناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّةَ بن كعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فَهْرِ بن مالك بن النَضْر بن كنانة. والنضْر أبو قُرَيْشٍ، ومن كان من بني كنانةَ لم يَلِدْهُ النضْرُ فليس بقُرَشيٍّ. وبنو أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيٍّ وعبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيٍّ وأصحاب اللواء بنو عَبدِ الدارِ بن قُصَيٍّ،

---

(١) الصيد: جمع أصيد وهو الملك أو الأسد، فالأول حقيقة والثاني إستعارة.

(٢) الذؤابة بالضم والهمزة هي من كل شيء أعلاه والمراد العز والشرف وهو متصل بما قبله بطريق العطف على خبر كان يريد ولو كنت من قومك سيداً شريفاً ذا مجد وحسب لما كنت دنيئاً مقصراً.

وقد بيَّنّا جواز ذلك. فأما اللِوى من الرمل فمقصور. قال امْرُؤ القَيْس:

بسِقْطِ[1] اللِوى بين الدَخولِ فحَوْمَلِ

كذا يرويه الأصمعي وهذه أصح الروايات وقوله: أومن بني نوفل، فهو نَوْفلُ ابن عبد مناف بن قُصَيٍّ، والمُطَّلِبُ الذي ذكره هو ابن عبد مَناف بن قُصيّ. وقوله: لم تُصْحِ اليوم نِكْساً، فالنِكْسُ الدنيءُ المُقصِّرُ، ويقول بعضهم إنّ أصل ذلك في السِهام، وذلك أن السَهْم إذا ارْتدَعَ[2] أو نالته آفة نُكِسَ في الكِنانة لِيُعْرَفَ من غيره. قال الحُطَيْئةُ:

قَدْ ناضلوك[3] فأبْدَوْا من كِنانتهم مَجْداً تليداً ونَبْلاً غيرَ أنْكاسِ

قوله: مجداً تليداً، قالوا نواصي الفُرْسان الذين كان يَمُنُّ عليهم. وقوله: ثاني الجِيدِ قد مرّ تفسيره في قول الله عزّ وجل ﴿ثانيَ عِطْفِهِ﴾[4] ليُضِلَّ عن سبيل الله. وقوله: أو من بني زُهْرَةَ فهو زُهْرَةُ بنُ كِلاب بن مُرَّةَ. ويُرْوى أن رسول الله ﷺ قال: خُلِقْتُ من خير حيين من هاشِمٍ وزُهْرَة. وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كعْب بن لُؤَيّ. وقوله: المناجيد مَفاعيل من النَجْدةِ والواحد مِنْجادٌ، وإنما يقال ذلك في تكثير الفعل كما تقول رجل مِطعانٌ بالرُمْحِ ومِطْعامٌ للطعام. وقوله: أو في السرارة من تَيْمٍ رضيتُ بهم، يقول: في الصميم منهم والمَوْضِعِ المَرْضِيِّ، وأصل ذلك في التُربَةِ، تقول العرب: إذا غَرَسْتَ فاغْرِسْ في سَرارة الوادي. ويقال: فلانٌ في سِرِّ قومه والسُرَّةُ مثل ذلك قال القُرَشِيُّ:

هَلاَّ سألت عن الذين تَبَطَّحوا[5] كَرَمَ البِطاحِ وخَيْرَ سُرَّةِ وادِ

---

(١) السقط: حيث انقطع معظم الرمل ورق والدخول بالفتح وحومل موضعان.

(٢) ارتدع: سقط نصله.

(٣) ناضلوك: المناضلة. المباراة في الرمي وهذا الكلام كله على التشبيه والمثل.

(٤) سورة الحج: الآية ٩.

(٥) تبطحوا: أي اتسعوا في البطحاء وتفرقوا فيها وهذا الكلام يشير إلى عزهم وكثرتهم والخطاب لعاذلته على عادة العرب.

وعن الـذين أَبَوْا فلم يُسْتَكـرهوا أن يَنْـزِلوا الوَلجاتِ[1] من أجْيـاد
يُخْبِـرْكَ أهـلُ العِلْمِ أنّ بُيـوتَنـا منهـا بخَيـرِ مَضـارِبِ الأوْتـاد

وقوله: أو من بني خَلفِ الخُضْـرِ: فإنـه حَـذفَ التنـوين لالتقاء السـاكنين وليس بالوَجْهِ وانما يُحْذَفُ من الحروف لالتقاء الساكنين حـروفُ المَدِّ واللين، وهي الألف المفتوح ما قبلهـا، والياء المكسـور ما قبلهـا، والواو المضمـوم ما قبلها، نحو قـولك: هـذا قَفا الـرجُلِ، وقـاضي الرجـلِ، ويَغْزو القـومُ. فأمـا التنوين فجاز هذا فيه لأنه نون في اللفظ، والنون تُدْغَمُ في الياء والواو، وتُـزاد كمـا تُزاد حـروفُ المدِّ واللينِ، ويُبـدَلُ بعضُها من بعض، فتقـول: رأيتُ زَيداً فتُبـدِلُ الألف من التنـوين، وتقـول في النسب الى صَنعـاءَ وبَهْـراءَ: صَنْعـانيٌّ وبَهْـرانيٌّ فتُبدِلُ النـونَ من ألف التأنيث، وهـذه جُمْلةٌ وتفسيرهـا كثيـر فلذلـك حُذِفَ. ومثل هذا من الشعر:

عَمْرو[2] الذي هَشَمَ الثريدَ لقَـوْمِهِ ورِجـالُ مكّـةَ مُسْنِتونَ[3] عِجافُ[4]

(صوابه عَمْرو العُلي) وقال آخر:

حُـمَيْـدُ الـذي أمَـجَّ[5] دارهُ أخو الخَمْرِ[6] ذو الشّيْبةِ الأصْلَعُ

وقرأ بعض القُرّاء ﴿قل هو الله أحَدُ اللهُ الصَمَدُ﴾ [7] وسمعت عُمـارةَ بن عَقيلٍ يَقْرَأُ: ﴿ولا الليل سابِقُ النهارَ وكلٌّ في فَلِكٍ يَسْبَحـونَ﴾[8]. فقلتُ: ما

---

(١) الولجات: طرق الرمل.

(٢) عمرو وهذا هـو هاشم والـد عبد المطلب وسمي هاشماً لأنه أول من ثرد الثريـد للناس في زمن القحط والشاعر يمدحه بهذا.

(٣) مسنتون: مجدبون.

(٤) العجاف: المهزلون والشاهد في حذف التنوين من عمرو بلا سبب.

(٥) أمج: موضع بني مكة والمدينة.

(٦) الملازم للخمرة.

(٧) سورة الإخلاص: الآيتان ١ ـ ٢.

(٨) سورة يس: الآية ٤٠.

تريد؟ فقال: سابقُ النهارَ. وقوله: أو اصحاب اللوا خَفَّفَ الهمزةَ وتُخَفَّفُ إذا كان قبلها ساكنٌ فتُطْرَحُ حركتها على الساكن وتُحْذَفُ، كقولك: مَن أبوكَ؟ وقوله عزّ وجل: ﴿الذي يُخْرِجُ الخَبَ[1] في السموات والأرض﴾[2] وخلفُ الذي ذكره من بني جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْصِ بن كعْب بن لُؤيّ. وقوله: الخُضْر الجَلاعيد يقال فيه قولان، أحدهما أنه يريد سوادَ جلودهم كما قال الفَضْلُ بن العَبّاس بن عُتْبة بن أبي لَهَبٍ:

وأنا الأخْضَرُ من يَعْرِفُني أخضرُ الجِلدةِ في بَيْتِ العرَبْ

فهذا هو القول الأول. وقال آخرون: شبّههم في جودهم بالبُحور. وقوله: الجلاعيد يريد الشِدادَ الصلابَ، وأحدهم جَلْعَدٌ وزاد الياء للحاجة، وهذا جَمْعٌ يجيء كثيراً، وذلك أنه موضع تلزمه الكسرةُ فتُشْبَعُ فتصير ياء. يقال: جَمْعٌ يجيء كثيراً، وذلك أنه موضع تلزمه الكسرةُ فتُشْبَعُ فتصير ياء. يقال: في خاتم خواتيمُ وفي دانِقٍ دَوانيقُ وفي طابقٍ طَوابيقُ. قال الفَرزْدَق:

تَنفي يَداها الحَصى في كلِّ هاجرةٍ نَفْيَ الدَراهيم تَنْقادُ الصيارِيف

وقوله: قبل القِذاف يريد المُقاذَفةَ وهذه تكون من اثنين فما فوقهما نحو: المُقاتَلةِ والمُشاتَمةِ. فباب فاعَلْتُ انما هو للاثنين فصاعداً، نحو: قاتَلتُ وضارَبْتُ. وقد تكون الألف زائدة في فاعَلْتُ فتُبْني للواحد كما زيدت الهمْزةُ أوّلاً في أفْعلْتُ فتكون للواحد نحو عاقَبْتُ اللِصَّ وعافاه اللّه وطارَقْتُ نَعْلي وقوله: وصاحب الغار يعني أبا بكرٍ رضي اللّه عنه لمصاحبته النبيَّ ﷺ في الغار، وهذا مشهور لا يحتاج الى تفسير. وطلحة بن عبيد اللّه ذو الجود، نسبه الى الجود لأنه كان من أجْودِ قُرَيْشٍ. وحدّثني التَوَّزِيُّ قال: كان يقال لطلحة ابن عبيد اللّه طَلْحة الطَلَحَاتِ[3] وطَلْحةُ الخَيْرِ وطَلْحةُ الجودِ. وذكر التَوَّزِيُّ

---

(١) الخب: أصله الخبء مهموزاً وهو الشيء المخبأ.

(٢) سورة النحل: الآية ٢٥.

(٣) طلحة الطلحات: غير أبي العباس، يقول طلحة الطلحات، رجل من خزاعة وهو ابن عبيد =

عن الأصمَعيِّ: أنه باع ضَيْعةً له بخمسة عشر ألف درهم فقَسمَها في الأطْباقِ. وفي بعض الحديث: أنه مَنَعَهُ أن يَخْرُجَ الى المسجد أن لُفِّقَ له بين ثوبين. وحدثني العُتْبِيُّ في إسنادٍ ذكرَهُ قال: دعا طَلْحةُ بن عبيد اللّه أبا بكر وعمر وعثمان رحمة اللّه عليهم فأبْطأ عنه الغُلامُ بشيء أراده، فقال طلحةُ: يا غلامُ. فقال الغلام: لبَّيْكَ فقال طلحةُ: لا لَبَّيْك. فقال أبو بكر: ما يسُرُّني أني قُلْتَها وأنّ لي الدنيا وما فيها. وقال عمر: ما يَسرُّني أين قُلْتُها وأنّ لي نصْفَ الدنيا. وقال عثمان: ما يَسُرُّني أني قُلْتُها وأن لي حُمْرَ النَعَم. قال: وصَمَتَ عليها أبو محمد، فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَةً[1] بخمسة عشر ألف دِرْهمٍ فتصدق بثمَنها. وقوله: يظَلُّ منها صحيحُ القوم كالمودي، فالمودي في هذا الموضع الهالكُ، وللمودي موضع آخر يكون فيه القويُّ الجادُّ. حدّثني بذلك التَوّزِيُّ في كتاب الأضداد وأنشدني:

مُودونَ يَحْمونَ البسيل السابِلا[2]، (المُؤْدي بالهمز التامُّ الأداةِ والسِّلاح وبغير الهمز الهالكُ).

في وصف اعرابي لابنه

وقال رجل من العرب:

خَليليَّ عُوجا بارَكَ اللّهُ فيكُما ... على قَبْرِ أُهْبانٍ سَقَتْهُ الرواعِدُ[3]
فذاكَ الفَتى كلُّ الفتى كان بَيْنَهُ ... وبين المُذَجَّى نَفْنَفٌ مُتباعِدُ
إذا نازَعَ القومُ الأحاديث لم يَكنْ ... عَيِيّاً ولا عِبْئاً على من يُقاعِدُ

قوله: على قَبْرِ أُهْبانٍ فهذا اسم عَلَمٌ كزيد وعمرو، واشتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ، وهَمَزَ الواوَ لانضمامها كقوله تعالى: وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ[4]، فهو فُعِّلَتْ من

= اللّه بن خلف وهو الذي قيل فيه.

رحم اللّه اعظما دفنوها ... بسجنان طلحة الطلحات

(١) الضيعة: الأرض المغلة، كثيرة العطاء.

(٢) السبيل: الطريق المسلوك.

(٣) سقته الرواعد: أراد بالرواعد السحب الماطره وهذا دعاء للميت بالسقيا.

(٤) سورة المرسلات: الآية ١١.

الوَقتِ، وقد مضى تفسير همز الواو إذا انضَمَّتْ. وهو لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة، وكل شيء لا ينصرف فَصرْفُهُ في الشعر جائز لأن أصله كان الصَرْفَ فلما احتيج اليه رُدَّ الى أصله فهذا قولُ البصريين. وزعم قوم ان كل شيء لا ينصرف فَصَرْفهُ في الشعر جائز الا أفعَلَ الذي معه: منكَ، نحو: أفضَل منكَ وأكرم منكَ، وزعم الخليل وعليه أصحابه أن هذا اذا كانت معه منك بمنزلة أحمَرَ لأنه انما كمَلَ أن يكون نعْتاً بمنك، وأحمَرُ لا يحتاج اليها فهو مع منكَ بمنزلة أحمَرَ وَحْدَهُ. قال: والدليل على أن منك ليست بمانِعَتِهِ من الصرف أنه إذا زال عن بناء افعَلَ انصرَفَ نحو قولك: مررتُ بخَيْرٍ منك وشرٍّ منك، فلو كانت منكَ هي المانِعة لَمَنَعتْ ههنا فهذا قولٌ بَيِّنٌ جداً.

وقوله: المُزَجَّى فهو الضعيف، يقال: زَجّى فلان حاجتي أي خَفَّ عليه تعْجيلُها، والمُزْجاةُ من البضائع اليَسيرةُ الخفيفة المَحْمِل، والنَفْف وجمعه النَفانِف كلُّ ما كان بين شيئين عالٍ ومنخفض. قال ذو الرُمّة:

(تَرى قُرْطَها في واضِحِ اللِّيتِ مُشْرِفاً على هَلَكٍ) في نَفْنَفٍ يَتَطوّحُ

وقوله: ولا عِبْئاً على من يُقاعِدُ فالعِبْءُ الثِقْلُ، يقال: حَمِلَ عِبئاً ثقيلاً ووَكَّدَهُ بقوله ثقيلاً ولو لم يَحْتجْ اليه. وقال آخر يذكر ابنه:

ألا يا سُمَيّةُ شُبِّي الوَقودا[1] لعَلّ الليالي تُؤدّي يَزيدا
فَنَفْسي فِداؤُكَ من غائبٍ إذا ما المسارِحُ كانتْ جَليدا[2]
كفاني الذي كنْتُ أسْعى لهُ فصار أباً لي وصِرْتُ الوَليدا

قوله: شُبِّي يقال شَبَبْتُ النارَ والحرْبَ إذا أوْقَدْتَهُما. يقال: شَبَّ يَشُبُّ شَبّاً قال الأعْشى:

تُشَبُّ لمقْرورَيْنِ يَصْطلِيانِها وباتَ على النارِ الندَى والمُحَلَّقُ

وقوله: إذا ما المسارح كانت جليداً، فالمسارحُ الطُرُق التي يَسْرَحون فيها

---

(١) الوقود بالفتح الحطب.

(٢) الجديد هنا عن وقت الشتاء.

واحدها مسْرَحٌ. والجَليدُ يقع من السماء وهو نَوىً فيه جُمودٌ فَتَبْيَضُّ له الأرضُ وهو دون الثلْج يقال له الجَليدُ والضريبُ والسقيطُ والصَقيعُ. وقالوا في قوله: رِجْلا عُقابٍ[1] يَوْمَ دَجْنٍ[2] تُضْرَبُ، أي يصيبها الضَريبُ.

وقوله: وكنتُ الوليدَ، فالوليدُ الصغير وجمعه ولْدانٌ وهو في القرآن قولُه عزّ وجل: ﴿يَطوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ﴾[3]. ونظير وَليدٍ ووِلْدانٍ ظَليمٌ وظِلْمانٌ، وقَضيبٌ وقِضبانٌ، وباب فُعالٍ فِعْلانٌ نحو: عِقْبانٍ وذِبّانٍ وغِرْبانٍ. وقولهم: أمرٌ لا يُنادى وليدُهُ يقال فيه قولان متقاربان فأحدهما أنه لا يُدْعى له الصِغارُ، والوجه الآخر لأصحاب المعاني، يقولون: ليس فيه وَليدٌ فيُدْع.

في الوصف والرثاء

ونظير ذلك قول النابغة الجَعْديّ:

سَبَقْتُ صياحَ فَراريجِها ... وصُوْتَ نَواقيسَ لم تُضْرَبِ

أي لَيْسَتْ ثمّ ولكنّ هذا من أوقاتها. وقالت أخت طَرفَةَ بن العَبْدِ:

عَدَدْنا له سِتاً وعشرينَ حجّةً ... فلمّا تَوَفّاها اسْتَوَى سَيِّداً ضَخْماً

فُجِعْنا به لما رَجَوْنا إيابَهُ ... على خيرِ حالٍ، لا وَليداً ولا فَحْما

الوليد ما ذَكرْنا، والفَحْمُ الرجل المتناهي سِنّاً، ويقال ذلك في البعير فَحْمٌ وفَحرٌ ومُفْلَحِمٌّ. ويقال للبعير خاصّةً قُحارِبَةٌ بوزن قُراسِبَةٍ وأنشد الأصمَعيُّ:

رَأَيْنَ فَحْماً شابَ واقْلَحَمّا ... طالَ عليه الدَهْرُ فاسْلَهَمّا

المُسْلَهِمُّ الضامر. وقال آخر لابنه يَرْثيه:

ومن عَجَبٍ أن بِتُّ مُسْتَشْعِرَ الثرى ... وبِتُّ بما زَوَّدْتَني مُتَمَتِّعا

---

(١) عقاب: من جوارح الطير وسباعها.

(٢) دجن: بالفتح المطر الكثير.

(٣) سورة الواقعة: الآية ١٧.

ولــو أنني أنصَفْتُــكَ الــوُدّ لم أبِــتْ خِلافكَ حتى نَنْـطَوي في الثرى معـاً

وقال ابراهيم بن عبد اللّه بن حسن بن حسن يرثي أخاه محمداً:

أبـا المنـازِلِ يـا عُبْـرَ الفـوارِسِ مَن يُفْجَعْ بِمثْلِكَ في الدنيا فقد فُجِعا[1]
اللّهُ يَـعْـلَمُ إنـي لــو خَـشـيـتُـهُـمُ أو آنَس القلبُ من خَوْفٍ لهم فَـزَعا
لـم يَقْـتلوكَ ولـم أُسْـلِمْ أخـي لـهُـمُ حَتى نعيشَ جميعـاً أو نمـوتَ معـاً

قوله: يا عُبْرَ الفـوارس يصفه بـالقوة منهم وعليهم، كمـا يقال: نـاقة عُبْـرُ الهَـواجِرِ وعُبْـرُ السّرى، وقـوله: أو آنس القلب مـن خوف لهم فـزعا، يقـول: أحَسّ، وأصل الإيناسِ في العين. يقال: آنَسْتُ شخصاً أي أبْصَرْتُهُ من بُعدٍ.

وفي كتاب اللّه عز وجـل﴿آنَسَ مِنْ جانبِ الـطُّورِ ناراً﴾[2] وقال مُتَمِّم بـن نُوَيْرَةَ (يرثي أخاه):

وقــالــوا أتَبكـي كــلَّ قَبــرٍ رأيْـتَــهُ لِمَيْتٍ ثـوى بَينَ اللِّوَى فالـدَكـادِكِ[3]
فقلتُ لهم أن الأسى يَبـعَثُ الـبُكـى ذَروني فهــذا كلُّه قَبــرُ مــالِــكِ[4]

والأسى الحُزْنُ وقد مرّ تفسيره. وقال علي بن عبد اللّه بن العباس بن عبد المُطَّلِبِ رحمه اللّه:

أبي العَــبـاسُ قَــرْمُ بني قُصَيٍّ وأخْــوالي المُلوكُ بنــو وَلـيعَــهْ
هُمُ مَنعـوا ذِ ماري يَـوْم جـاءتْ كتـائبُ مُسْـرفٍ وبنــو اللكيعـهْ
أراد بِي[5] التـي لا عِــزّ فيـهــا فـحــالتْ دونــه أيْــدٍ مَـنيعــة

قوله: بنو وليعة فهم أخواله من كَـنْدَةَ وأمُّهُ زُرْعَةُ بنت مِشْرَحٍ الكِنْـدِيَّةُ ثم أحدُ بني وليعةَ. وقـوله: كتـائبُ مُسرفٍ يعني مسلم بن عقبَـةَ المُرِّيّ صـاحبَ

(١) فجعا: عظمت بليته.
(٢) سورة القصص: الآية ٢٩.
(٣) الدكادك: ما جمد من الرمل ويبس.
(٤) يراد به أن كل قبر من القبور يذكرني أخي.
(٥) الضمير في قوله أراد يرجع إلى مسرف والتي لا عز فيها - يريد بها مبايعته ليزيد بن معاوية وكان مسلم بن عقبة المري قد أكرهه عليها فيمن أكرهه من أهل المدينة.

الحَرّةِ، وأهل الحجاز يسمونه مسرفاً، وكان أراد أهلَ المدينة جميعاً على أن يُبايعوا يَزيدَ بن معاوية على أن لك واحد منهم عَبدٌ قِنٌ له إلا عليّ بن الحُسَينِ، فقال حُصَينُ بن نُمَيرٍ السَكونيُّ من كِندةَ: ولا يُبايعُ ابنُ اختنا عليُّ ابن عبد اللّه إلا على ما يُبايِعُ عليه عليّ بن الحسين على أنه ابنُ عَمِّ أمير المؤمنين، وإلا فالحَرْبُ بيننا. فأعْفِيَ عليُّ بن عبد اللّه وقُبِلَ منه ما أراد، فقال هذا الشِعرَ لذلك. وقوله: بنو اللكيعة فهي اللئيمة. ويقال في النداء للئيم يا لُكَعُ، وللأنثى يا لَكاعِ لأنه موضع معرفة، كما يقال: يا فُسَقُ ويا خُبَثُ، فإن لم ترد أن تَعدِلَهُ عن جهته قلتَ للرجُل: يا ألكَعُ، وللأنثى يا لَكعاءُ. وهذا موضع لا تقع فيه النَكِرةُ. وقد جاء في الحديث والأصل ما ذكرتُ لك: لا تقوم الساعةُ حتى يَلي أمورَ الناس لُكَعُ بن لُكَعٍ، فهذا كناية عن اللئيم بن اللئيم، وهذا بمنزلة عمَر ينصرف في النكرة، ولا ينصرف في المعرفة. ولَكاعِ يُبنى على الكسر، وسنشرح باب فَعال للمؤنث على وجُوهه الخمسة عند أول ما يَجْري من ذكره ان شاء اللّه، وقد اضطُرَّ الحُطَيْئةُ فَذَكر لَكاعِ في غير النِداء. فقال يَهْجو امرأته:

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوي ... الى بيتٍ قَعيدتُهُ لَكاعِ

قعيدةُ البيتِ ربَّةُ البيتِ، وانما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها. ويقال للفرس قُعْدةٌ من هذا وهو الذي يَرْتبطه صاحبُهُ فلا يُفارقه. قال الجُعْفيُّ:

لكِنْ قعيدةُ بيتنا مَحْفوَّةٌ ... بادٍ جَناجِنُ صَدْرها ولها غنا

الجناجِنُ ما يظهر عند الهُزال من أطراف ضُلوع الصدر، واحدها جِنجَنٌ.

في رثاء أخي ذي الرمة لابن عمه

وقال هشام أخو ذي الرُمّةِ[1]:

(١) هشام أخوذي الرمة: هذا رجوع إلى مكان فيه من قبل.

تعزّيْتُ[1] بمَن أوْفى بغَيْلانَ بَعْدَه عَزاءً وجَفْنُ العينِ بالماءِ مُتْرَعُ[2]
ولم تُنسِني أوْفى المُصيباتُ بَعدَهُ ولكِنَّ نَكْءَ[3] القَرْحِ بالقَرْحِ أوجع

غَيْلانُ هو ذو الرُّمّةِ وكان هِشامٌ من عُقلاءِ الرجال. حدثني العباس بن الفَرَجِ في اسناد ذكره يَعْزوه الى رجل أراد سَفَراً. فقال: قال لي هِشامُ بن عُقبةَ أنَّ لكل رُفقةٍ كلْباً يَشْرَكُهُم في فَضْلة الزادِ ويَهُرُّ دونهم، فان قَدَرْتَ ألا تكون كلْبَ الرُّفقةِ فافعَلْ وإيّاك وتأخيرَ الصلاةِ عن وقتها، فانك مُصَلِّيها لا مَحالةَ فصَلِّها وهي تُقبَلُ منك. وقال حسّانُ بن ثابت الأنصاريُّ:

تقولُ شَعْثاءُ لو صَحَوْتَ[4] عن الكا ساسِ لأصبَحْتَ مُثْرِيَ العَدَدِ

(هي أمرأته وهو اسمها).

أهْوى حديثَ الندمانِ في فَلَقِ الصبح وصوْتَ المُسامِرِ الفَرِدِ[5]
لا أخْدِشُ الخَدْشَ[6] بالجَليسِ ولا يَخْشى نَديمي اذا انتَشَيْتُ يدي
يأبى لي السيفُ واللسانُ وقَوْ مٌ لم يُضامُوا كلِبْدةِ الأسد

لِبدةُ الأسد، ما يَتطارقُ من شعرِه بين كَتِفَيْهِ. ويقال أسَدٌ ذو لِبْدةٍ، وذو لِبَدٍ. وحدثني عُمارةُ قال: مرض جَريرٌ مَرْضةً فعادتْهُ قَيْسٌ: فقال:

نَفسي الفِداءُ لقَوْمٍ زَيَّنوا حَسَبي وإن مَرِضْتُ فهُم أهْلي وعُوّادي
لو خِفْتُ لَيْثاً أبا شِبْلَيْنِ ذا لِبَدٍ ما أسْلموني للَيْثِ الغابةِ العادي
إن تجْرِ[7] طَيرٌ بأمرٍ فيه عافيةٌ أو بالرَحيلِ فقد أحْسَنْتُمُ زادي

---

(١) تعزيت: تصبرت وتأسيت.
(٢) مترع: ممتلىء والمراد بالماء الدمع.
(٣) نكأ: فتح الجرح.
(٤) صحوت: أقلعت.
(٥) هذا جوابه يعتذر به عن ترك الخمر والندمان بالفتح المنادم والمسافر.
(٦) الخدش: الجرح في ظاهر الجلد.
(٧) يريد أن أبرأ من ذلك المرض أو أمت فقد أحسنتم إليّ وأقررتم عيني.

في بعض اشعار الهجاء

وقال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت بن المُنْذر بن حَرامٍ وهو يُهاجي عبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبي العاصي بن أُمَيَّةَ بن عبد شمْسٍ:

فأمّا قولكَ الخُلفاءُ مِنّا ... فَهُم مَنَعوا وريدَكَ[1] من وِداجِ[2]

ولوْلاهُم لَكُنتَ كحوتِ بَحرٍ ... هَوى في مُظلِمِ الغَمَراتِ داجي

وكُنتَ أقَلَّ من وتدٍ بقاعٍ ... يُشجِّعُ[3] رأسهُ بالفِهْرِ[4] واجي[5]

فكتب مُعاويةُ الى مَرْوانَ أن يُؤدِّيَهُما وكانا قد تَقاذَفا، فضَربَ عبدَ الرحمن ابن حسانٍ ثمانين وضَرَبَ أخاه عشرين[6]. فقيل لعبد الرحمن بن حسان قد أمكنَكَ في مَرْوانَ ما تريد فأشِدْ بذكره وارفَعهُ الى مُعاوية. فقال: إذاً واللّه لا أفعَلُ وقد حَدَّني كما تُحَدُّ الرجالُ الأحرارُ، وجَعَلَ أخاه كنصف عبد، فأوجَعهُ بهذا القول. ويروي أن عبد الرحمن بن حَسّان لَسَعَهُ[7] زُنبورٌ فجاء أباه يبكي، فقال له مالك؟ فقال لسعني طائر كأنه مُلتَفٌّ في بُرْديْ حِبَرةٍ[8]. قال: قلتَ والله الشعرَ. ويروي أن معلِّمه عاقب الصِبْيان على ذنبٍ وأراده بالعقوبة، فقال:

اللّهُ يَعْلَمُ أني كنتُ متبذاً ... في دار حَسّان أصْطادُ اليَعاسيبا

وأعْرَقُ قومٍ كانوا في الشعر آلُ حَسّان فانهم يَعْتَدُّون ستةً في نَسَقٍ كلهُم شاعرٌ وهم: سَعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المُنذِر بن حَرام.

---

(١) الوريد هو العرق في صفحة العنق ينفخ عند الغضب وهما وريدان.

(٢) وداج: القطع.

(٣) الشج أصله في الرأس وهو أن تضربه بشيء فتخرجه ثم استعمل في غيره من الأعضاء.

(٤) بالفهر: بالكسر، الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه أو قدر يملأ الكف.

(٥) الواجي أصله الهمز فخفف وهو إسم فاعل في قولك وجأه باليد أو السكين ضربه وضرب ذلك مثلاً لذلته وصفته.

(٦) ضرب أخاه الضمير يعود إلى مروان بن الحكم.

(٧) كان ذلك وهو فتى صغير.

(٨) يريد أنه أحسن في التشبيه، أصاب في الخيال وهما من أصول الشعر فتوسم فيه القدرة عليه.

وبعد هؤلاء في الوقت آلُ أبي حَفصةَ فانهم أهل بيت كلهُم شاعرٌ يتوارثونه كابراً عن كابرٍ. ويروي أن ابنةً لابن الرِقاع[1] وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه، فقالت: ما تريدون اليه؟ فقالوا جئنا لنُهاجيَهُ فقالت وهي صبيةٌ:

تَجَمَّعْتُمُ من كل أوْب[2] ووِجْهةٍ على واحدٍ لا زِلتُم قِرْنَ واحدِ

فهذه بلغت بطبعها على صِغَرِها مَبْلغَ الأعشى في قَلب هذا المعنى حيث يقول لِهوْذَةَ بن علي:

يرى جَمْعَ ما دون الثلاثينَ قُصْرةً ويَغدو على جَمْعِ الثلاثينَ واحداً

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) هو علي بن الرقاع، الشاعر كان في أيام بني أمية.
(٢) أوب: صوب.

٢٣ ـ باب في أقوال الحكماء

قال أبو العباس قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: عَلِّموا أولادكم العَوْم والرِمايَةَ ومُروهمْ فَلْيَثِبوا على الخيل وثباً، ورَوُّوهم ما يَجْمُلُ من الشِعْر، وفي حديث آخر: وخَيرُ الخُلقِ للمرأة المِغزَلُ. ويروى عن الشَعبيِّ أنه قال: قال عبد اللّه بن العباس قال لي أبي: يا بُنَيّ اني أرى أمير المؤمنين قد اخْتَصَّكَ دون مَن ترى من المهاجرين والأنصار فاحْفَظ عني ثلاثاً، لا يُجَرِّبَنَّ عليك كَذِباً ولا تَغْتَبْ عنده مسلماً ولا تُفْشِيَنَّ له سِرّاً. قال فقلتُ له: يا أبَة كلُّ واحدةٍ منها خيرٌ من ألف، فقال كلُّ واحدة منها خيرٌ من عشرة آلاف. وحدثني العباس بن الفَرَج في اسناد ذكره قال: نُظِر الى عمرو بن العاص على بَغلةٍ قد شمِطَ [1] وجهُها هَرماً، فقيل له أتركَبُ هذه وأنت على أكرَم ناخِرةٍ بمصر؟ فقال: لا مَلَلَ عندي لدابتي ما حَمَلَت رُجْلتي ولا لامرأتي ما أحْسَنَتْ عِشرتي، ولا لِصديقي ما حَفِظ سِرِّي، ان المَلَل من كَواذب الأخلاق. قوله على أكرم ناخرة يريد الخيل، يقال للواحد ناخِرٌ وقيل ناخِرة، يراد جماعةٌ كما تقول رجل بغّال وحَمّارٌ والجماعة البَغّالةُ والحمّارةُ، وكذلك تقول أتتني عُصْبةٌ نبيلةٌ وقبيلةٌ شريفةٌ، والواحد نبيلٌ وشريف

في تعييب عمرو بن العاص لمعاوية

وشاوَرَ مُعاوية عَمراً في أمر عبد اللّه بن هاشم بن عتبةَ بن مالك بن أبي

---

(١) الشمط محركاً بياض الرأس يخالطه سواد والفعل كتعب.

وقّاص، وكان هاشم بن عُتْبَةَ أَحَدَ فُرْسان علي رضي اللّه عنه (وهو المِرْقال)[1] فأُتيَ بابنه مُعاويةُ فشاور عَمْراً فيه فقال: أرى أن تقتله. فقال له معاوية: اني لم أرَ في العَفو الا خيراً فمضى عمرو مُغضباً وكتب اليه:

أَمَرْتُكَ أمْراً حازِماً فَعَصيْتَني ... وكان من التوْفيقِ قتلُ ابن هاشم
أَلَيْسَ أبوه يا مُعاويةُ الذي ... أعانَ عَلينا يَومَ حَزِّ الغلاصِمِ[2]
فقَتَّلنا حَتى جَرى من دِمائنا ... بصفِّينَ أمثالُ البُحور الخضارِمِ[3]
وهذا ابنه والمَرْءُ يشْبهُ عِيصَهُ[4] ... ويوشِكُ أن تُلقى به جِيدُ نادِمِ

فبعث معاوية بأبياته الى عبد اللّه بن هاشم فكتب اليه عبد اللّه بن هاشِمٍ:

مُعاويَ انَّ المَرْءَ عَمْراً أَبَت له ... ضَغينةُ[5] حُبٍّ غِشُّها غيرُ نائِمِ
يَرى لك قَتْلي يا ابن هِندٍ وانما ... تَرى ما يَرى عَمروٌ ملوكُ الأعاجم
على أنَّهُم لا يَقتلونَ أسيرهُمْ ... اذا كان يَرى عَمروٌ مِنهُ بَيعةً للمُسالِمِ
فان تَعفُ عني تَعفُ عن ذي قَرابةٍ ... وإن تَرَ قَتلي تَسْتَحِلَّ محارِمي

فَصفَحَ عنه.

وقال عمرو لعائشة رحمها اللّه: لوِدِدْتُ أنكِ كنتِ قُتِلتِ يوم الجَمَلِ فقالت. ولمَ لا أبا لَكَ؟ فقال كُنتِ تموتينَ بأجَلِكِ وتدخُلين الجنةَ وبجُعْلُكِ أكبر التشنيع على عليٍّ. وحدثني العباس بن الفَرجِ الرياشيُّ في اسنادٍ ذكَرَه آخرُه ابن عباس قال: دخلتُ على عمرو بن العاص وقد احتُضِرَ فدخل عليه عبد اللّه بن عَمْرٍو فقال له: يا عبد اللّه خُذْ ذلك الصُندوقَ، فقال لا حاجة لي فيه.

---

(١) المرقال: سمي بذلك لأن عليّاً رضي اللّه تعالى عنه أعطاه الراية بصفين.

(٢) الغلاصم: جمع غلصمة، وهي اللحم بين الرأس والعنق وأراد بذلك أيام الحرب بينه وبين علي.

(٣) الخضارم: جمع خضرم بالكسر وهو البحر العظيم وهذا نوع من المبالغة المعروف في الشعر العربي.

(٤) العيص: بالكسرج أصول الشجر وهنا إستعارة فتبين شبه الولد بأبيه.

(٥) ضغينة: حقد وكراهية.

قال: انه مملوء مالاً. قال: لا حاجة لي به. فقال عمرو: ليته مملوء بَعراً، قال: فقلت يا أبا عبد اللّه انك كنتَ تقول أشتهي أن أرى عاقِلاً يموت حتى أسألهُ كيف يَجدُ، فكيف تجِدُكَ؟ قال: أجد السماء كأنها مُطْبَقَةٌ على الأرض وأنا بينهما وأراني كأنما أتنفَّسُ من خَرتِ إبرةٍ، ثم قال: اللهم خُذْ مني حتى تَرضى ثم رفع يديه فقال، اللهم أمَرْتَ فَعَصَيْنا ونَهَيْت فركِبنا فلا بريٌّ فأعتذِرُ ولا قويٌ فأنتصر، ولكن لا اله الا اللّه ثلاثاً ثم فاظ. وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرياشيِّ بأتم من هذا، ولكن اقتصرنا على هذا لِثِقَةِ اسناده. قوله: من خَرْتِ ابرة يعني من ثَقْبِ إبرةٍ، يقال للدليل خِرِّيتٌ وزعم الأصمعي أنه أريد به أنه يَهْتدي لمثل خَرْتِ الابرة.

فاضت أو فاظت

وقوله: فاظ أي مات، يقال فاظ وفاد وفَطسَ وفاز وفَوَّزَ كل ذلك في معنى الموت، ولا يقال فاض بالضاد إلاَّ للاناء. قال رؤبة: لا يَدْفنون منهمُ مَن فاظا.

وقال ابن جُرَيْج: أما رأيْتَ المَيتَ حين فُوظِهِ. ومَن قال ذلك للنفس. قال: فاضَتْ نفسُهُ شبَّهها بالاناء. وحدثني أبو عثمان المازنيُّ أحسِبُهُ عن أبي زيد قال: كلُّ العرب يقولون فاضَتْ نفسه الا بَني ضبَّةَ فانهم يقولون: فاظَتْ نفسه وانما الكلام الصحيح فاظ بالظاء اذا مات. وفي الحديث ان امرأة سَلاّمِ ابن أبي [1] الحُقَيقِ قالتْ: فاظ واله يَهودَ. وحدثني مسعود بن بِشرٍ قال: قال زيادٌ الإمرةُ[2] تُذْهِبُ الحَفيظةَ[3] وقد كانت من قوم إليّ هَناتٌ[4] جعلتُها تحت قدمي ودَبَر[5] أُذُني فلو بلغني أن أحدكم قد أخذه السِلُّ[6] من بُغْضِي ما هَتَكْتُ[7] له

---

(١) سلام بن أبي الحقيق، كزبير هو اليهودي الذي قبله عبد اللّه بن عتيك بأمر رسول اللّه ﷺ.

(٢) الأمره: بالكسر أسم من قولك أمر فلان علينا إذا أولى.

(٣) الحفيظة: الغضن.

(٤) الهنات: واحدها هنت أي فساد وشر.

(٥) كناية عن الغضن عنها وعدم المؤاخذة فيها.

(٦) السل بالكسر وبضم قرحة تحدث في الرئة أمراضاً معضلة.

(٧) هتكت: كشفت.

سِتراً ولا كَشَفتُ له قِناعاً حتى يُبدِيَ لي عن صَفْحتِهِ، فإذا فعل لم أناظِرْهُ. وسمع زيادٌ رجلاً يَسُبُ الزمانَ فقال: لو كان يدري ما الزمانُ لَضَربْتُ عُنُقَهُ أن الزمان هو السلطان وفي عَهدِ ارْدَشيرَ. وقد قال الأولون مِنّا عَدْلُ السلطانِ أنفعُ للرعيّةِ من خِصْبِ الزمان وقال المُهلَّبُ بن أبي صُفرةَ لِبنيه: إذا وَليتمْ فلِينوا للمُحسِن واشتدوا على المريب فان الناس للسُلطان أهْيَبُ منهم للقرآن. وقال عثمان بن عَفّانَ رضي اللّه عنه: ان اللّه ليَزَعُ بالسلطان مالا يَزَعُ بالقرآن. وقوله يَزَعُ أي يَكُفُّ. يقال وَزَعَ يَزَعُ اذا كف، وكان أصله يَزعُ مثل يَعِد فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة واتّبَعَتْ حروفُ المضارعة الياءَ لئلا يختلف الباب ـ وهي الهمزة والنون والتاء والياء ـ نحو أعِدُ ونَعِدُ وتَعِدُ ويَعِدُ ولكن انفتحت في يَزَعُ من أجل العين لأن حروف الحلق اذا كُنَّ في موضع عين الفعل أو لامِهِ فُتِحْن في الفعل الذي ماضيه فَعَلَ. وان وقعت الواو مما هي فيه فاءٌ في يَفْعَل المفتوحة العين في الأصل صَحّ الفِعلُ نحو وَجِل يَوْجَلُ ووجِلَ يَوْجلُ ويجوز في هذه المفتوحة ياجَلُ وياجَلُ ويَيْجَلُ ويَيْجُل وكل هذا كراهية للواو بعد الياء تقول وزَعْتُهُ كففته وأوزعته حملته على ركوب الشيء وهيأته له وهو من اللّه عز وجل توفيق. ويقال أوْزَعكَ اللّه شكره، أي وفقك اللّه لذلك. وقال الحسن مرة: ما حاجة هؤلاء السلاطين الى الشُرَطِ؟ فلما وَليَ القضاء كَثرَ عليه الناس، فقال: لابُدَّ للناس من وَزَعة.

خطبة الحجاج في أهل العراق

وخطبَ الحجّاجُ بن يوسف ذات يوم جمعة، فلما توسط كلامَهُ سمع تكبيراً عالياً من ناحية السوق، فقطع خطبته التي كان فيها، ثم قال: يا أهل العراق ويا أهل الشِقاق ويا أهل النفاق وسيِّئي الأخلاقِ يا بني اللكيعة وعَبيدَ العصا وأولاد الأماءِ، إني لأسمعُ تكبيراً ما يُرادُ اللّه به انما يراد به الشيطانُ وان مَثَلي ومثَلكُمْ قولُ ابن براقة الهَمْدانيِّ:

وكُنتُ اذا قومٌ رَمَوْني رَمَيْتُهُم ... فهل أنا في ذا يالَ هَمْدان ظالمُ

متى تَجْمع القلبَ الذَكيَّ وصارماً وأنفاً حَمِيّاً[1] تجْنِبكَ المَظالم

ثم نزل فصَلى بهم. قوله: يا أهل الشقاق فالمشاقّةُ المعاداة، وأصله أن يَركبَ ما يَشُقُّ عليه ويُرْكبَ منه مثلُ ذلك. والنفاق أن يُسِرَّ خلافَ ما يُبْدي، هذا أصله، وانما أُخِذ من النافِقاءِ وهو أحد أبواب جِحَرةِ اليرْبوع، وذلك أنه أخفاها فانما يَظهَرُ من غيره. وَلِجُحْرِهِ أربعةُ أبواب النافِقاءُ والراهِطاءُ والدامّاءُ والسابياءُ وكلُّها ممدودة. ويقال للسابياء[2] القاصِعاءُ وانما قيل له السابياء لأنه لا يُنفِذُهُ فيُبْقي بينه وبين انفاذه هَنةً من الأرض رقيقةً، وأُخِذ مِن سابياءِ الولد وهي الجلدة الرقيقة التي يخرج فيها الولد من بطن أمه. قال الأخطلُ يَضربُ ذلك مَثلاً لِيَرْبوعِ بن حَنْظلةَ لأنه سُمّي باليربوع:

تُسدُّ القاصِعاءُ عليك حتى تُنَفِّقَ أو تموتَ بها هُزالا

والعرب تزعم أنه ليس من ضَبٍّ الا وفي جُحرهِ عقربٌ، فهو لا يأكل ولد العقرب وهي لا تضربه فهي مُسالِمةٌ له وهو مُسالِمٌ لها وأنشد:

وأخْدَعُ من ضبٍ[3] اذا خاف حارِشاً أعَدَّ له عِندَ الذُنابة عَقْرباً

(كلُّها بالمد ويقال بالقصر ويقال أيضاً فيها على وزن فُعَلةٍ نُفَقةٌ ورُهطةٌ ودُمَمَةٌ وقُصعَة. وحكى ابن القوطيّةِ في المقصور والممدود له الرُهَطاءَ كالراهِطاءِ والنُفَقاءِ والقُصَعاءَ كالقاصِعاء. وحَكى أيضاً زيادةً، فقال العانِقاءُ جُحْرُ الأرنب واليربوعِ والغابياء أيضاً من جِحَرةِ اليربوع.

في قتل مصعب بن الزبير

وأما قول أبي العباس في السابياءِ فهو مما رُدّ عليه فيه وقد تبعه ابن وَلّاد

---

(١) واتقاحيا: يريد لا يحتمل الصبر.

(٢) سابياء: مجاز عن السحاب.

(٣) حرش الضب: يحرشه في باب ضرب، صاده وذلك أن يحرك يديه على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه.

وكلاهما غير مصيب، وانما السابياء وعاء فيه ماءٌ صافٍ يَخرجُ مع الولد وهو الفَقْءُ[1] وليس يخرج الولد فيه. وقال الكُمَيْتُ:

وفَقّأ فيها الغَيْثُ من سابيائِهِ ... دَوالِحَ وافَقْنَ النُجوم البَواجِسا[2]

فَشَبَّهَ ماء الغيث بماء السابياء، وانما الجِلدةُ التي يكون فيها الولد الغِرسُ وقد تبع ابنُ القُوطية أبا العباس في السابياء في أنه من أسماء جِحرةِ اليربوع وذلك غلط. وقوله بنو اللكيعة يريد اللئيمة وقد مَرّ تفسير هذا في موضعه. قال ابن قيسِ الرُقيّاتِ يذكر قتل مُصعَبِ بن الزُبيرِ.

ان الرزيّة يَوْمَ مَسْكنَ[3] ... والمُصيبةَ والفَجيعة
بابن الحَواريِّ الذي ... لم يَعْدُهُ أهلُ الوقيعة[4]
غَدَرتْ به منضَرُ العِرا ... قِ وأمكَنَتِ منهُ ربيعة
فأصبْتِ وترَكِ[5] يا ربيعَ ... وكنتِ سامعةً مُطيعة
يا لَهْفِ[6] لو كانتْ له ... بالطفِّ يوم الطفِّ شيعَة
أو لم يَخونوا عَهْدَهُ ... أهلُ العراقَ اللكيعة
لوَجدتُموه حين يَغْضَبُ ... لا يُعرِّجُ بالمضيعة[7]

وقوله عبيد العصا يريد انهم لا ينقادون الا بالاذلال كما قال ابن مُفرِّغٍ الحِميَريُ:

العَبد يُقرعُ بالعَصا ... والحرُ تكفيه الملامَة

---

(١) الفقء: بالفتح وهي السابياء التي تنفقء عن رأس الولد.
(٢) البواجس: التي تفجر الماء هنا يصف كثرة الماء الذي نزل في تلك الأودية.
(٣) مسكن: موضع بالكوفة حدثت به موقعة عظيمة بين المسلمين أيام عبد الملك بن مروان، بينه وبين مصعب بن الزبير وقد قتل أثناءها مصعب.
(٤) الوقيعة: الصدقة بعد الصدقة في الحرب.
(٥) الوتر: الثأر.
(٦) يالهف كلمة يتحر بها على فائت.
(٧) المضيعة: كحياة الذل والهوان والضعة.

وقال جرير يهجو التَيْم:

ألا إنَّمـا تَيْـمٌ لـعَـمْـرٍو ومـالـكٍ عَبيـدُ العصـا لم يَـرْجُ عتقـاً قطينهـا

وخَطَب الناس عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشْعثِ بالمرْبَدِ عند ظهور أمر الحجّاجِ عليه فقال: أيها النـاس انه لم يبق من عَـدوِّكمْ الا كما يبقى من ذَنبِ الوزغَةِ[1] تضربُ به يميناًوشمالاً فلا تَلبَثُ أن تموت، فسمعه رجل من بني قُشَيْر ابن كعبِ بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعة، فقال: قبْحَ اللّه هذا، يأمر أصحـابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويَعدُهم الغُرور.

في جواب عرار لعبد الملك

ورَوَت الـرُواة أن الحجاج لمـا أخَذَ رأسَ ابن الأشعث وجّـه بـه الى عبـد الملِكِ بن مَرْوان مع عِرارِ بن عمرو بن شأسِ الأسديِّ وكان أسود دَميماً[2] فلما وَرَدَ به عليه جَعلَ عبدُ لملك لا يسأل عن شيء من أمر الوقيعة الا أنبَأهُ به عِرارٌ في أصح لفظ وأشْبَعِ قولٍ وأجْزَأ اختصارٍ، فشفاه من الخبـر ومَلأ أُذنَـهُ صوابـاً وعبد الملك لا يعرفه وقد اقْتَحَمتهُ[3] عينه حيث رآه، فقال عبد الملك متمثلاً:

أرادَتْ عـراراً بـالهَـوانِ ومن يُـرِدْ لَعَمْـري عِـراراً بـالهَـوان فقـد ظَلَم
وان عـراراً ان يَكُنْ غيـر واضِحٍ[4] فإني أحِب الجَوْن[5] ذا المَنكِبِ العَمَم[6]

فقال له عِرارٌ أتَعْرفُني يا أمير المؤمنين؟ قال لا. قال: فانا واللّه عِرارٌ فزاده في سُـرورِهِ وأضْعَف لـه الجـائـزة. وكتب صـاحب اليمن الى عبـد الملِكِ بن مَرْوانَ في وقت محاربته ابن الأشْعَثِ اني قد وجّهْتُ الى أمير المؤمنين بجارية

---

(١) الوزغة بالتحريك هي التي يقال سام أبرص.
(٢) دميماً: قبيح الوجه.
(٣) إقتحمته: تجاوزته.
(٤) الواضح من الوضح محركاً وهو البياض من كل شيء.
(٥) الجون بفتح الجيم من الألوان يقع على الأسود والأبيض والمراد الأول خبأ.
(٦) العمم: عظم الحلق في الناس وغيرهم.

اشتريتها بمال عظيم ولم يُر مِثلُها قطُّ. فلما دُخِلَ بها عليه رأى وجهاً جميلاً وخَلقاً نبيلاً[1] فألقى إليها قضيباً كان في يده فَنَكَسَتْ لتأخذه فرأى منها جِسْماً بَهَرهُ[2]، فلما هَمَّ[3] بها أعْلمهُ الآذِن أن رسول الحجَّاج بالباب فأذِنَ له ونحَّى الجارية، فَأعطاه كتاباً من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها:

سائِلْ مُجاورَ جَرْمٍ[4] هل جَنَيتُ لها ... حَرْباً تُزيِّلُ بين الجيرةِ الخُلُطِ
وهل سَمَوْتُ بجرّارٍ له لَجَبٌ ... جَمَّ الصَواهلِ بين الجَمِّ والفُرُطِ
وهل تَرَكْتُ نساء الحيّ ضاحيةً[5] ... في ساحةِ الدارِ يَسْتَوْقدنَ[6] بالغبط[7]

وتحتها (بيت آخر على غير الرويِّ من الأبيات الأُوَل وهو):

قتَل المُلوك وصار تحْتَ لوائِهِ ... شَجَرُ العُرى وعَراعر[8] الأقوامِ

كتاب عبد الرحمن بن الأشعث لعبد الملك وجواب عبد الملك

قال فكتب اليه عبد الملك كتاباً وجعل في طَيِّه جواباً لابن الأشعثِ:

ما بالُ مَن أسْعى لأجْبُرَ[9] عَظْمَهُ ... حِفاظاً ويَنوي من سَفاهَته[10] كَسري

---

(١) الخلق النبيل: بين في الحسن والجمال.

(٢) بهره: : غلبه على عقله من كثرة ما رأى من جماله.

(٣) هم بها: كناية عن مباشرته الفعل.

(٤) جرم بفتح الجيم بطن في وطيء وجرم بن زبان بطن في قضاعة وفي الاستفهام قوله هل جنيت لهم ـ الانكار هنا بمعنى النفي.

(٥) ضاحية: ظاهرة للشمس.

(٦) يستوقدها: أي النار يقال أوقدها ويستوقدها: إذا كان يطرح فيها الوقود.

(٧) الغبط بالضمتين جمع غبيط وهو مركب النساء ـ ومعنى البيت أنهن لا يجدن رجلاً يأتي لهن بالحطب فإذا احتجن إلى النار جعلن هذه المراكب وقوداً وذلك لأن الرجال كلهم قد خرجوا إلى الحرب.

(٨) عراعر القوم: إشراف القوم.

(٩) جبر العظم: إصلاحه.

(١٠) السفاهة: الجهل.

أظُنُّ خُطوبَ الدَهرِ بَيني وبَينَهُم ... سَتَحْمِلُهُمْ مني على مَرْكبٍ وعْرِ[1]
وانّي[2] وإيّاهُمْ كمَنْ نَبّهَ القَطا ... ولوْ لم تُنَبَّهْ باتت الطَيرُ لا تَسْري
أناةً وحِلماً وانْتِظاراً بهم غداً ... فما أنا بالواني ولا الضَرَعِ[3] الغُمْرِ[4]

ويُنْشَدُ بالفاني. ثم بات يُقَلِّبُ كَفَّ الجارية ويقول: ما أفَدْتُ فائدةً أحَبَّ اليَّ منك، فتقول: فما بالُكَ يا أمير المؤمنين وما يمنعك؟ فقال: يمنعني ما قاله الأخْطَلُ لأني ان خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العَربِ:

قَوْمٌ اذا حاربوا شَدُّوا[5] مآزِرَهُمْ ... دونَ النِساء ولو باتَتْ بأطْهارَ

فما اليكِ سبيلٌ أو يَحْكَم اللّه بيني وبين عدوِّ الرحمن بن الأشْعَثِ فلم يَقربَها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن، قوله فرأى منها جسماً بَهَرَهُ. يقال بَهَرَ الليلُ اذا سَدَّ الأُفُقَ بظلمته وبَهَرَ القمرُ اذا ملأ الأرض ببَهائهِ: ومن ثَمَّ قيل للقمر الباهِرُ. أنشدني المازنيُّ لرجل من بني الحارث بن كَعْبٍ:

والقَمَرِ الباهِرِ السَماءَ لقَدْ ... زُرتُها هِلالاً بجحفَلٍ[6] لَجِبِ
تَسْمَعُ زَجْرَ الكُماةِ بينهمُ ... قَدِّمْ وأخِّرْ وأرجِبي[7] وَهِبي
من كلِّ هُدّاءةٍ[8] كعالِيةِ[9] ... الرُمْحِ أمونٍ[10] وشَيْظَمٍ سَلِبِ[11]

(١) وعر: صعب.
(٢) إني وإياهم البيت بأكمله معناه إن مثلي ومثل هؤلاء كمن نبه القطا وأيقظها ولو تركها لاستقرت في دكناتها ـ يريد أن هؤلاء القوم هم الذين جروا على أنفسهم الشر.
(٣) الضرع: بكسر الراء الذليل الخاضع.
(٤) الغمر: من لم يجرب الأمور.
(٥) شدوا مآزرهم: كناية عن اعتزالهم النساء.
(٦) الجحفل: كجعفر الجيش الكثير.
(٧) أرجبي: زجر للفرس، أي توسعي وابتعدي.
(٨) الهداءة: الفرس الضامر ـ خاص بالذكور.
(٩) عالية الرمح: أعلاه أو النصف الذي يلي السنان وشبهه بذلكد صموده وصلابته.
(١٠) الأمون: الوثيقة الخلق. ويكثر استعمال هذا الوصف في النوق والشيظم كحيدر الطويل الجسيم الفتي من الابل والخيل.
(١١) السلب: ككتف. الخفيف السريع.

وقال طُفَيْلٌ الغَنَويُّ يصِفُ كيف تُزْجَرُ الخيلُ فَجَمَعَهُ في بيت واحد:

وقيلَ أقْدِمي واقْدِمْ وأخ وأُخْري وهَا وهَلا واضْبِرْ وقادِعُها هبي

(قال أبو الحسن وأجٌ) ومن زَجْرِ الخيل أيضاً هِقَبْ وهِقَظْ. وأنشدني أبو عثمان المازني:

لَمَّا سَمِعتُ زَجْرَهم هِقَظْ عَلِمْتُ أن فارساً مُنْحَطْ

(قال الفرّاء: هِقّطِ بالكسر والفتح ويروي مُخْتَطْ بدل مُنْحَطْ).

وقوله بين الجَمِّ والفُرُطِ هما موضعان باعيانهما. وقوله في ساحة الدار يستَوْقِدْن بالغُبُطِ. يقال فيه قولان متقاربان أحدهما أنهنَّ قد يَئِسْنَ من الرحيل فَجَعَلْنَ مَراكِبَهُنَّ حَطَباً. هذا قول الأصمعي. وقال غيره: بل قد مَنَعَهُنَّ الخوفُ من الاحتطابِ والغَبيطُ من مَراكب النساء، وكذلك الحِدْجُ. قال امْرُؤُ القيسِ:

تقولُ وقد مالَ الغَبيطُ بنا مَعاً عَقَرْتَ بَعيري يا امْرَأ القَيسِ فانزِلِ

فأعْلَمَكَ أن الغَبيطَ لها. والمَحامِلُ انما أوَّلُ مَن اتخذها الحَجَّاجُ. ففي ذلك يقول الراجز:

أوَّلُ عَبْدٍ عملَ المَحامِلا أخزاه ربي عاجِلاً وآجلاً

وقوله: شجر العُرا، فالعُرا نبتٌ بعينه أن ضُمَّ العينُ. والعَراءُ ممدودٌ وجهُ الأرض.

قال اللّه عز وجل: ﴿لَنُبِذَ بالعَراء وهو مذموم﴾[1] وقال الهُذَليُّ:

رَفَعْتُ رِجْلاً ما أخاف عِثارَها[2] ونَبَذْتُ بالبلد العَراء ثِيابي

وهذا التفسير والانشاد عن أبي عبيدة. وقوله: دون النساء ولو باتت باطهار، معناه انه يجتنبها في طُهرها وهو الوقت الذي يستقيم له غِشْيانُها فيه.

---

(١) سورة القلم: الآية ٤٩.

(٢) العثار: ذلة القدم.

وأهلُ الحجاز يَرَوْن الأقراء الطُهْرَ وأهلُ العراق يَرَوْنها الحيضَ وأهلُ المدينة يجعلون عِدد النساء الأطهارَ ويحتَجُّونَ بقول الأعشى:

وفي كلِّ عامٍ أنتَ جاشِم[1] غَزْوةٍ تشُدُّ لأقصاها عَزيمَ عَزائِكا
مُوَرِّثةً مالاً وفي الحَيِّ رِفْعةً لِما ضاعَ فيها مِن قروءِ نِسائكا

وقوله: ولو باتتْ باطهار، فلو، أصلها في الكلام أن تدُلَّ على وقوع الشيء لوقوع غيره تقول: لو جئتني لأعْطَيْتُكَ، ولو كان زيدٌ هناك لضربتُهُ ثم تتسَّعُ فتصير في معنى إن الواقعة للجزاء، تقول أنتَ لا تُكرِمُني ولو أكْرَمتُكَ، تريد وإن أكرمتُك.

قال اللّه عز وجل: ﴿وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كُنَّا صادقين﴾[2]. فأما قوله عز وجل: ﴿فَلَنْ يُقبَل من أحدِهِمْ مِلْءُ الأرض ذَهباً ولو افتَدى به﴾[3]. فأن تأويله عند أهل اللغة لا يُقْبَلُ به أن يتَبرّأ وهو مقيم على الكفر ولا يُقْبَلُ أن افتَدى به فلو في معنى إن. وانما مَنَع لو أن تكون من حروف المجازاة فتجزِمَ كَما تجزم إن، أنّ حروفَ المجازاة انما تقع لما لا يَقَعَ، ويصير الماضي معها في معنى المستقبل. تقول ان جئتَني أعْطيتُكَ، وان قعَدْتَ عني زُرتُك. فهذا لم يقع وان كان لفظه لفظ الماضي لِما أحدَثْتَه فيه، إن. وكذا: مَتى أتيتني أتيتك. ولوْ تقع في معنى الماضي، تقول لو جئتَني أمْسِ لصادَفتَني، ولو رَكِبتَ اليّ أمْسَ لألفَيْتَني فلذلك خَرَجتْ من حروف الجَزاء. فاذا أدخلتَ معها لا صار معناها أنّ الفعل يمتنع لوجود غيره، فهذا خلافُ ذلك المعنى ولا تقع الا على الأسماء ويقع الخبر محذوفاً لأنه لا يقع فيها الاسم الا وخبره مدلول عليه فاسْتُغْنَى عن ذكره. لذلك تقول لولا عبدُ اللّه لضربتُكَ، والمعنى في هذا المكان من قَرابتك أو صداقتك أو نحو ذلك، فهذا معناها في هذا

---

(١) جاشم: متكلف على مشقة.

(٢) سورة يوسف: الاية ١٧.

(٣) سورة آل عمران: الاية ٩١.

الموضع، ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى، وهي لولا التي تقع في معنى هَلاَّ التي للتَحْضيض ومن ذلك قوله: لَوْلا اذْ سَمِعْتُموه ظَنَّ المؤمِناتُ بأنْفُسِهِمْ خَيراً، أي هَلاَّ. وقال تعالى: ﴿لَوْلاَ ينهاهُمُ الرَبَّانِيونَ والأَحْبارُ عن قولِهِمُ الإثم﴾[1]. فهذه لا يليها الا الفعل لأنها للأمر والتحضيضِ مُظْهَراً أو مُضمَراً، كما قال: (نُسِبَ لجريرٍ وقيل للأشهَبِ بن رُمَيْلَةَ):

تَعُدُّونَ عَقْرَ النيبِ[2] أفضلَ مَجْدِكُم بني ضَوْطَرى[3] لَوْلاالكِميُّ[4]المُقَنَّعا

أي هَلاَّ تَعُدُّونَ الكميَّ المقنَّعا. ولَوْلا الأولى لا يليها الا الاسم على ما ذكرتُ لك، ولابُدَّ في جوابها من اللام أو معنى اللام، تقول: لولا زَيْدٌ فعلت، والمعنى لَفَعَلْتُ. وزعم سيبويه أن زيداً من حَديث لولا واللامَ والفعلَ حديثٌ مُعَلَّقٌ بحديث لولا وتأويله أنه للشرط الذي وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها ولَوْ بغير لا، لا يليها الا الفعل مضمراً أو مظهراً لأنها تشارِكُ حروف الجَزاء في ابتداء الفعلِ وجَوابهِ تقول: لو جِئْتَني لأعْطَيتُك فهذا ظهور الفعل واضماره. قوله عز وجل: ﴿قُلْ لوْ أنتم تَمْلِكونَ خَزائنَ رحمة ربي﴾[5]. والمعنى واللّه اعلم لو تملكون أنتم، فهذا الذي رَفَعَ أنتم، ولما أُضمِرَ ظهر بعده ما يُفَسِّرُه. ومثلُ ذلك لَوْ ذاتُ سِوارٍ لَطَمَتْني، أراد لو لَطَمَتني ذاتُ سِوارٍ[6] ومثله (قول المُتلمِّس):

ولو غيرُ أخْوالي أرادوا نَقيصَتي[7] جَعَلتُ هِمْ فَوْقَ العَرانِينِ[8]مَيْسَما[9]

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٣.

(٢) النيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة، بنو ضوطري كناية عن الجوع.

(٣) بنو ضوطري: الحمقى وهذا أيضاً كناية عن الجوع

(٤) واكلمي الشجاع أو لابس السلاح.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٠٠.

(٦) لو ذات سوار لطمتني: هذا مثل يقوله الكريم إذا ظلمه اللئيم.

(٧) نقيصتي: ذلي وهواني.

(٨) العرانين: جمع عرين وهو الأنف كله.

(٩) الميسم: بكسر الميم وهنا كناية عن كتبهم وإذلالهم.

وكذلك قول جَرير:

لـو غيـرَكُمْ علِقَ الـزُبيـرُ بـحَبْلِهِ أدّى الـجِـوارَ الـى بـنـي الـعَـوّام

فَنَصَبَ بفعل مضمر يُفسِّرُ ما بعده لأنه للفعـل، وهو في التمثيـل لو عَلِق الـزبيـرُ غيـرَكُمْ. وكـذلـك كـلُّ شيء للفعـل نحـو الاستفهـام والامـر والنهي وحروف الفعل نحو إذْ وسَوْفَ (كذا وقع هنا اذ وسوف، ولم يذكر سيبـويه مـع سوف الا قد وهو الصحيح). وهذا مشروح في الكتـاب المُقتَضَب على حقيقة الشرح. وأما قوله وعَراعِرُ الأقوام فمعناه رُؤوسُ الأقوام الواحد عُرْعُـرةٌ، وعُرْعُـرةُ كلّ شيءٍ أعلاه، ومن ذلك كتابُ يزيد بن المُهلَّـبَ الى الحجّـاج بن يوسف: وان العَدُوَّ نزل بعُرعُرةِ الجبل ونَزَلنا بالحضيض، فقال الحجاج: ليس هـذا من كـلام يزيـد، فمَنْ هناك؟ قيل يَحْيى بن يَعْمَرَ، فكتب الى يـزيـدَ أن يُشخِصَـهُ اليه.

وزعم التَوَّزيَّ قال: قال الحجاج ليَحْيى بن يَعمَرَ يوماً: أتَسْمعُني أَلْحَـنُ؟ قال: الأمير أفصَحُ من ذلك. قال: فأعاد عليه القـول وأقْسَمَ عليه. فقـال يحيى نعم، تجعـل أنّ مكـان إنّ. فقـال لـه: ارْحَـل عني ولا تُجـاوِرني. قـال أبـو العباس: هذا على أن يزيد لم تُؤخَـذ عليه زَلّـةٌ في لفظ الا واحدةٌ، فـانه قـال على المِنْبَرِ، وذكرَ عبدَ الحميد بن عبـد الرحمن بن زَيْـدِ بن الخَطـاب فقال: هذه الضَبُعةُ العَرْجاءُ فاعْتُدَّتْ عليـه لَحناً لأن الأنثى انمـا الضَبْعُ، ويقـال للذكر الضِبْعانُ، فاذا جُمِعَ قيل ضَبُعانٍ، وانما جمع على التأنيث دون التذكير والباب على خلاف ذلك لأن التـأنيث لا زيادة فيه وفي التذكير زيادة الألف والنون فَتُثنِي على الأصل، وأصل التأنيث أن يكون زائداً على بناء التـذكير لأنـه منه يخْـرُجُ مثـل قائم وقـائمة وكـريم وكريمـة. فمن حيث قُلتَ للذكـر والانثى في التثنيـة كريمانِ على حذف الزيـادة. قلت: ضَبُعانِ، وتقـول له ابنـانِ اذا أردتَ له ابنٌ وابْنةٌ ولا تقول في الدار رجلانِ اذا أردتَ رجـلاً وامرأةً، الا على قـول من قال للأنثى رَجُلةٌ فقد جاء ذلك. وقال الشاعر:


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢٤ ـ باب في بعض الأشعار وتفسيرها

قال أبو العباس قال الراعي:

ومُرْسِلٍ[١] ورسولٍ غيرِ مُتَّهَمٍ ... وحاجةٍ غيرِ مُزجاةٍ من الحاجِ

طاوَعتُهُ[٢] بَعدَ ما طال النَجيُّ بنا ... وظنَ أني عليه غيرُ مُنعاجِ

ما زال يَفتَحُ أبواباً ويُغلِقُها ... دوني وأَفتَحُ باباً بَعدَ إرْتاجِ

حَتى أضاءَ سِراجٌ دونهُ بَقَرٌ ... حُمْرُ الأنامِلِ عينٌ طَرْفُها ساجي

يا نُعْمَها ليلةً حتى تَخَوَّنَها ... داعٍ دعا في فُروعِ[٣] الصُبحِ شحَّاجِ

لما دعا الدعوةَ الأولى فأسمَعني ... أخذتُ بُرْدَيَّ واسْتَمرَرْتُ أدراجي

قوله: وحاجة غير مزجاة من الحاج، المُزْجاةُ اليسيرةُ الخفيفة المَحْمِل. قال اللّه عز وجل: ﴿وجئنا ببضاعة مُزْجاةٍ﴾[٤]. والحاجُ جمعُ حاجةٍ وتقديره فَعَلةٌ وفَعَلٌ كما تقول هامةٌ وهامٌ وساعةٌ وساعٌ. قال القُطاميُّ:

وكُنّا كالحريقِ أصابَ غاباً ... فيَخْبو ساعةً ويشُبُّ ساعاً

فاذ أردتَ أدْنى العَددِ قلت ساعاتٌ. فأما قولهم في جمع حاجةٍ حوائجُ

---

(١) مرسل: يريد ورب مرسل أرسل إلى ورب رسول غير متهم بإفشاء ما بيننا بلغ إلى الرسالة وقوله وحاجة إلخ يريد ورب حاجة هذه صفتها دعيت إليها يذكر أن حبيبه الح عليه في الطلب ودعاه إلى ما يهوي وهو ممتنع لا يجيب دعوته.

(٢) طاوعته: يريد أنه لبى دعاء حبيبه بعد أن كان قد أيس منه ولعله أراد بالنجي سر الرسالة بينهما يريد طاوعته بعد أن طالت هذه الرسالة بيننا سراً.

(٣) فروع الصبح: أعاليه وفرع كل شيء أعلاه يريد في وقت بياض الصبح.

(٤) سورة يوسف: الآية ٨٨.

فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولَّدينَ، ولا قياسَ لـه. ويقال في قلبي منكَ حَوْجـاءُ، أي حاجـةٌ، ولو جُمِـعَ على هذا لكـان حَواجٍ يـا فتى وأصله حَواجي يا فتى. ولكن مثلُ هذا يُخَفَّفُ كمـا تقول في صحـراء صَحارٍ، يا فتى وأصله صَحاريٌّ. وقوله طاوعته بعـدما طـال النجيُّ بنا. يـريد المنـاجاة فأخرجه على فَعيلٍ، ونظيرُهُ من المَصادر الصَهيلُ والنَهيقُ والشَحيجُ.

ويقال شَبَّ الفرسُ شبيباً، وذلك كـان النجيُّ يقع على الـواحد والجمّـاعة نَعْتاً، كما تقول امرأة عَدْلٌ ورجل عَدلٌ وقوم عَدْلٌ لأنه مصدر.

قال اللّه عز وجل: ﴿**وقرّبْناه نجيّاً**﴾[1] أي مُناجياً، وقـال للجماعـة: فَلمّا استيأسوا منه خَلَصوا نجيّـاً، أي مُتناجين وقـوله مُنعـاج، أي منعطف، تقـول: عُجْتُ عليه، أي عَرّجْتُ عليه، وعِجْتُ إليه أعيج أي عَوّلتُ عليـه. وقولـه بعد إرتاج أي بعد إغـلاقٍ، يقال أرْتَجْتُ البـاب إرْتاجـاً، أي اغلَقْتُهُ إغـلاقاً ويقـال لِغَلَق البـاب الرِتـاجُ. ويقال للرجـل اذا امتنع عليـه الكلام أُرتِـج عليه. وقـوله أضاء سِراجٌ دونه بَقَرٌ، يعني نساءً، والعربُ تكنّي عن المـرأة بالبقـرة والنَعجة. قال اللّه عز وجل: ﴿**إنّ هذا أخي له تِسْعٌ وتِسْعون نعْجة**﴾[2] وقال الأعشى:

فَـرَمَيْتُ غفلةَ عَينِـهِ عن شـاتِـهِ فـأصَبْتُ حَبّـةَ قلبهـا وطِحـالَهـا

وقوله عينٌ، إنما هو جمع عَيناءَ وهي الواسعة العينِ، وتقديره فُعْلٌ، ولكن كُسِرت العينُ لتَصحّ الياء، ونحو ذلك بَيْضاءُ وبِيضٌ، وتقديره حَمراء وحُمْرٌ، ولو كان من ذوات الواو لكان مضموماً على أصل الباب لأنه لا إخـلال فيه. تقـول سَوْداءُ وسودٌ وعَوْراءُ وعُورٌ. وقوله طرفها ساج، ولم يقل أطـرافها لأن تقـديرهـا تقدير المصدر، من طَرفْتُ طرْفاً.

قـال اللّه عـز وجـل: ﴿**خَتمَ اللّهُ على قُلوبهم وعلى سَمعهم**﴾[3]، لأن

---

(١) سورة مريم: الآية ٥٢.

(٢) سورة ص: الآية ٢٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٧.

السَمع في الأصل مصدر. وقال جرير:

إنّ العُيون التي في طَرْفها مَرضٌ[1] قَتَّلننا ثم لم يُحْيينَ قَتلانا

وقوله ساج أي ساكن.

قال اللّه عز وجل: ﴿والضَحى والليل اذا سَجى﴾[2] وقال جرير:

ولقد رَمينكَ يومَ رُحْنَ بأعينٍ يَقْتلنَ من خَلَل السُتور[3]سَواجي

وقال الراجز:

يا حَبّذا القَمراءُ[4]والليلُ السّاج وطُرُقٌ مثلُ مُلاء[5] النَسّاجْ

وقوله حتى تخَوَّنها، أي تَنقّصها. يقال تخَوّنني السَفَرُ أي تنقّصني، والداعي المؤذّنُ. وقوله شَحْاج انما هو استعارة في شدة الصوت، وأصله للبغل والعرب تستعير من بعضٍ لبعضٍ. قال العجّاجُ ينعَتُ حماراً:

كأن في فيهِ إذا ما شَحَجا[6] عُوداً دُوَيْنَ[7]اللهَواتِ مولَجا

وقال جرير:

ان الغُرابَ بما كرِهتَ لَمولَعٌ بِنَوى الأحِبَّةِ دائمُ التَشحاجِ[8]

وقوله واستَمْررُتُ أدراجي، أي فرَجعتُ من حيث جئتُ، تقول العرب: رجع فلان أدرَاجهُ، ورجَعَ في حافِرتِهِ، ورجَعَ عَوْدهُ على بَدْئِهِ وان شئتَ رفعت

---

(١) في طرفها مرض: وفي رواية أخرى في طرفها حور والثاني أكثر صحة.

(٢) سورة الضحى: الآية رقم واحد.

(٣) خلل الستور: الخلل بالتحريك منفرج ما بين الشيئن.

(٤) القمراء: الليلة التي فيها قمر.

(٥) الملاء بالضم جمع ملا ءه وهي الربطة شبه الطرق فيها الرمل وقد نسجته الريح وجعلت فيه طرائق بملاءة النساج.

(٦) شحج: صوت.

(٧) دوين: مصغر دون.

(٨) التشحاج: صوت الغراب والبغل.

فقلت، رجَع عَوْدُهُ على بَدْئِهِ، أما الرفع فعلى قولك رجع وعَوْدُهُ على بدئه، أي وهذه حالهُ، والنصب على وجهين أحدهما أن يكون مفعولاً كقولك: رَدّ عَوْدَهُ على بدئه والوجه الآخر أن يكون حالاً في قول سيبويه، لأن معناه رجع ناقضاً مجيئَهُ، ووُضِعَ هذا في موضعه كما تقول كلمتُهُ فاهُ إلى فيّ أي مُشافهةً وبايعته يداً بيدٍ أي نقداً، وقد يجوز أن تقول فُوهُ الى فيّ أي وهذه حالهُ، ومَن نَصَب فمعناه في هذه الحال.

فأما بايعته يداً بيدٍ فلا يكون فيه الا النصب لأنك لسْتَ تريد بايعته ويدٌ بيد كما كنت تريد في الأول وانما تريد النَقدَ ولا تُبالي أقريباً كان أم بعيداً.

في الغزل

وقال اعرابي:

شَكَوْتُ فقالت كلَّ هذا تَبرُّماً ... بحُبِّي أراح اللّهُ قَلبك من حُبي
فلما كَتمتُ الحُبّ قالتْ لشَدّ ما ... صَبرْت وما هذا بفِعلِ شجي القَلب
وأدنو فتُقصيني فأبعدُ طالباً ... رضاها فتَعتَدُّ التباعُد من ذنبي
فشَكوايَ تؤذيها وصَبري يَسوءُها ... وتجزَعُ من بُعدي وتَنفِرُ من قُربي
فيا قَوْم هَل من حيلةٍ تَعرفونها ... أشيروا بها واستَوْجبوا الشُكر من ربي

قوله: كلّ هذا تبرماً مردود على كلامه كأنها تقول له: أشَكَوْتني كلَّ هذا تبرُّماً؟ ولو رفَع كلاً لكان جيداً يكون كُلُ هذا مبتدأ وتَبرُّمُ خبرُهُ. وشجي مخفف الياء ومن شدّدها فقد أخطأ والمَثَلُ: ويلٌ للشجي من الخَليّ، الياء في الشَجي مخففة وفي الخَليّ مثقلة وقياسه انك اذا قلتَ فَعِل يفْعَلُ فَعلاً فالاسم منه على فَعِلٍ نحو فرِقَ يَفرقُ فَرقاً، فهو فرقٌ، وحذِر يَحذَرُ حذَراً فهو حذِرٌ، وبَطِرَ يَبطَرُ بَطَراً فهو بَطِرٌ، فعلى هذا شجيَ يَشجي شجى فهو شجٍ يا فتى كما تقول هَويَ يَهوي هَوى، فهو هَوٍ يا فتى. وقوله فيا قوم هل من حيلة تعرفونها موضعُ تعرفونها خفضٌ لأنه نعت للحيلة وليس بجواب، ولو كان ههنا شرط يوجبُ جوابا لا نَجزمَ، تقول ائتني بدابة أركبُها، أي بدابّةٍ مَركوبةٍ، فاذا أردت

معنى: فانك أن أتيتني بدابة ركِبتُها ـ قلت: أرْكبْها لأنه جواب الأمر كما أن الأول جواب الاستفهام.

وفي القرآن: ﴿خُذْ من أموالِهِمْ صَدقةً تُطَهِّرُهمْ وتُزكِّيهمْ لها﴾[1] أي مُطهِّرةً لهم. وكذلك: ﴿أنزلْ علينا مائدةً من السماء تكونُ لنا عيداً﴾[2] أي كائنةً لنا عيداً، وفي الجواب: ﴿فذَرْهُمْ يخوضوا ويلعَبوا﴾[3]. أي إن تُركوا خاضوا ولَعِبوا.

وأما قوله عز وجل: ﴿فذَرْهمْ في خَوْضِهِمْ يلعبون﴾[4]، فانما هو فذَرُهمْ في هذه الحال لأنهم كانوا يلعبون. وكذلك ﴿لا تَمْنُنْ تَستكثر﴾ [5] انما هو ولا تَمْنُنْ مُستكثراً. فمعنى ذاهِل من حيلة معروفة عندكم، وقال اعرابي أنشَدنيهِ أبو العالية:

ألا تَسألُ المكيّ ذا العِلم ما لذي ... يحِلُ من التقبيل في رمضانِ
فقال لي المكّيُ أمّا لزوْجةٍ ... فسَبْعٌ وأما خُلّةٍ فثماني

قوله: خُلّةٍ، يريد ذات خلة ويكون سمّاها بالمصدر كما قالت الخَنساءُ: فانما هي إقبالٌ وإدْبارُ. ويجوز أن تكون نَعتتها بالمصدر ولكثرته منها ويجوز أن تكون أرادتْ: ذاتُ إقبالٍ وإدبارٍ، فحذفت المضاف وأقامت المضاف اليه مقامه.

كما قال عز وجل: ﴿ولكنّ البِرّ مَن آمن باللّه﴾[6] فجائز أن يكون برُّ مَن آمَن باللّه وجائز أن يكون لكنَّ ذا البِرّ مَن آمن باللّه والمعنى يؤول إلى شيء واحد وفي هذا الشعر عيب وهو الذي يسميه النحويون العَطْف على عامِلَيْن

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٣.
(٢) سورة المائدة: الآية ١١٤.
(٣) سورة الزخرف: الآية ٨٣ والمعارج: الآية ٤٢.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٦١.
(٥) سورة المدثر: الآية ٦.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

وذلك أنه عطف خُلَّةً على اللام الخافضه لزوجةٍ وعطف ثمانياً على سبع ويلزم مَن قال هذا أن يقول مَرّ عبدُ اللّه بزيدٍ وعمروٌ خالدٍ ففيه هذا القُبحُ، وقد قرأ بعضُ القرّاء، وليس بجائزٍ عندنا ﴿**واختلاف الليل والنهارِ وما أنزل اللّهُ من السماء من رزْقٍ فأحيا به الأرْض بعد موتها وبثّ فيها من كلِّ دابةٍ وَتصريفِ الرياحِ آياتٍ**﴾[1] فجعلَ آياتٍ في موضع نصب وخَفَضها لتاء الجميع فَحَمَلَها على إنَّ وَعطَفَها بالواو وعَطفَ اختلافاً على في، ولا أرى ذا في القرآن جائزاً لأنه ليس بموضع ضرورة وأنشد سيبويه لعَدِيِّ بن زَيدٍ العِباديِّ (الصحيح أنه لأبي دُواد الإيادِي):

أكلُّ امْرِيءٍ تَحْسِبين امرأً ونارٍ تَوَقَّدُ باللّيْلِ ناراً

فعَطفَ على امرىء وعلى المنصوب الأول (قال أبو الحسن: وفيه عيب آخر أنّ[2] أمّا ليستْ من العطف في شيء، وقد أجْرى خُلَّةً بعدها مُجراها بعد حروف العطف حَمْلاً على المعنى فكأنه قال: لزوجةٍ كذا ولخُلَّةٍ كذا) وقوله: أمّا لزوجة فهذه مفتوحة وهي التي تحتاج إلى جَزاءٍ. ومعناها: إذا قُلتَ أمّا زيدُ فمنطلقٌ مَهْما يَكنْ من شيء فزيدٌ مُنْطلقٌ. وكذلك: ﴿**فأمّا اليَتيمَ فلا تَقْهَرْ**﴾[3]. إنما هي مَهْما يَكُنْ من شيء فلا تَقهَر اليتيمَ. وتُكسَرُ إذا كانت في معنى أو ويلزمها التكرير. تقول: ضربتُ إمّا زيداً وإمّا عَمْراً، فمعناه ضربت زيداً أو عمراً. وكذلك: ﴿**إمّا شاكِراً وإمّا كفوراً**﴾[4]. وكذلك ﴿**إما العَذابَ وإمّا الساعة**﴾[5] ﴿**وإمّا أن تُعَذِّبَ وإمّا أنْ تَتّخِذَ فيهم حُسناً**﴾[6]، وإنما كرّرْتَها لأنكَ إذا قلتَ ضربَت زيداً أو عمراً أو قلت اضْرِبْ إمّا زيداً أو عمراً فقد ابتدأتَ بذكر الأول

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٥.

(٢) وفيه عيب آخر، عطف على قول أبي العباس وفي هذا الشعر عيب وهذا من الأخفش عجيب لأن أما الثانية لم تقع في ذلك البيت عاطفة إنما العاطف الواو قبلها.

(٣) سورة الضحى: الآية ٩.

(٤) سورة الانسان: الآية ٣.

(٥) سورة مريم: الآية ٧٥.

(٦) سورة الكهف: الآية ٨٦.

وليس عند السامع أنك تُريدُ غير الأول ثم جئتَ بالشك أو بالتخيير. وإذا قلتَ: ضربتُ إمّا زيداً وإمّا عمراً، واضْرِبْ إمّا زيداً وإمّا عمراً، فقد وَضَعْتَ كلامك بالإبتداء على التخيير أو على الشك. وإذا قلت: ضربتُ إمّا زيداً وإمّا عمراً، فالأولى وَقعَتْ لبُنْيَةِ الكلام عليها، والثانية للعطف لأنك تَعْدِلُ بين الأول والثاني فإنما تُكْسَرُ في هذا الموضع. وزعم سيبويه أنها إن ضُمَّتْ إليها ما فإن اضْطُرَّ شاعر فحذف ما جاز له ذلك لأنه الأصل.

وأنشد في مِصْداقِ ذلك (هو دُرَيْدُ بن الصِمَّةِ الجُشَمِيُّ.

لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ فاكْذِبَنْها[1] فإنْ جَزَعاً وإنْ إجمالَ صَبْرِ

ويجوز في غير هذا الموضع أن تقَعَ إمّا مكسورةً، ولكن ما لا تكون لازمة ولكن تكون زائدة في أن التي هي للجزاء، كما تزاد في سائر الكلام نحو: أينَ تكُنْ أكُنْ، وأيْنما تَكُنْ أكنْ وكذلك: مَتى تأتِني آتِكَ، ومتى ما تأتِني آتِكَ. فتقول: إنْ تأتِني آتِكَ وإمّا تأتِني آتِكَ، تُدْغِمُ النون في الميم لاجتماعهما في الغُنّةِ. وسنذكر الإدغام في موضع نُفْرِدُهُ به شاء اللّه، كما قال امرُؤُ القيْس:

فسإمّا تَسرَيْني لا أُغَمِّضُ ساعةً من اللّيْلِ إلاّ أنْ أُكِبَّ[2] فأنعُسا
فيارُبَّ مَكروبٍ كرَرْتُ وراءه وطاعَنتُ عنه الخَيْلَ حتى تنفَّسا

وفي القرآن: ﴿فأما تَرَيِنَّ من البشَرِ أحداً﴾[3] وقال: ﴿وإمّا تُعْرِضَنَّ عنهم ابْتِغاءَ رَحمةٍ من ربك تَرْجوها﴾[4]. فأنت في زيادة ما بالخيار في جميع حروف الجزاء إلاّ في حرفين، فإنّ ما لا بُدَّ منها لِلّعلةِ نذكرها إذا أفردنا باباً للجزاء إن شاء اللّه، والحرفان حَيْثُما تكنْ أكُن، كما قال الشاعر:

حَيْثما تَسْتَقِمْ يُقَدِّرْ لك الـ ـلّهُ نجاحاً في غابِرِ الأزْمانِ

---

(١) كذبتك نفسك أي حدثتك نفسك بأنك لا تظفر فكذبتها فإن في حديثها قلق واضطراب

(٢) أكب: صرع وقتل.

(٣) سورة مريم الآية ٢٦.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٢٨.

والحرف الثاني: إذْ ما، كما قال العَبّاسُ بن مِرْداسٍ:

إذْ مـا أتيْتَ على الـرّسـولِ فقُـلْ لـهُ حَقّـاً عليـكَ إذاً اطمـأنَّ المَجْلِسُ

أقوال في العناق

لا يكون الجزاء في حيث وإذ إلّا بما أنشدني أبو العالية:

سَـلِ المُفْتيَ المَكّيَ هَـلْ في تَـزاوُرٍ ونَـظرةِ مُشـتـاقِ الـفُـؤادِ جُـنـاحُ
فقـال مَعـاذَ اللّهِ أن يُـذْهِبَ التُقى تَـلاصُـقُ أكـبـادٍ بِـهِـنَّ جِـراحُ

(وأُنشِدَ لبعض العرب المُحْدَثينَ:

تـلاصَقْنـا ولـيس بنـا فُـسـوقُ ولم يَـرِدِ الحَـرامَ بنـا اللُّصـوقُ
ولـكنّ الـتـبـاعُـدَ طـال حـتـى تَـوَقَّـدَ في الضُّلوع لـه حَـريقُ
فلمـا أنْ أُتيـحَ لـنـا التّـلاقي تعـانَقْنـا كمـا اعْتَنَقَ الصّـديقُ
وهَـلْ حَـرَجـاً تـراهُ أو حَـرامـاً مَشـوقٌ ضَمَّـهُ كـلفٌ مَشـوقُ)

وأنشَدني غيره:

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ومـا هَجـرَتْـكِ النفْسُ يـا مَيَّ إنهـا قَلَتْـكَ ولا أنْ قَـلَّ مِنـكِ نَصيبهـا
ولَكِنَّهُمْ يـا أمْلَحَ النـاسِ أُولِعـوا بقَـوْلِ إذا مـا جِئْتُ هـذا حبيبُهـا

إنها في موضع نصب، وكان التقدير لأنها، فلما حذفت اللام وَصَلَ الفِعْلُ فعَمِلَ. تقول جئتُكَ أنكَ تُحِبُّ الخير فمعناه لأنك، وكذلك أتيتك أنْ تـأمُرَ لي بشيء، أي لأنْ وتقديره في النصب أنّ، أنْ الخفيفةَ والفعلَ مصدرٌ نحو: أريـد أن تقوم يا فتى، أي قيامَك، وأنّ الثقيلة واسمها وخبرهـا مصدر، تقـول: بلغني أنكَ منطلقٌ، أي انطلاقُك فإذا قلت: جئتك أنك تريـد الخير فمعنـاه: إرادَتكَ الخير أي مَجيئي لأنك تـريد الخيـر إرادةً يا فتى، كمـا قال الشـاعر (هـو حاتِمٌ الطائيُّ):

وأغْفِرُ عَوْراءَ[1] الكريمِ ادِّخارَهُ وأُعْرِضُ عن ذَمِّ اللئيم تَكَرُّما

قوله: وأغفر عوراء الكريم ادخاره: أي ادَّخِرُهُ ادِّخاراً، وأضافه إليه، كما تقول: ادِّخاراً له. وكذلك قوله: تكرماً إنما أراد لتكَرُّمٍ: فأخرجه مُخْرَجَ أتكرَّمُ تكرُّماً. وأنشدني أبو العالية (قيل إن الشعر لعُرْوَةَ بن أُذَيْنَةَ):

ما زِلْتُ أبغي الحَيَّ أتبَعُ ظِلَّهُمْ حتى دُفِعْتُ إلى رَبيبِ هودجِ[2]
قالت وعَيْشَ أبي وأكبَرِ إخْوَتي لأنَبِّهَنَّ الحيَّ إن لم تَخْرُجِ
فَخَرجْتُ خيفَةَ قَوْلِها فتبَسَّمتْ فعَلِمْتُ أنّ يمينها لم تَحْرَجِ
فلَثَمْتُ فاها آخِذاً بقُرونِها شُرْبَ النزيفِ ببَرْدِ ماء الحَشْرَجِ

وزاد فيها الجاحِظُ عَمْرو بن بَحْرٍ:

وتناوَلتْ رأسي لتَعْرِفَ مَسَّهُ بمُخَضَّبِ الأطرافِ غيرِ مُشَنَّجِ[3]

تقول العرب: هَوْدَجٌ، وبنو سعْد بن زيد مَناةَ ومن وليهم يقولون: فَوْدَجٌ. وقوله: فعلمت أن يمينها لم تَخْرج يقول: لم تضِقْ عليها. يقال: حَرِجَ يَحرَجُ إذا دخل في مَضيقٍ. والحَرَجةُ الشجر المُلتفُّ المُتضايقُ ما بينه.

قال اللَّه عزّ وجل: ﴿فلا يكُنْ في صَدْرِكَ حَرَجٌ منه﴾[4] وقال تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدرَهُ ضيِّقاً حَرِجاً﴾[5] وقُرِىءَ حَرَجاً، فمن قال حَرِجاً أراد التوكيد للضَيِّق كأنه قال: ضَيِّقٌ شديد الضيق، ومن قال: حَرَجاً جعله مصدراً، مثل قولك: ضُيِّقَ ضيقاً. وقوله: ببرد ماء الحَشْرجِ فهو الماء الجاري على الحجارة. وقال قَيْسُ بن مُعاذٍ أحد بني عُقَيْلِ بن كعْبِ بن رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ وهو المجنون. وحدثني عبد الصَمَدِ بن المُعذَّلِ قال: سمعت

---

(١) عوراء: الكلمة القبيحة.
(٢) ربيبة هودج يريد أنها مربوبة في البيت منعمة.
(٣) مشنج: مأخوذ في الشنج بالتحريك وهو يفيض في الجلد وانكماش.
(٤) سورة الأعراف: الآية رقم ٢.
(٥) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

الأصمَعِيَّ يُثَبِّتُهُ ويقول: لم يكن مجنوناً، إنما كانت به لُوثَةٌ كلوثة أبي حَيَّةَ النُمَيْرِيِّ وهو من أشعَرِ الناسِ ومن شعره):

ولَمْ أرَ لَيْلى بَعْدَ مَوْقِفِ ساعةٍ ... بِبَطْنِ مِنىً[1] تَرْمي جِمارَ المُحَصَّبِ[2]
ويُبْدي الحَصا منها إذا قَذَفَتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المُخَضَّبِ
فأصْبَحْتُ من لَيْلى الغَداةَ كناظِرٍ ... مع الصُبْحِ في أعقابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ
ألا إنما غادَرْتِ يا أمَّ مالكٍ ... صَدىً[3] أينما تذْهَبْ به الريحُ يذْهَبِ

وصف عمر بن أبي ربيعة للنحافة

هذا البيت من أعجب ما قيل في النحافة، ومما يُسْتَظْرَفُ في هذا الباب قول عُمَر بن أبي ربيعة:

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمس عارَضَتْ[4] ... فيَضْحى[5] وأمّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ
أخا سَفَرٍ جَوَّابَ أرضٍ تقاذَفَتْ ... به فلواتٌ فهو أشْعَثُ أغْبَرُ
قليلاً على ظَهْرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ ... سوى ما نَفى عنه الرِداءُ المُحَبَّرُ

ومن هذا الباب قول القائل هو قَيْسُ بن مُعاذٍ مجنون بني عامِرٍ الذي تقدم ذكره لابن الأبرش):

فأصبَحْتُ في أقصى البيوتِ يَعُدْنَني ... بقيّةَ ما أبْقَيْنَ نَصْلاً يَمانيا

(بقية بدل من الياء في يَعُدْنني بدل الاشتمال:

تَجَمَّعْنَ من شَتّى ثلاثٌ وأرْبَعٌ ... وواحدةٌ حتى كَمَلْنَ ثمانيا)

---

(١) بطن مني: جوفه.

(٢) المحصب: كمعظم ـ الشعب الذي مخرجه إلى الابطح يريد أنه رأى ليلى في هذا الموضع ترمي الجمار ولم يرها بعد.

(٣) الصدي: الرجل النحيف الجسم.

(٤) عارضت: أضحت في عروض من الطريق. أي صبت حرارتها فأذت.

(٥) فيضحى أي تصيبه حرارة الشمس فتؤذيه.

يَعُـدْنَ مـريضـاً هُنَّ هَيَجْنَ مـا بـه ألا إنّـمـا بَعْضُ الـعـوائـدِ دائـيـا

وفي هذا الباب أشياء كثيرة تأتي في موضعها إن شاء الله تعالى. ومن الإفراطِ فيه قولُهُ:

فـلو أنّ مـا أبْقَـيتِ مـني مُـعلّقٌ بعـود ثُـمامٍ مـا تـأوَّدَ عُـودُهـا

(الثُمام نبتٌ ضعيف واحدته ثُمامةٌ) وهذا متجاوِزٌ كقول القائل:

ويَمْنَعُها من أنْ تطيرَ زِمامُها. وأحْسنُ الشِعرِ ما قارب فيه القائلُ إذا شَبَّه، وأحسنُ منه ما أصاب به الحقيقة، ونبه فيه بفِطنتهِ على ما يخفى عن غيره، وساقه برَصْفٍ قويٍّ واختصار قريب. قال قَيْسُ بن مُعاذٍ:

وأخـرُجُ من بيـن الجُلوسِ لعلّني أحَدِّثُ عَنكِ النفسَ في السِرِّ خاليا
وإني لأسْتَغشي[1] ومـا بيَ نـعْسـةٌ لعـلَّ خيـالاً مِنـك يَلقى خَيـالِيـا

وفي هذا الشعر:

أشَـوْقـاً ولَّمـا تمْضِ لي غيـرُ ليْلةٍ رُوَيْـدَ الهَوى[2] حتى يَغِبَّ لياليا

هذا من أجود الكلام وأوضحِهِ معنىً، ويُسْتَحْسنُ لذي الرُمّةِ قوله في مثل هذا المعنى:

أحِبُّ المكـانَ القَفْـرَ من أجـلِ أنني بـه أتغنّى بـاسمهـا غيرَ مُعْجَمِ[3]

وأنشدني ابن عائشة لبعض القُرَشيِّينَ:

وَقفـوا ثـلاثَ مِنىً بمَنْـزِلِ غِبْـطةٍ وهُمُ على غَرَض[4] هُنا لـكَ مـا هُمُ

---

(١) استغشى ثوبه: تغطى به كيلا يسمع ولا يرى يطلب النوم.
(٢) رويد الهوى: مصدر مضاف مصغر الرود هو التردد في طلب الشيء يرفق وفعله راد يرود، وقوله حتى يغب ـ الغب في أوراد الابل وهو أن ترد الماء يوماً.
(٣) غير معجم: يقال أعجم فلان الكلام، ذهب به إلى العجمة يريد غير مكنى عنه.
(٤) على غرض: بالتحريك وهو الملال أو الضجر أو الشوف أو المخافة والفعل كفرح.

مُتجاوِرينَ بغيرِ دارِ إقامةٍ لَو قدْ أجَدَّ تفرُّقٌ[1] لم يَنْدَمو

(يعني طواف الوَداع، وقوله: ثلاث منى أراد أيام النَفْرِ وأخرجه على الليالي وقوله: لم يَندموا لأنهم يَرْجِعون إلى أوطانهم).

ولهُنَّ بالبيتِ العَتيقِ لُبانَةٌ والرُكنُ يَعْرِفُهُنَّ لو يَتكلَّمُ
لو كان حَيّاً قبلهُنَّ ظعائناً حَيّا الحَطيمُ وجوهَهُنَّ وزَمزَمُ
وكأنَّهُنَّ وقد صَدَرْنَ لواغيا بَيْضٌ بأفنِيَةِ المقام مُرَكَّمُ[2]

اللاغِبُ المُعْيي.

قال اللَّه عزّ وجل: ﴿وما مَسَّنا من لُغوب﴾[3]. والمُرَكَّمُ الذي بعضه على بعض، والمرأة تُشَبَّهُ ببيضة النعامة كما تُشَبَّهُ بالدرة. قال اللَّه عزّ وجل: ﴿كأنهُنَّ بَيْضٌ مَكنونٌ﴾[4] والمكنون المصون، والمُكَنَّ المسْتور. يقال أكْنَنْتُ السِرّ. قال اللَّه عزّ وجل: ﴿أو أكنَنْتُمْ في أنفسكم﴾[5]. وقال أبو دَهْبلٍ. وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حَسّانَ (بن ثابتٍ الأنصاريّ):

وَهْيَ زَهراءُ مثلُ لُؤلؤةِ الغَوْ اصِ ميزَتْ من جَوْهَرٍ مَكنونِ

وقال ابن الرُقيّاتِ:

واضِحٌ لَوْنُها كبَيْضةِ أُدحِيٍّ لها في النساءِ خُلْقٌ عَميمُ

العميم التام، والأدْحِيُّ موضع بيض النعامة خاصةً، وشعرُ عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه. وروى بعض الرواة أن أبا دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ كان تقِيّاً وكان جَميلاً، فقَفَل من الغَزْوِ ذاتَ مرّةٍ فمرّ بدمَشْقَ، فدعتْهُ إمرأةٌ إلى أن

---

(١) أجد تفرق: أسرع.
(٢) مركم: مجموع بعضه فوق بعضه.
(٣) سورة ق: الآية ٣٨.
(٤) سورة الصافات: الآية ٤٩.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.

يَقْرأَ لها كِتاباً، وقالت إنّ صاحِبَتَهُ في هذا القصر وهي تُحِبُّ أن تَسْمعَ ما فيه. فلما دخلتْ به بَرَزَتْ له امرأةٌ جَميلةٌ وقالت له: إنما احتَلْتُ لك بالكتاب حتى أدْخَلْتُكَ. فقال لها: أما الحَرامُ فلا سَبيلَ إليه. قالت: فَلسْتَ تُرادُ حراماً. فتَزَوّجَتْهُ، وأقام عندها دَهراً حتى نُعِيَ بالمدينة. ففي ذلك يقول، وقد استأذنها ليُلِمّ بأهْلِهِ ثم يعودَ. فجاء وقد اقتُسِمَ ميراثُهُ، فلما هَمّ بالعود إليها نُعِيَت له، فهذا ما رُوِيَ من هذا الوجه والذي كأنه إجماع الناس إنه لعبد الرحمن بن حسان وهو في بنتُ معاوية (بن أبي سُفيان):

صاحِ حَيّا الإلَهُ أهلاً وداراً ... عند أصْلِ القَناة من جَيْرونِ[1]
عَنْ يَساري إذا دَخَلتُ من البا ... ب وإنْ كنتُ خارجاً فيَميني
فبتِلكَ أرْتُهِنْتُ بالشأم حتى ... ظَنّ أهْلي مُرَجّماتِ الظنونِ[2]
وهي زَهْراءُ[3] مثلُ لُؤلؤةِ الغَـ ... ـوّاص ميزَتْ من جَوْهَرٍ مَكنونِ
وإذا ما نَسَبْتَها لم تَجِدْها ... في سَناءٍ[4] من المكارِمِ دُونِ
ثَمّ خاصَرْتُها[5] إلى القُبّةِ الخَضْـ ... ـراءِ تَمشي في مَرْمَرٍ مَسْنونِ
تَجْعَلُ المِسْكَ واليَلَنْجوجَ[6] والـ ... ـنَدّ صِلاءً[7] لها على الكانونِ[8]
قُبّةٌ من مَراجِلٍ ضَرَبَتْها ... عِندَ بَرْدِ الشّتاءِ في قَيْطونِ

المسنون المصبوب على استواء، والمَراجِلُ ثيابٌ من ثيابِ اليَمَن. قال العجّاجُ:

---

(١) جيرون: إسم موضع بدمشق.

(٢) مرجمات الظنون: أقاويل لم تدرك حقيقتها.

(٣) زهراء في قوسهم زهر الشيء زهر بالفتح فيهما صفا لونه وأضاء وقد يستعمل في اللون الأبيض خاصة والرجل أمهر والأنثى زهراء.

(٤) السناء بالمد: الرفعة والشرق.

(٥) خاصرته: أخذت بيده، ماشيته.

(٦) اليلنجوج: عود البخور.

(٧) الصلاء، بالكسر الوقود.

(٨) والكانون الموقد يصفها بالترف والنعمة.

بِشِيَةٍ كَشِيَةِ المُمَرْجَلِ . والقيطون البيت في جوف بيت. وقال آخر:

وأبْصَرْتُ سُعْدى بين ثَـوْبَيْ مَراجـلٍ وأثـوابِ غَصْبٍ من مُهَـلْهَلةِ اليَمَـنْ

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية: أما سَمِعْتَ قول عبد الرحمن بن حسان في ابنتك؟ قال: وما الذي قال؟ قال:

وهي زَهْـراءُ مثـلُ لؤلؤة الغـوّ اصِ ميزتْ من جوهـرٍ مكنـون

قال معاوية: صدق. فقال يزيد: وقال:

وإذا مـا نسبتهـا لـم تَجِـدْهـا في سَنـاءٍ من المـكـارم دون

قال معاوية: صدق. فقال يزيد إنه قال:

ثَمّ خـاصَرتُهـا إلى القبة الخضـ ـراء تَمْشي في مَرمْرٍ مَسنـون

قال معاوية: كذب.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢٥ ـ باب إكرام رسول اللَّه لعبد اللَّه بن الزبير

قال أبو العباس: حدثني مسعود بن بِشرٍ قال: حدثني محمد بن حَرْب قال: أتى عبد اللَّه بن الزُّبَيْر بن عبد المُطّلِب رسول اللَّه ﷺ فكساه حُلَّةً وأقعَدَهُ إلى جانبه، ثم قال: إنه ابنُ أمِّي وكان أبوه يَرْحَمُني (الزبير أخو عبد اللَّه بن عبد المطلب شقيقُهُ). وأنشدني مسعود قال: أنشدني طاهِرُ بن عليّ بن سُلَيْمانَ قال: أنشدني منصور بن المَهْدِيِّ لرجل من بني ضَبَّةَ بن أُدٍّ بقوله لبني تميمِ بن مُرّ بن أُدٍّ:

أبَني تميمٍ إنني أنا عَمُّكُمْ ... لا تُحْرِمُنّ نصيحةَ الأعمامِ
إني أرى سَبَبَ الفناءِ وإنّما ... سَبَبُ الفناءِ قطيعةُ الأرْحامِ
فتداركوا بأبي وأمّي أنْتُمُ ... أرحامَكُمْ برواجِحِ الاحْلام

(كذا أنشَدَ أرحامكم ويروى أحسابكم). ويُرْوَى أنه لما أتى عَبْدَ اللَّه بن الزُّبَيْرِ خَبَرُ قَتْلِ مُصْعَبِ بن الزُّبَيْر خَطبَ الناسَ فحَمِدَ اللَّه وأثنى عليه، ثم قال.

خطبة ابن الزبير في مقتل أخيه مصعب

إنه أتانا خبر قتل المصعب فسُرِرْنا به واكْتأبْنا له، فأما السُّرور فلما قُدِّرَ من الشهادةِ وحيزَ له من الثواب، وأما الكآبَةُ فَلَوْعةٌ يَجِدُها الحَميمُ عند فِراقِ حَميمِه، وإنا واللَّه ما نموتُ حَبَجاً كميتة آل أبي العاصي إنما نموتُ واللَّه قَتْلاً بالرِماح، وَقَعْصاً[1] تحت ظِلالِ السُّيوف، فإن يَهْلكِ المُصْعَبُ فإنّ في آل

(١) قعصاً: موتاً، مات فلان قعصاً أي أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه.

الزبير منه خَلَفاً. قوله: حَبَجاً يقال حَبِجَ بَطنُهُ إذا انتفخ. وكذلك. حَبِطَ بطنه. والمُقْعَصُ المقتول، واللوْعةُ الحُرْقةُ يقال: لا ع يلاع لَوْعةً يا فتى فهو لائِعٌ. ويقال: لاعٍ يا فتى على القلب. وأنشد أبو زيد:

ولا فَرِحٍ بسخيرٍ إنْ أتاهُ ولا جَزِعٍ من الحَدَثانِ لاعي

قال: وحدثني مسعود بن بِشْرٍ في إسنادٍ ذكره قال: قال زياد لحاجبه: يا عَجْلانُ إني وَلَيْتُكَ هذا البابَ وعَزَلْتُكَ عن أربعة: عزلتكَ عن هذا المنادي إذا دعا للصلاة فلا سَبيلَ لك عليه، وعن طارِقِ الليلِ فشَرُّ ما جاء به ولو جاء بخير ما كنتُ من حاجته، وعن رسول صاحب الثَغْرِ فإن إبْطاءَ ساعةٍ يُفْسِدُ تدبير سنة، وعن هذا الطبّاخِ إذا فرَغَ من طعامه قال: وحدثني مسعود قال: قال زياد يُعْجِبُني من الرجل إذا سيمَ خُطَّةَ الضَيْمِ أن يقول لا بِمِلْءِ فيه، وإذا أتى نادِيَ قَومٍ علم أينَ ينبغي لمثله أن يجْلِس فَجَلَس، وإذا ركب دابة حملها على ما تُحِبُّ ولم يَبْعَثْها إلى ما تكرَهُ. وكُتِبَ إلى جعفر بن يحيى أن صاحب الطريق[1] قد شَطَّ فيما يطلب من الأموال فوَقّعَ جَعْفَرٌ هذا رجل منقطع عن السلطان[2] وبين ذُوْبانِ العَرَبِ بحيثُ العَدَدُ والعُدّةُ والقلوب القاسية والأنوف الحَمِيَّةُ، فَلْيُمْدَدْ من المالِ بما يَسْتَصْلِحُ به مَن مَعَهُ لِيَدْفعَ به عَدْوَهُ، فإن نفقات الحروب يُسْتَظهرُ لها ولا يُسْتَظهَرُ عليها، وأكثرَ الناسُ شَكِيّةَ عاملٍ فَوَقّعَ إليه في قصّتهم: يا هذا قد كَثُرَ شاكوك وقلّ حامدوك فإما عَدَلتَ وإمّا اعْتَزَلتَ.

وزعم الجاحظ قال: قال ثُمامة بن شُرْسَ النُمَيرِيُّ: ما رأيتُ رجلاً أبلغَ من جعفر بن يحيى والمأمون، وقال مُوْنِس بنُ عُمرانَ: ما رأيتُ رجلاً أبْلَغَ من يَحْيى بن خلد وأيوب بن جَعْفَرٍ، وقال جعفرُ بن يحيى لكُتّابِهِ: إنْ قَدَرْ تُمْ أن تكون كُتُبُكمْ كلُّها توقيعاتٍ فافعلوا. وقال رسول اللّه ﷺ: لو تَكاشَفْتُمْ ما تَدافنْتمْ. يقول: لو عَلِمَ بَعضُكم سريرةَ بعضٍ لاستثقل تَشْييعَهُ ودَفْنَهُ. وقال

---

(١) صاحب الطريق لعله أراد به قائد الخير التي تمر بالبلاد لمقاتله الأعداء وأشتطَّ جاوز القدر.

(٢) منقطع السلطان؛ يريد أنه بعيد عنه.

عليه الصلاة والسلام اجْتَنِبوا والقُعود على الطُرُقات إلاّ أن تَضْمَنوا أربعاً: رَدَّ السلام، وغَضَّ الأبصار، وإرْشاد الضالّ، وعَوْنَ الضعيف. وقالت هِنْدُ بنت عُتْبَةَ إنما النساء أغْلالُ فليخترِ الرجُلُ غُلاًّ ليده. وذكرتْ هند بنت المُهَلَّبِ بن أبي صُفرةَ النساءَ فقالت: ما زُيِّنَ بشيءٍ كأدَبٍ بارعٍ تحته لبٌّ ظاهر، وقالت هند بنت المُهَلَّب بنت أبي صُفْرَة أيضاً: إذا رأيتم النِعَمَ مُسْتَدِرَّةً فبادروا بالشُكْرِ قبل حُلول الزوال. وقال رسول اللّه ﷺ: افْصِلوا بين حَديثِكم بالاستغفار. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه: قَيِّدوا النِعَمَ بالشكر وقَيِّدوا العِلْمَ بالكتاب. وقال عليّ بن أبي طالب رضوان اللّه عليه: العَجَبُ لِمَنْ يَهْلِكُ والنجاةُ معه. فقيل ما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: الاستغفار. وقال الخليل بن أحمد: كُنْ على مُدارسة ما في قلبك أحْرَصَ منك على حفظ ما في كُتُبِكَ. وقال ابن أحمد يعني الخَليلَ: اجْعَلْ ما في كُتُبِكَ رأسَ مالٍ وما في صَدْرك للنفقة. وقيل لنَصْرِ بن سَيَّار: إن فلاناً لا يكتب. فقال: تلك الزَمانةُ الخَفِيَّةُ. وقال نصر بن سيار: لولا أن عمر بن هُبَيْرَةَ كان بَدَوِيّاً ما ضَبَطَ أعمال العراق وهو لا يكتب.

وفادى رسول اللّه ﷺ منْ رأى فداءه من أسْرى بَدْرٍ فَمنْ لم يكن له فِداءٌ أمَرَهُ أن يُعَلِّمَ عشرة من المسلمين الكتابة، ففَشَت الكتابة بالمدينة. ومن أمثال العرب خير العلم ما حُوضِرَ به. يقول: ما حُفِظَ فكان للمذاكرة.

وقال رسول اللّه ﷺ: لا تزالُ أُمَّتي صالحاً أمرُها ما لم تَرَ الفَيْءَ مَغْنَماً والصدقة مَغْرَماً.

بعض ما قاله أبو طالب

وقال عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه: يأتي على الناس زمان لا يُقَرَّبُ فيه إلاّ الماحِلُ، ولا يُظَرَّفُ فيه إلاّ الفاجرُ، ولا يُضَعَّفُ فيه إلاّ المُنْصِفُ، يتخذون الفيء مَغْنماً، والصدقة مَغرماً، وصِلةَ الرحم مَنّاً، والعبادة استطالةً على الناس، فعند ذلك يكون سلطانُ النساء ومُشاوَرَةُ الإماءِ وإمارةُ الصبيان.

(الماحل الواشي. يقال مَحِلَ فلانٌ بفلان إذا وَشى به ومَكَرَ).

حديث الحجاج مع أزاذ مرد بن الهربذ

ويروى عن محمد بن المُنْتَشِرِ بن الأجْدَعِ الهَمْداني قال: دَفعَ إليّ الحجاج أزاذ مَرْدَ بن الهِرْبذِ[1] وأمرني أن استخرج منه وأغلظ عليه، فلما انطلقتُ به قال لي: يا محمد إنّ لك شَرَفاً وديناً وإني لا أُعْطي على القَسْرِ شيئاً فاسْتَأدِني وارْفُقْ بي. قال: ففعلتُ فأدّى إليَّ في أسبوع خمسمائة ألف. قال: فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه وانتزعه من يَدَيَّ ودفعه إلى رجل كان يتولى له العَذابَ فَدَقَّ يديه ورجليه ولم يُعْطِهِمْ شيئاً. قال محمد بن المنتشر: فإني[2] لأمُرُّ يوماً في السوق إذا صائحٌ بي يا محمد. فالتَفَتُّ فإذا به مُعرَّضاً على حِمارٍ مَدْقوقَ اليدين والرجلين، فخِفْتُ الحجاجَ إن أتيته وتذَمَّمْتُ منه فمِلتُ إليه فقال لي: إنك وَليتَ مني ما وَلِيَ هؤلاء فأحسَنْتَ وإنهم صنعوا بي ما ترى ولم أُعْطِهِمْ شيئاً، وههنا خمسمائة ألف عند فلان فخذها فهي لك. قال: فقلت له: ما كنت لآخذ منك على معروفي أجراً ولا لأرْزأَكَ على هذه الحال شيئاً قال: فأما إذا أبَيْتَ فاسمعْ أُحَدِّثْكَ: حدّثني بعضُ أهل دينك عن نبيك ﷺ أنه قال: إذا رضيَ اللّه عن قَوم أمْطَرَهُمُ المطرَ في وقته: وجَعَلَ المالَ في سُمَحائهم، واسْتَعمَلَ عليهم خِيارهم، وإذا سخط عليهم استعمل عليهم شِرارهم، وجَعلَ المال عند بُخَلائهم، وأمطرهم المطر في غير حينه. قال: فانصرفت فما وضعتُ ثوبي حتى أتاني رسولُ الحجاج فأمرني بالمسير إليه فألفيته جالساً على فُرشِهِ والسيْفُ مُنْتَضىً في يده فقال لي: ادْنُ فدَنَوْتُ شيئاً. ثم قال: ادْنُ فدَنَوْتُ شيئاً. ثم صاح الثالثة: ادْنُ لا أبالك. قلت: ما بي إلى الدُنوِّ من حاجةٍ وفي يد الأمير ما أرى. فأضحَكَ اللّهُ سِنَّهُ وأغمَدَ سيفَهُ

---

(١) هربذ: عظيم الفند.

(٢) إني لأمر: كلمة تقال قبل حرف المفاجأة مثل بينما.

عني. فقال لي اجْلِسْ ما كان من حديث الخبيث؟ فقلتُ له: أيها الأمير واللّه ما غَشَشْتُكَ مُنذُ استنصحتني، ولا كذَبْتُكَ منذ اسْتَخْبرْتَني، ولا خُنْتُكَ منذ ائتمنتني ثم حدّثتُه الحديث فلما صِرْتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده أعْرَضَ عني بوجهه وأومأ إليّ بيده وقال: لا تُسَمِّهِ. ثم قال: إن للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديثَ.

ويقال: كان الحجاج إذا اسْتُغْرِبَ ضَحِكاً وإلى بين الاستغفار، وكان إذا صَعِدَ المِنْبَرَ تَلَفَّعَ بِمطْرَفِهِ، ثم تكلم رُوَيْداً فلا يكاد يُسْمَعُ، ثم يَتزَيَّد في الكلام حتى يُخْرِجَ يده من مِطْرَفِهِ، ويَزْجرُ الزَجْرةَ فيُفْزِعُ بها أقصى من في المسجد، وكان يُطْعِمُ في كل يوم على ألف مائدة، على كل مائدة ثَريدٌ وجَنْبٌ من شِواءٍ وسَمكةٌ طَرِيَّةٌ، ويُطافُ به في مِحَفَّةٍ على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس، وعلى كل مائدة عشرة ثم يقول: يا أهل الشام اكسِروا الخبز لئلا يُعادَ عليكم. وكان له ساقيان أحدهما يسقي الماء والعسلَ والآخر يسقي اللبن.

ويروى أن لَيْلى الأخْيَلِيَّةَ قدمت عليه فأنشدته:

إذا وَرَدَ الحَجّاجُ أرضاً مريضةً تَتَبَّعَ أقْصى دائها فَشفاها
شَفاها من الداءِ العُقامِ الذي بها غُلامٌ إذا هَزَّ القَناةَ ثَناها

العقام بالفتح والضم، والضم أفصح) فقال لها لا تقولي غلام قولي هُمامٌ. ثم قال لها: أيُّ نسائي أحَبُّ إليكِ أن أنْزلَكِ عندها الميلةَ. قالت: ومَنْ نِساؤُكَ أيها الأمير؟ قال: أمُّ الجُلاسِ بنت سعيد بن العاصي الأمَويَّةُ، وهند بنت أسماء بن خارِجةَ الفَزارِيَّةُ[1]، وهند بنت المُهَلَّب بن أبي صُفْرةَ العَتَكِيَّةُ. فقالت: القَيْسِيَّةُ[2] أحبُّ إليّ. فلما كان الغَدُ دخلتْ عليه فقال: يا غلامُ أعْطِها خمسمائة فقالت: أيها الأمير اجعلها أدْماً. فقال قائل: إنما أمر لك بشاءٍ. قالت: الأمير أكرَمُ من ذلك. فجعلها إبلاً إناثاً استحياء، وإنما كان أمرَ

(١) الفزارية: نسبة إلى فزاره، قبيلة من غطفان وغطفان هي من قيس.
(٢) القيسية: يعني بها هند بنت أسماء

بها بشاء اولا، والادم البيض من الإبل وهي أكرمها.

في فرائض الدين

ويروى عن بعض الفقهاء (هو الشَّعْبِيُّ) قال: دعاني الحجاج فسألني عن الفريضةِ المُخَمَّسةِ وهي أمٌ وجَدٌّ واخت فقال لي: ما قال فيها الصدّيق رحمه اللّه؟ قلتُ: أعْطى الأم الثلث والجدَّ ما بقي لأنه كان يراه أباً. قال: فما قال فيها أمير المؤمنين، يعني عثمان رحمه اللّه؟ قلت: جعل المال بينهم أثلاثاً قال: فما قال فيها ابن مسعود؟ قال: قلتُ أعْطى الأختَ النصف والأم ثلث ما بقي والجد الثلثين لأنه كان لا يُفَضِّلُ أمّاً على جد. قال: فما قال فيها زيد بن ثابت؟ قال: قلتُ: أعطى الأم الثلث وجعل ما بقي بين الأخت والجد، للذكر مثل حظ الأنثيين لأنه كان يجعل الجدّ كأحد الأخوة إلى الثلاثة. قال: فَزَمَّ بأنفه. ثم قال: فما قال فيها أبو تُرابٍ؟ قال: قلت أعْطى الأم الثلث والأخت النصف والجد السدس. فأطرقَ ساعة، ثم رفع رأسه فقال: فإنه المرْءُ يُرْغَبُ عن قوله وجلس الحجاج يوماً يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِدِ بن حاجب بن زُرارةَ وحَجّارُ بن أبْجرَ بن بُجَيْرٍ العِجْلِيُّ، فأقبل في وَسَطٍ من الطعام على محمد بن عُمَيرِ بن عُطارِدٍ فقال: يا محمد أيدعوك قُتَيْبةُ بن مُسْلِمٍ إلى نُصْرتي يوم رُسْتُقْبَاذَ، فتقول: هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جملٌ، لا جَعلَ اللّه لك فيه ناقة ولا جملاً! يا حَرَسِيُّ، خُذْ بيده وجَرِّدْ سيفك فاضرب عُنُقَهُ، فنظر إليّ حَجّار بن أبْجَرَ وهو يتبسم فدخلتْهُ العَصَبيّةُ، وكان مكانُ حَجّارٍ من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مُضَرَ وأتى الجَنازُ بفُرْنِيَّةٍ[1] فقال: اجْعَلْها مما يلي محمداً فإن اللبن يعجبه يا حَرسيُّ، شِمْ سيفك وانْصرِفْ. وكان محمدٌ شريفاً وله يقول الشاعر:

---

(١) بفرنية: هي خبزه مضمومة الجوانب إلى الوسط تشوي ثم تروي سمناً ولبناً وسكراً.

حديث الحجاج مع محمد بن عمير

وذُكِرَتْ بنو دارِمٍ يوماً بحضرة عبد الملِكِ فقالوا: قومٌ لهم حَظٌّ. قال عبد الملك: أتقولون ذلك وقد مَضى منهم لَقيطُ بن زُرارةَ ولا عَقِبَ له، ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَدِ بن زُرارةَ ولا عَقِبَ له، ومضى محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِدٍ ولا عَقِبَ، واللّه لا تنسى العربُ هؤلاء الثلاثة أبداً. قوله شِمْ سيفك يقول: أغْمِدْهُ، ويقال: شِمْتُ السيفَ إذا سَلَلْتَهُ وهو من الأضداد ويقال: شِمْتُ البرقَ إذا نظرتَ من أي ناحية يأتي. قال الأعشى:

فقلتُ للشَرْبِ في دُرْنى[1] وقد ثَمِلوا شِيمـوا وكيْفَ يَشيمُ الشارِبُ الثمِلُ

وقال الفَرزْدق:

بأيدي رجالٍ لم يَشيموا سُيوفَهُمْ ولم تَكْثُرِ القَتْلى بها حين سُلَّتِ

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني وتأويله لم يَشيموا لم يغْمِدوا، ولم تكثر القتلى أي لم يغمدوا سيوفهم إلاّ وقد كثرت القتلى حين سُلَّتْ. وحدثني الحسن بن رجاء قال: قَدِمَ علينا عليُّ بن جَبَلَةَ إلى عَسْكرِ الحَسَنِ بن سَهْلٍ والمأمون هناك بانياً على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببُوران، فقال الحسن: ونحن إذ ذاك نُجْري على نيِّفٍ وسبعين ألف مَلاحٍ، وكان الحسن بن سهل يَسْهَرُ مع المأمون، وكان المأمون يَتَصَبَّحُ فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتباهه فلما وَرَدَ عَلِيٌّ قلت: قد تَرى شُغلَ الأمير. قال: إذاً لا أضيعَ معك. قلتُ: أجَلْ. فدخلتُ على الحسن بن سهل في وقت ظهوره فأعلمته مكانه فقال: ألا ترى ما نحن فيه؟ قلتُ: لسْتَ بمشغولٍ عن الأمر له فقال: يُعْطي عشرةَ آلافِ درهمٍ إلى ان نتفرَّغَ له. فأعلمت ذلك

(١) درنى: تلفظ كبشرى وهي مكان.

عليٌّ بن جَبَلةَ فقال في كلمة له:

أعْطيْتَني يا وَلِيَّ الحق مُبْتَدِئاً عطيَّةً كافأتْ مَدْحي ولم تَرَني
ما شِمْتُ بَرْقَكَ حتى نِلتُ رَيِّقَهُ[1] كأنما كنْتَ بالجَدْوى تُبادِرُني

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) ريقه: بتشديد الياء أي أوله.

٢٦ ـ باب في وصف الشجاعة والنجدة

قال أبو العباس: قال المُفَضَّلُ بن المُهلَّبِ بن أبي صُفْرةَ (يصف الشجاعة والنَجْدة):

هل الجود إلاّ أن نجودَ بأنفُسٍ ... على كلِّ ماضي الشَفْرَتَينِ قضيبِ
وما خَيْرُ عَيْشٍ بعد قتل محمدٍ ... وبعدَ يزيدَ والحَرونِ حبيبِ
ومن هَرَّ أطرافَ القَنا خَشْيَةَ الرَدى ... فليس لمَجْدٍ صالحٍ بكَسوبِ
وما هيَ إلا رقْدَةٌ تُورِثُ العُلى ... لِمُرْهِطِكَ ما حَنَّتْ روائمِ[1] نيبِ

قوله: ومن هرّ أطراف القنا خشية الردى يقول: من كرِهَ قال عَنترَةُ بن شدّادٍ:

حَلفتُ لهم والخيلُ تَرْدى[2] بنا معاً ... نفارِقُهُمْ حتى يَهِرُّوا العَواليا
عَواليَ زُرْقاً من رماحِ رُدَيْنَةٍ[3] ... هَريرَ الكلاب يَتَّقينَ الأفاعِيا

والردى الهلاك وأكثر ما يستعمل في الموت، يقال: رَدِيَ يَرْدى ردىً. قال الله عزّ وجل: ﴿وما يغني عنه مالُهُ إذا تَردَّى﴾[4]، وهو تفَعُّل من الردى في أحد التفسيرين. وقيل إذا تردّى في النار أي إذا سقط فيها. وقوله: الحرون

---

(١) الروائم: جمع رائمة وهي الناقة التي تعطف على ولدها وتحن إليه.

(٢) ترْدى: من الرديات بالتحريك وهو أن ترجم الخيل الأرض بحوافرها أو هو ضرب في السير بين العدو والمشي.

(٣) ردينة: كجُهَيْنَة زوج سمهر وكانا معاً يقومان الرماح المعروفة باسمها.

(٤) سورة الليل: الآية ١١.

فإن حبيب بن المُهَلَّبِ كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يَريمُ مكانه، فكان يُلقَّبُ الحَرون، وقوله: وما هي إلاّ رقدة تورث العلى فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المُهلب، وذلك أنه قال في يوم العَقْر[1] وهو اليوم الذي قُتِلَ فيه: قاتلَ اللّه بن الأَشْعَث ما كان عليه لو غمَّضَ عينيه ساعة للموت ولم يكن قَتيلَ نفْسِهِ. وذلك أن ابن الأشعث قام في الليل وهو في سطح للبول فزعموا أنه ردَّى نفسه. وغير أهل هذا القول يقولون: بل سقط منه بسِنَةِ النوم. وقوله: تورث العلى لرهطك فالمعنى تورث العلى رهطَكَ، وهذه اللام تزاد في المفعول على معنى زيادتها في الإضافة، تقول: هذا ضاربٌ زيداً، وهذا ضاربٌ لزيدٍ، لأنها لا تُغَيِّرُ معنى الإضافة إذا قلت: هذا ضاربُ زيدٍ وضاربٌ له. وفي القرآن: ﴿وأُمِرْتُ لأنْ أكونَ أوّل المسلمين﴾[2]. وكذلك: ﴿إنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيا تَعْبُرون﴾[3]. ويقول النحويون في قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسى أن يكونَ رَدِفَ[4] لكم بعضُ الذي تَسْتَعْجِلونَ﴾[5]. إنما هو رَدِفَكمْ. والنيبُ جمع نابٍ وهي المُسِنَّةُ من الإبل وتقديرها فُعْلٌ ساكنةٌ وأُبْدِلَتْ من الضمة كسرةٌ لتَصِحَّ الياءُ، كما قلتَ في أَبْيَضَ بيض، وإنما هو مثل أحمر وحُمْرٍ، وكذلك أَشْيَبُ وشِيبٌ، فتقدير نابٍ ونيبٍ إذا جاء على فَعَلٍ وفُعْلٍ تقدير أَسَدٍ وأُسْدٍ وَثَنٍ ووُثْنٍ. ونابُ تقديرها فَعَلٌ، وإنما انقلبت الياء ألفاً فسكنَت، وإنما تنقلب إذا كانت قبلها فتحة وكانت في موضع حركة. والرّوائم قد مضى تفسيرها.

في تصنع العجائز

وأنشدني الزيادِيُّ قال: أنشدني أبو زيد قال: نَظرَ شيخ من الاعْراب إلى

---

(١) يوم العقر: بفتح العين، موضع ببابل كانت به وقعة بين مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن المهلب وفيه قتل يزيد.

(٢) سورة يونس: الآية ٧٢.

(٣) سورة يوسف: الآية ٤٣.

(٤) ردف لكم: أي أخذكم العذاب الذي كنتم تستعجلونه من ورائكم.

(٥) سورة النمل: الآية ٧٢.

امرأته تتصنّعُ وهي عجوز قال:

عَجوزٌ تُرَجِّي أن تكونَ فَتِيَّةً وقد لُحِبَ الجَنْبانِ واحْدَ ودْبَ الظهرُ
تَدُسُّ إلي العَطَّارِ سِلْعةَ بيتِها وهَلْ يُصْلِحُ العطارُ ما أفسَدَ الدهْرُ

(قال أبو الحسن: وزادني غير أبي العباس في شعر هذا الأعرابيّ:

وما غَرَّني إلاّ خِضابٌ بكفِّها وكُحْلٌ بعَيْنَيْها وأثوابُها الصُفْرُ
وجائراً بها قبل المُحاقِ[1] بليلة فكان مُحاقاً كلّه ذلك الشَهْرُ)

قال: فقالت له امرأته:

ألَمْ تَرَ أنّ النابَ تُحْلَبُ عُلْبَةً ويُتْرَكُ ثَلْثٌ لا ضِرابٌ ولا ظَهْرُ

قال: ثم استغاثت بالنساء، وطَلَبَ الرجالَ فإذا هم خُلوفٌ، فاجتمع النساء عليه فضَرَبْنَهُ. قوله: قد لُحِبَ الجنبان، يقول: قلّ لحمها. يقال: بعيرٌ مَلْحوبٌ وقد لُحِبَ مثل عُرِقَ. وقوله: تَدُسُّ إلى العطار سلعة بيتها يريد السويقَ والدقيقَ وما أشبه ذلك، وكل عَرْضٍ فالعرب تقول له سِلْعة. انشدني عُمارةُ بن عَقيلٍ شعراً يمدح به خالد بن يزيد بن مَزْيَدٍ الشيبانيَّ ويَذُمُّ تميم بن خُزَيْمةَ بن حازِمٍ النَهْشَليَّ:

أأتْرُكُ إنْ قَلَّتْ دراهمُ خالدٍ زِيارَتَهُ إني إذاً لَلَئيمُ
وقد يُسْلِعُ المرْءُ اللئيمُ اصْطِناعَهُ ويَعْتَلُّ نقْدُ المرْءِ وهو كريم

(منْ رَفَعَ المرءَ نصب اصطناعَه، ومن نصب المرء رفع اصطناعه، وأما على تفسير أبي العباس فتنصب اصطناعه لا غير)

فَتىً واسِطٌ في ابْنَيْ نزارٍ مُحَبَّبٌ إلى ابْنَي نزارٍ في الخُطوبِ[2] عَميمُ

---

(١) المحاق: آخر الشهر، ثلاث ليال من آخره أو أن يستتر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية وتستعمل له هذه اللفظة لأنه يطلع مع الشمس فلا يرى متمحقه. وهنا دليل على موقف المشؤوم الذي يسيطر على العرب في هذا الظرف.

(٢) الخطوب: الشدائد.

فليْتَ بِبُرْدَيْهِ لنا كان خالدٌ وكان لَكَرْفيِّ الثراءِ تميمُ
فيُصْبحُ فينا سابقٌ مُتَمَهِّلٌ أغرُّ وفي بكْرٍ أغمُّ بهيم

قوله: وقد يُسلِعُ المرْءُ اللئيم اصطناعه أي تَكثُرُ سِلْعَتُهُ لاصطناعه. وقوله: أغم بهيم فالغَمَمُ كثرة شعر الوجه والقفا، قال هُدْبةُ بن خَشرمٍ العُذريُّ:

فلا تَنْكحي أن فرَّقَ الدَهرُ بيننا أغمَّ القفا والوجْهِ ليس بانزَعا

والعرب تكرَهُ الغَميمَ. والبهيمُ الذي لا يَخْلِطُ لونَهُ غيرُهُ من أيّ لونٍ كان. وقولها ألم ترَ أن الناب تحلب علبة[1] تقول فيها منفعة على حال، والعُلْبَةُ إناء لهم من جلود يحْلُبون فيه. من ذلك قوله:

لم تَتَقَنَّعْ بفَضْلِ مِئْزَرِها دَعْدٌ ولم تُغْذَ دَعْدُ بالعُلَبِ

ومن أمثال العرب: قد تُحْلَبُ الضَجُورُ العُلْبَة. يضربون ذلك للرجل البخيل الذي لا يزال يُسال منه الشيء القليل. والضجور الناقة السيّئة الخُلُق إنما تُحْلَبُ حين تَطلُعُ عليها الشمس فتطيب نفسها، والثِلْثُ[2] الذي قد انتهى في السنِّ من الإبل. وقال آخر:

لم أرَ مِثْلَ الفقر أوْضَعَ للفتى ولم أرَ مِثلَ المال أرْفَعَ للرَذْلِ[3]
ولم أرَ عِزًّا لامْرِىءٍ كعَشيرةٍ ولم أرَ ذُلًّا مِثلَ نأيٍ عن الأصْلِ
ولم أرَ من عُدْمٍ أضرَّ على امرىء إذا عاشَ بين الناس من عَدَمِ العَقلِ

قال آخر:

لعَمْري لَقَوْمُ المرْءِ خَيْرُ بَنِيَّةٍ عليه وإن غالوْا به[4] كلَّ مَرْكَبِ

---

(١) علبة: بالضم قدح ضخم من جلود الابل أو من خشب يحلب فيها.
(٢) الثلب: بالكسر الجمل تكسرت أنيابه هرماً.
(٣) الرذل: الدون الخسيس.
(٤) غالوا به كل مركب: يريد هنا أنه أبقى عليه من غيرهم وإن جاروا عليه وتجاوز والحسد في الظلم.

من الجانب الأقْصى[1] وإن كان ذا غِنىً ... جَزيلٍ ولم يُخْبِرْكَ مثلُ مُجَرِّبِ
(وإن خَبَرَتْكَ النَفْسُ أنكَ قادِرٌ ... على ما حَوَتْ أيدي الرجالِ فكَذِّبِ)
إذا كنْتَ في قومٍ عِداً لَسْتَ منهم ... فكُلْ ما عُلِفْتَ من خبيثٍ وطيِّبِ

العِدا الغرباء في هذا الموضع. ويقال للأعْداءِ عِداً، والعُداةُ الأعْداء لا غير. وقال أعرابي من باهِلَةَ:

سأُعمِلُ نَصَّ العِيس حتى يَكُفّني ... غِنى المالِ يَوْماً أَوْ غِنى الحَدَثانِ
فللْمَوْتُ خَيْرٌ من حَياةٍ يُرى لها ... على المرْءِ ذي العَلْياءِ مَسُّ هَوانِ
متى تَتَكَلَّمْ يُلْغَ حُكمُ مَقالِهِ ... وإن لم يَقُلْ قالوا: عَديمُ بيانِ
كأنّ الغِنى في أهله بُورِكَ الغِنى ... بغيرِ لسانٍ ناطقٌ بلسانِ

في وصف الفقر والغنى

ونظير هذا الشعر ما حُدِّثنا به في أمر حارثة بن بَدْرٍ الغُدانِيِّ، فإنا حُدِّثنا عن حارثة بن بدر، وكان رجُلَ بَني تَميمٍ في وقته، وكان قد غَلَبَ على زِيادٍ وكان الشراب قد غَلبَ عليه فقيل لزياد: إن هذا قد غَلَبَ عليك وهو مُسْتَهْتَرٌ بالشراب فقال زياد: كيف لي باطِّراحِ رجُلٍ هو يُسايرُني مُنذُ دخلتُ العِراقِ لم يَصْحُكْ ركابيَّ رِكاباهُ، ولا تقَدَّمَني فنظرتُ إلى قفاه، ولا تأخّرَ عني فَلَوَيْتُ عُنُقي إليه، ولا أَخَذَ عليَّ الشمسَ في شتاءٍ قَطُّ ولا لرَوْحَ[2] في صيفٍ قَطُّ، ولا سألته عن علم إلا ظننتُ أنه لم يُحْسِنْ غيره. فلما مات زِيادٌ جفاه عُبَيْد اللّه، فقال له حارثة: أيها الأمير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المُغيرة. فقال له عبيد اللّه: إن أبا المغيرة كان قد بَرَع بُروعاً لا يلحقه معه عيب وأنا حَدَثٌ وإنما إنتسب إلى مَن يَغْلِبُ عليّ وأنت رجل نديم الشراب، فمتى قرَّبْتُكَ

(١) الجانب الأقصى: مرتبط بقوله خير بقية على أنه المفصل عليه وأراد به من لم يكن من قومه وعشيرته وقوله لم يخبرك مثل مجرب.
(٢) الروح: بالفتح نسيم الريح.

فظهرتْ رائحةُ الشراب منك لم آمَنْ أن يُظَنَّ بي فَدَعِ النبيذَ وكن أوَّلَ داخلٍ عليّ وآخر خارج عني، فقال له حارثة: أنا لا أدَعُهُ لمن يملك ضَرِّي ونفْعي أفأدعه للحال عندك. قال فاخْترْ من عملي ما شئتَ، قال: تُوَلِّيني رامَ هُرْمُزَ[1] فإنها أرضَ عَذاةٌ[2] وسُرَّقَ فإن بها شراباً وُصِفَ لي فوَلاهُ إياهما، فلما خرج شيَّعَهُ الناس فقال أنَسُ بن أبي أُنَيْسٍ:

أحارِ بن[3] بَدْرٍ قد وليتَ إمارةً ... فكُنْ جُرِذاً[4] فيها تَخونُ وتَسْرِقُ
ولا تحقِرَنْ يا حارِ شيئاً وَحَدْتَهُ ... فحَظُّكَ من مُلكِ العِراقَيْنِ سُرَّق
وباهِ تميماً بالغِنى أن للغِنى ... لِساناً به المَرْءُ الهَيوبَةُ[5] يَنطِق
فإن جميعَ النّاس إمّا مُكَذَّبٌ ... يقول بما يَهْوى وإما مُصَدَّق
يقولون أقوالاً ولا يَعْلمونها ... ولو قيل هاتوا حَقِّقوا لم يُحقِّقوا

ورثى حارثةُ بن بدرٍ زياداً وكان زياد مات بالكوفة ودفن بالثَوِيّةِ فقال:

صَلى الإلهُ على قبرٍ وطَهَّرهُ ... عند الثَوِيَّةِ يَسْفي فَوْقَهُ المورُ[6]
زَفَّتْ إليه قُرَيْش نعْشَ سيدها ... فثَمَّ كلُّ التُقى والبرُّ مَقبورُ
أبا المُغيرةِ والدنيا مُفَجَّعَةٌ ... وإنّ مَنْ غرَّت الدنيا لَمَغْرور[7]
قد كان عندك بالمعروف مَعْرفةٌ ... وكان عندك للنَكْراءِ تَنكير
وكنتَ تُعْشى وتُعطى المالَ من سَعةٍ ... إن كان بيتُكَ أضْحى وهو مَهْجور
الناس بعدك قد خَفَّتْ حُلومُهمُ ... كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ[8]

---

(١) رام هرمز: بلد بولاية خوزستان من أعمال العراق.
(٢) العذاة: بالفتح الأرض الطيبة البيعدة عن الماء.
(٣) أحار الهمزة للنداء: وحار مر فم حارث.
(٤) الجرذ ضرب من الفار.
(٥) الهيوبة من الهيبة وهي المخافة والتعبة ـ والهيوب الجبال الذي يخاف الناس.
(٦) المور: بالضم الغبار المتردد في الهواء والذي تثيره الرياح وسفت الريح أتراب أي ذرته وحملته.
(٧) النكراء المنكر وهو ضد المعروف والتنكير تغير المنكر كالأنكار.
(٨) الأعاصير: الرياح القوية.

في رثاء المهلهل أخاه كليباً

ونظير هـذا قول مُهَلْهِـلٍ يرثي أخـاهُ كُلَيْباً وكـان كُلَيْبٌ إذا جلس لم يُرفَـعْ بحضرته صوت ولم يَستَبَّ بفِنائِه اثنان:

ذَهَبَ الخيـارُ من المعـاشِـــر كُلِّهِمُ وأستُبَّ بعــدك يــا كُلَيْب المـجلسُ
وتَقــاولـوا في أمــرِ كــلِّ عــظيمــة لـو كنت حـاضـر أمـرهم لم يُنبِسـوا

قول حارثة الثويَّةُ [1] فهي بناحية الكوفة، ومن قال الثوَيّة، فهو تصغير الثوِيّة، وكـل ياء اتّصَلَتْ بهـا ياء أخـرى فوقعت مُعْتلّةً صَـرَفاً في التصغيـر فوليْتهـا يـاء التصغير فهي محذوفة، وذلك قولك في عَطاءٍ عُطَيٌّ وكـان لأصل عَـطَيِّيُ، كما تقول في سحاب سُحَيِّبٌ ولكنها تحذف لاعتلالها واجتماع ياءين معهـا، وتقول في تصغيـر أحْوى أُحَيَّ في قـول من قال: أسود. أسيد وهــو الوجـه الجيد لأن اليـاء الساكنـة إذا كانت بعـدها واو متحـركة قَلَبتهـا ياء، كقـولك أيّـام والأصل أيْوامٌ، وكذلك سيد والأصل سَيْوِدٌ، ومن قال في تصغير أسود أُسَيْوِدُ فهـو جائـز وليس كالأول، قال في تصغير أحْوى أُحَيْوٍ يا فتى فتثبت الياء لأنه ليس فيهـا ما يمنعهـا من اجتماع اليـاآت ومن قال أُسَيْوِدُ فإنمـا أظهر الـواو لأنهـا كـانت في التكبير متحركة. ولا تقول في عَجور إلا عُجَيِّر لأنهـا ساكنـة. وإنما يجـوز هذا على بُعْدٍ إذا كانت الواو في موضع العين من الفعل أو ملحقـة بالعين نحـو واو جَدْوَلٍ وإنما استجـازوا إظهارهـا في التصغير للتشبيـه بالجمـع، لأن ما جـاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه، ألا تراهم يقولون في الجمع أساود وجـداول فهذا على التشبيه بهذا. فإن كانت الواو في موضع اللام كانت منقلبة على كل حال، تقول في غَزْوةٍ غُزَيَّةٌ وفي عُرْوةٍ عُرَيَّةٌ فهذا شرح صالح في هذا الموضع وهـو مُسْتقصىً في الكتاب المقتضب. وقـوله يسفي فـوقـه المـور، فمعنـاه أن الـريح تَسْفيـه وجعل الفعـل للمور وهـو التراب. وتقـول سَقـاك اللّه الغَيْثَ ثم

---

(١) الثوية: بفتح الثاء المثلثة. وهناك من ضمها.

يجوز أن تجعل الفعل للغيث فتقول، سقاكَ الغيْثُ يا فتى وقال عَلقَمةُ بن عَبدَةَ:

سَقاكِ يَمانٍ ذو حبي[1] وعارضٌ[2] تروحُ به جُنحَ[3] العَشيِّ جَنوبُ

في ما تقول العرب زفت أو زففت

وقوله: زفت إليه قريش نعش سيدها. يقال زَفَفْتُ السَريرَ وزَفَفْتُ العَروسَ. وحدثني أبو عثمان المازني قال، حدثني الزّياديّ قال: سمعت قوماً من العرب يقولون أزْفَفْتُ العروس وهي لغة. وقوله: نَعْشَ سيدها، يريد موضعه من النَسَبِ لأنه نَسَبَهُ إلى أبي سُفيان وكان رئيس قريش[4] قبل مَبْعَثِ النبي ﷺ وله يقول ﷺ: كلُّ «الصيدِ في بَطنِ الفرا»[5]. وكان عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يَفْرُشُ فِراشاً في بيته في وقت خلافته فلا يَجْلِسُ عليه إلا العَبّاس بن عبد المُطَّلِبِ وأبو سفيان بن حَربٍ. ويقول هذا عَمُّ رسول اللّه ﷺ: وهذا شيخ قريش. وكان حَرْبُ بن أُمَيّةَ رئيسَ قريش يوم الفِجار[6]، فكان آل حَرْبٍ إذا ركبوا في قومهم من بني أُمَيّةَ قُدِّموا في المَواكِبِ وأُخْلِيَتْ

---

(١) الحبي: تعني: السحاب يشرف من الأفق على الأرض.

(٢) العارض: السحاب المعترض في الأفق.

(٣) الجنح: بالكسر ويضم الطائفة من الليل.

(٤) وكان رئيس قريش يقصد أبا سفيان.

(٥) تالف النبي ﷺ. أبا سفيان بهذا القول حين استأذن عليه فحجبه قليلاً ثم أذن له فلما دخل قال ما كدت تأذن لي حتى تأذن الحجارة الجهتين وهما جانبا الوادي فقال ﷺ. أنت يا أبا سفيان كما قيل: «كل الصيد في جوف الفراء معناه إذا حجبتك قنع كل محجوب وهو مثل يضرب لمن يفضل على أقرانه والفرا الحمار الوحشي وجمعه فراء.

(٦) يوم الفجار: قالوا أيام الفجار أربعة، الأول بين كنانة وعجز هوزان، الثاني بين قريش وكنانة، والثالث بين كنانة وبني نصر بن معاوية ولم يكن فيه كبير كيد وقتال. والرابع وهو الأكبر بين قريش وهوازن: وكان بين هذا ومبعث رسول اللّه ﷺ ست وعشرون سنة، وقد شهده النبي عليه السلام.

لهم صُدور المجالس إلا رَهْطَ عثمان رضي اللّه عنه، فإن التقديم لهم في الإسلام بعثمان، وكان أبو سفيان صاحبَ العِير يوم بَدْرٍ وصاحبَ الجيش يوم أُحُدٍ، وفي يوم الخَندَقِ، وإليه كانت تنظُرُ قريش في يوم فتح مكة، وجعَلَ له رسول اللّه ﷺ: أنه مَن دَخلَ في داره فهو آمِنٌ في حديث مشهور. وقوله: كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصير، هذا مَثَلٌ، وإنما يراد خفة الحُلوم. والإعصارُ فيما ذكر أبو عبيدة، ريح تَهُبُّ بشدة فيما بين السماء والأرض، ومن أمثال العرب إن كُنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً، يُضرَبُ للرجل يكون جَلداً فيُصادِفُ مَن هو أجْلَدُ منه. قال اللّه عز وجل ﴿فأصابها إعصارٌ فيه نار فاحترَقَتْ﴾[1] وقولُ رسول اللّه ﷺ: كلُّ الصَيدِ في بَطن الفَرا، يعني الحمارَ الوحشيَّ، وذلك أن أجَلّ شيء يصيدُه الصائدُ، الحمار الوحشيُّ، فإذا ظَفِرَ به فكأنه قد ظفر بجملة الصيد، والعرب تختلف فيه فبعضهم يَهْمِزُهُ فيقول: هذا فَرأٌ كما ترى، وهو الأكثر وبعضهم لا يهمزه، ومن أمثالهم: أنكَحْنا الفَرا فسنرى[2]، أي زوّجنا مَن لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبة، وجَمْعُهُ في القولين جميعاً فِراءٌ كما نرى ونظيره: جَمَلٌ وجِمالٌ وجَبلٌ وجبالٌ. قال الشاعر:

بضَرْبٍ كآذان الفِراءِ فُضولُهُ ... وطَعْنٍ كإيزاغِ المَخاضِ تَبُورُها

الايزاغُ دفْعُ الناقة ببولها، يقال أوْزَغَتُ به إيزاغاً وأزْغَلَتْ به إزْغالاً، وذلك حين تَلقَحُ فعند ذلك يقال لها خَلِفةٌ وللجميع المَخاضُ، وقد مر هذا. والبَوْرُ أن تُعْرَضُ على الفحل ليُعْلَمَ أهي حامل أم حائل.

أقوال ضابيء بن الحرث البرجمي وهو في السجن

وقال ضابيءُ بن الحرث البُرْجُمي (من السجن):

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٦.

(٢) قال رجل لامرأته حين خطب إليه رجل ابنته، فأبي أن يزوجه منها ورضيت أمها بتزويجها إليه وغلبت الأب حتى زوجها منه بكره وهذا مثل يضرب في التحذير في سوء العاقبة.

ومَنْ يَكُ أمْسى بالمدينة رَحْلهُ فاني وقَيّاراً[1] بها لَغريبُ
وما عاجِلاتُ الطَير تُدني من الفَتى نجاحاً ولا عن رَيْثِهِنّ[2] يَخيبُ
ورُبّ أمورٍ لا تَضيرك ضَيْرةً والقَلبِ من مَخْشاتِهِنّ[3] وجِيبُ
ولا خَيرَ فيمنْ لا يُوطِّن[4] نَفْسَهُ على نائباتِ الدهْر حين تَنوبُ

قوله: فاني وقياراً بها لغريب، أراد فاني لغريب بها وقياراً، ولو رفع لكان جيداً. تقول: ان زيداً منطلقٌ وعَمْراً وعَمْرٌ، فمن قال عمراً فانما رَدّه على زيدٌ. ومن قال عمرو فله وجهان من الاعراب أحدهما جيد والآخر جائز، فأما الجيد فان تحمِلَ عمراً على الموضع، لأنك اذا قلت أن زيداً منطلق فمعناه زيد منطلق فَرَدَدْتَهُ على الموضع، ومثل هذا لسْتُ بقائم ولا قاعداً، والباء زائدة، لأن المعنى لستُ قائماً ولا قاعداً، ويقرأ على وجهين ﴿إنّ اللّهَ بريءٌ من المشركين ورسولُهُ﴾[5] ورسولَهُ. والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على المضمر في الخبر فان قلت أن زيداً منطلق وهو وعمرو حَسُنَ العطف لأن المضمر المرفوع انما يَحْسُنُ العطف عليه اذا أكّدتَهُ.

كما قال اللّه تعالى: ﴿اذْهبْ أنت وربُّك فقاتِلا، واسْكُن أنت وزَوجُك الجنة﴾[6] وانما قَبُحَ العطفُ عليه بغير تأكيد لأنه لا يخلو من أن يكون مُستكِنّاً في الفعل بغير علامة، أو في الاسم الذي يجري مَجْرى الفعل نحو: ان زيداً ذَهبَ وان زيداً ذاهبٌ، فلا علامة له. أو تكونَ له علامةٌ يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضَرَبْتُ، سَكّنتَ الباء التي هي لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا يَنفَكُّ أحدُهما من صاحبه، فهما كالشيء الواحد، ولكنّ

---

(١) قيار كشراء.
(٢) الريث: الابطاء.
(٣) المخشاه مصدر خش الشيء كرخي إذا خانه ووجب القلب وجيباً رجف واضطرب.
(٤) وطن: مهدها وذللها. ومعناه أن الرجل الذي لا يعود نفسه على احتمال المكروه لا خير منه.
(٥) سورة التوبة: الآية ٣.
(٦) سورة المائدة: الآية ٢٤.

المنصوبَ يَجوزُ العطفُ عليه ويَحْسُن بلا تأكيد لأنه لا يُغَيَّرُ الفعل إذْ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه، نحو ضَرَبْتُكَ وزيداً.

فأما قول اللّه عز وجل: ﴿لو شاء اللّه ما أشركنا ولا آباؤنا﴾[1] فإنما يَحْسُنُ بغير توكيد، لأن لا صارت عوضاً، والشاعر إذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر مالا يَحْسُنُ في الكلام. قال عمر بن أبي ربيعة:

قُلْتُ إذ أَقْبَلتَ وزُهْرٌ تَهادى[2] كِنعاج[3] المَلا[4] تَعَسَّفن[5] رَمْلا

وقال جرير:

ورجا الأُخَيْطِلُ من سفَاهة رَأيهِ ما لم يَكُنْ وأبٌ له لِيَنالا

فهذا كثير. فأما النعت اذا قلتَ أنّ زيداً يقومُ العاقلَ فانتَ مخير ان شئت قلتَ العاقلَ، فجعلته نعتاً لزيد أو نصبته على المَدْحِ وهو باضمار أعني، وان شئتَ رفعتَ على أن تُبْدِلَهُ من المضمَر في الفعل، وان شئتَ كان على قَطعٍ وابتداءٍ كأنك قلتَ، إنّ زيداً قام فقيل، مَن هو؟ فقلتَ العاقل.

كما قال اللّه عز وجل: ﴿قُلْ هل أُنَبِّئُكم بشَرٍّ من ذلِكُم النارُ﴾[6] أي هو النارُ، والآية تُقرأُ على وجهين على ما فَسَّرْنا: ﴿قل إنّ رَبي يَقذِفُ بالحق عَلاَّمُ الغُيوبِ﴾[7] وعلاّمَ الغيوب. وقوله وما عاجلاتُ الطير تُدْني من الفتى نجاحاً يقول اذا لم تَعْجَلْ له طَيرٌ سانِحةٌ فليس ذلك بمُبْعِدٍ خيراً عنه، ولا إذا أبطَأتْ خابَ، فعاجِلُها لا يأتيه بخير وآجِلُها لا يَدْفَعُهُ عنه. انما له ما قُدِّرَ له.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٨.

(٢) تهادى: بحذف إحدى التاءين من المهاداة: وهي أن يمشي الانسان وحده مشياً غير قوي متمايلاً.

(٣) النعاج جمع نعجة وهي البقرة الوحشية.

(٤) الملا: الصحراء.

(٥) أن تعسف: أن تسلك الطريق على غير هداية وقصد ولا جادة ولا علم وأنشد هذا شاهداً على أن الاسم الظاهر عطف على الضمير المستتر غير أن يؤكد كذا وكذا البيت الذي بعده.

(٦) سورة الحج: الآية ٧٢.

(٧) سورة سبأ: الآية ٤٨.

والعرب تَزْجُرُ على السّانِحِ وتَتَبرّكُ به وتَكرَهُ البارِحَ وتتشاءم به. والسانِحُ ما أراكَ مَياسِرَه فأمكنَ الصائدَ والبارِحُ ما أراكَ مَيامنَهُ فلم يُمْكِن الصائدَ الا أن يَنحَرِفَ له. وقد قال الشاعر:

لا يَعْلَمُ المَرءُ لَيْلاً ما يُصَبِّحُهُ ... الا كَواذِبَ مما يُخبِرُ الفال [1]

والفالُ والزَجْرُ والكُهّانُ كُلُّهُمُ ... مُضَلِّلُونَ ودونَ الغَيْبِ أقفال

وقوله:

ورُبَّ أمورٍ لا تَضيرُكَ ضَيرةً ... وللقلب من مَخْشاتِهِنَّ وجيبُ

فان العرب تقول: ضارهُ يَضيرُهُ ضَيْرةً ولا ضَيْرَ عليه وضرّهُ يَضُرُّهُ ولا ضَرَر عليه ويقال: أصابه ضُرٌّ وأصابه ضَرٌّ بمعنى، والضَرُّ مصدر والضُرُّ اسم، وقد يكون الضُرُّ من المرض والضَرُّ عاماً، وهذا معنى حَسَنٌ. وقد قال أحد المُحْدَثينَ وهو اسمعيلُ بن القاسم أبو العَتاهيةِ:

وقد يَهْلِكُ الانسانُ من باب أمْنِهِ ... ويَنجو بإذنِ اللّهِ من حَيْثُ يَحْذَرُ

وقال اللّه عز وجل: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل اللّه فيه خيراً كثيراً﴾[2]. وقال رجل لمعاوية: واللّهِ لقد بايَعْتُكَ وأنا كارِهٌ. فقال معاوية: قد جَعلَ اللّه في الكُرهِ خيراً كثيراً. وقوله:

ولا خَيْرَ فيمن لا يوَطِّنُ نفسه ... على نائبات الدهر حين تَنوبُ

نظيره قولُ كُثَيِّرٍ:

أقولُ لها يا عَزّ كلُّ مُصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلّتِ

وكان عبد الملك بن مَرْوان يقول لو كان قال: هذا البَيْتَ في صِفةِ الحَربِ لكان أشْعَرَ الناس، وحكى عن بعض الصالحين أنّ ابناً له مات، فلم يُرَ به جَزَعٌ، فقيل له في ذلك، فقال: هذا أمر كنا نتوقَّعُهُ فلما وَقَعَ لم نُنكِره.

---

(١) الفأل بالهمزة ضد الطيره أو يستعمل في الخير والشر وترك الهمزة.

(٢) سورة النساء: الآية ١٩.

٢٧ ـ باب محاولة البجلي أخذ البيعة لعلي بن أبي طالب من معاوية

قال أبو العباس وجَّه عليُّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه جَريرَ بن عبد اللّه البَجَلي[١] الى معاوية رحمه اللّه يأخُذُهُ بالبَيعةِ له، فقال له: أنّ حَوْلي من ترى من أصحاب رسول اللّه ﷺ من المهاجرين والأنصار ولكني اخْتَرْتكَ لقول رسول اللّه ﷺ فيكَ خيرُ ذي يَمَنٍ، ائتِ مُعاويةَ فَخُذْهُ بالبَيعةِ، فقال جريرٌ: واللّه يا أمير المؤمنين ما أدّخِرُكَ من نُصْرتي شيئاً، وما أطمَعُ لك في مُعاويةَ، فقال عليٌّ رضي اللّه عنه: انما قَصدي حُجّةٌ أقيمُها عليه، فلما أتاه جريرٌ دافَعَهُ[٢] معاوية. فقال له جريرٌ: إنّ المُنافقَ لا يُصَلي حتى لا يَجِد من الصلاة بُدّاً ولا أحسِبُكَ تُبايعُ حتى لا تجِدَ من البَيعةِ بُدّاً. فقال له معاوية: انها ليست بخَدْعةِ الصَبيِّ عن اللبن، إنه أمْرٌ له ما بعده فأبلِغْني ريقي. فناظَرَ عَمراً، فطالت المناظرة بينهما وألَحّ عليه جَريرٌ. فقال له معاوية: ألقاكَ بالفَصْلِ في أوّل مَجْلسٍ ان شاء اللّه تعالى، ثم كتب لعمرو بمصر طُعمةً وكتَبَ عليه ولا يَنْقُضُ شرْطٌ طاعةً. فقال عمرو يا غلام اكتُبْ ولا تَنقُضُ طاعةً شرْطاً فلما اجتمع له أمْرُهُ رَفَعَ عَقيرته[٣] يُنشِدُ ليُسْمِعَ جريراً:

تَطاوَلَ ليلي واعْتَرتني وساوِسي ... لآتٍ أتى بالتُرّهاتِ[٤] البَسابِسِ

---

(١) البجلي: نسبة إلى بجيلة، كسفينة حي باليمن من معد على خلاف بين النسابين في ذلك.

(٢) دافعة: ماطله، سوفه.

(٣) رفع عقيرته: رفع صوته.

(٤) الترهات: الأباطيل.

أتاني جَريرٌ والحوادثُ جَمّةٌ ... بتلك التي فيها اجتداعُ المعاطِسِ
أُكابِدُه[1] والسيفُ بيني وبينه ... ولستُ لأثواب الدنيّ بِلابِس
إنِ الشأمُ أعطَتْ طاعةً يَمَنيةً ... تَواصَفَها أشياخُها في المَجالس
فان يَفعَلوا أصدِمْ عليّاً بجَبْهةٍ ... تفُتُّ عليه كلّ رطْبٍ ويابس

(الجَبهَةُ جماعة الخيل).

واني لأرْجو خير ما نال نائلٌ ... وما أنا من مُلْكِ العِراق بيائس

وكتب معاوية إلى عليٍّ رضي اللّه عنه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم من مُعاوية بن صَخْرٍ إلى عليّ بن أبي طالب، أما بعد فَلَعمْري لو بايَعَكَ القومُ الذين بايعوك وأنت بريءٌ من دم عثمان كنتَ كأبي بَكرٍ وعمر وعثمان رضي اللّه عنهم أجمعين. ولكنك أغْرَيتَ بعثمان المهاجرين وخَذَلْتَ عنه الأنصارَ فأطاعك الجاهلُ وقَوِيَ بك الضعيفُ، وقد أبى أهلُ الشامِ إلا قِتالَك حتى تَدْفَعَ اليهم قَتَلَةَ عثمان، فان فعلتَ كانت شُورى بين المسلمين ولَعَمْري ما حُجّتُكَ عليّ كحُجّتِكَ على طَلحة والزُبَيْر لأنهما بايَعاكَ ولم أُبايِعْكَ، وما حُجّتُك على أهل الشام كحُجّتِك على أهل البَصرة لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يُطِعك أهلُ الشام، وأما شَرفُكَ في الاسلام وقَرابَتُك من رسول اللّه ﷺ وموضعك من قريش فلَسْتُ أدْفَعُهُ.

ثم كتَب اليه في آخر الكتاب بشعر كعْبِ بن جُعَيْلٍ. وهو:

أرى الشامَ تَكرَهُ مُلكَ العِراق ... وأهلَ العِراقِ لهم كارهينا
وكُلاً لصاحِبِه مُبغِضاً ... يَرى كلّ ما كان منْ ذاكَ دينا
اذا ما رَمَوْنا رميْناهُمُ ... ودِنّاهمُ[2] مثل ما يُقرِضونا[3]

---

(١) أكابده: أعالجه ـ أتحمله، أتجشمه.
(٢) ودنّاهم: أذللناهم.
(٣) يقرضونا: أعطونا.

فـقـالـوا عـلـيٌّ أمـامٌ لـنـا فقلنا رضينا ابنَ هِنـدٍ رَضينا
وقـالـوا نَـرى أن تَـدينـوا لـه فقلنـا ألا لا تـرى أن نـدينـا
ومِن دونِ ذلـك خَرطُ[1] القَتـاد وضَـربٌ وطَعنٌ يُقِـرُّ العيـونـا

وأحسن الـروايتين يَفُضُ الشؤونا، وفي آخـر هـذا الشعـر ذمٌ لعليّ بن أبي طـالب رضي اللّه عنـه، امْسَكنـا عن ذكـره. قـولـه: ولكِنّـكَ أغْـريْتَ بعثمـان المهاجرين فهو من الإغراءِ وهو التحضيض عليه يقال: أَغْرَيْتُهُ به وآسَدْتُهُ عليه، وآسَدْتُ الكلبَ على الصيد أُوسِـدُهُ إساداً، ومن قـال أَشْلَيْتُ الكلب في معنى أَغريْتُ، فقد أخطأ انما أُشْلَيْتُهُ دعوتُـهُ اليّ وآسَدْتـه أَغريْتُـهُ. وقول ابن جُعَيـلٍ وأهـل العراق لهم كـارهينـا محمـول على أَرى، ومن قـال وأهـلُ العـراق لهم كارهونا، فالرفع من وجهين أحدهما قطعٌ وابتداءٌ، ثم عَـطَف جملة على جملة بـالواو ولم يحمله على أَرى، ولكن كقـولك كـان زيدٌ منـطلقاً وعمـروٌ منـطلقٌ الساعةَ خَبّرْت بخبر بعد خبر. والـوجه الأخـر أن تكون الـواو وما بعـدها حـالاً فيكون معناها اذ، كما تقـول: رأيت زيداً قـائماً وعمـر منطـلق تـريد إذ عمْـروٌ منطلق، وهذه الآية تُحملُ على هذا المعنى وهو قـول اللّه عز وجـل: ﴿يغشى طائفةً منكم وطائفةٌ قـد أهمَّتهُمْ أنفُسُهُمْ﴾[2] والمعنى واللّه أعلم اذ طائفـةٌ في هـذه الحال. وكـذلك قـراءة من قرأ: ولـو أنّ ما في الأرض من شجـرةٍ أَقـلامٌ والبحـرُ يمُدُّهُ من بعـده سَبعةُ أبحُـرٍ، أي والبَحرُ هـذه حالـه. ومن قرأ والبَحـر فعلى أنّ. وقوله ودِنّاهُم مثلَ ما يقرضونا يقول جزيناهم، وقال المفسـرون في قوله عز وجل: ﴿مالكِ يوْم الدينِ﴾[3] قـالوا يـومُ الجزاء والحسـاب ومن أمثال العرب كما تَدينُ تُدانُ وأنشد أبو عبيـدة (الشعر ليـزيد بن الصِعق الكِـلابيِّ وله خبر):

---

(١) الخرط: قشر الورق عن الشجرة، والقتاد بالفتح شجر له شوك.
والمقصود من قول الشـاعر، إن بيعتنا لعليٍّ دونها هول عظيم ولا داعي لأن يـظن أهل للعـراق أن الوصول إليها سهل.
(٢) سورة المائدة: الآية ١٥٤.
(٣) سورة الفاتحة: الآية ٢.

واعلمْ وأيْقِنْ أن مُلكَكَ زائِلٌ واعْلَمْ بأنّ كما تَدينُ تُدان[1]

وللدين مواضع منها ما ذكرنا ومنها الطاعة ودين الاسلام من ذلك، يقال فلان في دين فلانٍ أي في طاعته، ويقال كانت مكة بلداً لقاحاً أي لم يكونوا في دين ملِكٍ. وقال زُهَيرٌ:

لَئِنْ حَللتَ بجوٍّ[2] في بَني أسَدٍ في دين عمروٍ وحالتْ بيننا فَدكُ[3]

فهذا يريد في طاعة عمرو بن هند والدينُ العادة، يقال ما زال هذا ديني ودأبي وعادتي وديدني وإجْرِيّايَ. قال المُثقِّبُ العَبديُّ.

تقولُ اذا أدرْتُ لها وَضيني[4] أهذا دينُهُ أبَداً ودِيني
أكلَّ الدَهْرِ حَلٌّ وارْتِحالٌ أما تُبقى عَلَيَّ وما يَقيني

وقال الكُمَيْتُ بن زَيْدٍ:

على ذاكَ إجْرِيّايَ وهي ضَريبتي[5] وإنْ أجْلبوا[6] طُرّاً عليَّ وأجْلبوا

وقوله: فقلنا رضينا ابن هند رضينا يعني معاوية بن أبي سُفيانَ وأمُّهُ هِندُ بنت عُتبةَ بن رَبيعة بن عَبْدِ شَمْسِ بن عبد مَنافٍ، وقوله: أن تَدينوا له، أي تطيعوه وتَدْخلوا في دينه، أي في طاعته، وقوله: ومن دون ذلك خَرْطُ القَتاد، فهذا مَثَلٌ من أمثال العرب، والقَتادُ شُجَيْرةٌ شاكة غليظةُ أصولِ الشَوْكِ: فلذلك يُضْرَبُ خَرْطُهُ مثلاً في الأمرِ الشديد لأنه غاية الجَهْدِ. ومن قال يَفُضُّ الشؤونا،

---

(١) كما تدين تدان: يريد كما تعمل تجازي على عملك.

(٢) الجو ما انخفض من الأرض وهي أربعة عشر موضعاً في جزيرة العرب،

(٣) وفدك «محركة» بلده بخيبر.

(٤) الوضين: بطان عريض منسوج من سيور ولا يكون إلاّ من جلد ودرأ الشيء بسطه كأنه يريد أن ناقته تقول هذا القول عند تهيئتها للسفر.

(٥) الضريبة: الطبيعة والعادة.

(٦) أجلبوا عليه: تجمعوا وتألبوا واحلبوا بالحاء المهملة بمعنى أجلبوا وأصل الاحلاب الأعانة على الحلب ـ يقول أن حب أهل البيت النبوي والتشيع لهم عادتين وطبيعتين. وإن اجتمع عليّ القوم وتألبوا.

فَيَفُضَّ يُفَرِّقُ. تقول فَضَضْتُ عليه المالَ والشؤونُ[1]: واحدها شأنٌ، وهي مَواصِلُ قَبائل الرأس وذلك إن للرأس أربعَ قبائل، أي قِطَعٌ مَشْعوبٌ بعضُها الى بعض، فموضع شُعَبها يقال له الشُؤون واحدها شَأنٌ. وزعم الأصمعي قال. يقال أن مَجاري الدموع منها فلذلك يقال: اسْتَهَلْتْ شُؤونه، وأنشد قول أَوْسِ بن حَجَرٍ:

لا تَحْزُنيني بالفِراق فانني لا تَسْتَهِلُّ من الفِراقِ شُؤوني

ومن قال يقرُ العيونا ففيه قولان أحدهما للأصمعي، وكان يقول: لا يجوز غيره. يقال قَرَّتْ عينُه وأقَرَّها اللّهُ. وقال انما هو بَرَدَتْ من القُرِّ وهو خلاف قولهم، سَخِنَتْ عينه وأسخنها اللّه. وغيره يقول: قَرَّتْ هَدَأتْ، وأقرَّها اللّه أهْدَأها اللّه وهذا قول حسن جميل والأول أغرب وأطْرَفُ.

فكتب اليه أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه جوابَ هذه الرسالة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، من علي بن أبي طالب الى مُعاوية بن صَخْر أما بعد فانه أتاني منك كتابُ امْرِيءٍ ليس له بَصَرٌ يَهْديه ولا قائدٌ يُرشِدُهُ، دعاه الهوى فأجابه وقادهُ فاتَّبعه، زَعَمْتَ أنك انما أفسَدَ عليك بَيْعتي خطيئتي في عثمان ولَعَمْري ما كنتُ الا رجلاً من المهاجرين أوْرَدْتُ كما أوردوا، وأصْدَرْتُ كما أصْدروا. وما كان اللّه ليَجْمَعَهُمْ على ضلال ولا ليَضْرِبَهُمْ بالعَمى. وبعد فما أنت وعثمانُ انما أنتَ رجل من بني أُمَيَّةَ، وبنو عثمان أوْلى بمطالبة دمه فان زعمتَ أنك أقوى على ذلك، فادخل فيما دَخَل فيه المسلمون، ثم حاكِمِ القومَ اليَّ، وأما تمييزك بينك وبين طَلْحةَ والزُبَيرِ وأهل الشام وأهل البَصرةِ، فلعمري ما الأمْرُ فيما هناكَ الا سَواءٌ لأنها بَيعةٌ شاملة لا يُسْتَثْنى فيها الخيارُ ولا يُسْتأنَفُ فيها النَظَرُ، وأما شرفي في الاسلام وقرابتي من رسول اللّه ﷺ وموضعي من قُرَيْشٍ، فلعمري لو اسْتَطَعْتَ دَفَعَهُ أدفعتَهُ. ثم دعا النَجاشيَّ أحد بني الحرث بن كعب فقال له: ان ابن جُعَيْلٍ شاعرُ أهل الشأم، وأنت

(١) الشؤون: الدموع.

شاعرُ أهل العراق فأجب الرجل. فقال: يا أمير المؤمنين أسْمِعْنى قوله قال: إذاً أُسْمِعَكَ شِعْر شاعِرٍ. فقال النجاشي يجيبه:

دَعانْ[1] يا مُعاويَ ما لَنْ يَكونا فقد حقَّقَ اللّهُ ما تَحْذَرونا
أتاكم عليَّ بأهْلِ العِراق وأهْلِ الحجازِ فما تَصْنعونا

وبعد هذا ما نُمسك عنه. قوله ليس له بَصَرٌ بهديه، فمعناه يقوده والهادي هو الذي يتقدم فيَدُلُّ. والحادي الذي يتأخر فيسوق، والعُنُقُ يُسَمَّى الهاديَ لتقدمه. قال الأعشى:

إذا كان هادي الفَتى في البِلادِ صَدْرَ القناةِ أطاعَ الأميرا

يصف أنه قد عَمِيَ فانما تَهْديهِ عَصاً ألا تراه يقول:

وهابَ العِشارَ إذا ما مَشى وخالَ السُهولةَ وَعْثاً[2] وعُوراً

وقال القُطاميُّ:

إني وإنْ كان قَوْمي ليْسَ بيْنَهُم وبين قومِك الا ضَرْبةُ الهادي[3]

وقال أيضاً:

قَرَّبْنَ يَقْصُرْنَ من بُزلٍ[4] مُخَيَّسةٍ[5] ومن عِرابٍ[6] بَعيداتٍ من الحادي

وقوله: ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ قد أبان به الأول. وقوله دعاه الهَوى، فالهوى من هَويتُ مقصور وتقديره فَعَلٌ فانقلبت الياء ألفاً، فلذلك كان مقصوراً، وانما كان كذلك لأنك تقول هَوِيَ يَهْوَى كما تقول: فَرِقَ يَفْرَقُ وهو هَوٍ، كما تقول هو

---

(١) دعن: بنون التوكيد المحققة.
(٢) الوعث: الطريق الشاق الوعر.
(٣) ضربة الهادي: ضرب ذلك مثلاً لقصر المسافة بينهم.
(٤) البزل: جمع بازل وهي البعير.
(٥) المخيسة: المذللة والمعبدة.
(٦) العراب: بكسر العين: الإبل والخيل العربية التي لا هجن فيها.

فَرِقٌ كما ترى وكان المصدر على فَعَلٍ بمنزلة الفَرَقِ والحَذَرِ والبَطَرِ، لأن الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل، فأما الهَواءُ من الجَوِّ فممدود يَدُلُّكَ على ذلك جمعه اذا قلتَ أهْوِيةٌ لأن أفْعِلةً، انما تكون جمع فَعالٍ وفِعالٍ وفَعولٍ وفَعيلٍ. كما تقول قَذالٌ وأقْذِلةٌ وحِمارٌ وأحمِرةٌ فهواءٌ كذلك. والمقصور جمعه أهْواءٌ، فاعلم، لأنه على فَعَلٍ وجمع فَعَلٍ أفعالٌ، كما تقول جَمَلٌ وأجمالٌ وقَتَبٌ وأقْتابٌ.

قال اللّه عز وجل: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[1] وقوله: هذا هَواءٌ يا فتى في صفة الرجل انما هو ذَمٌّ، يقول لا قَلبَ له. قال اللّه عز وجل: ﴿وأفْئِدَتُهُمْ هواء﴾[2] أي خالية وقال زُهَيْر:

كأنَّ الرَحْلَ منها فوقَ صَعْلٍ[3] من الظُلمانِ[4] جُؤجُؤُهُ هَواءُ

وهذا من هَواءِ الجَوِّ. قال الهُذَليُّ:

هَواءٌ مِثلُ بَعلكِ مُسْتَميتٌ على ما في وِعائِكِ كالخَيالِ

وكل واو مكسورة وقعت أوّلا فهمزها جائز يُنْشَدُ على ما في إعائِك. ويقال: وِسادةٌ وإسادةٌ، ووِشاحٌ وإشاحٌ وأما قوله: فما أنتَ وعثمانُ، فالرفع فيه الوجه لأنه عَطَفَ اسمها ظاهراً على اسم مضمر منفصل، وأجراه مُجْراهُ، وليس ههنا فِعْلٌ فيُحْمَلَ على المفعول فكأنه قال: فما أنت وما عثمانُ هذا تقديره في العربية ومعناه لَسْتَ منه في شيء قد ذكر سيبويه رحمه اللّه النصب وجوّزه جوازاً حسناً وجَعَلهُ مفعولاً معه، وأضمر كان من أجل الاستفهام فتقديره عندما كنتَ وفلاناً، وهذا الشعر كما أصفُ لك يُنشَدُ:

---

(١) سورة محمد: الآية ١٤.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤٣.

(٣) الصعل: النعامة، سمي بذلك لصغر رأسه.

(٤) الظلمان: جمع ظليم وهو ذكر النعامة.

وأنت امْرُؤٌ من أهل نَجْدٍ [1] وأهْلُنا تَهامٍ وما النَجْديُّ والمُتَغَوِّرُ

وكذلك قوله (هو زيادٌ الأعجَمُ):

تُكَلِّفُني سَويقَ الكَرمِ جَرْمٌ وما جَرْمٌ وما ذاكَ السويقُ

فان كان الأول مضمراً متصلاً كان النصبُ لَئِلاَ يُحْمَلَ ظاهر على مضمر.

تقول: مالَكَ وزيداً؟ وذلك أنه أضمَرَ الفِعْلَ فكأنه قال في التقدير: ومُلابَسَتَك زيداً، وفي النحو تقديره مع زيد وانما صَلَحَ الأضمار، لأن المعنى عليه إذا قلتَ: مالَكَ وزيداً، فانما تنهاه عن ملابسته اذا لم يجز وزيدٍ وأضمَرْتَ، لأن حروف الاستفهام للأفعال، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير اضمار، نحو قولك: ما زِلْتُ وعَبد اللّه حتى فَعَلَ، لأنه ليس يريد ما زِلْتُ وما زال عبدُ اللّه ولكنه أراد ما زلتُ بعبد اللّه، فكان المفعول مخفوضاً بالباء، فلما زال ما يَخْفِضُهُ وَصَلَ الفعلُ اليه فنصبه كما قال تعالى: ﴿**واختار موسى قَوْمَهُ سبعين رجلاً**﴾ [2] فالواو في معنى مع وليست بخافضة، فكان ما بعدها على الموضع، فعلى هذا يُنْشَدُ هذا الشعرُ (هو لِمسْكينِ الدارِمي).

فمالَكَ والتَلَدُّدَ [3] حَوْلَ نَجْدٍ وقد غَصَّتْ تِهامةُ بالرجال

ولو قلتَ ما شأنُكَ وزيداً، لاختير النصب لأن زيداً لا يلتبس بالشأن لأن المعطوف على الشيء أبداً في مِثلِ حاله. ولو قلت: ما شأنُكَ وشأنُ زيد لَرفعتَ لأن الشأن يعطف على الشأن وهذه الآية تُفَسَّرُ على وجهين من الاعراب أحدهما هذا، وهو الأجود فيها. وهو قوله عز وجل: ﴿**فأجْمِعوا أمْرَكُمْ وشُرَكاءَكُمْ**﴾ [4] فالمعنى واللّه أعلم مع شركائكم لأنك تقول. جَمَعْتُ قومي. وأجمَعْتُ أمري. ويجوز أن يكون لما أدْخَلَ الشركاءَ مع الأمر حَمَله

---

(١) النجد: إسم لما دون الحجاز. مما يلي العراق.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٥.

(٣) التلدد: النظر يميناً وشمالاً.

(٤) سورة يونس: الآية ٧١.

على مِثلِ لفظه لأن المعنى يَرْجِعُ الى شيء واحد فيكون كقوله (هو عبد اللّه بن الزِبَعْري):

يا لَيْتَ زَوْجكِ قد غدا مُتَقَلِّداً[1] سَيْفاً ورُمحاً

وقال آخر: شَرَّابُ البانٍ وتَمْرٍ وأقِطْ. وهذا بَيِّنٌ.

ويروي أن عبد اللّه بن يزيدَ بن مُعاوية أتى أخاه خالداً فقال: يا أخي لقد هَمَمْتَ اليوم أن أفْتُكَ بالوليد بن عبد المَلِكِ، فقال له خالد: بئس واللّه ما هَمَمْتَ اليومَ ابن أمير المؤمنين ووَلِيِّ عَهْدِ المسلمين. فقال: ان خيلي مَرَّتْ به فَعَبِثَ بها وأصْغَرَني. فقال له خالد: أنا أكفيك. فدخل خالد على عبد الملك والوَليدُ عنده. فقال: يا أمير المؤمنين الوَليدُ ابن أمير المؤمنين ووَلِيُّ عَهْدِ المسلمين، مَرَّتْ به خيلُ ابن عمه عبد الله بن يزيد فَعَبِثَ بها وأصغره وعبدُ المَلِكِ مُطرِقٌ. فرفع رأسه فقال ﴿ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسَدوها وجعلوا أعِزَّةَ أهلها أذِلَّةً، وكذلك يَفعلونَ﴾[2] فقال خالد: ﴿واذا أردنا أن نُهلِكَ قريةً أمَرنا مُترَفيها ففَسَقوا فيها فحَقَّ عليها القولُ فدَمَّرْناها تَدميراً﴾[3] فقال عبد الملك: أفي عبد اللّه تُكلِّمُني، واللّه لقد دخل عليّ فما أقام لسانَهُ لحْناً. فقال له خالد: أفَعَلى الوليد تُعَوِّلُ؟ فقال عبد الملك: ان كان الوليدُ يَلْحَنُ، فان أخاه سُليمانُ. فقال خالد: وان كان عبد اللّه يلحن فان أخاه خالد. فقال له الوليد: اسكُتْ يا خالد فواللّه ما تُعَدُّ في العِير ولا في النفير[4]. فقال خالد:

---

(١) متقلداً سيفاً: جاعلاً السيف كالقلادة.

(٢) سورة النمل: الآية ٣٤.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٦.

(٤) أول من قال ذلك أبو سفيان بن حرب لما أقبل من الشام بعير قريش وكان رسول اللّه ﷺ قد تحين انصرافها من الشام، وندب المسلمين للخروج معه، وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفاً شديداً، وكان النبي قد بعث الرقباء والعيون فأحس بها أبو سفيان، فضرب وجوه عيره واتجه به وترك بدراً يساراً وقد بعث إلى قريش حين فصل من الشام يخبرهم بما يخافه من رسول اللّه فاقبلت قريش من مكة، فلما كانوا في الطريق أرسل إليهم أبو سفيان يخبرهم أنه أحرز

اسمَعْ يا أمير المؤمنين، ثم أقبَلَ عليه وقال: ويحَكَ فمن العِيرُ والنفيرُ غيري! جَدِّي أبو سُفيان صاحبُ العِير وجَدِّي عُتْبة بن رَبيعةَ صاحِبُ النفير، ولكن لو قلتَ غُنَيْماتٌ وحُبَيْلاتٌ والطائف ورَحِم اللّهُ عثمانَ لقلنا صدقتَ. أما قوله في العِير فهي عِيرُ ؟قرَيشٍ التي أقبَلَ بها أبو سفيان الشأم، فنَهَدَ اليها رسولُ اللّه ﷺ ونَدَبَ اليها المسلمين وقال: لعلَّ اللّه يُنفلُكُموها[1]فكانت وقعةُ بَدْرٍ، وساحَلَ أبو سُفيانَ بالعِير فكانتْ الغنيمةُ ببدر، كما قال اللّه عز وجل: ﴿**وإذ يَعِدُكُم اللّه إحدى الطائفتين أنها لكم وتَوَدونَ أنّ غيرَ ذاتِ الشَوْكةِ تكونُ لكم، أي غيرَ الحربِ**﴾[2] فلما ظفِرَ رسولُ اللّه ﷺ بأهلِ بدر قال المسلمون انهَدْ بنا يا رسول اللّه الى الغِير. فقال العباس رحمه اللّه: انما وعَدَكُمُ اللّهُ إحدى الطائفتين. واما النفير فَمنَ نَفَرَ من قريش لِيَدْفَع عن العير، فجاؤوا فكانت وقعةُ بَدْرٍ وكان شيخُ القوم عُتْبَةَ بن ربيعة بن عبد شمْسٍ وهو جَدُّ خالد من قِبَلِ جَدَّتِهِ هِندٍ أم معاوية بنت عُتْبةَ. ومن أمثال العرب:

لَسْتَ في العِير يومَ يَحْدونَ بالعَيرِ ولا في النَفير يومَ النفيرِ.

ثم انتشر هذا المثلُ حتى صار يقال لمَنْ لا يَصلحُ لخير ولا لشر ولا يُحْفَلُ به: لا في العِير ولا في النفير. وقوله: غنيمات وحبيلات، يعني أن رسول اللّه ﷺ لما أطرَد الحَكَم بنَ أبي العاصي بن أُميّةَ وهو جَدُّ عبد المَلِكِ بن مَرْوان لجأ إلى الطائف فكانَ يَرعى غُنَيْماتٍ ويأوي إلى حُبَيلةٍ وهي الكرمة. وقوله رحم اللّه عثمان، أي لِرَدِّهِ إياهُ، وقولنا أطرده، أي جعله طَريداً. وطَرَدهُ نحّاهُ كما تقول حَمِدتُهُ أي شكرته وأحمَدْته أي صادفته محموداً، وكان عثمان رحمه اللّه استأذن رسول اللّه ﷺ في رَدِّهِ متى أفضى الأمرُ إليه رَوى ذلك الفقهاءُ.

= العير ويأمرهم بالرجوع. فأبت قريش أن ترجع ورجعت بنو زهرة، فصادفهم أبو سفيان منصرفين، فقال يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير ومضت قريش إلى بدر وكان ما كان بها والعير بالكسر القافلة والإبل تحمل الميرة لا واحد لها من لفظها والنفير الجماعة من الناس ينفرون معك ويتقدمون في الأمر.

(١) من النفل بالتحريك وهو الغنيمة.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٧.

٢٨ ـ باب في مدح رجل من بني أسد

قال أبو العباس: قال رجلٌ من بني أَسَدِ بن خُزَيمة[١] يمدح يحيى بن حيان أخا النَخَعِ بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلدِ بن مَذْحِجٍ[٢] وهو مالِكٌ:

ألا جَعَلَ اللّهُ اليَمانينَ كُلَّهُمْ ... فِدًى لِفَتى الفِتْيانِ يَحيى بن حَيانِ
ولولا عُرَيْقٌ فيّ مِنْ عَصَبيّةٍ[٣] ... لَقُلتُ وألفا من مَعَدِّ بن عَدْنان
ولكنّ نفْسي لم تَطِبْ بعَشيرتي ... وطابَتْ له نفْسي بأبناءقَحْطان[٤]

وهذا من التَعصُّبِ المُفْرِطِ. وحدثني شيخ من الأزْدِ ثِقَةٌ عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه. فقيل له: ألا تدعو لأُمِّك؟ فقال إنها تميميَّةٌ. وسُمِعَ رجلٌ يطوف بالبيت وهو يدعو لأُمِّهِ ولا يذكر أباه فَعوقِبَ، فقال هذه ضَعيفةٌ وأبي رجل يحتال لنفسه[٥]

وحدثني المازني[٦] عمن حدّثه قال: رأيت رجلاً يطوف بالبيت وأُمُّه على

---

(١) أسد بن خزيمة: أبو قبيلة في مضر.

(٢) مذحج: ولد مالك وطيء.

(٣) العصبية: المحاماة والمدافعة.

(٤) قحطان بن عابر بالموحدة المفتوحة أبو اليمن كلهم.

(٥) يحتال لنفسه: يعني أن له قدره على التصرف والسعي.

(٦) المازني: هو بكر بن محمد بن بقية المازني، أبو عثمان النحوي. كان إمام عصره في النحو والأدب أخذ الأدب عن أبي عبيدة، والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأخذ عنه المبرد. توفي سنة ٢٣٠ هـ أو ٢٤٩ هـ وفيه خلاف.
انظر: معجم الأدباء ٧/١٠٧ ـ ١٢٨، تاريخ بغداد. ٧/٩٣ ـ ٩٤، الوافي بالوفيات ٣/٨٨، بغية الوعاة ٢٠٢.

عُنُقِهِ وهو يقول:

أحمِلُ أُمّي وهيَ الحمَّالهْ تُرْضِعُني الدِرَّةَ والعُلالهْ ولا يُجازي والدٌ فعالهْ

قوله الدرة فهو اسم ما يَدُرُّ من ثَدْيَيْها ابتداء كان ذلك أو غير ذلك. والعُلالةُ لا تكون إلا بعدُ يقال عَلَّهُ يَعُلُّه عَلاًّ، والاسم العُلالةُ وكلُّ شيء كان على فَعَلْتُ من المدغم فمضارعه إذ كان متعدياً إلى مفعول يكون على يفعُلُ نحو رَدّه يَرُدُّهُ وشَجَّهُ يَشُجُّهُ وَفرّهُ يَفُرُّهُ[1]. فإذا قلت فرّ يَفِرُّ[2] فإنما ذلك لأنه غير مُتَعَدّ إلى مفعول، ولكن تقول فَرَرْتُ الدابة أفُرُّهُ وجاء فعَل يَفعِلُ من المتعدي في ثلاثة أحرف يقال: عَلَّهُ يَعُلُّه ويَعِلُّه وهَرَّه يَهُرُّه ويَهِرُّه إذا كرهه، ويقال أحَبَّهُ يُحِبُّهُ وجاء حَبَّهُ يحِبُّه ولا يكون فيه يَفْعُلُ. قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ إنني وطِلابَ مِصْرٍ لكالمُزدادِ مما حَبَّ بُعْدا

وقال آخر:

وأُقْسِمُ لولا تمرُهُ ما حَبَبْتُهُ وكان عِياضٌ منه أدْنى ومُشرِقُ

وقرأ أبو رجاء العُطارديُّ[3]: فاتَّبِعوني يحِبكُم اللّه، ففَعَل في هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من حَبِبْتُ، والآخر أنه أدْغَمَ في موضع الجزم وهو مذهب تميمٍ وقيْسٍ وأسَدٍ، وجَماعةٌ من العرب يقولون رُدُّ يا فتى يُدْغِمون ويُحرِّكون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيُتبِعونَ الضَمّةَ الضمةَ، ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول رُدَّ يا فتى لأن الفتح أخف الحركات، ومنهم من يقول رُد يا فتى فيَكسِرُ لأن حق التقاء الساكنين الكسر فإذا كان الفعل مكسوراً ففيه وجهان. تقول: فِرَّ يا فتى للاتباع وللأصل في التقاء الساكنين وتَفتَحُ لأن الفتح أخف الحركات، وإذا كان مفتوحاً فالفتح للاتباع ولأنه أخف الحركاتِ والكسرُ

---

(١) وفره يفره: يقال فر الدابة كشف عن أسنانها لينظر ما سنها.

(٢) فريفر: فهذا من الفرار بالكسر وهو الروغان والهرب وقوله فإنما ذلك يريد كَونه من بابّ ضرب.

(٣) العطاردي: نسبة إلى عطارد وهو رجل من تميم.

على أصل التقاء الساكنين نحو عَضّ يا فتى وعَضِّ يا فتى فإذا لقيَتْهُ ألف ولام فالأجود الكسر من أجل ما بعده وهي لام المعرفة نحو:

فَغُضِّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ (فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابا)[1]

ومنهم مَن يُجريه مُجرى الأوّل فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة في الأول فيقول (هو جَرير):

ذُمَّ المنازلَ بعد مَنزِلةِ اللِوى والعَيْشَ بَعدَ أولئك الأيّامِ

ومن كان من شأنه أن يُتْبِع أو يكسِر فعلى ذلك، ومما جاء في القرآن على لغة من يكسر قولهُ عز وجل ﴿ومن يُشاقِّ اللّه فإن اللّه شديدُ العقاب﴾[2]. وأما أهل الحجاز فيُجْرونه على القياس الأصليّ فيقولون ارْدُدْ واغضُضْ. ويقولون افْرِرْ من زيد واعضَضْ لما سكن الثاني ظهر التضعيف لأنه لا يلتقي ساكنان وكل ذلك من قولهم، وقولِ التميميين قياس مُطّرِدٌ بَيِّنٌ، وقد شرحناه في الكتاب المُقْتَضَبِ على حقيقة الشرح.

في وصف الصبر

وقال الآخر:

إذا ضيّقْتَ أمْراً ضاقَ جِدّاً وإن هَوّنتَ ما قد عَزّ هانا
فلا تَهْلِكْ لشيء فاتَ بأساً فَكَمْ أمرٍ تَصَعّبَ ثم لانا
سأصْبِرُ من رفيقي إن جَفاني على كلِّ الأذى إلا الهَوانا
فإنّ المرْءَ يَجزَعُ في خَلاءٍ وإن حَضَرَ الجماعةُ أن يُهانا

وقال آخر: أحسِبُهُ من لُصوص بني سَعد. (قال أبو الحسن هو عُبَيدُ بن أيُّوبَ العَنبَريُّ، وأنشد هذا الشعر ثعلب):

---

(١) الشعر لجرير وغير كَرُبَيْر أبو قبيلة سميت باسمه وهذا من أقذر الهجاء وأفحشه.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٣.

فإني وتَركي الإنس[1] من بعد حُبِّهم ... وصَبري عَمّنْ كُنتُ ما إنْ أُزايلُهْ[2]
لكالصَقْرِ[3] جَلّى بعد ما صاد فِتْيةَ ... قديراً ومَشْوِيّاً عَبيطا خَرادِلُهْ
أهابوا[4] به فازدادَ بُعداً وصَدّهُ ... عن القُرْبِ منهم ضَوْءُ بَرقٍ ووابِلُهْ
ألَمْ تَرَني صاحَبْتُ صَفراءَ نبْعةً[5] ... لها ربَديٌّ[6] لم تفلّلَ معابِلُهْ
وطال احْتضاني السيفَ حتى كأنما ... يُلاطُ بكَشحي جَفنُهُ وحَمائِلُهْ
أخو فَلَواتٍ صَاحَبَ الجِنّ وانتَحى ... عن الإنس حتى قد تَقَضّتْ وسائِلهْ
له نَسَبُ الإنسِيِّ يُعْرَفُ نَجرُهُ ... وللجِنّ منه شَكلُهُ وشمائِلهْ

قوله: وصَبري عَمّنْ كُنتُ ما إن أزايله: إنْ زائدة وهي تُزاد مُغَيِّرة للاعراب وتزاد توكيداً وهذا موضع ذلك، فالموضع الذي تُغَيِّرُ فيه الاعراب هو وقوعها بعد ما الحجازية. تقول ما زيدٌ أخاك وما هذا بَشَراً، فإذا أدخَلتَ إنْ هذه بطل النصب بدخولها. فقلت: ما إنْ زيدٌ منطلق. قال الشاعر (هو فَرْوةُ بن مُسَيكٍ المُراديُّ):

وما إنْ طِبنا[7] جُبنٌ ولكن ... مَنايانا[8] ودَوْلةُ[9] آخرينا

فزعم سيبويه أنها مَنَعَت العَمَلَ. كما منعت ما إنّ الثقيلة أن تنصب. تقول إن زيداً منطلق فإذا أدخلتَ ما صارت من حروف الابتداء، ووقع بعدها المبتدأ

---

(١) الأنس: البشر.

(٢) أزايله: أفارقه.

(٣) الصقر: كل شيء يصيد من البزاة.

(٤) أهابوابه: زجروه ونفروه شبه نفسه وقد ترك من يحبه ولا يصبر على مفارقته بالصقر، ترك ما صاده وقد ظفر به حين ما رأى فتية أهابوا به وزجروه عن صيده.

(٥) النبعة: واحده النبعي وهو شجر للقسي وللسهام ينبت في قلة الجبل.

(٦) الربدي: محركاً: وتر القوس.

(٧) الطب: مثلث الطاء الشاق والعادة والجبن ضعفت القلب وهيبة الأمر فلا يقدم عليه

(٨) المنايا: جمع منية وهي الموت.

(٩) الدولة: بالفتح وهي الانتقال من حال الشدة إلى حال الرخاء ـ يصف قومه بالشجاعة والاقدام وإن كان فيه فناؤهم وحياة قوم آخرين.

وخبره والأفعال، نحو إنما زيد أخوك وإنما يخشى اللّه من عبادِهِ العُلماءُ، ولولا ما، لم يقع الفعل بعد إن، لأن إنّ بمنزلة الفعل ولا يلي فِعلٌ فِعلاً لأنه لا يَعمَلُ فيه. فأما كان يقوم زيدٌ، وكادَ تَزيغُ قُلوبُ فريقٍ منهم، ففي كان وكاد فاعلان مَكْنِيّان. وما تُزاد على ضربين، فأحدهما أن يكون دخولها في الكلام كإلغائها نحو ﴿فبما رَحْمَةٍ من اللّه لِنْتَ لهم﴾[1]، أي فبرحمة. وكذلك: مما خَطيئاتِهِمْ أُغْرِقوا. وكذلك مَثلاً: ما بَعوضةً. وتَدْخُلُ لتغيير اللفظ، فتوجِبُ في الشيء ما لولا هي لم يقع نحو: رُبَّما يَنْطَلِقُ زيد، ورُبَما يَوَدُّ الذين كفروا، ولولا ما لم تَقَعْ رُبَّ على الأفعال لأنها من عوامل الأسماء، وكذلك: جِئْتُ بعد ما قام زيد. كما قال المرَّارُ (هو المرَّارُ الفَقْعَسِيُّ!

أَعلاقةٌ أُمَّ[2] الوُلَيِّدِ بَعْدَما أَفنانُ رَأسِكَ (كالثغام المُخْلِسِ)[3]

فلولا ما، لم يقع بعدها إلا اسم واحد وكان مخفوضاً بإضافة بعد إليه. تقول: جئتكَ بَعْدَ زيدٍ. وقوله: كالصَقْرِ جَلَّى تأويل التَجَلّي أن يكون يُحِسُّ شيئاً فَيَتَشَوَّفُ إليه، فهذا معنى جَلَّى. قال العجاج: تَجَلّيَ البازي إذا البازي كَسَرْ[4] أي نظر. ويقال: تَجَلَّى فلانٌ فلانةَ تَجَلِّياً واجتلاها اجْتِلاءً أي نَظَرَ إليها وتأملها، والأصل واحد. وقوله: قَديراً هو ما يُطْبَخُ في القِدْر. يقال: قديرٌ ومَقْدور كقولك: قتيلٌ ومَقْتولٌ. وقوله عَبيطاً خَرادِلُه فالعَبيط الطَريُّ. يقال: لحم عَبيطٌ إذا كان طَرِيّاً، وكذلك: دمٌ عَبيطٌ. ويقال اعْتَبَطَ فلانٌ بَكرَتَهُ: إذا نحَرَها شابّةً من غير عِلّةٍ. وكذلك: اعتُبِطَ فلان إذا مات شاباً. قال أُمَيّةُ (بن أبي الصَلْتِ الصحيح أنه لرجل من الخوارج عن الأصمعي):

مَن لَمْ يَمُتْ عَبْطةً يَمُتْ هَرَماً لِلْمَوْتِ كأسٌ فالمرْءُ ذائِقُها

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) العلاقة: بالفتح الهوى والحب وقد علقه وعلق به.

(٣) الثغام: نبت على شكل الحلي المخلس: النبات اختلط يابسه برطبه.

(٤) كسر الطائر كسراً وكسوراً ضم جناحيه بهدف الهبوط.

في الكرم

وحدثني الزيادي ابراهيم بن سُفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زِيادٍ قال: تَحَدَّثَ رجل من الأعْراب قال: نزلت برجل من طَيّىءٍ فَنحر لي ناقةً فأكلتُ منها، فلما كان الغد نحر أخرى فقلتُ: إنَّ عندك من اللحم ما يُغني ويَكفي، فقال: إني واللّه لا أُطْعِمُ ضيفي إلا لحماً عبيطاً، قال: وفَعلَ ذلك في اليوم الثالث وفي كل ذلك آكل شيئاً ويأكل الطائيُّ أكلَ جماعةٍ، ثم نُؤتى باللبن فأشرَبُ شيئاً ويَشْرَبُ عامّةَ الوَطب[1]. فلما كان في اليوم الثالث ارْتقَبْتُ غفْلته فاضْطجَعَ فلما امتلأ نوماً اسْتَقْتُقطيعاً[2] من إبلِهِ فأقبَلْتُهُ الفجَّ[3] فانتبه واخْتَصَرَ عليَّ الطريق حتى وقف لي في مَضيقٍ فألْقَمَ وَتَرَهُ فوقَ سَهْمِهِ ثم نادى بي: لِتَطِبْ نفسُكَ عنها. قلت: أرِني آيةً. فقال: انظرْ إلى ذلك الضَبِّ فإني واضِعٌ سَهْمي في مَغْرِزِ ذَنبِهِ. فرماه فأنْدَرَ ذَنَبَهُ[4]. فقلتُ: زِدْني. فقال: انظر إلى أعلى فَقارِهِ. فرماه فأثبَتَ سهمه في الموضع، ثم قال لي: الثالثةُ واللّه في كَبِدِكَ. قال: فقلت شأنكَ بإبلِكَ. فقال: كلا حتى تسوقَها إلى حيْثُ كانت. قال: فلما انتهيت بها قال: فكّرْتُ فيك فلم أجد لي عندك تِرَةً[5] تطالبني بها، وما أحْسَبُ الذي حملك على أخذ إبلي إلا الحاجة. قال: قلتُ هو واللّه ذاك. قال: فاعمِدْ إلى عشرين من خِيارها فَخُذْها. فقلت: إذاً واللّه لا أفعل حتى تَسْمَعَ مَدْحَكَ: واللّهِ ما رأيتُ رجلاً أكرَمَ ضيافةً، ولا أهْدى لسبيلٍ، ولا أرْمى كفّاً، ولا أوْسَعَ صَدْراً، ولا أرْغبَ جَوْفاً[6]، ولا أكرَمَ عَفواً منك، قال: فاستحيا فَصَرَف وجهه عني ثم قال:

---

(١) الوطب: سقاء اللبن.

(٢) القطيع: الطائفة من النعم والغنم.

(٣) الفج: الطريق الواسع بين جبلين.

(٤) فأندر ذنبه: أي أسقطه.

(٥) الترة: طلب المكافأة بجناية جنيت عليك أو عداوة أنيت إليك.

(٦) أرغب جوفا من الرغب بالضم ـ طلب الأكل وشدة الشهية.

انصَرِفْ بالقطيع مُبارَكاً لك. فيه قوله: خرادله يعني قِطعَهُ. يقال: ضربه ضرباً خَرْدَلَهُ وتأويله قَطَّعهُ، كما قال: والضَرْبُ يَمْضي بيننا خَرادِلاً. وقوله: أهابوا به يقول: دَعوْهُ يقال: آيه بهِ وأهابَ به أي ناداه. قال القُرَشِيُّ:

أهـابَ بـأحْـزانِ الـفُؤاد مُـهيـبُ ومـاتَـتْ نفـوسٌ لـلهَـوى وقُـلوبُ

وقوله: ضَوْءُ برقٍ ووابله أراد صَدّهُ عنهم ضَوْءُ برقٍ ووابِلهُ فأضاف الوابل من المطر إلى البرق وإنما الإضافة إلى الشيء على جهة التضمين، ولا يضاف الشيء إلى الشيء إلا وهو غيره أو بعضه، فالذي هو غيره غلامُ زيدٍ ودارُ عمرٍ، والذي هو بعضه: ثَوْبُ خَزٍّ وخاتمُ حديدٍ. وإنما أضاف الوابل إلى البرق وليس هو له كما قلت دار زيد على جهة المجاوَرة وأنهما راجعان إلى السحابة، وقد يضاف ما كان كذا على السَعَةِ، كما قال الشاعر:

حتى أنَخْتُ قَلوصي[1] في دِيارِكُم بخير من يَحْتَذِي نَعْلاً وحافيها

فأضاف الحافي إلى النعل والتقدير حافٍ منها. وقوله: ألم ترني صاحبت صفراء نبْعَةً فالنَبْع خير الشجر للقِسِيِّ، ويقال: أن النَبْعَ والشَوْحَطَ والشِريان شجرةٌ واحدة، ولكنها تختلف أسماؤها وتَكرُمُ وتحْسُنُ بمنابتها، فما كان في قُلةِ الجبل منها فهو النَبْعُ، وما كان في سَفْحِهِ فهو الشَوْحَطُ، وما كان في الحَضيض فهو الشِرْيانُ. وقوله: لها رَبذِيٌّ يريد وَتراً شديد الحركة عند دفع يقال: رجل رَبذُ اليد إذا كان يكثر التحريك ليديه والعَبَث بهما ويوصف به الفرس لكثرة حركة قوائمه. وكان الأصل رَبذِيّاً لأنه رَبذٌ ولكن ما كان من فِعْلٍ فنُسِبَ إليه فُتح موضع العين منه استثقالاً لاجتماع ياءي النسَبِ وكسرة اللام لأن ياءي النسب تَكسِرانِ ما تَليانِهِ فلم يَدَعوا مع ذلك العين مكسورةً. تقول في النسب إلى النَمِرِ بن قاسِطٍ: نَمَريٌّ وإلى الحَبطاتِ[2] حَبَطِيٌّ وإلى شَفِرَةَ

(١) القلوص من الإبل: وهنا إستعارة قصد بها إلى الشابّة من النساء الجواري.

(٢) الحبطات: أولاد الحارث بن مالك بن عمرو من بني تميم وكان يسمى بالحبط فسمي بنوه الحبطات.

وهـو الحرث بن تميم بن مُـرٍّ شَقَرِيٌّ[1]، وفي النسب إلى عَمٍ عَمَـوِيٌّ يا فتى. وقوله: لم تُفَلِّلْ مَعابِلهُ يريد لم ينكسر حَـدُّها من الفُلول. ويـروى أن عُرْوَةَ بن الزُبَيْر سأل عبد الملِكِ أن يَرُدَّ عليه سيف أخيه عبد اللّه بن الزُبير فأخرجـه إليه في سيوف مُنْتضاةٍ، فأخذه عـروة من بينها. فقـال له عبـد الملك: بِمَ عَرَفتَـهُ؟ فقال: بما قال النابغةُ:

ولا عَيْبَ فيهـم غيـرَ أن سُـيـوفَهُـمْ بِـهِنّ فُـلولٌ مـن قِـراع الـكـتـائـب

والمِعْبَلةُ واحدة المعابل وهي سهم خفيف. قال عَنْتَرَةُ:

وآخَـرَ مـنهـمُ أَجْـرَرْتُ[2] رُمـحـي وفـي الـبَـجْـلـيِّ[3] مِـعْـبَـلـةٌ وَقـيـعُ

بـإسكان الجيم لا غيـر (قـال أبـو الحسن بَجيلة قبيلة من بني الهُجَيْم من اليَمَن).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) شقري: كنمري، وهو لقب للحارث بن تميم، أبو قبيلة من ضبة.

(٢) أجررت رمحي: طعنته به وتركته فيه يجره.

(٣) البجلي: نسبة إلى بجلة والجيم فيها ساكنة وهو أبو حي في العرب والوقيع المضروب بـالمِقمعة أي المطرقة، وهنا وصف لشجاعته إذ يطعن تارة بالرمح ويرمي أخرى بالسهم.

٢٩ ـ باب في تحريض عبد الملك على خالد بن يزيد وحديث خالد عن رملة بنت عبد الله بن جعفر

قال أبو العباس تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هُنَّ شَرَفُ مَنْ هُنَّ منه[٦]، منهن: أمُّ كُلْثومٍ بنت عبد الله بن جَعْفَر بن أبي طالب، وآمِنَةُ بنت سعيد بن العاصي بن أُمَيَّةَ، ورَمْلةُ بنت الزُبَيْرِ بن العَوَّام بن خُوَيْلِدِ بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ. ففي ذلك يقول بعض الشعراء يُحَرِّضُ عليه عبد الملِكِ:

عَلَيْكَ أميرَ المؤمنين بخالِدٍ ... ففي خالدٍ عما تُحِبُّ صُدودُ
إذا ما نَظَرْنا في مَناكِحِ خالدٍ ... عَرَفْنا الذي يَنْوي وأينَ يُريدُ

فطلَّقَ آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك ففي ذلك يقول خالد:

فتاةُ أبوها ذو العِصابة وابْنُهُ ... وعُثْمانُ ما اكْفاؤُها بكثيرِ
فإن نفتَلتْها والخِلافةَ تنْقَلِبْ ... بأكرَمِ عِلْقَيْ[٢] مِنْبرٍ وسَريرِ

قوله: أبوها ذو العصابة يعني سعيد بن العاصي بن أُمَيَّةَ وذلك أن قومه يذكرون أنه كان إذا اعْتَمَّ لم يَعْتَمَّ قُرَشِيٌّ إعظاماً له. ويُنشِدون:

أبو أَحَيْحَةَ من يَعْتَمَّ عِمَّتَهُ ... يضْرَبْ وإن كان ذا مالٍ وذا عددِ

ويزعم الزُبَيْرِيُّون أن هذا البيت باطل موضوع. وقوله: فإن نفتلتها يقول

---

(٦) يريد أن أباءهن تشرف بهن لما لهن من العفة والصيانة والحسن والجمال والحسب وعلو النسب.

(١) العلق بالكسر: النفيس من كل شيء.

(٢)

نأخذها فُجأةً. ومن ذلك قول الشاعر:

مـنْ يَـأمَـنُ الأيـامَ بَـعـ ـد صُبَيْرة القُرَشيِّ مـاتـا
سَـبَقَـتْ مَنِيَّتُـهُ الـمشيـ ـبَ وكـان ميتَتُهُ افتِـلاتـا

(صبيرة بالصاد مهملة في الرواية المشهورة بالضاد معجمةً روايةُ عاصم على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين. ورواية ابنِ سراجٍ برفعٍ يأمنُ على الاستفهام). وفي الحديث أنّ رجلاً قال: يا رسول اللّه إن أمّي افْتُلِتَتْ أي ماتتْ فُجاءة. ويروى أن آمِنَةَ لَبِثَتْ عند الوليدِ، فلما هَلكَ عبدُ الملِكِ سعى بها ساعٍ إلى الوليد. قال أبو العباس: وبلغني أنها سَعتْ بها إحدى ضَرَّاتها إلى الوليد بأنها لم تَبْكِ على عبد الملك كما بَكى نظائرها. فقال لها الوليد في ذلك فقالتْ: صَدَقَ القائلُ أكنْتُ قائلةً ماذا أقول: يا لَيْتَهُ كان بَقِيَ حتى يَقْتُلَ أخاً لي آخر كعمرو بن سعيد. وفي رَمْلةَ بنت الزُّبَيْرِ. يقول خالدٌ:

تجـولُ خلاخيلُ[1] النِساءِ ولا أرى لِـرَمْلةَ خَلْخـالاً يـجـولُ ولا قُلْبـا
فـلا تُكثِروا فيهـا المـلامَ فـإنني تخَيَّـرْتُـهـا منـهم زُبَـيْـريَّـةً قَلْبا[2]
أحِبُّ بني العـوّامِ طُـرًّا لِـحُبِّـهـا ومن أجْلهـا أحْبَبْتُ أخْـوالهـا كلْبـا

وزيدَ فيها:

فـإن تُسْلِمِي أسْلِمْ وإن تَـتَنَصّـري يُـعَلَّقْ رجـالٌ بـين أعـينـهم صُـلْبـا

ويـروى أن عبد الملك ذُكِرَ له هـذا البيتُ فقال لـه يا خـالد أتـرْوي هـذا البيتَ؟ فقال: يا أمير المؤمنين على قائله لعنه اللّه.

في زواج الحجاج

وذكر العُتْبي أن الحجّاج بن يوسف بن الحَكمِ الثقْفِيَّ لما أكـرَهَ عبد اللّه ابن جعفر على أن زَوّجَهُ ابنته استأجله في نقلها سنة. ففَكّرَ عبدُ اللّه بن جعفـر

---

(١) الخلاخيل: مفردها خلخال بالفتح. جولان الخلاخيل هنا كناية يقصد بها الدلالة على الهزال والضعف فالمرأة السمينة لا يجول خلخالها فيها.

(٢) قلباً: بالفتح هنا محض الشيء وخلصه.

في الانفكاك منه، فألْقِيَ في رُوعِهِ خالد بن يَزيد فكتَبَ اليه يُعْلِمُهُ ذلك، وكان الحجاج تزَوّجها بإذن عبد الملك فورد على خالد كتابه ليلاً، فاستأذن من ساعته على عبد الملك، فقيل له: أفي هذا الوقت؟ فقال: انه أمْرٌ لا يُؤَخَّرُ. فأعْلِمَ عبدُ الملك، بذلك فأذِنَ له، فلما دخل عليه قال له عبد الملك: فيمَ السُرى[1] يا أبا هاشم؟ قال: أمر جَليلٌ لم آمنْ أن أؤخره فتَحْدُثَ عليّ حادثةٌ فلا أكون قضَيْتُ حق بَيْعَتِكَ. قال: وما هو؟ قال: أتعْلَمُ انه ما كان بين حَيّينِ من العداوة والبَغْضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبي سُفْيان. قال: لا. قال: فانّ تزويجي الى آل الزبير حَلَّلَ ما كان لهم في قلبي، فما أهْلُ بيت أَحَبُّ إليّ منهم قال: فان ذلك لَيكون. قال: فكيف أذِنْتَ للحجاج أن يتزوج في بني هاشم، وأنت تعْلَم ما يقولون ويقال فيهم، والحَجّاج من سلطانك بحيث عَلِمْتَ. قال: فجَزّاهُ خَيْراً وكتب الى الحجاج بعَزْمه أن يطلقها، فطلقها فغدا الناس عليه يُعَزُّونَهُ عنها فكان فيمن أتاه عمرو بن عُتْبَةَ بن أبي سُفْيان فأوْقَعَ الحجّاج بخالد فقال: كان الأمر لآبائه فعَجَزَ عنه حتى انْتُزِعَ منه فقال له عمرو ابن عتبة: لا تقُلْ ذا أيها الأمير فان لخالد قديماً سَبَقَ اليه وحَديثاً لم يُغْلَبْ عليه، ولو طَلَبَ الأمر لطلبه بحَذْرٍ جِدٍّ ولكنه عَلِمَ عِلْماً فسَلّمَ العِلْمَ الى أهله. فقال الحجاج: يا آل أبي سفيان أنتم تحبون أن تَحْلموا ولا يكون الحِلْمُ إلا عن غضب فنحن نُغْضِبُكمْ في العاجل ابتغاء مَرْضاتكمْ في الآجلِ. ثم قال الحجّاج: واللّه لأتزَوّجَنّ منْ هَو امَسُّ به رحما[2] ثم لا يُمْكِنُهُ فيه شيء. فتزوج أم الجُلاسِ بنت عبد اللّه بن خالد بن أسيدٍ. أما قوله: ألقي في روعه[3]، فان العرب تقول: أُلْقِيَ في رُوعي وفي قلبي وفي جَحيفي[4] وفي تاموري كذا وكذا ومعناه كله واحد، الا أنّ لهذه الأشياء مواضعَ مختصة. وفي الحديث عن النبي ﷺ: أنّ رُوحَ القُدُسِ نفَثَ في رُوعي. فالروع والجَحيفُ غير

---

(١) السرى: المشي ليلاً.
(٢) يقال فيهم رحم ماسة أي قرابة.
(٣) الروع: بالضم القلب أو موضع الفزع منه.
(٤) الجحيف بالجيم والحاء وهو كأمير النفس والروع.

مختلفين. والعرب تقول: أذْهَبَ اللّه قلْبَهُ ولا قلب له، ولا تقول: لا روعَ له فكأنّ الرُوعَ هو متصل بالقلب، وعنه يكون الفهم خاصة. ويقال، رأيت قَلبَ الطائر، ولا يقال: رأيتُ روعَ الطائر. والتامورُ عند العرب بقية النفس عند الموت وبعضهم يُفْصحُ عنه فيجعله دم القلب الذي يبقي للانسان ما بقي. يقال: ضَعْهُ في تامورِكَ وفي قَلبكَ وفي روعِكَ وفي جَحيفكَ، والذَماءُ ممدود مثْلُ التامور سَواءٌ. تقول العرب: ليس في الحيوان أطولُ ذَماءً من الضَبِّ، وذلك أنه يُذْبَحُ ثم يُطْرَحُ في النار بعد أن ظُنَّ أنه قد بَرَدَ[1] فربما سَعى من النار.

في الوعظ

وقال رجل لابراهيم بن أدْهَم: عِظْني. فقال: اتَّخِذِ اللّه صاحباً، وذَرِ الناس جانباً. وقال سعيد بن المُسَيَّب[2]: كنت بين القبر والمِنْبَرِ مُفَكِّراً، فسمعت قائلاً يقول ولم أرَه: اللهم اني أسألك عملاً باراً ورزقاً داراً وعيشاً فارًا. قال سعد: فَلزِمْتُهُنَّ فلم أرَ إلا خيراً. وقال الأصمَعِيُّ: كان من دعاء أبي المُحبب: اللهم اجْعَلْ خير عملي ما قارَبَ أجَلي. قال: وكان يقول في دعائه: اللهم لا تَكِلْنا الى أنفسنا فنَعْجِزَ ولا الى الناس فنَضيع. قال: وحدثني أبو عثمان المازِنيُّ قال: حدثني أبو زيد قال: وقف علينا أعرابيفي حَلْقة[3] يونس النحوي فقال: الحمد للّه كما هو أهلهُ وأعوذُ باللّه أن أُذَكِّرَ به، وأنشاه خرجنا من المدينة، مدينة رسول اللّه ﷺ ثلاثين رجلاً ممن أخْرَجَتْهُ الحاجة وحُمِلَ على المكروه لا يُمَرِّضونَ مَريضَهُمْ، ولا يَدْفِنون مَيتهم، ولا ينتقلون من مَنْزلٍ الى منزل، وان كرهوه، واللّه يا قَوْم لقد جُعْتُ حتى أكلتُ النَوى المُحْرَقَ، ولقد مَشَيْتُ حتى انتَعَلْتُ الدمَ وحتى خرج من قدميَّ بَخَصٌّ ولحم كثير، أفلا رَجُلٌ يَرْحَمُ ابن سبيلٍ وَفلَّ طَريقٍ ونِضْو[4] سفرٍ فانه لا قليلَ من الأجْر ولا غِنى

---

(١) برد: مات.

(٢) ابن المسيب - بكسر الياء الشديدة وتفتح وهو الشائع عند المحدثين وأراد بالقبر والمنبر قبره ومنبره عليه الصلاة والسلام.

(٣) حلقه: بالسكون القوم الذين يجتمعون مستديرين وتكثر في مجالس العلم في المساجد خاصة.

(٤) النضو بالكسر ومعناه الهزيل.

عن ثواب اللّه عزّ وجل، ولا عَمَلَ بعد الموتِ وهو الذي يقول جَلّ ثناؤُهُ: ﴿منْ ذا الذي يُقْرِضُ اللّه قَرْضاً حَسَناً فيُضاعِفهُ له﴾[1] مليٌّ وفيٌّ ماجِدٌ واجدٌ جوادٌ لا يَسْتَقْرِضُ من عَوَزٍ ولكنه يَبْلو الأخيار قال: فبلغني أنه لم يَبْرَحْ حتى أخذ ستين ديناراً. قوله: بَخَصٌ يريد اللحم الذي يَرْكبُ القدمَ هذا قول الأصمعي، وقال غيره: هو لحم يَخْلِطُهُ بياض من فساد يحُلُّ فيه. ويقال: بَخَصْتُ ويقال: بَخَصْتُ عينَهُ بالصاد ولا يجوز الا ذلك. ويقال: بَخَسْتُهُ حَقَّهُ بالسين إذا ظلمته ونقَصْتَهُ كما قال اللّه عزّ وجل: ﴿ولا تبْخَسوا الناسَ أشْياءَهُم﴾[2]. وفي المثَل. تَحْسِبُها حَمْقاءَ وهي باخِسٌ ويَدُلُّ على انه اللحم الذي قد خالطه الفساد قولُ الراجز (قال أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش: الراجز هو أبو شُراعَةَ):

يا قَدَميَّ لا أرى لي مَخْلَصا مما أراهُ أو تعُودا بَخَصا

وقوله: فَلٌّ فالفَلُّ في أكثر كلامهم المنهزم الذاهب.

في خديعة الحجاج بن علاط السلمي

وفي خبر كعْب بن مَعْدانَ الأشعري (الأشْقَريُّ بالقاف لا غير أنا آثرنا الحَدَّ على الفَلِّ يعني مجاهدتهم عَبْدَ رَبِّهِ الصَغير لأنه كان مُقْبِلاً على حربهم وتَركهم فَطَرَيّاً لأنه كان منهزماً وفي حديث الحجاج بن عِلاطٍ السُلَمِيّ، وكان قد أسلم ولم تعلم قريش باسلامه، فاستأذن رسول اللّه ﷺ يوم خَيْبَرَ في أن يصير الى مكة فيأخذ ما كان له من مال، وكانت له هناك أموال متفرقة وهو رجل غريب بينهم، انما هو أَحَدُ بَني سُلَيمِ بن منصور، ثم أحد بني بَهْزٍ، فأذِنَ له رسولُ اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه اني احتاج ان أقول. قال: فقُلْ. قال أبو العباس: وهذا كلام حسن ومعنى حسن يقول: أقول على جهة الاحتيال غير الحَقِّ. فأذن له رسول اللّه ﷺ لأنه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد، وأكثر ما يقال في هذا المعنى تَقَوّلَ كما قال اللّه عزّ وجل أم يقولون تَقَوّلَهُ فصار الى مكة، فقالت قريش: هذا لعمر اللّه عنده الخبر قال:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٨٣.

فقولوا. فقالوا: بلغنا أن القاطع قد خرج الى أهل خيبر: فقال الحجاج: نعمْ فقتلوا أصحابه قتلاً لم يُسْمَعْ بمثله وأخذوه أسيراً وقالوا: نَرى أن نُكارمَ به قريشاً فندْفَعَهُ اليهم فلا تزال لنا هذه اليد في رَقابِهِمْ وإنما بادَرْتُ لجمع مالي لَعَلي أصيبُ به فَلَّ محمدٍ وأصحابه قبل أن يَسْبِقَني اليه التجارُ ويتصل بهم الحديثُ، قال: فاجتهدوا في أن جمعوا اليّ مالي أَسْرَعَ جَمْعٍ وسُرَّ أكثر السُرورِ وقالوا: بلا رَغْمٍ. وأتاني العباس وهو كالمرأة الوالِهِ فقال: وَيْحَكَ يا حجاج ما تقول؟ قال: فقلتُ: أكاتِمٌ أنت عليّ خَبَري. فقال: اي واللّه. قال: فقلتُ فالبَثْ عليّ شيئاً حتى يخِفّ مَوْضعي قال: فسرتُ اليه فقلت: الخبرُ واللّهِ على خلاف ما قلتُ لهم خَلَّفْتُ رسولَ اللّه ﷺ وقد فَتَحَ خَيْبرَ وخَلَّفْتُهُ واللّه معْرِساً[1] بابنة مَلِكِهِمْ وما جئتُكَ إلا مُسلماً فاطْوِ الخبر ثلاثاً حتى اعْجِزَ القومَ ثم أَشِعْهُ فانه واللّه الحق. فقال العباس: وَيحَكَ أحَقٌّ ما تقولُ. قلتُ: ايْ واللّه. قال: فلما كان بعد ثلاثة ،تَخَلّقَ[2] العباسُ وأَخَذَ عصاه وخرج يطوف بالبيت. قال: فقالت قريش: يا أبا الفضل هذا واللّه التَجَلُّدُ لحر المصيبة. فقال: كلا ومَنْ حَلَفْتُمْ به لقد فتحها رسول اللّه ﷺ وأعْرَسَ بابنة ملكهم. فقالوا: مَنْ أتاك بهذا الحديث؟ فقال: الذي أتاكم بخلافِهِ ولقد جاءنا مُسْلماً ثم أتت الأخبارُ من النواحي بذلك. فقالوا: أفْلَسَنا الخبيثُ أوْلى له. واصل الفَلِّ مأخوذ من فَلَلْتُ الحديدة اذا كسرت، حَدَّها والنضْوُ البالي المجهود. ويقال: ناقة نِضْوٌ اذا جَهَدَها السيرُ وجمعه انضاءٌ، وفلان نِضْوٌ من المرض. وقوله: لا يستقرض من عَوَزٍ فالعَوَز[3] تعذُّرُ المطلوبِ. يقال: اعْوَزَ فلان فهو مُعْوِزٌ اذا لم يجد، والمعاوزُ في غير هذا الموضع الثياب التي تُبْذَلُ ليُصانَ بها غيرها. وقوله: ولكن ليبلو الأخيار[4]. يقال: اللّه يَبْلوهم ويبتليهم ويختبرهم في

---

(١) معرساً: يقول أعرس الرجل إذا أدخل بأمرأته وبنى عليها فهو معرس ولا يقال عرّس بالتشديد وأراد بأبنة ملكهم صفية بنت حي بن أخطب وكانت ممن أصطفاه النبي ﷺ في غنيمة خيبر.

(٢) تخلق: أي تطيب.

(٣) العوز: الحاجة وسوء الحال.

(٤) ليبلو الأخبار والأحوال: التي يخبر عنها أو هي بواطن الأمور وتقول بلوت فلاناً إذا أختبرته بخير أو شر.

معنى، وتأويله يمتحنهم وهو العالم عزّ وجل بما يكون كعلمه بما كان. قال اللّه جل ثناؤه: ﴿لِيَبْلُوَكمْ أيُّكم أحْسَنُ عَملاً﴾[1] قال: وحدثني أبو عثمان المازني قال: رأيت أبا فرعون العَدَويّ ومعه ابنتاه وهو في سكة العطّارين بالبصرة يقول:

بُنَيَّتَيّ صابِرا أباكما ... انّكُما بعَين مَنْ يَراكما
اللّه رَبّي سَيِّدي مولاكما ... ولو يشاءُ عنْهُمُ اغْناكما

وكان أبو فرعون وهو من بني عَدِيّ الرباب بن عبد مَناةَ بن ادٍّ، وقال اليزيدي: هو مولاهم، وكان فصيحاً. وَقدِمَ قوم من الأعْراب البصرة من أهله فقيل له: تَعرّضْ لمعروفهم، فقال:

وَلسْتُ بسائل الأعْرابِ شيئا ... حَمَدْتُ اللّهَ اذْ لَمْ يأكلوني

في الفقر

وروى الأسدي أنه افتقر رجل من الصيارفة بالْحاحِ الناسِ في أخذ أموالهم التي كانت لدَيْهِ، وتَعَذُّرِ امواله التي كانت له عند الناس، فسأل جماعةً من الجيران أن يسيروا معه الى رجل من قريش كان موسِراً من أولاد اجوادهم ليَسُدَّ من خَلَّتِهِ، فساروا اليه فجلسوا في الصَحْنِ، فخرج اليهم يَخْطرُ بقَضيبٍ في يده حتى ثَنى وِسادةً فجلس عليها، فذكروا حاجتهم وخَلةَ صاحبهم مع قديم نعمته وقريب جِوارِهِ، فَخَطَرَ بالقضيب، ثم قال مُتَمَثِّلاً الشعر لنُصَيْبٍ وقيل لكَثَيِّرٍ والأول أثبت:

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عَطاءَهُ ... صَنيعةُ[2] تَقوى أو صَديقٌ تُوامِقُهْ
بَخِلْتَ وبَعْضُ البُخْلِ حَزْم وقُوَّةٌ ... فلم يَفْتَلِذْكَ المالَ إلا حَقائِقُهْ[3]

---

(١) سورة الملك: الآية ٦٧.

(٢) الضيعة: الاحسان والمعروف.

(٣) حقائق: جمع حقيقة وهي ما يجب عليك أن تحميه وما يلزمك حفظه ومنعه، يريد إذا كان صنيع =

ثم أقبل على القوم فقال: إنا والله ما نَجْمُدُ عن الحق ولا نَتَدَفَّقُ في الباطل، وإنَّ لنا لَحقوقاً تَشْغَلُ فُضولَ أموالنا، وما كلُّ مَن أفْلَسَ من الصيارفة احْتَلْنا لجبْرِهِ، قوموا رحمكم الله. قال: فابْتَدَرَ القومُ الأبواب. قوله: فلم يفتلذك المال يقول: لم يَقْتَطِعْ منك. يقال: فَلَذَ له من العطاء أي قَطَعَ له. وقال رسول الله ﷺ يوم بَدْر، حين قال الغلامان في القوم عُتْبَةُ بن رَبيعة، وَشَيْبَةُ بن ربيعةَ، وأبو الحَكَمِ بن هِشام، وأُمَيَّةُ بن خَلفَ، وفلان وفلان، فقال رسول الله ﷺ: هذه مكة ألْقَتْ اليكم أفْلاذَ كَبِدِها. وقال أبو قُحافة أَعْشى باهِلةَ، يعني المُنْتَشِرَ بن وَهْبٍ الباهِليَّ:

تَكْفيه فِلْذَةُ كِبْدٍ إنْ ألَمَّ بها ... من الشِّواءِ ويَكْفي شُرْبَهُ الغُمَرُ[1]

في الظلم

قال عبد الله بن عُمَيْر: استعمل عُتْبَةُ بن أبي سفيان رجلاً من آله على الطائف فظَلَمَ رجلاً من أَزْدِ شَنوءة، فأتى الأزْديُّ عُتْبَةَ فَمَثَلَ بين يديه، فقال:

أمَرْتَ مَن كان مظلوماً ليَأْتيكمْ ... فقد أتاكم غَريبُ الدارِ مَظْلومُ

ثم ذكر ظُلامته، فقال له عتبة: إني أراك أعرابياً جافياً، والله ما أحْسِبُك تدْري كم تصلي في كل يوم وليلة. فقال: أرأيتَ إنْ أنبأتُك ذلك، أتجعل لي عليكَ مسئلة؟ قال: نعم. فقال الأعرابي:

إنَّ الصلاةَ أرْبَعٌ وأرْبَعُ ... ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربعُ
ثم صَلاةُ الفَجْرِ لا تُضَيَّعُ

فقال: صدقتَ فاسأل. فقال: كم فقارُ ظَهْرِكَ؟ فقال: لا أدري. فقال: أفتَحْكُم بين الناس وأنت تَجْهَلُ هذا من نفسك؟ قال: رُدُّوا عليه غُنَيْمَتَهُ.

= الخير وصديقك الذي تتودد إليه لم يوجب عليك في مالك عطاء بسبب البخل، وما كل البخل مذموم ولا يقطع المال منك إلاّ ما يجب عليك، وهنا يقصد منع المال عن مثل هذا لا يوجب بخلاً مذموماً يهجي به.

(١) الغمرُ: قدح صغير.

قوله: فَقار انما هو جمعَ فَقارةٍ، ويقال: فِقْرَةٌ فمن قال في الواحد فِقْرةٌ قال في الجميع فِقَرٌ، كقولك: كِسْرَةٌ وكِسَرٌ. ومن قال للواحد فقارة قال للجميع فَقارٌ، كقولك: دجاجةٌ ودجَاجٌ وحَمامةٌ وحَمامٌ. وشهد أعرابي عند معاوية بشيء كرهه. فقال له معاوية: كذَبْتَ. فقال الأعْرابي: الكاذب واللّه مُتزَمِّلٌ في ثيابك. فقال معاوية وتبَسَّم: هذا جزاءُ مَن عَجِلَ. قال أبو العباس: قرأت على عبد اللّه بن محمد المعروف بالتَوَّزِيِّ عن أبي عُبَيْدَةَ مَعْمَر بن المُثَنَّى التَيْمِيّ قال: كانت السواقِطُ تَرِدُ اليَمامةَ في الأشهر الحُرُمِ لطلب التمر فإن وافقتْ ذلك وإلا أقامتْ بالبلد الى أوانه، ثم تخرج منه في شهرٍ حَرامٍ، فكان الرجل منهم اذا قَدِمَ يأتي رجلاً من بني حَنيفة، وهم أهل اليمامة، أعني بني حَنيفة ابن لُجَيْمِ بن صَعْب بن علي بن بَكر بن وائِلِ بن قاسِطِ بن هِنْبِ بن أفْصى بن دُعْمِيّ بن أسد بن رَبيعة بن نِزارٍ فيَكْتُبُ له على سَهْمٍ أو غيره فلان جارُ فلان، والسواقط مَن وَرَدَ اليمامة من غير أهلها، وقد كان النُعْمان بن المُنْذِرِ أراد أن يُجْلِيَهُم منها فأجراهم مُرارةُ بن سُلْمِيّ الحَنَفيّ، ثم أحد بني ثَعْلَبَةَ بن الدُولِ بن حَنيفةَ فسوَّغَهُ الملِكُ ذلك، فقال أوْسُ بن حَجَرٍ يحُضُّ النُعْمان عليه:

زَعَمَ ابن سُلْمِيٍّ مُرارةُ أنه ... مَوْلَى السواقِطِ دون آل المُنْذِرِ
مَنَعَ اليمامةَ حَزْنَها وسُهولها ... من كل ذي تاج كريمِ المفْخَرِ

السواقط عند العرب

وذكر أبو عبيدة أن رجلاً من السواقط من بني أبي بكر بن كلاب قَدِمَ اليمامة ومعه أخ له، فكَتَبَ له عُمَيْرُ بن سُلْمِيّ أنه له جار. وكان أخو هذا الكِلابيّ جميلاً فقال له قرينٌ أخو عمير: لا تَرِدَنَّ أبياتنا بأخيك هذا. فراه بَعدُ بين أبياتهم فقتله. قال أبو عبيدة: وأما المَوْلى فذُكِرَ أن قريناً أخا عُمَيْرٍ كان يتحدث الى امرأة أخي الكربي، فعَثَرَ عليه زوجُها فخافه قرينٌ عليها فقتله وكان عمير غائباً، فأتى الكِلابيُّ قبر سُلْمِيٍّ أبي عمير وقرينٍ فاستجار به وقال: (قال

أبو الحسن الأخفش: قال أبو العباس: قَرينٌ ووجدتِه بخط مَاذَ صاحبِ أبي عبيدة قُرَيْنٌ):

وإذا اسْتَجَرْتَ من اليمامة فاسْتَجِرْ زَيْدَ بن يَرْبوعٍ وآلَ مُجَمِّع
وأَتَيْتَ سُلْمياً فَعُذْتَ بقبره وأخو الزَمانةِ[1] عائذٌ[2] بالأمْنَعِ
أقُرينُ إنّكَ لو رأيتَ فوارِسي بعَمايَتَيْنِ[3] إلى جَوانب ضَلْفَع[4]
حَدَّثْتَ نَفْسكَ بالوَفاء ولم تَكنْ لِلْغَدْرِ خائنةً مُغِلّ الإصْبَع

فَلَجَأ قرينٌ الى قتادةَ بن مَسْلمة بن عُبَيْد بن يَرْبوع بن ثَعْلَبة بن الدُول بن حنيفة فحمل قتادةُ الى الكلابي دِياتٍ مُضاعَفةً، وفعلتْ وجُوهُ بني حَنيفةَ مثل ذلك، فأبى الكلابيُّ أن يَقْبَلَ، فلما قَدِمَ عمير قالت له أمه، وهي أم قرين: لا تَقْتُلْ أخاك وسُقْ الى الكلابي جميع ماله. فأبى الكلابيُّ أن يقبل وقد لَجأ قرينٌ الى خاله السَمينِ بن عبد اللّه فلم يَمْنَعْ عميراً منه، فأخذه عَمَيْرٌ، فمضى به حتى قَطعَ الوادي فرَبَطهُ الى نخلة. وقال للكلابي: أما إذا أَبَيْتَ إلا قتله فأمْهِلْ حتى أقطعَ الوادي وارْتَحِلَ عن جِواري فلا خير لك فيه. فقتله الكلابي. ففي ذلك يقول عمير:

قَتَلْنا أخانا للوَفاء بجارِنا وكان أبونا قد تُجيرُ مَقابِرُهْ

وقالت أم عمير:

تَعُدُّ مَعاذِراً لا عُذْرَ فيها ومَنْ يَقْتُلْ أخاه فقد ألاما

قوله: ولم تكن للغدر خائنةً ولم يقل خائناً، فإنما وضع هذا في موضع المصدر والتقدير ولم تكن ذا خيانة. وقوله: للغدر أي من أجل الغدر. وقال

---

(١) الزمانة: بالفتح المرض بدوم زماناً طويلاً هذا أصله وأراد بها هنا الضعف وعدم القدرة على منع نفسه فمن يريده بالأذى.

(٢) العائذ: الذي يعتصم بغيره.

(٣) عماية بالفتح: جبل وقد ثناه الشاعر.

(٤) ضلفع: موضع.

المفسّرون والنحويون في قوله اللّه عزّ وجل ﴿إنه لِحُبِّ الخَيرِ لشديدٌ﴾[٦] أي لشديدٌ مَن أجل حب الخير، والخير ههنا المال من قوله تعالى: إنْ تَرَكَ خيراً الوَصيَّةُ. وقوله: لشديدٌ أي لبخيل والتقدير واللّه أعلم انه لبخيل من أجل حبه للمال، تقول العرب: فلان شديد ومتشدِّدٌ أي بخيل. قال طَرَفةُ:

أرى الموتَ يَعْتامُ[٢] الكِرامَ ويَصطفي عَقيلَة مـال الفـاحِـشَ المُتَشَـدِّد

وَقلمَّا يجيء المصدر على فاعِل فما جاء على وزن فاعِل، قولهم: عُوفيَ عافيةً وفُلِجَ فلِجاً،[٣] وقُمْ قائماً أي قُمْ قِياماً، وكما قال: ولا خارجاً من فيَّ زورُ كلام، أي ولا يَخْرُجُ خروجاً وقد مضى تفسير هذا. والمُغِلُّ الذي عنده غلولٌ وهو ما يُحتانُ ويُحْتَجَنُ ويُستعمل مستعاراً في غير المال. يقال: غَلَّ يغلُ كقول اللّه عزّ وجل ﴿ومَن يَغْلُلْ يأتِ بما غَلَّ يَوْمَ القيامة[٤]﴾ ويقال: أغَلَّ فهو مُغِلّ إذا صودِفَ يَغُلَّ أو نُسِبَ اليه، ومن قرأ: وما كان لنبي أن يَغُلَّ، فتأويله أن يأخذ ويَستأثر. ومن قرأ: يُغَلَّ فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه، ويكون وهو الذي نختار أن يُخَوَّنَ، فان قال قائل: كيف يكون التقدير وقد قال: ما كان لنبي أن يُغَلَّ فيُغَلَّ لغيره، وانت لا تقول: ما كان لزيد أن يقومَ عمروٌ فالجواب انه في التقدير على معنى ما ينبغي لنبيٍّ أن يُخَوَّنَ، كما قال وما كان لنفْس أن تَموتَ إلا بإذن اللّه، ولو قلت: ما كان لزيد أن يقوم عَمرٌ اليه لكان جَيِّداً للراجع اليه، وكان جيداً على تقديرك ما كان زيدٌ ليقومَ عمروٌ اليه كما قلنا في الآية. والإصْبَعُ أفصح ما يقال. وقد يقال: أصْبَعٌ وإصْبِعٌ وأَصْبُعٌ وموضعها ههنا موضع اليد. يقال: لفلان عليك يَدٌ ولفلان عليك إصْبَعٌ وكلٌّ جَيِّدٌ وانما يَعْني ههنا النعمة. وأما قوله: قتلنا أخانا للوفاء

---

(١) سورة العاديات: الآية ٨.

(٢) يعتام: يأخذهم من القيمة بالكسر وهي خيار المال.

(٣) الفالج: استرخاء لأحد شقي البدن.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦١.

بجارنا، فيكون على ضربين أحدهما أن يكون فَخَّمَ نفسه وعظمها فذكرها باللفظ الذي يُذْكَرُ الجميع به، والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كِبْراً ولا ينبغي على حكم الاسلام أن يكون هذا مستعمَلاً الا عن اللّه عزّ وجل لأنه ذو الكِبْرياء، كما قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿إنا أنزَلْناهُ في ليْلةِ القَدْرِ﴾[1] وإنا أوَحَيْنا إليك وكل صفات اللّه أعلى الصفاتِ وأجلُّها فما اسْتُعْمِلَ في المخلوقين على تلك الألفاظ وان خالفتْ في الحكم فحَسن جميل كقولك: فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودودٌ الا ما وصفنا قَبْلُ من ذكر التَكبُّرِ، فإنك اذا قلت فلانٌ جبَّار أو متكبر كان عليه عيباً ونقصاً وذلك لمخالفة هاتين الصِفتين الحق وبُعْدِهما من الصواب، لأنهما للمُبْدِيءِ المُعيدِ الخالقِ الباريءِ، ولا يليق ذلك بمن تكسره الجَوْعةُ، وتُطْغيهِ الشَبْعةُ، وتَنْقُصُهُ اللحْظةُ وهو في كل أموره مُدبّرٌ. وأما القول الآخر في البيت وهو قتلنا أخانا فمعناه أنه له ولمن شايَعَهُ من عَشيرته. وأما قولها: ومن يقتل أخاه فقد ألاما تقول: أتى ما يُلامُ عليه، يقال: ألامَ الرجلُ إذا تَعَرَّضَ لأنْ يُلامَ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) سورة القدر: الاية ١.

٣٠ ـ باب في ما أنشد السعدي

قال أبو العباس: أنشدني السَعْدِيُّ أبو مُحَلِّم:

إنَّا سألْنا قَوْمَنا فَخِيارُهُمْ ... مَن كان أفضَلَهُمْ أبوه الأوّلُ
أعْطي الذي أعْطى أبوه قَبْلَهُ ... وَتَبَخَّلَتْ أبناءُ مَن يَتَبَخَّلُ

وأنشدني أيضاً:

لَطَلْحَةُ بنُ حَبيبٍ حين تَسْألُه ... أنْدى وأكرَمُ من فِنْدِ بن هطالِ
وبيتُ طَلحةَ في عِزٍّ ومَكْرُمةٍ ... وبيتُ فِنْدٍ إلى رِبْقٍ[1] وأجْمالِ[2]
ألا فَتىً من بني ذُبْيانَ يَحْمِلُني ... وليس يَحْمِلُني إلا ابنُ حَمَّالِ
فقلتُ طَلْحةُ أوْلى من عَمَدْتُ له ... وجئت أمْشي إليه مَشْيَ مُخْتالِ[3]
مُسْتَيْقِناً أنَّ حَبْلي سوف يُعْلِقُه ... في رأس ذَيَّالةٍ أو رأس ذَيَّالِ

قوله: إلى ربق وإجمال، إنما أراد جمع جَمَلٍ على القياس كما تقول في جمع باب فَعَل: جَمَلٌ وأجْمالٌ وصَنَمٌ وأصنامٌ. وقوله: ألا فتى من بني ذبيان يحملني يعني ذُبْيانَ بن بَغيضِ بن رَيْثِ بن غَطفَان بن سَعْدِ بن قَيْسِ بن[4] عَيْلانَ بن مُضَرَ. وأنشد بعضهم: وليس حامِلُني إلا ابنُ حَمَّالِ، وهذا لا يجوز في الكلام لأنه إذا نُوِّنَ الاسمُ لم يتصل به المضمر، لأن المضمر لا يقوم

---

(١) الربق: بالكسر حبل فيه عدة عرى يشد به الجمل.
(٢) الأجمال: جمع جمل.
(٣) المختال في الخيال وهي الكبر والعجب.
(٤) الأصح قيس عيلان.

بنفسه فإنما يقع معاقِبا للتنوين. تقول: هذا ضاربٌ زيداً غداً، وهـذا ضاربُـكَ غداً، ولا يقع التنوين ههنا، لأنه لو وقـع لانفصل المضمر وعلى هذا قـول اللّه تعـالى: ﴿إنّـا منجّيـك وأهْلَكَ﴾[1] وقـد رَوَى سيـوبـه ببيتين محمـولين على الضرورة وكلاهما مصنوع وليس أحد من النحويين المُفَتِّشينَ يُجيزُ مثل هذا في الضرورة لما ذكرتُ من انفصال الكناية. والبيتان اللذان رواهما سيبويه:

هُمُ القـائلونَ الخيـرَ والآمـرُونَـهُ إذا مـا خَشوا يَـوْماً من الأمرِ مُعْظَما[2]

وأنشد:

ولم يَرْتَفِقْ[3] والنـاسُ مُحْتَضِـرونَـهُ جَميعـاً وأيْدي المُعْنَفين[4] رَواهقهْ[5].

وإنمـا جاز أن تُبَيِّنَ الحـركـةَ إذا وَقفْتَ في نـون الأثنين والجميـع لأنـه لا يلتبس بالمضمر. تقـول: هما رَحُـلانِهْ وهم ضـاربونَـهْ إذا وقفتَ لأنـه لا يلتبس بالمضمر إذ كان لا يقع هذا الموقع، ولا يجوز أن تقـول: ضربتُـه وأنت تريـد ضَربْتُ والهاء لبيان الحركة، لأن المفعول يقع في هذا الموضع فيكـون لَبْساً. فـأما قـولهم: إرْمِهِ واغْـزُهْ، فتُلْحِقُ الهاءَ لبيـان الحركـة، فإنمـا جاز ذلـك لِمـا حَذَفْتَ من أصل الفعل ولا يكون في غير المحذوف. وقوله: في رأس ذيـالة، يعني فرساً انثى أو حصاناً. والذيّالُ الطويل الذَنَبِ، وإنما يُحْمَدُ منه طول شعر الذَنب وقِصَرُ العَسيبِ، وأما الطويلُ العسيبِ فمذموم. ويقال ذلك للثوْرِ أيضـاً أعني ذيالاً. قال امْرُؤُ القَيسِ:

فجـالَ الصُـوارُ واتّقينَ بقَـرْهَبٍ طَـويـلِ القَرا والـرَوْقِ أخْنَسَ ذَيّال[6]

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٣٣.

(٢) المعظم: النازلة الشديدة.

(٣) يرتفق: يتكيء على مرفق يده.

(٤) المعنفين: طالبي فضل ورزق.

(٥) الرواهق: التملي بالرفق.

(٦) الصـوار: ذكر بقـر الوحش، والقـرهب الثور الضخم، القـرا: الظهـر، الروق القـرن، أخنس: قصير الأنف.

ويقال أيضاً للرجل ذَيّال إذا كانَ يُجُرُّ ذَيْلَهُ إختيالاً. ويقال له: فَضْفاضٌ في ذلك المعنى.

في حديث عمر بن عبد العزيز لمؤدبه

ويروى عن **عمر بن عبد العزيز أنه قال لمُؤَدِّبِهِ**: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تُؤَدِّبُني؟ فقال: احْسَنَ طاعةٍ قال فأطِعْني الآن كما كنتُ أُطيعُكَ إذْ ذاك، خُذْ من شارِبكَ حتى تَبْدو شَفَتاكَ، ومن ثوبك حتى تَبْدُوَ عَقِباكَ، وقال رسول اللّه ﷺ: فَضْلُ الإزارِ في النار. وقال آخر:

ما لِدَدٍ ما لِدَدٍ مالَهُ	يَبكي وَقَدْ أَنعَمْتُ ما بالَهُ
ما لي آراهُ مُطرِقاً سامِياً	ذا سِنَةٍ يُوعِدُ أخوالَهُ
وذاكَ منه خُلُقٌ عادَةٌ	ان يَفعَلَ الأمرَ الذي قالَهُ
إنّ ابنَ بَيضاءَ وتَرْكَ النَدى	كالعَبْدِ إذْ قَيَّدَ أجمالَهُ
آليتُ لا أَدْفِنُ قَتْلاكُمُ	فَدَخنُوا المرْءَ وسِرْبالَهُ
والبِرْعُ لا أَبْغي بها نَشرةٌ	كُلُّ امرءٍ مُسْتَوْدَعٌ مالَهُ
والرُمْحُ لا امْلأ كفي به	والبِلْدُ لا أَتْبَعُ تَزْوالَهُ

قوله: ما لدد يعني رجلاً، ودَدٌ في الأصل هو اللَهْوُ. قال رسول اللّه ﷺ: لست من دَدٍ ولا دَدٌ منّي. وقد يكون في غير هذا الموضع مأخوذاً من العادة. وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمر، والفتح أصلها ولكن كُسِرَتْ مع الظاهر خوف اللَبْسِ بلام الخبر. تقول: إن هذا لِزَيْدٍ فيُعْلَمُ أنه شيء في ملك زيد. فإن قلتَ إن هذا لزَيْد في الوقف عُلِمَ قَبل الأدْراج أنه زَيْدٌ، ولو فتحتَ المكسورة لم يُعْلَمَ الملكُ من المعنى الآخر في الوقف، وأما المضمر فَبَيِّنٌ فيه لأن علامة المخفوض غير علامة المرفوع. تقول: إن هذا لكَ وإنّ هذا لأنتَ. وقوله: وقد انعمتُ ما بالهُ فما زائدة والبالُ ههنا الحال، والبال موضع آخر وحقيقته الفِكرُ. تقول: ما خطر هذا على بالي. وقوله: مطرقاً سامياً فالسامي الرافع رأسه. يقال: سَما يَسْمو إذا ارتفع،

والمُطْرِقُ الساكتُ المُفَكِّرُ المُنَكِّسُ رأسَهُ فإنما أراد سامياً بنفسه. وقوله: ذا سنَةٍ يقول: كأنه لطولِ إطْراقه في نَعْسةٍ. وقوله: كالعبد إذ قَيَّدَ أجماله يريد أنه غير مُكْتَرِثٍ لاكتساب المجْدِ والفضل، وذلك أن العبد الراعي إذا قَيَّدَ أجماله لفَّ رأسه ونام حَجْرَةً. وهذا شبيه بقوله: واقْعُدْ فإنَّك أنتَ الطاعِمُ الكاسي. وقوله: فدخَّنوا المرء وسرباله يروي أنه طَعَنَ فارساً منهم فأحْدَثَ فقال: نَظِّفوهُ فإني لا أَدْفِنُ القتيلَ منكم إلا طاهراً. وقوله: والدرع لا أبغي بها نثرة، فالنَّثْرةُ الدِرْعُ السابغة. يقول: دِرْعي هذه تكفيني. وقوله: كل امرىء مُسْتَوْدَعٌ مالهُ أي مُسْتَرْهَنٌ بأجَلِهِ وهو كقول الأعْشى:

كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لابِسِ جُنَّةٍ[1] ... بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً[2] أبطالها

وعَلِمْتُ أنّ النفسَ تَلْقى حَتْفَها ... ما كان خالقُها الفَضيلُ قَضَى لها

وقوله: الرمح لا أملأ كفي به، يُتأوّلُ على وجهين أحدهما انّ الرمح لا يملأ كفي وحده أنا أُقاتل بالسيف والرُمْحِ وبالقَوْس وغير ذلك، والقول الآخر: إني لا أملأ كفي به إنما اخْتَلِسُ به اختلاساً كما قال الشاعر:

ومُدَجَّجٍ سَبَقَتْ يَدايَ لَهُ ... تَحْتَ الغُبارِ بطَعْنَةٍ خَلْسِ

وقوله: واللبد لا أتبع تَرْواله، يقول: إن انْحَلَّ الحِزام فمال اللبد لم أمِلْ معه أي أنا فارسٌ ثَبْتٌ. وقال الفَرزْدَقُ ونزل به ذِئْبٌ فأضافه:

وأَطْلَسَ عَسَّالٍ وما كان صاحباً ... رَفَعْتُ لناري مَوْهِناً[3] فأتاني

فلمَّا دنا قلتُ ادْنُ دونَكَ[4] إنني ... وإيّاكَ في زادي لَمُشْتَرِكانِ

فَبِتُّ أُقَدُّ[5] الزادَ بيني وبينهُ ... على ضَوْءِ نارٍ مَرَّةً ودُخانِ

---

(١) جنة: بالضم، كل ما يقيك الأذى.

(٢) المعلم الذي وسم نفسه بسيماء الحرب والذي علق على فرسه صوفاً ملوناً في الحرب.

(٣) رفعت لناري: يريد رفعت له ناري الموهن: نحو من نصف الليل.

(٤) دونك: كلمة يراد بها الإغراء وفيها دعوة إلى الطعام.

(٥) القد: المستطيل: يريد أقسم زادي بين وبينه على ضوء نار ودخان.

وقلتُ لـه لمـا تكَشَّرَ[1] ضـاحِكـاً ... وقـائِمُ سَيْفي من يَـدي بَمكـانِ
تَعَشَّ فـإنْ عـاهَـدْتَني لا تَخـوُنُني ... نَكُنْ مثـلَ مَن يا ذِئْبُ يَصـطحِبـان
وأنتَ امْـرُؤٌ يـا ذِئْبُ والغـدرُ كُنْتمـا ... أُخَيَّيْـنِ كـانـا أُرْضِعـا بلِبانِ[2]
ولـو غَيـرَنـا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرى[3] ... رمـاكَ بسَـهْـمٍ أو شَبـاةِ سِـنـانِ

وقوله: وأطلسَ عسَّالٍ فالأطْلَسُ الأغْبَرُ.

في وصف الذئب

وحدّثني مسعود بنِ بِشْرٍ قال: أنشـدني طاهـر بن عليٍّ الهـاشمـي قـال: سمعت عبد اللّه بن طاهر بن الحسين ينشد في صفة الذئب:

بَـهْـمُ[4] بـنـي مُـحـاربٍ مُـذْ دارُهُ ... أَطْـلَسُ يُخْـفـي شَـخْـصَـهُ غُـبـارُهُ
في شِـدْقِـهِ شَفْـرَتُـهُ ونـارُهُ

قـوله: يخفي شخصـه غباره يقـول: هو في لـون الغبار فليس يُتَبَيَّنُ فيـه. وقـوله: عَسّـال فإنمـا نسبه إلى مِشْيَتِهِ. يقال: مَرَّ الذئبُ يَعْسِـلُ، وهـو مَشْيٌ خفيف كالهَرْوَلةِ. قال الشاعر (هو ساعِدَةُ) يَصِفُ رمحاً:

لَـدْنٌ بِهَـزِّ الكَفِّ يَعْسِـلُ مَتْنُـهُ ... فيـه كمـا عَسَـلَ الـطريقَ الثَّعْلَبُ

وقال لَبيدٌ:

عَسَـلانَ الـذئبِ أمْسى قـارِبـاً ... بَـرَدَ الـلـيـلُ عـلـيـه فَـنَـسَـلْ

قـال أبو عُبيـدة: نَسَـلَ في معنى عَسَـلَ. وقـال اللّه عـزّ: ﴿فـإذا هُمْ من الأجْـداثِ إلى ربهم يَنسلونَ﴾[5] وخَفَضَ بهـذه الـواو لأنهـا في معنى رُبَّ،

---

(١) كشر: أظهر أسنانه.
(٢) أخيين: مصغر أخ، اللبان: كالرضاع يقال هو أخوه بلبان أمه قال ابن السكيت ولا يقال بلبن أمه.
(٣) القرى: ما يقرى به الضيف.
(٤) البهم بالفتح أولاد الضأن أو المعز والبقر إذا اجتمعت.
(٥) سورة يس: الآية ٥١.

وإنما جاز أن يُخْفَضَ بها لوقوعها في معنى رب لأنها حرف خفض، وهي أعني الواو تكون بدلاً من الباء في القَسَم لأن مَخْرجها من مخرَجَ الباء من الشَّفَةِ، فإذا قلت: واللَّهِ لأفْعَلَنَّ، فمعناه أُقسِمُ باللَّه لافعلنْ، فإن حذفتها، قلت: اللَّهَ لا فعلنْ، لأن الفعل يقع على الاسم فينصبه، والمعنى معنى الباء. كما قال عز وجل: ﴿واختارَ موسى قَوْمَهُ سَبْعينَ رجلاً لِميقاتِنا﴾[1]. وَصلَ الفعلُ فعَمِلَ، والمعنى معنى مِن، لأنها للتبعيض. فقد صارت الواو تَعْمَلُ بلفظها عَمَلَ الباء، وتكون في معناها وتعمل عمل رب لاجتماعهما في المعنى للاشتراك في المخْرَج. وقولـه: رفعتُ لناري من المقلوب، إنما أراد رَفَعْتُ له ناري. والكلام إذا لم يَدْخله لَبْسٌ جاز القلب للاختصار.

قال اللَّه عز وجل: ﴿وآتيناه من الكُنوز ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنوءُ بالعُصْبةِ أُولي القُوّةِ﴾[2]. والعصبةُ تَنوءُ بالمفاتيح، أي تستقل بها في ثِقْلٍ. ومن كلام العرب: إن فلانة لتنوء بها عَجيزتُها. والمعنى لَتَنوءُ بعجيزتها. وأنشد أبو عبيدة للأخْطلِ:

أمّا كُلَيْبُ بن يَرْبوعٍ فليس لها ... عند التَفاخُرِ إيرادٌ ولاصَدَرُ[3]
مُخَلِّفونَ[4] ويَقْضي النّاسُ أمْرَهُمُ ... وهُم بعَيْبٍ وفي عَمْياءَ ما شَعَروا
مِثلُ القَنافِذِ هَدّاجونَ[5] قد بَلَغَتْ ... نَجْرانُ أو بَلَغَتْ سَوآتِهِمْ هَجَرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السَعَةِ. ويروى أن يونس بن حَبيبٍ قال لأبي

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٥.

(٢) سورة القصص: الآية ٧٦.

(٣) الايراد: مصدراً أورده أحضره المورد والصدر عركاً رجوع الشاربة في الورد، يقول أن كليب بن يربوع ليس لهم مفاخر يردون بها يوم التفاخر ولا يصدرون عنها - يصفهم بأنهم لؤماء لا فضل لهم ولا مجد عندهم ولا شرف في نسبهم.

(٤) مخلفون يريد أن الناس يردونهم إلى خلق لذلتهم وهوانهم عليهم وهو يغيب أي في شك وحيرة وفي عمياء يريد أنهم في طريق يعمر أمرها ولا تعرف أعلامها وآثارها يصفهم بالجهل والضلال.

(٥) هداجون مبالغة في الهدج مصدر هدج - يهدج من باب ضرب إذا مشي مشياً فيه ارتعاش يريد أنهم لصوص يسرقون خفية فيمشون تلك المشية.

الحسن الكسائي: كيف تُنشِدُ بيت الفَرَزْدَقِ؟ فأنشده:

غَـداةَ أحَـلَّتْ لابن أصْـرَمَ طَـعْنَـةٌ حُصَيْنٍ عَبيطاتِ السَّدائِفِ[1] والخَمرُ

فقال الكسائي لما قال: غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف تمَّ الكلام، فحَمَلَ الخمر على المعنى، أراد وحَلَّتْ له الخمرُ. فقال له يونس: ما أحْسَنَ ما قلتَ، ولكن الفرزدق أنشَدَنيهِ على القَلبِ، فنصب الطعنةَ ورفع العبيطاتِ والخمرَ على ما وصفنا من القَلب، والذي ذهب إليه الكسائي، أحسن في مَحْضِ العربية وإن كان إنشاد الفرزدق جَيِّداً. وقوله: فلما دنا قلتُ ادنُ دونك، أمر بعد أمر وحَسُنَ ذلك: لأن قوله ادْنُ للتقريب. وفي قوله دونك أمره بالأكل، كما قال جَرير[2] لعَيَّاشِ بن الزبْرِقانِ:

أعيَّاشُ قد ذاق القُيونُ[3] مَواسِمي وأوْقَدْتُ ناري فادْن دونك فاصْطَلِ

(جمع مِيَسَمٍ وهو حديدة يَصْنَعُ بها البَيْطارُ). وقوله: على ضوء نارٍ مرة ودخانٍ، يكون على وجهين أحدهما على ضوءِ نارٍ وعلى دخانٍ، أي على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خَبَتْ وجائز ان يَعْطِفَ الدخان على النار وإن لم يكن للدخان ضِياءٌ، ولكن للاشتراك كما قال الشاعر:

يا لَيْتَ زَوْجَكِ قد غَدا مُتَقَلِّداً سَيفاً ورُمْحا

لأن معناهما الحَمْلُ، وكما قال: شَرَّابُ أَلْبانٍ وتمْرٍ وأقِطْ، فأدْخَلَ التمر في المشروب لاشتراك المأكول والمشروب في الحُلوقِ. وهذه الآية تُحْمَلُ

---

(١) عبيطات: جمع عبيطة وهي الذبيحة تنحر في غير علة وهي سمينة السدائف: جمع سديف وهو شحم السنام وكان حصين بن أصرم قتل له قريب محرم على نفسه أكل اللحم وشرب الخمر حتى يأخذ بثاره وما زال كذلك حتى نال ثأره فحل له ما كان حرمه على نفسه في زعمه.

(٢) جرير بن عطية الخطفي، من بني كليب بن يربوع، أحد فحول الشعراء في العصر الأموي، اشتُهر بالنقائض مع الأخطل والفرزدق، وتهاجى مع الطرمّاح بن حكيم الطائي.
أنظر: الأغاني ٨/٣ و١١/٥٥ و١٥/٢٧٣، و١٦/٢٤٥، الشعر والشعراء ٣٠٤، شرح شواهد المغني، الموشح، خزانة الأدب ١١/٣٦ وغيرها.

(٣) القيون جمع قين وهو الحداد وأراد بالمواسم قوادع الهجاء في شعره الذي كان يذمهم به.

على هـذا: ﴿يُرْسَـلُ عليكما شُـواظٌ من نـارٍ ونُحاسٍ﴾[1]، والشُواظُ اللهَبُ لا دخان له. والنُحاسُ الدخان، وهو معطوف على النار وهي مخفـوضة بـالشواظِ لما ذَكرتُ لك قال النابغةُ الجَعْديُّ:

تُضيءُ كمِثْـلِ سِـراجِ الـذُبـا ل لِ لمْ يَجْعَـلِ اللَّهُ فيه نُحاسا[2]

أي دخـاناً. قـوله: نكن مثـل من يا ذئب يصـطحبان (مَنْ يجـوز أن يكون نكرة موصوفة، تقديره مثل اثنين يصطحبان، وأن يكون بمعنى الذي يصطحبان صلته). فمَن تقع للواحد والأثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد فإن شئت حَمَلتَ خبرها على لفظها. فقلتَ: مَن في الدار يُحِبُّكَ؟ عَنَيْتَ جميعاً أو اثنين أو واحـداً ومؤنثاً، وإن شئت حَمَلتَـهُ على المعنى فقلت: يُحِبّانِـكَ وتُحبُّـكَ إذا عَنَيْتَ امرأة، ويُحِبُّونَكَ إذا عنيت جميعاً، كل ذلك جائز جيد.

قال اللَّه عزّ وجـل: ﴿ومنهم مَنْ يُؤمِنُ به، ومنهم مَن لا يؤمن بـه، ومنهم مَن يقـول ائْـذَنْ لي ولا تَفْتِنِّي﴾[3]. وقـال، فَحَمَـلَ على المعنى: ومنهم مَن يستعمون إليك. وقرأ أبو عمرو: ومَن يقنُتْ مِنكنَّ للَّه ورسولـه وتَعْمَلْ صالحاً، فحَمَـلَ الأول على اللفظ والثاني على المعنى. وفي القـرآن: ﴿بَلى مَن أَسْلَمَ وَجْهَـهُ للَّه وهو مُحْسِنٌ فله أجـره عنـد ربـه﴾[4]، فهـذا كله على اللفظ. ثم قال: ﴿ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾[5] على المعنى. وقـوله: أو شبـاة سنان. فالشَبا والشَباةُ واحد وهوالحَدُّ، ومما يُسْتَحْسَنُ في وصف الجود والحَثُّ على المبادرة به. وتعريف حمد العـاقبة فيـه قول النَمِـر بن تَوْلَبٍ العُكْليّ أحـد بني عُكلِ بن عبد مَناةَ بن أُدٍّ بن طابخـة بن الياسِ بن مُضَـرَ. (قال ابن سـراج رحمه اللَّه من رواه الياس فقـد أخطأ إنمـا هو ابن اليْـاسِ بوصـل الألف وكسر

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٥.
(٢) الذُبال: بالضم جمع ذُبالة كثُمامة وهي الفتيلة.
(٣) سورة التوبة: الآية ٤٩.
(٤) سورة البقرة: ص ١١٢.
(٥) سورة البقرة: الآية ١١٢.

السين والألف واللام للتعريف والاسم يَأس مشتق من يَئِسْتُ).

أعاذِلَ انْ يُصْبِحْ صَدايَ بقَفْرةٍ[1] بَعيداً نآني صاحبي وقَريبي
تَرَىْ أن ما أبقَيْتُ لم أكُ رَبَّهُ وأنَّ الذي أنفَقْتُ كان نصيبي
وذي إبِلٍ[2] يَسْعى وَيحْسِبُها له أخي نَصَبٍ في رَعْيِها ودُؤوبِ
غَدَتْ وغدا رَبٌّ سِواه يَقودُها وبُدِّلَ أحجاراً وجالَ قَليبِ

قوله: إن يصبح صداي بقفرة فالصَدى على ستة أوجه، أحدها ما ذكرنا وهو ما يبقى من الميت في قبره. والصَدى الذَكَرُ من البُوم. قال ابن مُفَرِّغ (اسمه ربيعةُ وسمي مفرغاً لأنه شرِبَ سِقاءين ففَرَّغَهُما):

وَشَرَيْتُ بُرْداً ليتني من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامَهْ
هَتّافَةً تَدْعو صَدَى بين المُشَقَّرِ واليمامَهْ[3]

ويقال فلان هامةُ اليومِ أو غَدٍ أي يموت في يومه أو في غَدِهِ. ويقال ذلك للشيخ إذا أسَنّ والمريضِ إذا طالت عِلَّتُهُ والمُحْتَقَرُ لمدّة الآجال. (رواية عاصِمِ بن أيُّوبَ رحمه اللّه برفع المحتقر يرفعه بالابتداء ويُضْمرُ الخبر فيكون التقدير والمحتقرُ لمدة الآجال يقال ذلك له، ورواية ابن سِراج بالخفض على العطف). وفي الحديث أن حِسْلاً أبا حُذَيْفَةَ بن حِسْلِ بن اليمان. قال لشيخ آخر تَخَلَّفَ معه في غزْوةِ أُحُدٍ: إنهَض بنا ننْصُرُ رسول اللّه ﷺ فإنما نحن هامةُ اليومِ أو غدٍ، وكانا قد أسَنَّا (حِسْلٌ أبو حُذَيْفَةَ وهو حِسْلُ بن جابر وهو اليَمان أبو حذيفة بن اليمان والشيخ الذي تخلف معه ثابت بن رَقْشٍ[4]

---

(١) القفرة: الخلاء من الأرض.
(٢) ذي إبل: صاحب إبل. ويقال للأغنياء ممن يملكون الكثير من الإبل.
(٣) هتافة: أي ذات صوت والمشقر: كمعظم معنى بالبحرين قديم واليمامة بلاد الجو وهي دون المدينة تبعد عن البصرة ستة عشر مرحلة وعن الكوفة نحوها وبها كان مسيلمة الكذاب وزرقاء اليمامة التي كانت تبصر الراكب في مسافة ثلاث أيام فيما زعموا.
(٤) رقش: بن زغبة بالضم من الأوس.

الأنصاريُّ). والصدى حُشْوةُ الرأس. يقال لذلك الهامةُ والصَدى وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية، أن الرجل كان عندهم إذا قُتِل فلم يُدْرَكْ به الثأرُ أنه يخرج من رأسه طائر كالبُومة، وهي الهامة، والذكر الصَدى، فيَصيح على قبره اسْقوني اسْقوني فإن قُتِلَ قاتله كفَّ ذلك الطائر. قال ذو الإصْبَعِ العَدْوانيُّ أحدُ بني عَوْان بن عمرو بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَرَ (وهو حُرْثانُ بن مُحرِّثٍ سمي بذي الاصبع لأنه ان له اصبع زائدة وقيل لأن حيةً عضته في اصبعه):

يا عَمْرو إلّا تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي أضْرِبْكَ حيثُ تَقولُ الهامةُ اسْقوني

والصَدى ما يَرْجِعُ عليك من الصوت إذا كنت بمُتَّسَعٍ من الأرض أو بقُرْبِ جبل. كما قال:

إني على كل إيساري ومَعْسُرَتي أدْعو حُنَيْفاً[1] كما تُدعى ابنةُ الجَبَل

يعني الصَدى، وتأويله أنه يجيبني في سرعة اجابةَ الصَدى. وقال آخر.

كأني إذْ دَعَوْتُ[2] بني سُلَيْمٍ دَعَوْتُ بدَعوتي لَهُمُ الجِبالا

والصَدَأُ مهموز صَدأُ الحديد وما أشبهه. قال النابغة الذُبيانيّ:

سَهِكينَ[3] من صَدَإِ الحديدِ كأنَّهُمْ تَحْتَ السَنَوَّرِ جِنَّةُ الَقارِ

وقال الأعْشى:

فأمّا إذا ركبوا فالوجو هُ في الرَوْعِ من صَدَإِ البَيْضِ[4] حمّ

والصَدى مصدر الصَدِي وهو العطشان. يقال: صَدِيَ يَصْدى صدَىً وهو صَدٍ. قال طَرَفةُ: سَتَعْلَمُ إن مِتْنا صَدىً أيُّنا الصَدي. (ويروى صَدى أيُّنا

---

(١) ادعو حنيفاً: فيه حذف والمعنى ـ فيجبني إلى ما ادعوه إليه يصف حنيفاً بالنجدة وسرعة الاغاثة.

(٢) دعوتك بدعوتي: أراد الجبال والصدى الذي يجيب من خلالها.

(٣) سهكين: من السهك، محركاً وهو ريح كريهة من عرق.

(٤) البيض بالفتح: جمع بيضة وهي زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة أو حلق يتقنّع بها المسلح.

بخفض أينا على الإضافة، فصَدىً على هذه الرواية يرتفع بالابتداء، والصدق الخبر). وقال القُطاميّ:

فهُنَّ يَنْبِذْنَ[1] من قولٍ يُصِبْنَ به مَواقِعَ الماءِ من ذي الغُلَّةِ الصادي

تأويل قوله: نآني يكون على ضربين أبْعَدَني وأحسنُ ذلك أن يقول أنْآني. وقد رُوِيتْ هذه اللغة الأخرى وليست بالحَسَنةِ، وإنما جاءت في حروف يقال: غاضَ الماءُ وغِضْتُهُ، ونزَحَت البئرُ ونَزَحْتُها، وهَبطَ الشيءُ وهَبَطْتُهُ، وبنو تميم يقولون أهْبَطْتُهُ، وأحْرُفٌ سوى هذه يسيرة، والوجه في فَعَلَ أفْعَلْتُهُ نحو دَخَلَ وأدْخَلْتُهُ، ومات وأماتَهُ اللّه، فهذا الباب المُطَّرِدُ، ويكون نآني في موضع نأى عني.

كما قال اللّه عز وجل: ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرونَ﴾[2] أي كالوا لهم أو وزنوا لهم. وقوله: ودُؤوبِ، يقول وإلحاحٍ عليه، تقول: دَأبْتُ على الشيء. قال الشاعر (هو الراعي):

دَأبْتُ إلى أن يَنبُتَ الظِلُّ بَعْدَما تقاصَرَ حتى كاد في الآل يَمْصَحُ

وقوله جل ثناؤه ﴿كَدَأبِ آلِ فِرعَوْنَ﴾[3]، يقول كعادتهم وسنَّتهمْ. ومثله الدِينَ والدَيْدَنُ وقد مَرَّ هذا. وقوله: وبُدِّلَ أحجاراً وجالَ قليبٍ. فالجالُ الناحية، يقال لكل ناحية من البئر والقبر وما أشبه ذلك، جالٌ وجُولٌ وقال مُهَلْهِلٌ:

كأنَّ رِماحَهُمْ أشطانُ بئرٍ بَعيدٍ بَينُ جالَيْها جَرورِ[4]

ويقال رجل ليس له جُولٌ أي ليس له عقل وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائي:

---

(١) ينبذن: من النبذ وهو طرح الشيء.

(٢) سورة المطففين: الآية ٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١١.

(٤) الاشطان جمع شطن بالتحريك الحبل الطويل ويعيد صفة للبئر والجور: البئر البعيدة القرع.

أمـاويَّ أنْ يُصْبِـحْ صَـدايَ بـقَفْـرةٍ من الأرض لا مـاءٌ لـدَيَّ ولا خَمْـرُ
تَـرَيْ أنّ مـا أبْـقَـيْـتُ لـم أكُ رَبّـهُ وانّ يَـدي ممـا بَخِلْتُ بـه صِفْـرُ[1]

وقال الحرث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُريُّ[2] في هذا المعنى:

قـلتُ لـعَـمْـرٍ حـيـن أرْسَـلتُـهُ وقـد حَبـا من دُونـنـا عـالِجُ[3]
لا تَكسَـعِ الشَوْلَ بِـأغْبـارهـا إنـكَ لا تَـدْري مَـن النـاتِجُ[4]
واصْبُبْ لأضْـيـافِـكَ ألبـانـهـا فـإنَّ شـرّ الـلبـنِ الـوالِـجُ

قوله: لا تكسع الشول باغبارها، فإن العرب كانت تَنْضِحُ على ضُروعها الماءَ الباردَ ليكون أسمَنَ لاولادها التي في بطونها، والغُبرُ بقية اللبن في الضَرْعِ فيقول: لا تُبقِ ذلك لِسِمَنِ الأولاد فإنك لا تدري من يَنْتِجُها، فلعلك بموت فتكونُ للوارث أو يُغارُ عليها. وروى عن رسول اللّه ﷺ أنه قال «يقول ابن آدم مالي، مالي ومالَكَ من مالِكَ إلا ما أكلتَ فأفْنَيْتَ أو لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ أو أعطيتَ فأمْضَيْتَ.» ويروى عن بعضهم أنه قال: إني أُحِبُّ البقاء، وكالبقاء عندي حُسْنُ الثَناء. وأنشد أبو عثمان عمرو بن بَحْرٍ الجاحِظُ.

فـإذا بَـلغتمْ أرَضـكُـم فَـتَـحـدَّثـوا ومـن الـحـديث مَـتـألـفٌ وخُـلودُ

وأنشد:

فـأثْـنـوا عَـلـيـنـا لا أبـا لأبـيـكُـم فـأفـعـالـنـا إنّ الثـنـاءَ هـو الـخُـلْدُ

---

(١) الصفر: الخالي.

(٢) اليشكري: نسبة إلى يشكر بن علي بن بكر بن وائل.

(٣) عالج: موضع به رمل وحبا الشيء له اعترض من دونه.

(٤) كسع الناقة: ترك بقية من لبنها في ضرعها، يريد بذلك تغزيرها وهو أن يدع حلبة بين حلبتين وذلك إذا أدبر لبن الناقة. والشول بالفتح جمع شائلة على غير قياس، وهي من الإبل، ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر، فجف لبنها والأغبار جمع غبر بالضم بقية الشيء وغلب على بقية اللبن في الضرع وبقية دم الحيض والناتج للابل كالقابلة للنساء.

في الكرم والجود

وقال معاوية لابن الأشعث بن قيس ما كان جَدُّك قيس بن مَعدي كرِبَ أعطى الأعشى؟ فقال: أعطاه مالاً وظَهراً ورقيقاً وأشياء أُنسيتُها. فقال معاوية ولكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنسى. وقال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه لابنه هَرِمِ بن سِنانٍ المُرِّيِّ: ما وَهْبَ أبوكِ لزُهَيرٍ؟ فقالت: أعطاه مالاً وأثاثاً أفناه الدهر. فقال عمر: لكن ما أعطاكموه لا يُفنيه الدَهْرُ.

وقال المفسرون في قول اللّه عز وجل عن إبراهيم صلوات اللّه عليه: ﴿واجْعَلْ لي لِسان صِدْقٍ في الآخرين﴾[1] أي ثناءً حسناً. وفي قوله تعالى: ﴿وتَرَكنا عليه في الآخِرين سلامٌ على إبراهيم﴾[2] أي يقال له هذا في الآخِرة، والعرب تحْذِفُ هذا الفعل، من قال ويقول إستغناء عنه. قال اللّه عز وجل: ﴿فأما الذين اسْوَدَّتْ وجُوهُهُم أكفَرْتمْ بَعْدَ إيمانكم﴾[3]، أي فيقال لهم. ومثله: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نَعْبُدُهمْ إلا ليُقرِّبونا إلى اللّه زُلفى﴾[4] أي يقولون. وكذلك: ﴿والملائكة يَدخُلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم﴾[5] (حدّثنا يموتُ بن المُزَرِّع البصريُّ. قال حدثنا رفيعُ بن سَلمَةَ المُنَبِّزُ بدَماذَ قال حدثنا أبو عُبَيدةَ قال: قال الحجّاجُ يوماً لعَمائر العرب وهم في مجلسه: ما أحْسِبُ هذا المَزونيَّ [6] يُناصِحُنا في حَزْبنا يعني المُهَلّبَ والرأيُ مشتركٌ. فقالوا: الرأيُ للأمير أصلحه اللّه أن يَكتُبَ إلى ابن الفُجاءةِ باطعامه بَعضَ الأرَضينَ، فإذا هو نَخَع[7] بطاعته وأظهَرَ الدعوة له سَهُلَتْ الحيلةُ فيه فقال

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٨٤.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٢٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٦.

(٤) سورة الزمر: الآية ٣.

(٥) سورة الرعد: الآية ٢٣.

(٦) المزوني: نسبة إلى مزون كصبور وهي أرض عمان.

(٧) نخع بالطاعة أي أقر بها وخضع.

وفقكم اللّه. وكتب إلى ابن الفُجاءةِ وأنفذه على يد الغَضْبان بن القَبَعْثَرى الشيبانيّ نسخة الكتاب بسم اللّه الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف إلى قَطَريّ بن الفُجاءةِ: سلامٌ عليك الموحدُ اللّهُ والمُصَلى عليه محمد عليه السلام، أما بعد فإنك كنتَ أعرابياً بَدَوِيّاً تَسْتَطعِمُ الكِسرةَ وتخِفُّ إلى التَمْرة، ثم خَرَجْتَ تُحاوِلُ ما ليس لك بحق واعْترضتَ على كتاب اللّه ومَرَقتَ من سُنة رسول اللّه ﷺ، فارْجِعْ عما أنتَ عليه بما زُيِّنَ لك وادعني فقد آن لك. فلما أوْصَلَ الغضبانُ الكتاب إلى قَطريّ. قال يا غلام ازْبُرْ[1] هذه الصحيفةَ، فتلا عليه ما فيها، فتَنَهّدَ قطريٌّ الصُّعَداءَ فقال: يا غضبان ألفَيْتَني محزوناً وأنشأ يقول:

فيا كبِداً من غيرِ جوعٍ ولا ظَمأ ... وواكَبِداً من وَجْدِ أُمِّ حَكيم
فلو شَهِدَتني يَوْمَ دُولابَ أبْصَرَتْ ... طِعانَ فتىً في الحربِ غيرِ لئيم
غداةَ طَفَتْ عَلماءِ بَكرُ بنُ وائلٍ ... وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تميم
وكان بعبدِ القَيْسِ أوّلُ حَدِّنا ... وآب عميدُ ازْدِ غيْرَ ذميم

يعني المُهَلّبُ، وأمُّ حكيم هذه امرأة من الخوارج قُتِلتْ بين يديه ثم قال: يا غلامُ اكتُبْ بسم اللّه الرحمن الرحيم من قَطَريّ بن الفُجاءةِ إلى الحجاج بن يوسف، سَلامٌ على من اتّبعَ الهُدى، ذكرتَ في كتابك أني كنتُ بَدَوِيّاً أستطعم الكِسرةَ وأبْدُرُ إلى التمرة وباللّه لقد قلتَ زُوراً بل اللّه بَصّرَني من دينِهِ ما أعماكَ عنه، إذ أنتَ سائحٌ في الضلالة غرقٌ في غَمراتِ الكُفْر، ذكرتَ أن الضرورة طالت بي فَهَلاّ بَرَزَ لي مِن حِزبكَ مَن نال الشِبَعَ واتّكأ فاتّدَعَ، أما واللّهِ لَئِنْ أبرزَ اللّه صَفْحَتَك وأظهَرَ لي صُلعَتَكَ لتُنْكِرَنّ شبعَكَ ولَتعلَمنّ أنّ مُقارعةَ الأبطال ليس كتسطير الأمثال).

(١) أزبر: إقرأ.

٣١ ـ باب في الخطابة

قال أبو العباس: قال **عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه** في خُطبة له: أيها الناس اتقوا اللّه الذي إن قلتم سَمِع وإن أضمرتم عَلِمَ وبادِروا الموتَ الذي إن هَرَبْتمْ منه أدرككم، وإن أقمتم أخَذَكم[1]. قال وحدثني التَوَّزيُّ في إسنادٍ ذكَره آخرُه عبد المَلِكِ بن عُمَيْرٍ اللَّيْثيُّ، قال: بيننا نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسنة يَخرُجُ الرجلُ منهم في العشرة والعشرين من مَواليه إذ أتى آتٍ فقالَ: هذا الحجاج قد قَدِمَ أميراً على العراق فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمّاً بعِمامة قد غطّى بها أكثر وجهه، مُتَقَلِّداً سيفاً مُتَنَكِّباً قوساً يَؤُمُّ المِنبرَ. فقام الناس نحوه حتى صَعِدَ المنبر فمكث ساعة لا يتكلم. فقال الناس بعضهم لبعض قَبَّحَ اللّه بني أُمَيَّةَ حيث تَسْتعْمِلُ مثل هذا على العِراق، حتى قال عُمَيْرُ بن ضابىءٍ البُرْجِميُّ ألا أحْصِبُهُ[1] لكم. فقالوا: أمْهِلْ حتى ننظُرَ، فلما رأى عيون الناس إليه حَسَرَ اللِثامَ عن فيه، ونهض فقال (هو لسُحَيْمٍ بن وثيلٍ الرياحيِّ):

أنا ابْنُ جَلا وَطَلّاعُ الثَنايا ... مَتى أضَعِ العِمامةَ تَعْرِفوني

ثم قال: يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوساً قد أيْنَعَتْ وحان قِطافُها، وإني لصاحِبُها وكأني أنظر إلى الدِماء بين العمائم واللِّحى، ثم قال (الشعر لرُوَيْشِدِ بن رُمَيْضٍ العَنبَرِيّ):

---

(١) أحصبه: أرجيه بالحصباء والفعل كضرب.

هـذا أوانُ الشَـدِّ [1] فاشْتَدِّي زِيَـمْ قـدْ لَفَّهـا الـليـلُ بسَـوّاقٍ حُـطَـمْ
لـيس بـراعـي إبـلٍ ولا غَـنَـمْ ولا بِـجـزّارٍ على ظَـهْـرِ وَضَـمْ [2]

ثم قال:

لقـد لَفَّـها الليْلُ بـعصـبليّ أرْوعَ خَـرّاجٍ مـن الـدَوّيّ
مُهـاجـرٍ ليـس بأعـرابيّ [3]

وقال:

قـد شَمَّرَتْ عن سـاقهـا فشُـدّوا وجَـدَّتْ الحـربُ بكم فجِـدّوا
والـقَـوْسُ فيـهـا وَتـرٌ عُـرُدّ [4] مـثـلُ ذِراع البَـكْـرِ أو أشَـدُّ

(لا بُـدَّ ممـا ليس منـه بُـدُّ)

خطبة الحجاج في أهل العراق

إني واللّه يا أهل العراق ما يُقَعْقَعَ [5] لي بالشِنان، ولا يُغْمَزُ جانبي كتَغمازِ حنينٍ، ولقد فَرِرْتُ عن ذَكاء وفُتِّشْتُ عن تجربةٍ، وإنّ أمير المؤمنين أطال اللّه بقاءه نثرَ كِنانَتَهُ بين يديه فعَجَمَ [6] عيدانها، فوجدني أمرَّها عوداً وأصلبها مَكسِراً، فرماكم بي لأنكم طال ما أوْضَعْتُمْ في الفتنة واضطجعتم في مَراقِدِ الضلال واللّه لأحْزِمَنّكمْ [7] حَزْمَ السَّلَمةِ ولأضْربَنّكمْ ضربَ غرائبِ الابل، فإنكم لكأهْلِ

---

(١) الشد: الحملة في الحرب.

(٢) وضم: الخشبة التي يوضع عليها اللحم لتقيه من الأرض وقال الزمخشري كل ما وقيت به اللحم من الأرض فهو وضم.

(٣) العصلبي: بالفتح أو الضم: القوي الشديد في الرجال والضمير في لفها للإبل أي جمعها.
الليل بسائق شديد وضرب ذلك مثلاً أيضاً لنفسه ولرعيته، والدوي: الفلوات جمع دوية أي أنه صاحب أسفار ورحيل فهو لا يزال يخرج من الفلوات وأراد أنه يصير بالفلوات فلا يشبه على شيء منها.

(٤) العرد: بالضم وتشديد الدال الشديد من كل شيء.

(٥) القعقعة: تحريك الشيء الجاف الصلب.

(٦) عجم: عض.

(٧) لأحْزمنكم: الحزم الشد والسلمة واحدة السلم: شجرة ثمره القرظ يعسر خرط ورقها فتعصب أغصانها ويشد بعضها إلى بعض بحبل ثم تخبط بعصاً.

قرية ﴿كانت آمِنةً مطمئنةً يأتيها رزقُها رَغداً من كل مكان فكفَرتْ بأنُعمِ اللَّه فأذاقَها اللَّه لِباسَ الجوع والخوفِ بما كانوا يَصْنعون﴾[1]، وإني واللَّه ما أقول إلا وَفَيْتُ، ولا أهِمُّ إلا أمضَيْتُ، ولا أخلُقُ إلا فَرَيْتُ، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعْطِياتِكم، وأن أُوَجِّهَكمْ لمحاربة عدوِّكم مع المُهَلَّبِ بن أبي صُفرَةَ وإني أُقْسِمُ باللَّه لا أجدُ رجلاً تخَلَّفَ بعد أخذ عَطائِهِ بثلاثة أيام إلاّ ضربتُ عُنقَهُ، يا غلام اقْرأ عليهم كتابَ أمير المؤمنين فقرأ:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم.

من عبد اللَّه عبد الملك أمير المؤمنين إلى منْ بالكوفة من المسلمين، سلامٌ عليكم.

فلم يَقْل أحد منهم شيئاً.

فقال الحجاج: اكفُفْ يا غلامُ. ثم أقبلَ على الناس فقال: أسَلَّمَ عليكم أمير المؤمنين فلم تَرُدُّوا عليه شيئاً، هذا أدَبُ ابن نِهْيَةَ، أما واللَّه لأُؤَدِّبَنَّكم غيرَ هذا الأدب أو لتَسْتقيمُنَّ، إقرأ يا غلامُ كتابَ أمير المؤمنين. فلما بلغ إلى قوله: سلامٌ عليكم لم يبْقَ في المسجد أحد إلاّ قال: وعلى أمير المؤمنين السلام. (زعم أبو العباس أن ابن نِهْيَةَ رجلٌ كان على الشُرطةِ بالبصرةِ قبل الحجاج). ثم نزلَ فوضعَ للناس أعْطياتِهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يَرعَشُ كِبراً فقال: أيها الأمير إني من الضعفِ على ما تَرى ولي ابنٌ هو أقوى على الأسفار مني فتَقْبَلُهُ بدلاً مني. فقال له الحجاج: نفْعَلُ أيها الشيخ. فلما وَلى قال له قائل: أتدْري من هذا أيها الأمير؟ قال: لا. قال: هذا عُمَيرُ بن ضابىءِ البُرْجمِيُّ الذي يقول أبوه:

هَمَمْتُ ولم أفعَلْ وكِدتُ وليتني تَركتُ على عثمان تَبْكي حَلائِلُهُ

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فوَطِىءَ بطنَهُ فكسر ضِلعَين من

---

(١) سورة النحل الآية ١١٢.

أضلاعِهِ. فقال: رُدُّوهُ. فلما رُدَّ قال له الحجاج: أيها الشيخ هلا بعَثْتَ إلى أمير المؤمنين عثمانَ بَدلاً يوم الدار أن في قتلك أيها الشيخ لصلاحاً للمسلمين، يا حَرَسيُّ أضربَنْ عنقه. فجعل الرجل يَضيقُ عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يَلحَقَهُ بزاده، ففي ذلك يقول عبد اللَّه بن الزَبير الأسَديُّ (الأسَديُّ أسَد خُزَيْمةَ وليس من أسَدِ قُرَيْشٍ):

تَجَهَّزْ فإمّا أنْ تَزورَ ابنَ ضابىءٍ عُمَيراً وإمّا أن تزورَ المُهَلَّبا
هما خُطَّتا خَسْفٍ نجاؤُكَ منهما رُكوبُكَ حَوْلِيّاً من الثلج أشْهبا
فأضحى ولو كانت خُرسانُ دونه رآها مكانَ السُّوقِ أو هيَ أقرَبا

(دونه الهاء عائدة على المهلب وأقربا ظرف وقيل مفعول ثان) قوله: أنا ابن جلا إنما يريد المُنكَشِفَ الأمرِ، ولم يصرف جلا لأنه أراد الفعل فحكى. والفعل إذا كان فاعله مضمراً أو مظهراً لم يكن إلاّ حكاية، كقولك: تأبّط شرّاً، وكما قال الشاعر:

كذَبْتُمْ وبَيتِ اللَّهِ لا تأخذُونها بَنى شابَ قَرْناها تَصُرُّ[1] وَتحْلبُ

وتقول: قرأت ﴿اقتَرَبَتِ الساعةُ وانشَقَّ القمَرُ﴾[2] لأنك حكيتَ. وكذلك الابتداء والخبر. تقول: قرأتُ الحمدُ للَّه ربِّ العالمين. وقال الشاعر:

واللَّهِ ما زَيدُ ينامَ صاحِبُهْ (ولا مُخالِطِ الليَّانِ جانبُهْ)[3]

وقوله: أنا ابن جلا وطلاع الثنيا

لسُحَيمِ بن وَثيلٍ الرياحيِّ، وإنما قاله الحجاج متمثلاً. وقوله: وطلاعُ الثَنايا، والثنايا جمع ثنِيَّةٍ والثِنِيَّةُ الطريق في الجبل، والطريقُ في الرمل يقال له الخَلُّ. وإنما أراد به أنه جَلْدٌ يَطلُعُ الثنايا في ارتفاعها وصُعوبتها، كما قال دُرَيْدُ بن الصِمّةِ يعني أخاه عبد اللَّه:

---

(١) الصَرُّ بالجمع والشد. صر الناقة بالضم أي شد ضرعها وكان من عادة العرب أن تصر ضروع الحلوبات إذا أرسلوها إلى المرعى سارحة.

(٢) سورة القمر: الآية واحد.

(٣) الليان بالفتح: مصدر لان الشيء يلين وأراد به الفراش اللين الوثير.

كميشُ الإزارِ[1] خارجٌ نصْفُ ساقِهِ بَعيدٌ من السَوْآتِ طَلاَّعُ أنجُدِ

والنجدُ ما ارتفع من الأرض وقد مضى تفسير هذا. وقوله: إني لأرى رؤوساً قد أينعت، يريد أدْرَكَتْ. يقال: أينَعَتِ الثمرةُ إيناعاً ويَنَعَت يَنْعاً ويُنْعاً. ويقرأ: أنظروا إلى ثمره إذا أثمرَ ويُنْعِهِ ويَنعهِ كلاهما جائز. قال أبو عبيدة: هذا الشعر يُخْتَلفُ فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحوَص، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية (قال أبو الحسن: الصحيح أنه ليزيد يصف جارية) وهو:

ولها بالماطِرينَ إذا أكلَ النملُ الذي جَمَعا
خُرْفةٌ حتى إذا رَبَعَتْ سَكَنَتْ من جِلَّقٍ بِيَعَا
في قِبابٍ حَولَ دَسْكرةٍ[2] حَوْلها الزَيتونُ قد يَنَعا

(قال أبو الحسن: أول هذه الأبيات:

طال هذا الهَمُّ فاكتَنَعا[3] وأمِرَّ النومُ فامتَنعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس. ويروى بالماطِرون الرواية المشهورة بفتح النون ويروى بكسرها). قال أبو العباس: وقوله: هذا أوانُ الشَدِّ فاشتَدّي زِيَمْ يعني فرساً أو ناقة، والشعر للحُطَمِ القَيْسي، وقوله: قد لَفّها الليلُ بسوّاق حُطَمْ فهو الذي لا يُبْقي من السير شيئاً. ويقال: رجلٌ حطمٌ للذي يأتي على الزاد لشدة أكله. ويقال للنار التي لا تُبقي حُطَمةٌ. وقوله: على ظهرِ وَضَمْ فالوَضَمُ كل ما قُطعَ عليه اللحم. قال الشاعر (هو عُمرُ بن أبي رَبيعة):

وفِتيانِ صِدْقٍ حسانِ الوُجو هِ يَجِدون لشيء ألَمْ
من آلِ المُغيرة لا يَشهدونَ عندَ المجازر لحمَ الوَضَمْ

وقوله: قد لفّها الليلُ بعَصْلبيّ أي شديد، وأرْوعَ أي ذكيّ. وقوله: خَرّاجٍ

---

(١) رجل كميش الأزار: كناية عن النشاط والجد في العمل.
(٢) الدسكره: القرية أو الصومعة.
(٣) فاكتنعا: أي اجتمع.

من الدوِّيِّ يقول: من كل غمّاءَ شديدةٍ (غمّاء مقصورٌ رواية عاصم) ويقال للصَحراء دَوِّيَّةٌ وهي التي لا تكاد تَنْقَضي وهي منسوبة إلى الدَوِّ، والدَوُّ صَحراءُ مَلساءُ لا عَلَمَ بها ولا أمارةَ قال الحُطيْئةُ (يصف خَيْلها وأنّثَ على معنى المرأة):

وأنّى اهْتدَتْ والدَوُّ بيني وبينها وما خِلْتُ ساري اللَيْل بالدوّ يَهْتدي

والداوية المتعسة التي تَسْمعُ لها دوياً بالليل، وإنما ذلك الدَوِيُّ من أخفاف الإبل تَنفَسِحُ أصواتها فيها. وتقول جَهَلةُ الأعْراب إن ذلك عَزيفُ الجِنّ. وقوله: والقوسُ فيها وتَرٌ عُرُدٌ فهو الشديد. ويقال: عُرُندٌ في هذا المعنى. وقوله: إني واللّه ما يُقَعْقَعُ لي بالشنان واحدها شَنٌّ وهو الجِلْدُ اليابس فإذا قُعْقِع به نفَرَتْ الابل منه فضَربَ ذلك مثلاً لنفسه. وقال النابغة الذُبيانيُّ:

كأنك من جِمال بني أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ بين رجليه بشَنِّ

(أُقَيْشٌ حيٌّ من عُكْلٍ). وقوله: ولقد فُرِزْتُ عن ذَكاءٍ يعني تمام السنِّ، والذكاءُ على ضربَين أحدهما تمام السِنِّ والآخر الحِدَّةُ حدَّةُ القَلب، فمما جاء في تمام السن قولُ قيس بن زُهَير: جَرِيُ المُذْكياتِ غِلابٌ[1] (ويروى غِلاءٌ) وقال زُهَيرٌ:

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهدا عليه تمامُ السنِّ منه والذَكاءُ

وقوله: فعَجَمَ عيدانها يقول: مَضَغها لينظر أيُّها أَصْلَبُ. يقال: عَجَمتُ العود إذا مضغتُهُ. وكذلك في كل شيء قال النابغة:

فظلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَوْقِ مُنْقَبضاً في حالِكِ اللونِ صَدقٍ غير ذي أَوَدِ

والمصدر العَجْمُ. يقال: عَجَمتُهُ عَجْماً. ويقال لِنَوَى كلّ شيء عَجَمٌ مفتوح ومن أسكن فقد أخطأ، كما قال الأعشى:

---

(١) المذكيات جمع مذكية وهي من الخيل، ما أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان وغِلاب: بالكسر أي فعالية أراد أن السن يؤخذ بالمبايعة والقوة.

(غَزاتُكَ بـالخَيْلِ أرْضَ العَـدوّ) وجُـذْعـانُها[1] كلَقـيط العَـجَم

وقـوله: طـال ما أوضعتم في الفتنـة، الإيضاعُ ضَـرْبٌ من السَيرِ، وقـوله: فأضْحى ولو كانت خراسانُ دونه، يعني دون السفر رآها مكـان السُّوق للخـوف والطاعة.

وكان من قصة **عمير بن ضابىء** أن أباه ضابىء بن الحَرِثِ البُرْجُمِيَّ وجَبَ عليه حَبْسٌ عند عثمـان رحمه اللّه وأدَبٌ، وذلـك أنه كـان استعارمن قـوم كلباً فأعاروه إياه ثم طلبوه منه وكان فحّاشاً، فرمى أمَّهُمْ به، فقال في بعض كلامه:

وأمّكُمُ لا تتْـرُكـوهـا وكلبَـكمْ فـإنّ عُقـوقَ الـوالـداتِ كبيـرُ

فاضطعَنَ على عُثمانَ ما فعَلَ، فلما دُعيَ ليُؤدَّبَ شدّ سكيناً في ساقه ليقتل به عثمان، فعِثرَ عليه فأحسَنَ أدبَهُ ففي ذلك يقول:

وقائلةٍ إنْ ماتَ في السجنِ ضابىءُ لِنعْمَ الفتى تحْـلو بـه وتُـواصِلُهْ
وقـائلةٍ لا يَبْعَـدنْ ذلـك الفَـتى ولا تبعَـدَنْ أخـلاقـه وشَمـائِلُهْ
وقـائـلةٍ لا يُبعِـدِ اللّهُ ضـابئـاً إذا الكَبْشُ[2] لم يوجَد له من يُنازِلُهْ
وقـائـلةٍ لا يُبْعـدِ اللّهُ ضـابئـاً إذِ الخَصمُ لم يوجد له من يُقاوِلُهْ
فـلا تُتبعيني إن هلكتُ مـلامـةً فليس بعـارٍ قتـلُ من لا أقـاتله
هَمَمتُ ولم أفعَـلْ وكِـدْتُ وليتني تَركتُ على عُثمان تبكي حَلائِلُهْ[3]
وما الفَتكُ ما آمَرتَ فيه ولا الذي تُخَبِّـرُ من لاقيـتَ أنـك فـاعِلُهْ

حديث أبي شجرة السلمي لعمر بن الخطاب

قال أبو العباس: وشبيه بقوله ما حُدِّثنا به عن أبي شَجَرةَ السُلَمِيِّ وكان من فُتّاكِ العرب. (أبـو شجرة هـو عمرو بن عبـد العُـزَّى وأُمُّـهُ الخَمْسـاءُ، وقـال

(١) الجذعان: بالضم: جمع جذع بالتحريك وهو قبل الشيء وليس بسن ثبت أو تسقط وهو مرفوع على أنه مبتدأ وما بعده خبر والجملة حال.
(٢) الكبش: سيد القوم وقائدهم.
(٣) حلائله: الأزواج: حليلة الرجل هي زوجته.

الطَّبَري: إسمه سَليمُ بن عَبد العُزّى) فأتى عُمرَ بن الخطّاب رحمه الله يَستَحْمِلُهُ، فقال له عمر: ومن أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة السلمي. فقال له عمر: أي عُدَيَّ نفسهِ ألستَ القائلَ حيثُ ارْتَدَدْتَ:

ورَوَّيتُ رُمحي من كتيبَةِ خالدٍ وإني لأرجو بعدها أنْ أُعَمَّرا

(ويروى أن أعَمِّرا بكسر الميم ومعناه أن أفعَلَ ذلك بكتيبة عُمر).

وعارَضتُها شَهْباء تخطِرُ بالقنا تَرى البَيْضَ في حافاتها والسَنَوّرا

ثم انحنى عليه عمر بالدِرَّةِ فسَعى إلى ناقته فحَلَّ عقالها وأقبلها حَرَّةَ بني سُلَيْم بأحَثِّ السير هرباً من الدِرَّةِ وهو يقول:

قد ضَنَّ عنها أبو حَفْصٍ بنائِلِهِ وكلُّ مختَبِطٍ يوماً له ورَقُ
ما زال يَضرِبُني حتى خَذِيتُ له وحال من دون بعض الرَغبة الشفَقُ
ثم التَفتُّ إليها وهي حانيَةٌ مثل الرتاجِ إذا ما لزَّهُ الغَلَقُ[1]
أقبَلْتُها الخَلَّ[2] من شورانَ مجتهداً إني لأزْري عليها وهي تَنطلِقُ

ويروى أنه كان يرمي المسلمين يوم الردّة فلا يُغني شيئاً فجعل يقول:

ها إنّ رميي عَنهُمُ لَمعْسُولْ فلا صريحَ اليومَ إلا المصقول

قوله: وكل مختبط يوماً له ورق، أصل هذا في الشجر أن يختبطها الراعي وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها، فضرب ذلك مثلاً لمن يطلبُ فضلَهُ. وقال زهير:

وليسَ مانعَ ذي قُربى وذي نسَبٍ يوماً ولا مُعْدِمٍ من خابطٍ ورَقا

(قوله: ولا معدم بالخفض عطفه على توهم الباء في مانع، ومثله ما أنشده:

---

(١) حانية: التي تلوي بلا علة والرتاج ككتاب الباب العظيم.
(٢) الخل: الطريق ينفذ في الرمل.

مَشائيمُ لَيْسوا مُصْلِحينَ عشيرةً ولا ناعِبٍ إلا ببَينٍ غُرابُها[1]

على تَوهُّم الباء في مصلحين ومن في خابط زائدة)، وقوله: حتى خَذيتُ له يقول خَضَعتُ له وأكثر ما تستَعمِلُ العامةُ هذه اللفظة بالزيادة، تقول: استَخْذَيْتُ له، وزعم الأصمَعيُّ أنه شكّ فيها وأنه أحَبّ أن يَستَثبتَ أهي مهموزةٌ أم غير مهموزة، قال: فقلتُ لأعرابي: أتقول استَخذَيتُ أم استَخْذاتُ قال: لا أقولهما. قلتُ: ولِمَ؟ فقال: لأن العرب لا تَسْتَخذي. وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم: أُذُنٌ خَذْواءُ ويَنَمَةٌ خَذواء أي مُستَرخيَةٌ. (قال أبو الحسن: اليَنَمَةُ نبت مُستَرخٍ على وجه الأرض تأكله الإبل فتكثُرُ عنه ألبانها وقال الأصمعيُّ: وقلت لأعرابي أتَهْمِزُ الفارةَ؟ قال: تَهْمِزُها الهِرّةُ. وقوله: إني لأزْري عليها يقول: أستَحِثُّها. يقال: زَرَى عليها أي عاب عليه وأزْرى به أي قصَّرَ به، فيقول إنها لمجتهدة وإني لأزْري عليه، أي أعيب عليها لطلَبي النجاءَ والسرعة. وقال الأخطلُ:

فظَلّ يُفَدِّيها وظَلَّت كأنها عُقابٌ دعاها جُنحُ ليْلٍ إلى وَكرِ

وقوله:

هـا إنَّ رَمْيـي عنهـم لمعْبـول

يقول: مخبولٌ مردودٌ، والصريحُ المحْضُ الخالص، يقال ذلك للَّبنِ إذا لم يَشُبْهُ ماء. ويقال: عَربيٌّ صَريحٌ ومَوْلى صريحٌ أي خالص.

من أقوال عمر بن الخطاب

قال: وحدثني محمد بن إبراهيم الهاشمي في إسنادٍ ذكره قال: بَلَغَ عمرَ بن الخطاب رحمه اللّه أن قوماً يفضّلونه على أبي بكر الصدِّيقِ رحمه اللّه فوَثَبَ مُغْضَباً حتى صَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمِدَ اللّه وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس إني سَأخْبِرُكمْ عني وعن أبي بكر أنه لما تُوُفِّيَ رسول اللّه ﷺ ارتدَّتْ العرب ومَنَعَت شاتَها وبعيرها، فأجمَعَ رأيُنا كلنّا أصحاب محمدٍ ﷺ أنْ

(١) الناعب: الغراب.

قلنا: يا خَليفةَ رسولِ اللَّه إنّ رسول اللَّه ﷺ كان يقاتل العربَ بالوَحْيِ والملائكةُ يُمِدُّهُ اللَّهُ بهم وقد انقطعَ ذلك اليومَ فالْزَمْ بيتك ومسجدك فإنه لا طاقةَ لك بقتال العرب، فقال أبو بكر الصديق: أوَكُلُّكمْ رأيُهُ على هذا؟ فقلنا نعم. فقال: واللَّه لأنْ أخِرَّ من السماء فَتَخَطَّفَني الطيرُ أحَبُّ إليَّ من أن يكون هذا رأيي، ثم صَعِدَ المِنبَرَ فحمد اللَّه وكَبَّره وصلى على نبيه ﷺ ثم أقبل على الناس. فقال: أيها الناس مَنْ كان يَعْبُدُ محمداً، فإن محمداً قد مات، ومَن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حَيٌّ لا يموت. أيها الناس أأن كَثُرَ أعداؤكم وقلّ عَدَدُكمْ رَكِبَ الشيطانُ منكم هذا المَرْكبَ! واللَّهِ لَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ هذا الدينَ على الأديان كلِّها ولو كَرِهَ المشركون قولُهُ الحَقُّ ووعْدُهُ الصِدْقُ، بل نَقْذِفُ بالحق على الباطل فيَدْمَغُهُ، فإذا هو زاهِقٌ وكم من فِئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئةً كثيرةً بإذن اللَّه، واللَّه مع الصابرين. واللَّهِ أيُّها الناسُ أُفْرِدْتُ من جميعكم لجاهدتهم في اللَّه حقَّ جهاده حتى أُبليَ بنفسي عُذْراً أو أُقتَلَ قَتْلاً. واللَّه أيها الناس لو مَنَعوني عِقالاً لجاهَدْتُهُمْ عليه واسْتَعَنْتُ عليهمُ باللَّه وهو خيرُ مُعينٍ. ثم نزل فجاهد في اللَّه حَقَّ جِهادِهِ حتى أَذْعَنَتِ العربُ بالحق.

قوله: : كم من فئة فهي الجماعة وهي مهموزة وتخفيف الهمز في هذا الموضع أن تُقْلَبَ الهمزةُ ياءً، وإن كانت قبلها ضمة وهي مفتوحةَ قَلَبْتَها واواً نحو جُؤون. تقول جُوَنٌ (الجُؤْنةُ الحُقَّةُ يجعل فيها الحَلْيُ).

وقوله: لو منعوني عقالاً[1] لجاهدتهم عليه على خلاف ما تتأوله العامة، ولِقولِ العامةِ وَجْهٌ قد يجوز فأما الصحيح فإن المُصَدِّقَ إذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثَمنها، قيل أخذ عِقالاً وإذا أخَذَ الثَمن قيل أخذ نقداً. قال الشاعر:

أتانا أبو الخَطّابِ يَضْرِبُ طَبْلَهُ فَرُدَّ ولم يأخُذْ عِقالاً ولا نَقْداً

(كانت الأمراء إذا خرجتْ لأخذ الصدقة تَضْرِبُ الطُبولَ). والذي تقوله

(١) لو منعوني عقالاً: يراد بالعقال الحبل الذي يربط به البعير.

العامة تأويله لو منعوني ما يساوي عِقالاً فضْلاً عن غيره، وهذا وجه، والأول هو الصحيح لأنه ليس عليهم عقال يُعْقَلُ به البعير فيَطلُبَهُ فيُمْنَعَهُ ولكن مجازه في قول العامة ما ذكرنا. ومن كلام العرب أتانا بجَفْنةٍ يَقْعُدُ عليها ثلاثةٌ أي لو قعد عليها ثلاثة لَصَلَحَ. وكان ارتدادُ من ارْتَدَّ من العرب أن قالوا: نُقيمُ الصلاةَ ولا نؤْتي الزكاة.

للحطيئة في أيام ردته

فمن ذلك قول الحُطَيْئةِ:

ألا كُلُّ أرْماحٍ قِصارٍ أذِلَّةٍ فِداءٌ لأرْماحٍ نُصِبْنَ على الغَمْرِ[1]
فبَاسْتِ بني عَبسٍ وأسْتاه طَيِّىءٍ وباسْتِ بني دُودان[2] حاشا بني نصْرِ
أبَوْا غيرَ ضَرْبٍ يُجْثِمُ الهامَ وقْعُهُ وطَعْنٍ كأفواهِ المُزَفَّتَةِ الحُمْرِ

(المزفتة المَطْليَّةُ بالزفتِ وهو القَطِرانُ يعني الابل، وهو أشبه بكلام العرب ومعناه وقيل الزِقاقُ):

أطَعْنا رسولَ اللَّهِ إذْ كان بيننا فيا لَهْفَتَنا ما بالُ دينِ أبي بَكْرِ
أيُورِثها بكْراً إذا مات بعده فتلك وبَيْتِ اللَّهِ قاصِمةُ الظَهْرِ
فقُوموا ولا تُعْطوا اللئامَ مَقادةً وقُوموا ولو كان القِيامُ على الجَمْرِ
فِدىً لبَني نَصْرٍ طريفي وتالِدي عَشِيَّةَ ذادُوا بالرِّماحِ أبا بَكْرِ

(قوله ذادوا بالرماح أبا بكر كذِبٌ إنما خرجوا على الإبِلِ فقَعْقَعوا لها بالشِنانِ فنَفَرَتْ وفرَّتْ)، وقوله: يجثم الهام وقعة إنما هو مَثَلٌ. يقال: جَثَمَ الطائرُ كما يقال بَرَكَ الجمَلُ ورَبَضَ البعيرُ. وكان قَيْسُ بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ عاملاً على صَدَقاتِ بني سَعْدٍ فقَسَمَ ما كان في يده من أموال الصدقات على بني مِنْقَرٍ. وقال:

---

(١) الغمر: بفتح الغين وهي بئر قديمة بمكة حفرها بنو سهم وموضع بينه وبينها يومان.

(٢) بني دودان: بالضم ابن أسد أبو قبيلة من العرب.

فِمنْ مُبلِغٌ عَني قُرَيْشاً رِسالةٍ إذا ما أَتَتْها مُحْكَماتُ الوَدائع
حَبَوْتُ بما صَدَّقتُ في العامِ منقراً وأيأسْتُ منها كلَّ اطْلَسَ[1] طامع

وقوله: فاجمع رأينا كلُّنا أصحاب محمد فإنما خَفَضَ كلٌّ على أنه توكيد لاسمائهم المضمرة، والظاهرةُ لا تكون بدلاً من المضمر الذي يَعْني به المتكلم نفْسَهُ أو يَعْني به المُخاطبَ، فلا يجوز أن تقول مررتُ بي زيدٍ لأن هذه الياء لا يَشْرَكهُ فيها شريكٌ فتحتاج إلى التبيين. وكذلك لا يجوز ضربتُكَ زيداً لأن المخاطب منفرد بهذه الكاف. فأما الهاء نحو مررت به عبدِ اللّه فيجوز لأنا نحتاج إلى أن يُعرِّفنا مُبيِّناً مَنْ صاحب الهاء لأنها ليست للذي يخاطبه فلا يُنْكِرُ نفسه وإنما يُحَدِّثُ به عن غائب، فيحتاج إلى البيان. وقوله: أصحاب مَحمد اختصاص وينتصب بفعل مضمر، وهو أعني، ليبين منْ هؤلاء الجماعة كما يُنشَدُ: نَحْنُ بني ضَبَّةَ أصحابُ الجَمَلَ. أراد نحن أصحاب الجمل ثم بَيَّنَ منْ هُمْ لأن هذا قد كان يقع على منْ دون بني ضَبَّةَ معه وعلى من فوقها إلى مُضَرِ ونزارٍ ومَعَدٌّ ومنْ بعدهم، وكذلك نحن العربَ أقْرى الناسِ لضيفٍ ونحن الصعاليك[2] لا طاقة بنا على المُروءةِ، ويُختارُ في هذا الشعر (هو لعَمْرِ بن الأهْتمِ):

إنا بني مِنْقَرٍ قَوْمٌ ذوو حَسبٍ فينا سراةُ بني سَعْدٍ ونادِيها[3]

وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم.

---

(١) أطلس: المقصود بها هنا الذئب وأراد الشاعر به قيس أبا بكر ومن معه وهذا من قيس كذب وإفتراء وليس ببعيد على أجلاف العرب كأبي شجرة والحطيئة وقيس بن عاصم أن يقولوا في أصحاب محمد مثل هذا القول لأنهم ما دخلوا الإسلام إلاّ خوفاً من السيف.

(٢) الصعاليك: جمع صعلوك بضم الصاد هو الفقير.

(٣) بنو منقر: كمنبر بطن من تميم. السراة بالفتح جمع سرى كغنى على غير قياس وهو: السخي ذو المروءة.

٣٢ ـ باب في أشعار المولدين

قال أبو العباس: هذه أشعار اخترناها من أشعارالمولَّدين[١]، حَكيمةٌ مستحسنَةٌ يُحْتاجُ إليها للتَمثُّلِ[٢]، لأنها أشْكَلُ بالدهر ويُسْتعارُ من ألفاظهافي المخاطبات والخُطَبِ والكُتُبِ. قال عبد الصَمد بن المُعَذَّل[٣]:

تُكلِّفُني إذْلالَ نفسي لعِزِّها[٤] وهانَ عليها أنْ أُهانَ لتُكْرَما
تقولُ سُلِ المعروف يحْيى بن أكْثمٍ فقلتُ سليهِ ربَّ يحْيى بن أكْثما

(بالثاء مثلثة لا غير، وكذلك: أكثمُ بن صَيْفيٍّ. ويقال أن يحْيى بن أكْثمَ من ولد أكثَم بن صَيْفي) وقال بَشّار بن بُرْدٍ[٥] يذكر عُبَيْد اللّه بن قَزْعَةَ وهو أبو

---

(١) المولدون: المعروف أن طبقات الشعراء بحسب زمانهم: أربع: الأولى الجاهليون وهم من كانوا قبل الاسم ولم يدركوه. الثانية: المخضرمون. الذين أدركوا الاسلام بعد جاهليتهم. منهم لبيد والأعشى ميمون بن قيس. والثالثة: الذين ولدوا ونشأوا بعد انتشار الدعوة الاسلامية، هذه الطبقة إلى أواخر زمن بني أمية، الرابعة: المولّدون وهم من كان بعد هؤلاء وابتداء عصرهم من أول العباسين إلى ما شاء اللّه.

(٢) للتمثل: انشاء بيت ثم آخر ثم آخر.

(٣) عبد الصمد بن المعذّل ويكنى أبا القاسم وأمه أم ولد يقال لها الزرقاء. كان شاعراً فصيحاً، من شعراء الدولة العباسية، بصري المولد والمنشأ. كان هجّاء خبيث اللسان شديد العارضة، أنظر الأغاني ١٢/٥٧ ـ ٧٢.

(٤) لعزها: الهاء لمن كلفته الإذلال.

(٥) بشار بن بُرد: هو مولى لبني عقيل... يكنى أبا معاذ، ويلقب: المرعِّث. وهو الذي جعل في أذنيه قرطة. كان يُرمى بالزندقة. وهو أحد الشعراء المطبوعين، وكان أعمى. توفي سنة ١٦٧ هـ ترجمته في الشعر والشعراء. ٥١١ ـ ٥١٥، الأغاني ٣/١٩ ـ ٧٣؛ تاريخ بغداد ٧/١١٢ ـ ١١٨ وسواها من كتب الأدب والدراسات الخاصة به.

المُغيرةِ أخو المَلوِيِّ المتكلم قال: وقال المازني لم أَرَ أَعْلَمَ من المَلوِيِّ بالكلام وكان من أصحاب إبراهيم النَظَّام:

خَليليَّ منْ كعبٍ أَعينا أخاكُما على دَهْرِهِ إنّ الكريمَ مُعينُ
ولا تبْخَلا بُخْلَ ابن قَزْعةَ انه مخافةَ أن يُرْجى نَداهُ حزينُ
كأنّ عُبَيْد اللَّهِ لم يلْفَ ماجِداً ولم يدْرِ أنّ المكْرُماتِ تكونُ
فقل لأبي يحْيى متى تُدْرِكُ العُلى وفي كلِّ مَعروفٍ عليك يَمينُ
إذا جئتهُ في حاجةٍ سدَّ بابَهُ فلم تَلْقَهُ إلا وأنتَ كمينُ

نظيرُ قوله: وفي كلّ معروفٍ عليك يمينُ. قولُ جرير:

ولا خَيرَ في مال عليه أَلِـيَّة[1] ولا في يمينٍ عُوقِدَتْ بالمآثِمِ

وقال إسمعيل بن القاسم (هو أبو العتاهِيَة):

أَطِعِ اللَّهَ بجُهْدِكْ عامداً أو دونَ جُهْدِكْ
أَعْطِ مَوْلاكَ كما تَطْـ ـلُبُ من طاعةِ عَبْدِكْ

وقال محمود:

تَعْصى الإلهَ وأنتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هذا مُحالٌ في القياسِ بَديعُ
لو كان حُبُّكَ صادقاً لأطَعْتَهُ إنّ المُحِبَّ لمنْ يُحِبُّ مُطيعُ

وقال أيضاً:

إني شَكَرْتُ لظالمي ظُلمي وغَفَرتُ ذاك له على عِلمي
ورأيتُه أَسْـدى إليَّ يَداً لمّا أَبانَ بجَهْلِهِ حِلمي[2]
رَجعَتْ إساءَتُهُ عليه وإحْـ ـساني فعادَ مُضاعَفَ الجُرْمِ
وغَدوْتُ ذا أجْرٍ ومحمْدةٍ وغدا بكَسْبِ الظُلم والإثم

---

(١) الألية: اليمين.

(٢) يقال أسدى إليه معروفاً وأولى وأعطى كل هذا بمعنى واحد. والبد النعمة والجهل هنا من قولهم جهل فلان على غيره سفه عليه وحمله على شيء ليس من خلقه، لبغضبه.

فكأنما الإحسانُ كان له وأنا المُسيءُ إليه في الحُكم
ما زال يَظْلِمُني وأَرْحَمُهُ حتى بَكَيْتُ له من الظُلم

أخذَ هذا المعنى من قول رجل من قُرَيْش لرجل قال له: إني مررتُ بقوم من قريش من آل الزُبَيْر وغيرهم يَشتمونَكَ شَتْماً رَحِمْتُكَ منه. قال: أفَسَمِعْتَني أقول إلا خَيراً. قال: لا. قال: إياهُمْ فارْحَمْ. وقال أبو بكر الصدِّيقُ رحمه اللّه لرجل قال له: لأشْتِمَنَّكَ شَتْماً يَدْخُلُ معك في قبرك. قال: معكَ واللّه يدْخُلُ لا معي. وقال ابن مسعود: إن الرجل ليظلمني فأرْحَمُهُ. وقال رجل للشعبي كلاماً أقذَعَ له فيه، فقال له الشعبي: إن كنتَ صادقاً فغفر اللّه لي، وإن كنت كاذباً فغفر اللّه لك. ويروى أنه أتى مسجداً فصادف فيه قوماً يغتابونه فأخذ بعَضادَتَيْ الباب ثم قال:

هَنيئاً مَريئاً غير داءٍ مُخامِرٍ[1] لعِزَّةَ من أعراضنا ما اسْتَحَلَّتِ

حلم الحسن بن علي بن أبي طالب

وذكر ابن عائشة أن رجُلاً من أهل الشام قال: دخلتُ المدينة فرأيتُ رجلاً راكباً على بغلة لم أرَ أحسنَ وجهاً ولا سَمْتاً ولا ثوباً ولا دابة منه، فمال قلبي إليه، فسألتُ عنه فقيل لي: هذا الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنهما. فامتلأ قلبي له بُغْضاً، وحَسَدْتُ عَلِيّاً أن يكون له ابنٌ مثله، فصِرْتُ إليه فقلتُ له: أأنتَ ابن أبي طالب؟ فقال: أنا ابن ابنه. فقلت: فَبِكَ[2] وبأبيكَ أسُبُّهُما. فلما انقضى كلامي قال لي: أحْسِبُكَ غريباً. قلت: أجلْ. قال: فمِلْ بنا فإن احتَجْتَ إلى منزل أنزلناك، أو إلى مال آسَيْناكَ، أو إلى حاجة عاوَنّاكَ. قال: فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أحدٌ أحبُّ إليَّ منه. وقال محمود الوَرّاقُ:

---

(١) المخامر: المخالط.
(٢) فبك: خبر مقدم والمبتدأ محذوف يريد بك الأذى أو نحو هذا وقوله أيهما بيان لما أجمل من الحذ.

يـا نـاظـراً يَرنُو[1] بعَيْنَيْ راقِـدِ ... ومُشـاهِـداً لـلأمـر غيـرَ مُشـاهِـدِ
مَنَّيْتَ نفْسَـكَ[2] ضَلَّة وأبَحْتَـهـا ... طُـرُقَ الرَجـاءِ وهُنّ غيرُ قـواصـدِ
تصِلُ الذُنوبَ إلى الذنوب وتَرْتجي ... دَرَكَ الجِنـانِ بهـا وفَـوْزَ العـابـدِ
ونَـسـيـتَ أن الـلّه أخْـرَجَ آدمـاً ... منهـا إلى الـدنيـا بـذنبٍ واحـدِ

وقال الحَكَمِيُّ (هو أبـو نُواسٍ الحسن بن هـانىءٍ وهو منسوب إلى حَكَمٍ قبيلة من مَذْحجٍ) للفَضْل بن الربيع:

مـا منْ يـدٍ في النـاس واحـدةٍ ... كيَـدٍ أبـو العبـاس مَـوْلاهـا
نـام الكِـرامُ على مَضـاجِعِهِمْ ... وسَـرى إلى نفْسي فـأحيـاهـا
قـد كنتُ خِفْتُـكَ ثم أمَّنَنِي ... منْ أنْ أخـافَـكَ خَـوْفُـكَ اللّه
فَعَفَـوْتَ عـني عَـفْـوَ مُقْتَـدِرٍ ... حَـلَّتْ لـه نِـقَـمٌ فـألغـاهـا

وقـال عبد اللّه بن محمد بن أبي عيّينة لـذي اليَمينَيْـنِ (سُمّي ذا اليمنين لأنه ضَربَ إنساناً فجعله قسمين):

لمّـا رأيتُـكَ قـاعـداً مُسْتَقْبِـلاً ... أيقنتُ أنـك للهُـمـوم قَـرينُ
فـارْفِضْ بهـا وتعَـرَّ من أثـوابهـا ... إن كـان عنـدك للقضـاء يَقينُ
مـا لا يكـونُ فـلا يكـونُ بحيلةٍ ... أبـداً ومـا هـو كـائنٌ سيكـونُ
يَسْعى الـذَكِيُّ فلا ينـالُ بسَعْيـهِ ... حَـظّاً وَيْحظى عـاجِزٌ ومَهينُ
سَيكـونُ ما هـو كـائنٌ في وقتِـهِ ... وأخـو الجَهـالـةِ مُتعَبٌ محْزونُ
الـلّهُ يَعْـلَمُ أنّ فُـرْقـةَ بَيْـنِنـا ... فيمـا أرى شيءٌ عليَّ يَـهـونُ

وقال صالح بن عبد القـدوس (صَلَبَهُ عبـد المَلِكِ بن مرْوان على الزَنْدَقةِ أعني صالحاً):

إنْ يَكُنْ مـا بـه أصِبْتُ جَـليـلاً ... فـذهـابُ الـعـزاء فيـه أجَـلُّ

---

(١) يرنو: ينظر.
(٢) منيت نفسك: أي جعلت الضّلة أمنية لها والضلة بالكسر ضد الهدى.

كـلُّ آتٍ لا شـكّ آتٍ وذو الجَهْـ ـلِ مُعَنّىً والغَمُّ والحُـزْنُ فضْـلُ

وأنشد مُنشِدٌ من الأبيات المنفردة القائمة بأنفسها (لهِشام بن عبد الملِك:

إذا أنتَ لم تعْصِ الهَوى قادكَ الهوى إلى بَعْضِ مـا فيـه عليـكَ مَقـالُ

ومنها قول ابن أبي وُهَيْبٍ:

وإنِي لأرْجـوا اللَّهَ حتى كـأنني أرى بجَميل الظنّ مـا اللَّهُ صانـعُ

وقال آخر:

ويَعْرِفُ وَجْهَ الحَزْمِ حتى كأنما تُخـاطِبُـهُ من كـلِّ أمـرٍ عَـواقِبُـهْ

وقال أشْجَعُ السُلَمِيُّ:

رَأيٌ سَـرى وعُيـونُ النـاس راقـدةٌ مـا أخَّـرَ الحَـزْمَ رَأيٌ قَـدَّمَ الحـذرة

وقال آخر:

فـللَّهِ منـي جـانبٌ لا أُضـيعُـهُ وللَّهْـوِ مني والبـطالـةِ جـانبُ

وقال آخر:

فلو عـابَ نفسي غيـرُ نفسي لَسُؤْتُـهُ فكيف ونَفسي قـد أتَتْ مـا يَعيبُهـا

وقال آخر:

يَـرى فَلتـاتِ الـرَأي والـرأيُ مُقبِـلٌ كـأنّ لـه في اليـوم عَيْنـاً على غَـدِ

وقال عبد الصَمَدِ بن المُعَذَّلِ:

أَمُنُّ[1] على المُجْتَـدي وما أتْـبِـعُ المـنَّ مَـنُّ
كـأنْ لـم يَـزَلْ ما أتى[2] ومـا قَـدْ مَضى لـم يَكُـنْ
أرى الـنـاس أُحْـدوثة فكـوني حَـديثـاً حَسَـنْ

---

(١) أمن: من المن وهو العطاء.

(٢) الجملة مقلوبة هنا يريد: أن ما أتاه من الرزق لم يزل باقياً.

وقال أيضاً:

زَعَمَتْ عاذلتي أني لما ... حَفِظَ البُخْلُ من المالِ مُضيعُ
كلَّفَتْني عِذرَةَ[1] الباخِلِ إذْ ... طَرقَ الطارِقُ والناسُ هُجوعُ
ليس لي عُذْرٌ وعندي بُلغَةٌ ... إنما العُذرُ لمنْ لا يَسْتَطيعُ

وقال الحسن بن هانى الحَكَمِيُّ:

إليْكَ غدَتْ بي حاجةٌ لم أُبحْ بها ... أخافُ عليها شامِتاً فأُداري
فأرْخِ عليها سِتْرَ مَعروفِكَ الذي ... سَتَرْتَ به قِدْماً عليّ عُواري[2]

وقال أيضاً:

قد قلتُ للعباس معْتَذِراً ... من ضَعْفِ شُكريهِ[3] ومعْتَرِفا
أنت امرُؤٌ جَلَّلْتَني نعَماً[4] ... أوْهَتْ قُوى شُكري فقد ضَعُفا
فاليكَ بعد اليومِ تقدِمةٌ ... لاقَتْكَ بالتَصْريح مُنكَشِفا
لا تُحْدِثَنّ إليّ عارِفةً[5] ... حَسْبي أقومُ بشُكْرِ ما سَلفا

وقال دِعْبِلُ بن عليّ الخُزاعيُّ:

أحْبَبْتُ قومي ولم أعدِلْ بحبّهمُ ... قالوا تَعصّبْتَ جَهْلاً قولَ ذي بَهَتِ[6]
دَعني أصلْ رَحمي إنْ كنتَ قاطِعها ... لا بُدّ للرحِمِ الدُنيا[7] من الصِلةِ
فاحفَظْ عشيرتَكَ الأدْنَينَ إنَّ لهم ... حَقاً يُفَرِّقُ بين الزوْجِ والمرَةِ
قومي بنو مَذْحجٍ والأزْدُ إخْوَتُهُمْ ... وآلُ كِندَةَ والأحياءُ من عُلَتِ

---

(١) العذرة: بالكسر، إسم في الإعتذار.

(٢) عواري: العوار قلت الغبي العيب.

(٣) شكريه: إضافة إلى مصدر، المقصود شكري إياه.

(٤) جللتني: أي غطيتني بالنعم كما يتجلل الرجل الثوب.

(٥) عارفة: الفضل والاحسان.

(٦) ذي بهت: بفتح الباء والهاء. مصدر بهته. قال عليه ما لم يفعله.

(٧) الدُنيا: تانيث الأدنى: الأقرب.

ثُبْتُ الحُلومِ[1] فإنْ سُلَّتْ حفائظُهُم ... سَلُّو السُيوفَ فَأَرْدَوْا كلّ ذي عَنَتِ
لا تعرِضَنّ بمزْحٍ لامرىءٍ طَبِنٍ[2] ... ما راضَهُ قلبُهُ أجْراهُ في الشَفةِ
فرُبّ قافيةٍ بالمزْحِ جاريةٍ ... مَشْؤمةٍ لم يُرَدْ إنماؤُها نَمَتِ
إني إذا قُلتُ بيتاً مات قائلُهُ ... ومَنْ يُقالُ له والبيتُ لم يَمُتِ

وقال أيضاً:

نَعَوْني ولمّا يَنْعَني غيرُ شامتٍ ... وغيرُ عدُوٍّ قد أصيبتْ مقاتِلُهْ
يقولون إن ذاقَ الرَدى مات شعرُهُ ... وهَيهاتَ عُمْرُ الشعرِ طالتْ طوائِلُهْ[3]
سأقضي ببيتٍ يحْمَدُ الناسُ أمرَهُ ... ويكثُرُ من أهلِ الروايةِ حاملُهْ
يموتُ رديُّ الشعرِ من قبل أهلِهِ ... وجَيِّدُهُ يَبقى وإن مات قائِلُهْ

(البيت الأخير ليس لِدِعْبِلٍ وإنما هو مُضَمَّنٌ).

وقال إسماعيل بن القاسم[4]:

يا من يَعيبُ وعَيْبُهُ مُتَشَعِّبٌ ... كم فيكَ من عَيْبٍ وأنتَ تعيبُ
للّهِ دَرُّكَ كيفَ أنتَ وغايةٌ ... يَدْعوكَ ربُّك عندها فتُجيبُ

وقال أيضاً:

يا عليُّ بنَ ثابتٍ بانَ مني ... صاحبٌ جَلّ فقْدُهُ يوم بِنْتا
يا عليُّ بن ثابت أيْنَ أنتا ... أنت بين القُبور حَيثُ دُفِنتا
قد لعَمْري حكيْتَ لي غُصَصَ الموْ ... تِ وحَرّكتَني لها وسَكَنْتا

وقال أيضاً:

صاحِبٌ كان لي هَلكْ ... والسبيلُ التي سَلكْ

---

(١) ثُبْت الحلوم: جمع ثبيت: ثابت العقل.

(٢) طِبِنَ: من الطبنة: الفطنة وطبن لكذا أفطن له.

(٣) طالت طوائله: جمع طوال كسحاب وهو مدى الدهر.

(٤) إسمعيل بن القاسم هو أبو علي القالي، أنظر ترجمته في مقدمة كتابه الأمالي ط. دار الحديث.

(والسبيلُ التي سلك ابتداء وخبر، ومن قال غير هذا فقد أخطأ).

يـا عـليُّ بـن ثـابـتٍ غَـفَـرَ الـلّهُ لـي ولـكْ
كـلُّ حَـيٍّ مُـمَـلَّكٍ سَـوْف يَـفْنى ومـا مَـلكْ

وقال أيضاً:

طَـوَتْـكَ خُـطوبُ دَهْـرِكَ بعـد نشْـرٍ كـذاكَ خُـطوبُـهُ نـشْـراً وطـيّـا
فـلو نشَـرَتْ قُـواكَ لـيَ المنـايـا شَكـوْتُ إليـكَ مـا صَـنَعـتْ إليّـا
بكيتُـكَ يـا أُخَيّ بـدمـع عيني فـلم يُغنِ الـبُكـاءُ عـليـك شَيّـا
كـفى حُـزْنـاً بـدَفـنِـكَ ثـم إنـي نفَضْتُ تـرابَ قبـرِكَ عـن يَـدَيّـا
وكـانتْ في حيـاتـكَ لي عِـظاتٌ وأنـت الـيـومَ أوعَظُ مـنـكَ حيّـاً

وكـان إسمعيل بن القـاسم لا يكاد يخلي شعـره ممـا تقـدم من الأخبـار، والآثار فينظم ذلك الكلام المشهـور، ويتناولـه أقربَ مُتناوَلٍ، ويسرقـه أخفى سِرقةٍ. فقوله: وأنت اليوم أوعظَ منك حياً، أنما أخذه من قول المُوبذَ[1] لقَبـاذَ الملكِ فإنه قال في ذلك الوقت: كان المِلكُ أمْس أنـطقَ منه اليـوم وهو اليـومَ أوعَظُ منه أمس، وأخذ قوله:

قد لعَمْري حَكيْت لي غُصصَ المو تِ وحـرّكتني لهـا وسكنتـا

من قول نادب الإسْكندرِ فإنـه لما مـات بكى من بحضرتـه. فقال نـادِبهُ: حَرّكنا بسُكونه. وقال إسمعيل بن القاسم (وهو أبو العتاهِيةِ):

يـا عَجَبـا للنـاسِ لـوْ فَكّـروا وحـاسبـوا أنفسهـم أبْصَـروا
وعَبـروا الـدنيـا إلى غَيـرِهـا فـإنمـا الـدُنيـا لـهُمْ مَـعْبَـرُ

(معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج وبفتح الميم لا غير رواية عاصم).

الخَيرُ ممـا لَيْسَ يخْفى هـو الـ ـمعـروفُ والشرُّ هـو المُنْكَـرُ
والمـوْعِدُ المـوتُ وما بعـده الـ ـحَشْـرُ فـذاكَ المـوْعِـدُ الأكبْـرُ

(١) الموبذ: قاضي المجوس.

لا فَخْـرَ إلّا فخْـرُ أهْـلِ التُقى غَـداً إذا ضَـمَّهُـمُ المَـحْشَـرُ
لَـيَعْـلَمَـنّ الـنـاسُ أن الـتُـقـى والبِـرّ كـانـا خَيرَ مـا يُـذْخَـرُ
عَجِبتُ لـلانسـانِ فـي فَخْـرِهِ وهْـوَ غـداً فـي قبـرِهِ يُـقْمَسُ
مـا بَـالُ مَـن أوّلـهُ نُـطفَـةٌ وجـيـفـةٌ آخِـرُهُ يـفـخر
أصْبِحْ لا يمْلكُ تقْـديـمَ مـا يَـرْجـو ولا تـأخيـرَ مـا يحْذَرُ
وأصبَحَ الأمـرُ إلـى غـيـره في كـلّ مـا يُقضى ومـا يُقدَرُ

أما قوله:

يـا عجبـاً للنـاس لـو فكـروا وحـاسبـوا أنفسهم أبصـروا

فمـأخوذ من قـولهم: الفِكرةُ مـرْآة تُريـكَ حَسنَكَ من قبيحـكَ. ومن قـول لُقْمـان لابنه: يـا بُنيّ لا ينبغي لعاقِـلٍ أن يُخْلي نفسَهُ من أربعـة أوقات فـوقتٌ منهـا يناجي فيـه ربه، ووقتٌ يُحاسب فيه نفسـه، ووقتٌ يَكسِبُ فيه لمعـاشه، ووقتٌ يُخَلّي فيـه بين نفسه وبين لـذّتها ليستعين بـذلك على سـائـر الأوقـات.

وقوله:

وعبـروا الـدنيـا إلى غيـرهـا فـإنمـا الـدنيـا لهم معبـر

مأخوذ من قول الحسن: اجْعَلِ الدنيا كالقَنْطرة، تجوزُ عليها ولا تَعْمُرُها

وقوله:

الخيرُ مما ليس يخفى هو الـ ـمعـروف والشر هـو المنكر

مأخوذ من حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص قال: قال رسول اللّه ﷺ: يا عبدَ اللّه كيْفَ بك إذا بقيت في حُثالةٍ من الناس مَـرَجَتْ عُهودُهُمْ وأمـاناتُهمْ وصار الناس هكـذا، وشَبَّك بين أصـابعه. فقلتُ مـرْني يا رسـولَ اللّه. فقال: خُـذْ ما عـرَفْتَ ودَعْ ما أنكَـرْتَ وعليك بخُـوَيِّصَةِ[1] نفسـك وإيـاكَ وعَـوامّهـا. قوله ﷺ: في حُـثـالةٍ من النـاس، أما الحُثـالةُ فهـو ما يَبقى في الإنـاء من رَدِيِّ

(١) خويصة: تصغير خاصة.

الطعام وضربه مثلاً. وقولـهَ مَرجَتْ عُهـودُهم يقول: اختلطت وذهبت بهم كـلّ مَذْهبٍ. يقال: مَرَجَ الماءُ إذا سال فلم يكن له مانع.

قال اللّه عز وجل: ﴿مرَجَ البَحْرَيْن يَلتَقِيانِ﴾[1]. وقوله:

ليعـلمن الـنـاس أن التـقى والبـر كانـا خيـر مـا يـذخـر

مأخوذ من قول أبي هُرَيرةَ عن النبي ﷺ قال: إذا حُشِرَ الناسُ في صعيدٍ واحد نادى مُنادٍ من قِبَلِ العَرْش: لِيَعْلَمَنَّ أهلُ المـوْقِفِ منْ أهلُ الكـرَم ليَقُمِ المُتّقون، ثم تلا رسولُ اللّه ﷺ: ﴿إن أكْرَمَكم عِنْدَ اللّه أتقاكُم﴾[2]. وقوله:

مـا بـال من أولـه نـطفـة وجـيـفـة آخـره يـفـخـر

مأخوذ من قـول علي بن أبي طالب رضي اللّه عنـه: وما ابنُ آدَمَ والفخْرُ وإنمـا أوله نُـطفةٌ وآخـره جيفةٌ لا يَـرْزُقُ نفسه ولا يَـدْفعُ حَتفَـهُ.

وقال ابن أبي عُيَيْنَة:

مـا راحَ يَـومٌ على حَيٍّ ولا ابْتَكـرا إلا رأى عِبْـرةً فيـه إن اعْـتَبـرا
ولا أتتْ ساعةٌ في الـدهْرِ فـانصَرمتْ حتى تُـؤثِّـرَ فـي قـوم لـهـا أثَـرا

(فانصَرَفتْ أشبَهُ للمطابقة والمشهور انصرمتْ).

إنّ الـلـيـالـيَ والأيـام أنـفُسَـهـا عن غير أنفُسِها لم تَكتُمِ الخبـرا

فأخذ هذا المعنى **حبيبُ بن أوْسٍ الطائيُ**[3]، وجمعه في ألفاظٍ يسيرة،

---

(١) سورة الرحمن: الآية ١٩.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٣) حبيب بن أوس الطائي؛ أبو تمام، الشاعر المشهور، كان كثير التنقل بين حوافر الدولة العباسية أحب الشعر فبرع فيه حتى عده بعضهم من أكبر شعراء العربية. كان مولده سنة ١٩٠ هـ. ووفاته سنة ٣٢٢ هـ بالموصل.

أنظر: تاريخ بغداد ٢٤٨/٧ ـ ٢٥٣، المجلة العربية عدد ٨ السنة الثانية، والعدد ٦ السنة الثالثة، وسواها من الدراسات حول الشاعر.

فقال:

عمري[1] لقد نصَحَ الزمانُ وانه لِمنَ العجائب ناصحٌ لا يُشْفِقُ

فزاد بقوله: ناصح لا يشفق، على قول ابن أبي عُيَيْنَةَ شيئاً طريفاً، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام. ولو قال قائل: إن أقرب ما أَخَذَ منه أبو العَتاهِيَةِ:

لَيَعْلَمَنَّ الناسُ أن التُقى والبِرَّ كانا خيرَ ما يُذْخَرُ

من قول الخليل بن أحمد: (قال أبو الحسن: زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبي ﷺ إلى الوقت الذي وُلدَ فيه أحمدُ أبو الخليل أحداً سُمِّيَ بأحمد غيرَه):

وإذا افتَقرْتَ إلى الذخائر لم تَجدْ ذُخْراً يكون كصالح الأعمال

لكان قد قال قولاً. وقال العباس بن الفرج:

أمَلي من دونه أجَلي فمتى أُفْضي إلى أمَلي

وقال الخليل بن أحمد، وكان نظر في النجوم فأبْعَدَ، ثم لم يَرْضَها، فقال:

أبْلِغا عَنّي المُنَجِّمَ أنني كافرٌ بالذي قَضَتْهُ الكواكبْ
عالمٌ أن ما يكونُ وما كا ن بحَتمٍ من المُهَيْمِنِ واجِبْ

وقال محمد بن يَسيرٍ يعيب المتلكمين، أنشدَنيه الرياشيُّ:

يا سائلي عن مَقالة الشِيَعِ وعن صُنوفِ الأهواء والبِدَعِ
دَعْ من يَقودُ الكلامَ ناحيةً فما يقول الكلامَ ذو وَرَعِ
كل أناسٍ بَدِيُّهُمْ حَسَنٌ ثم يَصيرونَ بعدُ للشُنَعِ
أكثرُ ما فيهِ أن يُقالَ له لم يَكُ في قوله بمُنْقَطِع

وأنشدني الرياشيُّ لغيره:

---

(١) عمري: يريد لعمري. قسم يستعمل بالفتح.

قد نقرَ الناسُ حتى أحدثوا بِدَعاً ... في الدين بالرأي لم تُبعَثْ بها الرُسُلُ
حتى استَخَفَّ بحق اللّه أكثرُهُمْ ... وفي الذي حُمِّلوا من حقِّه شُغُلُ

وقال **محمد بن يسير**:

وَيْلٌ لمنْ لم يَرْحَم اللّهُ ... ومَن تكونُ النارُ مثواهُ
يا حَسرَتي[1] في كل يومٍ مَضى ... يَذْكُرني الموتُ وأنساه
مَن طال في الدنيا به عُمْرُهُ ... وعاش فالموتُ قُصاراهُ[2]
كأنَّهُ قد قيلَ في مجْلِسٍ ... قد كنتُ آتيهِ وأغشاه
صار اليَسيريُّ إلى ربِّه ... يَرْحَمُنا اللّهُ وإيَّاهُ

وقال أيضاً:

أيُّ صَفْوٍ إلا إلى تكْدير ... ونعيمٍ إلا إلى تَغْيير
وسُرورٍ ولذَّةٍ وحُبورٍ ... ليس رَهْناً لنا بيومٍ عَسير
عَجَباً لي ومن رضايَ بدنيا ... أنا فيها على شَفا تَغْرير[3]
عالِمٌ لا أشُكُّ أني إلى اللّه ... إذا مِتُّ أو عذابِ السعير
ثم ألْهو ولستُ أدري إلى أيـ ... ـهما بعده يَصير مَصيري
أيُّ يَومٍ عليَّ أفظَعُ من يو ... م به تُبْرِزُ النَّعاةُ سَريري
كُلَّما مُرَّ بي على أهل نادٍ ... كنتُ حيناً بهم كثيرَ المُرور
قيل مَن ذا على سرير المنايا ... قيل هذا مُحمدُ بن يَسير

وقال **الحَكَمِيُّ أبو نُواس**:

أخي ما بالُ قلبك ليس يَنْقى[4] ... كأنك لا تظنُّ الموتَ حقا
ألا يا ابن الذين فَنوا وبادوا ... أما واللّهِ ما ذهبوا لِتَبْقى

---

(١) احسرة: الغم على ما فات.
(٢) قصارى الشيء: أقصى مداه.
(٣) الشفاء: الناحية. التغرير: المخاطرة وانعدام الثقة.
(٤) ينقي: يخاف حسب الوارد هنا.

وما أحدٌ بزادِك منكَ أحْظى ... وما أحدٌ بزادكَ منك أشْقى
ولا لكَ غيرَ تَقْوى اللّه زادٌ ... إذا جعلَتْ إلى اللهَواتِ تَرْقى

ومما يستحسن من شعره قوله:

لا أذودُ الطيرَ عن شَجَرٍ ... قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثَمَرِهِ[1]

فمثل هذا لو تقدم لكانَ في صدور الأمثال. وكذلك قوله أيضاً:

فامْضِ لا تَمْنُنْ عليَّ يداً ... مَنُّك المعروفَ من كدَرِهْ

وكان يقول: ذِكْرُ المعروف من المُنْعِمِ إفسادٌ له، وكتمانه من المُنْعَمِ عليه كفرٌ له. وفي هذا الشعر أبياتٌ مختارة فمنها:

وإذا مَجَّ القَنا[2] عَلَقاً ... وتَراءى الموتُ في صُوَرِهْ
راح في ثِنْيَيْ مُفاضَتِهِ[3] ... أسَدٌ يَدْمَى شَبا ظُفُرِهْ
تَتأنّى[4] الطيرُ غَدْوَتَهُ ... ثِقَةً بالشِبْعِ من جَزَرِهْ[5]
فاسْلُ عن نَوْءٍ[6] تُؤَمِّلُهُ ... حَسْبُكَ العباسُ من مَطَرِهْ
لا تَغَطي عنه مَكْرُمَةٌ ... بِرُبا[7] وادٍ ولا خَمَرِهْ
ذُلِّلَتْ تلك الفِجاجُ له ... فهو مُجْتازٌ على بَصَرِهْ

وقد عابوا عليه قوله:

كيف لا يُدْنيكَ من أمَلٍ ... مَن رسولُ اللّه من نَفَرِهْ

---

(١) الذود: الطرد: بلوت الشيء امتحنته واختبرته وكأنه إستعارة للذوق لأن من امتحن شيئاً واختبره فكأنه قد ذاقه.

(٢) القنا: الرماح.

(٣) مفاضته: درعه.

(٤) تتأنى الطير: تبقى في مكانها وقت الغدوة.

(٥) جزرة: الشاة السمينة.

(٦) النوء: النجم الذي يميل للسقوط.

(٧) الربى: بالضم جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض.

وهو لعَمْري كلامٌ مُسْتَهْجَنٌ موضوع في غير موضعه، لأن حق رسول اللّه ﷺ أن يُضاف إليه ولا يضاف إلى غيره، ولو اتسع متسع فأجراه في باب الحيلة لخرج على الاحتيال، ولكنه عَسِرٌ موضوع في غير موضعه، وباب الاحتيال فيه أن تقول: قد يقول القائل من بني هاشم لغيره من أبناء قريش: منا رسول اللّه ﷺ، وَحَقُّ هذا إنه من القبيلِ الذي أنا منه فقد أضافه إلى نفسه. وكذلك يقول القُرَشِيُّ لسائر العرب كما قال حسّانُ بن ثابت:

وما زالَ في الإسْلام من آل هاشِمٍ دعائمُ عِزٍّ لا تُرامُ ومَفْخَرُ
بَهاليلُ[1] منهم جعفرٌ وابنُ أُمِّهِ عليٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

فقال منهم كما قال هذا: من نفره، أراد من النفر الذين العباسُ هذا الممدوح منهم. وأما قول حَسَّان: منهم جعفر وابن أمه عليٌّ ومنهم أحمد المتخير، فإن العرب إذا كان العطف بالواو قَدَّمَتْ وأخرت.

قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿هو الذي خَلَقَكُم فمِنْكمْ كافرٌ ومنك مؤمنٌ﴾[2]. وقال ﴿يا مَعْشَرَ الجن والإنس﴾[3]. وقال: ﴿اسْجُدي واركعي مع الراكعين﴾[4] ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح إلاّ تقديم المقدَّم ثم الذي يليه واحداً فواحداً. وأما قوله في هذا الشعر:

وكريمُ الخال من يَمَنٍ وكريمُ العمِّ من مُضَرِهْ

فأضاف مُضَرَ إليه فهو أجود كلامٍ لا يمتنع منه ممتنعٌ. قال علي بن أبي طالب رضي اللّه تعالى عنه ــ يوم الجمل للأشْتَرِ وهو مالك بن الحرث أحدُ النَخَعِ بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْدٍ، وكان على الميْمَنَةِ ـ أحْمِلْ، فحمَلَ في أصحابه فكَشَفَ من بازائه. ثم قال لهاشم بن عُتبةَ بن مالك أحد بني زُهرَةَ بن

(١) بهاليل: جمع بهلول بالضم وهو السيد الجامع لكل خير.
(٢) سورة التغابن: الآية ٢.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.
(٤) سورةآل عمران: الآية ٤٣.

كِلاب وكان على الميْسَرَةِ: أحمِلْ فحَمَلَ في المُضرِيّةِ فكشَفَ مَن بإزائه، فقال عليّ رضي اللّه عنه لأصحابه: كيف رأيتم مُضَري ويَمَني؟ فأضاف القبيلتين إلى نفسه. قال جرير:

إن الـذين ابْتَنَـوا مجْـداً ومَكْرُمـةً تلْكُمْ قُـرَيْشِيَ والأنصـار أنصـاري

من أشعار اسحق بن خلف البهراني

ومما يستحسن من أشعار المُحْدثين قول أسحق بن خَلَفٍ البَهْرانيّ[1]، ونسبُهُ في بني حنيفة، لسباءٍ وقع عليه بقوله لعلي بن عيسى بن موسى بن طلحة الأشعري المعروف بالقُمّيّ (منسوب إلى قُمَّةَ وهي بلدة أو قرية من خُراسانَ):

ولـلْكُـردِ[2] منـك إذا زُرْتَـهُـمْ بكَيْـدِكَ يـومٌ كـيـوم الجَمَـلْ
ومـا زال عيسى بن مـوسى لـه مَواهبُ غيرُ النِطافِ[3] المُكُلْ[4]
لَسَـلُّ السيوف وشَقُّ الصُّفـوف لنقض التِـراتِ وضَـرْبِ القُـلَلْ
ولُبْسُ العجاجةِ[5] والخافقات تُـريكَ المنَـا بـرؤوس الأسَـلْ
وقـد كشَـرَتْ عن شَبـا نـابهـا عـروسُ المنيَّـة بين الشُـعَـلْ
وجـاءتْ تَـهـادى وأبـنـاؤهـا كـأنّ عليهم شُـروقَ الـطَفَـلْ[6]
خَـروسٌ نـطوقٌ إذا استُنـطِقَتْ جَهـولٌ تَـطيشُ على مَن جَهِـلْ

---

(١) البهراني: نسبة إلى بهراء وترد بهراوي.

(٢) الكرد بالضم: جيل من الناس معروف وجدهم كرد بن عمرو بن عامر بن ماء السماء.

(٣) النطاف: جمع نطفة بالضم وهي الماء الصافي

(٤) المكل بضمتين جمع مكول بالفتح من الملكة وهي حجة البئر او ما يسقي منها.

(٥) العجاجة: الغبار.

(٦) الطفل بالتحريك: ساعة تدنو الشمس فيها للغروب أو ساعة تطلع شبه لمعان الحديد على الرجال بشروق الشمس في هذا الوقت.

إذا خُطِيَتْ أخذتْ مَهْرَها رُؤوساً تَحادَرُ[1] قبل النَفَلْ[2]
ألَذُّ إليه من المُسْمعات وحَثُّ الكُؤوسَةِ[3] في يوم طِلْ[4]
وشُرْبِ المُدام ومَن يَشْتهيه مُعاطٍ له بِمزاج القُبَلْ
بعثنا النَواعج[5] تحتَ الرِجال تَسافَهُ أشداقُها في الجُدُلْ[6]
إذا ما حُدينَ بَمدْحِ الأمير سَبَقْنَ لِحاظَ[7] المُحَثِّ العَجِلْ

(من كسر الميم فهو من حَثَّ ومن ضم الميم جعله من أحَثَّ. يقال: حث وأحث على فَعَلَ وعلى أفْعَلَ لغتان). قوله: تريك المنا، يريد المنايا وهذه كلمة تخِفُّ على ألسنتهم فيحذوفنها. وزعم الأصمعي: أنه سمع العرب تقول: دَرَسَ المَنا يريدون المنازل. وجاء في التخفيف أعجبُ من هذا. حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي، وذكره سيبويه في كتابه ولم يذكر قائله، ولكن الأصمعي قال: كان أخوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي، فيقول أحدهما لصاحبه: ألاتا. فيقول الآخر: بلى يعني ما نهض يريد ألا تنهض، فيقول الآخر: بلى فانهض. وحكى سيبويه في هذا الباب:

بالخير خيراتٍ وإنْ شَرًّا فا ولا أريدُ الشَرَّ إلا انْ تا

يريد وإن شراً فشر ولا أريد الشر إلّا أن تريد. (قال: ش قول أبي العباس: إلّا أن تريد وَهْمٌ وإنما هو إلا أن تشاء. ولو كان كما قال أبو العباس كانت التاء مضمومة). وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء، فإنه يقال إن اللسان إذا كثرت حركته رقت عَذَبَتُهُ. وحدثني أبو عثمان الجاحظ قال: قال لي

---

(١) تحادر: تنحدر من أعلى إلى أسفل.

(٢) النفل: بالتحريك الغنيمة.

(٣) الكؤوس: جمع كأس.

(٤) الطل: المطر الخفيف.

(٥) النواعج: جمع ناعجة وهي الناقة السريعة التي يصاد عليها بقر الوحش

(٦) والجدل بضمتين جمع جديل وهو الزمام المجدول في أدم.

(٧) اللحاظ: لاحظه أي نظر إليه.

محمد بن الجَهْمِ لما كانت أيامُ الزُطِّ[1] أدْمَنْتُ الفِكرَ وأمسكت عن القول فأصابتني حُبْسَةٌ[2] في لساني. وقال رجل من الأعراب يذكر آخر منهم:

كأنَّ فيه لَفَفاً[3] إذا نَطقْ من طول تَحْبيسٍ وهَمٌّ وأرَقْ

وقال رجل لخالد بن صَفْوان: إنك لا تكثر: فقال: أُكْثِرُ لضربَين أحدهما فيما لا تُغْني فيه القِلَّةُ، والآخر لتمرين اللسان فإن حبسه يورث العُقْلةَ. وكان خالد يقول: لا تكونُ بليغاً حتى تُكلِّمَ أمَتَكَ السوداءَ في الليلة الظَلماء في الحاجة المُهِمّة بما تتكلم به في نادي قومِك. فإنما اللسان عُضوٌ إذا مَرَّنتَهُ مَرَنَ، وإذا أهملته خارَ، كاليد التي تُخَشِّنُها بالممارسة، والبدنِ الذي تُقوِّيه برفع الحَجَرِ وما أشبهه، والرِجلُ إذا عُوِّدَتْ المشيَ مشت. وقال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: لا تزالونَ أصِحّاءَ ما نَزَعْتُمْ ونَزَوْتُم، فنزعتم في القِسِيِّ ونزوتم على ظهور الخيل. وقال بعض الحكماء: لا ينبغي للعاقل أن يُخْلي نفسه من ثلاثٍ في غير إفراط: الأكل والمشيُ والجماعُ. فأما الأكل فإن الأمعاء تضيق لتركه، وكان ابن الزبير رحمه اللَّه يُواصِلُ فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة ثم يُفْطِرُ على سَمْنٍ وصِبرٍ ليَفْتُقَ أمعاءَهُ. قال أبو العباس: قال الأول: والمشيُ إن لم تتعهده أوْشَكتَ أن تطلبه فلا تجده. والجماعُ كالبئر إن نُزِحَتْ[4] جَمّتْ[5] وإن تُرِكَتْ تَحَيَّرَ[6] ماؤها، وحقُّ هذا كله القصْدُ. وقوله: كأنَّ عليهم شُروقَ الطَفَلْ، يريد تَألُّقَ الحديد كأنه شمس طالعة عليهم وإن لم تكن شمس. وأحسن من هذا قول سلامَة بن جَنْدَلٍ:

كأنّ النعامَ باضَ فوق رؤوسهم وأعينُهم تحت الحَديد جَواحِمُ

---

(١) الزط: بالضم: جيل من السودان والهنود وهم طوال الأجسام ضعفاء.

(٢) الحبسة: بالضم تعذر الكلام عند إرادته.

(٣) اللفف: العي بالكلام والبطء به.

(٤) نزحت البئر: استُقِيَ ماؤها حتى نفذ.

(٥) جمت: تراجع ماؤها.

(٦) تحير الماء: تردد والحائر مجتمع الماء.

(أي مُتّقدةٌ) فهذا التشبيه المصيب. وأما قوله: أحب إليه من المسْمِعات، فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن ادريس أبو دُلَفٍ العِجْليُّ:

من أقوال أبو دلف العجلي

يَوْمايَ يومٌ في أوانِسَ[1] كالدُمى[2] لَهْوي يومٌ في قتالِ الدَيْلَمِ
هذا حليفُ غلائلٍ[3] مَكْسُوَّةٍ مِسْكاً وصافيةٍ[4] كَنَضْحِ العَندمِ[5]
ولذاك خالِصةُ الدُروعِ وضُمَّرٌ[6] يكسوننا رَهَجَ[7] الغُبارِ الأقتَمِ[8]
وليومِهِنَّ الفضلُ لولا لذّةٌ سبقتْ بطعن الدَيْلَمِيِّ المُعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح وهو:

طواه الهوى فطوَى من عَدَلْ وحالف ذا الصَبْوةِ المُخْتَبَلْ

وأما قوله: تَسافَهُ أشداقُها في الجُدُلْ، فتسافه من السفه، وإنما يصفها بالمرَحِ وإنها تميل كذا مرة وكذا مرة، كما قال رُؤْبةُ:

يَمْشي العِرضنى[9] في الحديد المُتْقَنِ

وكما قال الآخر:

إذا رأى السَوْطَ مَشى الهَيْدَبى[10] ويتّقي الأرْضَ بمُعْجٍ[11] رِقاق

---

(١) أوانس: النساء طيبات الأنفس.
(٢) الدمى: جمع دمية بالضم وهي الصورة من العاج ونحوه إنما شبهوا النساء بها لأنها تتأنق في صنعها وتبالغ في تحسينها.
(٣) الغلائل: جمع غلالة: بالكسر، هي شعار تحت الثوب.
(٤) الصافية: يقصد بها الخمرة.
(٥) العندم: دم الأخوين شبه الخمر به في الحمرة يقول أنا في هذا اليوم ملازم للنساء والخمر.
(٦) الضمر: الخيل الضمرة.
(٧) الرهج: الغبار.
(٨) الأقتم: الأسود.
(٩) العرضنى: بالكسر: أي في مشيه بغي من نشاط.
(١٠) الهيدبي: نوع من مشي الخيل فيه جد ونشاط.
(١١) المعج: الإسراع.

(الهيدبى بالدال مهملة ومعجمة. وقوله: بمعج رقاق يريد قليلة اللحم).
وكما قال الحُطَيْئةُ:

وإن آنَسَتْ حِسّاً من السوط عارَضَتْ بيَ الجَوْرَ حتى تستقيَم ضُحى الغَدِ

والجُدُلُ جمع جَديلٍ وهو الزِمامُ المجدول، كما تقول قتيل ومقتول، وأدنى العدد أجدِلَةٌ، كقولك: قضيبٌ وقُضُبٌ وأقضِبةٌ. وكذلك: كثيبٌ ورَغيفٌ وجَريبٌ، وفُعْلانٌ كفُعُلٍ في الكثير يقال: قُضْبانٌ ورُغْفانٌ وجُرْبانٌ. ومثل قوله: تسافه اشداقها في الجدل. قول حبيب بن أوسٍ الطائيّ:

سفيهُ الرُمْحِ جاهِلُهُ إذا ما بَدا فَضْلُ السفيه على الحليم

ومما يُسْتحسن من شعر اسحق هذا قوله في الحسن بن سهْلٍ:

بابُ الأميرِ عَراءٌ[1] ما به أحَدٌ إلا امرؤٌ واضِعٌ كفا على ذَقَنِ
قالتْ وقد أمَلَتْ ما كنتُ آمُلُهُ هذا الأمير ابنُ سَهْلٍ حاتمُ اليَمنِ
كفَيْتُكَ الناسَ لا تَلقى أخا طَلَبٍ[2] بفِيءِ دارِكَ يَسْتَعْدي على الزمن
إن الرجاء الذي قد كنت آمله وَضَعتُهُ ورجاءَ الناسِ في كَفَنِ
في اللّه منه وَجْدوى[3] كفِّهِ خَلَفٌ ليس السَدى والنَدى في راحةِ الحَسَنِ

واسحق هذا هو الذي يقول في صفة السيف:

أَلْقى بجانبِ خَصْرِهِ أمْضى من الأجَلِ المُتاحْ
وكأنما ذَرَّ الهَبا ءَ عليه أنفاسُ الرياح

واسحق هذا هو الذي يقول في مدح العربية:

---

(١) العراء: بالفتح الفضاء لا يستتر فيه بشيء، وكأن الشاعر جعله مجازاً عن خلو الناس من بابه وقوله الا امرؤ الخ كناية عن الحزن لفوات ما كان يؤمل.
(٢) الطلب والطلبة بالكسر في الثانية الحاجة واستعدى إستغاث واستنصر ومفعوله محذوف اي لا تلقى اما حاجة بظل دارك يستنصرك على الزمن ويستغيث بك لأنه قد يئس منك.
(٣) الجدوى: العطية. والسدى المعروف الكندي.

النَحْـوُ يَبْسُطُ من لسـانِ الألْـكَنِ والمـرْءُ تُكْـرِمُـهُ إذا لـم يَلْحَـنِ
وإذا طَـلَبْتَ مـن العـلوم أَجَـلَّهـا فـأَجَـلُّهـا منها مُقـيـمُ الألْـسُـنِ

بما يحكم بالنبل والاستصغار

قـال أبو العبـاس: وأحسبه أخـذ قولـه: والمرء تكـرمـه إذا لم يَلْحَنِ، من حديث حدّثناه أبو عثمان والخُزاعيُّ عن الأصمعي قال: كان يقال ثلاثـة يُحْكَمُ لهم بالنُبْلِ حتى يُدْرى منْ هم، وهم: رجل رأيته راكباً، أو سمعته يُعْرِبُ، أو شَمِمْتَ منه طيباً. وثلاثة يُحكَمُ عليهم بالاستصغارِ حتى يُدْرى من هُمْ، وهم: رجـل شَمِمْتَ منه رائحـةَ نبيذٍ في مَحْفِـلٍ: أو سمعتـه في مِصْـرٍ عَـرَبيٌّ يتكلم بالفارسية، أو رجلٌ رأيته على ظهر طـريق ينازعُ في القَـدَرِ. قال أبـو العباس: أنشدني الأمراء لشاعر من أهـل الرَيِّ يُكْنى أبـا يزيـد شيئاً يقـوله لعبـد اللّه بن طاهر أحسَنَ فيه وأصابَ الفَصّ[1]، وقصَدَ بالمدح إلى مَعْدِنِهِ، واختاره لأهله:

اشْـرَبْ هَنيئاً عليـك التـاجُ مُـرْتَفِقـاً[2] في شـاذَ مَهْـرَ ودَعْ غُمْدانَ[3] لليـمنِ
فـأنـتَ أوْلى[4] بتاج المُـلْكِ تَلْبَسُـهُ مـن هَـوْذَةَ بن عـليٍّ وابـنِ ذي يَـزِنَ

فأحسَنَ الترتيب جداً، وإن كانت الملوك كلها تلبس التاج في ذلك الدهـر وإنما ذكـر ابنَ ذي يَزَنٍ لقول أُمَيَّةَ بن أبي الصَلْتِ الثَقَفِيِّ حيث يقول:

اشـرَبْ هنيئاً عَلَيْـك التـاجُ مُـرْتفِقـا في رأس غُمْـدانَ داراً منـكَ مِحْـلالا

وقال الأعْشى في هَوْذَةَ بن عليّ وإن لم يكن هوذةُ مَلِكاً:

مَن يَـرَ هَـوْذَةَ يَسْجُـدْ غيـرَ مُتْئِبٍ[5] إذا تَـعَمَّمَ فـوق التـاج أو وَضـعـا

---

(١) الفص: المفصل: أراد الصواب.
(٢) المرتفق: الثابت الدائم.
(٣) غمدان بضم الغين وسكون الميم بناء عظيم بناحية صنعاء اليمن قيل أنه من بناء سليمان عليه الصلاة والسلام.
(٤) أولى: أحق ـ أجدر.
(٥) متئب: من الوأب وهو الإستحياء والانقباض

لـه أكـاليـلُ بـاليـاقـوت فَصَّلهـا صَـوَّاغُهـا لا تـرى عيبـاً ولا طَبَعـا

قال أبو العباس، وحدثني التَوَّزِيُّ قال: سمعت أبا عبيدة[1] يقول عن أبي عمرو قال: لم يَتَتَوَّجْ مَعَدِّيّ قط وإنما كانت التيجان لليمن فسألته عن هَوْذَةَ بن علي الحنفي فقال: إنما كانت خَرزاتٌ تُنْظَم له.

في سؤال كسرى لهوذة بن علي عن بنيه

قال أبو العباس: وقد كتب رسول اللّه ﷺ إلى هوذة بن علي يدعوه كما كتب إلى الملوك وكان يُجير لَطيمةَ كِسْرى في البرّ بجنَبَاتِ اليمامة، واللطيمةُ الابلُ تَحْمِلُ الطيب والبَزَّ[2]، ووفدَ هَوْذَةُ بن عليّ على كِسرىً بهذا السبب، فسأله عن بَنيهِ فذكر منهم عدداً. فقال: أيهم أحبُّ إليك؟ فقال: الصغير حتى يكبر، والغائبُ حتى يَقْدَمَ، والمريض حتى يَصِحَّ. فقال له كِسْرى ما غِذاؤكَ في بلدك؟ فقال الخبزُ. فقال كسْرى لجُلَسائِهِ: هذا عَقل الخُبزِ يفضّله على عقول أهل البوادي الذين يَعْتَدّون اللبن والتمر. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: لقد هَمَمْتُ أن لا أقبَلَ هَدِية، ويروى أن لا أتَّهِبَ هِبةَ إلا من قُرَشيٍّ أو أنصاري أو ثَقَفيٍّ. وروى بعضهم أودَوْسِيّ، وذلك أنّ أعرابياً أهدى إليه هدية، فمنّ بها. فذكر رسول اللّه ﷺ أهل الامصار تفضيلاً على أهل البوادي.

في هجاء أبي عيينة

وقال عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيَيْنة يعاتب رجلاً من الأشراف:

أتَيْتُكَ زائراً لقضاء حَقٍّ فحال السِتْرُ[3] دونك والحِجابُ

---

(١) أبو عبيدة: مشهور بشعوبيته وفي ذكر الخبز وتفضيل أكله على شارب اللبن ما يثبت ذلك، وله قصة مختلقة.

(٢) البز: الثياب أو متاع البيوت.

(٣) الستر: الحجاب

وعِنـدكَ مَعْشَـرٌ فيـهم أخٌ لـي كـأنّ إخـاءَهُ الآلُ الـسَـرابُ
ولَسْتُ بسـاقطٍ في قِـدْرِ قـوم وإنْ كَـرِهوا كما يقـعُ الـذبـابُ
ورائي مَـذْهَبٌ عـن كـل نـاء بـجـانبـه إذا عـزَّ الـذَهـابُ

وقال أيضاً:

كـنـا مُـلوكـاً إذ كـان أوَّلُـنـا للجودِ[1] والبأسِ والعُلى خُلِقـوا
كـانـوا جبـالاً عـزّاً يُـلاذُ بهـا ورائحـاتٍ[2] بـالـوَبْلِ تَنْبَعِقُ[3]
كـانـوا بهم تُـرْسَـل السمـاءُ على الأرض غِيـاثـاً ويُشْـرِقُ الأفُقُ
لا يـرْتُقُ[4] الـراتقـون إن فَتَقـوا فَـتْقـاً ولا يُـفْتُـقـونَ مـا رَتقـوا
ليسـوا كمعْـزَىَ[5] مَـطيـرةٍ بقيتْ فـمـا بهـا مـن سَحـابـةٍ لَـثَـقُ

(اللَثَقُ البلل):

والضعفُ والجُبنُ عند نـائبـةٍ[6] تـنـوبُـهُـمْ والـحِـذارُ والـفَـرَقُ
هـذا زمـانٌ بـالـنـاس مُنْـقَلِب ظهْـراً لبطنٍ جـديـدهُ خَلَقُ[7]
الأُسْـدُ فيـه على بَـراثـنهـا[8] مُـسْـتـأخِـراتٌ تـكـاد تَـمْـزِقُ

وكان سببُ قوله هذا الشعرَ أن أسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد اللّه بن العباس، كان له صديقاً، وكان عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ من رؤوساء مَنْ أخذ البَصْرةَ للمأمون في أيام المخلوع[9]، وكان معاضِداً لطاهر بن الحسين في حـروبه وكـان اسمعيل بن جعفـر جليل القـدر مطاعـاً في مَـواليـه

---

(١) الجود: الكرم.
(٢) رائحات: يريد سحابة وهي تلك التي تمطر بالعشي.
(٣) تنبعق: تفاجيء بالمطر.
(٤) الرتق: الإلتئام والفتق ضده.
(٥) المعزى: بالقصر وقد يمد خلاف الضان من الغنم والمطيرة التي نزل عليها المطر.
(٦) النائبة: واحدة من نوائب الدهر.
(٧) خلق: بالتحريك البالي.
(٨) البراثن: جمع برثن بالضم وهو من السباع كالظفر للإنسان.
(٩) المخلوع: أريد به محمد الأمين.

وأهلِهِ، وكانت الحال بينهما ألطفَ حالٍ، فوصله ابن أبي عيينة بذي اليمينين فَوَلاهُ البصرة وولّي بنَ أبي عيينة اليَمامةَ والبَحْرَيْنِ وغَوْصَ البحرِ، فلما رجعا إلى البصرة تَنَكَّرَ إسماعيلُ لابن أبي عُيينة، فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة، ثم عُزِلَ ابنُ أبي عُيينة، فلم يزل يهجو اسمعيلَ، وسأل ذا اليمينين عَزْلَهُ فدافعه وضَرَّ بالرجل فكان يهجو مِن أهله مَنْ يواصلُ اسمعيلَ، وكان أكبَرَ أهلِهِ قدراً في ذلك الوقت يزيدُ بن المُنْجابِ، وكان أعور قائمَ العينِ لم يُطَّلَعْ على عِلَّتِهِ إلا بشعر ابن أبي عيينة، وكان منهم. وكان سيدَ أهل البصرة أجمعين محمدُ بن عَبّاد بن حبيب بن المُهَلَّبِ ومنهم سعيد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبي صُفرةَ وكان قصيراً، وكان ابن عباد أحْوَلَ فذلك حيث يقول ابن أبي عيينة في هذا الشعر الذي أمليناه:

تَسْتَقدِم النَعْجتانِ والبَرَقُ[1] في زمنٍ سَرْو أهلِهِ المَلَقُ
عُورٌ وحُولٌ وثالثٌ لَهُمُ كَأنَّهُ بين أسْطُرٍ لَحَقُ[2]

ولهم يقول ولاثنين ظنَّ أنهما معهم، وقد مروا به يريدون اسمعيل بن جعفر:

ألا قُلْ لِرَهْطٍ خَمْسةٍ أو ثلاثةٍ يُعَدُّونَ من أبناء آل المُهَلَّبِ
على باب اسمعيل رُوحُوا وبَكِّروا دَجاجَ القُرى مَبْثوثةً حَولَ ثَعلبِ
وأثْنوا عليه بالجَميل فإنه يُسِرُّ لكم حُبّاً هو الحبُّ واقلِبِ
يلينُ لكم عند اللِقاءِ مُوارِباً[3] ويَخْلُقُكمْ منه بنابٍ ومِخْلَبِ
ولولا الذي تُولونَهُ لتَكَشَّفَتْ سَريرتُهُ عن بِغْضةٍ وتَعَصُّبِ

---

(١) البرق: بالتحريك: الجذع من أولاد الضأن فما دونه والسرو والمرؤة في شرق تعطي من اللسان ما ليس في القلب.

(٢) اللحق: الشيء الزائد.

(٣) المواربة: المواهاة والمخاتلة.

أبْعَدَ بَلائي عنده إذْ وجَدْتُهُ ... طَريحاً كنَصْلِ القِدْحِ[1] لمَّا يُركَّبِ
به صَدَأٌ قد عابَهُ فَجَلوْتُهُ ... بكفّي حتى ضَوْءُهُ ضُوءُ كوكبِ
وركَّبْتُهُ في خُوطِ[2] نبْعٍ ورِشْتُهُ ... بقادِمَتَيْ[3] نَسْرٍ ومَتن[4] مُعَقَّبِ
فما إنْ أتاني منه إلا مُبَوّأً[5] ... إليَّ بنَصْلٍ كالحريق مُذَرَّبِ
فَفَلَلْتُ منه حَدَّهُ وتركتُهُ ... كهُدْبة ثوب الخزِّ لما يُهَدَّبِ
رَضِيتم بأخلاقِ الدَنيِّ وعِفْتُمُ ... خلائقَ ماضيكم من العَمّ والأبِ

وفي هذا يقول لطاهر بن الحسين:

مالي رأيتُكَ تُذْني كلَّ منتكث[6] ... إذا تَغَيَّب مُلْتاثٍ[7] إذا حَضَرا
إذا تَنَسَّمَ ريحَ الغَدْرِ قابلَها ... حتى إذا نَفَخَتْ في أنفه غَدَرا
ومَنْ يجيء على التقريب منكَ له ... وأنتَ تَعْرِفُ فيه المَيْلَ والصَّعَرا
أحَلَّكَ اللّه من قَحْطانَ منزلةً ... في الرأس حيثُ أحَلَّ السمعَ والبَصرا
فلا تُضِعْ حَقَّ قحْطانٍ فتُغضِبَها ... ولا رَبيعةَ كلّا لا ولا مُضَرا
أعطِ الرجالَ على مِقدارِ أنفسهم ... وأولِ كُلاًّ بما أوْلى وما صَبَرا
ولا تقولَنَّ اني لَسْتُ من أحَدٍ ... لا تَمحَقِ النَيِّرَينِ الشمسَ والقمرا

ويقول له في أخرى:

هو الصَبرُ والتسليمُ للّه والرضا ... إذ نَزَلَتْ بي خُطَّةٌ[8] لا أشاؤها
إذا نحن أُبْنا سالمين بأنفُسٍ ... كِرامٍ رَجَتْ أمراً فخاب رجاؤها

---

(١) القدح: السهم قبل أن يراش وينصل.
(٢) الخوط: بالضم القضيب أو الغصن الناعم لسنة
(٣) قادمتي نسر من: مثنى قادمة وهي من قوادم جناح الطائر وهي أربع ريشات في مقدم الجناح.
(٤) والمتن من السهم ما بين الريش إلى وسطه والعقب بفتح القاف المشددة، وهو القوس يلوي عليها شيء من العقب بالتحريك وهو العصب وتعمل منه الأوتار.
(٥) المبوأ: إسم مفعول في بوأ. أي وجه وسدد.
(٦) منتكث: مهزول.
(٧) ملتاث: البطيء.
(٨) الخطة: الخطب بالضم.

فـأنفُسُنـا خيـرُ الـغنيمـة إنهـا تَؤوبُ وفيهـا مـاؤهـا وحَيـاؤهـا
هي الأنفُسُ الكُبْـرُ التي إنْ تقـدّمتْ أو استـأخرتْ فـالقتلُ بـالسيف داؤها
سيعلم اسـمعيـلُ أن عَـداوتـي لـه ريقُ أفعى لا يُصـابُ دَواؤهـا

ولما حُمِل اسمعيلُ مقيداً ومعه أبناه أحدهما في سلسلة مقروناً معه، وكان الذي تولى ذلك أحمد بن أبي خالد في قصة كانت لاسمعيل أيامَ الخُضْرةِ. فقال ابن أبي عُيَيْنَةَ في ذلك:

مَـرَّ اسـمعـيـلُ وابـنـا ـهُ مَـعـاً فـي الأُسَـراءِ
جـالسـاً في مَحْمِـلٍ ضَنْـ ـكٍ عـلى غـيـر وِطـاءِ
يَـتَغَـنى الـقـيـدُ فـي رجـ ـلَيْـهِ ألـوانَ الـغِـنـاء
بـاكيـاً لارَقـأتْ[1] عَيْنـ ـاهُ مـن طـول البُـكـاءِ
يـا عُقابَ الـدَجْنِ في الأمْـ ـنِ وفي الخـوف ابن مـاءِ

وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به. فمن ذلك قوله:

لاتَعْدَمِ العَـزْلَ يـا أبـا الحَسَـنِ ولا هُـزالاً فـي دَوْلـةِ السُّحَـنِ
ولا انـتـقـالاً مـن دارِ عـافـيـةٍ إلـى ديـار البَـلاءِ والـفِـتَـنِ
ولا خُروجاً إلى القِفارِ من الأرض وتـرْكَ الأحْـبـابِ والـوَطـنِ
كم رَوْحـةٍ فيـك لـي مُهَـجِّـرةٍ ودُلْـجـةٍ[2] في بَـقيَّـةِ الـوَسـنِ
في الحر والقُرِّ كي تُـوَلّى على الـ ـبصـرة عَينِ الأمْصـار والمُـدُن
إني أُحـاجيـكَ[3] يـا أبـا حَسنٍ مـا صـورةٌ صُـوِّرَتْ فلم تَكُـنِ
وما بَهيٌّ[4] فـي العَـيـنِ مَـنـظَرُهُ لـوْ وَزنـوهُ بـالزِفِّ[5] لم يَـزِنِ[6]

(١) رقأ الدمع: جف وسكن.
(٢) الدلجة: بالضم السير في أول الليل كالدلج بالتحريك.
(٣) حاجية: فاطنة.
(٤) البهي: الحسن.
(٥) الزف: بالكسر صغار ريش النعام أو كل طائر.
(٦) لم يزن: لم يرجع.

ظـاهـرُهُ رائـعٌ وبـاطـنُـهُ مَـلآنَ مـن سَـوْأةٍ ومـن دَرَنِ

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زَعْبَلٍ مولى بني مازِنٍ بن مالك بن عمرو بن تميم، وكان منقطعاً إلى إسمعيل وولدِهِ، وكان لا يَبْلُغُ ابنَ أبي عُيَينَة في الشعر ولا يدانيه. ومن أمْثل شعره وما اعترَضَ له به. قوله:

إني أُحاجيكَ ما حنيفٌ على الـ ـفِطرةِ باعَ الرِّباحَ[1] بالغَبَنِ[2]
وما شُبَيْخٌ من تحت سِدْرَتِهِ مُعَلِّقٌ نَعْلَهُ على الغُصُنِ
وما سُيوفٌ حُمْرٌ مُصَقَّلةٌ قد عُرِّيَتْ من مقابضِ[3] السَفَنِ[4]
وما سِهامٌ صُفرٌ مُجَوَّفةٌ تُحْشى خُيوطَ الكتانِ والقُطُنِ
وما ابنُ ماءٍ ان يُخْرِجوهُ إلى الأرض تَسِلْ نفْسُهُ من الأُذنِ
وماعُقابٌ زَوْراءُ[5] تُلْحِمُ من خَلْفٍ فتَهوى قصْداً على سَنَنِ
لها جناحانِ يَحْفِزانِ[6] بها نبطا إليها بِجِدْوَتَيْ رَسَنِ
يا ذا اليَمينِ اضْرِبْ عِلاوَتَهُ[7] يُدْفَعْ وماني في النار في قَرَنِ[8]

(قيل السفينة وقيل الراية وهو أصح لأن جَدَّهُ حَبَس رايةَ طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام وقوله وماني في النار في قرن، ماني إسم عَلَمٍ وكان رأساً من رؤوس الزنادقة) فأجابه إبراهيم السوّاق مولى آل المُهَلَّبِ وكان مُقَدَّماً في الشعر بأبيات لا أحفظ أكثرها، منها:

قد قيل ما قيل في أبي حَسَنِ فانتحِروا في تطاوُلِ الزَمَنِ

---

(١) الرباح: بفتح الراء، الربح.
(٢) الغبن: ضد الربح.
(٣) المقابض: جمع مقبض وهو ما يقبض عليه في السيف.
(٤) السفن: جلد خشن.
(٥) الزوراء: المائلة.
(٦) يحفزانها: يدفعانها من خلف.
(٧) العلاوة: الرأس ما دام في عنقه.
(٨) القرن بالتحريك حبل يجمع به البعيران.

وهذا السواق هو الذي يقول لبُسْرِ بن داود بن يزيد بن حاتم بن قَبيصةَ بن المهلب:

سَماؤُكَ تُمْطِرُ الذهبا ... وحَرْبُكَ تَلتَظي لَهَباً
وأيُّ كتيبةٍ لاقتْـ ... ـكَ لم تَسْتَحْسِن الهَرَبَا

ومن شعره السائر:

هَبيني يا مُعَذِّبَتي أسأتُ ... وبالهِجْرانِ قبلَكُمُ بَدأتُ
فأين الفَضْل منكِ فَدَتكِ نفسي ... عليَّ إذا أسأتِ كما أسأتُ

عتاب أبي عيينة لذي اليمنين

ولابن أبي عُيَيْنةَ في هذا المعنى أشعار كثيرة في معاتبات ذي اليمينين وهجاءِ اسمعيل وغيره، سنذكرها بعدُ في هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى. ومن شعره المستحسَن، قوله في عيسى بن سليمان بن علي بن عبد اللّه بن العباس، وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمةُ بنت عمر بن حفص هَزارَمَرْدَ (وقعت الرواية كما في الأصل وصوابه هَزاذَمَرْدَ بالزاي والذال معجمة ولا خلاف في الزاي)، وهو من ولد قَبيصة بن أبي صُفرة ولم يَلِدْهُ المُهَلّبُ، وكان يقال لأبي صُفرةَ ظالم بن سَرّاق:

أفاطِمِ قد زُوّجتِ عيسى فأيقِني ... بذُلٍّ لدَيهِ عاجلٍ غير آجِلِ
فإنك قد زُوِّجتِ عن غيرِ خِبرةٍ ... فتىً من بَني العباس ليس بعاقِلِ
فإن قُلتِ من رَهطِ النبيّ فإنه ... وإن كان حُسّر الأصْلِ عبدُ الشمائل
فقد ظَفِرَت كفّاهُ منكِ بطائلٍ[1] ... وما ظَفِرَتْ كفّاكِ منه بطائل
وقد قال فيه جعفرٌ ومحمدٌ ... أقاويلَ حتى قالها كلُّ قائل
وما قلتُ ما قالا لأنكِ أُخْتُنا ... وفي السِّرِ منا والذُرا والكَواهلِ

(١) طائل: سعة وغنى.

لَعَمري لقد أثبَتُّهِ في نِصابِهِ[1] بأنْ صِرْتِ منه في مَلِّ الحلائِل
إذا ما بَنو العَباسِ يوماً تَبادَروا عُرا المجْدِ وابتاعوا كِرامَ الفَضائل
رأيت أبا العباسِ يسْمو بنفسه إلى بيع بَيّاحاتِه[2] والمَبَاقِلِ[3]
يُرَخِّمُ[4] بيْضَ العام تحت دَجاجهِ ليُخْرِجَ بيضاً من فراريج قابلِ

قال أبو العباس: وولد عيسى من فاطمة هذه لَهُم شجاعةٌ ونجدةٌ وشدة أبدانٍ، وفاطمة التي ذكرتُها هي التي كان يَنسِبُ بها أبو عُيَيْنةَ أخو عبد اللّه ويَكنى عنها بدُنيا. ومن ذلك قوله لها:

دَعَوْتُكَ بالقَرابة والجِوارِ دُعاءَ مُصرِّحٍ بادي السِّرار
لإني عنكِ مُشْتغلٌ بنفسي ومُحْتَرِقٌ عليكِ بغير نار
وأنت تَوَفَّرينْ وليس عندي على نار الصَبابةِ من وَقارِ
فأنتِ لأنَّ ما بكِ دون مابي تُدارينَ العُيونَ ولا أُداري
ولَوْ واللّهِ تَشتاقين شَوْقي جَمَحْتِ إليّ خالِعةَ العِذار

وقال عبد اللّه يعاتب ذا اليمينين:

مَن مُبلِغٌ عني الأميرَ رسالةً محصورةً عندي عن الإنشاد
كلُّ المصائبِ قد تمُرُّ على الفتى فتهورُ غير شماتَةِ الحُسَّادِ
وأظن لي منها لَدَيكَ خَبيئةً ستكونُ عند الزادِ آخِرَ زاد
مالي أرى أمْري لديْكَ كأنه من ثِقْلهِ طَودٌ من الأطوادِ
وأراكَ تُرْجيهِ[5] وتُمْضي غيره في ساعةِ الإصدارِ والإيراد
اللّهُ يَعْلمُ ما أتيتُكَ زائراً من ضيقِ ذاتِ يَدٍ وضيقِ بلاد
لكن أتَيْتُكَ زائراً لك راجياً بك رتبةَ الآباءِ والأجْدادِ

---

(١) النصاب: الأصل.
(٢) البياحات: بياحة بتشديد الياء وهي شبكة الحوت.
(٣) المباقل: جمع مبقلة بفتح القاف.
(٤) يرخم: يحتضن. وهي للطير عندما يحتضن بيضه للتفقيس.
(٥) ترجيه: أرجأ الشيء دفعه وأخره.

قد كان لي بالمِصرِ يومٌ جامِعٌ ... لكَ مُصلِحٌ فيه لكل فساد
ودعوْتُ منصوراً فأعلنَ بيعةً ... في جَمْع أهل المِصرِ والأجْنادِ
بارَتْ مُسارَعتي إليكَ بطاعتي ... كلَّ البَوار وآذَنتْ بكسادِ
في الأرض مُنفَسَحٌ ورزقٌ واسعٌ ... لي عنك في غَوْري وفي إنجادي

وقال أيضاً يعاتبه:

أيا ذا اليمينَين إنّ العِتابَ ... يُغري[1] صُدوراً ويَشفي صدوراً
وكنتُ أرى أنّ تركَ العِتا ... ب[2] خيرٌ وأجدرُ أن لا يَضيرا
إلى أن ظَننتُ بأن قد ظننْتَ ... بأني لِنفسيَ أرضَى الحَقيرا
فأضمَرَتِ النفسُ في وهَمها ... من الهَمِّ هَماً يكُدُّ الضميرا[3]
ولا بُدّ للماءِ في مِرْجَلٍ ... على النار مُوقَدةً أن يفورا
ومن أُشربَ اليأسَ[4] كان الغَنيّ ... ومَن أُشربَ الحِرص[5] كان الفقيرا
عَلامَ وفيمَ أرى طاعَتي ... لديْكَ ونصري لك الدهْرَ بُورا[6]
ألم أكُ بالمِصرِ أدعو البَعيد ... إليك وأدعو القريبَ العشيرا
ألم أكُ أوّلَ آتٍ أتاك ... بطاعة مَن كان خلفي بَشيرا
والزَمُ[7] غَرْزَكَ في ماقِط الـ ... ـحُروبِ عليها مقيماً صَبورا
ففيمَ تُقَدِّمُ جَفّالةً[8] ... إليكَ أمامي وأُدْعى أخيرا

---

(١) يغري: غرى هذا الحديث في صدري، يغري من باب رضى إذا علق به وأغراه الصفة فيه كأنه الصف بالضراء.

(٢) يقول إن العتاب مُرٌّو يحمل على الحقد والضغن فيثبت في الصدر وتارة ينفيه منه فيبدأ من كان به.

(٣) يكد الضمير: يتعبه ويجهده.

(٤) اليأس: القنوط وقطع الأمل.

(٥) الحرص: بالكسر: الجشع.

(٦) بوراً: كساداً.

(٧) الزم يريد اتبع أمرك ونهيك.

(٨) جفاله: بالضم أو بالفتح الجماعة.

كـأنّـكَ لم تسرَ أن الفتى الـ ... حَميَّ[1] إذا زارَ يـومـاً أميـرا
فـقُـدِّمَ مَـن دونَـهُ قَـبْـلَهُ ... ألسْتَ تـراه بسُخْطٍ جَـديـرا
ألَسْتَ تَـرى أنّ سَفَّ التراب ... بـه كـان أكـرَمَ من أن يـزورا
ولستُ ضعيفَ الهوى والمدى ... أكونُ الصَّبا[2] وأكونُ الدَّبورا[3]
ولكنْ شِهابٌ[4] فـإنْ تَـرْمِ بي ... مُهِمّـاً تجِـدْ كـوكبي مستنيرا
فهل لك في الإذنِ لي راضياً ... فـإني أرى الإذنَ غُنماً كبيـرا
وكـان لـك اللّهُ فيمـا ابْتُعِثتَ ... لـه من جهـادٍ ونصْـرٍ نصيرا
ولا جَـعَـل الـلّهُ فـي دَوْلـةٍ ... سَبَقْتَ إليهـا وريـحٍ فُتـورا
فـإنّ ورائـيَ لـي مَـذْهَـبـاً ... بعيداً من الأرض قاعاً وقُورا[5]
بـه الضَبُّ تَحْبِسُهُ بـالفـلاة ... إذا خَـفَق الآلُ فيهـا بَعيـرا
ومـالاً ومِـصْـراً عـلى أهله ... يَـدُ اللّه من جـائرٍ أن يجـورا
وإنـي لَمِـنْ خيـر سُكّـانِـهِ ... وأكثـرِهِمْ بـنفيـري نَفيـرا

وقال عبد اللّه لعلي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنهم، وكان دعاه إلى نُصرتِه حين ظهرت المُبَيِّضةُ[6] فلم يُجِبهُ فتوعده علي. فقال عبد اللّه:

أعَـليَّ إنـك جـاهـلٌ مـغـرورٌ ... لا ظُلمـةٌ لـك لا ولا لَـكَ نُـورُ
أكَتَبْتَ تُـوعِـدُني إن اسْتَبْـطأتني ... إني بِحَـربـك مـا حَييتُ جَـديـرُ
فدَعِ الوعيدَ فما وعيدُك ضائِـري ... أطَنينُ أجْنِحـةِ البَعـوضِ يضيـرُ
وإذا ارتحَلْتُ فـإن نصريَ للأولى ... أبَـواهمُ المَـهْـدِيُّ والمَـنصـورُ

---

(١) الحمي: كغني من لا يحتمل الضيم.
(٢) الصبا: بالفتح: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.
(٣) الدبور بالفتح أيضاً ريح يقابلها وضرب ذلك مثلاً للاضطراب والتحول.
(٤) الشهاب بالكسر الماضي في الأمر وهو في الأصل الشعلة من النار ساطعة.
(٥) وقور: الأرض ذات الحجارة السوداء.
(٦) المبيضة: كمحدثه فرقه من الشوية سموا بذلك لتبيضهم بثيابهم مخالفة للمسودة من العباسين.

نَبَتَتْ عليــه لُحومُنــا ودِمــاؤُنــا وعليــه قُــدِّرَ سَعْيُنــا المَشْكــورُ

وقال عبد اللّه في قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهلَّبِ: مَنْ قَتَلَ بأرض السِندِ بدم أخيه المُغيرةِ بن يَزيدَ:

أفنى تميمــاً سَعْدَهــا ورِبــابَهــا بــالسِندِ قَتْــلُ مُغيــرةَ بن يَزيــدِ
صَعقَتْ عليهم صَعقــةٌ عَتَكيَّــةٌ جَعَلتْ لهم يَــوماً كيــوم ثمــودِ
ذاقَتْ تميمٌ عَرْكتين[1] عــذابَنــا بــالسِنــدِ مــن عُمَــرٍ ومــن داود
قُــدْنــا الجيــادَ من العِراقِ إليهمُ مثــلَ القَطا[2] مُــسْتَنَّــةً لــوُرودِ
يَحْمِلنَ من ولــد المُهلَّبِ عُصبــةً خُــلِقَتْ قُــلوبُــهُــمُ قــلوب أُســودِ

وفي المغيرة يقول في قصيدة مطولة:

إذا كَــرَّ فيهــم كــرَّةً أفــرجــوا لــه فِرار بُغاثٍ[3] الـطير صادَفَنَ أجدَلا[4]
ومــا نِيــلَ إلا مِنْ بعيــدٍ بحــاصب من النَّبْلِ[5] والنُشَّابِ[6] حتى تَجَدَّلا[7]
وإنــي لَمُــثْنٍ بــالــذي كــان أهــلَهُ أبو حــاتِمٍ إن ثــاب دَهــرٌ فــاعضــلا
فتىً كــان يَستَحيي من الذَمِّ أن يَرى لــه مَخْرجــاً يــوماً عليــه ومَــدْخــلا
وكــان يَظنُّ المــوتَ عــاراً على الفتى يَــدَ الــدهــرُ إلا أن يُصــابَ فيُقْتَــلا
مَــنيَّــةُ ابنــاء الــمُــهَــلَّبِ إنــهُــمْ يَــرَوْنَ بهــا حَتمــاً كتابــاً مُعَجَّــلا
وقــد أطلَقَ للّهُ اللســانَ بقتــل مَنْ قــتَلنــا بــه مــنهــم ومَــنَّ وأفــضــلا
أنــاح بهم داودُ يَــصرِفُ[8] نــابُــهُ ويُلقي عــليهــم كَلْكَــلا ثــم كَلْكَــلا

---

(١) العركة: المعركة.

(٢) القطا: نوع من الطير.

(٣) بغاث: جمع بغاثة: الطير الضعيف.

(٤) الأجدل: الصقر.

(٥) بحاصب من النبل: أصل الحاصب السحاب الذي يرمي التراب أو البرد.

(٦) النشاب بالضم النبل أيضاً واحدته بهاء.

(٧) تجدل: صرع على الأرض.

(٨) الصريف: صوت البعير وهنا كناية عن النشاط.

يُقَتِّلُهُمْ جوعاً إذا ما تَحَصَّنوا وتَقْريهُمُ [1] هوجُ المَجانيقِ جَندلاَ

وهذا شعر عجيب من شعره وفي هذه القصة يقول:

أبَتْ إلاّ بُكاءً وانتِحابا وذِكْراً للمُغيرةِ واكتِئابا
ألم تَعْلَمْ بأن القتل وِرْدٌ لنا كالماء حين صَفا وطابا
وقلتُ لها قِري وثِقي بقولي كأنكِ قد قرأتِ به كتابا
فقد جاء الكتابُ به فقولي ألا لا تَعْدَمِ الرأيَ الصوابا
جَلَبْنا الخيلَ من بَغداد شَعْثاً عَوابِسَ تَحْمِلُ الأُسْدَ الغِضابا
بكلِّ فَتىً أغَرَّ مُهَلَّبِيٍّ تخالُ بضَوءِ صورته شِهابا
ومَنْ قَحْطانَ كلُّ أخي حِفاظٍ إذا يُدْعى لنائبةٍ أجابا
فما بَلَغَتْ قُرى كَرْمانَ حتى تَخَدَّدَ لحمُها عنها فَذابا
وكان لَهُنَّ في كرمانَ يومٌ أمَرُّ على الشُراةِ بها الشَرابا
وإنّا تاركون غداً حديثاً بأرض السِندِ سَعْداً والرِبابا
تُفاخِرُ بابن أحْوَزِها تميمٌ لقد حانَ المُفاخِرُ لي وخابا

وفي مثل هذا البيت الأخير يقول أخوه أبو عُيَيْنَةَ:

أعاذِلُ صَهْ[2] لستَ من شيمتي وإن كنتَ لي ناصحاً مُشْفِقاً
أراك تُفَرِّقُني[3] دائباً وما ينبغي ليَ أنْ أفْرَقا
أنا ابنُ الذي شادَ لي مَنصِباً وكان السِماكَ إذا حَلَّقا
قَريعُ العِراقِ[4] وبِطْريقُهُمْ وعِزُّهمُ المُرْتَجى المُنْتَقى
فمَن يستطيعُ إذا ما ذهَبْـ ـتُ أنطِقُ في المَجدِ أن ينطِقا
أنا ابن المُهَلَّبِ ما فَوقَ ذا لِعالٍ إلى شَرَفٍ مُرتَقى

---

(١) تقريهم: من القرى ما يؤدم للضيف.

(٢) صه: بسكون الهاء كلمة زجر للمخاطب أي أسكت.

(٣) تفرقني: التفريق: التخويف.

(٤) القريع: المختار والبطريق الرجل المختال المزهو أو القائد في قواد الروم.

فـدعْـنيَ أُغـلي ثيـابَ الـصِبـا بِـجِـدَّتـهـا قـبْـلَ أن تَـخْـلَقـا

(قال أبو الحسن، وهذا شعر حسن وأوله:

ألـم تَنـهَ نـفسَـك أن تَـعْشَـقـا ومـا أنتَ والعِشقُ لـولا الـشَقـا
أمِن بَعـدِ شُـرْبِـكَ كـأسَ النُهى وشـمِّـكَ رَيْحـانَ أهـل التُقـا
عَشِقْتَ فـأصبحتَ في العـاشقيـ ـن أشـهَـرَ مـن فـرسٍ أبْـلَقـا

ثم قال: أعاذل صه لست من شيمتي. ثم قال بعد قوله: فدَعْنيَ أُغْلي ثيابَ الصِّبا:

أدُنيـايَ[1] من غمْـرِ بَحْـرِ الهَـوى خُـذي بِيـدي قبـلَ أن أغـرْقـا
أنـا لَـكِ عبـدٌ فكـوني كَمَـنْ إذا سَـرَّهُ عـبـدُه أعْـتَـقـا

قال أبو الحسن قوله: أنا لك عبدٌ، فَوَصلَ بالألف فهذا إنما يجوز في الضرورة والألف تُثبتُ في الوقف لبيان الحركة فلم يُحْتَجْ إلى الألف، ومن أثبتها في الوصل قاسه على الوقفِ للضرورة كقوله:

فـإن يَكُ غثّـاً[2] أو سمينـاً فـإنني سـأجعَـلُ عَيْنَيْـهِ لِنفسِـهِ مَقنعـا

لأنه إذا وُقِفَ، وُقِفَ على الهاء وحْدَها فأجرى الوصل على الوقف، وأنشدوا قول الأعشى:

فكيـف أنـا وانتِحـالُ القـوا في بَعـدَ المَشيبِ كفى ذاكَ عـارا

والرواية الجيدة: فكيف يكون انتحالي القوافي بعد المشيب.

سَقى اللّهُ دُنيـا عـلى نـأيِهـا مـن القَـطرِ مُنْبِعـقـا رِيُّـقـا
ألم أخْـدَعِ النـاسَ عن حُبِّهـا وقـد يَخْـدعُ الكيِّسُ الأحمَقـا
بَـلى وسَـبَـقْتُـهُـمُ إنـنـي أُحِبُّ إلى المَجْدِ أن أَسْبِـقـا

---

(١) أدنياي: الهمزة للنداء. دنيا إسم إمرأة.

(٢) الغث: غير القيم.

ويَـوْمَ الـجِـنـازةِ إذ أرْسَـلَتْ على رِقْبَـةٍ أن جيءَ الخَندقا[1]
إلى السَّـالِّ فـاخْتـرْ لنـا مجلسـا قـريـبـاً وإيـاك أن تَـخـرُقا[2]

هذا مما يَغْلَطُ فيه عامةُ أهل البصرة، يقولون السالَ بـالتخفيف. وإنما هـو السالُّ يا هذا وجمعه سُـلَّانٌ، وهو الغـالُّ وجمعه غُـلَّانٌ، وهو الشَقُّ الخفيُّ في الوادي:

فكنَّـا كغُصنَيْـنِ من بـانـةٍ رَطيبَيْنِ حـدْثـانَ مـا أوْرَقـا
فقـالت لِتِرْبٍ لهـا استنشديـ ـه من شِعرهِ الحَسَنِ المُنتقى
فـقلتُ أمِـرتُ بكِتـمـانِـهِ وحُـذِّرتُ إن شـاعَ أ يُسـرَقـا
فقـالتْ بعيشِـكِ قـولي لـه تَـمَنَّـعْ لَـعَلّك أن تُـنـفِـقـا

قوله لعلك أن تنفقـا، اضطرار، وحقـه لعلك تُنفِقُ، لأن لَعَلَّ من اخـوات إنَّ، فـأُجْرِيَتْ مُجـراها، ومن أتى بـأن فلمضارعتهـا عسى. كما قـال مُتَمِّمُ بن نُوَيرةَ:

لَـعـلَّكَ يـومـاً أن تُـلَـمَّ مُـلِمَّـةٌ عليـك من اللائي يَدَعْنـكَ أجْـدعـا

(وهـو كثيـر). قـال أبـو العبـاس زعم أبـو مُعـاذٍ النُمَيْـريُّ انـه كـان يَعتـادُ عبد اللّه بن محمد بن أبي عيينة ويكثر المُقـام عنده، وكـان راويةً لشعـره. وأمُّ ابن أبي عُيَيْنـةَ بن المهلب يقـال لهـا خَيـرةُ، وهي من بني سَلمـةِ الخيـرِ بن قُشَيْرِ بن كعْبِ بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعةَ، فأبطأتُ عليه أياماً فكتب إليّ:

تَمـادى في الجَفـاء أبـو مُعـاذِ وراوَغـنـي ولاذ بـلا مَـلاذِ
ولـولا حَقُّ أخْـوالي قُـشَيـرٍ أتَتْـهُ قصـائـدٌ غيـرُ اللَّذاذِ
كمـا راح الهِـلاليُّ بن حَـربٍ بـه سِمـةٌ على عُـنُقٍ وحاذِ[3]

يعني محمـد بن حرب بن قَبيصـة بن مُخـارِقٍ الهـلاليَّ، وكـان من أقعَـدِ

---

(١) الخندق: حفر حول اسوار المدن.
(٢) يقال خرق الرجل: إذا ندب.
(٣) الحاذ: الظهر.

الناس. ولقَبيصة بن المخارق صحبةٌ لرسول اللَّه ﷺ، وكان سار إليه فأكرمه وبَسَط له رداءَهُ. وقال مرحباً بخالي. فقال: يا رسول اللَّه، رقَّ جِلدي ودَقَّ عظمي، وقَل مالي، وهُنتُ على أهلي. فقال له رسول اللَّه ﷺ: لقد أبكيتَ بما ذكرتَ ملائكةَ السماء. ومحمدُ بن حَربٍ هذا وليَ شُرْطةَ[1] البصرة سبع مرات، وكان على شُرطةِ جعفر بن سليمان على المدينة، وكان كثير الأدب غزيرَهُ، فأغْضَبَ ابن أبي عُيَيْنةَ في حُكمٍ جَرى عليه بحضرة اسحق بن عيسى، وكان على شرطته إذ ذاك، ففي ذلك يقول عبد اللَّه بن أبي عيينة:

بأخوالي وأعمامي أقامَتْ ... قُرَيْشُ مُلكَها وبها تُهابُ
متى ما أدْعُ أخوالي لحربٍ ... وأعمامي لِنائبةٍ أجابوا
أنا ابن أبي عُيَيْنةَ فرْعُ قَوْمي ... وكعبٌ والدي وأبي كِلابُ
خَلا ابن عُكابةَ الظَرِبانِ[2] سَهْلٍ ... له فسْوٌ تُصاد به الضِبابُ
وآخرَ من هلال قد تداعى ... فصار كأنه الشيءُ الخَرابُ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الشرطة بالضم: أعوان الولاة، سموا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها.
(٢) الظربان: حيوان كالهر.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٣٣ ـ باب في كلام الحكماء

قال أبو العباس: كان ابن شُبْرُمةَ إذا نزلتْ به نازلةٌ قال سَحابةٌ ثم تَنقَشِعُ[1]. وكان يقال أربع من كنوز الجنةِ، كتمانُ المصيبةِ وكتمانُ الصدقة وكتمانُ الفاقةِ وكتمانُ الوجَعِ. قال عمر بن الخطاب رحمه اللَّه: لو كان الصَبرُ والشُكرُ بَعيرَينِ ما باليتُ أيَّهما رَكِبتُ. وقال العُتبيُّ محمد بن عبيد اللَّه يذكر ابناً له مات:

أصْبحَتْ بِخدِّي للدموعِ رُسومُ ... أسَفاً عليكَ وفي الفُؤاد كُلومُ
والصبر يُحْمَدُ في المَصائب كلِّها ... إلا عليكَ فإنه مذمومُ

قال أبو العباس: واحسب أن حَبيباً الطائي سمع هذا فاستَرَقَهُ في بيتين أحدهما قوله في إدريس بن بَدرٍ الشامي:

دموعٌ أجابتْ داعيَ الحُزْنِ هُمَّعُ ... تَوَصَّلُ منا عن قُلوبٍ تَقَطَّعُ
وقد كان يُدعى لابسُ الصبرِ حازماً ... فأصْبَحَ يُدْعى حازماً حينَ يَجْزَعُ

والآخر قوله:

قالوا الرَحيلَ فما شَكَكْتَ بأنها ... نفسي عن الدنيا تريد رَحيلا
الصَبرُ أجمَلُ غيرَ أنْ تَلَذُّذاً ... في الحُبِّ أحْرى أن يكون جميلا

وقال سابقٌ البَرْبريّ:

وإن جاء ما لا تستطيعانِ دفعَهُ ... فلا تَجْزَعا مما قضى اللَّهُ واصْبِرا

---

(١) تنقشع: تنكشف وهذا مجاز عن زوال المصيبة

وقال آخر أيضاً:

اصْبرْ على القَدَرِ المجلوب وارضَ به ... وإن أتاك بما لا تَشتَهي القَدَرُ
(فما صَفا لامْرىءٍ عَيشٌ يُسَرُّ به ... ألا سَيَتْبعُ يوماً صَفْوَهُ كَدَرُ)

حديث خالد بن صفوان مع بلال بن أبي بردة

وكان خالد بن صَفْوان يدخل على بلال بن أبي بُردةَ يحدِّثه، فيَلْحنُ. فلما كثر ذلك على بلال قال له: أتحدثني أحاديثَ الخلفاء، وتَلحنُ لَحْنَ السَّقّاآت[1]؟ قال التَّوَّزيُّ: فكان خالدُ بن صفوان بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلّم الإعرابَ، وكَفَّ بَصَرُهُ، فكان إذا مرَّ به مَوْكِبُ بلالٍ يقول: ما هذا؟ فيقال له الأمير. فيقول خالدٌ: سحابةُ صَيفٍ عن قليل تَقَشّعُ. فقيل ذلك لبلال، فأجْلَسَ معه مَن يأتيه بخبره، ثم مرّ به بلال. فقال خالدٌ: كما كان يقول، فقيل ذلك لبلال، فأقبَلَ على خالد. فقال: لا تَقَشّعُ واللّه حتى تُصيبَكَ منها بشُؤْبوب، بَرَدٍ، فضربه مائتيْ سوطٍ. وقال بعضهم: بل أمَرَ به فدِيسَ بطنُهُ. قوله بشؤبوب، مهموز وهو الدُفعةُ من المطر بشدة، وجمعه شآبيبُ. قال النابغة يخاطب القبيلة:

ولا تُلاقي كما لاقَتْ بنُو أسَدٍ ... فقد أصابَتْهُمُ منها بشؤْبوبِ

يريد ما نال بني أسد من غارة النعمان عليهم، وضربَ الشؤبوب مثلاً للغارة، والغارةُ تُضْرَبُ لذلك مثلاً، كما يقال شنّ عليهمْ الغارةَ، أي صبها عليهم. قال ابن هَرْمةَ:

كم بازِلٍ قد وَجَأتُ لَبّتَها ... بمُسْتَهِلِّ الشُؤبوب أو جَمَل

يريد ما وَجَأها به من حديد. يقول. لما وَجأتُها دَفَعَتْ بشؤبوب من الدم. فكأنه قال: بِسِنانٍ مُسْتهِلِّ الشُؤبوب، أو ما أشبه ذلك. وكان خالد بن صَفوان أحدَ مَن إذا عَرَضَ له القولُ، قال. فيقال إن سليمان بن عليٍّ سأله عن ابنَيْه

---

(١) السقاآت: جمع سقاءة وهي المرأة التي تسقي الماء.

جعفرٍ ومحمدٍ فقال: كيف إحمادُكَ جِوارَهما يا أبا صفوان؟ فقال:

أبـو مـالـك جـارٌ لهـا وابنُ بُـرْثُنٍ فيـا لـكَ جـارَيْ ذِلّـةٍ وصَغـارِ

(ش قوله أبو مالك صوابه أبو نـافع وهـو مَوْلىً لعبـد الرحمن بن أبي بكـر الصـدّيق رضي اللّه عنه)، فـأعْرَضَ عنـه سليمـانُ، وكـان سليمـانُ من أحلم النـاس وأكرمِهم، وهـو في الوقت الـذي أعْـرضَ فيـه عنـه والي البصـرةِ وعمُّ الخليفةِ المنصورِ. والشعر الذي تمثّلَ به خالد ليزيد بن مُفرِّغٍ الحِمْيَريِّ قال:

سَقى اللّهُ داراً لي وأرضـاً تركتُها إلى جَنبِ دارَيْ معقِـلِ بن يسـار
أبـو مـالـك جـارٌ لهـا وابنُ بُـرْثُنٍ فيـالـكَ جـارَيْ ذِلّـةٍ وصغَـار

وكان الحسن يقول: لسانُ العاقل من وراء قلبه، فإن عَرَضَ له القولُ نـظر فإن كان له أن يقول، قال. وإن كان عليه القولُ أمسَكَ. ولسانُ الأحمق أمـام قلبـه، فإذا عـرض عليه القـول قال، كـان عليه أو لـه. وخـالـدٌ لم يكن يقـول الشِعرَ، ويروى أنه وعد الفَرزدقَ شيئاً فأخره عنه، وكان خالد أحد البخلاء فمر به الفرزدقُ فَهدَّدَهُ فأمسك عنه حتى جاز الفرزدقُ ثم أقبل على أصحابـه فقال: إن هذا قد جَعَـلَ إحدى يَـديهِ سطحاً[1] ومـلأ الأخرى سَلحاً[2]. وقال إن عمَـرتُمْ سَطحي وإلا نضَحْتُكمْ بسلحي. وقال إياسُ بن معاوية المُزَنيُّ أبو واثلَةَ[3]: وكان أحد العقلاء الدُهاةِ الفضلاء لخالد: لا ينبغي أن نجتمع في مجلس. فقـال له خالد: وكيف يا أبا واثلـةَ؟ فقال: لأنك لا تحب أن تسكت وأنـا لا أحب أن أسمع.

في الدهاء والاحتيال والمكـر

وخاصم إلى إياس رجلٌ رجلاً في دَينٍ، وهـو قاضي البصـرة، فطَلبَ منـه

---

(١) سطحاً: أي منبسطة للسؤال.

(٢) السلح: النجو وهو مجاز عن توازع شعره.

(٣) أبو واثلة: كنية أياس.

البيّنةَ فلم يأتـه بمَقنعٍ، فقيـل للطالب: اسْتَجِرْ وكيـعَ بن أبي سُودٍ حتى يَشْهَـدَ لك فإن إياساً لا يَجْترىء على ردّ شهادته ففعل. فقال وكيعٌ. واللّه لأشهَدَنَّ لك، فإن رد شهادتي لأُعَمِّلَنَّهُ السيف، فلما طَلعَ وكيعٌ فهِمَ إياسٌ عنـه، فأقْعَـدهُ إلى جانبه ثم سأله عن حاجته. فقـال: جئت شاهـداً. فقال لـه: يا أبـا المُطَرِّفِ، أتشهـد كما تفعـل المَوالي والعَجَمُ، أنت تَجِـلُّ عن هذا؟ فقـال: إذنْ واللّه لا أشهد. فقيل لـوكيع بعـدُ: إنما خـدعَكَ. فقـال أوْلى لابن اللخْناءِ[1]. وشهـد رجـلٌ من جلساء الحسن بشهـادة عند إيـاسٍ، فرده، فشكـا الرجـل ذلك إلى الحسن، فأتاه الحسنُ فقال: يا أبا واثلة، لمَ رَددت شهادة فَلانٍ؟ فقال: يـا أبا سعيد إن اللّه تعالى يقول ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ من الشهداءِ﴾[2] وليس فلان ممن أرضى. واختلف نصراني إلى أبي دلامةَ مَوْلى بني أسد يَتَـطَبَّبُ لابن له فـوعده إن بَـرأ على يديه أن يُعطيه ألف دِرْهمٍ، فبرأ ابنه، فقال للمتطبب: إن الدراهم ليست عندي، ولكن واللّه لأُوَصِّلَنَّها إليك، ادَّعِ على جاري فلان، هذه الدراهمَ فإنه مُوسِرٌ وأنا وابني نشهد لك فليس دون أخذها شيءٌ فصار النصراني بالجـار إلى ابن شُبرُمةَ فسأله البينةَ، فطلع عليه أبو دُلامةَ وابنُهُ، ففهم القاضي، فلما جلس بين يديه قال أبو دُلامة:

إنِ النـاسُ غَـطَّوْني تَغَـطَّيْتُ عنهمُ ... وإن بَحثَـوني كـان فيهمْ مَبـاحثُ
(وإنْ حفـروا بئـري حَفَـرتُ بـآرَهمْ ... ليَعلَم قـومٌ كيف تلك النّبـائـثُ[3]

فقال ابن شبرمة: من ذا الذي يَبحَثُكَ يا أبـا دُلامةَ؟ ثم قـال للمدعي قـد عرفتُ شاهدَيْكِ، فخلِّ عن خصمك ورُحْ العشيـةَ إليّ. فراح إليه فغَرِمَهـا من ماله. وشهد أبو عُبيدةَ عند عُبَيْـدِ اللّه بن الحسن العَنْبريِّ على شهـادة، ورَجلٌ عدل. فقال عبيدُ اللّه للمُدّعي: أما أبو عبيدة فقد عرفته فـزدني شاهـداً، وكان

---

(١) اللخناء: المرأة التي لم تختتن، المتنة.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٣) النبائث: تراب الآبار.

عبيدُ اللّه أحد الأدباء الفقهاء الصُّلَحاءِ. وزعم ابن عائشة قال: عَتَبْتُ عليه مرة في شيء. قال: فلقيني يدخل من باب المسجد يريد الحكم، وأنا أخرج. فقلت مُعرِّضاً به البيت للبعيث:

طَمِعتَ بليلى أن تَريع[1] وإنما تُقَطِّعُ أعْنَاقَ الرجال المطامِعُ

فأنشدني مُعَرِّضاً تاركاً لما قصدتُ له:

وبايَعْتُ ليْلى في خَلاءٍ ولم يَكُنْ سُهودٌ على ليْلى عُدولٌ مقانِعُ[2]

وكان ابن عائشة يَتَحَدّثُ عنه حديثاً عجيباً، ثم عُرِفَ مَخْرَجُ ذلك الحديث. ذكر ابن عائشة، وحدثني عنه جماعة لا أحصيهم كَثْرةَ: إن عبد اللّه بن الحسن شهِد عنده رجل من بني نَهْشَلٍ على أمر أحْسِبُهُ دَيْناً فقال له: أتَرْوي قولَ الأسود بن يعفر: نامَ الخَلِيُّ[3] فما أُحِسُّ رُقادي[4]. فقال له الرجل: لا. فرَدّ شهادَتهُ وقال: لو كان في هذا خير لرَوى شَرَفَ أهلِهِ.

حلم سوار بن عبد اللّه

فحدثني شيخ من الأزْدِ حديثاً ظَنَنتُ أن عُبيد اللّه إياه قَصَدَ، قال: تقدم رجل إلى سَوّار بن عبد اللّه، وسَوّارٌ ابنُ عمّ عُبيد اللّه بن الحسين، يَدّعي داراً وامرأةٌ تدافِعُهُ وتقول لسوّار: إنها واللّه خِطّةٌ ما وقع فيها كتاب قطُّ. فأتى المدّعي بشاهدين يعرفهما سَوّار فشهد له بالدار وجعلت المرأة تنكر إنكاراً يَعْضُدُهُ التصديق ثم قالت: سَلْ عن الشهود فإن الناس يتغيرون. فرَدّ المسئلةَ فَحُمِدَ الشاهدان فلم يزل يُرَيِّثُ أمورهم ويسألُ الجيرانَ، فكلٌّ يصدِّقُ المرأة

---

(١) أن تريع: أن ترجع يقال راع فلان يريع.

(٢) المقانع: جمع مقنع بفتح الميم والنون أي رضي يقنع بشهادته ويعضهم لا يثنيه ولا يجمعه لأنه مصدر.

(٣) الخلي: الخالي من هموم الحب.

(٤) الاحساس: العلم بالحواس.

والشاهدان قد ثبتا، فشكا ذلك إلى عبيد اللَّه فقال له عبيد اللَّه: أنا أَحْضُرُ مجلس الحكم معك فآتيك بالجَليَّةِ إن شاء اللَّه تعالى. فقال للشاهدين: ليس للقاضي أن يسألكمُا كيف شهدتما ولكن أنا أسألكما، قال: فقالا: أراد هذا أن يحُجَّ فأدارنا على حُدود الدار من خارج وقال: هذه داري فإن حدث بي حادثٌ فَلْتَبِعْ ولتُقْسَمْ على سبيل كذا. قال: أفعندكما غيرُ هذه الشهادة؟ قالا: لا. فقال: اللَّه أكبر وكذا ففَهِما أنهما قد اغْتَرَّا. فكان سوّار إذا سأل عن عدالة الشاهد يُتْبِعُ المسألةَ أن يقول: أفحائزُ العدالةِ هو؟ فظننتُ أن عُبيد اللَّه رأى في الشاهد غفلة فاختبرَه بهذا وما أشبهه. وحدثني أحد أصحابنا أن رجلاً من الأعراب تقدم إلى سَوّار في أمر فلم يصادِف عنده ما يُحبُّ فاجتهدَ فلم يَظْفَرْ بحاجته، قال: فقال الأعرابي وكانت في يده عَصاً:

رأيتُ رُؤْيا[1] ثم غَرَّتُها ... وكنتُ للأحْلامِ عَبّارا
بأنّني أخْبِطُ في ليلتي ... كلْباً فكانَ الكلْبُ سَوّار

ثم انحنى على سوّار بالعصا فضربه حتى مُنِعَ منه. قال: فما عاقبه سَوّارٌ بشيء. قال: وحُدِّثتُ أن أعرابياً من بني العَنْبَرِ سار إلى سوّار فقال: إن أبي ماتَ وتركني وأخاً لي، وخطَّ خطين في الأرض. ثم قال: وهَجيناً، وخَطَّ خَطّاً ناحيةً، فكيف نَقسِمُ المال؟ فقال أههنا وارثٌ غيركم؟ قال: لا. قال: المال بينكم أثلاثاً فقال: لا أحسبك فَهِمْتَ عني، إنه تركني وأخي وهَجيناً لنا. فقال سوار: المال بينكم أثلاثاً. قال: فقال الأعرابي: أيأخذ الهجين[2] كما آخذ وكما يأخذ أخي؟ قال: أجَلْ. فغضب الأعرابي. قال: ثم أقبل على سوّار فقال: تَعَلَّمْ واللَّه إنك قليلُ الخالات بالدَهْناء. فقال سوّار: إذا لا يَضيرَني في ذلك عند اللَّه شيئاً (قيل إنه ليس بالدهنا أَمَةٌ وإنما كان فيها الحَرائر) وكان عَقيلُ بن عُلَّفَةَ من الغَيْرةِ والأنفَةِ على ما ليس عليه أحدٌ علمناه، فخطب إليه

---

(١) يقال عبرت الرؤيا تعبيراً وعبرتها من باب نَصَرَ: أوّلها وفسّرها وأخبر بما يؤدي إليه أمرها.
(٢) الهجين: من الناس والخيل. من قبل الأم إذا كان الأب عتيق والأم ليست كذلك.

عبدُ الملك بن مَرْوانَ ابنته على أحَد بَنيهِ، وكانت لعَقيلٍ إليه حاجاتٌ فقال: أما إذا كنتَ فاعلاً بَجَنِّبْني هُجناءَكَ. وخَطَبَ إليه ابنتَهُ إبراهيمُ بنِ هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوَليدِ بن المُغيرة وهو خال هشام بن عبد الملك ووالي المدينة وكان أبيضَ شديد البياض فرده عَقيلٌ وقال:

رَدَدْتُ صَحيفةَ القُرَشيِّ لما أبَتْ أعْراقُهُ إلاّ احْمِرارا

في الرثاء

وكانت حَفْصةُ بنتِ عمْرانَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد اللّه قد مِيتَ عنها، فخطبَها جماعة من قريش أحدهم عبد اللّه بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب وأحدهم إبراهيم بن هشام، فكان أخوها محمد بن عِمْران إذا دخل إلى إبراهيم بن هشام أوسع له وأنشده:

وقالوا يا جَميلُ أتى أخوها فقلتُ أتى الحبيبُ أخو الحبيبِ
أُحِبُّكَ أن نَزَلْتَ جبالِ حسْمَى[1] وأن ناسَبْتَ بَثْنَةَ من قريبِ

وهذا الشعر لجميل بن عبد اللّه بن مَعْمرٍ العُذْرِيِّ فأما جَميلُ بن معمر الجُمَحيُّ فلا نسب بينه وبين معمر، أي ليس بينه وبينه أبٌ آخر. وكانت له صُحْبةٌ وكان خاصّاً بعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه. ويروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: أتيتُ باب عمر بن الخطاب رحمه اللّه فسمعتهُ يُنْشِدُ بالرُّكْبانيَّةِ:

وكيْفَ ثَوائي[2] بالمدينةِ بعد ما قَضَى وَطَراً[3] منها جَميلُ بن مَعْمَرِ

فلما استأذنتَ عليه قال لي: أَسَمِعْتَ ما قلتُ؟ فقلتُ: نَعَمْ. فقال: إنّا إذا خَلَوْنا قلنا ما يقول الناسُ في بيوتهم. (قال ش: وَهِمَ أبو العباس رحمه اللّه

---

(١) حسمي: بالكسر أرضي بالبادية بها جبال شواهق لا يكاد القتام يقارنها.
(٢) ثوائي: إقامتي.
(٣) الوطر: الغاية.

في هذا، وإنما القصة أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه هو الذي سمع عبد الرحمن بن عوف يُنْشِدُ) وكان جَميلُ بن معمر الجمحي قتلَ أخاً لأبي خِراشٍ الهُذَلِيِّ يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثَقٌ فضربه. ففي ذلك يقول أبو خِراش:

فأقْسِمُ لو لاقَيْتَهُ غيرَ موثَقٍ ... لآبَكَ[1] بالعَرْجِ الضِباعُ النَواهِلُ
لكان جميلٌ أسْوَأَ الناسِ صِرْعَةً ... ولكنّ أقرْانَ الظهورِ مَقاتِلُ
فليس كعَهْدِ الدارِ يا أمَّ مالكٍ ... ولكن أحاطتْ بالرِقابِ السلاسِلُ
وعاد الفتى كالكَهْلِ ليس بقائل ... سوى الحق شيئاً فاسْتراحَ العَواذِلُ

قوله: أسوأ الناس صِرعةً، أي الهيئة التي يُصْرَعُ عليها، كما تقول: جلست جَلْسةً وركبت رَكْبةً، وهو حَسَنُ الجِلْسةِ والرِكْبةِ أي الهيئة التي يَجْلِسُ عليها ويَرْكَبُ عليها، وكذلك القِعْدَةُ والنِيمةُ وقوله: لآبكَ أي لعادَكَ، وأصل هذا من الإيابِ والرُجوع.

قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿إن إلينا إيابَهُمْ.﴾[2] وقال عَبيدُ بن الأبْرَصِ:

وكلُّ ذي غَيْبَةٍ يَؤُبُ ... (وغائِبُ الموتِ لا يؤبُ)

وقوله: بالعَرْج فهو ناحية من مكة به وُلد عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عَفّانَ فسمي العَرْجِيَّ، ويقال: بل كان له مالٌ بذلك الموضع فكان يقيم فيه. (قال ش: هذا وَهْمٌ من أبي العباس رحمه اللّه، وأما صوابه فعبد اللّه بن عمر بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي اللّه عنه). والنَواهلُ فيه قولان: أحدهما العِطاشُ وليس بشيء، والآخر الذي قد شَربَ شَرْبَةً فلم يَرْوَ فاحتاج إلى أن يَعُلَّ. كما قال امرُؤ القَيْس:

إذْهُنّ أقْساطٌ كرِجْلِ الدَبى[3] ... أو كقَطا كاظِمةَ الناهِلِ

---

(١) لآبك: كناية عن قتله وطرحه في الفلاة.

(٢) سورة الغاشية: الآية ٢٦.

(٣) الدبى: صغار الجياد.

وقوله: أحاطتْ بالرقاب السلاسلُ يقول: جاء الاسلامُ فمنع من الطلب بالاوتار إلّا على وجهها.

وكان يقال أن أوّل من أظهَرَ الجَوْرَ من القضاة في الحكمِ **بلالُ بن أبي بُرْدةَ، وكان أميرَ البصرة وقاضيها**، وفي ذلك يقول رُؤْبَةُ:

وأنتَ يا ابن القاضِيَيْنِ قاضي (مُعْتَزِم[1] على الطريق ماضي)

وكان بلال يقول: إن الرجلين ليتقدَّمان إليَّ فأجِدُ أحدَهما على قلبي أخَفَّ فأقْضي له. ويروى أن بلالاً وفد على عمر بن عبد العزيز بخُناصِرَةَ[2] أَفسَدِكَ[3] (ش معناه لصق) لسارِيةٍ من المسجد فجعل يصّلي إليها ويديم الصلاة. فقال عمر بن عبد العزيز للعَلاءِ بن المُغيرةِ بن البُندارِ[4]: إنْ يَكُنْ سِرُّ هذا كعلانِيَتِهِ فهو رجلُ أهل العراق غيرَ مُدافعٍ. فقال العلاءُ: أنا آتيك بخبره. فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء، فقال: اشْفَعْ صَلاتَكَ فإن لي إليك حاجةً. ففعل فقال له العلاء: قد عرفتَ حالي من أمير المؤمنين، فإن أنا أشرْتُ بكَ على وِلايةِ العراقِ فما تَجْعلُ لي؟ قال: لكَ عُمالتي[5] سنةً. وكان مَبْلَغُها عشْرينَ ألفَ درهم (العُمالة بضم العين أجرة العامل). قال: فاكتب لي بذلك. قال: فأرفد[6] (معناهُ أسرَعَ) بلالٌ إلى منزله فأتى بِدَواةٍ وصَحيفةٍ، فكتَبَ له بذلك. فأتى العلاءُ عمرَ بالكتاب، فلما رآه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وكان واليَ الكوفةِ: أما بعد فإن بلالاً غَرَّنا باللّه فكِدْنا نَغْتَرُّ، فَسبَكناهُ فوجدناه خَبثاً كُلَّهُ والسلام. ويروى أنه كتب إلى عبد الحميد إذا وَرَدَ عليك كتابي هذا فلا تَسْتَعِنْ على عملك بأحدٍ من آل أبي

---

(١) معتزم: مجدٌّ في أمرك.

(٢) خناصر: بالضم بلد بالشام من أعمال حلب سمي بخناصره بن عمرو بن الحارث.

(٣) فسدك لسارية: لزم ـ شد.

(٤) البندار: بالضم في الأصل التاجر الذي يلزم المعادن أو الذي يخزن بضائعه.

(٥) العمالة: مثلث العين.

(٦) فأرفد: أي مشى مشية تشبه الهرولة.

موسى. قال أبو العباس: وكان بلالٌ داهَيَةً[1] لَقِناً[2] أديباً. ويقال إن ذا الرُّمَّةُ لما أنشده:

سمعتُ النـاسَ يَنْتَجعـونَ غَيْثـاً فَقُلْتُ لَصَيْـدَحَ انْتَجِعي[3] بِـلالا
تُنـاخِي عنـد خَيْـرِ فَىً يَمـانٍ إذا النَكْبـاءُ[4] نـوَحَتِ الشَمـالا

فلما سمع قوله: فقلت لصيدح انتجعي بلالاً. قال: يا غـلامُ مُرْ لهـا بقَتٍّ ونَـوىً. أراد أن ذا الرُّمَّـةِ لا يُحْسِنُ المـدح. قـولـه: سمعتُ النـاسُ ينتجعـون حكاية، والمعنى إذا حُقِّقَ إنما هو سمعتُ هذه اللفظةَ أي قـائلاً يقـول: الناسُ ينتجعون غَيْثاً، ومثل هذا قوله:

وَجَـدْنـا في كِتـاب بني تَميـمٍ أَحَقُّ الخَيْـلِ بالرَكْضِ[5] المُعارُ[6]

فمعناه وجدنا هذه اللفظة مَكتوبَةً. فقولـه: أَحَقُّ الخيلِ، ابتـداءٌ، والمُعارُ خبره، وكذلـك الناسُ ابتـداء وينتجعون خبـره. ومثلُ هـذا في الكلام: قـرأت الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ، إنما حَكَيْتَ ما قـرأتَ. وكذلـك: قرأتُ على خـاتَمِهِ اللَّهُ أكْبَرُ يا فتى، فهذا لا يجوز سواه. وقوله: إذا النكباء ناوحت الشَمالا، فإن الرياح أربـع، ونَكْباوَاتُهـا أربعٌ وهي: الـريح التي تـأتي من بين ريحين فتكون بين الشَمالِ والصَبا، أو الشَمـالِ والدَبُورِ، أو الجَنوبِ والـدَبُورِ، أو الجَنـوبِ والصبا. فإذا كانت النَكباءُ تُناوِحُ الشَمالَ فهي آية الشِتاءِ، ومعنى تُناوِحُ تُقابِلُ. يقال: تَناوَحَ الشَجَرُ إذا قابـل بَعضُهُ بَعْضـاً. وزعم الأصمعي أن النائحـة بهذا سُمِّيَتْ، لأنهـا تقابـل صاحبتهـا. وقال يَحْيَى بن نَـوْفَلٍ الحِمْيَـرِيُّ ويقال إنه لم يَمْدَحْ أحداً قط:

---

(١) الداهية: من الدهاء وهو الأدب وجوده الرأي.

(٢) اللقن: بكسر القاف سريع الفهم، حسن التلقن لما يسمعه.

(٣) الإنتجاع: والنجعة بالضم طلب الكلأ ومساقط الغيث.

(٤) النكباء: الريح الواقعة بين ريحين.

(٥) الركض: حث الفرس على العدو ثم كثر حتى استعمل في العدو نفسه.

(٦) المعار بالضم الفرس المضمر أو المتنوف الذنب أو السجي.

فلو كنتُ مُمْتَدِحاً للنَوال فَتىً لامْتَدَحْتُ عليه بِلالا
ولكنّني لَسْتُ مِمّن يُريد بمدحِ الرجالِ الكِرامِ السؤالا
سَيَكفي الكريمَ أخاهُ الكريمِ ويَقْنَعُ بالوُدِّ منه نَوالا

ومن أحسن ما امْتَدَحَ به ذو الرُمَّةِ بِلالاً قوله:

نقول عجوزٌ مَدْرَجِي مُتَزَوِّجاً على بيتها مِن عند أهلي وغادِيا
أذو زَوْجةٍ بالمِصْرِ أم ذو خُصومةٍ أراكَ لها بالبَصْرةِ العامَ ثاوِيا
فقلتُ لها لا إنَّ أهلي لَجَيرةٌ لِأَكْثِبَةِ الدَهْنا جميعاً ومالِيا

(قوله: لا لحن وهذا اللحن راجع على المرأة، لأن لا، لا تقع إلّا في جواب أو وإنما سألته بأم وهي لم يستقر عندها علم).

وما كنتُ مذا أَبْصَرْتِنِي في خُصومةٍ أُراجِعُ فيها يا ابْنةَ الخَيْرِ قاضيا
ولكنني أَقْبَلْتُ من جانِبَيْ قَساً أزورُ فتىً نَجْداً[1] كريماً يَمانيا
من آل أبي موسى تَرى القومَ حولَه كأنَّهُمُ الكِرْوانُ أَبْصَرْنَ بازِيا
مُرِمِّينَ من لَيْثٍ عليه مَهابةٌ تُفادَى أسودُ الغاب منه تَفادِيا
وما الخُرْقَ[2] منه يَرهبونَ ولا الخَنَى[3] عليهمْ ولكن هَيْبَةٌ هي ما هيا

قوله: مَدْرجي يقول مُروري، فأما قولهم في المثَلِ: خَيْرُ مَن دَبَّ ومن دَرَجَ فمعناه مَن حَيِيَ ومَن ماتَ، يريدون مَن دَبَّ على وجه الأرض ومَن دَرَجَ عنها فذهب. وقوله: أراك لها بالبصرة العامَ ثاوياً، فإنه يقال في هذا المعنى ثَوَى الرجلُ فهو ثاوٍ يا فتى إذا أقام، وهي أكثر. ويقال: أَثْوَى فهو مُثْوٍ يا فتى وهي أقلُّ من تلك. قال الأعْشَى:

أَثْوى وَقَصَّرَ ليلةً لِيُزَوَّدا فمَضى وأَخْلَفَ من قُتَيْلَةَ مَوْعِداً

---

(١) النجد: الشجاع.
(٢) الخرق: بالضم الجهل والسفه.
(٣) الخنى: الفحش في القول.

وقوله: قَساً فهو موضع من بلاد بني تميم. وقوله: لأكثبة الدهنا، فأكْثِبةٌ جمعُ كثيب وهو أقلُّ العدد، والكثير كُثُبٌ وكُثْبانٌ. والدَّهْنا من بلاد بني تميم ولم أَسْمَعْ فيهاإلا القصر من أهل العلم والعرب. وسمعت بَعْدُ من يَرْوي مَدَّها ولا أعرفه. قال ذو الرمة:

حَنَّتْ إلى نِعَمٍ الدَّهْنا فقُلْتُ لها أُمّي هِلالاً على التوفيق والرَّشَدِ

يعني هِلالَ بن أَحْوَزَ المازِنيّ؛ وقال جرير: بازٍ يُصَعْصِعُ بالدَّهْنا قَطاً جُونا. وقوله: كأنهم الكروان أبصرن بازيا، فالكِرْوانُ جماعة كَرَوانٍ، وهو طائر معروف، وليس هذا الجمعُ لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة، فالتقدير كَراً وكِرْوانٌ كما تقول: أخٌ وإخْوانٌ، ووَرَلٌ[1] وورْلانٌ، وبَرَقٌ وبرْقانٌ. والبَرَقُ أعجميٌّ ولكنه قد أُعْرِبَ وجُمِعَ كما تُجْمَعُ العربية، واستُعمل الكَرَوانُ جمعاً على حذف الزيادة واسْتُعْمِلَ في الواحد، كذلك تقول العرب في مَثَلٍ من أمثالها:

أَطْرِقْ كَرا أَطْرِقْ كَرا[2] إنَّ النَعامَ في القُرَى

يريدون الكَرَوانَ. وقوله: من آل أبي موسى ترى القوم حوله، فقال: تَرَى ولم يقل تَرَيْنَ، وكانت المخاطَبةُ أوّلاً لامرأة، ألا تراه يقول:

وما كنتُ مُذْ أَبْصَرْتِني في خُصومةٍ أُراجِعُ فيها يا ابنةَ الخَيْرِ قاضِيا

ثم حَوَّلَ المخاطَبَةَ إلى رجل، والعرب تفعل ذلك.

قال اللّه عزّ وجل: ﴿حتى إذا كُنْتُمْ في الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بهم بريح طيّبة﴾.[3] فكأنَّ التقدير واللّهُ أعلم كان للناس، ثم حُوِّلَتِ المخاطَبة إلى النبي ﷺ. قال عَنْتَرَةُ بن شَدّاد:

---

(١) الورل: دابة تشبه الضب.

(٢) أطرق كرا: هذا مثل يضرب للذي ليس له غنى عن أمر من الأمور.

(٣) سورة يونس: الآية ٢٣.

شَطَّتْ[1] مَزَارَ العاشقين فأصْبَحَتْ عَسِراً عَليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

وقال جرير:

ما للمنازِلِ لا تُجيبُ حَزينا أَصَمِمْنَ أم قَدُمَ المدَى فَبَلينا
وتَرى العَواذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلامتي وإذا أَرَدْنَ سوى هَواكِ عُصينا

قال أولاً لرجل ثم قال: سوى هواكِ. وقال آخر:

فِدىً لَكَ والدي وسَراةُ قَوْمي ومالي إنَّهُ مِنْهُ أتاني

على تحويل المخاطَبة. وقوله: مُرِمِّينَ، يريدُ سكوتاً مُطْرِقين. يقال: أَرَمَّ إذا أَطْرَقَ ساكتاً. وقوله: تَفادَى أُسودُ الغاب، معناه تفتدي منه بعضُها ببعض. وفي الخبر أن سليمان بن عبد الملِكِ أمر بدفعِ عِيالِ الحَجّاجِ ولحُمْتِهِ إلى يَزيدَ بن المُهَلَّبِ فتَفادى منهم، تأويله فَدى نفسَهُ من ذلك المقام بغيره. وقوله:

وما الخُرْقَ[2] منه يرهبون ولا الخَنَى عليهم ولكنْ هَيبةٌ هِيَ ما هيا

إذا رفعتَ هيبة، فالمعنى ولكن أمره هيبة، كما قال اللّه عزّ وجل: ﴿لم يَلْبَثوا إلا ساعةً من نهار بَلاغٌ﴾[3] أي ذلك بلاغ ومثله قوله عزّ وجل: ﴿طاعةٌ وقولٌ معروف﴾[4]، يكون رفعُهُ على ضربين، أحدهما: أمْرُنا طاعةٌ وقولٌ معروف، والوجه الآخر: طاعةٌ وقولٌ معروف أمْثَلُ ومَن نَصبَ هيبة أراد المصغر، أي يُهابُ هَيبةً. وأحسن ما قيل في هذا المعنى:

يُغْضي حَياءً ويُغْضَى من مَهابَتِهِ فما يُكَلَّمُ إلا حين يَبْتَسِمُ

وقال الفَرَزْدَقُ يعني يَزيدَ بن المُهَلَّب:

---

(١) شطت: بعدت.
(٢) الخرق: الحمق.
(٣) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.
(٤) سورة محمد: الآية ٢١.

فـإذا الـرجـالُ رَأَوْا يَـزيـدَ رأيتَهُمْ خُضُعَ الـرِقـابِ نَـواكِسَ الأبْصـارِ

وفي هذا البيت شيء يستطرفه النحويون وهو أنهم لا يَجْمعون ما كان من فاعِلٍ نعتاً على فَوَاعِلَ لئلا يلتبس بالمؤنث، لا يقولون: ضارِب وضَوَارب وقاتِلٌ وقواتِلُ، لأنهم يقولون في جمع ضارِبةٍ ضواربُ وقاتلةٍ قواتلُ. ولم يأتِ ذلك إلاّ حَرفين، أحدهما: في جمع فارِسٍ فَوَارسٌ لأن هذا مما لا يُستعمَلُ في النساء، فَأمِنُوا الالتباسَ. ويقولون في المثل: هو هالكٌ في الهوالِكِ فأجْرَوْهُ على أصله لكثرة الاستعمال لأنه مَثَلٌ، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله، فقال: نواكس الأبصار، ولا يكون مثلُ هذا أبداً إلاّ في ضرورة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٣٤ ـ باب في بعض هجاء جرير

قال جرير: ونزل بقوم من بني العَنْبرِ بن عمرو بن تميم فلم يَقْرُوهُ حتى اشترى منهم القِرَى، فانصرف وهو يقول:

يا مالِكُ بنَ طَريفٍ إنَّ بَيْعَكمُ ... رِقْدَ القِرى مفْسِدٌ للدِّينِ والحَسَبِ
قالوا: نَبيعُكَهُ بَيْعاً. فقلتُ لهم: ... بيعُوا المَواليَ واسْتَحْيُوا من العربِ
لولا كرامُ طَريفٍ ما غَفَرْتُ لكم ... بَيْعِي قِرايَ ولا أنْسَأتُكمْ غضَبي
هل أنتمُ غَيرُ أوْشابٍ[1] زَعانفهِ ... رِيشُ الذُنابَى وليس الرأسُ كالذَنبِ

قوله: يا مالكَ بنَ طَريفٍ، فمن نصب فإنما هو على أنه جعل ابناً تابعاً لما قبله كالشيء الواحد وهو أكثر في الكلام إذا كان إسماً علماً منسوباً إلى اسم علم، جعل ابن مع ما قبله بمنزلة الشيء الواحد، ومثل ذلك: يا حَكَمَ ابن المُنْذِرِ بن الجارود[2]. ومن وقف على الاسم الأول ثم جعل الثاني نعتاً لم يكن إلّا الرفع، لأنه مفرد نُعِتَ بمضاف فصار كقولك: يا زيدُ ذا الجُمّةِ. وقوله: ولا أنْسَأتُكمْ غَضَبي. يقول: لم أؤخِّرْهُ عنكم. يقال: نَسَأ اللّهُ في

---

(١) الأوشاب: الاخلاط الرعاع من الناس ـ والزعانفة الفرق المختلفة الذين أصلهم واحد.

(٢) الجارود: لقب لرجل من الصحابة واسمه بشر بن عمرو بن عبد القيس، يكنى: أبا غياث، وفي سبب تسميته «الجارود» قصة أو أكثر. كان سيداً في قومه بني عبد القيس، ورئيساً، وفد على النبي ﷺ وأسلم سنة عشر وكان ممن أدرك الردة مع قومه وثبت على إسلامه... علماً أنه كان قبل نصرانياً فأسلم وحسن أسلامه توفي سنة ٢١ هـ في مكان يسمى باسمه: «عقبة الجارود».
أنظر: الإستيعاب ١/٢٦٢ ـ ٢٦٤، لسان العرب مادة «جرد»، الطبقات الكبرى ٥/٥٦٠، سيرة ابن كثير ٤/٩١، شرح نهج البلاغة ١٨/٥٥ ـ ٥٧ الإشتقاق: ٣٢٦.

أَجَلِكَ وأَنْسَأَ اللَّهُ أَجَلَكَ. والنَسيءُ من هذا، ومعناه تأخير شهر عن شهر. وكانت النَسْأَةُ من بني مُدْلِجِ بن كِنانةَ، فأنزل اللَّه عزّ وجل: ﴿إنما النَسيءُ زيادةٌ في الكُفْرِ﴾[1]، لأنهم كانوا يؤخّرون الشهور فيُحَرِّمونَ غير الحرام ويُحِلُّونَ غيرَ الحَلالِ لما يُقَدِّرونه من حُروبهم وتَصَرُّفِهِمْ. فاسْتَوَتِ الشهورُ لما جاء الإسلام وأبان ذلك رسول اللَّه ﷺ في قوله: إنَّ الزمان قد استدار كهيئةِ يَوْمِ خَلَقَ اللَّهُ السمواتِ والأرضَ. وقوله: هل انتمُ غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ. فالأشابةُ جماعة تَدْخُلُ في قومٍ وليست منهم، وإنما هو مأخوذ من الامر الأشِبِ أي المختلطِ. ويزعمُ بعضُ الرُواة أن أصلهُ فارسيٌّ أعْرِبَ. يقال بالفارسية: وَقَعَ القومُ في آشُوب أي في اختلاط، ثم تَصَرَّفَ فقيل: تأشب النبتُ، فصُنِعَ منه فِعْلٌ (هذا وَهْمٌ من أبي العباس. ليسَ الاشابةُ ولا الأشِبُ من الأوْشابِ لأن فاء الفعل من الأشابة همزة، ومن أوشابٍ واوٌ، ولكنه مثله في المعنى يحتمل أن يكون أصلهُ وشُابةً وابدلت الواو المضمومة همزة). وأما الزَعانِفُ فأصلها اجنحة السَمَكِ، سُمِّي بَذلك الأدْعِياء لأنهم التصقوا بالصَميم كما التصقت تلك الأجنحة بعِظام السمكِ. قال أوْسُ بن حَجَرٍ:

(وما زالَ يَفْري[2] الشَدَّ حتى كأنما) قوائمُهُ في جانِبَيْهِ زَعانِفُ

وتزعُم الرُواةُ أن ما أنِفَتْ منه جِلَّةُ المَوالي هذا البيتُ يعني قول جرير:

بيعُوا المَوالي واسْتَحْيُوا من العَربِ، لأنه حَطَّهم ووَضَعهم، ورأى أن الإساءة إليهم غير محسوبةٍ عَيْباً. ومثل ذلك قول المُنْتَجِعِ لرجل من الأشراف: ما عَلَّمْتَ وَلَدَكَ؟ قال: الفرائضَ. قال: ذلك عِلْمُ المَوالي لا أبا لك عَلِّمْهُمُ الرَجَزَ فإنهُ يُهَرِّثُ اشْداقَهُمْ. ومن ذلك قول الشَعْبِيِّ. ومرَّ بقوم من الموالي يتذاكرون النحو فقال: لئن اصْلحتْموه إنَّكمْ لأوّلُ من أفسده. ومن ذلك قولُ عَنْتَرَةَ:

فما وَجدونا بالفَروقِ[3] اشابَةً ولا كُشُفاً[4] ولا عُينا مَوالِيا

(١) سورة التوبة: الآية ٣٧.

(٢) يغري الشر: يبالغ في العدو.

(٣) الفروق: كصبور عقبة دون هجر وموضع آخر عندهم وهو يوم لعبس على سعد تميم.

(٤) الكشف: الذي يهزم في الحرب.

ومن ذلك قول الآخر:

يُسَمُّونَنا الأعْرابَ والعَرَبُ اسمُنا واسماؤُهُمْ فينا رِقابُ المَزَاوِدِ[1]

يريد أسماؤُهم عندنا الحَمْراءُ. وقول العرب: ما يخفى ذلك على الأسْوَدِ والأحمرِ، يريد العَرَبِيَّ والعَجَمِيَّ. وقال المُخْتارُ لإبراهيم بن الأشْتَرِ يوم خازِرَ[2] (وقعت الرواية كما في الأصل ووُجِدَ بخطّ يد أبي عليّ البغدادي رحمه اللّه جازر بالجيم)، وهو اليوم الذي قُتِلَ فيه عبيد اللّه بن زِيادٍ: أن عامَّةَ جُنْدِكَ هؤلاءِ الحَمْراءُ، وإن الحرب إن ضَرَّسَتْهُمْ هربوا، فاحْمِلِ العَرَبَ على مُتون الخيل، وأَرْجِلِ الحمراءَ أمامهم. ومن ذلك قول الأشْعثِ بن قَيْسٍ لعلي بن أبي طالب رحمه اللّه، وأتاه يَتَخَطَّى رِقابَ الناسِ وعليٌّ على المِنْبَرِ، فقال: يا أمير المؤمنين غَلَبَتْنا هذه الحمراء على قُرْبك قال: فَرَكَضَ عليٌّ المِنْبَرِ برجله. فقال صَعْصَعَةُ بن صُوحانَ العَبْدِيُّ: ما لنا ولهذا، يعني الأشعثْ، ليقولَنَّ أميرُ المؤمنين اليومَ في العربِ قَوْلاً لا يَزالُ يُذْكَرُ. فقال عليٌّ منْ يَعْذِرُني[3] من هذه الضَياطرة يَتَمَرَّغُ أحدُهم على فراشِهِ تَمَرُّغَ الحمار ويُهَجِّرُ قومٌ للذكر فيأمرني أن أَطْرُدَهُمْ، ما كنتُ لأطردهم فأكونَ من الجاهلين، والذي فَلَقَ الحبّة وبَرأَ النَسَمَةَ لَيَضْرِبُنَّكم على الدين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بَدْأً. قوله: الضياطرة واحدهم ضَيْطَرٌ وضَيْطارٌ وهو الأحمر العَضِلُ الفاحشُ. قال خِداشُ بن زُهَيْر:

وتُرْكَبُ خيلٌ لا هَوادةَ بينها وتَشْقى الرِماحُ بالضياطرةِ الحُمْرِ

وإنما قال جَريرٌ لبني العَنْبرِ: هل أنتمُ غير أو شاب زعانفة، لأن النسابين يزعمون أن العنبر بنَ عمرو بن تميم إنما هو ابن هود بن بَهْراءَ وأُمُّهُمْ خارِجَةُ البَجَلِيّة التي يقال لها في المثَلِ: أسْرَعُ من نكاح أمِّ خارجة، فكانت قد

---

(١) المزاود: تشبيه بأسماء الأعاجم وهذا يعني أنه يقصد بأنهم موالٍ.

(٢) يوم خازر: لأهل العراق وإبراهيم بن الأشتر على عبيد اللّه بن زياد وأهل الشام.

(٣) يعذرني: يريد من يقوم بعذري إن كافأتهم على سوء صنيعهم فلا يلومني.

وَلَدَتْ في العرب في نَيِّفٍ وعشرين حَيّاً من آباءٍ متفرقين. وكان يقول لها الرجلُ: خِطْبٌ. فتقول: نِكْحٌ. كذلك قال يونس بن حَبيب، فنَظَرَ بَنوها إلى عمرو بن تميم قد وَرَدَ بلادهم، فأحَسُّوا بأنه أراد أمهم فبادروا إليه ليمنعوه تَزَوُّجَها، وسَبَقَهُمْ لأنه كان راكباً فقال لها: إنّ فيكِ لَبَقِيَّةً فقالت: إنْ شئتَ. فجاؤوا وقد بَنى عليها، ثم نقلها بعدُ إلى بلده. فتزعم الرواة أنها جاءت بالعَنْبرِ معها صغيراً، وأوْلَدَها عمرو بن تميم اسَيِّدَ والهُجَيْمَ والقُلَيْبَ فخرجوا ذات يوم يَسْتقون فَقَلَّ عليهم الماء، فأنزلوا مائحاً من تيم فجَعَلَ المائحُ[1] يملأ الدلو إذا كانت للهُجَيْمِ وأُسَيْدَ والقُلَيْبِ، فإذا وَرَدَتْ دَلوُ العَنْبرِ تركها تضطرب، فقال العنبر:

قد رابَني من دَلْوِيَ اضْطِرابُها والنأيُ عن بَهْراءَ واغْتِرابُها
إلاَّ تَجِيءْ ملأى يجيء قُرابُها[2]

فهذا قول النسّابين. ويروى أن رسول اللّه ﷺ قال يوماً لعائشة رحمها اللّه، وقد كانت نَذَرَتْ أن تُعْتِقَ قوماً من وَلَدِ اسمعيل، فسُبِيَ قومٌ من بني العَنْبر فقال لها رسول اللّه ﷺ: إنْ سَرَّكِ أن تُعْتِقي الصَميمَ من ولد اسمعيل فأعْتِقي من هؤلاء. فقال النسّابونَ: فبَهْراءُ من قُضاعةَ، وقد قيلَ قُضاعةُ من بني مَعَدٍّ فقد رجعوا إلى اسمعيل. ومن زعم أن قضاعة من بني مالك بن حِمْيَرَ وهو الحق قال: فالنسب الصحيح في قَحْطان الرُّجوعُ إلى اسمعيل وهو الحق. وقولُ المُبَرِّزينَ[3] من العلماء: إنما العَربُ المتقدمةُ من أولاد عابَرَ ورَهْطُهُ عادٌ وطَسْمٌ وجَديسٌ وجُرْهُمٌ والعماليقُ، فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهَميعِ بن تَيْمَنَ بن نَبْتِ بن قَيْدارَ بن إسماعيل صلوات اللّه عليه، فقد رجعوا إلى اسمعيل. وقد قال رسول اللّه ﷺ لقومٍ من خُزاعةَ، وقيل من الأنْصار: ارْموا يا بني اسمعيلَ فإن أباكم كان رامياً. قال يحيى بنُ نَوْفَل يهجو

(١) المائح: من ينزل البئر فيملأ منها الدلو.

(٢) قراب الشيء بالكسر وبضم ما قارب قدره وإناء قربان قارب الامتلاء.

(٣) المبرزون: البارزون، المتفوقون.

العُرْيان بن الهَيْثَمِ بن الأسْودِ النَخَعِيَّ، وكان العُرْيانُ تزوج زباد من ولد هانىء بن قَبيصةَ الشَيْبانيِّ، وكانت عند الوَليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها العريان.

هجاء يحيى بن نوفل
للعريان بن الهيثم

وكان ابنُ نوفل له هَجَّاءً فقال:

أَعُريانُ ما يَدْري أمرؤ سِيلَ عَنْكُ ... أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أم من إيادِ
فإن قُلْتُمُ من مذحج أن مذحجا ... لَبيضُ الوُجوهِ غيرُ جِدِّ جِعادِ
وأنتم صِغارُ الهامِ بعدْلُ[1] كأنما ... وجُوهُكُمُ مَطْلِيَّةٌ بِمدادِ
فإن قلتمُ الحَيُّ اليَمانون أَصْلُنا ... وناصِرُنا في كل يوم جِلادِ
فأطْوِلْ بأيْرٍ من مَعَدٍّ ونَزْوةٍ ... نَزَتْ بايادٍ خَلْفَ دارِ مُرادِ
لَعَمْرُ بني شَيْبانَ إذْ يُنْكِحُونَهُ ... زَبادِ لقَدْ ما قصَّروا بزَبادِ
أَبَعْدَ الوليدِ أنكحوا عَبْدَ مَذْحِجٍ ... كَمُنْزِيةٍ عَيْراً خلافَ جَوَادِ
وأَنْكَحَها لا في كِفاءٍ ولا غِنىً ... زِيادٌ أَضَلَّ اللّه سَعْيَ زِيادِ

قوله: أمن مذحج تدعون أم من إياد،

فبنو مذحج بنو مالك بن زَيد بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَا بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطان، وايادٌ بن نِزارِ بن مَعَدِّ بن عَدْنان. ويقال إن النَخَعَ وثَقيفاً أخوان من ايادٍ، فأما ثقيفٌ فهو قَسِيُّ بن مُنَبِّهِ بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرِمةَ بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مُضَرَ، فهذا قول قوم، فأما آخرون فيزعمون أن ثقيفاً من بقايا ثمود، ونسبهم غامض على شرفهم في أخلاقهم وكثرة مَناكحهمْ قُرَيْشاً. وقد قال الحجاج على المنبر: تزعمون أنّا من بَقايا ثَمودَ واللّهُ عزّ وجل يقول: ﴿وثَمودَ فما أَبْقى﴾[2]. وقال الحجاج يوماً لأبي العَسُوس الطائِيُّ أيُّ أقدَمُ أَنْزُولُ ثقيفٍ الطائفَ أم نزولُ طَيِّءٍ الجبلين. فقال أبو العَسوسِ: إن كانت ثقيفٌ من

(١) عدل: عيب في الحلقة.
(٢) سورة النجم الآية رقم ٥١.

بكر بن هَوازنَ، فنزول طيء الجبلين قبلها وإن كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم. فقال الحجاج: يا أبا العسوس إتَّقِني فإني سريع الخَطْفةِ للأحمق المُتَهَوِّكِ[1]، فقال أبو العَسوس رواية عاصم رحمه اللّه العَسَوَّسُ والعَسْوَسُ وفي رواية ش كما في داخل الكتاب):

يُؤَدِّبني الحَجّاج تأديب أهْلِهِ ... فلو كنتُ من أولاد يوسفَ مَا عَدا
وإني لأخْشَى ضَربةً ثَقَفِيّةً ... يَقُدُّ بها ممن عَصاهُ المُقَلَّدا[2]
على أنني مما أُحاذِرُ آمِنٌ ... إذا قيلَ يوماً قد عتا[3] المرْءُ واعتدا

وقد كان المغيرةُ بن شُعْبَةَ وهو والي الكوفةِ صار إلى دَيْرِ هِنْدٍ بنت النُعْمان بن المُنْذِرِ وهي فيه عَمْياءُ مُتَرَهِّبةٌ، فاستأذن عليها فقيل لها: أميرُ هذه المَدَرَةِ[4] بالباب. فقالت: قولوا له: أمِنْ وَلَدِ جَبَلَةَ بن الأيْهَمِ أنتَ؟ قال: لا. قالت: أفمِنْ وَلدِ المُنْذِرِ بن ماءِ السماءِ؟ قال: لا قالت فمَن أنتَ؟ قال المُغيرةُ بن شُعْبةَ الثَقَفِيُّ. قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتُكِ خاطباً. قالت: لو كنتَ جئتني لِجمَالٍ أو لمالٍ لأطْلَبْتُكَ[5]، ولكنك أردتَ أن تَتَشَرَّفَ بي في محافِلِ العرب فتقول: نكحتُ ابنةَ النُعْمانِ بن المنذر، وإلا فأيُّ خير في اجتماع أعْوَرَ وعَمْياء فبعثت إليها. كيف كان أمركم؟ فقالت: سأخْتَصِرُ لك الجوابَ، أمسينا مَساءً وليس في الأرض عَرَبيٌّ إلا وهو يَرْغَبُ إلينا ويَرْهَبُنا، ثم أصبحنا وليس في الأرض عربي إلا ونحن نرغب إليه ونَرْهَبُهُ. قال: فما كان أبوكِ يقول في ثَقيفٍ؟ قالت: اختصم إليه رجلان منهم أحدهما يَنْميها إلى إيادٍ، والآخر إلى بَكْرِ بن هَوازن فقَضَى بها للإيادِيِّ وقال.

إن ثَقيفاً لم تَكُنْ هَوازناً ... ولم تُناسِبْ عامراً أو مازِنا

---

(١) المتهوك: الساقط.

(٢) المقلدا: كمعظم موضع نجاد السيف على المنكبين.

(٣) عتا عتواً: استبكر وجاوز الحد.

(٤) المدره: بالتحريك المدينة.

(٥) اطلبتك: أعطيتك ما طلبت.

يريد عامر بن صَعْصعةَ ومازِنَ بن منصور، فقال المغيرةُ: أما نحن فمن بكر بن هَوازنَ فَلْيَقُلْ أبوكِ ما شاء، وقالت أختُ الأشْتَرِ وهو مالك بن الحرث النَخَعِيُّ تُبَكِّيه، وهذا الشعر رواه أبو اليَقْظانِ وكان متعصباً:

أَبَعْدَ الأشْتَرِ النَخَعِيِّ نَرْجو ... مُكاثَرَةً[1] ونَقْطَعُ بَطَن واد
وَنَصْحَبُ مَذْحجاً بإخاءِ صِدْقٍ ... وإن نُنْسَبْ فنحن ذرا إياد
ثقيفٌ عَمُّنا وأبو أبينا ... وأخْوَاننا نِزارُ أولو السَداد

قوله: وأنتم صغار إلهام جُدْلٌ فالأجْدَلُ المائلُ العُنُقِ. يقال: قَوْسٌ جَدْلاءُ إذا اعْوَجَّتْ سِبَتُها. قال الراجز:

لها متاعٌ[2] وَلهاةٌ[3] فارِضُ ... جَدْلاءُ كالزِقِّ نحاهُ الماخِضُ

(كذا وقعت الرواية لها، والصواب له لأنه يعني الفحل من الابل لأن الشِقْشِقَةَ[4] لا تكون للأنثى قاله ش). وأما قوله: زَيَادِ يا فتى فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فراغنا من تفسير هذا الشعر. وقوله: لَقَدْ ما قَصَّروا فما زائدة، مثل قوله تعالى: ﴿مما خَطيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[5]، ولو قال: لَقِدْ ما قَصَّروا لم يكن جيداً ودخل الوَليد في الذم. وقوله:

كمُنْزِيةٍ عَيراً خلاف جَواد

يقول بعد جواد.

قال اللّه عزّ وجل: ﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بمقْعَدِهِم خِلافَ رسولِ اللّهِ﴾[6].

---

(١) مكاثره: مغالبة.

(٢) متاع: أراد به البعير التي تؤخذ من الشجر فسماها متاعاً.

(٣) اللهاة ما بين منقطع اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم.

(٤) الشقشقة: كالرئة، يخرجها البعير إذا هاج.

(٥) سورة نوح: الآية ٢٥.

(٦) سورة التوبة: الآية رقم ٨١.

وقوله لا في كِفاءٍ يقال: هو كُفْؤُكَ وكَفْؤُك وكَفِيئُكَ وكِفاؤُكَ إذا كان عَديلَكَ في شرف أو ما أشبهه، كما قال الفَرَزْدقُ: وتَنْكِحُ في أكْفائها الحَبِطاتُ. (أول هذا البيت: بَنُوا دارِمٍ أكفاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ. وآل مسمع بيت بكر بن وائل، والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم، وإنما قال هذا الفرزدق حين بلغه أن رجلاً من الحبطات خَطَبَ إمرأة من بني دارِمِ بن مالك، فأجابه رجلٌ من الحبطات:

أما كان عَبّادٌ كَفيئاً لدارِمٍ بَلى ولِأبْياتٍ بها الحُجُراتُ

عَبّادٌ يعني بني هاشم، وقد تقدم هذا البيت للفرزدق في مواضع) وقال اللّه عزّ وجل: ﴿ولم يَكُنْ له كُفُؤاً أحدٌ﴾[1]. وقال عمر بن الخطاب رحمه اللّه: لأمْنَعَنَّ النساء إلا من الأكْفاءِ. وَتَحَدَّثَ أصحابُنا عن الأصمعي عن اسحق بن عيسى قال: قلتُ لأمير المؤمنين الرَشيدِ أو المهْدِيِّ: يا أمير المؤمنين مَن أكفاؤنا؟ قال: أعداؤنا. يعني بني أُمَيَّةَ وزيادٌ الذي ذَكَرَ كان أخاها.

المؤنث الذي يصاغ على وزن فعال

«هذا تفسير ما كان من المؤنث على فَعالِ مكسورَ الآخر وهو على أربعة أضرب والأصل واحد»

قال أبو العباس: أعلم أنه لا يُبْنى شيءٌ من هذا الباب على الكسر إلّا وهو مؤنث معرفةٌ معدولٌ عن جهته، وهو في المؤنث بمنزلة فُعَلَ نحو: عُمَرَ وقُثَمَ في المذكر وفُعَلُ معدولٌ في حال المعرفة عن فاعِلٍ، وكان فاعِلٌ ينصرف، فلما عُدل عنه فُعَلُ لم ينصرف، وفَعالِ معدولٌ عن فاعِلَةَ، وفاعِلَةُ لا ينصرف في المعرفة فَعُدِلَ إلى البناء، لأنه ليس بعد ما لا ينصرف إلا المبنيُّ وبني على الكسر لأن في فاعِلَةَ علامة التأنيث. وكان أصلُ هذا أن يكون إذا أردتَ به الأمر ساكناً كالمجزوم من الفِعل الذي هو في معناه، فكَسَرْتَهُ لالتقاء

---

(١) سورة الإخلاص: الآية ٤.

الساكنين، مع ما ذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنّث به، فلم يَخْلُ من العلامة. تقول للمرأة: أنتِ فَعَلْتِ، فالكسر علامة التأنيث وكذلك: إنكِ ذاهبةٌ وضربتُكِ يا إمرأةُ، فمما لا يكون إلا معرفةً مكسوراً ما كان إسماً للفعل نحو: نَزَالِ يا فتى، ومعناه آنْزِلْ. وكذلك: تَرَاكِ زيداً، أي أتركه فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة، وهما مؤنثان معرفتان، يدلك على التأنيث القياسُ الذي ذكرنا. قال الشاعر تصديقاً لذلك:

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِرْعِ أنت إذا دُعيتْ نَزالِ وَلُجَّ في الذُعُر

فقال: دعيتْ لما ذكرته لك من التأنيث. وقال الآخر وهو زَيْدُ الخَيْلِ:

وقد عَلِمَتْ سلامةُ أن سَيْفي كريهٌ كُلمَّا دُعِيَتْ نَزالِ[1]

وقال الشاعر:

تَراكِها من إبلٍ تَراكِها أما تَرى الموت لدى أوراكها

أي اتْرُكْها. وقال آخر (هو رؤبة): حَذارِ من أرْماحنا حَذار. وقال آخر (هو أبو النجم): نَظارِ كيْ أَرْكَبَهُ نَظارِ. فهذا باب من الأربعة. ومنها أن يكون صفة غالبة تحُلَّ مَحَلَّ الاسم نحو: قولهم للضُبْع جعَارِ يا فتى وللمنيّة حَلاقِ يا فتى لأنها حالقة، والدليل على التأنيث بعد ما ذكرنا قوله:

لَحِقَتْ حَلاقِ بهم على أَكْسائِهِمْ[2] ضَرْبَ الرقابِ ولا يُهِمُّ المغْنَمْ

وتقول في النداء: يا فساقِ ويا خبَاثِ ويا لُكاعِ، تريد يا فاسقةُ ويا خَبيثةُ ويا لَكْعاءُ، لأنه في النداء في موضع معرفة، كما تقول للرجل يا فُسَقُ ويا خُبَثُ ويا لُكَعُ، فهذا باب ثانٍ (حكى ابن السَرَّاج عن أبي عبيدة فرس لُكَعٌ للمذكر ولُكعَةٌ للمؤنث ومن ذلك ما عُدِّلَ عن المصدر، نحو قوله (هو المُتَلَمِّسُ يَذُمُّ الخَمْرَ):

---

(١) نزال: إسم فعل مبني على الكسر ومثله العلم المختوم.

(٢) الاكساء جمع كسيء وهو مؤخر الشيء.

جمـادِ لهـا جَمـادِ ولا تَقـولي طَـوَالَ الـدَهْـرِ مـا ذُكِـرَت حَماد

وقال النابغة الذُبْيانيُّ:

إنَـا اقْتَسَمْنـا خُـطَّتَيْنـا بيننـا فَحَمَلْتُ بَـرَّةَ واحْتَمَلْتَ فجـارِ

يريدُ قولي لها جُموداً ولا تقولي لها حَمْداً، هذا المعنى، ولكنه عُدِلَ مؤنثاً وهـذا باب ثـالث. (بَرَّةُ اسم علم لجميـع البِرِّ، وفَجـارِ لجميع الفُجـور، لابن جِنّي تخصيصُه بَرَّةُ بفَعَلْتُ وفجارِ بافْتَعَلْتَ، مثـل قولـه تعالى: ﴿لهـا ما كَسَبَتْ وعليهـا ما اكْتَسَبتْ﴾[1]. فكَسَبَ للخيـر واكْتَسَبَ للشـر). والبـاب الـرابـع أنْ تُسَمّي امرأةً أو شيئاً مؤنثاً باسم تصوُغهُ على هذا المثال، نحو: رَقاشِ وحَذامِ وَقطامِ وما أشبهـه، فهذا مؤنث معـدول عن راقشة وحَـاذِمَة وقـاطمةَ إذا سميتَ به، وأهل الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرتُ لأنه معدول في الأصـل وسُمِّيَ به، فنُقِلَ إلى مؤنث كالباب الذي كان قبله فلم يغيروه فعلى ذلك قـالوا: اسْقِ رقشِ إنها سَقَّايَةٌ. وقال آخر:

إذا قـالتْ حَـذامُ فصَـدِّقوهـا فـإنَّ القـولَ مـا قـالت حَـذامُ

ويُنشدون: وأقْفَرَ مِنْ سَلْمَى شَراءٌ[2] فيَذْبُـلُ. (كذا وقـع، والصحيح فقـد أقْفَرَتْ سَلْمى شراء لا وقبله: تَأبَّدَ من أطْلال جَمْرَةَ مَاسَلُ. والشعـر للنَمِرِ بن تَوْلَبٍ). وأما بنوتميم فإذا أزالـوه عن النعت فسَمَّوْا بـه، صرفـوه في النكرة ولم يصرفوه في المعرفة. وسيبويه يختار هذا القول ولا يَرُدُّ القـولَ الآخر، فيقـول: هـذه رَقاشُ قـد جاءتْ، وهـذه غَلابُ قـد جاءتْ، وهـذه غَـلابٌ أخـرى. ولا اختلاف بين العرب في صرفه إذا كان نكرة، وفي إعرابه في المعرفة، وصـرفه في النكرة إذا كان اسماً لمذكر، نحو: رجل تسميه نزالِ أو رَقاشِ أو حَـلاقِ، فهـو بمنزلـة رجل سميتـه بعَناقٍ أو أتـانٍ، لأن التأنيث قـد ذهب عنه. فـاحتـج سيبويه في تصحيح هذا القول بأنك لو سميت شيئاً بالفعل الذي هو مأخوذ منه

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٢) شراء: جبل.

نحو: أَنْزِلْ واضْرِبْ، لو سميتَ بهما رجلاً لجرىٰ مجرى إصْبَعٍ وأَحْمَدَ وإثْمِدٍ ونحو ذلك، فهذا يحيط بجميع هذا الباب.

من كلام إمرأة زوجت في طيىء

قال أبو العباس وقالت أمرأة أحسبها من بني عامر بن صَعْصَعَةَ زُوِّجتْ في طَيِّىءٍ:

لا تَحْمَدَنَّ الدهرَ أختٌ أخاً لها ... ولا تَرْثِيَنَّ الدَهْرَ بنتٌ لوالد
هُمُ جعلوها حَيثُ ليستْ بحُرّةٍ ... وهُمْ طرحوها في الأقاصي الأباعدِ

ويروى عن عائشة رضي اللّٰه عنها أنها قالت: إنما النكاح رِقٌّ، فلْيَنظُر امْرُؤٌ من يُرِقُّ كريمته، وعلى هذا جاءت اللغة، فقالوا: كنا في إمْلاكِ فلانٍ وفي مِلْكِ فلانٍ، وفي مَلْكِ فلان، وفي مَلَكةِ فلان، وفي مكان فلانٍ، ويقول الرجل: مَلَكْتُ المرأةَ وأمْلَكْتُها وليُّها، ومن ذلك أنَّ يمين الطلاق إذا وقع فيها حِنثٌ إنما يكون محلُّها محلَّ الاقرار بترك ما كان يملكه كالعَتاق. وقال رسول اللّٰه ﷺ أُوصيكم بالنساء فإنهنّ عندكم عَوانٍ، أي أسيراتٌ. ويقال: عَنيَ فلانٌ في بني فلان إذا أقام فيهم أسيراً. ويقال: فلان يَفُكُّ العُناةَ، وأصل التعنية التذليل، وأصل الإسارِ الوِثاقُ. ويقال للقَتَب مأسور إذا شُدَّ بالقِدِّ هذا أصل هذا، فأما المَثَلُ في قولهم: إنما فلان غُلٌّ قَمِلٌ[1]، فإنهم كانوا يتخذون الأغلال من القِدِّ، فكانت تَقْمَلُ. وقال رجل يذكر امرأة زُوِّجَتْ من غير كُفءٍ:

لقد فَرِحَ الواشون أن نال ثَعْلبٌ ... شبيهةَ ظَبْيٍ مُقلتاها وجِيدُها
أضَرَّ بها فَقْدُ الوليِّ فاصبحتْ ... بكَفٍّ لئيم الوالدينِ يَقودُها

ولما زَوجَ إبراهيمُ بن النعمان بن بَشيرٍ الأنصاريُّ يحيى بن أبي حَفْصةَ مولى عثمانَ بن عَفَّانَ ابنته على عشرين ألفَ درهم قال قائل يُعَيِّرُهُ:

---

(١) غل قمل: بفتح القاف وكسر الميم صفة من قولهم قمل الشيء كتعب إذا أكثر قملة.

لَعَمْري لقد جَلَّلتَ نفسك خَزْيةً[1] وخالفتَ فعلَ الأكثرينَ الأكارِمِ
ولو كان جَدّاكَ اللذان تَتابعا بَبَدْرٍ لَما راما صَنيعَ الألائِم

فقال إبراهيم بن النُعمان يرُدُّ عليه:

وما تَرَكَتْ عشرونَ ألفاً لقائلٍ مَقالاً فلا تَحْفِلْ مَلامةَ لائم
وإن أك قُد زَوَّجْتُ مَوْلىً فقد مضَت به سُنَّةٌ قبلي وحُبُّ الدراهم

وتزَوَّجَ يحيى بن أبي حفصة وهو جَدُّ مَرْوانَ الشاعرِ، ويزعم النسابون أن أباه كان يهودياً أسلم على يدي عثمان بن عفان، وكان يحيى من أجود الناس، وكان ذا يَسارٍ فتزوج خَوْلَةَ بنتَ مُقاتِلِ بن طَلْبةَ، (الرواية المشهورة بإسكان اللام وتسامح ابن سِراج في فتح اللام) ابن قيس بن عاصم سيدِ أهل الوَبَر، ابن سِنان بن خالد بن مِنقَرٍ ومَهَرَها خِرَقاً، ففي ذلك يقول القُلاخُ بن حَزْنٍ:

لم أر أثواباً أجَرَّ لخَزْيةٍ وألأمَ مَكسُوّاً وألأمَ كاسِيا
من الخِرَقِ اللاتي صُببنَ عليكم بحَجْرٍ فكنَّ المُبْقياتِ البَواليا

فقال يحيى بن أبي حَفْصَةَ يُجيبه:

تجاوَزْتُ حَزْناً رغبةً عن بناتِهِ وأدْرَكْتُ قيساً ثانياً من عِنانيا

يقال ذلك للسابق إذا تَقَدَّمَ تقَدُّماً بَيِّناً، فبلغ الغاية فمن شأنه أن يَثْني عِنانَهُ فينظر إلى الخيل. قال الشاعر:

فَمَنْ يَفْخَرْ بمثل أبي وَجدِّي يَجِئْ قبلَ السوابِقِ وهو ثاني

يريد ثاني عِنانِهِ، وقال القُلاخُ[2] في هذه القِصةِ:

نُبِّئْتُ خَوْلةَ قالت حين أنْكَحَها لَطالَما كنتُ منكَ العارَ أنتظرُ

---

(١) الخزية: الذل والهوان.

(٢) القلاخ: وقع إسماً لثلاثة شعراء الأول القلاخ العنبري والثاني القلاخ بن يزيد والثالث القلاخ بن حزن السعدي وهو هذا.

أنْكَحْتَ عَبْدَينِ تَرْجو فَضْل مالهما في فيك[1] مما رَجَوْتَ التُّرْبَ والحَجَرُ
لله دَرَّ جِيادٍ[2] أنت سائسها بَرْذَنَتها وبها التَحْجيلُ[3] والغُرَرُ[4]

وقال جرير يُعَيِّرُهمْ:

رأيتُ مُقاتِلَ الطَلِباتِ حَلَّى فُروجَ بَناتِهِ كَمَرَ المَوالي
لقد أنكَحْتمُ عبداً لعبدٍ من الصُهْبِ[5] المُشَوَّهةِ السِبالِ
فلا تَفْخَرْ بقَيْسٍ إنّ قَيْساً خَرِئْتمْ فوق أعْظُمِهِ البوالي

وقال آخر في مثل هذه القصة:

الا يا عبادَ اللَّهِ قَلبي مُتَيَّمٌ بأحْسنِ مَن صَلى وأقبَحِهِمْ بَعْلا
يَدِبُ على أحْشائها كلَّ ليلةٍ دَبيبَ القَرَنْبَى بات يَفْرُو نقاً[6] سهلا

القَرَنْبَى دُوَيْبَةٌ على هيئة الخُنفُسِ مُنَقَّطَةُ الظَهْرِ، وربما كان في ظهرها نقطةٌ حمراءُ، وفي قوائمها طولٌ على الخنفس وهي ضعيفة المشي.

قال الفرزدق يعني عَطِيَّةَ أبا جَرير:

قَرَنْبي يَحُكُّ قَفا مُقْرِفٍ لَئيمٍ مآثِرُهُ قُعْدُدِ

(ألف قرنبي ألف الحاق وليست للتأنيث. والقعدد اللئيم وجمعه قَعادِدُ) وفي هذا الشعر يقول:

ألم تَرَ أنّا بَني دارِمٍ زُرارةُ مِنّا أبو مَعْبَدِ

---

(١) في فيك مما رجوت: تقول العرب بفيك التراب أو بقية البرى يريدون من ذلك الخيبة مما يحاول كسبه ويرجو الحصول عليه.

(٢) الجياد جمع جواد.

(٣) التحجيل: بياض في قوائم الفرس كلها.

(٤) والغرة: بياض في الجبهة.

(٥) صهب السبال: كناية عن الأعداء، والصهب جمع أصهب وهو الذي في شعره حمرة أو شقرة. والسبال بالكسر جمع سبلة بالتحريك وهي الشارب او الشعرات من اللحى.

(٦) بات يقرو: من القرو وهو القصد.

ومِنَّا الذي مَنَعَ الوائِداتِ وأَحْيا الوئِدَ فلم تُهوأَدِ
أَلَسْنا بأصحاب يوم النِسارِ[1] وأصحابِ أَلْوَيةِ المِربدِ

(النِسارُ جبلٌ تألفه النُسورُ كثيراً فلذلك سُمي بهذا الاسم).

أَلَسْنا الذينَ تميمٌ بهم تُسامي وتَفْخَرُ في المَشْهَدِ
وناحيةُ الخيرِ والأَقْرعان وقبرٌ بكاظِمةَ المَوْرِدِ
إذا ما أتى قَبرَهُ عائِذٌ أناخَ على القَبرِ بالأَسْعُدِ
أَيَطْلب مَجْدَ بني دارِمٍ عَطيَّةُ كالجُعَلِ الأسود
ومجدُ بني دارِمٍ دونه مكانُ السِماكَيْنِ والفَرْقد

(الرفع في مكان أقوى وهو الوجه الجيد في العربية). قوله: ألم تر أنا بني منقر منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره، وزُرارةُ الذي ذكرَ هو زرارة بن عُدَسَ بن زيد بن عبد اللّه بن دارِم، وكان زرارةُ يُكْنى أبا مَعْبَدٍ، وكان له بَنونَ معبَدٌ ولَقيطٌ وحاجبٌ وعَلقَمةُ والمأموم، ويزعم قوم أن المأموم هو علقمةُ ومنهم شَيْبان بن زرارة وابنه يزيد بن شَيبان النَسّابةُ. وكان حاجِبٌ أَذْكَرَ القومِ. ورَوَوْا أن عبد المَلِكِ ذكر يوماً بني دارم. فقال أحدُ جُلَسائِه: يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون. فقال عبد الملك: أتقول ذلك وقد مضى منهم لَقيطُ بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقباً، ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبدِ بن زُرارةَ، ولم يُخَلِّفْ عِقبا، ومضى محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِد بن حاجب بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقْباً، واللّه لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثةَ أبداً. وكان لقيط بن زُرارة قُتِلَ يوم جَبَلةَ[2] وأُسِرَ حاجبٌ ففوديَ فزعم أبو عبيدة أنه لم يكنْ عكاظيٌّ أغْلى فِداءً من حاجب. وكان أسرَه زَهْدَمٌ العَبْسيُّ (أخو كَرْدَمٍ) فَلَحِقَهُ ذو الرُقَيْبة القُشَيْرِيُّ وبنو عَبْسٍ يومئذ نازلةٌ في بني عامر بن صَعْصَعةَ، فأخذه الرُقَيْبة بِعزْهِ وأنه

(١) يوم النسار: بكسر النون وبالسين مهملة كان بني ضبه وبني تميم والنسار جبل صغير كانت الوقعة عنده وقال بعضهم هو ماء لبني عامر.

(٢) يوم جبلة: كان بين عبس وذبيان إبني بغيض.

في محلِّ قومِهِ. فقال حاجب لَمَّا تَنازعني الرجلان خِفْتُ أن أُقْتَلَ بينهما، فقلت: حَكماني في نفسي، ففعلا، فحكمتُ بسلاحي وركابي لزَهدَمَ[1] وبنفسي لذي الرُقَيْبةِ. وكان حاجب يُكنى أبا عِكْرِشةَ، وكان أحْلَمَ قومه. وفي ذي الرقيبة يقول الشاعر (هو المُسَيَّبُ بن عَلَسٍ واسمه زُهَيرٌ ويُكْنى أبا الفضة):

ولقد رأيتُ القائلينَ وفعلَهُمْ ... فلِذي الرُقَيْبةِ مالكٍ فَضْلُ
كَفَّاهُ مُتْلِفةٌ ومُخْلِفةٌ ... وعطاؤهُ مُتَدفِّقٌ جَزِلُ

فَفُدِيَ حاجبٌ، وقُتِلَ في ذلك اليوم لَقيطٌ، وأُسِرَ عمرو بن عمرو بن عُدَسَ.

فلذلك يقول جرير يُعَيِّرُ الفرزدق، لأن الفرزدق من بني مُجاشِعِ بن دارِمٍ، وقد مضى ذكر هذا في الكتاب. ولجرير في قيسٍ خُؤولَةٌ، فلما هجا الفرزدقُ قيساً في أمر قُتَيْبةَ بن مُسلم الباهليَّ. قال:

أتاني وأهلي بالمدينة وقعةٌ ... لآل تميم أقعَدَتْ كلَّ قائم
كأن رؤوسَ الناسِ إذ سمعوا بها ... مُشَدَّخةٌ هاماتُها بالأمائم

(حجارةٌ تُشْدَخُ بها الرؤوس الواحدة أُميمةٌ).

وما بين مَنْ لم يُعطِ سمْعاً وطاعةً ... وبين تميم غيرُ حزِّ الحَلاقِمِ
أتَغْضَبُ أن أُذنا قُتَيْبةَ حُزَّنا ... جِهاراً ولم تَغْضَبْ لقتل ابن خازم
وما منهما إلا نقَلنا دِماغَه ... إلى الشامِ فوق الشاحِجاتِ[2] الرَواسم
تذَبْذَبُ[3] في المِخْلاةِ تحت بُطونها ... مُحذَّفةُ[4] الأذْنابِ جُلحُ[5] المَقادِمِ

(١) زهدم كجعفر علم منقول وأصله من أسماء الاسد وقال لزهدم وأخيه كردم أو قيس الزهدمان وذو الرقيبة كجهينة اسمه مالك.
القشيري: نسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة وقد خلط أبو العباس في هذا الحديث، فليتنبه له بالرجوع إلى الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.
(٢) الشاحجات: يراد بها البغال.
(٣) الذبذبة: تردد الشيء المعلق في الهواء وتحركه.
(٤) محذفة الأذان: نعت للشاحجات.
(٥) الجلح: هو الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه.

وما أنتَ من قَيْسٍ فتنبِحَ دونَها ... ولا من تميم في الرُّؤوس الأعاظِمِ
تُخَوِّفُنا أيام قيسٍ ولم نَدَعْ ... لعَيْلان أنفاً مُستقيمَ الخَياشِمِ
لقد شهِدَتْ قيسٌ فما كان نَصرُها ... قُتَيبةَ إلا عَضْها بالأباهِم

وقال جرير يجيبه:

أباهلَ[1] ما أحببتُ قتلَ ابن مسلم ... ولا أن تَروعوا قَوْمَكم بالمَظالم

ثم قال يخوّف الفرزدق:

تُحَضِّضُ يا ابنَ القَينِ قيساً ليَجعلوا ... لقومك يوماً مثلَ يوم الأراقِمِ[2]
كأنكَ لم تشهَدْ لقيطاً وحاجباً ... وعمرو بن عمرٍ إذ دعَوْا يالَ دارِم
ولم تَشهدِ الجَوْنَينِ والشِعبَ ذا الصَفا ... وشدّاتِ قيسٍ يوم دِيرِ الجَماجِم[3]
فيومَ الصفا كنتم عبيداً لعامرٍ ... والجِنوِ[4] أصبحتُمْ عبيدَ اللهازِمِ
إذا عُدّتْ الأيامُ أخْزَينَ دارِماً ... وتُخْزيكَ يا ابْنَ القَينِ أيامُ دارِم

أما قول الفرزدق:

كأن رؤوس الناس إذا سمعوا بها ... مشدّخةٌ هاماتُها بالأمائم

فإن الشِجاجَ مختلفةُ الأحكام، فإذا كانت الشَجّةُ شُقَيْقاً[5] يَدْمَى فهي الدامية، وإذا أخذتْ من اللحم شيّاً فهي الباضعه، وإذا أمعَنَتْ في اللحم فهي المُتلاحِمةُ، فإذا هشَمَت العظم فهي الهاشمة، وإذا كان بينها وبين العظم جِلْيدةٌ رقيقة فهي السِمْحاقُ، ومن أجل تلك الجليدة يقال: ما على تَرْبِ الشاةِ[6] من الشحم إلا سَماحيقُ أي طرائقُ، فإذا خرجت منها عظامٌ صغار

---

(١) أباهلَ: يريد يا باهلة وابن مسلم أراد به قتيبة.
(٢) الأراقم: حي من تغلب.
(٣) يوم دير الجماجم: كان للجماج على أهل العراق.
(٤) الجِنْوُ: كان لبكر على تغلب.
(٥) الشجة شقيقاً بالتصغير أي شق الجلد حتى يظهر منها الدم
(٦) ترب الشاة: شحم رقيق يغشي الكرش والامعاء.

فهي المُنقِّلة. وإنما أخذ ذلك من النَقَلِ، وهي الحجارةُ الصِغارُ، فإذا أوْضَحَتْ عن العظم فهي الموضِحةُ، فإذا خرقت العظم العرب وبلغتْ أُمَّ الدِماغ وهي جُلَيْدةٌ، قد ألبَست الدماغَ فهي الأمَّةُ، وبعض العرب يسميها المأمومةَ واشتقاقُ ذلك أفضاؤها إلى أمّ الدماغ ولا غاية بَعْدها. قال الشعر:

يَحُجُّ مأمومة في قَعرِها لَجَفٌ فاسْتُ الطَبيبِ قَذاها كالمغاريدِ

وقال ابن غَلفاءَ الهُجَيْميُّ يَرُدُّ على يزيد بن عمرو بن الصَعِقِ في هِجائه بني تميم:

فإنكَ من هِجاءِ بني تميم كمُزْدادِ الغَرامِ إلى الغرام
هُمُ تركوكَ أسْلَحَ من حُبارى[1] رأتْ صَقراً وأشْرَدَ من نَعام
وهُمْ ضربوكَ أمَّ الرأسِ حتى بَدَتْ أمُّ الشُؤون من العظام
إذا يَأسونها[2] جَشَأت إليهم[3] شَرَنْبَثةُ القوائم أمُّ هامِ

(يريد غليظة القوائم) وابن خازم هو عبد اللّه بن خازِمٍ السُلمِيُّ، وهو أحد غِرْبانَ العرب في الاسلام وكان من أشْجَعِ الناس. وقتله بنو تميم بخُراسان وكان الذي وَلَّي قتله منهم، وكيعُ بن الدَوْرَقيةِ القُرَيْعيُّ. وقوله: فوق الشاحجات يعني البغال، والرسيمُ ضَربٌ من السير، وإنما عني ههنا بغالَ البريد. لقوله: محذفة الأذناب جلح المقادم. كما قال امرؤ القيس:

على كل مَقْصوصِ الذُنابَى مُعاوِدٍ[4] بَريدَ السُرى بالليل من خَيْلِ بَرْبَرا

وكانتْ بُرُدُ ملوك العرب في الجاهلية الخيلَ. وأما قول جرير الجونين فقد مضى ذكرهما، ويوم دير الجماجم يريد الحَجّاج في وقعته بديرِ الجَماجِمِ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعثِ بن قيس الكِنديُّ. وقوله: وبالجِنوِ أصبحتم

---

(١) الحبارى بالضم: طائر يكون للذكر والأنثى والواحد والجمع وألفه للتانيث.
(٢) يأسونها: أس الجرح يأسوه أسوا داواه.
(٣) جشأت اليهم: نهضت.
(٤) المعاود: الذي ريض وذلل.

عبيدَ اللهازمِ فاللهازمُ بنو قيسِ بن ثعلبةَ وبنو ذُهْل بن ثعلبة وبنو تَيْمِ اللات بن ثعْلبة، وبنو عِجلِ بن لُجَيْم بن صَعتِ بن عليّ بن بكر بن وائل وبنو مازنِ بن صَعْب بن عَلِيّ، ثُم تَلَهْزَمتْ حَنيفةُ بن لُجَيْمٍ فصارت معهم. وأما عَلقمةُ بن زُرارةَ فإنه قتلتْه بنو ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة فَقَتَلَ به حاجبُ أخوه أشيَمَ بن شَراحيلَ القَيسيّ. فقال حاجبٌ في ذلك:

فإن تقتلوا مِنّا كريماً فإننا ... أبانا به مأوى الضَعاليكِ أشْيَما
قَتَلنا به خيرَ الضُبَيْعاتِ كلِّها ... ضُبيعة[1] قيسٍ لا ضُبَيْعةَ أضْجَما

وكان يقال لإشْيَمَ مأوى الصعاليكِ، أضْجَمَ الذي ذكرَ هو ضُبيعةُ بن ربيعة بن نزارٍ رهطِ المُتَلمِّسِ هذا لقبهم. وأما مَعْبَدُ بن زُرارة فإن قيساً أسَرَتْهُ يوم رحْرَحانَ[2]، فساروا به إلى الحجاز، فأتى لَقيطٌ في بعض الأشهر الحُرُم ليَفدِيَهُ، فطلبوا منه ألف بعير. فقال لقيط: إن أبانا أمرنا أن لا نزيد على المائتين فتطمعَ فينا ذُؤبانُ العرب. فقال معبدٌ: يا أخي أفدني بمالي فإني ميت، فأبى لقيط، وأبى معبد أن يأكل أو يشرب، فكانوا يَشْحُون فاه[3] ويصبون فيه الطعام والشراب لئلا يَهْلِك فيذهبَ فداؤه فلم يزل كذلك حتى مات.

جرير يعير الفرزدق

فقال جرير يعير الفرزدق وقومه بذلك:

تركتم بوادي رَحْرحانَ نساءَكم ... ويوم الصفا لاقيتمُ الشِعْبَ أوعَرا[4]
سمعتم بني مجْدٍ دعَوْا يالَ عامرٍ ... فكنتم نعاماً[5] عند ذاكَ مُنَفَّرا

---

(١) ضبيعة أضجم: متبلة واضجم لقب ضبيعة.

(٢) يوم رحرحان: كزعفران وهي أرض قريبة من عكاظ قالوا وهما يومان الأول كان بين بني دارم وبني عامر بن صعصعة والثاني بين بني تميم وبني عامر وقال النابغة الجعدي.

هلا سألت بيومي حرمان وقد ... ظننت هوازن أن الغرقد زالا

(٣) يشحو فاه: يفتحونه.

(٤) يوم الصفا لاقيم الشعب أو عرا: هكذا كناية عن شده ما لاقوه في الحرب ذلك اليوم.

(٥) فكنتم نعاماً: هذا كناية عن الجبن والصعق.

وأسلمتِ القَلحاءُ في الغُلّ مَعبداً ولاقى لقيطٌ حَتْفَهُ فتَقطَّرا

قوله: سمعتم بني مجد دعوا يال عامر، يعني مجْدَ بنتَ النَضرِ بن كنانةَ: وَلدَتْ ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعةَ ووَلَدُهُ بنو كلابٍ بنو كعبٍ وبنو عامر بن ربيعة والقَلْحاءُ لقب، والقَلحُ أن تَرْكبَ الاسنانَ صفرةٌ تضْربُ إلى السواد. ويقال لها الحَبرةُ لشدة تأثيرها أنشدني المازني:

لستُ بسَعدِيٍّ على فيهِ حَبرةٌ ولستُ بعَبْسديٍّ حقيبتُهُ التَمْرُ

وزعم أبو الحسن الأخفش سعيد بن مَسْعدةَ: إن العرب تقول في هذا المعنى، في أسنانه حِبرةٌ وليس ذلك بمعروف. ولم يأت إسم على فِعِلٍ إلا إبلٌ واطِلٌ (وامرأة بِلِزٌ أي ضخمة. قاله ابن قتيبةَ. أما إبل فكما ذكروا، وأما طِلٌ فليْس كما ذكروا طِلٌ أصلهِ اطْلٌ، ثم حركت الطاءُ اتباعاً لحركة الهمزة، كما قالوا في الجِلْدِ الجِلِدُ، قال سيبويه: ليس في الاسماء والصفات فِعِلٌ إلا إبِلٌ). وقوله: ولاقى لقيطٌ حتفه فتَقطَّرا، يقال: قَطَّرتُ لجبينه وقترهُ لغتان لأن التاء من مخرج الطاء، فإن رَمى به على قفاه قيل: سَلَفَهُ وسَلفاهُ وبَطَحَهُ لوجهه، فإن رَمى به على رأسه قيل نَكَتَهُ. رجع التفسيرُ إلى شعر الفرزدق الأول. أما قوله: ومنا الذي منع الوائدات فإنه يعني جده صعصعة بن ناجية بن عِقالٍ، وكانت العرب في الجاهلية تَئِدُ البُنات ولم يكن هذا في جميعها، إنما كان في تميم بن مُرّ، ثم استفاض في جيرانهم فهذا قولٌ واحدٌ. وقال قوم آخرون: بل كان في تميم وقيسٍ وأسَدٍ وهُذَيلٍ وبَكْرِ بن وائلٍ لقول رسول الله ﷺ: اللهم اشْدُدْ وطأتَك[1] على مُضَرَ واجْعَلها عليهم سنين كسِني يوسُف. وقال بعض الرواة:[2] أشدد وطْدَتَك، والمعنى قريب يرجع إلى الثِقَل فأجْدَبوا

---

(١) اشدد وطأتك: خذهم أخذاً شديداً.

(٢) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، محدث صحيح السماع، لم يكن بالبصرة من أقرانه من هو مثله في الفضل والعلم والصلابة في السنة والقمع لأهل البدع. توفي سنة ١٦٧ هـ.
أنظر: تهذيب التهذيب ١٣/٣ وما بعده.

سبع سنين حتى أكلوا الوَبرَ بالدَمِ، فكانوا يسمونه العِلْهز[1] ولهذا أبان اللّه عز وجل تحريم الدم، ودلَّ على ما من أجْلِهِ قتلوا البنات: فقال: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إمْلاقٍ**﴾[2] وقال: ولا يَقْتُلنَ أولادهُنَّ، فهذا خَبرٌ بَيِّنٌ أن ذلك للحاجة. وقد رَوى بعضُهم أنهم إنما فعلوا ذلك أنفَةً.

غارة النعمان بن المنذر على تميم

وذكر أبو عبيدة مَعْمرُ بن المثنَّى أن تميماً مَنَعَتِ النُعمانَ الإتاوةَ[3] وهي الأدْيانُ، فوجَّهَ إليهم أخاه الريّانَ بن المُنذِرِ، وكانت للنعمان خمسُ كتائبَ إحداها الوضائعُ، وهم قوم من الفُرسِ كان كِسْرى يَضَعُهُمْ عنده عُدَّةً ومَدداً فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخم، فإذا كان في رأس الحول ردَّهمْ إلى أهليهم وبَعَث بمثلهم، وكتيبةٌ يقال لها الشَهباءُ، وهي أهل بيت الملك، وكانوا بيضَ الوجوه يُسَمَّوْنَ الأشاهِبَ. وكتيبةٌ ثالثة يقال لها الصَنائعُ وهم صنائع المَلِك أكثرهم من بكر بن وائل، وكتيبةٌ رابعةٌ يقال لها الرهائنُ، وهم قوم كان يأخذُهم من كل قبيلة فيكونون رُهُناً عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم. والخامسة دَوْسَرُ وهي كتيبة ثقيلة تجمَعُ فُرْساناً وشُجعاناً من كل قبيلة، فأغزاهم أخاه وجُلُّ من معه بكرُ بن وائل، فاستاق النَعَم وسبى الذَّراريَّ. وفي ذلك يقول أبو المُشَمْرَجِ اليَشْكُريُّ:

لما رأوا رايةَ النعمانِ مُقْبلةً ... قالوا ألا لَيْتَ أدْنى دارِنا عَدَنُ

يا ليتَ أمَّ تميمٍ لم تكن عَرفَتْ ... مُرّاً وكانت كمَن أوْدى به الزَمَنُ

إن تقتلونا فأعْيارٌ[4] مُجَدَّعةٌ[5] ... أو تُنعِموا فقديماً مِنكُم المنن

---

(١) العلهز: بالكسر: وقوله ولهذا إبان الله تحريم الدم. أي في آيات ذكرت في مواضع في الكتاب الكريم.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣١.

(٣) لأتاوة: بالكسر الخراج.

(٤) فأعيار: أي نحن أعيار جمع عير بالفتح وهو الحمار وغلب على الوحشي.

(٥) المجدعة: المقطوعة الأذن وفي ذلك عنى الشاعر الذل والهوان.

منهم زُهَيْرٌ وعَتّابٌ ومُحْتَضَرٌ وابنا لَقيطٍ وأوْدى في الوغا قَطَنُ

ويقول النعمان في جواب هذا:

لِلّه بَكْرٌ غَداةَ الرَوْعِ لو بِهِم أرمي ذُرا حَضَن[1] زالتْ بهم حَضَنُ
إذ لا أرى أحداً في الناس أشبَهَهُمْ إلا فَوارسَ خامَتْ[2] عنهمُ اليَمَنُ

وهذا خبر طويل فوَفَدَتْ إليه بنو تميم فلما رآها أحب البُقْيا فقال:

ما كان ضَرَّ تميماً لو تغمَّدَها[3] من فَضْلنا ما عليه قيسُ عَيْلانِ

فأناب القومُ وسألوه النساءَ. فقال النعمان كل امرأة اختارت أباها رُدَّتْ إليه، وإن اختارت صاحبها تُرِكَتْ عليه، فكلُّهن اختارت أباها إلّا ابنةً لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المُشَمْرَجِ. فنذَرَ قيسٌ أن لا تولَدَ له ابنةٌ إلا قَتَلَها فهذا شيء يَعْتلُّ به مَن وأد، ويقول فعلناه أنَفَةً، وقد أُكذِبَ ذلك بما أنزَل اللّه تعالى في القرآن وقال ابن عباس رحمه اللّه في تأويل هذه الآية وكانوا لا يُورِّثون ولا يتخذون إلا من طاعَنَ بالرُمْحِ ومَنَعَ الحَريمَ يريدون الذُكْرانَ.

صعصعة بن ناجية بين يدي الرسول

وروت الرواة أن صَعْصعةَ بن ناجية لما أتى رسولَ اللّه ﷺ فأسلم قال: يا رسول اللّه إني كنتُ أعمَلُ عملاً في الجاهلية، أفينفعُني ذلك اليوم. قال: وما عملك؟ قال: أضْلَلْتُ ناقتين عُشَرَاوَينِ[4] فركبتُ جملاً ومضيت في بُغائهما فرُفِعَ لي بيتٌ حَريدٌ فقصدته، فإذا شيخ جالس بِفناء الدار، فسألته عن الناقتين؟ فقال: ما نارُهما؟ قلتُ: ميسَمُ بني دارِمٍ. فقال: هما عندي وقد

(١) حضن بالتحريك: جبل بنجد وقبيلة من تغلب.

(٢) خام: جبن.

(٣) تغمدها: غمرها من فضلنا وسترها.

(٤) عشراوين: مثنى عشراء.

أحيا اللّه بهما قوماً من أهلك من مُضَرَ. فجلستُ معه لتُخرَجا إليَّ فإذا عجوز قد خرجتْ من كِسْرِ البيت[1]. فقال لها: ما وَضَعَتْ فإن كان سَقْباً[2] شاركنا في أموالنا، وإن كانت حائلاً[3] وأدْناها. فقالت العجوز: وَضَعَتْ أنثى. فقلت: أتبيعها؟ قال: وهل تبيعُ العربُ أولادها قال. قلتُ: إنما أشتري منك حَياتَها ولا أشتري رِقَّها. قال: فبكم؟ قلتُ: احتَكِم قال: بالناقتين والجَملِ قال. قلتُ: ذاكَ لكَ على أن يُبلِّغَني الجملُ وإياها. قال ففعل فآمنتُ بك يا رسول اللّه، وقد صارتْ لي سُنَّةٌ في العرب على أن اشتريَ كل موؤدةٍ بناقتين عُشَراوَينِ وجملٍ، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا مَوْؤدةٍ فقد أنقذتها. فقال رسول اللّه ﷺ: لا ينفعُكَ ذلك لأنك لم تَبْتَغِ به وجهَ اللّه، وإن تَعْمَلْ في إسلامكَ عملاً صالحاً تَثَبْ عليه. وكان ابن عباس يقرأ: ﴿وإذا الموؤدةُ سئلتْ: بأيِّ ذنب قُتِلْتُ﴾[4]؟ وقال أهل المعرفة في قول اللّه عز وجل: ﴿وإذا الموؤدةُ سُئِلَتْ بأيِّ ذنبٍ قُتِلتْ﴾[5] إنما تُسئل تَبكيتاً لمن فعلَ ذلك بها. كما قال اللّه تعالى: ﴿يا عيسى بن مريم أأنتَ قُلتَ للناس اتخذوني وأمّيَ الهَينِ من دون اللّه﴾[6] وقوله: وئِدَتْ إنما هو أُثْقِلَتْ بالتُراب. يقال للرجل اتَّئِدْ أي تثبَّتْ وتَثَقَّلْ كما يقال توَقَّرْ، قال قصيرٌ صاحبُ جذيمةَ[7] (هذا وَهمٌ من أبي العباس وإنما هو للزَبّاءِ):

ما للجِمالِ مَشْيُها وَئيدا أجَنْدلاً يَحْمِلْنَ أم حَديدا
(أمْ صَرَفاناً[8] بارِداً شديدا)

---

(١) كسر البيت: جانبه.

(٢) السقب: في الأصل ولد الناقة وهنا إستعارة للإنسان.

(٣) الحائل أيضاً الانثى من أولاد الابل فاستعارها لمن يولد انثى من بنات آدم.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

(٥) سورة فصلت: الآية ١١.

(٦) سورة التكوير: الآية ٩.

(٧) جذيمة: هو ابن مالك بن فهم ملك الحيرة.

(٨) الصرفان: محركاً: تمرز بن صلب المضاغ.

وقوله: أضللتُ ناقتين عُشَراوَينِ أضللتُ، ضَلَّتا مني، وتحقيقه صادفتهما ضالَّتين، كما قال (لرجل من قُضاعةَ يقال له مالك بن عمرو وقبله:

لأوجُدَ ثكلى كما وَجَدْتُ ولا وَجْدُ عَجولٍ[1] أضَلَّها رُبَعُ[2]
أو وَجْدُ شيخٍ أضَلَّ ناقتَهُ حين تَولَّى الحَجيجُ فاندفعوا

والعُشَراءُ الناقةُ التي قد أتى عليها منذ حَمَلَتْ عشرةُ أشهر وإنما حَمْلُ الناقة سنةٌ. وقوله: ما نارهما؟ يريد ما وَسمُهُما. كما قال:

قد سُقِيَتْ آبالُهُمْ بالنار والنارُ قد تَشْفي من الأُوارِ

أي عُرِفَ وسمُهُمْ فلم يُمنَعوا الماء. وقوله فإذا بيت حَريدٌ يقول مُتَنحٍّ عن الناس. وهذا من قولهم: انحَرَدَ الجملُ إذا تَنحَّى عن الإناثِ فلم يَبرُكْ معها. ويقال في غير هذا الموضع حَرَدَ حَرْدَهُ، أي قصْدَ قَصدَهُ. قال الراجز:

قد جاء سَيْلٌ جاء من أمرِ اللّه يَحْرِدُ حَرْدَ الجنةِ المُغِلَّهْ,

وقالوا في قوله عز وجل: ﴿وغَدَوْا على حَرْدٍ قادرين﴾[3] أي على قَصْدٍ كما ذكرنا. وقالوا هو أيضاً على مَنعٍ من قولهم: حاردَتِ الناقةُ إذا منعت لبنها وحاردتِ السنةُ، إذا مَنَعَتْ مَطَرها، والبعيرُ الأحرد هو الذي يضرب بيده وأصله الامتناع من المشي. وأما قوله:

وقبر بكاظمةِ المَوْردِ. إذا ما أتى قبرَهُ خائفٌ. أناخ على القبر بالأسْعُدِ

فإنه يعني قبر أبيه غالِب بن صَعْصعةَ بن ناجية، وكان الفرزدق يُجيرُ مَن استجار بقبر أبيه، وكان أبوه جَواداً شريفاً، ودخل الفرزدق البصرةَ في إمْرةِ زيادٍ، فباع إبلاً كثيرة وجعل يَصُرُّ أثمانها. فقال له رجلٌ: إنك لتَصُرُّ أثمانها، ولو كان غالبُ بن صعصعةَ ما صَرَّها، ففتح الفرزدق تلك الصُرَرَ ونثرَ المالَ.

---

(١) العجول بالفتح الواله من الابل والنساء لعجلتها في حركاتها جزعاً.
(٢) الربع كصرد الفصيل ينتج في الربيع.
(٣) سورة القلم: الآية ٢٥.

وبلغ الخبرُ زياداً فطلبه فهرب الفرزدق، وله في هربه حديثٌ طويل، واستجارتهِ بسعيد بن العاص بالمدينة نذكر ما بعد هذا إن شاء اللّه. فمِمَّنْ استجارَ بقبر غالِبٍ فأجاره الفرزدقُ امرأةٌ من بني جَعْفَر بن كِلاب خافتْ لما هجا الفرزدق بنيْ جعفر بن كلاب أن يُسَمِّيها ويَسُبَّها، فعاذَتْ بقبر أبيه فلم يَذْكُر لها إسماً ولا نسباً ولكن قال في كلمته التي يهجو فيها بني جعفر بن كلاب:

عجوزٌ تُصَلي الخَمْسَ عاذَتْ بغالِبٍ فلا والذي عاذَتْ به لا أضيرُها

ومن ذلك أن الحجاج لما ولى تميم بن زيد القَيْنيَّ السِندَ دخل البصرة فجعل يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاء فجاءت عجوز إلى الفرزدق فقالت: إني استجرت بقبر أبيك وأنت منه بَحصَياتٍ. فقال لها: وما شأنكِ؟ فقالتْ: إن تميم بن زيد خَرجَ بابن لي معه ولا قُرَّةَ لعيني ولا كاسِبَ لي غيرُهُ، فقال لها: وما اسمُ ابنك؟ فقالت خُنَيْس فكتب إلى تميم بن زيدٍ مع بعض مَن شَخَص:

تَميمُ بن زَيدٍ لاتكوننَّ[1] حاجتي بظهْرٍ فلا يَعيا عليَّ جَوابُها
وهَبْ لي خُنَيْساً واحتسِب فيه مِنَّةً لعَبرةِ أُمٍّ ما يسوغُ شارِبُها
أتَتني فعاذَتْ يا تميمُ بغالِبٍ بالحُفرةِ السافي عليها تُرابُها
وقد عَلِمَ الأقوامُ أنك ماجِدٌ ولَيْثٌ إذا ما الحرب شبَّ شِهابها

فلما ورد الكتابُ على تميم تَشكَّك في الاسم فقال: أحُبَيْشٌ أم خُنَيْسٌ؟ ثم قال انظروا مَن له مثلُ هذا الاسم في عسكرنا فأصيب ستةٌ ما بين حُبَيْشٍ وخُنَيْسٍ، فوجَّهَ بهم إليه ومنهم مكاتَبٌ لبني مِنقَرٍ ظَلَع[2] بمَكاتَبتِهِ، فأتى قبرَ غالب فاستجار به وأخذ منه حصياتٍ فشَدَّهُنَّ في عمامتهِ، ثم أتى الفرزدق فأخبره خَبرهُ وقال أني قد قلت شعراً. فقال: هاتِهِ فقال:

---

(١) لا تكونن حاجتي: بظهر يريد لا تجعلها وراء ظهرك ولكن أجعلها نصب عينيك حتى لاعجز عن جوابها.

(٢) ظلع: أي ضعف.

بقبر ابن لَيلى غـالِبٍ عُـذْتُ بعـدمـا خشيتُ الـرَدى أو انْ أُرَدَّ على قَسْرِ[1]
بقبـر امـرىءٍ تَقـري[2] المِئينَ عِظامُهُ ولم يَـكُ إلاّ غـالبـاً مَيِّتٌ يَـقـري
فقـال ليَ اسْتَقـدِم أمـامـكَ إنمـا فَكـاكُكَ أن تلقى الفـرزدق بـالمِصرِ

فقال له الفرزدق: ما اسمُكَ؟ قال لَهْذَمٌ. يا لَهْذَمُ حُكمُك[3] مُسَمَّطاً قال: ناقةٌ كَوْماءُ[4] سوداءُ الحدقةِ. قال: يا جاريـة اطرَحي إلينـا حبلاً. ثـم قـال: يـا لَهْذَمُ أخرج بنا إلى المِرْبَدِ فألقِهِ في عُنُقِ ماشئت. فتخيـر العبد على عينـه ثم رمى بالحبل في عنق ناقةٍ وجاء صاحبها، فقال له الفرزدق اغْـدُ عليَّ في ثمنها فجعل لَهْذَمٌ يقودها والفرزدق يسوقها حتى إذا نفَذَ بها من البيوت إلى الصحراء صاح به الفرزدقُ: يا لَهْـذَمُ قَبَحَ اللّه أخْسَـرَنا. (قـوله: تقـري المئين عظامـه، يريد أنهم كانوا ينحرون الابل عند قبور عظمائهم فيـطعمون النـاس في الحياة وبعد الممات وهذا معروف في أشعارهم) قوله: ولم يك إلاّ غـالباً ميتٌ يقـرى فإنه نصب غالباً لأنـه استثناء مقـدم، وإنما انصب الاستثنـاء المقدم لمـا أذكره لك، وذلك أن حق الاستثناء إذا كان الفعلُ مشغولاً به أن يكون جارياً عليـه، لا يكـون فيـه إلاّ هـذا. تقـول، مـا جاءني إلاّ عبـدُ اللّه، لا ومـا أريت إلاّ عبدَ اللّه، وما مررت إلاّ بعبدِ اللّه، فإن كان الفعل مشغولاً بغيره، فكان مـوجَباً لم يكن في المستثنى إلا النصبُ، نحو جاءني إخوَتُكَ إلاّ زيداً.

كمـا قال تعـالى: ﴿فَشَـربوا منه إلا قليلاً منهم﴾[5]. ونصَبَ على هـذا معنى الفعل وإلاّ دليلٌ على ذلك فإذا قلت: جاءني القوم لم يُؤمَن أن يقـع عند

---

(١) قسر: القهر والغلبة.

(٢) قرى الضيف ذكرت في مكان سابق.

(٣) حكمك مسمطاً بالتشديد: أي لك قلمك مرسلاً جائزاً لا يعقب ـ والمسمط المرسـل الذي لا يـرد وهذا المثل لا يقال إلا محذوف الخبر.

(٤) نـاقة كـوماء: كـأنه قـال حكمي عليك فـاقه الـخ والكوماء الناقـة العظيمـة السنام وقـد كـومت كفرحت.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

السامع أن زيداً أحدهم، فإذا قال إلاّ زيداً، فالمعنى لا أعني فيهم زيداً أو أستثني ممن ذكرت زيداً. ولسيبويه فيه تمثيل والذي ذكرتُ لك أبْينُ منه وهو مُترجَمٌ عما قال غيرُ مُناقِضٍ له وإن كان الأول منفياً جاز البدل والنصب، والبدل أحسن لأن الفعل الظاهر أولى بأن يعمل من المُختزَلِ الموجود، بدليلٍ وذلك قولك. ما أتاني أحد إلاّ زيدٌ وما مررت بأحدٍ إلاّ زيدٍ، والفصل بين المنفي والموجب أن المبدل من الشيء يفَرَّغُ له الفعلُ، فأنت في المنفي إذا قلت: ما جاءني أحدٌ إلاّ زيدٌ، إذا حذفتَ على جهة البدل صار التقدير ما جاءني إلاّ زيدٌ، لأنه بدل من أحد. والموجَبُ لا يكون فيه البدل، لأنك إذا قلت: جاءني أخوتك إلاّ زيداً لم يجز حذف الأول، ولا تقول جاءني إلاّ زيد وإن شئت أن تقول في النفي، ما جاءني أحد إلاّ زيداً جاز ونصبه بالاستثناء الذي شرحتُ لك في الواجب. والقراءةُ الجيدةُ ما فعلوه إلاّ قليلٌ منهم، وقد قرىء إلاّ قليلاً منهم على ما شرحتُ لك في الواجب. والقراءةُ الأولى، فإذا قدّمتَ المستثنى بطل البدل لأنه ليس قبله شيء يُبدَلُ منه فلم يكن فيه إلاّ وجهُ الاستثناء، فتقول ما جاءني إلاّ أباك أحَدٌ، وما مررت إلاّ أباك بأحدٍ، وكذلك تُنشَدُ هذه الاشعارُ: قال كعب بن مالك الأنصاري لرسول اللّه ﷺ:

الناسُ ألْبٌ[1] علينا فيكَ ليس لنا ... إلاّ السُّيوفَ وأطرافَ القَنا وزَرُ[2]

وقال الكُمَيْتُ بن زيد:

فما لِيَ إلاّ آلَ أحمدِ شيعةٌ ... ومالي إلاّ مَشعَبَ الحق مَشْعَبُ

لا يكون إلاّ هذا. وليونس قول مرغوب عنه، فلذلك لم نذكره. وقوله: فقال لي: اسْتَقدِمْ أمامك مُخبِرٌ عن الميت بالقول، فإن العرب وأهل الحِكمة من العجم تجعل كلَّ دليل قولاً، فمن ذلك قول زُهَيرٍ:

أمِن أمِّ أوْفى دِمنةٌ لم تَكلَّمِ

---

(١) الألب: بالفتح أو بالكسر القوم يجتمعون على عداوه إنسان وقد تألبوا عليه أي تجمعوا بالظلم والعداوة.

(٢) الوزر: محركاً الملجأ والمعتصم.

وإنما كلامها عنده أن تُبَيِّن بما يُرى من الآثار فيها من قدم أهلها وحِدْثانِ عَهْدهم. ويُرْوى عن بعض الحكماء أنه قال: هَلاَّ وقفتَ على المعاهِد والجِنانِ. فقلتَ أيتها الجِنانُ مَن شقَّ أنهارك وغرَسَ أشجارك وجنى ثِمارك، فإنها إن لم تُجِبْكَ حواراً[1] أجابتك اعتباراً. وأهل النظر يقولون في قول الله عز وجل قالتا: ﴿آتينا طائعين﴾[2]، لم يكن كلام إنما فَعَلَ عز وجل ما أراد فوُجِدَ. قال الراجز:

قد خَنَّقَ الحَوْضُ[3] وقال قَطْني[4] سَلاًّ رُوَيْداً قد مَلأتُ بطني

ولم يكن كلام إنما وجد ذلك فيه، وكذلك قوله:

فقال لي اسْتَقدِم أمامَكَ إنما فَكاكُكَ أن تلقى الفرزدق بالمصر

لهو النعمان بن المنذر

وحدثني العبّاس بن الفَرجِ الرياشيُّ في إسناد قد ذَهَب عني أكثره قال: نزل النُعمان بن المُنذِر ومعه عَديُّ بن زيد في ظل شجرة مُونِقةٍ ليَلهُوَ النُعمان هناك، فقال له عديُّ بن زيد: أيها الملك، أبَيْتَ اللعْنَ، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: وما الذي تقول؟ قال تقول:

(مَنْ رآنا فليُحَدِّثْ نفسهُ أنه مُوفٍ على قَرْنِ[5] زَوال
وصُروفُ الدهْرِ لا يَبقى لها ولِما نأتي به صُمُّ الجبال)
رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولنا يَمْزُجون الخمر بالماءِ الزُلال
(والأباريقُ عليها فُدُمٌ وجيادُ الخيل تَرْدي[6] في الجِلال

---

(١) حواراً: الحوار بالفتح. وبكسر الجواب ومراجعة النطق والاعتبار الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد.

(٢) سورة فصلت: الآية ١١.

(٣) خنق الحوض: وغيره. تخنيقاً ملأه.

(٤) قطن: بمعنى حسبي.

(٥) قرن الزوال: حده كان الحوت سيف وهم على قرنه.

(٦) تردى: ترجم الأرض بحوافرها.

عَـمِـرُوا الـدهَـرَ بعَـيْشٍ حسنٍ قَـطَعـوا دَهْـرَهمُ غيـرَ عِجـال)
ثم أضْحَـوْا عَصَفَ الـدَهْـرُ بهمْ وكـذاكَ الدهْـرُ حالاً بعـد حـال

قال: فَتَنَغَّصَ النعمانُ، وهذا في الامثال كثير وفي الاشعار السائرة، وأما قوله: حُكمُكَ مُسَمّطاً، فإعرابه أنه أراد لك حُكمُكَ مُسَمّطاً واسْتُعْمِلَ هذا فكثر حتى حُذِفَ استخفافاً لعلم السامع بما يريد القائل، كقولك الهلالُ واللَّهِ، أي هذا الهلال، وأغْنى عن قوله هذا القصدُ والاشارة وكان يقال لِرُؤبةَ كيف أصبحت؟ فيقول خَيْرٍ عافاكَ اللّه، فلم يُضْمِرْ حرف الخفض ولكنه حَذَفَ بكثرة الاستعمال، والمُسَمّطُ المرسل غير المردود، والكَوْماءُ العظيمة السّنام.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٣٥ ـ باب

قال أبو العباس: قال الليثي (هو الجاحظ): أعتق سعيدُ بن العاص أبا رافع، إلاّ سَهْماً واحداً فيه من أسْهُمٍ لمْ يَسم عَدَدُها لنا، فاشترى رسول الله ﷺ ذلك السهم فأعتقه، وكان لأبي رافع بَنونَ أشرافٌ منهم عبد الله بن أبي رافع، وحديثه أثبتُ الحديث عن عليّ بن أبي طالب وكان كالكاتب له، وكان عبيد الله بن أبي رافع شريفاً، وكان عبيد الله يُنْسَبُ إلى ولاءِ رسول الله ﷺ، فلما وَلِيَ عمرو بن سعيد الأشدَقُ المدينةَ لم يَعْمَلْ شيئاً قبل إرساله إلى عبيد الله بن أبي رافع. فقال له مَوْلى: مَن أنتَ؟ فقال مولى رسول الله ﷺ فأبرزه فضربه مائة سوط ثم قال له مَوْلى: مَن أنتَ؟ فقال: مولى رسول الله ﷺ، فضربه مائة أخرى، فلما رأى عبد الله أخاه غير راجع وأن عمراً قد ألحَّ عليه في ضربه، قام إلى عمرو فقال له: اذكرِ المِلْحَ فامسك عنه، والمِلْحُ ههنا اللَبنُ يريد الرَضاع كما قال أبو الطَمَحان القَيْسيُّ:

إني لأرجو مِلْحَها في بطونكمْ ... وما بَسَطَتْ من جلد أشْعَث أغبرا

(كذا وقعت الرواية والصواب أغْبَرِ لأن قبله:

ولو عَلِمَتْ صَرفَ البُيوع[1] لَسَرّها ... بمكة أن تَبْتاع حَمْضاً بإذخِرِ[2]

قاله ش) وكما قال الآخر:

---

(١) صرف البيوع: حسن التدبير وجودة الرأي فيها.

(٢) الأذخر: بالكسر حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب والهمزة زائدة.

لا يُبْعِدِ اللّهُ رَبُّ العبادِ والمِلحُ ما وَلَدَتْ خالَدَهْ

من كلام الموالي

ويروى أن عبيد الله بن أبي رافع أتى الحسن بن علي بن أبي طالب فقال: أنا مولاك. فقال في ذلك مَوْلىً لتَمّام بن عباس بن عبد المُطّلِبِ يَعْذُلُهُ ويُعَيِّرُهُ:

جَحَدْتَ بني العبّاس حَقَّ أبيهمُ فما كنتَ في الدعْوَى كريم العواقِبِ
مَتى كانَ أولادُ البناتِ كوارثٍ يَحوزُ ويُدْعى والداً في المناسِبِ

يريد أن بني العباس أولى بولاءِ مَوْلى رسول اللّه ﷺ لأن العم مدعوٌّ والداً في كتاب اللّه تعالى وهو يحوز الميراث. وقال رجل من الثَقَفيِّينَ: أنشَدتُ مَرْوانَ بن أبي حفصة هذين البيتين فوقع عندي أنه من هذا أخَذَ قوله:

أنّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لِبَني البناتِ وِراثةُ الأعمامِ
ألغى سِهامَهُمُ الكتابُ فما لَهُم أن يَشْرَعوا فيه بغير سِهامِ

وقال طاهرُ بن عليّ بن سليمان بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس للطالبيِّين:

لو كان جَدُّكمُ هناكَ وجدُّنا فتنازعا فيها لوقت خِصامِ
كان التُراثُ[1] لجدِّنا من دونه فَحَواهُ بالقُرْبى وبالإسلام
حقُّ البناتِ فَريضةٌ معروفةٌ والعمُّ أوْلى من بني الأعمامِ

وذكر الزُبَيْريُّون عن ابن الماجِشونِ قال: جاءني رجل من ولد أبي رافع فقال: إني قد قاوَلْتُ رجلاً من مَوالي بعضِ العرب، فقلت: أنا خيرٌ منكَ. فقال: بل أنا خير منكَ، فما الذي يحجب لي عليه؟ فقلت: ليس في هذا شيء. فقال: أنا مَوْلى رسول اللّه ﷺ ويزعم أنه خير مني قال. قلت: قد

---

(١) التراث: الإرث.

يتصرف هذا على غير الحَسَبِ. قال: فلما رآني لا أقضي له بشيء قال لي: أنت دافع مَغْرَماً. لأن ولائي عنده ليس في موضعٍ مَرْضيٍّ. قال: وصَدَقَ في بني تَيْمٍ لتَيْمٍ مَنْ هو أشرفَ ولاءٍ مني. وحدثت أن أسامة بن زيد قاوَلَ عمرو بن عثمان في أمر ضَيْعةٍ يدَّعيها كلُّ واحد منهما فَلَجّتْ بهما الخصومةُ؛ فقال عمرو: يا أسامة أتأنَفُ أن تكون مولاي فقال أسامة: يَسُرُّني بولائي من رسول اللّه ﷺ نَسَبُكَ ثم ارتفعا إلى مُعاويةَ فَلَجّا بين يديه في الخصومة فتقدم سعيدُ بن العاص إلى جانب عمرو فجعل يُلَقِّنُهُ الحجةَ، فتقدم الحسن إلى جانب أسامةَ يلقنه فَوثَبَ عُتْبةُ بن أبي سفيان فصار مع عمرو ووثَب الحسين فصار مع أسامة، فقام عبد الرحمن بن أُمِّ الحَكم فجلس مع عمرو، فقام عبد اللّه بن العباس فجلس مع أسامة، فقام الوليد بن عُقبةَ فجلس مع عمرو فقام عبد اللّه بن جعفر فجلس مع أُسامةَ، فقال معاويةُ: الجَلِيَّةُ عندي حَضرْتُ رسول اللّه ﷺ وقد أقْطَع هذه الضيعة أسامةَ. فانصرف الهاشميون وقد قُضِيَ لهم، فقال الأمَوِيُّون لمعاوية: هلاَّ إذا كانت هذه القضيّة عندك بدأتَ بها قبل التَحَزُّبِ، أو أخرتَها عن هذا المجلس. فتكلم بكلام يدفعه بعض الناس، وكان الذي اعْتَدَّ به[1] الحجّاج بن يوسف على سعيد بن جُبَيْرٍ، لما أُتِيَ به إليه بعد انقضاء أمر ابن الأشْعَثِ، وكان سعيد عبداً لرجل من بني أسدِ بن خُزَيْمَةَ، فاشتراه سعيدُ بن العاص في مائة عبدٍ فأعتقهم جميعاً، فقال له الحجّاج: يا شُقَيُّ بن كُسَيْرٍ أما قَدِمْتَ الكوفةَ وليس يَؤُمُّ بها الأعرابيُّ فجعلتك إماماً، قال: بلى. قال: أفما وَلَّيْتُكَ القضاء؟ فضَجَّ أهل الكوفة، وقالوا لا يصلح القضاءُ إلا لعربيّ. فاستقضيتُ أبا بُرْدةَ بن أبي موسى الأشعريّ وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك. قال: بلى. قال: أو مَا جعلتك في سُمّاري وكلُّهم من رؤوس العرب؟ قال: بلى. قال: أومَا أعطيتك مائة ألف درهم لتفرِّقَها في أهل الحاجة، ثم لم أسألك عن شيء منها؟ قال: بَلى. قال: فما أَخْرَجَكَ عليَّ؟ قال: بَيْعةٌ كانت لابن الأشْعثِ في عُنُقي. فغَضِبَ الحجّاجُ ثم قال:

---

(١) اعتد به: أحصاه عليه وضبطه.

أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عُنُقِكَ قَبلُ؟ واللّهِ لأقتلنَّكَ، يا حَرَسِيُّ اضْرِبْ عنقه. ونظر الحجاجُ فإذا جُلُّ مَنْ خرج مع عبد الرحمن من الفقهاء وغيرهم من الموالي، فأحب أن يُزيلَهم عن موضع الفصاحة والآداب، ويَخْلِطُهُمْ بأهل القرى والأنْباطِ. فقال: إنما الموالي عُلوجٌ، وإنما أُتِيَ بهم من القُرى، فقُراهُم أولى بهم. فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقْرارِ العرب بها، وأمر بأن يُنْقَشَ على يد كل إنسان منهم اسمُ قريتِهِ. وطالت ولايتُهُ فتَوالدَ القوم هناك، فَخَبُثَتْ لُغاتُ أولادهم، وفسُدَتْ طبائعهم. فلما قام سليمان بن عبد الملك أخرج من كان في سجن الحجّاج من المظلومين. فيقال أنه أخرج في يوم واحد ثمانين ألفاً، ورَدَّ المنقوشين فرجعوا في صورة الأنباط. ففي ذلك يقول الراجز:

جاريةٌ لم تَدْرِ ما سَوْقُ الإبِلْ أخرجها الحجّاجُ من كِنٍّ[1] وظِلْ
لو كان بَدْرٌ حاضراً وابن حَمَلْ ما نُقِشَتْ كفُّاكِ في جِلدٍ جَلَلْ

وقال شاعر لأهل الكوفة، لما اسْتُقْضِيَ عليها نوحُ بن دَرَّاجٍ (ينسب للفرزدق):

يا أيها الناسُ قد قامتْ قيامتكمْ إذْ صار قاضِيكمْ نوحُ بن درَّاجِ
لو كان حَيّاً له الحجّاجُ ما سَلِمَتْ كفّاهُ ناجِيةً من نقْشِ حجّاج

ويروى عن حَسّان المعروف بالنَبَطِيِّ صاحب مَنارة حَسّان في البَطيحةِ، قال: أُريتُ الحجّاجَ فيما يُرى النائمُ، فقلتُ: أصلح اللّه الأمير، ما صنع اللّه بكَ؟ فقال: يا نبطيُّ أهذا عليك[2]؟ قال: فرأيتُنا لا نُفْلِتُ من نَقْشِهِ في الحياة، ومن شتمِهِ بعد الوفاة، ويُروى عن حسّان أنه قصَّ هذه الرؤيا على محمد بن سيرين، فقال له ابن سيرين: لقد رأيت الحجاج بالصحة.

قال أبو العباس: وحُدِّثتُ من ناحية الزُبَيْرِيِّينَ: أن الجَحّافَ بن حَكيم

---

(١) الكن: بالكسر وفاء كل شيء وستره.

(٢) هذا عليك: ينكر عليه هذا السؤال ويستعظمه منه.

دخل على عبد الملك والأخْطَلُ عنده، فلما بَصُرَ به الأخطلُ قال:

أَلا أَبْلِغِ الجَحّافَ هل هِيَ ثائرٌ بقَتْلي أصيبَتْ من سُلَيْمٍ وعامِرِ

فقال الجَحّافُ:

بَلى سوفَ نَبْكيهِمْ بكلِ مُهَنَّدٍ ونَبْكي عُمَيْراً بالرماحِ الخَواطِرِ

ثم قال: يا ابن النصرانية، ما ظننتُك تجترىءُ عليّ بمثل هذا، ولو كنتُ مأسوراً لك. فحُمَّ الأخْطلُ خوفاً. فقال له عبد الملك: أنا جارُكَ منه. فقال: يا أمير المؤمنين هَبْكَ أَجَرْتَني منه في اليَقَظةِ، فمن يُجيرُني منه في النوم؟ ومن هذا أو نحوه أخذ السُلَمِيُّ قولهُ (قال أبو الحسن: هو أَشْجَعُ السُلَمِيُّ يقوله للرشيد):

وعلى عَدُوِّكَ يا ابن عَمِّ محمدٍ رَصَدانِ ضَوْءُ الصُبْحِ والإظلامُ
فإذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وإذا هَذَا[1] سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الاحْلامُ

هروب العديل بن الفرخ العجلي من الحجاج

وكان العُدَيْلُ[2] بن الفَرْخِ العِجْلِيُّ هارباً من الحجّاج، فجعل لا يُحلُّ ببلدةٍ إلّا رِيعَ لأثرٍ يَراهُ من آثار الحجّاج، فيَهْرُبَ حتى أبعد، ففي ذلك يقول العُدَيْلُ:

يُخَشُّونني[3] الحجّاجَ حتى كأنما يُحَرِّكُ عظمٌ في الفؤاد مَهيضُ[4]
ودون يد الحجّاج من أنْ تنالني بَساطٌ لأيدي اليَعْمَلاتِ عَريضُ[5]

---

(١) هذا: أصله الهمز وخفف بحذفه ومعناه السكون عن الحركة وكني به عن النوم.
(٢) العديل: كزبير وبعضهم يقول إن الصواب حذف آل منه وهو شاعر من شعراء بني أمية.
(٣) يُخشونني: يخيفونني.
(٤) مهيض: مكسور.
(٥) البساط: بالفتح الأرض الواسعة وقد يكسر واليعملات النوق النجيبات السريعات في السير.

فلم يَنْشَبْ أن أُتيَ به الحجّاج، ففي ذلك يقول العُدَيْلُ:

فلو كنْتُ في سَلْمَى أجا وشِعابِها[1] لكان لحَجّاجٍ عليّ دليلُ
بَنى قُبّةَ الإسلام حتى كأنما إتى الناسَ من عبد الضلال رسولُ

أجاوَ وسَلْمى جبلا طَيّىء، وأجأ مهموزاً وإنما هو أجا مقصور فأعلم، قال زيدُ الخَيْلِ:

جَلَبْنا الخيلَ من أجإٍ وسَلْمى تَخُبُّ نَزائِعاً[2] خَبَبَ الذِئابِ

والشاعر إذا احتاج إلى قلب الهمزة قلبها. إن كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء، أو ساكنة جعلها على حركة ما قبلها، وإن كانت مفتوحة وقبلها فتحة جعلها ألفاً، وإن كانت مفتوحة وقبلها كسرة جعلها ياء، وإن كان قبلها ضمةٌ جعلها واواً. قال الفرزدق:

راحتْ بمَسْلمَةَ البغالُ عَشِيَّةً فآرْعي فَزارةُ لا هَناكِ المرْتَعُ

وقال حسّانُ بن ثابت:

سألَتْ هذيلُ رسولَ اللّهِ فاحشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بما سالتْ ولم تُصِبِ

وقال عبد الرحمن بن حسّان:

وكِنتَ أذَلَّ من وَتِدٍ بقاعٍ يُشَجُّجُ رأسَهُ بالفِهْرِ واجي[3]

وأما قول الفرزدق، فإنه يقول: لما عُزِلَ مَسْلمةُ بن عبد الملِكِ عن العِراق بعد قَتْلِهِ يزيدَ بن المهلَّب لحاجة الخليفة إلى قُرْبِهِ ووَلِيَ عمرُ بن هُبَيْرَةَ[4] فقال:

راحتْ بمَسْلمةَ البِغالُ عشيةً فآرْعي فَزارةُ لا هَناكِ المرْتَعُ

---

(١) الشعاب: الطرق في الجبل.
(٢) النزائع: النجائب من الخيل التي تجلب إلى غير بلادها.
(٣) بقاع: في منخفض في الأرض. الفهر: الحجر. وإجي: من وجأ: شق وكسر.
(٤) عمر بن هبيرة: أحد بني فزاره قبيلة من غطفان.

ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرتْ ... أن سوف تَطْمَعُ في الأمارة أَشْجَعُ[1]
فأرى الأمور تَنَكَّرَتْ أعلامُها ... حتى أُمَيَّةُ عن فزارَةَ تُنْزِعُ
عُزِلَ ابنُ عمرو وابنِ بِشْرٍ قبْلَهُ ... وأخو هَراةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّعُ

(تُنْزِعُ رواية عاصم، فمن روى تُنزَعُ بضم التاء يعني تُعْزَلُ، ومن روى بفتح التاء وكسر الراي فهو من النَّزْع في القَوْس، وهو الرمي يشير إلى أنها محتاجة إلى رأيها وأنها ترمي عن قوسها). ففي جواب هذا يقول الأَسَدِيُّ لما وَلِيَ خالدُ بن عبد اللّه القَسْريُّ[2]:

بَكتِ المنابرُ من فَزارة شَجْوَها[3] ... فالآن من قَسْرٍ تُضِجُّ[4] وتَخْشَعُ[5]
وملوكُ خِنْدِفَ[6] أسلمونا للْعِدى ... للّهِ دَرُّ مُلوكنا ما تَصنَعُ
(كانوا كتاركةٍ بَنيها جانباً ... سَفَهاً وغيرَهُمُ تصونُ وتُرْضِعُ)

أقوال عبد الرحمن بن حسان في عبد الرحمن بن الحكم

وأما قول حسّان: سألتْ هذيلُ رسولَ اللّه فاحشة، فليس من لغته سِلْتُ أسألُ مثل خِفْتُ أخافُ وهما يتساولان، ولكن هذا من لغة غيره. وكانت هذيل سألتْ رسولَ اللّه ﷺ أن يُحِلَّ لها الزنا. ويروى أن أَسَدِيّاً وهُذَلِيّاً تفاخَرا فرضيا برجل فقال: إني ما أقضي بينكما إلاّ أن تجعلا لي عَقْداً وثيقاً أن لا تَضْرباني

---

(١) أشجع بن ريث بن غطفان أبو قبيلة.

(٢) القسرى نسبة إلى قسر بالفتح وهو بطن من بجيلة.

(٣) شجوها: شجاه الشيء أحزنه وشجوها منصوب على أنه مفعول لأجله.

(٤) تضج: تجزع وتغلب على أمرها واعلم أنهم يقولون أضبح القوم إذا صاحوا وجلبوا فإذا جزعوا وغلبوا على أمرهم فقد ضجوا ضجيجاً.

(٥) الخشوع: الذل والاستكانة.

(٦) خندف: في الأصل لقب ليلى بنت عمران بن الحاق بن قضاعة سميت بها القبيلة لأنها أمهم ووالدهم الياس بن مضر والذين وقع عليه هذا اللقب من أولاده مدركة وطابخة وقمعه ويقال أسلم فلان فلاناً إذا القاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه.

ولا تَشْتِماني، فإني لستُ في بلاد قومي. ففعلا، فقال: يا أخا بني أسد كيف تُفاخر العرب، وأنت تعلم أنه ليس حَيٌّ أحَبَّ إلى الجيش، ولا أبغضَ إلى الضيف، ولا أقل تحت الرايات منكم، وأما أنتَ يا أخا هُذَيْلٍ فكيف تكلمُ الناس وفيكم خِلالٌ ثلاثٌ: كان منكم دليلُ الحبشة على الكَعْبةِ ومنكم خَوْلة[1] ذاتُ النِحْيَيْنِ، وسألتم رسول الله ﷺ أن يُحِلَّ لكم الزِنا، ولكن إذا أردتما بَيْتَيْ مُضَرَ فعليكما بهذين الحَيَّيْنِ من تميم وقَيْسٍ قُوما في غير حفظ الله، وأما بيت عبد الرحمن بن حسان، فإنه يقول لعبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبي العاص وكان يُهاجيه، فقا له في كلِمَتِهِ:

وأما قولُكَ الخُلَفاءُ منا ... فهم مَنَعوا وريدَكَ من وِداج
ولولاهُمْ لكُنْتَ كحُوتِ بحْرٍ ... هَوى في مُظْلِمِ الغَمَرات داجي
وكنتَ أذلَّ من وَتِدٍ بقاعٍ ... يُشَجَّجُ رأسَه بالفِهْرِ واجي

سوار بن المضرب يهرب من الحجاج

وكان أحَدَ منْ هرب من الحجّاج سوارُ بن المُضَرْبِ (بفتح الراء) ففي ذلك يقول:

أقاتِليَ الحَجّاجُ إن لم أُزر له ... دَرابَ وأترُكْ عند هندٍ فُؤاديا
فإن كان لا يرضيك حتى تَرُدَّني ... إلى قَطَرِيٍّ ما إخالُكَ راضيا
إذا جاوَزَتْ دَرْبَ المُجيزين ناقتي ... فباسْتِ أبي الحجّاج لما ثَنائِيا
أيَرْجو بنو مَرْوان سمعي وطاعتي ... وقَوْمي تميمٌ والفلاةُ ورائيا

(فاعل يرضيك مضمر أو مَنْويّ تقديره، فإن كان يَرْضيك الإرْضاءُ، ولا

(١) خولة: غيره يقول هي إمرأة من بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب، كانت تبيع السمن في الجاهلية فأتاها خوات بن جبير الأنصاري يبتاع منها سمناً فلم ير عندها أحداً فساومها، فملت له نحياً فنظر إليه ثم قال إمسكيه حتى أنظر إلى غيره فحمل نحياً آخر ونظر إليه فقال أريد غير هذا فامسكيه ففعلت فلما شغل يديها، ساورها فلم تقدر على دفعه حتى قضى ما أراد وهرب فضرب بها المثل.

يجوز أن يكون ما بعد يرْضيك الفاعلَ، لأن سيبويه رحمه اللّه قال: الفاعلُ لا يكون جملة. وحتى تَرُدَّني جملةً، قاله ابن الأبْرَش). ووراءي ها هنا بمعنى أمامي.

قال اللّه عزّ وجل: ﴿وإني خِفْتُ الموَاليَ من ورائي﴾[1] وقال جل ثناؤه: ﴿وكان وراءَهمْ مَلِكٌ يَأخُذُ كلّ سفينةٍ غَصْباً﴾[2].

حديث محمد بن عبد اللّه وقد هرب من الحجاج

وممن هرب من الحجاج محمد بن عبد اللّه بن نُمَيْرالثَقَفِيُّ، وكان يُشَبِّب[3] بزينب بنت يوسف أختِ الحجّاج، وهو القائل فيها:

تَضَوَّع[4] مِسْكاً بطن نُعْمانَ إنْ مَشتْ ... به زينبٌ في نِسْوةٍ عَطِراتِ
يُخَبِّئْنَ أطرافَ البنانِ من التُقى ... ويخْرُجْنَ شَطْرَ الليل مُعْتَجِراتِ[5]

في كلمةٍ له، فلما أُتيَ به الحجاج قال:

هاكَ يدي ضاقَتْ بي الأرْضُ رَحْبَها ... وإن كنتُ قد طَوَّفْتُ كلّ مَكان
فلو كنتُ بالعَنْقاءِ[6] أو بأسومِها ... لَخِلْتُكَ إلا أن تَصُدَّ تَراني

(من رفع رَحْبها فعلى البدل، ومن نصب فعلى الظرف، قاله ش. وأسومها بفتح الهمزة وبالضمّ، والفتح أحسن ش). ثم قال: واللّه أيها الأمير إنْ قلتُ إلّا خيراً إنما قلتُ:

---

(١) سورة مريم: الآية ٥.
(٢) سورة الكهف: الآية ٧٩.
(٣) يشبب: يتغزل.
(٤) تضوع المسك: تفرق رائحته وانتشارها وسطوعها ونعمان بفتح النون واد بأرض الشام قرب الفرات وواد قرب الكوفة وكأنه المراد هنا وبطنه جوفة.
(٥) معتجرات: الاعتجار لبس للمرأة والمعجر كمنبر ثوب تعتجر به.
(٦) العنقاء أكمه فوق جبل شاهق مرتفع وأسومها: أصولها وعروقها.

يُخَبِّئْنَ أطـراف البنـان من التقى ويخـرجن شطر الليـل معتجرات

فعفا عنه. ثم قال له: أخبرني عن قولك:

ولمـا رَأَتْ رَكْبَ النُمَيْـرِيِّ أعْـرَضَتْ وكُـنَّ مـن آنْ يـلقَيْـنَـهُ حَـذِراتِ

ما كنتم؟ قال: كنتُ على حمار هزيلٍ ومعي صاحبٌ لي على أتانٍ مثلِهِ. وممن هـرب منـه مـالـك بن الـرَيْبِ المـازنيُّ، أحـدُ بني مـازِنِ بن مـالـك بن عمرو بن تميم. وفي ذلك يقول:

إنْ تَنْصِفـونـا يـالَ مَـرْوان نَقْتَـرِبْ إلـيـكـم وإلاّ فـأذَنُـوا بِـبِـعـاد
فـإنّ لنـا عنكم سراحاً[1] ومَـرْحَـلاً بعيسٍ إلى ريـح الفـلاةِ صـوادي
ففي الأرض عن دار المـذلَّةِ مَـذْهبٌ وكـلُّ بـلادٍ أُوطِـنَـتْ كـبـلادي

(كـذا وقعت الروايـة بضم الهمـزة وكسـر الطاء، والأصـح أوْطِنَتْ بفتح الهمزة وفتح الطاء، قاله ش).

فمـاذا تُـرى الحجّـاجَ يَبْلُغُ جُهْـدُهُ إذا نـحْنُ جـاوزنـا حَـفـيـرَ زيـادِ
فلولا بَنـو مَـرْوانَ كـان ابن يـوسفٍ كمـا كـان عبـداً من عبيـدِ إيـادِ
زمـانَ هـو العَبْـدُ المُقـرُّ بِـذلّـةٍ يُـراوِحُ صبْيـانَ القُـرى ويُغـادي

قال ذلك لأن الحجاج كان هو وأخوهُ معلِّمَيْن بالطائف، وكان لقبه كُلَيْباً. وفي ذلك يقول القائل:

أيَـنْسـى كُلَيْبٌ زمـان الهُـزال وتَـعْـليـمَـهُ سـورة الكَـوْثَـرِ
رغـيفٌ لـه فَلْكةٌ[2] مـا تُـرى وآخـرُ كـالـقَـمَـرِ الأزْهَرِ

يقـول: خُبْـزُ المُعلِّمين يـأتي مختلفـاً، لأنـه من بيـوت صبيـان مختلفي الأحوال؛ ، وأنشد أبو عثمان عمرو بن بَحْرٍ الجاحظ:

---

(١) مراحاً: بالفتح الموضع الذي يروح منه القوم أو إليه.
(٢) الفلكة: بفتح الفاء وسكون اللام ما استدار في كل شيء.

أمـا رأيتَ بني بحـرٍ وقد حَفَلوا[1] كـأنّـهُـمْ خُـبْـزُ بَـقّـال وكُـتّـابِ
هـذا طـويـلٌ وهـذا حَنْبَلٌ[2] جَحِـدٌ يمشـون خَلْف عُمَيرٍ صـاحبِ البـابِ

وفي لقبه يقول آخر من أهل الطائف:

كُـلَيْـبٌ تـمَـكّـنَ فـي أرضـكـم وقـد كـان فينـا صغيـرَ الخَطرْ[3]

الحجاج عند دخوله مكة

ولمـا دخل الحجـاجُ مكة اعتـذر إلى أهلها، لقلة ما وصلهم بـه فقال قـائل منهم: إذاً واللّه لا نَعْذِرَكَ وأنت أمير العِراقَيْنِ، وابنُ عظيم القَرْيَتَيْن. وذلك أن عُرْوَة بن مسعود وَلَدهُ من قبل أُمّه.

وتأويل قول اللّه عزّ وجل وقالـوا: ﴿**لوْلا نُـزِّلَ هذا القـرآنُ على رجل من القـريتين عَظيم**﴾[4] مجـازُهُ في العـربيـة على رجـل من رجلين من القـريتين عظيم. والقريتان مكةُ والطائفُ. والرجلان عُرْوةُ بن مسعود، والآخر الـوَليد بن المُغيرةِ بن عبد اللّه بن عمـر بن مخْزوم. ويـروى أن أبا بكـر الصديق رحمـه اللّه، مرّ بقبره ومعه خالد فقال: أصْبَحَ جَمْرةً في النـار فأجـابه خـالد في ذلـك بجواب غير مَرْضيٍّ. وأما عُرْوةُ بن مسعود فإن رسول اللّه ﷺ بعثه إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فرَقِيَ سَطحَهُ، فرماه رجل بسهم فقتله فلما وَجّـه رسول اللّه ﷺ العباسَ بن عبد المُـطّلِبِ رحمه اللّه إلى مكـة، أبْطأ عليـه فقال: رُدُّوا عليَّ أبي أما لئن فعلتْ به قريش ما فعلتْ ثقيفُ بعـروة بن مسعود، لاضْـرِمَنّها عليهم ناراً. يقال: رَقيتُ السـطحَ وما كـان مثلَهُ أرقاه، مثـل: خَشيتُهُ أخشـاه. كما قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿**أو تَـرْقى في السماء**﴾[5]. ويقـال: رَقَيْتُ اللدَيغَ

---

(١) حفلوا: اجتمعوا.

(٢) الحنبل: القصير.

(٣) الخطر: الشرف.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٣١.

(٥) سورة الاسراء: الآية ٩٣.

أرْقيه. مثل: رميته أرميه. ويقال: ما رَقأتْ عينه من الدمع مهموزٌ تَرْقأ يا فتى، مثل: قرَأتَ تقْرأ يا فتى.

الحجاج يفقد ابنه وأخاه

وكان الحجاجُ رأى في منامه أن عَيْنَيْهِ قُلِعَتا، فطلّقَ الهِنْدَين هِنداً بنت المُهَلّبِ وهنداً بنت أسماء بنّ خارجة. فلم يَلْبَ أن جاءَهُ نعِيُّ أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد. فقال: هذا واللّه تأويل رؤياي. ثم قال: ﴿إنّا للّه وإنا إليه راجعون﴾[1]، محمّدٌ ومُحمّدٌ في يوم واحد:

حَسْبي بَقاءُ اللّهِ من كل مَيّتٍ ... وحَسْبي رجاءُ اللّهِ من كل هالِكِ
إذا كان ربُّ العَرْش عَنّي راضياً ... فإنّ شفاء النفس فيما هنالكِ

(ويروى فإن سرور النفس). وقال: منْ يقولُ شعراً يُسَلّيني به؟ فقال الفرزدق:

إن الرَزِيّةَ لا رَزِيّةَ مثلُها ... فُقْدانُ مثلِ محمدٍ ومحمدِ
مَلِكانِ قد خَلَتِ المنابرُ منهما ... أخَذَ الحِمامُ عليهما بالمَرْصَدِ[2]

فقال: لو زدتني. فقال الفرزدق:

إني لباكٍ على ابْنَيْ يوسفٍ جَزَعاً ... ومثلُ فقْدِهما للدّين يُبْكيني
ما سَدَّ حيٌّ ولا مَيْتٌ مسَدَّهُما ... إلا الخلائفَ من بعد النبيئينِ

فقال له: ما صنعتَ شيئاً إنما زدْتَ في حُزْني. فقال الفرزدق:

لئِنْ جَزِعَ الحَجّاجُ ما من مصيبةٍ ... تكون لمحزونٍ أجَلّ وأوْجعا
من المُصْطَفى والمصطفى من خيارهم ... جناحَيْهِ لما فارقاه فوَدّعا
أخٌ كان أغنى أيَمَنَ الأرضِ كلَّهُ ... وأغنى ابْنُهُ أهلَ العِراقَيْن أجمعا

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٦.
(٢) المرصد: مكان الرصد والترقب.

جَناحا عُقابٍ فارَقاهُ كِلاهُما ولو نُزِعا عن غيره لتَضَعْضَعا

فقال: الآن. أما قوله إلاّ الخلائفَ من بعد النبيئين، فخفض هذه النون، وهي نون الجمع. وإنما فعل ذلك لأنه جعل الإعْرابَ فيها لا فيما قبلها. وجعل هذا الجمع كسائر الجمع نحو: أفْلُسٍ ومَساجِدَ وكِلابٍ. فإن إعراب هذا كإعراب الواحد، وإنما جاز ذلك لأن الجمع يكون على أبْنيةٍ شَتّى، وإنما يُلْحَقُ منه بمنْهاجِ التثنية ما كان على حَدِّ التثنية لا يُكَسّرُ الواحدُ عن بنائه، وإلاّ فلا، فإن الجمع كالواحد لاختلاف معانيه، كما تختلف معاني الواحد، والتثنيةُ ليستْ كذلك لأنها ضَرْبٌ واحدٌ ولا يكون اثنان أكثرَ من اثنين عدداً، كما يكون الجمعُ أكثرَ من الجمع، فما جاء على هذا المذهب قولهم: هذه سنينٌ فاعْلَمْ وهذه عشرينٌ فاعلم. قال العَدْوانِيُّ:

إني أبيٌّ أبيٌّ ذو مُحافظةٍ[1] وابنُ أبيٍّ أبيٍّ من أبيِّينِ
وأنتم مَعْشَرٌ زَيْدٌ[2] على مائة فاجْمعوا كَيْدَكمْ طُرّاً فكيدوني

وقال سُحَيْمُ بن وثيلٍ:

وماذا يَدَّري[3] الشُعَراءُ مني وقد جاوَزْتُ حَدَّ الأرْبعينِ
أخو خَمْسينَ مُجْتَمِعٌ أشُدّي[4] ونَجْدَتني مُداوَرَةُ[5] الشؤونِ

وفي كتاب اللّه عزّ وجل: ﴿ولا طَعامٌ إلاّ من غِسْلين﴾[6] فإن قال قائل: فإن غِسْلينا واحدٌ، فإنه كل ما كان على بناء الجمع من الواحد، فإعرابه كإعراب الجمع، ألا تَرى أنّ عشْرينَ ليس لها واحد من لفظها، وإعرابها كإعراب مُسْلمينَ، واحدهم مُسْلِمٌ. وكذلك جميع الإعراب. وتقول هذه

---

(١) المحافظة الذوذ عن المحارم.
(٢) الزيد: الزياد: والكيد المكر والخبث.
(٣) يدري: يخدع.
(٤) الأشد بضم الشين واحد جاء على بناء الجمع ومعناه القوة.
(٥) المداورة: المعالجة.
(٦) سورة الحاقة: الاية ٣٦

فِلَسْطونَ يا فتى، ورأيت فِلَسْطينَ يا فتى، هذا القول الأجود. وكذلك: يَبْرينَ، وفي الرفع يَبْرونَ يا فتى وكل ما أشبه هذا فهو بمنزلته، تقول: قِنَّسْرونَ ورأيت قِنَّسْرينَ، والأجود في هذا البيت هو للأعشى):

وشاهِدُنا الجَلُّ والياسَمو نَ[1] والمُسْمِعاتُ بقُصابها[2]

(الجُلُّ والوَرْدُ والقصاب الأوتار، وقيل الزُّمّارُ).

وفي القرآن: ما يُصَدِّقُ ذلك قولُ اللَّه عز وجلّ: ﴿كلَّا إنّ كتاب الأبرارِ لفي علِّيِّينَ وما أدراك ما علِّيُّونَ﴾[3]، فمن قال هذه قِنَّسرونَ ويَبْرونَ، فَنَسَبَ إلى واحدة منهما رجلاً أو شيئاً. قال: هذا رجل قِنَّسْرِيٌّ ويَبْرِيٌّ، يحذف النون والواو لمجيء حرفي النسب، ولو أثبتهما لكان في الاسم رفعان ونصبان وجَرّان، لأن الياء مرفوعة والواو علامة الرفع. ومن قال هذه قِنَّسْرينُ كما ترى، قال في النسب: قِنَّسْرينيٌّ لأن الإعْراب في حرف النسب، وانكسرتْ النون كما ينكسر كلُّ ما لحقه النسب. وأما قوله: وَنجَّدني مداورَهُ الشؤونِ، فمعناه فهَّمَني وعَرَّفني، كما يقال: حَنَّكَتْهُ التجاربُ. والناجذُ آخرُ الأضراس، ومن ذلك قولهم: ضحك حتى بدتْ نواجذُه. والشؤون جمع شأنٍ مهموزٌ وهو الأمر، وقال المفسرون من أهل الفقه وأهل اللغة في قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ولا طعامٌ إلاّ من غِسْلينٍ﴾[4] هو غُسالةُ أهلِ النار. وقال النحويون: هو فِعْلينٌ من الغُسالة. ويروى أن عمر بن عبد العزيز خرج يوماً، فقال: الوليدُ بالشام، والحجّاجُ بالعِراق، وقرةُ بن شريكٍ بمصر، وعثمان بن حيّانَ بالحجاز، ومحمد بن يوسف باليمن امتلأتِ الأرضُ واللَّه جَوْراً.

---

(١) الياسمون: بفتح السين الواحد منه اسم كصاحب ولا نظير له سوى عالون ويجوز أن يكون معرباً فلا مجرى مجرى والجمع والمسمعة بالضم المغنية.

(٢) القصاب: جمع قصابة بالضم والتشديد فيهما.

(٣) سورة المطففين: الآية ١٨ ـ ١٩.

(٤) سورة الحاقة: الآية ٣٦.

كتاب الحجاج إلى الوليد لما مات أخوه

وكتب الحجّاج إلى الوليد بن عبد الملك، بعد وفاة محمد بن يوسف: أُخْبِرُ أمير المؤمنين أكرمه اللّهُ، أنه أُصيبَ لمحمد بن يوسف خمسون ومائةُ ألفِ دينارٍ، فإن يكن أصابها من حِلِّها فرحمه اللّه، وإنْ تكن من خيانةٍ فلا رحمه اللّه. فكتَبَ إليه الوليدُ: أما بعد، فقد قرأ أميرُ المؤمنين كتابَكَ فيما خَلَّفَ محمدُ بن يوسف، وإنما أصابَ ذلك المالَ من تجارةٍ أَحْلَلْناها لهُ، فترَحَّمْ عليه رحمه اللّه ويروى أن يَزيدَ بن معاوية قال لمعاوية في يومِ بُويعَ له على عَهْدِهِ، فجعل الناس يمدحونه ويُقَرِّظونَهُ: يا أمير المؤمنين، واللّهِ ما تَدْري أَنَخْدَعُ الناسَ أم يخدعوننا؟ فقال له معاوية: كلُّ ما أردتَ خديعته فتَخادَعَ لكَ حتى تبلُغَ منه حاجتَكَ فقد خَدَعْتَهُ. ويروى أن الحجّاج كتب إلى عبد الملك بن مَرْوانَ: وبلغني أن أمير المؤمنين عَطَسَ عَطْسةً فشَمَّتَهُ[1] قوم فقال: يغفر اللّه لنا ولكم، فيا ليتني كنت معهم فأفوزَ فوْزاً عظيماً. وزعم الأصمعي قال: خرج الوليد يوماً على الناس وهو مُشْعانُّ الرأسِ فقال: مات الحجّاجُ بن يوسف وقُرَّةُ بن شَريك، وجعَلَ يتفَجَّعُ عليهما قوله: مشعانُّ الرأس يعني منتفخ الشعر متفرقهُ(الرواية منتفخ والصحيح منتفش قاله ابن سِراجٍ). ومثلُ هذا لا يكون في شعر لأن في هذا التقاءَ ساكنين، ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر إلاّ فيما تقدم ذِكْرُهُ في المُتقاربِ وليس هذا على ذلك الوزن.

وحُدِّثْتُ أن عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه وَجَّهَ عبد اللّه بن عبد الأعْلى ومعه رجل من عَنْسٍ[2] إلى اليُونَ. فقال العَنْسيُّ. فخَلا بي عمر دونه وقال لي: إحفظ كلَّ ما يكون منه. فلما صِرْنا إليه صِرنا إلى رجل عَربيِّ اللسان إنما نشأ بمَرْعَشَ[3]، فذهب عبدُ اللّه ليتكلم فقلتُ: على رِسْلِكَ. فحَمِدْتُ اللّه

---

(١) تشميت العاطس: الدعاء له بالخير والبركة.

(٢) عنس: لقب زيد بن مالك.

(٣) مرعش: بلد بالشام بالقرب من إنطاكية.

وصليتُ على نبيه ﷺ ثم قلتُ: إني وُجِّهْتُ بالذي وُجِّهَ به هذا، وإن أمير المؤمنين يدعوك إلى الإسلام، فإن تقبلْهُ تُصِبْ رُشْدَكَ، وإني لأحْسِبُ أن الكتاب قد سَبَقَ عليك بالشقاء، إلا أن يشاء اللَّهُ غيرَ ذلك، فإن قبلتَ وإلاّ فاكتبْ جوابَ كتابنا. قال: ثم تكلم عبد اللَّه فحمد اللَّه وصلى على نبيه ﷺ وذهب في القول، وكان مُفَوَّهاً. فقال له اليونُ: يا عبد اللَّه ما تقولُ في المسيح؟ فقال: روحُ اللَّهِ وكلِمَتُهُ، فقال: أيكون وَلَدٌ من غير فحْلٍ. فقال عبد اللَّه: في هذا نظَرٌ. فقال: أيُّ نظَرٍ في هذا، إمّا نَعَمْ وإما لا؟ فقال عبد اللَّه: آدم خلقه اللَّه من تراب. فقال: إن هذا أُخْرِجَ من رَحِمٍ. قال: في هذا نظر، قال له اليونُ بالرومية: إني أعلم أنك لستَ على ديني ولا على دين الذي أرسلك. قال: وأنا أفهم بالرومية ثم قال: أتعظِّمونَ يوماً غير يوم الجمعة؟ فقال: نعم. فقال: وما ذلك اليوم؟ أمن أعيادكم هو؟ فقال: لا. قال: فلم تُعظِّمونه؟ قال: عيدٌ لقوم كانوا صالحين قبل أن يصير إليكم. قال: فقال اليونُ بالرومية: قد علمتُ أنكَ لستَ على ديني ولا على دين الذي أرسلك. فقال له عبد اللَّه: أتدري ما يقول أهل السَفهِ. قال: وما يقولون؟ قال: يقولون قال إبليس، أُمِرْتُ أن لا أسْجُدَ إلاّ للَّه، ثم قيلَ لي اسْجُدْ لآدم. قال: فقال له بالرومية: الأمر فيك أبينُ من ذلك، قال: ثم كتَبَ جواب كتُبِنا. قال: فرجعنا إلى عمر بها. قال: فخَبَّرناهُ بما أردنا، ثم نهضنا فرَدَّني إليه من باب الدار فخلا بي فأخبرتهُ، فقال: لعنه اللَّه لقد كانتْ نفسي تأباه ولم أَحْسِبْهُ يجتري على مثل هذا. قال: فلما خرجتُ قال لي عبدُ اللَّه: ما الذي قال لك؟ قال: قلتُ: قال لي: أتطْمَعُ فيه؟ قلتُ: لا.

ما كان بين الشعبي[1] وملك الروم

ولما وَجَّهَ عبدُ الملك الشَعْبيَّ إلى صاحب الروم فكلمه، قال له صاحب الروم، بعد انقضاء ما بينهما: أمِنْ أهلِ بيتِ المَلْكةِ أنتَ؟ قال قلتُ لا ولكني

(١) الشعبي: اسمه عامر منسوب إلى شعب همدان.

رجلٌ من العرب. قال: فكتب معي رُقْعةً وقال لي: إذا أدّيت جواب ما جئتَ له فأدَّ هذه الرقعة[1] إلى صاحبك. قال: فلما رجعت إلى عبد الملك فأعطيته جواب كتابه وخَبَّرْتُهُ بما دارَ بيننا نَهضْتُ ثم ذكرت الرقعةَ، فرجعت فدفعتها إليه. فلما وَلَّيْتُ دعاني فقال لي: أتدْري ما في هذه الرقعة؟ قلتُ: لا. قال: فيها العجَبُ لقومٍ فيهم مثلُ هذا، كيفَ ولَّوْا أمورهم غيرَهُ؟ قال: فلما وَلَّيْتُ دعاني فقال لي: أفتدري ما أراد بهذا؟ قلتُ: لا. قال: حَسَدَني عليك فأراد أن أقتلك. قال: فقلتُ: إنما كثُرْتُ عنده يا أمير المؤمنين لأنه لم يَرَكَ. قال: فرجع الكلام إلى مَلِكِ الروم فقال: للّه أبوه ما عدا ما في نفسي.

وحُدِّثتُ أن معاوية كان إذا أتاه عن بِطْريق من بَطارقةِ الروم كَيْدٌ للإسلام احتال له فأهْدى إليه وكاتبه حتى يُغْرِيَ به ملكَ الروم. فكانت رُسُلهُ تأتيه فتخبره بأن هناكِ بِطْريقاً يؤذي الرُسُلَ، ويَطْعَنُ عليهم، ويسيء عِشْرَتَهُمْ. فقال معاوية: أيُّ ما في علم الإسلام أحبُّ إليه؟ فقيل له: الخِفافُ الحمر ودُهْنُ البانِ فألْطَفَهُ بهما حتى عَرَفَتْ رسُله باعتيادِهِ، ثم كتبَ كتاباً إليه كأنه جوابُ كتابهِ منه يُعْلِمُهُ فيه أنه وَثِقَ بما وعده به من نصره وخِذْلان ملك الروم، وأمرَ الرسولَ بأن يَتعرَّضَ لأنْ يُظْهَرَ على الكتاب، فلما ذهبتْ رسله في أقواتها، ثم رجعتْ إليه قال: ما حَدثَ هناك؟ قالوا: فلانٌ البِطريقُ رأيناه مقتولاً مصلوباً فقال: وأنا أبو عبد الرحمن[2].

فعل معاوية إزاء كيد البطريق

وحُدِّثْتُ أن ملك الروم في ذلك الأوانِ وَجَّهَ إلى معاوية أن الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا وَيجْهَدُ بعضهم في أن يُغْرِبَ على بعض، أفتأذن في ذلك، فأذِنَ له فَوَجّه إليه برجلين أحدهما طويلٌ جَسيمٌ والآخر أيّدُ[3]. فقال

---

(١) الرقعة بالضم: الصحيفة التي تكتب.

(٢) يريد تم لي ما عزمت.

(٣) الأيد: الشديد القوي.

معاوية لعمرٍ: وأما الطويل فقد أصبنا كُفْأَهُ. وهو قَيْسُ بن سعد بن عُبادةَ، وأما الآخر الأَيِّدُ فقد احتجنا إلى رأيك فيه. فقال: ههنا رجلان كلاهما إليكَ بَغيضٌ محمدُ بن الحَنَفِيّةِ وعبدُ اللّه بن الزُبَيْرِ فقال معاوية: منْ هو أقربُ إلينا على حال؟ فلما دخل الرجلانِ وَجَّهَ إلى قيس بن سعد بن عُبادةَ يُعْلِمُهُ، فدخل قيسٌ، فلما مَثَلَ بين يدي معاوية نَزَعَ سراويلهُ فرمى بها إلى العِلْجِ، فلبسها فنالت ثَنْدُوَتَهُ (الثَنْدوةُ ما اسودَّ حول الحَلمَةِ) فأطرَق مغلوباً. فحُدِّثتُ أن قَيْساً لِيمَ في ذلك، فقيل له: لمَ تَبَذَّلْتَ هذا التَبَذُّلَ بحضرة معاوية، هلاَّ وَجَّهْتَ إلى غيرها. فقال:

أردتُ لكيما يَعْلَمَ الناسُ أنها ... سراويلُ قَيْسٍ والوفُودُ شُهودُ
وإن لا يقولوا غابَ قَيْسٌ وهذه ... سَراويل عادِيٌّ نَمَتْهُ ثَمودُ
وإني من القوم اليَمانينَ سَيِّدٌ ... وما الناسُ إلاَّ سيدٌ ومَسودُ
وَبَذٌ[1] جميعَ الخَلْقِ أصلي ومَنْصبي ... وجسمٌ به أعلو الرجالَ مَديدُ

وكان قيس سِناطاً. فكانت الأنصارُ تقول: لوَدِدْنا أنا اشترينا له لِحْيَةً بأنصاف أموالنا. وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبر إن شاء اللّه (السِناطُ والسَنوطُ أن يكون في الذَقَنِ شيء من الشعر ولا يكون في العارِضَيْن شيء فإن لم يكن فيهما جميعاً شيء فهو الثَطُّ). ثم وَجَّهَ إلى محمد بن الحنيفة، فدخل فخُبِّرَ بما دُعِيَ له، فقال: قولوا له إن شاء فليجلس وْليُعطِني يده حتى أقيمَهُ أو يُقْعِدَني وإن شاء فليكن القائمَ وأنا القاعدَ. فاختار الروميُّ الجلوسَ، فأقامه محمدٌ وعجز هو عن إقْعاده، ثم اختار أن يكون محمدٌ هو القاعدَ فجذبه فأقعده وعجز الروميُّ عن إقامته، فانصرفا مغلوبين.

وحدثني أحد الهاشميين أن مَلِكَ الروم وَجَّهَ إلى معاوية بقارورة فقال: ابْعَثْ إليَّ فيها من كل شيء فبَعَثَ إلى ابن عباس فقال لِتُمْلأ له ماءً. فلما وُرِدَ بها على ملك الروم قال: للّه أبوه ما أدهاهُ. فقيل لابن عباس: كيف اخترت

(١) البذ: الغلبة والسبق.

ذلك؟ فقال: لقول اللّه عزّ وجل: ﴿وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حَيٍّ﴾[1] وقيل لرجل من بني هاشم، وهو جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين، وكان يُقَدَّمُ في معرفته: ما طَعْمُ الماءِ؟ فقال: طَعمُ الحياةِ. وأما عبد اللّه بن الزُّبَيْرِ فذكر أهلهُ أنه قال: عالَجْتُ لحْيَتي لتَتّصِلَ لي إلى أن بلغتُ ستين سنةً، فلما أكمَلْتُها يَئِسْتُ منها.

كتاب معاوية إلى قيس بن سعد ورد قيس عليه

وكان قيس بن سعد شجاعاً جَواداً سيداً، وجاءته عجوز قد كانت تألفُهُ فقال لها: كيف حالكِ؟ فقالت: ما في بيتي جُرَذٌ[2]. فقال: ما أحسن ما سألتِ، أما واللّهِ لأكْثِرَنَّ جِرْذانَ بيتكِ.

وكان سعدُ بن عُبادةَ حين تَوَجّهَ إلى حَوْران[3] قسَمَ ماله بين وَلَدِهِ، وكان له حَمْلٌ لم يَشْعرْ به، فلما وُلِدَ له قال له عمر بن الخطاب يعني قيساً: لأنْقُضَنَّ ما فعلَ سعدٌ. فجاءه قيسٌ فقال: يا أمير المؤمنين نصيبي لهذا المولود، ولا تَنْقُضْ ما فعل سعد. قال أبو العباس: حُدِّثْتُ بهذا الحديث من حيث أَثِقُ به، أن أبا بكر وعمر رحمهما اللّه مَشَيا إلى قيس بن سعد يسألانه في أمر هذا المولود فقال: نصيبي له ولا أغَيِّرُ ما فعل سعدٌ. وكان معاوية كتب إلى قيس بن سعد وهو والي مِصْر، لعليّ بن أبي طالب رحمه اللّه: فإنك يَهوديّ ابن يهودي إن غَلَبَ أَحَبُّ الفريقين إليك عَزلكَ واسْتَبْدَلَ بك، وإن غَلَبَ أبغضهُما إليك قتلك ومَثّل بك، وقد كان أبوك فَرّق سَهْمَهُ ورَمى غَرضَهُ، فأكثر الحَزّ وأخطأ الفَصْلَ حتى خَذَلَهُ قومُهُ، وأدركه يومُهُ فمات عربياً بحَوْران والسلام. فكتب إليه قيس: أما بعد، فإنك وُتُن ابن وُتُن[4] لم يَقْدُمْ إيمانك،

---

(١) سورة الأنبياء: الآية رقم ٣٠.

(٢) الجرذ: ضرب من الفأر.

(٣) حوران: كورة بدمشق.

(٤) الوتن: بالضم مبالغة من سعد في معاوية رضي اللّه عنهما.

ولم يَحْدُثْ نِفاقُكَ دخلتَ في الدين كُرْهاً وخرجت منه طوعاً، وقد كان أبي فَوْق سهمَهُ ورمى غَرَضَهُ، فسَعَيْتَ عليه أنت وأبوك ونُظَراؤُكَ، فلم تَشقُّوا غُبارَهُ[1] ولم تُدْركوا شَأوه، ونحن أنصار الدين الذي خرجتَ منه، وأعداءُ الدين الذي خرجتَ إليه، والسلام. وكان قيس موصوفاً مع جماعة قد بَذُّوا الناس طولاً وجمالاً، منهم: العباس بن عبد المطلب رحمه اللّه وولدُهُ وجريرُ بن عبد اللّه البَجَليُّ، والأشْعَثُ بن قيس الكِنْدِيُّ، وعَدِيُّ بن حاتم الطائي، وابن جِذْلِ الطعّانُ[2] الكِنانيُّ، وأبو زُبَيْدٍ الطائي، وزيدُ الخَيْلِ بن مُهَلْهَلٍ الطائيُّ. وكان أحد هؤلاء يُقَبِّلُ المرأةَ على الهَوْدَجِ وكان يقال للرجل منهم مُقَبِّلُ الظُعُنِ. وكان طلحةُ بن عبيد اللّه موصوفاً بالتمام.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) فلم تشق غباره، يريد أنه لا غبار له فيشق وذلك لسرعة عدوه يريد أنه لا يجاري والشاد والغابة والأمد.

(٢) جذل الطعان: بالكسر، لقب علقمة بن فراس من مشاهير العرب.

٣٦ ـ باب

قال أبو العباس: قال السُلَيْكُ ابن السُلَكةِ، وهي أمه، وكانتَ سَوْداءَ حَبشِيّةً، وكان من غِرْبان العرب. وهو السُلَيْكُ بن عُمَيْرٍ السَعْدِيُّ:

ألا عَتَبَتْ عليّ فصارَمْتَني ... وأعجبها ذوو اللِمَمِ الطِوالِ
فإني يا ابنةَ الأقوامِ أرْبى[1] ... على فِعْلِ الوَضِيِّ من الرجال
فلا تَصِلي بصُعْلوكٍ نَؤومٍ ... إذا أمْسى يُعَدُّ من العيال
ولكن كلُّ صُعْلوكٍ ضَروبٍ ... بنَصْلِ السيفِ هاماتِ الرجال

(كل خبر ابتداء والتقدير هَمُّكِ).

أشابَ الرأسَ أني كلَّ يومٍ ... أرى لي خالةً وسْطَ الرحالِ
يَشُقُّ عليّ أن يَلْقَيْنَ ضيماً ... ويَعْجِزُ عن تخَلُّصِهِنَّ مالي

قوله: وأعجبها ذوو اللِمم الطِوالِ يعني الجُمَمَ، وإن شئت قلتَ الجِمامَ. يقال: جُمَّةٌ وجُمَمٌ، كقولك: ظُلْمةٌ وظُلَمٌ. كقولك جُفْرةٌ وجِفارٌ (الجُفْرةُ هي الحفرة العظيمة). وبُرْمةٌ وبِرامٌ. قال الشاعر:

إمّا تَرَيْ لِمّتي[2] أودى الزمانُ بها ... وشَيَّبَ الدهرُ أصداغي وأفوادي[3]

---

(١) أربى من أربى الشيء على كذا زاد عليه.

(٢) أما ترى: إن للشرط وما زائده.

(٣) أفوادي: جمع فود بالفتح وهو ناحية الرأس وهما فودان والمراد في الجمع المثنى وهو كثير في كلامهم.

وقوله: على فِعْلِ الوَضِيِّ من الرجال، يريد الجميل. وهو فعيل من وَضُؤَ يَوْضُؤُ يا فتى، تقديره كرُمَ يَكرُمُ وهو كريم، ومصدره الوَضاءُ، وكذلك: قَبُحَ يَقْبُحُ قَباحةً، وسَمُجَ يَسْمُجُ سَماجةً. ويقال: ما كنتَ وَضيئاً ولقد وُضُؤْتَ بعدَنا. وقوله: فلا تَصِلي بصعلوك، يقول، لا تَتّصلي به كما قال ابن أحمر:

ولا تَصِلي بمَطْروقٍ[1] إذا ما سَرى في القوم أصْبَحَ مُسْتَكينا
إذا شَرِبَ المُرِضّةَ[2] قال أوْكِي[3] على ما في سِقائكِ قد روينا

(إذا صُبّ لبن حَليبٌ على حامض فهي المُرِضّةُ) والصعلوك الذي لا مال له، قال الشاعر (جابر بن ثَعْلبةَ الطائي):

كأنَّ الفتى لم يَعْرِ يوماً إذا اكتَسى ولم يَكُ صُعلوكاً إذا ما تَمَوّلا

وقوله: نَؤوم يصفه بالبلادة والكسل. وكانت العرب تمدح بخفة الرؤوس عن النوم، وتَذُمُّ النُوَمَةَ. كما قال عبد الملك لمؤدِّبِ ولده: عَلِّمْهُمْ العَوْمَ، وخُذْهُم بقلة النوم، وإنما وَجّعَ لخلاته لأنهنّ كنَّ اماءً.

ويروى عن رجل من قريش لم يُسَمَّ لنا، قال: كنتُ أجالِسُ سعيد بن المُسَيّبِ، فقال لي يوماً: منْ أخوالُكَ؟ فقلتُ أمي فَتاةٌ[4]. فكأني نقصْتُ في عينه، فأمْهَلْتُ حتى دخل عليه سالم بن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رحمه اللّه، فلما خرج من عنده قلتُ: يا عَمّ منْ هذا؟ فقال: يا سُبْحان اللّه! أتجهل مثل هذا من قومك؟ هذا سالم بن عبد اللّه بن عمر. قلت: فمَنْ أمُّهُ؟ قال: فتاةٌ. قال: ثم أتاه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق رحمه اللّه، فجلس عنده ثم نهض فقلت: ياعمّ منْ هذا؟ فقال: أتجهل من أهلك مثلَهُ؟ ما

---

(١) المطروق: الرجل الذي فيه لين ورخاوة.
(٢) المرضة: تمر ينزع منه النوى.
(٣) أوكى: أي شدي رأس السقا بالوكاء وهو الخيط الذي تشد به القربة والصرة وغيرهما بصفة بالنمل وشدة الحرص.
(٤) فتاة: أي جارية.

أعجب هـذا! هذا القاسم بن محمد بن أبي بكـر الصدّيق. قلت: فمن أمُّـهُ؟ قـال: فتاةً. فـأمْهَلْتُ شيئاً حتى جـاءه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه فسلم عليه ثم نهض فقلت: يا عمّ منْ هذا؟ قال: هذا الذي لا يَسَعُ مُسلماً أن يجهله، هـذا عليّ بن الحسين بـن عليّ بن أبي طـالب. قلتُ: فمن أمه؟ قال: فتاةً. قال: قلتُ: يـا عمّ رأيتُني نَقَصْتُ في عينك لمـا علمتَ أني لأمّ وَلـدٍ، أفمـا لي في هؤلاءِ اسْـوةٌ. قال: فَجَلَلْتُ في عينه جدّاً. وكانت أمُّ عليّ بن الحسين سُـلافةُ من ولـد يَـزْدَجَـرْدَ ر معـروفـةَ النَسَبِ، وكـانت من خِيـراتِ النساء. ويـروى أنه قيـل لعلي بن الحسين رحمـه اللّه: إنـك من أَبَـرِّ الناس ولسْتَ تأكل مع أمك في صَحفةٍ. فقـال أكره أن تسْبِقَ يـدي إلى ما قـد سبقتْ إليه عينُها فـأكون قـد عَقَقْتُها. وكـان يقال لـه: ابن الخِيَرَتَيْنِ (بتحـريك اليـاء أفصح) لقـول رسول اللّه ﷺ: للّه من عبادهِ خَيـرتانِ فخِيَـرَتُـهُ من العـرب قُرَيْشٌ، ومن العجم فارس. وكانت سُلافةُ عَمّشَةَ أمُّ يـزيد النـاقصِ أو أختَها. وقال رجل من ولد الحَكَمِ بن أبي العاصي يقال له: عُبَيْدُ اللّه بن الحُرِّ، وكان شاعراً متقدّماً، وكان لأمِّ وَلدٍ وهو من وَلَدِ مَرْوانَ بن الحَكَمِ:

فـإنْ تَـكُ أمّي من نسـاءٍ أفـاءها[1] جيـادُ القنـا والمُرْهَفاتِ[2] الصفـائح
فتبّاً لفَضْـلِ الحُـرِّ إنْ لم أنَـلْ بـه كـرائمَ أولادِ النسـاءِ الصـرائـح

وإنما أخذ هذا من قول عَنْتَرَةَ:

وأنـا امْـرُؤٌ من خيـر عَبْسٍ مَنْصِبـاً شَـطْري وأحْمي سائـري بالمِنْصُلِ[3]

(شطري مبتدأ والخبر في المجرور قبله). وأنْشِدَ لِبـلالِ بن جرير، وبلغـه أن موسى بن جرير كان إذا ذكـره نسبه إلى امِّـهِ، لأنه ابنُ أمِّ ولـدٍ فيقول: قـال ابنُ امِّ حكيم: فقال بِلال:

---

(١) أفاءها: صيرها فيأ وهو ما حصل للمسلمين من أموال وللكفار من غير حرب ولا جهاد يقال أفأت كذا أي صيرته فيئاً فأنا مفيء وذلك الشيء مفاء.

(٢) المرهفات: السيوف التي رققت حواشيها واحدها مرهف بفتح الهاء.

(٣) المنصل: بضم الميم والصاد بينهما نون ساكنة، هو السيف.

يـا رُبَّ خـالٍ لـي أغـرَّ أبْلَجـا من آلِ كِسْـرى يَغْتَـدي مُتَـوِّجـا
ليس كخالٍ لـكَ يُـدْعى عَشْنَجـا

والعَشْنَجُ المتقبّض الوجه السَيّءُ المنْظَرِ.

إتصال أم بلال بجرير

وكانَ سببُ أم بلال عند جريـر أن جريـر في أول دخولـه العِراقَ، دخـل على الحكم بن أيـوب بن أبي عقيـلٍ الثَقَفِيِّ، وهـو ابن عمّ الحجّـاج وعـامِلُهُ على البصرة، وفي ذلك يقول جَريرٌ:

أقْبَلْنَ من ثَهْـلانَ[1] أو وادي خَـيْم على قِـلاصٍ مثلِ خيـطانِ السَلَم
إذا قَـطَعْـنَ عَـلَماً[2] بـدا عَـلَمْ حتى أنَخْنـاهـا إلى بـاب الحَكَمْ
خَليفـةِ الـحَجّـاجِ غيـرِ المُـتَّهَـمْ في ضِئْضِىءِ[3] المجْدِ وبُحْبوحِ[4] الكَرَمْ

فكتب الحكم بعد أن فاطَنَهُ[5] إلى الحجّاج، وذلـك في أول سببه، أنـه قدِمَ عليّ إعرابيٌّ باقِعـةٌ لم أرَ مثله (يريـد داهية والبـاقعة طـائر حَـذِرٌ) فكتب إليـه الحجّاج أن يحملها معه، فلما دخل عليه قال لـه: بلغني أنك ذو بـديهةٍ، فقُـلْ في هذه الجارية، لجارية قائمةٍ على رأسه. فقال جرير: ما لي أن أقـول فيها حتى أتأملها، ومـا لي أن أتأمـل جاريـةَ الأمير. فقـال: بلى فتأمّلْهـا واسئلْها. فقال لها: ما اسْمُكِ يا جارية؟ فأمْسَكتْ. فقال لها الحجّاج: خَبِّريهِ يا لَخْنَاءُ. فقالت: امامةُ. فقال جرير:

وَدِّعْ امـامـةَ حـان منـكَ رحيـلُ إنّ الـوَداعَ لـمـنْ تُـحِـبُّ قـلـيـلُ

---

(١) ثهلان: جبل.

(٢) العلم: الجبل.

(٣) ضئضىء: بالكسر الأصل والمعدن.

(٤) بحبوح الشيء: بالضم وسطه.

(٥) فاطنه: راجعه في الكلام.

مثلَ الكثيبِ تَمايَلَتْ اعْطافُهُ فالريحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وتَهيلُ
هذي القلوبُ صَواديا تَيَمْتِها وأرى الشِفاءَ وما إليه سَبيلُ

فقال له الحجاج: قد جعل اللّه لكَ السَبيلَ إليها خُذْها هي لك ، فضرب بيده إلى يدها فَتَمَنَّعَتْ عليه، فقال:

إن كانَ طِبُّكُم الدَلالُ فإنّه حَسَنٌ دَلالُكِ يا أُمامَ جَميلُ

(ش بنصب الطب ورفع الدلالة وبالعكس برفع الطب ونصب الدلال والطب هنا المذهب والدلال الدالّةُ) فاسْتُضْحِكَ الحجاجُ وأمَرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة، وخُبِّرتُ إنها كانتْ من أهل الرَيّ، وكان اخوتُها أحراراً، فاتّبعوه فأعْطَوْهُ بها حتى بلغوا عشرين ألفاً، فلم يَفعَلْ. ففي ذلك يقول:

إذا عَرَضُوا عشرينَ ألفاً تَعَرَّضَتْ لِأُمِّ حَكيمٍ حاجةٌ هيَ ماهيا
لقد زِدْتِ أهلَ الرَيِّ عندي مَوَدَّةً وحَبَّبْتِ أضْعافاً إليَّ المَواليا

فأولدها حَكيماً وبِلالاً وحَزْرةَ بني جريرٍ هؤلاء مَن أذْكُرُ مِن وَلدِها. ويقال إن الجِمّانيَّ قاوَلَ بلالاً ذات يوم فيما كان بينهما من الشر. فقال: يا ابن أمّ حكيم. فقال له بلالٌ: ما تَذْكُرُ من ابنة دِهْقانٍ وأُخيذةِ رِماحٍ، وعَطيّةِ مَلِكٍ ليستْ كأمِّكَ التي بالمَرُّوتِ[1] تَغْدو على أثرِ ضأنها، كأنما عَقِباها حافرا حمارٍ فقال له الجِمّانيُّ أنا أعلم بأمِّكَ، إنما عَتَبَ عليها الحجاجُ في أمرِ اللّهُ أعلم به فحلف أن يدفعها إلى ألأم العرب، فلما رأى أباكَ لم يَشْكُكْ فيه. قال: وأنْشدْتُ لرجل من رُجّازِ بني سَعد:

أنا ابن سَعْدٍ وتَوسَّطْتُ العَجَم فأنا فيما شئتَ من خالٍ وعَمْ

(١) المروت: الأرض التي لا يجف ماؤها ولا ينبت زرعها.

كياسةَ أولاد السراري[1]

وقال عمر بن الخطاب رحمه اللّه: ليس قومٌ أكيَسُ[2] من أولاد السراريّ لأنهم يجمعون عِزَّ العرب ودَهاءَ العجم. وكتب أميرُ المؤمنين المنصورُ إلى محمد بن عبد اللّه بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رحمهم اللّه لما كتب إليه محمد: واعلم أني لستُ من أولاد الطُلَقاءِ[3]، ولا أولادِ اللُعناءِ، ولا أعْرَقَتْ فيَّ، الإماءُ، ولا حَضَنَتْني أمَّهاتُ الأولاد، ولقد علمتَ أن هاشماً وَلَدَ عليّاً مرتين وأن عبد المُطَّلِبِ وَلَدَ الحسن مرتين. وأن رسول اللّه ﷺ وَلَدَني مرتين من قِبَلِ جَدَّيَّ الحسنِ والحسين، يعني أن أمّ عليّ فاطمةُ بنت أسد بن هاشم، وأم الحسن فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ ابن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم، وأن أمه فاطمةُ بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، فكتب إليه المنصور: أما ما ذكرتَ من وِلادةِ هاشمٍ عليّاً مرتين، ووِلادةِ عبد المطلب الحسنَ مرتين، فخيرُ الأوّلينَ والآخرين رسولُ اللّه ﷺ لم يَلِدْهُ هاشم إلا مرة واحدة ولا عبدُ المطلب إلّا مرة واحدة، وله السَبْقُ إلى كل خير، ولقد علمتَ أنه بُعِثَ رسول اللّه ﷺ وعُمومَتُهُ أربعةٌ فآمن به إثنان أحدهما أبي وكفر به إثنان أحدهما أبوك. وأما ما ذكرت أنه لم تُعْرِقْ فيك الإماءُ، فقد فَخَرْتَ على بني هاشم طُرّاً أو لهم إبراهيم ابن رسول اللّه ﷺ ثم عليّ بن الحسين الذي لم يُوَلدْ فيكم بعد وفاة رسول اللّه ﷺ مولودٌ مثلُهُ، وهذه رسالة للمنصور طَريفةٌ مستحسنة جِدّاً سَنُمليها في موضعها من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى. وأنشدني الرياشيُّ:

إنَّ أولادَ السَراري كَثُروا يا رَبِّ فينا
ربِّ ادخلني بِلاداً لا أرى فيها هَجينا

---

(١) السراري: جمع سرية بالضم وهي الأمة بوأتها بيتاً منسوبة إلى السر بالكسر وهو الجماع من تغيرات النسب.

(٢) أفضل.

(٣) الطلقاء: جمع طليق وهو الأسير أطلق عنه أساره.

والهجينُ عند العرب، الذي أبوهُ شريف وأمه وَضيعةٌ، والأصل في ذلك أن تكون أمةً، وإنما قيل هجينٌ من أجل البياض، وكأنهم قَصدوا قَصْدَ الروم الصَقالبةِ ومَنْ أشبههم، والدليل على أن الهَجينَ الأبيضُ أن العرب تقول ما يخْفى ذلك على الأسود والأحمر أي العربيّ والعجميّ، ويسمون الموالي وسائر العجم الحَمْراء، وقد ذكرنا ذلك. ولذلك قال زيدُ الخَيْلِ:

(وأسلم عِرْسَهُ[1] لما رآنا) وأيْقَنَ أنَّنا صُهْبُ السبال[2]

أي كهؤلاء العدوّ من العجم. وقال ابن الرُقَيّاتِ[3]:

إن تَرَيْني تَغَيَّرَ اللونُ مني وعلا الشَيْبُ مَفْرِقي وقَذالي
فظِلالُ السيوف شَيَّبْنَ رأسي وطِعاني في الحرب صُهْبَ السِبال

فقيل هَجينٌ من ههنا، وإذا كانت الأم كريمةً والأب خسيساً قيل له المُذَرَّعُ. قال الفرزدق:

إذا باهليٌّ تحته حَنظَليّةٌ له ولد منها فذاك المُذَرّعُ

وقال الآخر:

إن المُذَرَّعَ لا تُغْني خُؤُولَتُهُ كالبَغْل يَعْجِزُ عن شَوْطِ المحاضير

(جمعِ محْضيرٍ وهو الفرس السريع) وإنما سمي مُذَرَّعاً للرَقمَتَيْنِ في ذراع البغل وإنما صارتا فيه من ناحية الحمار. قال هُدْبةُ:

وَرِثَتْ رَقاشِ اللؤْمَ عن آبائها كَتَوارُثِ الحُمراتِ رَقْم الأذرُع

وقال عبد الله بن العباس في كلام يُجيب به ابن الزُبَيْرِ: والله إنه لمصلوب قريش، ومتى كان عَوّامُ بن عَوَّامٍ يطمع في صَفيَّةَ بنت عبد المطلب، مَنْ أبوكَ يا بغل. فقال خالي الفَرَسُ.

---

(١) عرس: إمرأة الرجل.
(٢) صهب السبال: تقدم أنه كناية عن الاعداء.
(٣) ابن الرقيات: هو عبيد الله بن قيس الرقيات، لقب به لعدة زوجات أو جدات أسماؤهن رقية.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٣٧ ـ باب في طول اللحية

قال أبو العباس: قال اعرابي:

كُـلُّ امْـرىءٍ ذي لحيـة عَثْـوَلِيَّـةٍ ... يقـوم عليهـا ظَنَّ أن لـه فَـضْـلا
وما الفضلُ في طول السِبال وعَرْضِها ... إذا اللَّهُ لم يَجْعَلْ لصاحبهـا عَقْـلا

ويروى لحاملها عَثْولية يقول: كثيرة والمستعمل. يقال: رجل عِثْوَلٌ إذا كان كثير الشعر وأصل ذلك الرأس واللحية، وبناه الاعرابي بناء جَدْولٍ كأنه عَثْوَلٌ ثم نَسَبَ إليه، والسَبَلةُ مُقَدَّمُ اللحية. يقال: لما أسْبَلَ من الشاربين سَبَلَتان. وتقول العرب: أخذ فلان شَفرةً فَلَتَمَ بها سَبَلةَ بعيره أي نَحَرَهُ، واللَّتْمُ الشق، فهذا ما أسْبَلَ من جِرانِهِ. وقال بعض المُحْدَثينَ:

ومـا حُسْن الرجـالِ لهم بحُسْنٍ ... إذا مـا أخـطأ الحُسْنَ البيـانُ
كَفى بـالمَـرْءِ عيبـاً أن تـراه ... لـه وجـهٌ وليس لـه لِسـانُ

وقال آخر:

إني على ما تَزْدَري من دَمـامتي ... إذا قيسَ ذَرْعي بالرجـال طويـلُ

ونظر يَزيدُ بن مَزْيَدٍ الشَيْبانيُّ إلى رجل ذي لحية عظيمة، وقد تَلَفَّفَتْ على صدره فإذا هو خاضِبٌ، فقال: إنك من لحيتك في مؤنة. فقال: أجلْ، ولذلك أقول:

لهـا دِرْهمٌ للدُهْنِ في كـل جُمْعـةٍ ... وآخَـرُ لـلحِنَّـاءِ يَـبْـتَـدِرانِ
ولـولا نـوالٌ من يَـزيـدَ بنِ مَـزْيَـدٍ ... لَصَـوَّتَ في حـافـاتهـا الحَلمَـانِ

وقال اسحق بن خَلَفٍ يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية:

ما سَرَّني أنني في طول داوُدِ ... وأنني عَلَمٌ في البَأسِ والجود
ما شَيْتُ داودَ فاسْتُضْحِكتُ من عَجَبٍ ... كأنني والدٌ يمشي بمولود
ما طولُ داودَ إلاّ طولُ لحيتِهِ ... يَظَلُّ داود فيها غيرَ مَوْجود
تُكِنُّهُ خُصْلةٌ منها إذا نَفَخَتْ ... ريحُ الشِتاءِ وَجفَّ الماءُ في العُود
كالأتْبَجانيِّ[1] مَصْقولاً عَوارِضُها ... سَوْداءُ في لِينِ خَدِّ الغادةِ[2] الرُود[3]
أجْزَى وأغنى من الخَزِّ[4] الصَفيقِ ومن ... بيضِ القَطائِف يوم القُرِّ والسودِ
إنْ هَبَّتْ الريحُ أدَّتْهُ إلى عَدَنٍ ... إن كان ما لفَّ منها غيرَ مَعْقود

(القُرُّ بالقاف يريد البَرْدَ، ويروى بالغين يريد السحائب البيض وجعلها غُرّاً لبياضها). وفي الحديث من سعادة المرء خِفَّةُ عارِضَيْهِ، وليس هذا بناقضٍ لما جاء في إعْفاءِ اللِحى وإحْفاءِ الشوارب. فقد روي أنهم قالوا: لا بأس بأخذ العارضين والتَبْطينِ، وأما الإعْفاءُ فهو التكثير، وهو من الأضداد. قال اللّه عز وجل: ﴿حتى عَفَوْا﴾[5]، أي حتى كثُروا. ويقال: عَفَا وبرُ الناقةِ إذا كثر. قال الشاعر:

ولكنا نُعِضُّ السيفَ منها ... بأسْؤُقِ عافيات اللحم كُومِ

والكُومُ العظامُ الأسْنِمَةِ واحدتها كَوْماءُ، ويقال: عَفا الرَبْعُ إذا دَرَس ومن ذلك:

على آثار مَنْ ذَهبَ العفاء. أي الدُروس. وقال مَسْلمةُ بن عبد الملك:

---

(١) الاتبجاني: بفتح الباء الموحدة نسبة إلى منبج كمجلس إسم موضع على غير قياس.
(٢) الغادة: المرأة الناعمة اللينة
(٣) الرودبا بالضم الشابة الحسنة وأصله الهمز.
(٤) الخز نوع من الثياب تنسج من صوف وابر.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٩٥.

أني لأعْجَبُ من ثلاثة من رجل قَصَّرَ شعره ثم عاد فأطاله أو شمَّرَ ثوبه ثم عاد فأسبله أو تمَتَّعَ بالسَراريِّ، ثم عاد إلى المَهيراتِ واحدة المهيرات مهيرةٌ، وهي الحُرَّةُ المهورة ومَفْعولٌ يَخْرُجُ إلى فَعيلٍ كمقتول وقتيل ومجروح وجريح. قال الأعْشى:

ومَنْكوحةٍ غيرِ مُمْهورةٍ وأُخْرى يُقالُ لها فادِها

(فادِها من فَدَيْتُ الأسير وهو يَصِفُ سَبْياً أُخِذَ فيه إماءٌ وحَرائر) فهذا المعروف في كلام العرب مَهَرْتُ المرأةَ فهي ممهورةٌ. ويقال: وليس بالكثير أمْهَرْتُها فهي مُمْهَرةٌ. أنشدني المازِنيُّ:

أُخِذْنَ اغْتِصابا خطْبةَ عَجْرَفِيَّةَ وأُمْهِرْنَ أرْماحاً من الخَطِّ ذُبَّلا

(عجرفية جافية خطبة مصدر معنى)، وأهل الحجاز يَرَوْنَ النكاح العَقْدَ دون الفعْل ولا ينكرونه في الفعل، ويحتجون بقول اللّه عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نَكَحْتمُ المؤمنات ثم طَلَّقْتموهُنَّ من قبل أن تَمَسُّوهُنَّ فما لك عليهنَّ من عِدَّةٍ تَعْتَدُّونها﴾[1] فهذا الأشيعُ في كلام العرب، قال الأعشى.

وأمْتَعْتُ نفْسي من الغانيا تِ إمّا نِكاحاً وإما أُزَنْ
ومن كل بَيْضاءَ رُعْبوبةٍ[2] لها بَشَرٌ ناصِعٌ كاللَبَنْ

(قوله أُزَنْ أراد أُزَنِّي ثم حذف الياء وخفف النون فقال أُزَنْ) ويكون النكاحُ الجماعُ وهو في الأصل ككِنايةٍ. قال الراجز:

إذا زَنَيْتَ فأجِدْ نِكاحاً وأعمِل الغُدُوَّ والرَواحا

والكناية تقع عن هذا الباب كثيراً، والأصل ما ذكرنا لك.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

(٢) رعبوبة: حسنة الجسم.

في تفسير لفظه نكاح

وقال رسول الله ﷺ: أنا من نِكاحٍ لا من سفاح. ومِن خُطَبِ المسلمين إن الله عز وجل، أحَلَّ النكاحَ وحَرَّمَ السِفاحَ. والكناية تقع عن الجماع.

قال الله عز وجل: ﴿أحِلَّ لكم ليْلةَ الصيام الرَفَثُ إلى نسائكم﴾[1] فهذا كناية عن الجماع. قال أكثر الفقهاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿أوْ لامَسْتُمُ النساءَ﴾[2]، قالوا: كناية عن الجماع، وليس الأمر عندنا كذلك وما أصِفُ مذهبُ أهل المدينة قد فُرِغَ من النكاح تصريحاً، وإنما الملامسة أن يَلْمِسَها الرجلُ بيد أو بإدْناء جسدٍ من جسدٍ، فلذلك ينقض الوضوء في قول أهل المدينة لأنه قال تبارك وتعالى: بعد ذكر الجُنُبِ: ﴿أو لامَسْتُمُ النساءَ﴾[3]. وقوله عز وجل: ﴿كانا يأكُلانِ الطعام﴾[4] كنايةً بإجماعٍ عن قَضاء الحاجة لأن كل مَن أكلَ الطعام في الدنيا أنجَى، يقال: نَجَا وأنجَى إذا قام لحاجة الإنسان، وكذلك: وقالوا لِجُلودهِمْ لِمَ شَهِدْتم علينا كناية عن الفروج، ومثله أو جاء أحدٌ منكم من الغائطِ، فإنما الغائطُ كالوادي. وقال عمرو بن مَعْدي كرِبَ:

وكَمْ من غائطٍ من دون سَلْمَى ... قليلِ الإنسِ ليس به كتيعُ[5]

يقال: وَهِمَ الرجلُ يَوْهَمُ إذا شك هو الأجود ويجوز يَيْهَمُ ويِيهَمُ ويِاهَمُ لِعِلَلٍ، وكذلك ما كان مِثْلَهُ نحو وجِلَ يَوْجَلُ ووَجِلَ يَوْجلُ ووَجِعَ يَوْجَعُ، ويجوز في وَهِمَ أن تقول يَهِمُ، فإن المعتل من هذا يجيء على مثال حَسِبَ يَحْسِبُ مثل وَلِيَ الأميرُ يَلي، ووَرِمَ الجُرْحُ يَرِمُ فهذا جميع ما في هذا الباب. وقال رجل أحْسِبُهُ من بني تميم:

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٣) سورة المائدة: الآية رقم ٧٥.

(٤) الكتيع: بالتاء المثناة من فوق يقال بالدار كتيع أي أحد أو أكثر ما يستعمل في النفي.

لا تَسألنَّ الخيلَ يا سَعْدُ مالَهَا وكُنْ «أُخْرياتِ الخيلِ علَّكَ تجرَحُ
لعلك تَحْمي عن صِحابٍ بطَعْنةٍ لها عاندٌ[1] يَنغي الحَصا حين يَنْفَحُ[2]
وأكرِم كريماً أن أتاك لحاجة لعاقبةٍ إن العِضاهَ[3] تَروَّحُ
(بذا فامْدَحيني وانْدُبيني[4] فإنّني فتىً تَعْتريه هِزَّةٌ[5] حين يُمْدَحُ

إذا أدْبَر القَيْظُ وبَردَ الليلُ تحرك للشجر وَرَقٌ رَطْبٌ، فيقال أخْلَف الشجرُ وتَروَّحَ). قوله: لا تسألن الخيل يا سعد مالها، يقول: لا تَتخَلَّفْ عن القتال وتسأل عن أخبار القوم، ولكن كُنْ فيهم، كما قال مُهَلْهِلٌ[6]:

ليس مِثلي يُخْبِرُ القَوْمَ عن آ بائِهِم قُتِّلوا ويَنْسى القِتالا
لم أرِمْ[7] حَوْمةَ الكَتيبةِ حتى حُذِيَ الوَرْدُ من دِماءٍ نِعالا

يقول: كنتُ في حومة القتال وصَلِيتُ الحربَ أكثر مما صَلِيَها غيري.

طلاق عمرو بن عثمان ابنة السائب

ويروى عن رجل من بني أسَدِ بن عبد العُزَّى يقال له فلان (ش عبد الله) ابن السائب أنه زوج ابنته عمرو بن عثمان بن عَفّانَ، فلما نُصّتْ[8] عليه طلقها على المِنَصّةِ، فجاء أبوها إلى عبد الله بن الزبير، فقال: إن عمرو بن عثمان

---

(١) العاند: العرق يسيل فلا يرقأ.

(٢) ينفح: إذا نزى منه الدم.

(٣) العضاة: العظيم من الشجر.

(٤) الندب: أن تذكر النائحة الميت بأحسن أوصافه وأفعاله.

(٥) الهزة بالكسر النشاط والارتياح والقيظ صميم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل.

(٦) مهلهل: أخو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير ينتهي نسبة إلى وائل بن قاسط.
ومهلهل إسمه عدي أو ربيعة ولقب به لأنه أول من رقق الشعر.

(٧) لم أرم: أي لم أبرح يقال رمت المكان ورمت منه إذا فارقه وبرح منه وأكثر ما يستعمل في النفي وبابه ضرب.

(٨) نصت: أقعدت ليلة زفافها على منصة.

طَلَّقَ ابنتي على المِنَصَّةِ وقد ظنّ الناسُ أن ذلك لعاهة وأنتَ عَمُّها فقُمْ فادخل إليها. فقال عبد اللّه أوَ خَيْراً من ذلك، جيئوني بالمُصْعَبِ، فخَطَب عبدُ اللّه فزوّجها من المصعَبِ وأقسم عليه لَيَدْخُلَنَّ بها في ليلته، فلا تُعْرَفُ امرأة نُصَّتْ على رجلين في ليلتينِ ولاءً[1] غيرُها فأولدها المُصْعَبُ عيسى وعُكّاشة، فلما كان يومُ مَسْكَنَ[2] وهَرَبَ أكثرُ الناس عن المصعب، دخل إلى سُكَيْنَةَ ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب وكانت له شديدةَ المحبة، وكانت تُخْفي ذلك فَلَبِسَ غِلالةً وتوَشَّحَ عليها وانْتَضى[3] السيف، فلما رأت ذلك علمت أنه عزم أن لا يرجع، فصاحت من ورائه: واحَرَباهُ[4]، فالتفت إليها فقال: أوَ هذا لي في قَلْبكِ؟ فقالت: أي واللّه وأكثرُ من هذا. فقال: أمَا لو علمتُ لكان لي ولكِ شأنٌ، ثم خرج فقال لابنه عيسى: يا بنيّ انجُ إلى نَجائِكَ فإن القوم لا حاجة بهم إلى غيري وسَتُفْلِتُ بحيلة أو بُقْيا، فقال: يا أبتاه لا أحَدِّثُ واللّه عنك أبداً. فقال: أما واللّه لئن قلتَ ذلك لما زلْتُ أتَعَرَّفُ الكَرَمَ في أسْرارِكَ وأنتَ تُقَلِّبُ في مَهْدِك، ش الأسْرار جمع سِرٍّ وهي الطرائق في الجبهة) فقُتِلَ بين يَدَيْ أبيه. ففي ذلك يقول شاعر أهل الشام من اليَمانِيةِ:

نَحْنُ قتلنا مُصْعَباً وعيسى ... وابنَ الزُّبَيْرِ البَطَلَ الرئيسا
عَمْداً أذَقْنا مُضَرَ التَبْئيسا

وقال رجل يعاتب رجلاً:

فلو كان شَهْمَ النفسِ أو ذا حَفيظة ... رأى ما رأى في الموت عيسى بن مُصْعَب

في مدح عبد اللّه بن الزبير

وقال بِلال بن جرير يمدح عبد اللّه بن الزُّبَيْرِ: (يقال ان بلالاً لم يلحق ابن

---

(١) الولاء: المتابعة.

(٢) يوم مسكن كان لعبد الملك على مصعب بن الزبير.

(٣) انتضى: تسلح.

(٤) واحرباه: بالتحريك وهو نهب ما الانسان وتركه لا شيء له وهي للتوجع والتفجع.

الزبير إلاّ أن يكون مدحه ميتاً):

مـدَّ الـزُّبَيْـرُ عليـك إذ يَبْني العُـلا كَنَفَيْـهِ حتى نـالَتـا العَيُّـوقـا[1]

(ويروي كَفَيْهِ وهو أظهر لقوله حتى نالتا).

ولـو أنّ عبـدَ اللّه فـاخَـرَ مَن تَـرى فـاتَ الـبَـرِيّـةَ عِـزَّةٌ وسُـمـوقا[2]
قـوْمٌ إذا مـا كـان يـومُ نُفـورةٍ[3] جَمَـعَ الـزُّبَيْـرَ وآلَ بكرٍ والصِـدِّيقا[4]
لـو شئتَ مـا فـاتـوك إذ جـارَيْتَهُمْ ولكنـتَ بـالسَـبْقِ الـمَبِـرَّ حَـقيـقـا
لـكـن أتَـيْـتَ مُـصَـلِّيًـا بَـرّاً بـهـم ولقـد تَـرى ونَـرى لـدَيْـكَ طَـريقـا

عـاد الحـديث إلى تفسيـر الأبيـات المتقـدمـة. قـولـه: لعلك تحمي عن صِحابٍ بطَعْنةٍ، يقال حَمَيْتُ الناحية أحميها حَمْياً وحِماية، كما قال الفَرزدَقُ:

وإذا النفـوسُ جَشَـأنَ طَـامَنَ جـاشُهـا ثِـقـةً لـهـا بـحِـمـايـة الأدْبـار

ومعنى ذلـك مَنَعْتُ ودفعـتُ، ويقـال أحمَيْتُ الأرضَ أي جعلتهـا حِمىً لا تُقْرَبُ، وأحمَيْتُ الحديد أُحْميه إحْماءً، وحَمَيْتُ أنفي محْمِيةً يـا فتى إذا أنتَ أبَيْتَ الضَيْمَ. وصِحابٌ جمع صاحب، وقد يقال هو جمع صَحْبٍ كما تقـول: تاجرٌ وَتجْرٌ وراكب ورَكْبٌ ونحو ذلك، ثم تجمع صَحْباً على صِحابٍ، كقولك كلبٌ وكِلابٌ وفَرْخٌ وفِـراخٌ، فهذا مـذهب حَسَنٌ. ومن قال هـو جمع صـاحب فنظيره قائم وقيام وتاجر وتِجـارٌ. وقولـه: لها عـاند ينفي الحصـا، يعني الدَم، يقـال عَنَدَ العِـرْقُ إذا خرج الـدم منه بجِـدَّةٍ، ونفـي الحَصا يعني الـدم بشـدة جَرْيِهِ، كما قال:

---

(١) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة.

(٢) سمق: علا وطال.

(٣) النفورة: الخصومة.

(٤) أراد بالصديق أبا بكر لأن الزبير تزوج إبنته أسماء

مُسَحْسِحةً[1] تنفي الحَصا عن طَريقها (يُقَطِّعُ أحْشاءَ الرَعِيبِ[2] انتِشارُها)

يعني طعنةً، وقال آخر في صفة طعنة:

ومُسْتَنَّةٍ كاسْتِنانِ الخَرو فِ قد قَطَعَ الحَبلَ بالمِرْوَدِ

والخروف ههنا إنما هو الفَلْوُ الصغير. وقوله:

وأكْرِم كريماً ان أتاك لحاجة لِعاقبةٍ ان العِضاه تَروَّحُ

يقول الشجرُ يصيبه النَدى في آخر الصيف فَيَنْشَأُ له ورقٌ، فيقول: لعلك تحتاج إلى هذا الكريم وقد قَدَرَ. ومثله:

ولا تُهينَ الكريم عَلَّكَ أنْ تَرْكَعَ يوماً والدَهْرُ قد رَفَعهْ

أراد ولا تُهيَنن بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين، وهذا الحكم فيها. ومثله في المعنى قول عَبّاد بن حَبيب بن المُهَلَّبِ:

إذا خَلَّةٌ نابتْ صديقَك فاغْتَنِمْ مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ
وبادِرْ بمعروف إذا كنتَ قادراً زَوالَ اقْتِدارٍ أو غنىً عنك يُعْقِبُ

(زوالَ مفعول لبادِرْ قاله ش ومثل هذا كثير، وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم اللّه: إني لأسارع إلى حاجة عدوّي خوفاً من أن أرُدَّهُ فيستغني عني. وقال رجل من العرب: ما رددت رجلاً عن حاجة فَوَلَّى عني ألا رأيتُ الغنى في قفاه. وقال عبد اللّه بن العباس بن عبد المطلب: ما رأيت أحداً أسْعَفْتُهُ في حاجة إلّا أضاء ما بيني وبينه ولا رأيتُ رجلاً رددته عن حاجة إلا أظلم ما بيني وبينه. وقال عمر بن الخطاب رحمه اللّه: من يَئِسَ من شيء اسْتَغْنى عنه. وقال عبد اللّه بن هَمّام السَلوليُّ:

فاخْلِفْ وأتْلِفْ إنما المالُ عارةٌ[3] فكُلُّهُ مع الدهر الذي هو آكِلُهْ

---

(١) مسحسحة: من الصب وهو السيلان.

(٢) الرعيب: كأمير: السمن يقطر دسماً.

(٣) العارة: المال المتداول بين الناس.

فـأهـونُ مفقـودٍ وأيسـرُ هـالـكٍ على الحيّ مَنْ لا يَبْلُغُ الحيّ نـائِلُهْ

عـارة أي معار ووزنـه فَعَلةٌ. وقال أحـد المُحْدَثينَ (هـو محمـود الـورّاقُ) وليس من هذا الباب ولكنا ذكرناه في الإعارة:

أعـارَكَ مـالَـهُ لِتَقـومَ فيـه بـطاعتـه وتَعْـرِفَ فضْـلَ حَقِّـهْ
فلم تَشْـكُرْهُ[1] نِعْـمَتَـهُ ولـكن قَـويتَ على معـاصيـه بـرزْقِـهْ
تجـاهِـرُهُ بـه عَـوْداً وبَـدْأً وتَسْتَخْفي بهـا من شـر خَلْقـهْ

وقال جرير:

وإنـي لأَسْتَـحْيـي أخي أنْ أرى لـه عليَّ من الحق الـذي لا يَـرى ليـا

هذا بيت يحمله قوم على خـلاف معناه، وإنمـا تأويله أني لأستحيي أخي أن يكون له عليَّ فضلٌ ولا يكون لي عليـه فضلٌ، ومني إليـه مُكافـأة فاستحيي أن أرى له عليَّ حقاً لِمـا فَعَلَ إليَّ، ولا أفعـلَ إليه مـا يكون لي بـه عليه حق، وهذا من مذاهب الكرام ومما تأخذ به أنفسها، فأما قول عائِـذِ الكلْب الزُبَيْـريّ (اسمه عبد اللّه بن مُصْعَب الزبيري وسمي عائذَ الكلبِ. بقوله:

مـالي مَـرِضْتُ فلم يَعُـدْنيَ عـائـدٌ منكـم ويَمْـرَضُ كـلْبُكـمْ فـاعـودُ
وأشـدُّ من مَـرَضي عليَّ صُـدودُكمْ وصـدودُ كـلْبِكـمْ عـليَّ شـديـد)

لعبد اللّه بن حسن بن حسن:

لـه حَـقٌّ ولـيس عـليـه حَقٌّ ومَهْمـا قـال فـالحَسَنُ الجَميـلُ
وقـد كان الـرسولُ يَـرى حُقوقـاً عليـه لغيـره وهـو الـرسـولُ

فإنه ذكـره بقلة الأنصاف، فقـال يَرى حقّاً على الناس ولا يَـرى لهم عليه حقاً من أجل نَسَبِهِ برسول اللّه ﷺ، وبيّن ذلك بقوله:

وقـد كان الـرسول يـرى حقوقـاً عليـه لغيـره وهـو الـرسـول

---

(١) فلم تشكره: فلم تشكر له.

فالذي يَفْتَخِرُ[1] به عبد اللَّهَ يرى للناس عليه حقاً فالمُفْتَخِرُ به أجْدَرُ.

جواب علي بن الحسين عن سبب إخفاء نسبه عند السفر

وقد قيل لعليِّ بْنِ الحسين، وكان بَيِّنَ الفضل رحمه اللَّه: ما بالُكَ إذا سافرتَ كتَمْتَ نَسَبَكَ إهلَ الرُّفْقةِ؟ فقال: أكره أن آخذ برسول اللَّه ﷺ ما لا أُعْطِيَ مثلَهُ. وإنما يَعْتري هذا البابُ من الظُّلْم وقلةِ الانصاف والبعدِ من الرِّقَّةِ عليهم الجَهَلةَ من أهلِ هذا النَسَبِ، واللَّه جَل ذِكْرُهُ يقول لنبيه ﷺ ﴿بالمؤمنين رَؤوفٌ رَحيمٌ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿إني أخافُ إنْ عَصَيْتُ ربي عَذابَ يومٍ عَظيمٍ﴾[3]، فإذا كان هو ﷺ يخافُ من المعصية فكيف يأمنها غيره به.

جرير يمدح هشام بن عبد الملك

وأما قول جرير لهشام بن عبد المَلِكِ فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى قال:

وأنتَ إذا نَظَرْتَ إلى هِشامٍ ... عرفتَ نِجارَ مُنْتَخبٍ[4] كريمِ
ولِيُّ الحق حين يَؤُمُّ حَجّاً ... صُفوفاً بين زَمْزَمَ والحطيم[5]
يَرى للمسلمين عليه حَقّاً ... كفعل الوالد الرَؤُفِ الرحيمِ
إذا بعضُ السنينَ تَعَرَّقَتْنا[6] ... كَفى الأيتامَ فَقْدَ أبي اليَتيم

---

(١) الذي يفتخر به عبد اللَّه: يعني رسول اللَّه ﷺ.
(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥.
(٤) النجار: بالكسر: الأصل والمعدن. والمنتخب المختار.
(٥) الحطيم: ما بين الركن والباب.
(٦) تعرقتنا: إجتاحتنا.

وفي هذا الشعر:

أميرُ المؤمنين على صِراطٍ ... إذا اعْوَجَّ المَوارِدُ[1] مُسْتقيمِ
أميرَ المؤمنين جَمَعْتَ ديناً ... وحِلْماً فاضِلاً لِذَوي الحُلوم
لَكَ المُتَخَيَّرانِ أباً وخالاً ... فأكْرِمْ بالخُؤولة والعُمومِ
فيا ابنَ المُطْعِمينَ إذا شَتَوْنا[2] ... ويا ابنَ الذائدين عن الحَريمِ
سَما بكَ خالدٌ وبنو هِشامٍ ... إلى العَلْياءِ في الحَسَبِ الجسيم

(وهم أبو العباس في قوله وبنو هشام، وإنما وقع في شعره، وأبو هشام وهو الصحيح يريد اسمعيل بن هشام وهو جده من قِبَل أُمِّهِ):

وتَنزِلُ من أُمَيَّةَ حيث تَلْقى ... شُؤونُ[3] الرأسِ مُجْتَمَعَ الصَميمِ
تَواصَتْ من تَكَرُّمِها قُرَيْشٌ ... بِردِّ الخيلِ دامِيةَ الكُلومِ
فما الأم التي وَلَدَتْ قريشاً ... بُمُقْرِفةِ النِجارِ ولا عَقيمِ
وما فَحْلٌ بأنجَبَ من أبيكم ... ولا خالٌ بأكْرَمَ من تميمِ
سَما أولادُ بَرَّةَ بنتِ مُرٍّ ... إلى العَلْياءِ في الحَسَبِ العظيم
لك الغُرُّ السَوابقُ من قريش ... فقد عُرِفَ الأغَرُّ من البَهيم

قوله: حين يؤم حجاً، فيكون الحج جمع حاج، كما يقال تاجر وَتُجْرٌ وراكب وركْبٌ. قال العجاج:

بواسِطٌ أكْرَمُ دارٍ دارا ... واللّه سَمّى نَصْرَكَ الأنْصارا

فأخرجه على ناصر ونَصْرٍ. قال: ويجوز أن يكون حَجٌّ أصحاب حج كما قال اللّه عز وجل: ﴿واسأل القريةَ﴾[4] يريد أهلَها. وقوله كفعل الوالد

---

(١) الموارد: هنا الأخلاق والصفات التي تلازم الانسان مجازاً عن موارد الماء وطرقه التي تؤدي إليه.

(٢) إذا شتونا: خص الشتاء لأنه عندهم زمن الجدب وشدة الحاجة

(٣) شؤوون: عظام. شبه بني أمية برأس الإنسان ثم ادعى أن هشاماً نزل في ملتقى شؤونه، يريد بذلك أن مكانه منهم متمكن وأنه من صميمهم

(٤) سورة يوسف: الآية ٨٢.

الـرؤوف الرحيم، يقـال رَؤوفٌ على فَعُلٍ مثـل يَقُظٍ وحَـذُرٍ ورَؤوفٌ على وزن ضَروبٍ. وقال الأنصاريُّ (هو كعْبُ بن مالك):

نُـطيـعُ نَبيَّنـا ونُـطيـعُ رَبّـاً هـو الرحمنُ كـان بنـا رؤوفـاً

وقد قرىء: اللَّه رؤوف بالعباد، وروؤف أكثر. وإنما هـو من الرأفة وهي أشد الرحمة، ويقال رَآفةٌ وقرىء: ولا تـأخُذْكمْ بهمـا رآفةٌ في دين اللَّه، على وزن الصَرامة والسفـاهة: وقـوله: إذا بعض السنين تعـرقتنا يفسـر على وجهين أحدهما أن يكون ذهب إلى بعض السنين سِنونَ، كما قال الأعْشى:

وتَشـرَقُ بـالقـول الـذي قـد أذَعْتَـهُ كمـا شَرِقَتْ صَـدْرُ القنـاةِ من الـدَمِ

لأن صَدْرَ القناة قَناةٌ ومن كلام العرب قد ذهبتْ بعض أصابعه، لأن بعض الأصابع أصبعٌ فهذا قـول، والأجود أن يكـون الخبر في المعنى عن المضـاف إليه، فأقْحَمَ المضاف إليه توكيداً لأنه غير خارج من المعنى.

وفي كتاب اللَّه عز وجل: ﴿فظلت أعناقُهم لها خاضعين﴾[1]، إنّما المعنى فَظَلوا لها خـاضعين والخضوع بَيِّنٌ في الأعنـاق فأخْبَرَ عنهم، فأقْحَمَ الأعنـاقَ توكيداً، وكان أبو زيد الأنصاريُّ يقول: أعناقهم جمـاعاتهم، تقـول أتاني عُنُقٌ من الناس، والأول قول عامة النحويين. وقال جرير:

لمّـا أتَى خَبَـرُ الـزُبَيْـرِ تَـواضعتْ سُـورُ المـدينـةِ والجبـالُ الخُشَّـعُ

وقال أيضاً:

رأتْ مَـرَّ الـسنـيـنَ أخـذْنَ مـنـي كـمـا أخَـذَ السِـرارُ مـن الهِـلالِ

وقال ذو الرُمّةِ:

مَشَيْنَ كمـا اهْتـزَّتْ رِماحٌ تَسَفَّهَتْ[2] أعـالِيَهـا مَـرُّ الـريـاحِ النَـواسِمِ

---

(١) سورة الشعراء: الآيـة ٤.

(٢) تسفهت الريح الغصون: أمالتها.

(زعم بعضهم أن البيت مصنوع، والصحيح فيه مَرْضى الرِياحِ النَواهِمِ والمَرْضى التي تهب بلين)، ومثل هذا كثير. وعلى مثل هذا القول الثاني تقول: يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لأنك أردت يا تَيْمَ عَدِيْ، وأقْحَمْتَ الأول توكيداً (كذا وقع وأقحمت الأوّل توكيداً وإنما الصحيح وأقحمت الثاني توكيداً)، وكذلك لا أبالكَ لأن الألف لا تثبت في الاب في النصب، إلاّ في الإضافة أو بدلاً من التنوين، فإنما أراد أباك ثم أقْحَمَ اللام توكيداً للاضافة. وأنشد المازني:

وقد مات شمّاخٌ ومات مُزرِّدٌ وأيُّ كريمٍ لا أباكِ يُخَلَّدُ

وقال آخر:

أبالموت الذي لا بُدَّ أني مُلاقٍ لا أباكِ تُخَوِّفيني

وقوله على صِراط، فالصراط المِنْهاج الواضح، وكذلك قالت العلماء في قول اللّه عز وجل: ﴿أهْدِنا الصِراطَ المستقيم﴾[1]. وقوله: سما بك خالد، يريد خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مَخزوم بن يَقَظةَ بن مُرَّةَ بن كعب، لأن أمّ هشام بنت هشام بن إسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، وكان هشام بن المغيرة أجَلَّ قُرَشيٍّ حِلماً وجوداً، وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرّخ بعام الفيلِ وبمُلْكِ فلان. قال الشاعر: زمان تناعَى الناسُ موتَ هِشام. ومن أجله يقول القائل:

فأصْبَحَ بَطْنُ مَكّةَ مُقْشَعِرّاً[2] كأنّ الأرضَ ليس بها هِشامُ

يقول هو وإن كان مات فهو مدفون في الأرض، فقد كان يجب من أجله أن لا ينالَها جَدْبٌ. وقال الآخر:

ذَريني أصْطَبِحْ[3] يا سَلْمَ أني رأيتُ الموتَ نَقَّبَ عن هشام

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٤.

(٢) مقشعراً: أي متقبضاً.

(٣) اصطبح: أشرب الصبوح، وهو ما يؤخذ من اللبن بالغداة.

قوله نَقَّبَ أي طَوّفَ، حتى أصاب هشاماً.

قال اللّه عز وجل: ﴿فَنقّبوا في البِلادِ﴾[1] أي طَوّفُوا، ومثله قول امْرىءِ القَيْسِ:

وقــد نَقَّبْتُ في الآفــاق حتى رَضيتُ من الغنيمـة بـالإيـاب

عمر بن الخطاب أول المؤرخين

فأما التاريخ الذي تُؤرِّخُ به اليومَ فأوّلُ من فعله في الإسلام عُمر بن الخَطّاب رحمه اللّه، حيث دَوَّنَ الدَواوينَ، فقيل له: لو أرَّختَ يا أمير المؤمنين لكنت تَعْرفُ الأمور في أوقاتها. فقال: وما التاريخُ؟ فأعْلِمَ ما كانت العجم تفعله. فقال: أرِّخُوا. فقالوا: مُذ أيّ سنةٍ فاجتمعوا على سنة الهجرة لأنه الوقتُ الذي حكمَ فيه رسولُ اللّه ﷺ على غير تَقِيّةٍ، ثم قالوا في أيّ شهر؟ فقالوا: نستقبل بالناس أمورهم في شهر المحرم إذا انقَضَى حَجُّهُمْ، وكانت هجرة رسول اللّه ﷺ في شهر ربيع الآخرِ (الذي اتفِقَ عليه أن هجرة رسول اللّه ﷺ كانت في ربيع الأول وفيه مات ﷺ) فَقُدِّمَ التاريخ على الهجرة هذه الأشهرَ وجاء في تصحيح هذا الوقت أعني المحرم ما رُوِيَ لنا عن ابن عباس رحمه اللّه فإنه قال في قول اللّه عز وجل: ﴿والفَجْرِ ولَيالٍ عَشرٍ﴾[2] قال: فأقْسَمَ بفجر السَنةِ وهو المحرمُ. وقوله: فما الأم التي وَلَدَتْ قريشاً يعني بَرّةَ بنت مُرٍّ، كانت أم النَضْرِ بن كِنانةَ وهو أبو قُرَيْشٍ ومَنْ لم يكن من وَلَدِهِ فليس بقرشي وَتميمُ بن مُرٍّ خالهُ. وكان يقال: مَن عَرَفَ حَقَّ أخيه دام له إخاؤهُ، ومَن تكبر على الناس ورجا أن يكون له صَديقٌ فقد غَرَّ نفسه، وقيل: ليس لِلَجُوجٍ تَدْبيرٌ ولا لسيىءِ الخُلُقِ عَيْشٌ ولا لمتكبر صَديقٌ، وقيل: مَن بَسَطَ بالخير لسانَهُ انبسطت في القلوب محبتُهُ والمِنّةُ تُفْسِدُ الصَنيعة.

---

(١) سورة ق: الآية ٣٦.

(٢) سورة الفجر الاية رقم واحد.

في مدح أبي البختري

ويروى أن شاعراً أتى أبا البَخْتَريِّ (البختري بفتح الباء وبالخاء المعجمة) وَهْبَ بن وَهْبٍ، وكان من أجود الناس وكان إذا سمع مَدْحَ المادِح ضحك وسَرى السُرورُ في جوانحه، وأعْطى وزاد فأتاه هذا الشاعر فأنشده:

لِكُلِّ أخي فَضْلٍ نصيبٌ من العُلا ورأس العُلا طُرّاً عَقيدُ النّدى[1] وَهْبُ
وما ضَرَّ وَهْباً قولُ مَن غَمِطَ العلا كما لا يَضُرُّ البَدْرَ يَنْبَحُهُ الكلبُ

(غَمِطَ كفر النعمة، وغَمَطَ ويقال أيضاً تَنَقّصَ) فثنى له الوِسادةَ وهَشّ إليه ورَفَدَه وحَمَلهُ وأضافه فلما أن أراد الرجل الرِحْلةَ لم يَخْدُمْهُ أحد من غِلْمانِ أبي البختريّ، ولا عَقَدَ له ولا حَلّ معه، فأنكر ذلك مع جَميل ما فَعَلَ به وأنه قد تجاوَزَ به أمَلَهُ فعاتَبَ بعضَهم، فقال له الغلامُ: إنا إنما نُعينُ النازِلَ على الاقامة ولا نعين الراحِلَ على الفِراقِ. فبلغ هذا الكلامُ جَليلاً من القُرَشيّين. فقال: واللّه لَفِعْلُ هؤلاءِ العبيد على هذا القصد أحسنُ من رِفْدِ سيدهم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) عقيد الندى: أي ملازم له.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٣٨ ـ باب في حضرة عبد الملك بن مروان

قال عبد الملك بن مَرُوانَ يوماً لِجُلَسائِه، وكان يجتنب غيرَ الأُدَباءِ، أيُّ المَناديل أفضلُ؟ فقال قائل منهم: مناديلُ مصر كأنها غِرْقِئُ البَيْض (الغرقىء يهمز ولا يهمز وكذلك فعله)، وقال آخر: مناديلُ اليمن كأنها أنوارُ الربيعِ. فقال عبدُ الملك ما صَنَعْتُما شيئاً، أفضلُ المناديل ما قال أخو تَميم، يعني عَبْدَةَ بن الطبيبِ (عبدة باسكان الباء):

لما نزلنا نصبْنا ظلَّ أخْبِيَةٍ ... وفار للقوم باللحم المَراجيلُ
وَرْدٌ[1] وأشْقَرُ[2] ما يُؤْنيهِ طابخُهُ ... ما غيَّرَ الغَلْميُ منه فهو مأكولُ
ثُمْتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمةٍ ... أعرافُهُنَّ[3] لأيدينا مَناديلُ

قوله: غرقىء البيض يعني القشرة الرقيقة التي تركب البيضة دون قشرها الأعلى، وقشرةُ الأعلى يقال له القَيْضُ. وقوله المَراجيلُ إنما حَدُّهُ المَراجلُ، ولكن لما كانت الكسرة لازمة أشبعها للضرورة كما قال: نَفْيَ الدراهيم تَنقادُ الصَياريف: (الحجة في الصياريف) وقد مر تفسير هذا. وقوله وَرْدٌ وأشقَرُ ما يُؤنيه طابخُهُ يقول: ما تغير من اللحم قبل نُضْجِهِ. وقوله ما يُؤنيه طابخه يقول ما يؤخره لأنه لو آناهُ لأنضَجَهُ، لأن معنى آناه بلغ به إناهُ، أي إدْراكهُ قال اللّه عز وجل: ﴿إلى طعامٍ غيرَ ناظرينَ إناهُ﴾[4]. وتقول: أنَى يَأني إني إذا أدرك وآنَ

(١) الورد: ما فيه حمره ضاربة إلى الصفرة.
(٢) الأشقر ما فيه شقرة بالضم وهي حمرة تعلو بياضاً في الاسنان وحمرة صافية في الخيل.
(٣) الأعراف: جمع عرف بالضم وهو شعر عنق الفرس.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

يَئِينُ مثله. وقوله تعالى: ﴿يطوفون بينها وبَينَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[1]. أي قد بلغ إناهُ. وقوله: ما غير الغلي منه فهو مأكول يقول: نحن أصحابُ صَيْدٍ، وهذا من فعلهم (العرب لا تُنضِج اللحم أما لاستعجالها للضيف وأما لأن ذلك مستحب عندها، فلذلك قال لا يؤنيه وقيل لتعجيل القِرى). وقوله: مسوّمة تكون على ضربين أحدهما أن تكون مُعْلَمَةً، والثاني أن تكون قد أُسِيمتْ في المَرْعى، وهي ههنا مُعْلَمَةٌ، وقد مضى هذا التفسير وإنما أخَذَ ما في هذه الأبيات من بيت أمرىء القيس فإنه جَمَعَ ما في هذه الأبيات في بيت واحد مع فضل التقدم:

نَمُشُّ بأعْرافِ الجيادِ أكفَّنا ... إذا نَحْنُ قُمْنا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ[2]

وهو الذي لم يُدْرِكْ، ونمش نمسح، ويقال للمنديل المَشوشُ، وكانت العرب تألف الطيبَ وتطرحُ ذلك في حالتين في الحرب والصيد. قال النابغة:

سَهِكينَ من صَدأ الحديد كأنّهم ... تَحْتَ السَنَوّرِ جِنَّةُ البَقّارِ

وقال آخر:

وأسيافُكمْ مِسْكٌ مَحَلُّ أكُفِّكمْ ... على أنها ريحُ الدِماء تَضُوعُ

(تَضَوَّعُ روايةً) معنى تَضُوع تفوح.

ورُوي عن ابنة هانىء بن قَبيصة (ذكر يعقوب أنها ابنة قيس بن خالد الشيباني ش) إنه لما قُتِلَ عنها لَقيطُ بن زُرارةَ بن عُدَسَ بن زيد بن عبد اللّه بن دارِم بن مالك بن حَنْظلةَ فتزوجها رجل من أهلها، فكان لا يزال يراها تذكر لقيطاً، فقال لها ذات مرة: ما استحسنتِ من لقيط؟ فقالت: كل أموره كانت حسنةً، ولكني أُحدِّثُكَ أنه خرج مرة إلى الصيد وقد انْتشَى فرجع ويقميصه نضْخٌ من دم صيده، والمِسْكُ يَضوعُ من أعْطافِهِ، ورائحةُ الشراب مِنْ فيه فضَمّني ضمّهْ وشمّني شمّهْ، فليتني كنت مِتُّ ثَمّهْ. قال: ففعل زوجها مثل ذلك، ثم

(١) سورة الرحمن: الآية ٤٤.

(٢) شواء مضهب: اللحم شوي على حجارة محماة أو شوي ولم يبلغ إنضاجه.

ضمها إليه وقال: أين أنا من لقيط؟ فقالت: ماءٌ ولاكَصُدْاء[1] مثل حَمْراءَ،ووزنها فَعْلاءُ وموضع اللام همزة وهي بئر مقدّمةٌ، واسمها ما ذكرنا عن الأصمعي وأبي عبيدة، وكذلك سمعنا العرب تقوله، ومَنْ ثَقّلَ فقد أخطأ. ومثل ذلك رجل ولا كمالكٍ (فما يقال فتىً ولا كملكٍ، وقد تقدم لأبي العباس فَتىً وهو الصواب) يعنون مالك بن نُوَيرةَ، ومَرْعىً ولا كالسَعْدانِ.

بنات ذي الأصبع العدواني

وحدثني علي بن عبد اللّه عن ابن عائشة قال: كان ذو الإصْبَعِ العَدْوانيُّ رجلاً غَيُوراً، وكانت له بناتٌ أربعٌ وكان لا يزوّجهنَّ غَيْره فاستمع عليهنّ يوماً، وقد خَلَوْنَ يَتَحَدّثْنَ، فقالت قائلة منهنّ: لتقل كُلُّ واحدةٍ منكنّ ما في نفسها، ولْنَصْدُقْ جميعاً. قال: فقالت كُبْراهُنّ:

ألا لَيْتَ زوجي من أُناسٍ ذَوي غِنىً ... حَديثُ الشبابِ طَيِّبُ النشْرِ[2] والذِكرِ[3]
لِصوقٌ بأكْبادِ النساءِ كأنه ... خَليفةُ جانٍ لا يُقيمُ على هَجْرِ

قال: وقالت الثانية:

ألا ليْتَهُ يُعْطى الجَمالَ بَديئةً ... له جَفْنةٌ تَشْقى بها النيبُ والجُزْرُ
له حَكَماتُ الدهرِ من غيرِ كَبْرَةٍ[4] ... تَشين[5] فلا فإنٍ[6] ولا صَرَعٌ غُمْرُ[7]

---

(١) ماء ولا كصداء: قال المفضل صداء ركية لم ليس عندهم ماء أعذب من ، مائها. وهذا مثل يضرب للجميل لا مثيل له.

(٢) طيب النشر: الرائحة الطيبة.

(٣) الذكر: الصيت والشهرة.

(٤) الكبرة بالفتح الدخول في السن.

(٥) تشين: أي تعيب بظهور الشيب في راسه.

(٦) الفاني: الشيخ الكبير المسن.

(٧) الغمر: بالضم الذي لم يجرب الأمور.

(أَخْذُ التجارِبِ وهو مأخوذ من حَكَمَةِ اللجام ش). فقُلْنَ لها: أنتِ تريدين سيّداً. فقالت الثالثة:

ألا هَلْ تراها مَرَّةً وحَليلُها[1] أَشَمُّ[2] كنَصْلِ السَيْفِ عَيْنَ المُهَنَّدِ
عليماً بأدواءِ النساء ورَهْطُهُ إذا ما انْتَمى من أهل بَيْتي ومَحْتِدي

(حليلها بفتح اللام وبالضم، واشم مثله)، فقلن لها: أنت تُريدينَ ابنَ عَمٍّ لكِ فقد عَرَفْتِهِ. وقُلْنَ للصغرى: ما تقولين؟ فقالت: لا أقول شيئاً. فقُلْنَ: لا ندَعُكِ وذاك، إنكِ اطَّلَعْتِ على أسرارنا وتَكْتُمينَ سِرَّكِ. فقالت: زَوْجٌ من عُودٍ خيرٌ من قُعود. قال: فخُطِبْنَ فزَوَّجَهُنَّ جَمَعَ، ثم أَمْهَلَهُنَّ حولاً، ثم زار الكُبْرى فقال لها: كيف رأيتِ زوْجَكِ؟ قالت: خير زوجٍ يُكْرِمُ أهله ويَنْسى فضْلَهُ. قال لها: فما مالك؟ قالت: الإبلُ. قال: وما هي؟ قالت: نأكل لُحْمانها[3] مُزَعاً،[4] ونشرب ألبانها جُرّعاً، وتحملنا وضَعَفَتَنا معاً، فقال: زوجٌ كيرمٌ ومالٌ عَميمٌ. ثم زار الثانية فقال لها: كيف رأيت زوجك؟ قالت: يُكْرِمُ الحَليلةَ، ويُقَرِّبُ الوَسيلةَ. قال: فما مالكم؟ قالت: البقرُ. قال: وما هي؟ قالت: تألف الفِناءَ، وتملأ الإناء، وتُودِكُ السِقاء ونساءٌ مع نساء. قال لها: رضيتِ وحَظيتِ. ثم زار الثالثة فقال لها: كيف رأيتِ زوجَك؟ فقال: لا سَمْحٌ بَذِرٌ ولا بخيلٌ حَكِرٌ[5] قال: فما مالكم؟ قالت: المِعْزى. قال: وما هي؟ قالت: لو كنا نُوَلِّدُها فُطَماً ونَسْلخُها أَدَماً لم نَبْغِ بها نَعَماً. فقال لها: جِذْوٌ مُغْنِيةٌ. ثم زار الرابعة فقال لها: كيف رأيتِ زوجكِ؟ فقالت: شرُّ زوجٍ يكرم نفسه: ويُهينُ عِرْسَهُ، قال لها: فما مالك؟ قالت: شرُّ مالٍ الضأن. قال لها: وما هُنَّ؟ قالت: جُوفٌ لا يشبَعْنَ، وهيمٌ لا يَنْفَعْنَ، وصُمٌّ لا يَسْمَعْنَ، وأمرَ مُغْوِيتِهنَّ يتْبَعْنَ فقال: أشبهَ بعضَ بَزِّهِ

---

(١) الحليل: الزوج.

(٢) الأشم: السيد ذو الأنفة.

(٣) اللحمان: جمع اللحم.

(٤) مزعاً: جمع مزعة بالضم وهي القطعة من اللحم.

(٥) بخيل حكر: بفتح الحاء وكسر الكاف وهو الذي يحبس ما عنده إنتظار ارتفاع سعره.

(أشبه امراً بعضُ بَزِّه روايةٌ) فأرسلها مثلاً.

قال علي بن عبد الله: قلتُ لابن عائشة: ما قولها وأمرُ مغويتهنّ بتبعهن؟ فقال: أما تراهنَّ يمرُرْنَ فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وَحَل وما أشبه ذلك، فيَتْبَعْنَها إليه. قول الثانية له: جفنة تشقى بها النيب والجزر، فالنيبُ جمع ناب وهي المُسِنَّةُ، وإنما قيل لها ناب لطول نابها. قال أَوْسُ بن حَجَرٍ:

تُشَبَّهُ نابـا وهُـيَ فـي السِـنِّ بَكْـرةً

وتقـدير نيبٍ من الفعـل فُعْـلٌ. ولكـن ما كـان من ذوات اليـاء كُسِرَ لـه موضـع الفاء من الفعـل لتصح اليـاء، لأن الياء إذا سكنت وانضم ما قبلها كانت واواً في الأصل نحو: موقِنٌ وموسِرٍ، وإن فارقتها الضمةُ عادتْ إلى أصلها نحو قولك: مَياسيرُ. ومثل ذلك: أبيضُ وبيضٌ، وإنما بيض فُعْلٌ كأَحْمَرَ وحُمْرٍ وأصفر وصُفْرٍ، ولكن كسرت النون لتصح الياء. ولو كانت واواً في الأصل لم تغير نحو: أسود وسُودٍ، وقوله: ناب، تقديرها فَعَلٌ متحركة العين، ولا تنقلب الياء ولا الواو ألفاً إلاّ وهما في موضع حركة وما قبلهما مفتوح نحو: باعَ وقال ورَمَى وغزا وفَعَلٌ قد يجمعونه على فُعْلٍ كقولهم: أَسَدٌ وأُسْدٌ وَثَنٌ. وقولها: تشقى بها النيب والجزر، فإنما عطفت أحدهما على الآخر، لأن من الابل ما يكون جزوراً للنحر لا غير. وأما قولها: ولا ضرع غمر، فالضَرَعُ الضعيف والغَمْرُ الذي لم يجرب الأمور. ويروى أن الحجّاج لما ورد عليه ظَفَرُ المُهَلَّب بن أبي صُفْرةَ، وَقتْلُه عبدَ رَبِّهِ الصغيرَ، وهَرَبُ قطَرِيٍّ عنه تمثَّلَ فقال للّه دَرُّ المهلب واللّه لكأنه ما وَصَفَ لقيطٌ الإيادِيُّ حيث يقول:

وقَـلَّدوا أمـرَكـم لـلّه دَرُّكـمُ ... رَحْبَ الذِراعِ[1] بأمرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعا[2]
لا مُتْـرِفـاً إنْ رَخـاءُ العيشِ سـاعَـدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مَكْـروهٌ بـه خَشَـعـا

---

(١) رحب الذراع: أي واسع القوة عند الشدائد.

(٢) المضطلع: القوي الذي ينهض بإعباء ما يحمله.

ما زال يَحْلُبُ هذا الدهرَ أَشْطُرَهُ[1] يكونُ مُتَّبِعاً طَوْراً ومُتَّبَعا
حتى استمرتْ على شَزْرٍ[2] مَريرتُهُ[3] مُرَّ العَزيمةِ لا رَثّاً[4] ولا ضَرَعا

مدح الحجاج للمهلب

فقام إليه رجل فقال: أيها الأمير والله لكأني أسمع هذا التمثيل من قَطَرِيٍّ في المهلب. فسُرَّ الحجّاج بذلك سروراً تَبين في وجهه. وقولها: كنصل السيف عين المُهَنَّد، فالمهند المنسوب إلى الهند. وقولها: من أهل بيتي ومَحْتِدِي فالمحتد الأصل. قال الشاعر:

وفي السِرِّ من قَحْطانَ أولادُ حُرَّةٍ عِظامُ اللَها بيضٌ كِرامُ المحاتِدِ

وقوله مال عميم يقول: جامِعٌ أخذه من عَمَّ يَعُمُّ وقوله: جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ فالجذو جمع جَذْوةٍ وهي القطعة، وأصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار. وقال الله عزّ وجل: ﴿أو جَذْوةٍ من النار﴾[5] وتجمع أيضاً جِذاً. قال ابن مُقْبِلٍ:

باتتْ حَواطبُ سَلْمى يَلْتَمِسْنَ لها جَزْلَ الجِذا غَيْرَ خَوَّارٍ ولا دَعِرِ

الخوار الضعيف، والدعِرُ الكثير الثقب. يقالُ: عودٌ دَعِرٌ. وقولها: جوف لا يشبعن تقول: عظام الأجواف. وهيم لا ينفعن: الهيمُ العِطاشُ يكون الواحد من هيمٍ أَهْيَمُ. ويقال في هذا المعنى هَيْمانُ. وقال بعض المفسرين في قول الله عزّ وجل: ﴿فشاربون شُرْبَ الهِيمِ﴾[6]. قال: هي الإبل العِطاش. وقال ذو الرُمّةِ (يصف حميراً):

---

(١) اشطره: نصب على أنه بدل من الدهر فكأنه قال ما زال يحلب أشطر هذا الدور والمعنى أنه اختبر الدهر شطري خيره وشره فعرف ما فيه.

(٢) استمرت مريرته: أي استحكم وقويت شكيمته.

(٣) الشزر: فتل الحبل عن اليسار أو فتله من خارج ورده إلى بطنه ليقوي ويشتد.

(٤) الرث: السقط من المتاع.

(٥) سورة القصص: الآية ٢٩.

(٦) سورة الواقعة: الآية ٥٥

فراحت الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صَرائرهَا وقد نَشحْنَ فلا رِيٌّ ولا هيمُ

(الحقبْ البيضُ الأعْجازِ من الحمير). ويقال: قصَعَ صارَّتَهُ إذا رَوِيَ. والصارَّةُ شدة العطش، والنُشوحُ أن تشرب دون الرِيِّ يقال: نَشَحَ يَنْشَحُ ومثله تَغَمَّرَ. إذا لم يَرْوَ. ويقال للقَدَحِ الصغير الغُمَرُ من هذا. وقال بعض المفسرين: الهيم رمال بعينها واحدتها هَيْماءُ يا فتى. وقولها: لا يُنْقَعْنَ أي لا يَرْوَيْنَ. يقال: نقعت ماشية بني فلان برِيٍّ إذا لم تبلغ من الماء حقها. ويقال للماء النَقْعُ. ويقال النقع في غير هذا الموضع للغبار، يقال أثاروا النَقْعَ بينهم والنَقْعُ إسم موضع بعينه. قال الشاعر:

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها مساكنَ ما بين الوَتائر[1] والنَقْعِ[2]

(الوتائر بالتاء منقوطة باثنتين من فوق) والنَقْعُ الصُراخُ. قال لَبيدٌ:

فمتى يَنْقَعْ صُراخٌ صادِقٌ يُحْلبوهُ ذات جَرْسٍ وزَجَلْ

وقولها: وصمّ لا يسمعن طَريفٌ من كلام العرب، وذلك أنه يقال لكل صحيح البصر، ولا يُعْمِلُ بصرَه أعمى، وإنما يراد به أنه قد حلّ مَحَلَّ مَن لا يُبصر البَتَّةَ إذا لم يُعْمِلْ بصره. وكذلك يقال للسميع الذي لا يقبل أَصَمُّ. قال اللّه جلّ ذكره: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[3]. كما قال جلّ ثناؤه: ﴿أَمْ على قلوب أَقْفالها﴾[4]. وكذلك: ﴿إنك لا تُسْمِعُ الموتى ولا تُسْمِعُ الصُمَّ الدُعاءَ﴾[5] وقوله عزّ وجل: ﴿كمَثَلِ الذي يَنْعِقُ بما لا يسمع إلاّ دُعاءً ونِداءً﴾[6]. وتقول العرب: أَبْلَدُ ما يُرْعى الضَأنُ، ويقال: أَحمَقُ منْ راعي ضَأنٍ ثمانين (قوله:

---

(١) الوتائر: موضع بني مكة والطائف.

(٢) النقع بالفتح موضع قرب مكة.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨.

(٤) سورة محمد: الآية ٢٤.

(٥) سورة النمل: الآية ٣٠.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٧١.

أحمق من راعي ضأن ثمانين، المَثَلُ لكِسْرى[1] في أعرابي خَيَّرَهُ فاختار ذلك. ذكره أبو عبيد، وهذا غير ما أشار إليه أبو العباس). وتحدث عمرو بن بَحْرٍ قال: كان يقال لا ينبغي لعاقل أن يشاور واحداً من خمسة: القَطّان، والغزّال، والمُعَلِّم، وراعي ضأنٍ، ولا الرجلِ الكثيرُ المحادَثَةِ للنساء. وقيل في مثل هذا لا تَدَعْ أمَّ صبيك تضربه، فإنه أعقل منها وإن كان طفلاً. وقال الأحْنَفُ بن قَيْسٍ: إني لأجالسُ الأحمقَ الساعةَ فأتَبيَّنُ ذلك في عقلي. وقال جلّ ثناؤه في صفة النساء: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وهو في الخِصام غير مُبينٍ﴾[2] وحُدِّثتُ أن عُمَرَ بن عبد اللّه بن أبي رَبيعةَ أتى المدينة فأقام بها، ففي ذلك يقول:

يا خليليّ قد مَلِلْتُ ثوائي ... بالمُصَلّى وقد شَنِئْتُ البَقيعا

فلما أراد الشُخوصَ شخَصَ معه الأحْوَصُ بن محمد. فلما نزلا وَدّ أن صار إليهما نُصَيْبٌ، فمضى الأحوص لبعض حاجته، فرجع إلى صاحبيه، فقال الأحْوَصُ: أهو يصير إليكم؟ هو واللّه أعظم كِبْراً من ذلك. قال: فإذاً نصيرُ إليه. فصاروا إليه وهو جالس على جلد كبش، فواللّه ما رفع منهم أحداً ولا القُرَشيّ[3]، ثم أقبل على القرشي فقال: يا أخا قُرَيْشٍ واللّه لقد قلتَ فأحسنتَ في كثير من شعرك ولكن خَبِّرْني عن قولك:

قالتْ لها اختُها تُعاتبها ... لا تُفْسِدِنَّ الطَوافَ في عُمَرِ

(كذا وقعت الرواية لا تفسدنّ على النهي والصحيح لتفسدنّ على القسم كأنها قالت: واللّه لتفسدنّ):

قُومي تَصَدّيْ له لِيُبْصِرَنا ... ثم اغْمِزيهِ يا أخت في خَفَرِ[4]

---

(١) يقال أن إعرابياً بشر كسرى ببشرى سر بها فقال له: سلني ما شئت، فقال إسأل لك ضأناً تحايني، فضرب به المثل في الحمق.

(٢) سورة الزخرف: الآية ١٨.

(٣) القرشي: يريد به عمر بن ابي ربيعة.

(٤) الخفر: الحياء.

قالتْ لها قد غَمَزْتُهُ فأبى ثم اسْبَطَرّتْ[1] تشتد[2] في أثري

واللّه لو قد قلتَ هذا في هِرّةِ أهلِكَ ما عَدا أن تَنْسُبَ بها فَنَسَبْتَ بنفسك، أهكذا يقال للمرأة؟ إنما توصف بالخَفَرِ وأنها مطلوبةٌ ممتنعةٌ، هلا قلتَ كما قال هذا. وضرب بيده على كتف الأحْوَصِ:

أدور ولَوْلا أنْ أرى أمّ جَعْفرٍ بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يُزَرْ لا بدّ أن سيزور
لقد مَنَعَتْ معروفَها أمُّ جعفر وإني إلى معروفها لفقيرُ

قال: فامتلأ الأحوصُ سروراً ثم أقبل عليه فقال: يا أحوص خَبِّرْني عن قولك:

فإن تَصِلي أَصِلْكِ وإن تَعودي لهَجْرٍ بعد وَصْلِكِ لا أُبالي

وأما واللّه لو كنتَ من فُحول الشعر لَبالَيْتَ، هلا قلت مثل ما قال هذا. وضرب بيده على جنب نُصَيْبٍ:

بزَيْنَبَ أَلْمِمْ قبل أنْ يَظْعَنَ الرَكبُ وقُلْ إن تَمَلَّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ

قال: فانتفخ نُصيب، ثم أقبل عليه فقال له: ولكن أخبرني عن قولك يا أسْوَدُ:

أهيمُ بدَعْدٍ ما حَييتُ وإن أَمُتْ فواحَزَنا من ذا يَهيمُ بها بعدي

كأنك اغتممتَ أن لا يُفْعَلَ بها بَعْدكَ ولا يَكْنى[3]. فقال بعضهم لبعض: قوموا فقد استوت القِرْفَةُ، وهي لُعْبةٌ على خطوط فاستواؤها انقضاؤها. (قال أبو الحسن: الظَبي[4] هي السُدَّرُ[5]، فإذا زيدَ في خطوطه سَمَّتْهُ العربُ القِرْفَةَ، وتسميه العامة السُدَّرَ).

---

(١) أسبطرت: أي امتدت للمشي ونهضت إليه.
(٢) تشد: أي تعدو.
(٣) لا يكنى يريد أنه صرح له بأسم ما يراد من المرأة.
(٤) الظبي: كصرد لعبة لهم.
(٥) السدر: لعبة للصبيان وتلفظ بالضم.

كثير عزه ينقد أشعار العرب

قال: وحُدِّثْتُ أن كُثَيِّراً دخل على عبد الملك بن مَرْوانَ وعنده الأخطل، فأنشده، فالتفت عبد الملك إلى الأخطل فقال: كيف تَرى؟ فقال: حجازي مُجَوَّعٌ[1] مقرورٌ، دَعْني أَضْغَمْهُ[2] يا أمير المؤمنين. فقال كثير: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال له: هذا الأخطل. فقال له كثير: مَهْلاً فهلا ضَغَمْتَ الذي يقول:

لا تَطْلُبَنَّ خُؤولةً في تَغْلِبٍ ... فالزَّنْجُ أكرمُ منهمُ أخْوالا
والتَّغْلَبِيُّ إذا تنحنح للقِرى ... حَكَّ اسْتَهُ وتَمثَّلَ الأمْثالا

(أخوالا منصوب على الحال، ومن زعم أنه تمييز فقد أخطأ) فسكت الأخطلُ فما أجابه بحرف. قال أبو العباس: سمعت من ينشد هذا الشعر: والتغلبيُّ[3] إذا تَنَبَّحَ للقرى[4]، وهو أبلغ. قال: وخُبِّرْتُ أن نصيباً نزل بامرأة تُكنى أمّ حَبيبٍ من أهل مَلَلٍ، وكانت تضيف في ذلك الموضع وتَقْري، ولا يزال الشريفُ قد نزل بها فأفْضَلَ عليها الفضلَ الكثير، ولا يزال الشريفُ ممن لم يَحْلُلْ بها يتناولها بالبِرِّ ليُعينها على مُرُوَّتِها، فنزلَ بها نصيبٌ ومعه رجلان من قريش، فلما أرادوا الرِحْلةَ عنها وَوَصَلها القُرَشِيّانِ، وكان نصيب لا مال معه في ذلك الوقت. فقال لها: إن شئت فلكِ أن أُوَجِّهَ إليك بمثل ما أعطاكِ أحدُهما، وإن شئتِ قلتُ فيكِ شعراً. فغَزِلَتْ أمُّ حبيبٍ (أي مالت إلى أن يتغزل بها) فقالت: بل الشعرَ. فقال:

ألا حَيِّ قبلَ البَيْنِ أمَّ حبيبِ ... وإن لم تكنْ منا غَداً بقريبِ

---

(١) المجوع: الذي اضطر إلى الجوع.

(٢) الضغم: العض الشديد.

(٣) التغلبي: هذا البيت لجرير ويؤخذ مثالاً على شدة نفوذ هجاء جرير للأخطل وإقذاعه.

(٤) تنبح للقرى: أي استنبح الاضياف كلا بهم للقرى.

وإنْ لم يكن أني أحبكِ صادقاً فما أحدٌ عندي إذاً بحَبيبِ
تَهامٍ أصابتْ قلبه مَلَلِيّةٌ غريبُ الهوى واهاً لكل غريبِ

وحُدِّثتُ أن نصيباً أتى عبد الملك فأنشده، فاستحسن عبد الملك شعره، وسُرّ به فوصله، ثم دعا بالغداء فَطَعِمَ معه، فقال له عبد الملك: يا نصيبُ هل لك فيما يُتَنادَمُ عليه؟ فقال: يا أمير المؤمنين تأمُلْني قال: قد أراكَ. فقال: يا أمير المؤمنين جِلْدي أسْودُ، وخَلْقي مُشَوّهٌ، ووجهي قبيح، ولست في مَنْصِبٍ وإنما بَلَغَ بي مجالسَتَكَ ومؤاكلتَكَ عقلي، وأنا أكره يا أمير المؤمنين أن أُدْخِلَ عليه ما يَنْقُصهُ. فأعجبه كلامه فأعفاه. وقال الوليد بن عبد الملك للحجّاج في وَفْدَةٍ وَفدَها عليه، وقد أكلا: هل لكَ في الشراب؟ فقال: يا أمير المؤمنين ليس بحرام ما احللتَهُ، ولكني أمنع أهل عَملي منه، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح، وما أريد أن أخالِفَكمْ إلى ما أنهاكم عنه، فأعفاه. وقال مَسْلمةُ بن عبد الملك يوماً لنصيب: أمَدَحْتَ فلاناً لرجل من أهله فقال: قد فعلتُ قال أوَحَرَمَكَ؟ قال: قد فعل. قال: فهلا هجوته. قال: لم أفعَلْ. قال ولِمَ؟ قال: لأني كنتُ أحقُّ بالهجاءِ منه إذ رأيتُهُ موضعاً لمدحي، فأُعْجِبَ به مسلمةُ، فقال: اسئلني. قال: لا أفعلُ. قال. ولِمَ؟ فقال: لأن كفَّكَ بالعطية أجودُ من لساني بالمسئلة. فوهب له ألفَ دينارٍ. وحُدِّثتُ ان الكُمَيْتَ بن زيد أنشد نُصَيْباً، فاستمع له. فكان فيما أنشده:

وقد رأينا بها حُوراً مُنَعَّمةً بيضاً تكامَلَ فيها الدَلُّ[1] والشَنَبُ

فثَنى نُصيبٌ خِنْصِرَه، فقال له الكميت: ما تصنع؟ فقال: أحْصي خَطَأك تَباعَدْتَ في قولك: تكامل فيها الدل والشنب، هلا قلت كما قال ذو الرُمّةِ:

لَمْياءُ[2] في شَفَتَيْها حُوّةٌ لَعَسٌ وفي اللِثاثِ وفي أنيابها شَنَبُ

ثم أنشده في أخرى:

---

(١) الدل: الجمال.
(٢) اللمياء المرأة التي في شفتها سمرة.

كـأنّ الغُـطامِطَ[1] من جَـرْيِهـا أراجيزُ[2] أسْلَمَ تَـهْجـو غِـفـارا

(وقعت الرواية من جريها، وصوابه من غليها، لأنه يصف قدراً فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع)، فقال له نصيب: ما هَجَتْ أَسْلَمُ غِفاراً قطُّ. فاستحيا الكميت فسكت قال أبو العباس: والذي عابه نصيب من قوله: تكاملَ فيها الدل والشنب قبيح جداً، وذلك أن الكلام لم يَجْرِ على نظم، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها. وأول ما يَحتاج إليه القول أن يُنْظَمَ على نَسَقٍ، وأن يوضع على رسم المشاكلة. وخُبِّرْتُ أن عمر بن لَجَإٍ قال لابن عم له: أنا أشعر منك قال له: وكيف؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه. وأنشد عمرو بن بحر:

وشِعْـرٍ كبَعْـرِ الكبش فَـرّقَ بينـه لسـانُ دَعِيٍّ في القَـريض دَخيـلُ

وبعر الكبش يقع متفرقاً. فمن ذلك قول ابنة الحُطَيْئةِ لما نزل في بني كليب بن يربوع: تركتَ الثروة والعدد ونزلتَ في بني كُلَيْبٍ بَعْرِ الكَبْشِ. يقال: بَعْرٌ وبَعَرٌ، وشَعْرٌ وشَعَرٌ، وشَمْعٌ وشَمَعٌ. ويقال للصَدْر: قَصٌّ وقَصَصٌ. وكذلك: نَهْر ونَهَر. وزعم الأصمعي أنه سأل أعرابياً وهو بالموضع الذي ذكره زُهَيْرٌ:

ثم استمروا وقالوا إنّ مَشْرَبَكمْ ماءٌ بِشَرْقِيّ سَلْمَى فَيْدُ أو رَكَكُ[3]

قال الأصمعي: فقلتُ لأعرابي: أتعرف رككا؟ فقال: لا، ولكن قد كان ههنا ماء يسمى رَكّاً. فهذا ليست فيه لغتان، ولكن الشاعر إذا احتاج إلى الحركة اتبع الحرفَ المتحرّكَ الذي يليه الساكنَ ما يشاكله، فحَرّكَ الساكنَ بتلك الحركة. قال عبد مناف بن رِبْعٍ (ش رِبْعِيّ) الهذليُّ:

إذا تجاوَبَ نَوْحٌ[4] قامَتا معه ضَرْباً أليماً بِسِبْتٍ يَلعَجُ الجِلدا

(١) الغطامط: بالضم: الصوت.
(٢) الأراجيز: جمع أرجوزة بالضم وهي القصيدة من الرجز.
(٣) فيد و ركك: بدل من ماء وسلمى بالفتح أكم بالطائف أو جبل لطيء شرق المدينة.
(٤) النوح: للنساء النائحات.

يريد الجِلْدَ فهذا مطرد. (قال ابن القُوطِيَّةِ: لَعَجَ الحُبُّ قلبه والصَرْدُ جسدَه احرقه). ومن مذاهبهم المطردةِ في الشعر أن يُلْقوا على الساكن الذي يَسْكن ما بعده للتقييد حركةَ الإعراب، كما قال الراجز قال ابن السِّيدِ أحسِبه لعَبيدِ بن ماوِيَّةَ).

أنا ابنُ ماوِيَّةَ[1] إذْ جَدَّ النَقَرْ

يريد النَقْرُ يا فتى، وهو النَقْرُ بالخيل، فلما اسكن الراء ألقى حركتها على الساكن الذي قبلها، (النُقَيْرُ صُوَيتٌ باللسان يُسَكِّنُ به الفرس إذا اضطرب بفارسه، قال امرؤ القيس:

أخَفِّضُهُ بالنَقْرِ لما عَلَوْتُهُ ويَرْفعُ طرفاً غير جافٍ غَضيضِ)

وشبيه بهذا قولُهُ:

عجبتُ والدهرُ كثيرٌ عَجَبُهْ من عَنَزِيٍّ سَبَّني لم أضْرِبُهْ

أراد لم أضرْبهُ يا فتى، فلما أسكن الهاء ألقى حركتها على الباء، وكان ذلك في الباء أحسن لخفاء الهاء. وقال أبو النجم: أقول قَرِّبْ ذا وهذا ازْحِلُهْ. يريد: ازحِلْهُ يا فتى. (أقول قَرِّبْ ذا وهذاك ازْحَلُه، كذا عن ش). وقال طَرَفَةُ:

حابِسي رَبْعٌ وقفتُ به لو أُطيعُ النفسَ لم أرِمُهْ

ولم يَلْزمه رد الياء لما تحرّكت الميم، لأن تحركها ليس لها على الحقيقة، وإنما هي حركة الهاء. وأما قول الشاعر:

حديثُ بَني بَدْرٍ إذا ما لقَيتَهُم كَنَزْوِ الدَبى في العَرْفَجِ[2] المُتَقارِبِ

فليس كقوله: وشعر كبعر الكبش، ولكنه وصفهم بضؤولة الأصوات، وسرعة الكلام، وإدخال بعضه في بعض، والذي يُحْمَدُ الجَهارةُ والفَخامةُ وأُنْشِدْتُ لرجل قال يمدح الرشيد:

---

(١) ابن ماويه هو فدكي المنقري.

(٢) العرفج: شجر سهلي.

جَهيرُ الكلام جَهيرُ العُطاس جَهيرُ الرُواءِ جَهيرُ النَغَمْ
ويَخْطو على الأيْنِ خَطْوَ الظَليم ويَعْلو الرجالَ بخَلْقٍ عَمَمْ

(الرجل هو العُمانيُّ الشاعرُ وقوله: عمم أي جسيم، والأين الإعْياء ويكون الاين الحية وهي الأيْمُ). ويروى أن الرشيد كان يأتزر في الطواف، فيُذَنِّبُ مُدِحَ بهذا الشعر.

ما قالته عائشة لما رأت رجلاً متماوتاً

ويروى أن عائشة رحمها اللّه، نظرت إلى رجلٍ مُتماوتٍ[1] فقالت: ما هذا؟ فقالوا: أحدُ القُرّاء. فقالت: قد كان عمر بن الخطاب قارئاً فكان إذا قال أَسْمَعَ، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرَبَ أَوْجَعَ. ويروى أن عمر بن الخطاب رحمه اللّه، نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنُسْكِ مُتَماوتٍ، فخَفَقَهُ بالدِرَّةِ[2] وقال: لا تُمِتْ علينا ديننا أماتك اللّه. ويروى أن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد اللّه بن عباس أتتهُ وفودٌ من الروم، وقام السِماطانِ فأتِيَ برجل منهم، وعَطَسَ أَحَدُ منْ في السِماطين فأخفى عَطْسَتَهُ، فقال له عبد الملك لما انقضى أمر الوَفْدِ: هَلاَّ إذْ كنتَ لئيم العُطاس أتبعت عَطْسَتَكَ صيحةً حتى تخلع بها قلب العِلْجِ. وكان العباس بن المُطّلب رحمه اللّه، أجهر الناس صوتاً، ولذلك قال رسول اللّه ﷺ، لما انهزم الناس يوم حُنَيْنٍ: يا عبّاسُ اصْرُخْ بالناس، ويروى أن غارة أتتهم يوماً، فصاح العباس: يا صَباحاه! فاستسقَطت الحوامل لشدة صوته، وقد طُعِنَ في قول النابغة الجَعْديّ:

(وأزْجُرُ الكاشِحَ[3] العَدُوَّ إذا اغتـ ـابكَ عندي زَجْراً على أَضَمِ)
زَجْرَ أبي عُرْوَةَ السِباعَ إذا أشْفَقَ أنْ يَخْتَلِطْنَ بالغَنَم

(١) متماوت: يقال تماوت الرجل إذا أظهر في نفسه التخافت والتضاعن من العبادة والزهد والصم.
(٢) خفقه بالدرة: أي ضربه بها والدرة بالكسر التي كان عمر رضي اللّه عنه يضرب بها الناس.
(٣) الكاشح: مضمر العداوة والأضم محركاً الغضب والحقد.

وذلك أن الرواة احتملت هذا البيت على أنه كان يزجر الذِئابَ ونحوها مما يُغيرُ على الغنم، فيَفْتُقُ مَرارة السبع في جوفه. (ويروى: زَجْرَ أبي عروةِ السِباعِ، بخفض السِباع كما قيل قَيْسُ الرُقيّاتِ، فصار على هذا يعرف بأبي عُرْوةِ السِباعِ مثل ذلك). فقال: من يطعنُ في هذا السَبُعُأشدُّ أَيْداً[1] من الغَنم، فإذا فعل ذلك بالسبع هلكت الغنم قبله. فقال مَن يحْتَجُّ له: أن الغنم كانت قد أنِسَتْ بهذا منه، والصوت الرائعُ أُنْسٌ لمن أنِسَ به، كالرعد القاصف الذي لولا خشيةُ صاعقته لم يُفْزِعْ كبيرَ فزَعٍ، ولو جاء أقلُّ منه من جوف الأرض لذَعَرَ ولم يَبْعُد أن يَقْتل إذا أتى من حيث لم يُعْتَدْ. وجملة هذا البيت أنه وصف شدة صوت المذكور، وتأويله أنه من تَكاذيب الأعْراب. وحُدِّثتُ أن الحسن نظر إلى رجل يجود بنفسه فقال: إنّ أمراً هذا آخِرُهُ لجديرٌ بأنْ يُزْهَدَ في أوله، وأن أمراً هذا أوّلُهُ لجديرٌ أن يُخاف آخرُهُ. وقيل لرجل من أشراف العجم في عِلّتِهِ التي مات فيها: ما بِكَ؟ قال فِكْرٌ عجيبٌ وحَسْرةٌ طويلة. فقيل: مِمَّ ذاك؟ فقال: ما ظنكم بمن يقطع سفراً قَفْراً بلا زادٍ، ويسكن قبراً موحِشاً بلا مُؤْنِسٍ، ويَقْدَمُ على حَكَمٍ عادل بلا حُجّة. وقال بعض المُحْدَثين، وهو محمود الورّاقُ:

بأيِّ اعتذارٍ أم بآيةِ حجّةٍ ... يقول الذي يَدْري من الأمر لا أدْري
إذا كان وَجْهُ العذرِ ليس بِبَيِّنٍ ... فإنّ اطِّراحَ العذر خيرٌ من العُذْرِ

واعتذر رجل إلى سَلْمِ بن قُتَيْبَةَ من أمر بلغه عنه فعَذَرهُ، ثم قال له: يا هذا لا يحملنّك الخروجُ من أمر تخلصتَ منه على الدخول في أمرٍ لعلكَ لا تَخَلّصُ منه. وقيل لخالد بن صَفْوان[2]: أيُّ إخوانك أحبّ إليك؟ فقال:

---

(١) الايد: بالفتح القوة والصلابة.

(٢) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم، أبو صفوان التميمي المنقري. أحد فصحاء العرب وخطبائهم، كان راوية للأخبار خطيباً مفوهاً بليغاً. كان يجالس الخلفاء ومنهم هشام بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز، ويعظهم، توفي سنة ١٣٥ هـ.
أنظر معجم الأدباء ١١/ ٢٤ ـ ٣٥، الوافي بالوفيات، والفهرست، والأغاني في مواقع متفرقة.

الـذي يَسُدُّ خَلَلي، ويغفـر زَلَلي، ويقبل عِلَلي. وافتقـد عبد اللّه بن جعفـر بن أبي طالب صديقاً له من مجلسـه ثم جاءه فقال له: اين كـانت غيبَتُكَ؟ فقـال: خرجتُ إلى عُرْضٍ من أعْراض المدينة مع صديق لي، فقال لـه: لم تَجِدْ من صحبـة الـرجـال بُـدّاً فعليـك بصحبـة مَنْ إنْ صَحِبْتَـهُ زانَـكَ، وإن خَفَفْتَ لـه صانك، وإن احتجتَ إليه مانَكَ، وإن رأى منكَ خَلَّةً سـدّها أو حَسنـةً عدّهـا، وإن وعدَكَ لم يُجْرِضْـكَ، وإن كُثرتَ عليه لم يَـرْفِضْكَ، وإن سـألته أعـطاك، وإن أمسكتَ عنه ابتداكَ. قـال أبو العبـاس: وامتدح نُصَيْبٌ عبـد اللّه بن جعفر فأمر له بخيل وإبل وأثاث ودنـانير ودراهم، فقـال له رجـل: أَمِثْلُ هـذا الأسودِ لأبْيَضُ وإن ثَناءه لعربيّ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال. وهل أعطيناه إلا ثيـاباً تَبْلى ومالاً يَفْنى ومَطاياتُنْضى[1]، وأعطانامدحـاً يُرْوى، وثَنـاءً يَبْقى. وقيل لعبـد اللّه بن جعفـر: إنــكَ لتَبْـذُلُ الكثيــر إذا سُئِلتَ، وتُضَيِّقُ في القليـل إذا تُـوجِرْتَ. فقـال: إني أبذُلُ مـالي وأضِنُّ[2] بعقلي. وقيل ليزيد بن معاوية: ما الجود؟ فقال: إعـطاء المال مَن لا تعـرف فإنـه لا يصيـر إليـه حتى يَتَخَطّى مَن تعرف. وخُبِّرْتُ عن رجل من الأنصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف: ما ترك لك أبوك؟ قال: ترك لي مالاً كثيراً. فقال: ألا أُعْلِمُكَ شيئاً هو خيـر لك ممـا تَـرَكَ أبوك، إنـه لا مالَ لعـاجـزٍ ولا صَيـاعَ على حـازم والـرَقيقُ جمـالٌ، وليس بمال، فعليك من المال بما يَعولُكَ ولا تعولُهُ. وقال معاويـة: الخفض والدَعَـةُ سَعَةُ المنزل وكثرةُ الخَدَمِ، وقيل لخُرَيْمٍ المُرِّيّ، وهو المُنَبِّز[3] بخُرَيم الناعِمِ: مـا النعمةُ؟ فقـال: الأمنُ فـإنـه ليس لخـائفٍ عيش، والغِنى فـإنـه ليس لفقيـر عيش، والصحـةُ فإنـه ليس لسَقيم عيش. قيل: ثم مـاذا؟ قال: لا مـزيدَ بعـد هذا. وقال سَلْمُ بن قُتَيْبَةَ: الشبابُ الصحةُ، والسلطانُ الغِنى، والمروءة الصبـر على الـرجال. وقـال المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرَةَ: العجَب لمن يشتـري المماليـك

---

(١) تنصى: تضعف وتهزل.

(٢) أضن: أبخل.

(٣) المنبز: الملقب من البنز بالتحريك وهو اللقب وكأنه يكثر فيما كان ذما.

بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه. وكان يقول لِبَنيهِ: إذا غدا عليكم الرجلُ وراح مُسَلِّماً فكفى بذلك تقاضياً. وقال خالد بن عبد اللَّه القَسْريُّ: مَحْضُ الجود ما لم تسبقه مسئلة، وما لم يتبعه مَنٌّ، ولم يُزْرِ به قِصَرٌ، ووافق موضعَ الحاجة. وقال بعض المُحْدَثين وهو (حبيب) الطائي:

أَسَائِلَ نَصْرٍ لا تَسَلْهُ فإنه ... أَحَنُّ إلى الإرْفادِ منك إلى الرِفْدِ

وقال آخر وهو أبو العتاهية:

لا تَسْأَلَنَّ المرْءَ ذات يَدَيْهِ[1] ... فلَيَحْقِرَنَّكَ من رَغِبْتَ إليهِ
المرْءُ ما لم تَرْزُهُ[2] لك مُكْرِمٌ ... فإذا رَزَأتَ المرءَ هُنْتَ عليهِ
وكما يكون لَدَيْكَ منْ عاشرتَهُ ... فكذاكَ فارْضَ بأن تكون لَدَيْهِ

ودخل النَخّارُ العُذْرِيُّ على معاوية في عَباءةٍ فاحتقره، فرأى ذلك النخّارُ في وجهه فقال له: يا أمير المؤمنين ليست العباءةُ تكلِّمك إنما يكلمكَ من فيها. ثم تكلم فَمَلأ سمعَهُ ثم نهض ولم يسأله. فقال معاوية: ما رأيت رجلاً أحقرَ أولاً ولا أجَلَّ آخراً منه. ودخل محمد بن كعب القرظيّ على سليمان بن عبد الملك في ثيابٍ رَثَّةٍ، فقال له سليمان: من يحملك على لبس مثل هذه الثياب؟ فقال: أكره أن أقول الزُهْدُ فأطْرِيَ نَفسي، أو أقول الفقرُ فأشْكوَ ربي.

حديث سالم بن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب مع هشام بن عبد الملك

وحدثني التَوَّزِيُّ قال: دخل سالم بن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك في ثياب وعليه عمامة تُخالفها، فقال له هشام: كأنّ العمامة ليست من الثياب. قال: إنها مستعارة: فقال: كم سِنُّكَ؟ قال: ستون

---

(١) ذات يديه: ماله.
(٢) ترزه: أصله ترزأ، بالهمز فخفف للشعر يقال رزأت فلاناً كذا إذا أخذته منه وأصله النقص.

سنة. قال: ما رأيت ابن ستين أبْقى كِدْنةًمنك[1]. (كدنة قوة الجسم قال ابن القوطية: في الأفعال كَدِنَ الشَفَةُ كُدونا اسودَّت، وأكْدِنَ البعيرُ، كَثُر لحمه وشحمه) ما طعامك؟ قال: الخبز والزيت. قال: أماتأجَمُهُما[2]؟قال: إذا أجِمْتُهما تركتهما حتى أشتهيهما، ثم خرج من عنده وقد صُدِعَ. فقال أتَرَوْنَ الأحولَ لَقَعَني بعينه[3]فمات بتلك العلة. (قال ابن الأعرابي: لَقَعَ فلانٌ فلاناً بعينه وزَلقَهُ وزَلَّقَهُ وأزْلَقَهُ وشَقِدَهُ وشوَّهَهُ، ويقول الرجل إذا أجاد في عمله: لا تُشَوِّهْ عليَّ، أي لا تقل لي أجَدْتَ فتصيبين بالعين. ورجل مَعينٌ إذا أُصيب بالعين. وشاةٌ وشائِهٌ وشَقِذٌ وشقِذانٌ). ونظر أعرابي إلى رجل جيد الكِدْنةِ فقال يا هذا إني لأرى عليكَ قطيفةً مُحْكمةً من نَسْج أضراسك. ودخل أبو الأسود الدُؤَليُّ (اسم أبي الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان، وقيل ابن عمرو بن جَنْدَلِ بن سفيان، وأمه من بني عَبْدِ الدارِ بصري، تابعيٌّ ثقة من أصحاب عليّ من كُتّابِهِ على عبيد اللّه بن زياد في ثياب رَثّةٍ، فكساه ثياباً حِساناً فخرج وهو يقول:

كساكَ وما استكسيتَهُ فشَكَرْتُهُ أخٌ لك يعطيكَ الجزيلَ وناصرُ
وأن أحقَّ الناسِ إن كنتَ مادِحاً بمدحكَ من أعْطاكَ والعَرْضُ[4] وافرُ

مدح أبي الأسود الدؤلي لعبد اللّه بن زياد

وحدّثني الرياشي قال: دخل أبو الأسود الدؤلي على عبيد اللّه بن زياد وقد أَسَنَّ، فقال له عبيد اللّه يَهْزأُ به يا أبا الأسود إنك لجميل فلو تَعَلّقْتَ تَميمةَ تَرُدّ عنك بعضَ العيون. فقال أبو الأسود:

أفْنى الشَبابَ الذي أفنيتُ جَدَّتَهُ[5] كرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلق

---

(١) الكدنه: بالكسر وهو كدن ككف أي قوي.

(٢) أجم الطعام: كرهه.

(٣) لقعني بعينه: رماني وأصابني بها وأراد بالأحوال هشام بن عبد الملك لأنه كان أحولاً.

(٤) العرض وافر: أي لم يصب بما يشينه ويعيبه.

(٥) الجدة: البلى بالكسر ضد البلى وقد جد يجد فهو جديد والجديدان الليل والنهار.

لم يَتْركا ليَ في طول اختلافهما شيئاً أخاف عليه لَذْعةَ الحَدَق[1]

قوله: فلو تعلقت تميمة هي المعاذة يعلقها الرجل. قال ابن قَيْسِ الرُقَيّاتِ:

صَدَروا ليلةَ انقَضى الحجُّ فيهم طَفْلةٌ زانها أغَرُّ وَسيمُ
يَتَّقي أهلُها العيونَ عليها فعلى جيدِها الرُقى والتَميمُ

وقال أبو ذُؤَيْبٍ:

وإذا المنيةُ أَنْشَبَت أظفارها ألْفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنْفَعُ

وقوله: لذعة الحدَق، فهو من قولك لَذَعْتهُ النارُ إذا لَفَحَتْهُ. ويقال: لَذَعَ فلانٌ فلاناً بأدَبٍ إذا أدَّبَهُ أدباً يسيراً كأنه المقدار الذي وصفناه من النار وقولُ ابن قيس الرقيات: زانها أغر وسيم، فالأغر الأبيض يعني الوجه، والوسيم الجميل، والمصدر الوَسامةُ والوَسامُ. وقال بعض المُحْدَثين ذكرناه بقول أبي الأسود:

قد كنتُ أرتاعُ[2] للبيضاء في حَلَكٍ فصرتُ أرتاعُ للسوداءِ في يَقَقِ[3]
من لمْ يَشِبْ ليس مِمْلاقاً[4] خَليلَتُه وصاحبُ الشيبِ للنسوان ذو مَلَقِ
قد كُنَّ يَفْرَقْنَ[5] منه في شَبيبتِهِ فصارَ يَفْرَقُ ممن كان ذا فَرَقِ
إن الخضابَ لتدليسٌ يُغَشُّ به كالثوب في السوق مطويّاًعلىحَرَقِ[6]

ويروى: يُطْوى لِتَدْليسٍ على حَرَقِ. وشبيهٌ بهذا المعنى قول أبيِ تَمّامٍ:

طالَ إنْكاريَ البياضَ وإن عُمِّـ ـرْتُ شيئاً أنكرتُ لونَ السَوادِ

---

(١) لذعة الحدق: الإصابة بالعين.
(٢) إرتاع: خاف.
(٣) اليقق شدة البياض.
(٤) المملاق: المفرط في التودد.
(٥) قد كن يفرقن: من الفرق بالتحريك وهو الخوف والفزع.
(٦) الحرق: ما يعرض للثوب من الدق وهو محرك ليس غير.

وحدّثني الزِيادِيُّ قال: قيل لأعرابي: ألا تَخْضِبُ بالوَسمَةِ[1]؟ فقال: لِمَ ذاكَ؟ فقال: لِتَصْبوَ إليك النساء. فقال: أما نساؤنا فما يُرِدْنَ بنا بديلاً، وأما غيرهن فما نَلْتَمِسُ صَبْوَتَهُنَّ. وقال العُتْبِيُّ:

وقائلةٍ تَبَيَّضْ والغَواني ... نوافِرُ عن مُعالَجَةِ القَتيرِ[2]

(ويروى معالجة بكسر اللام، فمن فتح اللام جعله مصدراً، ومن كسر اللام فهي الجماعة التي تعالج ذلك الشيء).

عَليْكَ الخِطْرَ[3] عَلَّكَ أن تَدَنّى[4] ... إلى بيضٍ تَرائِبُهُنَّ[5] حُورِ
فقلتُ لها المشيبُ نذيرُ عُمْري ... وَلسْتُ مُسَوِّداً وَجهَ النَذيرِ

وقال آخر وهو أبو خالد يزيد بن محمد المُهَلَّبيُّ:

صَبَغْتُ الرأسَ خَتْلاً[6] للغواني ... كما غَطّى على الرَيْبِ[7] المُريبُ
أُعَلِّلُ مرةً وأُسَامُ أخرى ... ولا تُحْصى من الكِبَرِ العُيوبُ
أُسَوِّفُ توبَتي خمسينَ عاماً ... وظَنّي أن مِثْلي لا يتوبُ
يُقَوَّمُ بالثِقافِ[8] العودُ لَدْناً[9] ... ولا يَتَقَوَّمُ العودُ الصَليبُ

وقال مالك بن دينار: جاهِدوا أهواءكم كما تُجاهِدونَ أعداءكم. وكان يقول ما أشدَّ فِطامَ الكبير. وقال آخر:

---

(١) الوسمة: بكسر السين وقد تسكن وهي نبت أو شجر باليمن يخضب بورقة الشعر.
(٢) القتير: الشيب.
(٣) الخطر: بالكسر يختضب به.
(٤) تدين: تقرب.
(٥) الترائب: عظام الصدر.
(٦) ختلاً: الخداع والمراوغه.
(٧) الريب: الشك والأتهام.
(٨) الثقاف: بالكسر ما تقوم به الرماح.
(٩) اللدن: بالفتح اللين من كل شيء

دعي لَـوْمي ومَعْتَبتي أُمـامـا فـإنـي لـم أعَـوَّدْ أن أُلامـا
وكيف مَلامتي إذْ شابَ رأسي على خُلُقٍ نشـأتُ بـه غُـلامـا

وقيل لأعرابي: ألا تُغَيِّرُ شيبك بالخضاب؟ فقال: بلى. ففعل ذاك مرة ثم لم يُعاوِدْ. فقيل له: لِمَ لا تُعاوِدُ الخِضابَ؟ فقال: يا هَناهُ لقد شَدَّ لَحْيايَ فجعلت إخالُني ميتاً. وقال بعض المُحْدَثينَ، وهو محمود الورَّاقُ:

يـا خـاضِبَ الشَّيْبِ الـذي فـي كـل ثـالـثـةٍ يَـعـودُ
إن الـنُـصـولَ[1] إذا بـدا فـكـأنـه شَيْـبٌ جـديـد
ولـه بَـديـهـةُ لَـوْعـةٍ مكـروهُهـا أبـداً عَتيـد[2]
فـدَعِ الـمشيـبَ لِـمـا أرا دَ فَلَنْ يَعـودَ كـمـا تُـريـد

وقال محمود أيضاً:

أليس عَجيبـاً بـأنَّ الـفتى يُصاب ببعض الذي في يَدَيْهِ
فمِنْ بين بـاكٍ لـه مـوجَـعٍ وبيـن مُـعَـزٍّ مُغِذٍّ[3] إلـيـهِ
ويَسْلبُهُ الشيبُ شرْخَ[4] الشباب فليس يُعَـزِّيـهِ خَـلْقٌ عليـهِ

وقال أيضاً:

يـا خاضبَ الشَيبةِ نُـحْ فَقْدَهـا فـإنـمـا تُـدْرِجُهـا فـي كَفَـنْ
أمـا تَـراهـا مُنْـذُ عـايَنْتَهـا تَـزيدُ في الـرأس بنقص البَـدَنْ

وقال أيضاً:

إغْتَنِمْ غَفْلةَ المَنـيَّـة واعـلم أنمـا الشيبُ لـلمنيـة جَسْـرُ
كم كبيـرٍ يـوم القيـامـة يُقْصَى وصَغيـرٍ لـه هنـالـك قَـدْرُ

---

(١) النصول: مصدر، يقال نصلت الحية إذا خرجت من الخضاب.
(٢) العتيد: الحاضر، المستعد.
(٣) مغذ: المسرع في السير.
(٤) شرخ الشباب: بالفتح أوله هو نضارته وقوته وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين والجمع قيل هو جمع شارخ كشارب وشرب.

(قال أبو الحسن: يقال جِسْرٌ وجَسْرٌ، وهو مأخوذ من الناقة الكبيرة يقال لها الجَسْرُ). وقال أعرابي (هو أبو النَجْم):

قالت سُلَيْمى أنتَ شيخٌ أنْزَعُ[1] فقلتُ ما ذاكِ وإنّي أصْلَعُ[2]
ثم حَسَرْتُ عن صَفاةٍ[3] تلْمَعُ فأقبلتْ قائلةٌ تسترجعُ
ما رأسُ ذا إلا جَبينٌ أجْمَعُ

وقال آخر وهو رُؤْبَةَ:

قد تَرَكَ الدهرُ صَفاتي صَفْصَفا[4] فصار رأسي جَبْهةً إلى القفا
كأن قد كان رَبْعاً فعَفا يُمْسي ويُضْحي للمَنايا هَدَفا

لنصر بن حجاج

وكان نَصْرُ بن حَجّاج بن عِلاطٍ السُلَمِيُّ ثم البَهْزِيُّ[5] جميلاً، فعَثَرَ عليه عمر ابن الخطاب رحمه الله، في أمرٍ اللّهُ أعلم به، فحلق رأسه. وكان عمرُ أصْلَعَ لم يَبْقَ من شعره إلاّ حِفافٌ[6]، كذلك قال الأصمعي. فقال نصر بن حجّاج:

لَضَنّ ابنُ خَطّاب عليَّ بجُمَّةٍ إذا رُجِّلَتْ تهتزُّ هَزّ السلاسلِ
فصَلَّعَ رأساً لم يُصَلِّعْهُ ربُّهُ يَرِفُّ رفيفاً[7] بعد أسْودَ جاثِلِ[8]
لقد حَسَدَ القُرْعانُ أصْلَعَ لم يكن إذا ما مشى بالفَرْعِ بالمُتخايلِ

---

(١) أنزع: الذي انحسر شعر مقدم رأسه مما فوق الجبين.
(٢) الأصلع: الذي انحسر شعره عن رأسه.
(٣) صفاة: الحجر الأملس وهنا كناية عن الرأس الأصلع.
(٤) الصفصف: الذي لا نبات فيه.
(٥) البهزي: نسبة إلى بهز بالفتح حي من العرب.
(٦) حفاف: إنشكاف الشعر عن وسط الرأس.
(٧) يرف رفيفاً: يبرق أو يلمع.
(٨) الجاثل: الشعر الكثير الملتف الأسود.

قوله: بالفَرع بالمتخايل، ليس أنه جعل بالفرع من صلة المتخايل فيكون معناه بالذي يَخْتال بالفرع، فيكون قد قدّمَ الصِلةَ على الموصول، ولكنه جعل قوله بالفرع تبيينا، فصار بمنزلة بك التي تقع بعد مَرْحَباً للتبيين، وقد مرّ تفسير هذا مستقصىً في الكتاب المُقْتَضَبِ وقال آخر:

تُغَطّي نُمَيْرٌ بالعمائم لُؤْمَها ... وكيف يُغَطّي اللُؤْمَ طَيُّ العمائم
فإن تَضْربونا بالسِيّاطِ فإننا ... ضربناكمُ بالمُرْهَفاتِ[1] الصوارم
وإن تَحْلِقوا منا الرؤوس[2] فإننا ... حَلَقنا رؤوساً باللَها[3] والغَلاصِم[4]
وإنْ تمْنعوا منا السِلاحَ فعندنا ... سلاحٌ لنا لا يُشْتَرى بالدراهم
جَلاميدُ[5] أمْلاءُ الأكُفِّ كأنها ... رؤوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالمَواسم

وكان يزيد بن الطَثَرِيَّةِ[6] غَزِلاً[7] وكان أخوه ثورٌ ذا مال، فكان يزيد يأتي العطّار فيقول: ادْهُنّي دَهْنةً بناقة من إبل ثور، فيفعل ذلك. وكان ذا جُمَّةٍ حَسَنَةٍ، فإذا كثر عليه الدين هرب فَتَبَدّى، فإذا ذُكِرَ حُوشِيَّةَ، وهي امرأة كان يُشَبِّبُ بها (حوشيَّةُ بنت أبي فُدَيْكِ بن قُرَّةَ، ولها مع يزيد حديثٌ طَريفٌ) قدِمَ فاقتطعَ من إبل أخيه ما يَقْضي به دَيْنه. وفي ذلك يقول:

قضَى غُرَمائي حُبُّ أسماءَ بعدما ... تَخَوّفني ظُلْمٌ لهم وفُجور
فذلك دَأبي ما حَييتُ وما مَشَى ... لِثَوْرٍ على ظهرِ الفلاة بعير

فاسْتَعْدى عليه ثورٌ السلطانَ فأمر بحلق رأسه. فقال:

---

(١) المرهفات: السيوف.
(٢) حلقنا الرؤوس: أي قطعناها وأزلناها عن مواضعها وعبر عنه بالحق مشاكلة.
(٣) اللهاة: بالفتح.
(٤) الغلاصم: جمع غلصمة.
(٥) الجلاميد واحدها جلمود وهو الصخر.
(٦) الطثرية، بالتحريك: أم يزيد وهو شاعر مجيد إسلامي من بني قشير.
(٧) الغزل بالكسر المنعزل بالنساء.

أقـول لثَـوْرٍ وهـو يحلِق لِمَّـتي ... بعَقفـاءَ[1] مـردودٌ عليهـا نِصابُها[2]

تَـرَفَّقْ بـا يـا ثـورُ ليس ثـوابُها ... بهـذا ولكنْ عنـد ربي ثـوابُهـا

ألا ربمـا يـا ثـورُ فَـرَّقَ بينهـا ... أنامِلُ رَخْصاتٌ[3] حديثٌ خضـابُها

فيَهْلِكُ مِدْرى[4] العاجِ في مُدْلَهِمّةٍ ... إذا لم تُفَـرَّجْ مـات غمّـاً صُؤابُهـا

فجـاء بهـا ثـور تَـرفٌ كـأنهـا ... سـلاسِـلُ بَـرْقٍ لينُهـا وانْسِكـابُهـا

ورُحْتُ برأسٍ كالصَّخَيْرةِ[5] أشْرَفَتْ ... عليهـا عُقابٌ ثم طـارتْ عُقـابهـا

خداريَّةٌ[6] كالشرْيةِ[7] الفَرْدِ جادَها ... من الصيف أنـواءٌ مَطيـرٌ سَحابُهـا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) العقفا: حديدة قد لوى طرفها وفيها أنحناء

(٢) النصاب: جزأة السكين.

(٣) رخصات: جمع رخصة صفة الانامل وهي اللينة غير الكزة.

(٤) المدرى: بفتح الراء، المشط.

(٥) الضمير مصغر صخرة.

(٦) خدارية بالضم العقاب.

(٧) الشرية: النخلة.

٣٩ ـ باب
قيس بن عاصم يخاطب زوجته

قال رجل من المتقدمين وهو قيس بن عاصم المِنْقَريُّ:

أيا ابنةَ عبدِ اللَّهِ وابنة مالكٍ ... ويا ابنةَ ذي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذا ما أَصَبْتِ الزادَ فالتمسي له ... أكيلاً فإني لستُ آكِلَهُ وحْدي
قَصِيّاً كَريماً أو قَريباً فإنني ... أخافُ مَذَمَّاتِ الأحاديثِ من بعدي
وإني لَعَبْدُ الضَيْفِ ما دام ثاوياً ... وما من خِلالي غيرَها شيمةُ العبدِ

غيرها استثناء مقدم وقد مضى تفسيرُه، وقوله: قصياً كريماً، من طَريف المَعاني. وذلك انه لم يحتج إلى أن يشترط في نِسْبته الكَرَمَ لأنه قد ضَمِنَ ذلك واشتراط في القَصِيِّ أن يكون كريماً لأنه كره أن يكون مُؤاكِلهُ غيرَ كَريمٍ وهذا ليس من الباب الذي ذكره جرير، حيث يقول في هجائه بني هِزَّانَ:

ضَيْفُكمْ جائع إن لم يَبِتْ غَزِلا ... وجارُكمْ يا بني هِزَّانَ مَسروقُ
رأيتُ هِزّانَ في أخراجِ نِسْوتِها ... رَحْبٌ وهِزّانُ في أخلاقها ضيقُ

وقال آخر من المُحْدَثينَ وهو يحيى بن نوفل أنشده دِعْبِلٌ:

كنتُ ضيفاً بِبَرْمَنايا لعبدِ الـ ... ـلَّه والضيفُ حقُّه معلوم
فانْبَرى يَمدحُ الصيامَ إلى أن ... صُمْتُ يوماً ما كنتُ فيه أصومُ
ثم أنشا يَسْتامُ بُرْذَوْنيَ الوَرْ ... دَ مُلِحّاً كما يُلِحُّ الغَريم

(قال الأخفش يروي بِرْذَوْنيَ الزَرْدَ وهو الأصفر)[1]:

---

(١) البرذون: الدابة والبراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العرب.

وَلَعَمْـــري إنَّ ابـنَ قَيْـلةَ إذا يَسْـ ـتـامُ بِـرْذَوْنَ ضـيفِـه لـلئيـم

وقال رجل أنشدنيه السِجِسْتانيُّ بقولـه لابن دَعْلَجٍ، وكان ابن دعلج يتـوالى بني تميم:

إذا جئتَ الأمـير فقـلْ سَـلامٌ عليـكَ ورحمـةُ اللَّهِ الـرحيمِ
وأمّـا بَـعْـدَ ذاكَ فـلي غـريـمٌ من الأعْـراب قُبِّحَ من غـريم
لَـزومُ مـا عَلِمْتُ ببـاب داري لـزومَ الكهفِ أصحابُ الـرَّقيمِ
لـه مـائـةٌ عـليَّ ونصفُ أخـرى ونصفُ النِصْفُ في صَـكٍّ قـديم
دراهمُ مـا انفـعتُ بهـا ولـكن حَبَـوْتُ بهـا شيـوخَ بني تميم

(زاد أبو الحسن:

أتَـوْنيَ في العَشيـرة يسـألـوني ولم أكُ في الـعَشيـرة بـالمُليـمِ

قـال أبو الحسن: لم يعـرف أبو العبـاس هذا البيت الأخـير وهو صحيح).

وجاوَرَ قيسُ بن عاصم بنِ سِنان بن مِنْقَر بن عُبيـدٍ تاجـراً خَمّاراً، فشـرب شرابـهُ وأخذ متاعه ثم أوثقه، فقال: أفْدِ نفسك. وقال في ذلك:

وتـاجِـرٍ فـاجِـرٍ جـاءَ الإلـهُ بـه كـأنَّ عُثْنونَـهُ أذْنـابُ أجمـالِ

(قـال ذلك لأن ذَنبَ البعـير يَضْرِبُ إلى الصُهْبـةِ وفيه استـواء، وهـو يشبـه اللِحْيةَ). وقال النَمِرُ بن تَوْلَبٍ:

إذا كـنـتَ في سَـعْـدٍ وأمُّـكَ مـنهـم غـريباً فـلا يَغْرُرْكَ خـالُـكَمن سعدِ[1]
فـإن ابن أخت القـوم مُضْفى إنـاؤُهُ إذا لم يَـزاحِـمْ خـالَـهُ بـاب جَـلْدِ

قيس بن عاصم يقسم الصدقات

واستعمـل رسولُ اللَّه ﷺ قَيْسَ بن عـاصم على صـدقات بني سعـد، فتوفي رسول اللَّه ﷺ فقسمها قيس بعدُ في بني مِنْقَرٍ، وقال:

(١) في العرب سعـود كثيرة: سعد تميم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر وغير ذلك.

مَن مُبْلِغٌ عنّي قُريشاً رِسالةً إذا ما أتتها مُحْكَماتُ الوَدائعِ
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ في العام مِنْقَراً وأيأسْتُ منها كلَّ أطلَسَ طامِعِ

وجاور عُرْوةُ بن مُرَّةَ أخو أبي خِراشٍ الهُذليِّ ثُمالةَ من الأزْد، فجلس يوماً بفِناء بيته آمِناً لا يخاف شيئاً، فاستدبره رجل منهم من بني بَلاَّلٍ بسهمٍ فقَصَمَ صُلْبَهُ، ففي ذلك يقول أبو خراش:

لَعَنَ الالهُ وجُوهَ قومٍ رُضَّعٍ غَدَروا بعُرْوةَ من بني بَلاَّلِ

وأُسِرَ خراشُ بن أبي خراش أسَرَته ثُمالةُ، فكان فيهم مقيماً، فدعا اسرُهُ يوماً رجلاً منهم للمنادمة، فرأى ابنَ أبي خراش موثَقاً في القِدِّ، فأمْهَلَ حتى قام الآسِرُ لحاجة. فقال المَدعو لابن أبي خراش: مَنْ أنت؟ قال: أنا ابن أبي خراش. فقال: كيف دِلِّيلاكَ؟ قال: قَطاةٌ. قال: فقم فاجلس ورائي وألقى عليه رِداءَهُ، ورجع صاحبه فلما رأى ذلك أصْلَتَ بالسيف. وقال: أسيري فَتَثَلَ المجيرُ كِنانَتَه وقال: واللَّه لأرْمِيَنَّكَ أن رُمْتَهُ فإني قد أجرته، فَخَلَّى عنه، فجاء إلى أبيه، فقال له: من أجارك؟ فقال: واللَّه ما أعرفه. فقال أبو خراش، وقال الرواة: لا نعرف أحداً مَدَحَ مَنْ لا يَعرِفُ غير أبي خراش.

حَمِدْتُ الهي بعد عُرْوةَ إذا نَجا خراشٌ وبعضُ الشرِّ أهْوَنُ من بعض
فوالله لا أنسَى قَتيلاً رُزِيتُهُ بجانب قُوسَى ما مَشَيتُ على الأرض
بَلى إنها تَعْفُو الكُلومُ وإنما نُوَكَّلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يَمْضي
ولم أدْرِ مَنْ ألْقى عليه رداءَهُ على أنه قد سُلَّ عن ماجدٍ مَحْض
(ولم يَكُ مَثلوجَ الفُؤاد[1] مُهَبَّجا[2] أضاعَ الشَباب في الرَبيلةِ[3] والخَفْضِ[4]

---

(١) مثلوج الفوائد: منشرح الصدر.
(٢) المهبج: منتفخ الوجه.
(٣) الربيلة: كسفينة النعمة والسخي.
(٤) الخفض: الدعة وحسن العيش.

ولكنه قد لَوَّحَتْـهُ[1] مَخـامِصٌ[2] على أنه ذو مِـرَّةٍ صـادقُ النَّهْضِ
كـأنهمُ يَسْعَـوْنَ في إثـرِ طـائـر خفيفِ المُشاشِ[3] عَظمُهُ غيرذي نحْضِ
يبـادر جُنْحَ الليـلِ فهـو مُهـابِـذٌ يَحُثُّ الجنـاحَ بـالتَّبَسُّطِ والقَبضِ

قوله: قَبَحَ الإله وجوه قوم رُضَّـع، فهو جماعة راضـع، وقوم يقـولون هـو توكيد للئيم، كما يقولون: جائع نائعٌ، وَحَسَنٌ بَسَنٌ، وعطشان نَطْشـان، وأجمَعُ أكتَعُ. وقوم يقولون: الراضع هو الذي يرتضع من الضَـرْع لئلا يسْمـع الضيفُ أو الجار صوتَ الحَلَبِ فَيَطلُبَ منه.

في الهجاء

وتصـديقُ ذلك مـا أنشدَنـاهُ أبو عثمـان عمرو بن بحـر لرجـل من الأعراب يَنْسُبُ ابنَ عمٍّ إلى اللؤم والتوحش:

أحَبُّ شيء إليـه أن يكـون لـه حُلْقـومُ وادٍ لـه في جوفـه غـارُ
لا تَعْرِفُ الريحُ مُمْساهُ ومُصْبَحَهُ ولا يُـشَـبُّ إذا أمْسى لـه نـارُ
لا يَحْلُبُ الضَرْعَ لؤماً في الاناء ولا يُـرى له في نـواحي الصَّحْن آثـارُ

وقوله: كيف دليـلاك فهـي كثرة الـدِلالة والفِعِّيـل إنما تستعمـل في الكثرة. يقال: القتِّي لكثرة التَّميمـة، ويقال الهِجِّيـرَي لكثرة الكلمـة المترددة عـلى لسان الرجل. يقال. ذكْرُك هِجّيراى، أي هو الـذي يجري عـلى لساني، وفي الحـديث كان هِجّيرَى أبي بكر الصديق رحمه الله بلا إله إلاّ الله. ويقال: كـان بينهم رميّاً لكثرة الرَّمْي، وكذلك كل ما أشبـه هذا. وقـوله: بجـانب قُوسَى فهـو بلد نَخْلُهُ ثُمالةٌ بالسراة. وقوله: بلى إنها تعفو الكلوم، فهي الجِراحُ والآثار التي تشبهها.

قال جرير:

---

(١) لوحته: غيرت.

(٢) المخامص: المجاعات التي تورث خمص البطن وضمور.

(٣) المشاش بالضم: رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين.

تَلْقى السُّلَيطيّ[1] والأبطالُ قد كُلِموا وَسْطَ الرجال سليماً غير مكلوم

وينشَد وسط الرِحال، وتعفو تَرُسُ. وقوله: عظمه غير ذي نحض النَحْضُ اللحم، يقال: يأكل نحضاً. ويُرَوِّي الرجال مَحْضاً[2] وقوله: فهو مهابذ يقول مجتهد وهُذَيْل فيها سعيٌ شديد، وفي جماعة من القبائل التي تَحُلُّ بأكناف الحجاز

حديث الحطيئة مع الزبرقان

ولقي الزِبْرِقانُ بنبَدْرٍ[3] وهو قاصدٌ بصَدقاتِ قومه إلى أبي بكر الصديق رحمه اللّه الحُطَيْئةَ في طريقه، فقال له الزبرقانُ: مَن أنت؟ فقال: أنا أبو مُلَيْكةَ أنا حَسَبٌ موضوع فقال له الزبرقانُ: إني أريد هذا الوجه ومالَكَ منزلٌ فامْضِ إلى منزلي بهذا السَهْمِ فَسَلْ عن القَمَرَ بن القَمَر وكن هناك حتى أعود إليك، ففعل. فأنزلوه وأكرموه فأقام فيهم فحسدهم عليه بنو عمهم من بني قُرَيْعٍ. وذلك أن الزبرقان من بني بَهْدَلَةَ بن عوف بن كَعْبِ بن سعد بن زيد مَناةَ بن تميم وحاسدوه بنو قُرَيْعِ بن عوف بن كعب بن سعد. ولم يكن لعوف إلاّ قريع وعُطارِدٌ وبَهْدلةُ وكان الذين حسدوه منهم بنو لأي بن شمّاسِ بن أنْفِ الناقةِ بن قريع. فَدَسُّوا إلى الحطيئة أن تَحَوَّلْ إلينا نُعْطِكَ مائة ناقة ونشدَّ كل طُنُبٍ من أطناب بيتكِ بجِلّةٍ بَحْوَنةٍ[4] قال :فأنّى لي بذلك. قالوا: إنهم يريدون النُجْعةَ[5]، فإذا احتملوا فتَخلَّفْ

---

(١) السليطي: نسبة إلى سليط كأمير وهو أبو قبيلة من العرب.

(٢) محضاً: خالصاً.

(٣) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي، صحابي، وفد على النبي ﷺ في قومه، سنة تسع. وهو من رؤوسائهم.
ويقال إن اسمه الحصين، وسمي بالزبرقان لحسنه، تشبيهاً له بالبدر. كان سيداً شاعراً فصيحاً، فيه جفاء الأعراب. توفي نحو سنة ٤٥ هـ بعد أن تولى على قومه لكل من أبي بكر عمر رضي اللّه عنهما.
أنظر طبقات الشعراء ٥٠، الأغاني ٢/٥٢ الشعر والشعراء: ٢٣٣، العقد ٣/١٩، الاستيعاب ٥٦١ وكتب الصحابة أيضاً.

(٤) بحونة بفتح الباء وسكون الحاء وفتح الواو هي الواسعة البطن.

(٥) النجعة بالضم: طلب الكلأ ومساقط الغيث.

عنهم. ثم دَسُّوا إلى امرأة الزبرقان، مَن خَبَّرَ بأن الزبرقان إنما قدَّم هذا الشيخَ ليتزوج ابنته، فقَدَح ذلك في قلبها، فلما تحمل القوم تخلَّف الحطيئةُ فاحتمله القُرَيْعيُّونَ فَبَنَوْا له ووَفَوْا له. فلما جاء الزبرقانُ صار إليهم، فقال: رُدُّوا عليّ جاري. فقالوا: ليس لك بجار وقد طرحتَه، فذلك حيث يقول الحطيئة:

وإنّ التي نَكَّبْتُها عن مَعاشِرٍ ... عَليَّ غِضابٍ أنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا
أتَتْ آلَ شمّاس بن لأيٍ وإنما ... أتاهم بها الألْأمُ والحَسَبُ العِدُّ
فإن الشَقيَّ مَنْ تُعادي صُدورهُمْ ... وذا الجَدِّ من لانوا إليه ومَنْ ودُّوا
يَسوسونَ أحلاماً بَعيداً أناتُها ... وإن غضِبوا جاء الحَفيظةُ والجِدُّ
أقِلُّوا عليهم لا أباً لأبيكم ... من اللَّوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئك قوم إن بَنَوْا أحسنوا البُنا ... وإن عاهدوا أوْفَوْا وإن عقدوا شدُّوا
وإن كانت النعماءُ[1] فيهمُ جَزَوْا بها ... وإن أنْعموا لا كدّروها ولا كدُّوا
وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدهر رُدُّوا فضل أحلامكم رَدُّوا
وتَعْذُلُني أفناءُ سعدٍ[2] عليهمُ ... وما قلتُ إلاّ بالذي علِمتْ سعدُ

قوله: جلة بحونة أي ضخمة، يقال ذلك للناقة والنخلة إذا استفحلتْ وطالت. وقوله: نكبتها، يقول عدلت بها. وقوله: والحسب العِدُّ معناه الجليل الكثير. وأصل ذلك في الماء، يقال بئر عدٌّ إذا كانت ذات مادة من العيون لا تنقطع، وكل ماء ثابت فهو عِدٌّ. وقوله: يسوسون أحلاماً بعيداً أناتُها، يقول: ثِقالٌ لا يُبْلَغُ آخرها، وأصل الاناة من التأني والانتظارِ، فيقول: لا يُبْلَغُ آخرها فتُسَفَّهَ. وقوله: أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البُنا وإن شئت قلت البِنا، فهما مقصوران، يقال: بَنى بِنْيةَ وبُنْيةِ بنىً، وجمع بُنْيةٍ بُنىً فبنية وبِنىً ككِسْرةٍ وكِسَرٍ، وبُنية وبُننىً كظُلْمة وظُلَمَ. فأما المصدر من بنيتُ، فممدود، يقال بنيته بناء حسناً وما أحسن بناءك. وقوله: وإن عاهدوا أوفوا، أوْفى في أحسن اللغتين، يقال وَفى أوْفى، قال الشاعر فجمع اللغتين.

---

(١) النعماء: إن كانت النعماء الخ ـ يقول أن أحسن إليهم محسن كافاوؤه على إحسانه.
(٢) أخناء سعد: أخلاطهم.

أما ابنِ بِيضٌ[1] فقد أوْفى بذمّتِهِ كما وَفى بقِلاصِ النجم حاديها

وفي القرآن: ﴿بَلى مَن أوْفى بعَهْده﴾[2]. وقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وأوفوا بعهد اللّه إذا عاهدتم﴾[3]. وقال عز وجل: ﴿والموفونَ بعهدهم إذا عاهدوا﴾[4]. فهذا كله على أوْفى. وقال رسول اللّه ﷺ فيما روى من أنه قَتَلَ مسلماً بمعاهَدٍ. وقال: أنا أوْلى مَن أوفى بذمته. وقال السَمَوْأَلُ في اللغة الأخرى:

وفَيْتُ بأدْرُعِ الكِنْديِّ إني إذا عاهدتُ أقواماً وَفيْتُ

وقال المُكَعْبَرُ الضَبِّيُّ (قال أبو الحسن حفظي المُكَعْبِرُ):

وَفيْتُ وفاءً لم يَرَ الناسُ مثله بتِعْشارَ[5] إذ تَحْبو إليَّ الأكابرُ

وقوله:

وإن كانت النَعْماءُ فيهم جَزَوْا بها وإن أنعَموا لاكدَّروها ولا كدّوا

يقول ما قال جرير مثلَه:

وإني لاسْتَحْيي أخي أن أرى له عليّ من الحق الذي لا يَرى لِيا

يقول استحيي أن أرى نعمته عليّ ولا يرى على نفسه لي مثلها. وقوله: على حُلِّ حادثٍ، فهو الجليل من الامر. يقال: فلانٌ يُدْعى للجُلَّى. قال طَرفَةُ:

وإن أُدعَ للجُلَّى أكنْ من حُماتها.

---

(١) ابن بيض: بكسر الباء الموحدة وقد يفتح أو هو وهم من حكاه.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٦.

(٣) سورة النحل: الآية ٩١.

(٤) سورة البقرة الآية ١٧٧.

(٥) بتعشار: اسم موضع.

حديث الحطيئة لأبناء عم الزبرقان

وفيهم يقول الحطيئة:

لقد مَرَيْتُكمُ[1] لو أن دِرَّتَكُمْ[2] يوماً يجيءُ بها مَسْحي وإبْساسي
لما بَدا ليَ منك غَيْبُ أنفسكم ولم يكن لجراحي فيكمُ آسي[3]
أزْمَعْتُ يأساً مُبيناً من نَوالِكمُ ولا ترى طارداً للحُرِّ كاليأس
ما كان ذنبُ بغيضٍ لا أبالكمُ في بائِس[4] جاء يحدُو آخِرَ الناس
جارٍ لقوم أطالوا هُونَ منزله وغادروهُ مُقيماً بين أرْماس
مَلُّوا قِراهُ وهَرَّتْهُ كلابهمُ وجَرّحوه بأنياب وأضْراس
دعِ المَكارمَ لا تَرْحَلْ لِبغْيتها واقعُد فإنك أنتَ الطاعِمُ الكاسي
مَن يفعل الخيرَ لا يَعدَمْ جَوازيَهُ لا يَذْهبُ العُرْفُ بين اللّه والناس

قوله: لقد مريتكم، أصل المَرْيِ المسح، يقال: مَرَيْتُ الناقة إذا مسحتَ ضَرْعها لِتدُرّ. ويقال: مَرَى الفرسُ والناقةُ إذا قام أحدُهما على ثلاث ومَسَحَ الأرضَ بيده الأخرى، قال الشاعر:

إذا حُطَّ عنها الرحلُ ألقتْ بِرأسِها إلى شَذَبِ[5] العِيدانِ أو صَفَنَتْ[6] تمري[7]

وهذا من أحسن أوصافها. وقال بعض المُحْدَثين يَصِفُ بِرْذَوْنا بحسن الأدَبِ). الشّعر لمحمد بن يزيد من ولد مَسْلمة بن عبد الملك يصف فرسه وقبله:

---

(١) مريتكم: طلبت ما عندكم.
(٢) درتكم: الدرة بالكسر اللين.
(٣) آسي: المداوي.
(٤) بائس: أراد به نفسه وهو الذي أصابته مصيبة.
(٥) شذب العيدان: قطع الشجر.
(٦) صفنت: قامت على ثلاث قوائم.
(٧) تمري: تمسح الأرض.

عَـوَّدْتُـهُ فـيـمـا أزورُ حِـبـابي إهـمـالَـهُ وكـذاكَ كـلُّ مُخاطِرِ[1]
وإذا احْتَبى قـرَبـوسَـهُ بعِنـانِـهِ عَلكَ اللجامَ إلى انصراف الزائر

ويقال مَراه مائة سوط ومائة درهم إذا أوصل ذلك إليه، ولِمَراهُ موضع آخر ومعناه مَراهُ حقه إذا دفعه عنه ومنعه منه، وقد قرِيء: أفَتَمْرونَهُ على ما يَرى، أي تدفعونه، وعلى، في موضع: عن. قال العامري (هو القُحَيْفُ العُقَيْلي):

إذا رَضيَتْ عـليّ بنـو قُشَـيْرٍ لَعَمْـرُ اللّه أعجبني رِضـاهـا

وبنو كعبِ بن ربيعةَ بن غامر يقولون: رضي اللّه عليك. وأما الإبْساسُ فإن تدعو الناقة باسمها أو تُلَيِّنَ لها الطريق إلى الحَلَبِ، بقولٍ أو مسح أو ما أشبه ذلك. فإذا كانت الناقةُ تَدُرُّ على الدعاء والمَلَقِ. قيل: ناقة بَسوسٌ، وذلك من صفاتها في حسن الخُلُق. وقوله: ولم يكن لجراحي فيكم آسي. يقول مداوٍ: والآسي الطبيب. قال الفرزدقُ يصف شَجّةَ:

إذا نَـظَرَ الآسـونَ فيهـا تَـقَـلَّبَـتْ خَـمـالِيقُهُمْ من هول أنيابها العُصْل

والإساءُ الدواء ممدود. قال الحطيئة:

هُمُ الآسـونَ أمّ الـرأسِ لَمّـا تَـواكَـلَهـا الأطِبّـةُ والإسـاءُ

وأما الأسَى فمقصور وهو الحُزْنُ، من ذلك قول اللّه جل ثناؤه ﴿فلا تأسَ على القوم الكافرين﴾[2]. وقال العَجّاجُ:

يـا صاحِ هـل تَعْرِفُ رَسماً مُكْرَمـا قـال: نـعَـمْ أعْـرِفُـهُ وأبْـلسـا
وانْحَلَبَتْ عينـاه مـن فَـرْطِ الأسَـى

فإذا قلت الأُسَى قصرتَ، وهو جمع أُسْوةٍ. يقال: فلان أُسوتي وقُدْوتي. قال اللّه عز وجل: ﴿لقد كان لكم في رسول اللّه أُسْوةٌ حسنةٌ﴾[3]. والرِّمْسُ

---

(١) مخاطر: الذي اشفى نفسه على خطر.
(٢) سورة المائدة: الآية ٦٣.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

التراب. يقال: رُمِسَ فلان في قبره، وأشعار الحُطيئة في هذا الباب كثيرة ولولا أنها معروفة مشهورة لأتينا على آخرها، ولكننا نذكر منها شيئاً مختاراً. فمن ذلك قوله:

جَزَى اللّه خيراً والجَزاءُ بكفِّهِ ... على خير ما يَجْزي الرجال بغيضا
فلو شاء إذ جئناه ضَنَّ فلم يُلَمْ ... وصادف مَنّاً في البلاد عَريضا

كذا وقعت الرواية مَنّاً والصواب مَنْئاً[1]، أي بُعداً، مأخوذٌ من نَأيْتُ إذا بَعُدْتَ ومنه النأيُ). يقول كثرت محاسنه حتى كُذِّبَ ذامُّهُ فاسْتَغنى عن أن يُكَثِّرَ مادحِهُ ثِقةً بأنّ هاجيه غير مُصَدَّقٍ، فاعْتَبِرْ هذا الكلام فإنك تجدُه رأساً في بابه. ومن ذلك قوله:

وإني قد عَلِقْتُ بحبل قومٍ ... أعانَهُمُ على الحسَب الثَراءُ
إذا نَزَلَ الشِتاءُ بجار قومٍ ... تَجَنَّبَ جارَ بيتِهِمُ الشتاءُ
هُمُ الآسونَ أمّ الرأسِ لَمّا ... تَوَاكَلَها الأطِبَّةُ والإساءُ

ثم قال يخاطب الزِبْرِقانَ ورَهْطَه:

ألم أكُ نائياً فَدَعَوْتُموني ... فجاءَ بيَ المواعدُ والدُعاءُ
فلما كنتُ جارَكُمُ أبيتُمْ ... وشَرُّ مَواطِنِ الحَسَبِ الإباءُ
ولما كنتُ جارَهُمُ حَبَوْني ... وفيكُم كانَ لو شئتمْ جِباءُ
فلما أن مدحتُ القومَ قُلتم ... هجوتَ وهل يَحِلُّ لي الهِجاء
ولم أشْتِمْ لكم حَبَأً ولكن ... حَدَوْتُ بحيث يُسْتَمَعُ الحُداءُ

ويروى أن الحطيئة واسمه جَرْوَلُ بن أوْس ويُكْنى أبا مُليكةَ: مَرَّ بحسان بن ثابت وهو يُنْشِدُ (ش أدخله سيبويه رحمه اللّه على أن الجَفَنات من الجمع الكثير):

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُحى[2] ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دما

---

(١) منئاً: مكاناً بعيداً.

(٢) على البيت مآخذ. فاللمعان في الضحى شيء لا يعتد به، والأسياف جمع قلة وفي نجدة تعني لم يبدأ القتال.

فالتفت إليه، فقال: كيف تَرى؟ فقال: ما أرى بَأساً. فقال حسان: أنظروا إلى الأعرابي يقول: ما أرى بأساً، أبو مَن؟ قال: أبو مُلَيكةَ. قال حسان: ما كنتَ عليَّ أهونَ منك حيث اكْتَنَيْتَ بامرأة، ما اسمُك؟ قال: الحطيئةُ.

استعطاف الحطيئة لعمر

قال: امْضِ بسلام وكان الحطيئة في حبس عمر بن الخطاب رحمه الله باستدعاء الزِبْرقانِ عليه في هذه القصة، ولعمر يقول:

ماذا تقولُ لإفْراخٍ بذي مَرخٍ[1] حُمْرالحواصِلِ[2]لاماءٌ ولا شَجرُ
أَلْقَيْتَ كاسبَهم في قَعْرِ مُظْلمةٍ فاغفِرْ عليك سلامُ اللّه يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقتْ إليك مقاليدَ النُهى البَشرُ
ما آثروكَ بها إذا قَدَّموكَ لها لكنْ بك استأثروا إذ كانتْ الأُثُرُ

ويروى عن أبي زيد الأنصاري أنه قال: ويروى الإثَرُ والواحدة أُثْرةٌ وإثْرة ومعناه الاستئثار، فَرَقَّ له عمر فأخرجه، فيُروى أن رحمه اللّه دعا بكُرسيّ فجلس عليه، ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه، ودعا بإشْفى وشفْرةٍ يُوهِمُهُ أنه على قَطْعِ لسانه حتى ضَجَّ من ذاك، فكان فيما قال له الحطيئة: يا أمير المؤمنين إني واللّه قد هَجَوْتُ أبي وأمي وهجوت امرأتي، وهجوت نفسي فتبسّم عمر رحمه اللّه ثم قال: فما الذي قلتَ؟ قال: قلتُ لأبي وأمي والمخاطَبة للأم:

ولقد رأيتُكِ في النساءِ فَسُؤْتِني وأبا بَنيكِ فساءني في المَجْلس

وقلت لها:

تَنَحَّىْ فاجلسي مِني بَعيداً أراحَ اللّه منكِ العالمينا
أغِرْ بالاً إذا استُودِعْتِ سِرّاً وكانوناً على المُتَحَدِّثينا

---

(١) ذي مرخ: واد بالحجاز.
(٢) حمر الحواصل: كناية عن شدة الجوع والمسغبة.

(قوله: كانوناً قيل الكانون النَمَّامُ، وقيل الثقيل، وقيل الذي إذا دخل على القوم كَنُّوا حديثهم منه، وقيل هو المُصْطَلِي وقيل إنه هو كانون النار لأنه يُؤذي ويُحْرِق) وقلت لامرأتي:

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوي إلى بيتٍ قَعيدتُهُ لُكاعِ[1]

فقال له عمر رحمه الله: فكيف هجوتَ نفسك؟ فقال: اطَّلَعْتُ في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته. فقلت:

أَبَتْ شَفَتايَ اليومَ إلّا تَكَلُّما بسوءٍ فما أدْري لِمَنْ أنا قائلُه
أرى لِيَ وَجْهاً قَبَّحَ اللّه خَلْقَهُ فقُبِّحَ من وجه وقُبِّحَ حامِلُهْ

ونزل أعرابي من طيّىء يقال له المُثَنّى بن معروف بأبي جَبْرٍ الفَزاريِّ فسمعه يوماً يقول: واللّه لَوَدِدْتُ أني أبيتُ الليلة خالياً بابنة عبد الملك بن مَرْوان. فقال له المثنى أحلالاً أم حراماً، فقال: ما أبالي، فَوَثَبَ عليه فضرب رأسه برِحالةٍ ثم انتقل وهو يقول:

أبْلِغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً على النأيِ أني قد وتَرْتُ أبا جَبْرِ
كسرتُ على اليافوخِ منه رِحالةً لنَصْرِ أمير المؤمنين وما يَدْري
على غيرِ شيء غيرَ أني سمعتُهُ بَنى بنساءِ المسلمين بلا مَهْرِ

الحجاج والخوارج

ويروى أن الحجاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعثِ، فقام رجل منهم فقال: أصلح اللّه الأمير، أن لي عليك حقاً قال: وما حَقُّكَ؟ قال: سبّكَ عبدُ الرحمن يوماً، فرددت عليه. قال: من يعلم ذاك؟ قال: أنْشُدُ اللّهَ رجلاً سمع ذاك إلّا شَهِدَ به، فقام رجل من الأسُرَاءِ فقال: قد كان ذاك أيها الأمير، قال: خَلُّوا عنه. ثم قال للشاهد: فما منعَكَ أن تُنكِرَ كما

(١) اللكاع: اللئيمة.

أنكر؟ قال: لقديم بُغضي إيّاكَ. قال: ويُخَلَّى عنه لصدقه. وقال عمر بن الخطاب لرجل وهو أبو مريم السّلوليُّ: واللَّهِ لا أحبّك حتى تُحِبَّ الأرضُ الدَمَ. قال: أفتمنعني حقاً؟ قال: لا. قال: فلا بأس إنما يأسَفُ على الحُبّ النساءُ (وهم أبو العباس رحمه اللَّه في قوله: أبو مريم السلولي إنما هو أبو مريم الحَنَفيُّ، وكان سببُ بغضِهِ إياه أنه قتل أخاه زيدَ بن الخطاب، وكان أبو مريم صاحِبَ مُسَيْلمةَ الكذابِ، واسم أبي مريمٍ إياسُ بن صُبَيْحٍ، ثقةٌ كوفي، واسم أبي مريم السلولي مالك بن ربيعة من الصحابة. وروى عنه ابنه يزيد وغيره). وقال الحجاج لرجل من الخوارج: واللَّه إني لأبغِضُكمْ. فقال له الخارجي: أدخلَ اللَّه أشدنا بغضاً لصاحبه الجنةَ. وأُتيَ الحجاجُ بامرأة من الخوارج فجعلتْ لا تنظر إليه، وكان يزيد بن أبي مسلم يرى رأي الخوارج ويكتم ذاك، فأقبل على المرأة فقال: أنظري إلى الأمير. فقالت: لا أنظر إلى مَنْ لا ينظر اللَّه إليه، فكلمها الحجاج وهي كالساهية. فقال لها يزيد:[1] إسمعي ويْلَكِ من الأمير. فقالت: بل الويل لك أيها الكافرُ الرِدِّيُّ، والرِدِّيُّ عند الخوارج الذي له عَقْدُهمْ ويُظهر خلافه رغبة في الدنيا. وكان صالح بن عبد الرحمن كاتِبَ الحجاج وصاحِبَ دواوين العراق والذي قَلَبَ الدواوين إلى العربية ثم كان على خَراجَ العراق أيام وَلِيَ يزيدُ بن المُهَلَّبِ فأشْجى يزيدَ وقد كان يرى رأي الخوارج فكايَدَهُ يزيدُ بن أبي مسلم مَوْلى الحجاج، فأشار على الحجاج أن يأمره بقتل جَوَّابِ الضَبِّيِّ وهو رأس من رؤوس الخوارج. وقال يَزيدُ أن فَعَلَ بَرِئَتْ منه الخوارجُ وقتلته، وإن أمسك قتله الحجاج، فقتله. وخُبِّرْتُ أنه قال: واللَّه ما قتلتُه رغبة في الحياة، ولكني خفْتُ يَسْبي الحجاجُ بناتي. وكان يقول: إني حين أُقْتَلُ جَوَّاباً لَحَريصٌ على الدنيا، فلما عذبه عمر بن هُبَيْرةَ في خلافة يزيد بن عاتِكةَ رُمِيَ به على قُمامةٍ[2] وهو لِمآبِهِ، فَسُمِعَ يُحَكِّمُ عليها. وحَكَّمَ مالكُ بن المنذر بن الجارود وهو بآخر رَمَقٍ في سجن

---

(١) يزيد بن أبي مسلم وقد كان مولى للحجاج.

(٢) قمامة: كناسة ـ وهو لما به في حال يرجع فيها إلى ربه أي حالة الموت.

هشام بن عبد الملك، ودخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دَميماً، فلما رآه قال: قَبَحَ اللّهُ رجلاً أجرَّكَ رَسَنهُ[1] وأشركك في أمانته. فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين، رأيتَني والأمْرُ لكَ، وهو عنّي مُدْبرٌ ولو رأيتَني والأمر عليَّ مقبل لاستكبرتَ مني ما استصغرْتَ، واستعظمتَ مني ما استحقرتَ. فقال: أتُرى الحجاجَ استقرَّ في قعر الجحيم بعدُ؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا تقل ذاكَ فإن الحجاج وَطَّأ لكم المنابر، وأذلّ لكم الجبابر وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيكَ وعن يسار أخيك، فحيث كانا كان.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) أجرك رسنه: يريد قبح الله رجلاً عفا عنك.

٤٠ ـ باب في تكذيب الأعراب

قال أبو العباس: وهذا باب من تَكاذيب الأعراب، حدثني أبو عمر الجَرْميُّ قال: سألت أبا عبيدة عن قول الراجز:

أهَدَّموا بيتَكَ لاأبا لكا وأنا أمْشي الدَ ألا حَوَالكا

فقلت لمن هذا الشعر؟ فقال: هذا يقوله الضَبُّ للجِسْلِ أيام كانت الأشياءُ تتكلم، الدَإلا مشيٌ كمشي الذئب. يقال: هو يَدْأَلُ في مشيه إذا مشى كمِشْيةِ الذئب، من ذلك قول امرىء القيس أقبَّ[1] حَثيثَ الرَكْضِ والدَألانِ. ومن قال في بيت ابن عَتَمةَ الضَبي:

(حَقيبةُ رَحْلها بَدَنٌ وسرج) تُعارضه مُرَبَّبةٌ دَؤولُ

فإنما أراد هذا. ومن قال دَؤولُ فإنما أراد السرعة، يقال مرَ يَذْأَلُ إذا مرّ يُسْرِعُ. وقوله حَوالكا، يقال: هو يطوف حَوالَهُ وحولَهُ وحَوالَيْهِ. ومن قال حواليهِ بالكسر فقد أخطأ، وفي القرآن نُوديَ أنْ: ﴿بُورِكَ مَنْ في النار﴾[2]، ومن حولها وحوالَيْهِ تثنيه حَوال كما تقول حنانَيْهِ الواحد حَنانٌ. قال الشاعر:

فقالتْ حَنانٌ ما أتى بك هاهنا أذُو نَسَب أم أنتَ بالحيّ عارفُ

والحنان الرحمة. قال اللّه عز وجل: ﴿وحَناناً من لَدُنَّا﴾[3]. وقال

---

(١) الأقب: الضامر، حثيث الركض.

(٢) سورة النمل: الآية ٨.

(٣) سورة مريم: الآية ١٣.

الشاعر (وهو الحُطَيْئةُ) لعمر بن الخطاب رحمه اللّه:

تَحَنَّنَ عليَّ هـداكَ المَليـكُ فـإنّ لكـلّ مَقـامٍ مَـقـالا

وقال طَرفةُ:

أيـا مُنْـذِرٍ أَفَنَيْتَ فـاسْتَبْـقِ بعـضَنـا حَنانَيْكَ[1] بعضُ الشرِّ أهوَنُ من بعض

وحدثني غير واحد من أصحابنا قال: قيل لرُؤبةَ ما قولك؟

لـو أنَّني عُمِّـرْتُ سِنَّ الحِسْـلِ أو عُمْـرَ نـوحٍ زَمَنَ الفِـطَحْـل
والصَخْـرُ مُبْتَلٌّ كمثـل الوَحْـلِ

ما زمنُ الفِطَحْلِ؟ قال: أيامُ كانت السِلامُ رِطاباً. قوله: سن الحسل مَثَلٌ تضربه العرب في طول العمر (ذكر ابن جنّي أن الحسل يعيش ثلثمائة سنة). وأنشدني رجل من بني العَنْبرِ إعرابيٌّ فصيح لعُبَيْدِ بن أيوب العَنبري:

كـأني وليْلىَ لم يكن حَلَّ أهْلُنـا بـوادٍ خصيبٍ والسـلامُ رِطـابُ

وحـدثني سليمان بن عبد اللّه عن أبي العَمَيْثَلِ مـولى العباس بن محمـد، قال: تَكاذَبَ أعرابيان. فقال أحدهما: خرجتُ مرةً على فرس لي فـإذا بظُلمـة شديدة فيَمَّمْتُها حتى وصلتُ إليها فإذا قطعه من الليل لم تَنْتَـهِ، فما زلتُ أحمـل بفرسي عليها حتى أنبَهتُها فانجـابت. فقال الآخـر: لقد رميتُ ظَبْيـاً مرة بسهم فَعَدَلَ الظبي يُمْنةً فعدل السهم خُلفه فتياسَرَ الظبي فتَياسَرَ السهمُ خُلفـه ثم علا الظبيُ فعلا السهمُ خلفه، فانحدر فانحـدر عليه حتى أخـذه. وتزعم الـرواة أن عُرْوةَ بن عُتْبةَ بن جعفـر بن كِلاب. قـال لابني الجوْنِ الكنـديَّينِ يوم جَبَلةَ. أن لي عليكما حقاً لرِحْلتي ووِفادتي فدَعُوني أُنذِر قومي من موضعي هذا. فقالوا: شأنكَ. فصرخ بقومه بعد أن قالا له شأنَكَ، فأسمعهم على مسيرة ليلة.

---

(١) حنانيك: عفوك.

ليلى بنت عروة تنشد لأبيها

يروى عن حماد الراويةِ قال: قالت ليلى بنت عروة بن زَيْد الخيلِ لأبيها: أرأيت قول أبيك؟

بني عامرِ هل تَعْرفون إذا غَدا ... أبو مِكْنفٍ[1] قد شدَّ عَقدَ الدَوابر
بجيش تَضِلُّ البُلْقُ[2] في حَجَراته ... ترى الأكَم منه سُجَّداً للحوافر
وجَمْعٍ كمِثلِ الليلُ مرْتجِس الوَغى ... كثيرِ تَواليه سريعِ البَوادِرِ[3]
ابتْ عادةٌ للوَرْدِ أن يَكرَهَ الوَغى ... وحاجةَ رُمحي في نُمَيْرِ بن عامر

فقلت لأبي: أحضرتَ هذه الوقعة؟ فقال: نعم. قلت: فكم كانت خيلكم؟ قال: ثلاثة أفراس أحدها فرسه. قال فذكرت هذا لابن أبي الهُذَليّ، فحدثني عن أبيه قال: حضرت يوم جَبَلةَ. قال: وكان قد بَلَغَ مائة سنة، وكان قد أدْرَكَ أيامَ الحجاج. قال: فكانت الخيل في الفريقين، مع ما كان مع ابني الجَوْنِ ثلاثين فرساً. قال: فحدَّثْتُ بهذا الحديث الخَثْعَميَّ، وكان راوية أهلِ الكوفة، فحدثني أن خثْعَم قتلتْ رجلاً من بني سُلَيْمِ بن منصور فقالت أخته ترثيه:

لَعَمْري وما عَمْري عليَّ بِهَيِّنٍ ... لَنِعْمَ الفتى غادرتُم آل خَثعَما
وكان إذا ما أوْرَدَ الخيلَ بيشةٌ[4] ... إلى جَنْبِ أشْراجٍ أناحَ فألجَما
فأرسلها رَهْواً رِعالاً كأنها ... جَرادٌ زَهَتْهُ ريحُ نَجْدٍ فأتهما

فقيل لها: كم كانت خيل أخيك؟ فقالت: اللهم، إني لا أعرف إلاّ فرسه. قوله: قد شد عقد الدوابر، يريد عقد دوابر الدرع، فإن الفارس إذا

---

(١) أبو مكنف كمحسن، كنية زيد الخيل الصحابي رضي الله عنه.
(٢) البلق: جمع بلق من البَلَقِ بالتحريك وهو سواد وبياض في الخيل.
(٣) البوادر: جمع بادرة وهي ما يبدو من صوتك في الغضب من فعل أو قول.
(٤) بيشة: بالكسر واد بطريق اليمامة.

حَمِيَ فعَلَ ذلك. وقوله: تضل البلق في حجراتـه، يقول: لكثرته لا يُـرى فيه الأَبْلَقُ، والابلق مشهور المنظَرِ لاختلاف لونيه. من ذلك قوله:

فلئن وقفتَ لَتَخْـطِفَنْـكَ رمـاحُنـا ولئـن هَـرَبْتُ لـيُعْـرَفـنَّ الابـلقُ

وحجـراته نـواحيه وقـوله تـرى الاكم منه سجـداً للحوافـر، يقول: لكثـرة الجيشِ تَطْحنُ الأكمَ حتى تُلْصِقَها بالأرض. وقولـه: كمثل الليـل، يقل كثـرةً فيكاد يَسُدُّ سوادُهُ الأُفُقَ، ولذلك يقال كتيبة خضراء، أي سوداء،وكانت كتيبةُ[1] رسـول اللّه ﷺ التي هـو فيهـا والمهـاجـرون والأنصـارُ يقـال لهـا الخَضْـراءُ. والمُرْتجِسُ الذي يُسْمَعُ صوته ولا يبينُ كلامُهُ. يقال: ارتجسَ الرعد من هـذا، والـوَغى الأصـوات والتـوالي اللواحقُ. يقـال: تـلاه يتلوه إذا اتَّبعَـهُ، وتَلَوْتُ القرآن، أي أتْبعت بعضه بعضاً، والمُتْلِيةُ التي معها أولادُها. وقـوله: فـأرسلها رهواً، يقول ساكنة.

قال اللّه جل وعز: ﴿واترُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾[2]. ويقال: عيـش راهٍ يا فتى، أي ساكن، ورِعالٌ جمع رَعيلٍ وهو ما تقدم من الخيل. يقال: جاء في الرَعيل الأولِ. قال عَنْترةُ:

إذا لا أُبادرُ في المضيق فَوارِسي ولا أُوَكَّـلُ بـالـرَعيـلِ الأولِ

وقوله: زهته ريح نجد فأتهما يقول رفعتْهُ واستخفّته. قال ابن أبي ربيعةَ:

فلمـا تَـواقَفْنـا وسَلَّمْتُ أشـرقتْ وجُـوهٌ زَهاهـا الحُسْنُ أن تَتَقَنَّعـا

ومعنى أتهم أتى تهامةَ.

---

(١) الكتيبة الجماعة أو جماعة الخيل إذا بلغت في المائة إلى الألف وأراد بها كتيبة يوم الفتح وكان الجيش الذي توجه نحو مكة كتائب متفرقه ومعنى كونها خضراء أنه غلب عليها لبس الحديد شبه سواده بالخضرة والعرب تطلق الخضرة على السواد.

(٢) سورة الدخان: الآية ٢٤.

غارة بكر بن وائل على بني تميم

وزعم أبو عبيدة عمن حَدَّثهُ أن بَكْرَ بن وائِلٍ أرادت الغارة على قبائل بني تميم. فقالوا: إن عَلِمَ بنا السُّلَيْكُ أنذَرَهُمْ، فبعثوا فارسين على جوادينُ يريغانِ السُّلَيكَ[1]، فبَصرا به فقصداه، وخرج يمْحَصُ[2] كأنه ظبي، فطارداه سُحابةَ يومهما، فقالا: قاتله اللّهما أشدَّ مَتْنَيهِ، ولعل هذا كان من أول الليل، فلما امتد به الليل قَتَر، فابتعاه فإذا به قد عَثَر بأصل شجرة فندر منها كمكان تلك، وانكسرت قوسه، فارْتَزَّتْ[3] قِصْدةٌ منها في الأرض فنَشِبَتْ. فقالا: قاتله اللّه واللّهِ لانتْبَعُهُ بعد هذا. فرجعا عنه وأتمَّ إلى قومه (ش يروى أتم بألف وتمَّ بغير ألف وتمَّ بالنون ومعنى تم إلى قومه أي نفذ) فأنذرهم فلم يصدقوه لبعد الغاية، ففي ذلك يقول:

يُكَذِّبني العَمْرانِ عَمْرو بن جُنْدُبٍ ... وعمرُو بن كَعْبٍ والمكذِّبُ أكذَبُ
ثَكِلْتُكُمــا إنْ لـم أكن قـدرأيتُها[4] ... كَراديسَ يَهْديها إلى الحيّ مَوْكِبُ
كراديسُ فيها الحَوافَزانُ[5] وحوله ... فوارسُ هَمّامٍ متى يَدْعُ يَرْكَبُ

فصدقه قوم فنجوا، وكذبه قوم فَوَرَدَ عليهم الجيشُ فاكتسحهم[6] وحدثني التوَّزيُّ قال: سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الأخبار من أخبار العرب. فقال لي: إن العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نُحاس وثلثه من رَصاص وثلثه من ثلجٍ فتُعارضها العرب بهذا، وما أشبهه.

---

(١) يريغان يطلبان ـ يريدان.

(٢) يمحص: يعدو.

(٣) ارتزت أي تثبتت وبقيت مكانها.

(٤) رأيتها: يريد خيل الأعداء والكراديس جمع كردوسة بالضم وهي قطعة عظيمة من الخيل والموكب بكسر الكاف اسم للجماعة ركباناً أو مشاة.

(٥) الحوفزان: لقب الحرث بن شريك لأن قيس بن عاصم حفزه بالرمح.

(٦) فاكتسحهم. تغلّب عليهم.

أكاذيب المهلهل في شعره

ومن ذلك قول مُهَلْهِلِ بن رَبيعة:

فلو نُشِـرَ المَقـابـرُ عن كُلَيْبٍ ... فتخبرَ بـالـذَنـائبِ[1] أيُّ زيـرِ
بيـوم الشَعْثَميْنِ[2] لقَـرّ عَيْنـاً ... وكيفَ لِقـاءُ مَنْ تحتَ الـقُبـور
كـأنـا غُـدْوةً وبـني أبـيـنـا ... يحب عُـنَيْـزةٍ رَحيَـا مُـديـرِ
كـأنْ رِمـاحَـهم أشْـطانُ بئـرٍ ... بَعيـدٍ بَـيْنَ جـالـيَهْـا جَـرُورِ
فلولا الـريحُ أسمَـعَ مَنْ بحَجْرٍ ... صَليـلُ البَيْضِ تُقْرَعُ بـالذكـور

(قـال أبو الحسن: يقال فلان زيـرُ نساءٍ، وطِلْبُ نسـاءٍ وتِبْعُ نسـاءٍ وخِلْبُ نساءٍ إذا كان صاحبَ نساءٍ، وذلك أن مهلهلاً كـان صاحبَ نسـاءٍ، فكان كليب يقول: إن مهلهلاً زير نساء ولا يُدْرِكُ بِثأر، فلما أدرك مهلهل بثأر كليب، قال: أيُّ زير فرفع أياً بالابتداء، والخبر محذوف، فكـأنه قـال: أيُّ زيرٍ أنـا في هذا اليوم)؟

فخر أبي ربيع

قال أبو العباس: وحدثني عمرو بن بحر قـال: أتيت الربيـع الغَنَويَّ وكـان من أفصح الناس وأبلغهم ومعي رجل من بني هاشم فقلت: أأبو الربيـع ههنا؟ فخرج إليَّ وهو يقول خرج إليك رجل كـريم، فلما رأى الهـاشميَّ استحيا من فخـر بحضـرتـه فقال: أكـرَمُ الناسِ رديفـاً وأشرفهم حليفـاً. فتحدثنـا مَليّاً ثم نهض الهـاشمي، فقلت لابي الربيـع: يا أبـا الربيـع، مَنْ خَيْـرُ الخلق؟ فقـال النـاس واللّه. فقلت: مَنْ خيرُ النـاسِ؟ قال: العـرب واللّه. قلت: فَمَنْ خيـر العـرب؟ قال: مُضَـرُ واللّه. قلت: فَمَنْ خيـر مُضَـرَ؟ قـال قيسُ واللّه. قلت: فمن خير قيس؟ قال: يَعْصرُ واللّه. قلت: فمن خير يَعصُرَ؟ قال: غنيٌّ واللّه.

---

(١) الذنائب: إسم موضع.

(٢) يوم الشعثمين: لم يفسره العلماء والظاهر أنه موضع كانت به وقعة.

قلت: فمن خير غني؟ قال: المخاطِب لك واللَّه. قلت: أفأنت خير الناس؟ قال: نعم أي واللَّه. قلت: أيَسُرُّكَ أنّ تحتَكَ بنتَ يَزيد بن المهُلَّبِ؟ قال: لا واللَّه. قلت: ولك أَلفُ دينار. قال: لا واللَّه. قلت: فألفا دينار. قال: لا واللَّه. قلت: ولك الجنةُ، فأطرق ثم قال: على أن لا تلِدَ مني وأنشد:

تَأبى لأعْصُرَ أعْراقٌ مُهَذَّبةٌ ... من أن تُناسِبَ قوماً غيرَ أكْفاءِ
فإن يكنْ ذاكَ حتماً لا مَرَدَّ له ... فاذْكُرْ حُذَيْفَ فإني غيرُ أبّاءِ

قوله: أكرم الناس رديفاً، فإن أبا مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ كان رديف رسول اللَّه ﷺ. وقوله: وأشرفهم حَليفاً، كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب. وقوله: فاذكر حذيف أراد حُذَيْفةَ بن بَدْرٍ الفَزاريَّ. وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه أقربهم إليه نسباً، وذاك أن يَعْصُرُ بن سعد بن قيس وهؤلاء بنو رَيْثِ بن غَطَفانَ بن سعد بن قيس. وقد قال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ يهجو ولده يعصر وهم غَنِيٌّ وباهِلةُ والطُفاوةُ:

أباهِلَ ما أدري أمِن لُؤم مَنْصِبي ... أحِبُّكُمُ أم بي جنونٌ وأوْلَقُ[1]
أُسَيِّدُ أخوالي ويَعْصُرٌ[2] إخْوَتي ... فمَنْ ذا الذي مني مع اللؤم أحْمَقُ

فقال الباهلي يجيبه:

وكيف تُحِبُّ الدهرَ قوماً هُمُ الأولى ... نَواصِيَكُمْ في سالف الدهر حَلَّقوا
ألَسْتَ فَزارِيّاً عليكَ غَضاضةٌ[3] ... وإن كنتَ كِنْدِيّاً فإنك مُلْصَقُ

وَتَحَدَّثَ الرواةُ بأن الحجّاجَ رأى محمد بن عبد اللَّه بن نُمَيْرٍ الثَقَفِيَّ وكان يَنْسِبُ بزينب بنت يوسف، فارتاع من نظرِ الحجّاج، فدعا به فلما عرفه قال مبتدئاً:

---

(١) الأولق: الجنون.

(٢) يعصر ـ كينصر أو أعصره قبيلة منها باهلة.

(٣) عليك غضاضة: أي ذل ونقص.

هاكَ يَدي ضاقتْ بيَ الأرْضُ رَحْبُها وإن كنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مكان
ولو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بيَسُومِها[1] لَخِلْتُكَ إلاّ أن تَصُدَّ تَراني

ثم قال: واللَّهِ إنْ قلتُ إلاّ خيراً، إنما قلتُ:

يُخَبِّئْنَ أَطرافَ البنانِ من التُقى ويَخْرُجْنَ جُنْحَ الليلِ مُعْتَجِراتِ

قال: أجَلْ، ولكن أخبرني عن قولك:

ولما رأتْ رَكْبَ النُمَيْرِيِّ أعرضتْ وكُنَّ من آنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ

في كم كنتَ؟ قال: واللَّهِ إنْ كنتُ إلاّ على حمار هَزيلٍ ومعي رفيقي على أتانٍ مثلِهِ. ومن ذلك ما يحكمون في خبر لُقْمانَ بن عاد فإنهم يَصِفونَ أن جارية له سُئِلَتْ عما بقي من بصره لدخوله في السِنِّ فقالت: واللَّهِ لقد ضَعُفَ بصرهُ ولقد بَقِيَتْ منه بَقِيَّةٌ، أنه ليَفْصِلُ بين أثَر الأنثى والذكر من الذَرِّ إذا دَبَّ على الصَفا، في أشياء تُشاكِلُ هذا من الكذب.

حديث ابن حطان للفرزدق

حُدِّثْتُ أن امرأة عِمْرانَ بن حِطّانَ السَّدوسيّ قالت له: أما حلفت أنك لا تكذب في شعر؟ فقال لها: إوَ كان ذاكَ؟ قالت: نعم، قلتَ:

فكذاكَ مَجْزَأةُ بن ثَوْ رٍ كان أشجعَ من أسامَهْ

أيكون رجل أشجعَ من أسدٍ؟ فقال لها: ما رأيتُ أَسَداً، فَتَحَ مدينةً قطُّ، ومَجْزأةُ بن ثور قد فتح مدينة. (مجزأة بن ثور جعل له عمر رحمه اللَّه رئاسة بَكْرٍ، فلما أسنَّ فعَل عثمانُ بن عفان رضي اللَّه عنه ذاكَ مع ابنه شَقيقَ بن مجزأة، وقتل رحمه اللَّه على شُسْتَرَ هو والبَراءُ بن مالك، وكانا من أبطال المسلمين). ومر عمران بن حطان بالفرزدق وهو يُنْشِدُ فوقف عليه فقال:

أيها المادحُ العبادَ لِيُعْطى إنّ للَّه ما بأيدي العِبادِ

---

(١) يسوم: إسم جبل.

فاسْألِ اللَّهَ ما طلبتَ إليهم وارْجُ فضلَ المُقَسِّمِ العَوَّادِ
لا تَقُلْ للجواد ما ليس فيه وتُسَمِّ البَخيلَ باسم الجَوادِ

وأنشدني الحسنُ بن رجاءٍ لرجل من المُحْدَثين لم يُسَمِّهِ (وهو بكر بن النَطّاح في أبي دُلَف):

أبا دُلَفٍ يا أكذبَ الناسِ كُلِّهم . سِوايَ فإني في مَديحِكَ أكْذَبُ

وأنشدني آخرَ لرجل من المُحْدَثين (أيضاً قال أبو الحسن هو بكر بن النطاح):

إني امْتَدَحْتُكَ كاذباً فأثبْتَني لما امتدحتُكَ ما يُثابُ الكاذِبُ

كذب عمرو بن معدي كرب

قال الأصمعي: قلتُ لأعرابي كنت أعرفه بالكذب: أصدقَتَ قطُّ؟ قال: لولا أني أخافُ أن أصْدُقَ في هذا لقلتُ لك. وتحدثوا من غير وجه أن عمرو بن معدي كرب كان معروفاًبالكذب. وقيل لِخَلَفٍ الأحمر، وكان شديد التعصب لليمن: أكان عمرو بن معدي كرب يكذب؟ فقال: كان يكذب في المَقال، ويصدق في الفِعال. وذكروا من غير وجه أن أهل الكوفة من الأشراف كانوا يَظهرون بالكُناسة[1]، فيتحدثون على دوابهم إلى أن يَطْرُدَهُمْ حَرُّ الشمس، فوقف عمرو بن معدي كرب وخالد بن الصَقْعَبِ النَهْدِيُّ[2]، فأقبل عمرو يحدِّثه، فقال: أ غَزْنا مرة على بني نَهْدٍ فخرجوا مُسْتَرْعِفينَ بخالد بن الصقعب، فحملتُ عليه فطعنتُه فأزَرَيْتُهُ، ثم مِلْتُ عليه الصمصامة فأخذت رأسَهُ. فقال له خالد: حِلاًّ أبا ثور إن قتيلكَ هو المُحَدَّثُ. فقال: يا هذا إذا حُدِّثْتَ فاستمع، فإنما نتحدث بمثل ما تسمع لتُرْهَب به هذه المَعَدِّيَةُ[3].

---

(١) الكناسة: موضع في الكوفة.

(٢) النهدي: نسبة إلى بني نهد، قبيلة باليمن.

(٣) المعدية: أبناء معد بن عدنان وكان بينهم وبين اليمنيين أبناء قحطان عداوات ومنافسات يطول الكلام عليها.

قوله: مسترعِفين يقول مُقَدِّمين له. يقال: جاء فلان يَرْعُفُ الجيشَ إذا جاء متقدماً لهم. ويقال في الرُعافِ: رَعَفَ يَرْعُفُ. لا يقال غير رَعَفَ، ويجوز يَرْعَفُ من أجل العين وليس من الوجه، وسنذكر هذا الباب بعد انقضاء هذه الأخبار إن شاء اللّه. وقوله: حلاًّ أبا ثور، يقول: اسْتَثْنِ. يقال: حَلَفَ ولم يَتَحَلَّلْ أي لم يستثن. وخُبِّرْتُ أن قاصّاً كان يكثر الحديث عن هَرِم بن حَيّانَ (الهَرِمُ الضَبُّ، يقال إنه في الشتاء يأكل حُسوَلَهُ ولا يخرج. قال الشاعر: كما أَكَبَّ على ذي بَطْنِهِ الهَرِمُ. قيل إن هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين، ولذلك سمي هرماً) فاتفق هرم معه في مسجد وهو يقول: حَدَّثنا هَرِمُ بن حَيّانَ مرة بعد مرة بأشياء لا يعرفها هرم، فقال له: يا هذا أتعرفني، أنا هرم بن حيان ما حدثتك من هذا بشيء قط؟ فقال له القاصُّ: وهذا أيضاً من عجائبك، إنه ليُصَلِّي معنا في مسجدنا خمسة عشر رجلاً إسم كلِّ رجل منهم هَرِمُ بن حَيّان، كيف توهمتَ أنه ليس في الدنيا هرم بن حَيّان غيرُك.

من كذب أحدهم على رسول اللّه

وكان بالرَقَّةِ[1] قاصٌّ يُكْنى أبا عَقيلٍ يُكثر التحدث عن بني إسرائيل فيُظَنُّ به الكذبُ، فقال له يوماً الحجّاج بن حَنْتَمَة: ما كان اسمُ بقرة بني إسرائيل؟ قال: حنتمة. فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري: في أي الكتب وجدتَ هذا؟ قال: في كتاب عمرو بن العاص. وقال القَيْنِيُّ: أنا أصدُقُ في صغيرِ ما يضرُّني ليجوز كذبي في كبيرِ ما ينفعني. وأنشد المازني للأعشى، وليس مما رَوَتِ الرواة متصلاً بقصيدة:

فَصَدَقْتُهُمْ وكَذَبْتُهُمْ والمرْءُ ينفعُهُ كِذابُهْ

ويروى أن رجلاً وَفَدَ على رسول اللّه ﷺ فسأله، فكَذَبَهُ فقال له رسول اللّه ﷺ: أأسألك فتكذُبني لولا سَخاءُ فيكَ وَمِقَكَ اللّهُ عليه لشَرَّدْتُ بك من

(١) الرقة: بلد في الفرات.

وافد قوم. معنى وَمِقَكَ أحَبَّكَ. يقال: وَمِقْتُهُ أمِقُهُ، وهو على فَعِلْتِ أفْعِلُ، ونظيره من هذا المعتل وَرِمَ يَرِمُ ووَلِيَ يَلي. وكذلك: وَسِعَ يَسَعُ، كانت السين مكسورة وإنما فتحت للعين، ولو كان أصلها الفتح لظهرت الواو نحو: وَجِلَ يَوْجَلُ ووحَلِ يَوْحَلُ، والمصدر مِقةٌ كقولك: وَعَدَ يَعِدُ عِدةً، ووَجَدَ يَجِدُ جِدةً. ويروى أن رجلاً أتى رسول اللّه ﷺ فأسلم، ثم قال: يا رسول اللّه إنما أُؤخَذُ من الذنوب بما ظَهَرَ وأنا أسْتَسِرُّ بخلال أربعٍ: الزنا والسَرَق وشُرْب الخمر والكذب، فأيُّهُنَّ أحْبَبْتَ تركتُ لك سرّاً. فقال رسول اللّه: دَعِ الكذبَ. فلما ولّى من عند رسول اللّه ﷺ هَمّ بالزنا فقال: يسألني رسولُ اللّه فإن جحدتُ نَقَضْتُ ما جعلتُ له وإن أقررتُ حُدِدْتُ. فلم يَزْنِ ثم هَمَّ بالسَرَقِ، ثم هَمّ بشرب الخمر ففَكَّرَ في مثل ذلك، فرجع إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه قد تركتهنّ جُمَعَ. وشهد أعرابيٌّ عند معاوية بشهادة فقال له معاويةُ: كذبتَ. فقال له الأعرابيُّ: الكاذبُ مُتَزَمِّلٌ[1] في ثيابك. فقال معاويةُ: هذا جزاءُ مَنْ عَجَّلَ. وقال معاوية يوماً للأحْنَفِ وحدّثه حديثاً: أتَكْذِبُ؟ فقال: واللّه ما كذبتُ مذ علمتُ أن الكذبَ يشينُ أهلَهُ.

عبد اللّه بن الزبير يدعي الشعر

ودخل عبدُ اللّه بن الزبير يوماً على معاوية فقال: إسمع أبياتاً قُلْتُهُنّ. وكان واجداً عليه، فقال معاوية: هاتِ. فأنشده:

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدتَهُ ... على طَرفِ الهِجْرانِ إن كان يَعقِلُ
ويركب حَدَّ السيف من أن تَضيمُه ... إذا لم يكن عن شَفْرة السيفَ مَزْحَلُ

فقال له معاوية: لقد شَعُرْتَ بعدنا يا أبا بكر. ثم لم يَنْشَبْ معاويةُ أن دخل عليه مَعْنُ بن أوسٍ المزنيُّ فقال له: أقلتَ بعدنا شيئاً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. فأنشده:

لَعَمْرُكَ ما أدري وإني لأوْجَلُ ... على أيّنا تَغْدو المنيّةُ أوّلُ

---

(١) المتزمل: الملتف

حتى صار إلى الأبيات التي أنشدها ابن الزبير فقال له معاوية: يا أبا بكر أما ذكرتَ آنفاً أن هذا الشعر لك؟ قال: أنا أصلحتُ معانيهوهو ألفتَ[1] الشعر وهو بَعْدُ ظِئْري[2] فماقال من شيء فهو لي. وكان عبد اللّه بن الزُبَيْرِ مسترضَعاً في مُزَيْنَةَ. وحُدِّثْتُ أن عمر بن عبد العزيز كتب في إشْخاصِ إياسِ بن معاوية المُزَنيِّ وعَدِيِّ بن أرْطاةَ الفَزاريِّ أميرِ البصرة وقاضيها يومئذ، فصار إليه عدِيٌّ فقَرَّبَ أن يُمَزِّنَهُ[3] عند الخليفة فقال: يا أبا وائلةَ إن لنا حقاً ورَحماً. فقال إياسٌ: أعلى الكذب تريدني! واللّهِ ما يسرُّني أني كذبْتُ كذْبةً يغفرها اللّه لي ولا يطّلِعُ عليها إلاّ هذا ـ وأومأ إلى أبيه ـ ولي ما طَلَعَتْ عليه الشمسُ. (قال أبو الحسن التمزين المدح، ولم أسمع هذه اللفظة إلاّ من أبي العباس، وهي عندي مشتقة من المازِنِ وهو النمل، وبهذا سُميتْ مازنٌ كأنه أراد منه أن يكثِّرَهُ، ويروى يُكَثِّره. قال القُتَبِيُّ: المازِنُ بيض النمل. قال الشيخ قوله: أن يُمَزِّنَهُ عند الخليفة أي كأنه يجعله سَيِّد مُزَيْنَةَ لأنه كان مُزَنيّاً، والصواب يُمَزِّرَهُ. قال المَوْصِليُّ:

وإنيَ مَعْ ذا الشيبِ حلوٌ مَزيرُ. ولم يكن في القضاة، وإنما كان أميراً على البصرة إن مات عمرواً كتب عمر إلى عدي: إجمع ناساً ممن قِبَلَك وشاورهم في اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة واستقضِ أحدهما فوَلَّى عدِيٌّ إياساً). ويروى أن أخا إياس صار إلى ابن هُبيرة فقال: طَرَقني اللصوص فحاربتهم فهزمتهم وظَفِرْتُ منهم بهذا المِغْوَلِ[4] فجعله ابنُ هبيرة تحت مُصَلاَّهُ، ثم بعث إلى الصَياقلة فأحضرهم فقال: أيَعْرِفُ منكم الرجلُ عمله؟ قالوا: نعم. فأخرج المِغْوَل فقال: من عَمَلِ أيِّكم هذا؟ فقال قائل منهم: أنا عملت هذا واشتراه مني هذا أمس. (المغول سيف صغير).

---

(١) وهو ألف الشعر من اللفف بالتحريك وهو ما يمنع الانسان من الفصاحة، يريد أنه لا يبين في شعره عما يريد ولا يفصح.

(٢) وهو بعد ظئري: أي زوج مرضعتين.

(٣) حزن فلان فلاناً ـ مدحه. وفضله عند ذي سلطان.

(٤) المغول: كمنبر سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه.

٤١ ـ باب في مضارع فعل
(باب ما يجوز فيه يَفْعَلُ فيما ماضيه فَعَلَ مفتوحُ العين).

اعلم أن كل فعل على فَعُلَ[1] فهو غير متعدٍّ إلى مفعول لأنه فعل الفاعل في نفسه وتأويله الانتقال، وذلك قولك: كَرُمَ عبدُ اللَّه، وظَرُفَ عبد اللَّه. وتأويل قولي، الانتقال، إنما هو انتقال من حال إلى حال، تقول: ما كان كريماً ولقد كَرُمَ، وما كان شريفاً ولقد شَرُفَ، فهذا تأويله فأما قولهم[2]: كِدْتُ أكادُ، فإنما كِدْتُ معترضةٌ على أكاد. وما كان من فَعِلَ الصحيح فإنه يَفْعَلُ نحو: شَرِبَ يَشْرَبُ، وعَلِمَ وفَرِقَ ويكون متعدياً وغير متعدٍّ تقول: حَذِرْتُ زيداً، وعَلِمْتُ عبدَ اللَّه، ويكون فيه مثلُ: سَمِنْتُ وبَخِلْتُ غير متعدٍ وكله على يَفْعَلُ نحو: يَسْمَنُ ويَبْخَلُ ويَعْلَمُ ويَطْرَبُ. فأما قولهم في الأربعة من الأفعال: يَحْسِبُ ويَيْئِسُ ويَنْعِمُ ويَبْئِسُ فهي معترضة على يَفْعِل تقول في جميعها: يَحْسَبُ ويَنْعَمُ ويَيْئَسُ ويَبْئَسُ وما كان على فَعَلَ فبابه يَفْعُلُ ويَفْعِلُ نحو: قتل يقتُلُ، وضرب ويضرِب، وقعد يقعُد، وجلس يجلِس، فقد أنبأتك أنه يكون متعدياً وغير متعدٍّ، فأما يأبَى ويَقْلَى فلهما علة تُبَيَّنُ عندما أذكره لك إن شاء اللَّه. ولا يكون فَعَلَ يَفْعَلُ، إلاّ أن يكون يَعْرِضُ له حرف من حروف الحلق الستة في موضع العين أو موضع اللام، فإن كان ذلك الحرف عيناً فَتَحَ نفسهُ، وإن كان لاماً فتح العينَ. وحروف الحلق الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء.

---

(١) على فعل بضم العين وأكثر ما يكون في الغرائز فإن ضمن معنى المتعدي كسر نحو سفه زيد راية والأصل سفه رأي زيد وشذر جنبك الدار وكفلت بالمال وسخو فلان بحالة في رواية من ضم الثلاثة.

(٢) فأما قولهم كدت أكاد هذا كلام ليس له صلة بما قبله ولا أدري أي شيء يريد به.

وذلك قولهم: قرأ يقرأ قَرْأً يا فتى وقراءة، وسأل يسأل، وجَبَهَ يَجْبَهُ، وذهب يذهب. وتقول: صنع يصنَعُ، وظَعَنَ يَظْعَنُ، وضَبَحَ يَضْبَحُ وكذلك: فرَغَ يَفْرَغُ وسلَخَ يَسْلَخُ. وقد يجو أن يجيء الحرف على أصله وفيه أحد الستة، يجوز: زَأَرَ يَزْئِرُ، وفَرَغَ يَفْرُغُ، وصبَغَ يَصبُغُ. إلا أن الفتح لا يكون فيما ماضيه فَعَلَ إلاّ وأحدُ هذه الحروف فيه. وأما يَأبى فله علة، وأما يَقْلى فليس يثبت. وسيبويه يذهب في يأبى إلى أنه إنما انفتح من أجل أن الهمزة في موضع فإنه، والقول عندي على ما شرحت لك من أنه إذا فُتِحَ حَدَثَ فيه حرف من حروف الحلق، فإنما انفتح لأنه يصير الألف وهي من حروف الحلق ولكن لم نذكرها لأنها لا تكون أصلاً إنما تكون زائدة أو بدلاً، ولا تكون متحركة فإنما هي حرف ساكن، ولا يعتمد اللسان به على موضع فهذا الذي ذكرت لك من أن يَسَعُ ويَطَأُ حَدُّها فَعِلَ يَفْعِلُ في المعتل كحَسِبَ يَحْسِبُ من الصحيح، ولكن فَتَحَتْهما العينُ والهمزةُ، كما تقول: وَلَغَ الكلبُ يَلَغُ، والأصل يَلِغُ، فحرف الحلق فتحهُ:

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٤٢ ـ باب في عيوب النطق

حديث عبد الله بن العباس:

ويروى عن عليّ بن أبي طالب رحمه الله عليه، أنه افتقد عبد الله بن العباس رحمه الله فقال: ما بالُ أبي العباس لم يحضر؟ فقالوا: وُلِدَ له مولودٌ. فلما صلى عليّ رحمه الله قال: امضوا بنا إليه. فأتاه فهَنَّأهُ فقال: شكرتَ الواهِبَ وبُورِكَ لك في الموهوب، ما سميته؟ قال: أَوَيجوز لي أن أسميه حتى تُسَميه. فأمَرَ به فأُخرِجَ إليه، فأخذه وحَنَّكهُ ودعا له، ثم رده إليه وقال: خذه إليك أبا الأمْلاك، قد سَمَّيْتُه علياً وكَنَيْتُهُ أبا الحسن. فلما قام معاوية قال لابن عباس: ليس لكم اسمه وكنيتُه قد كنيتُه أبا محمد. فجَرَتْ عليه. وكان عليٌّ سيداً شريفاً بليغاً، وكان له خمسمائة أصل زيتون يصلي في كل يوم إلى كل أصل ركعتين، فكان يُدْعى ذا الثَفِناتِ[1]. وضُربَ بالسوط مرتين، كلتاهما ضربه الوليد، إحداهما في تَزَوُّجِهِ لُبابةَ بنت عبد الله بن جعفر، وكانت عند عبد الملك فعضَّ تفاحة ثم رمى بها إليها، وكان أبخر. فدعتْ بسِكِّينٍ فقال: ما تصنعين به. قالت: أميطُ عنها الأذى. فطلقها فتزوجها عليُّ بن عبد الله، فضربه الوليد وقال: إنما تتزوّج بأمّهات الخلفاء لِتَضَعَ منها ـ لأن مَرْوان بن الحكمِ تزوج أمّ خالد بن يزيد بن معاوية لِيَضَع منه. فقال عليّ بن عبد الله: إنما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابنُ عمها فتزوجتها لأكونَ لها مَخْرَجاً. وأما ضربه إياه في المرة الثانية فإنا نرويه من غير وجه، ومن أتم ذلك ما

---

(١) ذا الثفنات: هي مساجده التي يسجد عليها.

حَدَّثنيه أبو عبد اللَّه محمد بن شُجاع البَلْخِيُّ (هو محمد بن شجاع الثَّلْجِيّ كذا صوابه)[1] في إسنادٍ له متصل لستُ أحفظه، يقول في آخر ذلك الإسناد: رأيت عليّاً مضروباً بالسوط يُدارُ به على بعير ووجهه مما يلي ذَنَبَ البعير وصائحٌ يصيحُ عليه: هذا عليُّ بن عبد اللَّه الكذاب. قال: فأتيته فقلتُ: ما هذا الذي نسبوك فيه إلى الكذب. قال: بلغهم قولي إن هذا الأمر سيكون في ولدي، واللَّه ليكوننَّ فيهم حتى يَمْلِكَهُمْ عبيدُهم الصِغارُ العيونِ العِراضُ الوجوهِ الذين كأنَّ وجوههم المجَانُّ المُطْرَقةُ. ومع هذا الحديث آخَرُ في شَبيهٍ بإسناده أن عليّ بن عبد اللَّه دخل على سليمان بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه الخليفتان أبو العباس وأبو جعفر، وقال أبو العباس: وهذا غلط لما أذكره لك إنما ينبغي أن يكون دخل على هشام فأوْسَعَ له على سريره وسأله عن حاجته فقال: ثلاثون ألفَ درهم عليَّ دَيْنٌ. فأمَرَ بقضائها. قال له: وتستوصي بابْنَيَّ هذين خيراً. ففعل، فشكره وقال: وَصَلَتْكَ رِحَمٌ. فلما وَلِّى عليٌّ قال الخليفة لأصحابه: إن هذا الشيخ قد اختلَّ واسَنَّ وخُلِطَ فصار يقول إن هذا الأمر سينتقل إلى ولده. فسمع ذلك عليٌّ فالتفت إليه فقال: واللَّه ليكوننَ ذاك وَلَيَمْلِكنَّ هذان. قال أبو العباس: أما قولي إن الخليفة في ذلك الوقت لم يكن سليمانَ فلأن محمد بن علي بن عبد اللَّه كان يُمْنَعُ من تزوُّج الحارثية للحديث المروي. فلما قام عمر بن عبد العزيز جاءه محمد فقال له: إني أردت أن أتزوج بنت خالي من بني الحرث بن كعب أفتأذن لي؟ فقال عمر: تَزَوَّجْ رحمك اللَّه من أحببتَ. فتزوجها فأولدها أبا العباس أمير المؤمنين، وعُمَرُ بعد سليمان فلا ينبغي أن يكون تهيأ له أن يدخل على خليفة حتى يَتَرَعْرَعَ (ش كذا وقع في الأمّ والروايةِ، والصحيح لهما أن يدخلا على خليفة حتى يترعرعا) فلا يتم مثلُ هذا إلاّ في أيام هشام. وكان عبد الملك يُكْرِم عليّاً ويقدمه، فحدّثني التَّوَّزِيُّ قال: قال علي بن عبد اللَّه: سايرتُ يوماً عبد الملك فما حاوَرْنا إلاّ يسيراً حتى لقيه الحجّاج قادماً عليه، فلما رآه تَرَجَّلَ ومَشى بين

(١) محمد بن شجاع الثلجي: فقيه مبتدع نسب إلى بني ثلج وإلى جبل الثلج بدمشق.

يديه، فخَبّ عبدُ الملك فأسرع الحجاج، فزاد عبدُ الملك فهرول الحجّاج، فقلتُ لعبد الملك: أَبِكَ مَوْجِدةٌ[1] على هذا؟ فقال: لا ولكنه رَفَعَ من نفسه فأحببتُ أن أغُضّ[2] منه. وحدثني جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي قال: حضر عليٌّ عبدَ الملك وقد أُهْدِيَ له من خراسان جاريةٌ وفَصٌّ وسيف فقال: يا أبا محمد إن حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحداً. فاختار الجارية، وكانت تُسمّى سُعْدى وهي من سَبْي الصُغْدِ[3] من رهطِ عُجَيْف بن عَنبةَ، فأولدها سليمانَ وصالحاً ابنيْ عليٍّ وذكر جعفر بن عيسى أنه لما أولدها سليمان اجتنبت فراشه فمرض سليمان من جُدَرِيٍّ خرج عليه، فانصرف عليٌّ منْ مصَلاَّهُ فإذا بها على فراشه فقال: مرحباً بك يا أمّ سليمان. فوقع بها فأولدها صالحاً، فاجتنبت بَعْدُ فسألها عن ذلك، فقالت: خِفْتُ أن يموت سليمانُ فينقطع النسب بيني وبين رسول اللّه ﷺ، فالآن إذا ولدتُ صالحاً فبِالَحرى[4] إن ذهب أحدهما أن يبقى الآخرُ، وليس مثلي اليومَ مَن وطئه الرجال. وزعم جعفر أنه كانت فيها رُتَّةٌ فالرتةُ تَعَذُّرُ الكلام إذا أراده الرجل، فهي الآن معروفة في ولد سليمان وولد صالح، وكان عليٌّ يقول: أكره أن أُوصِيَ إلى محمد، وكان سَيِّدَ ولدهِ، خوفاً من أن أشينَهُ بالوصية. فأوصى إلى سليمان، فلما دُفِنَ عليٌّ جاء محمد إلى سُعْدى فقال: أخرجي إليَّ وصيةَ أبي. فقالت: إن أباك أَجَلُّ من أن تُخْرَجَ وصيّته ليلاً، ولكنها تأتيك غداً فلما أصبح غَداً بها عليه سليمانُ فقال: يا أبي ويا أخي هذه وصية أبيك. فقال محمد: جزاكَ اللّهُ من ابن وأخٍ خيراً، ما كنتُ لأُتَرِّبَ[5] على أبي بعد موته كما لم أُتَرِّبْ عليه في

---

(١) الموجدة: أتغضب يقال وجد عليه بجد ويجد في باب ضرب ونصر وجدا وجده وموجدة إذا غضب.

(٢) ان أغض منه: أذله وانتفضه من الغضاضة والغضة بالضم وهي الذلة والمنقصة.

(٣) الصغد: بالضم موضع بسمرقند وموضع ببخارى.

(٤) فالجري: جدير وخليف.

(٥) ما كنت لأترب على أبي: أي ما كنت لأعيبه وألومه يقال ثرب فلان على فلان تثريباً لأمه وعيره زينة.

حياته. قال أبو العباس: التَمْتمة التردُّد في التاء، والفأفأةُ التردد في الفاء، والعُقْلةُ التواءُ اللسان عند إرادة الكلام، والحُبْسةُ تعذر الكلام عند إرادته، واللَفَفُ إدخال حرف في حرف، والرُتَّةُ كالرَتَج تمنُع أوّل الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل، والغَمْغَمةُ أن تَسْمَعَ الصوت ولا يتبيّنَ لك تقطيعُ الحروف، والطَمْطَمةُ أن يكون الكلام مُشْبِهاً بالكلام العُجْم، والكُنَةُ أن تَعْتَرِضَ على الكلام اللغةُ الأعجميةُ. وسنفسر هذا بحجة حرفاً حرفاً، وما قيل فيه إن شاء اللّه. واللُثْغَةُ أن يُعْدَلَ بحرف إلى حرف، والغُنَّةُ أن يُشْرَبَ الحرفُ صوتَ الخَيْشوم، والخُنَّةُ أشدُّ منها، والتَرْخيمُ حذف الكلام. يقال: رجل فافاءُ يا فتى تقديره فاعالٌ ونظيره من الكلام ساباطٌ[1] وخاتامٌ. قال الراجز:

يا مَيَّ ذاتَ الجَوْرَبِ المُنْشَقِّ أخذتِ خاتامي بغير حق

(كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى، والصحيح أنه بالهمز على فَعْلالٍ مثل: خَضْخاضٍ وقَمْقامٍ، فالذي حكى أبو العباس غَلَطٌ، لأن سيبويه رحمه اللّه قال: ليس في الصفات فاعال. قال أبو الحسن: يقال خاتَمٌ على وزن دانَقٍ، وخاتِمٌ على وزن ضارِبٍ، وخَيْتامٌ على وزن دَأْنٍ، وخاتام على وزن ساباط). وقال ربيعةُ الرَقّيُّ في مدحه يزيدَ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلَّبِ - وربيعةُ احتج به الأصمعيُّ - وذَمِّهِ يزيدَ بن أُسَيْدٍ السُلَمِيَّ:

لَشَتّانَ[2] ما بين اليزيدَين في النَدى يَزيد سُلَيمٍ والأغَرُّ بن حاتم
فهَمُّ الفتى الأزْدِيِّ إتلافُ ماله وَهمُّ الفتى القَيْسِيِّ جمعُ الدراهم
فلا يَحْسِبِ التَمْتامُ أني هَجَوْتُهُ ولكنني فَضَّلْتُ أهلَ المكارم

وقال آخر أيضاً:

ليسَ بفافاءٍ ولا تَمْتامِ ولا مُحِثٍّ سِقِطِ الكلام

---

(١) ساباط: سقيفة بين دارين تحتها طريق.

(١)(٢) شتان: ما هما وما بينهما وما عمرو وأخوه وشتان بينهما بغيرها ومعناه بعدما بينهما.

وقال الشاعر[1]:

وقد تَعْتريهِ عُقْلةٌ في لسانه إذا هُزَّ نَصْلُ السيف غَيرَ قريب

وزعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجَهْمِ قال: أقبلتُ على الفِكْرِ في أيام محاربة الزُطّ[2]، فاعترتني حُبْسَةٌ في لساني، وهذا يكونُ لأن اللسان يحتاج إلى التَمْرين على القول حتى يَخِفَّ له، كما تحتاج اليد إلى التمرين على العمل، والرِجْلُ إلى التمرين على المَشْيِ، وكما يُعانيه مُوَتِّرُ القَوْسِ ورافعُ الحجر ليَصْلُبَ ويشْتدَّ. قال الراجز:

كأنَّ فيه لَفَفاً إذا نَطَقْ من طول تَحْبيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

وقال ابن المُقَفَّع: إذا كثُرَ تقليبَ اللسانِ رَقَّتْ جوانبُهُ، ولانتْ عَذَبتُهُ وقال العتابيُّ: إذا حُبِسَ اللسان عن الاستعمال اشتدّتْ عليه مَخارجُ الحروف، وأما الرُتَّةُ فإنها تكون غريزة.

قال الراجز: يا أيها المُخَلِّطُ الأرْتُّ. ويقال: إنها تَكْثُرُ في الأشراف، ولم توجد تختص واحداً دون واحد. وأما العَمغمةُ فقد تكون من الكلام وغيره، لأنه صوت لا يُفهم تقطيع حروفه.

أحاديث معاوية في الفصاحة

وحدّثني من لا أُحْصي من أصحابنا عن الأصْمَعِيِّ عن شُعبَة عن قتادة قال: قال معاوية يوماً: من أفْصَحُ الناس؟ فقام رجل من السِماطِ فقال: قومٌ تباعدوا عن فُراتِيَّةِ العِراق، وتَيامَنوا عن كَشْكَشةِ تميم، وتَياسَروا عن كَسْكَسَةِ بكر، ليس فيهم غَمغمَةُ قُضاعةَ، ولا طُمْطُمانِيّةِ حِمْيَرَ. فقال له معاوية: من أولئك؟ فقال: قومي يا أمير المؤمنين فقال له معاوية: من أنتَ؟ قال: أنا رجل

---

(١) قال الشاعر: يصف من يقول فيه هذا بالجبن والوهل حتى يحبس عن الكلام.

(٢) الزط: بالضم جيل من السودان أو الهنود طول الأجسام مع نحافة.

من جَرْمٍ. قال الأصمعي: وجَرْمٌ من فُصحاء الناس. قولُه: تيامَنوا عن كشكشة تميم، فإن بني عمرو بن تميم إذا ذكَرتْ كاف المؤنث فوقفتُ عليها أبْدَلَتْ منها شِيناً لقرب الشين من الكاف في المَخْرَجِ، وأنها مهموسة مثلها، فأرادوا البيان في الوقف، لأن في الشين تَفَشِّياً، فيقولون للمرأة: جَعَلَ اللَّه لكِ البركة في دارِشْ، وَيْحَكِ مالَشْ. والتي يُدْرِجونها يَدَعُونها كافاً، والتي يقفون عليها يبدلونها شيناً. وأما بكر فتختلف في الكسكسة، فقومٌ منهم يُبْدِلُونَ من الكاف شيناً، كما يفعل التَّيميُّون في الشين، وهم أقلهم، وقوم يُبَيِّنونَ حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين، فيزيدونها بعدها، فيقولون: أَعْطَيْتُكِسْ. وأما الغمغمةُ فما ذكرتُ لك. وقال الهارِبُ لامرأته يوم الخَنْدَمةِ[1]، وذاكَ أنها نظرتْ إليه يَحُدُّ حَرْبةً في يوم فتح مكة، فقالت: ما تصنعْ بهذه؟ قال: أعْدَدْتُها لمحمد وأصحابه. فقالت: واللَّهِ إن أُراهُ يقوم لمحمد وأصحابه شيءٌ. فقال لها: إني لأرْجو أن أُخْدِمَكِ بعضهم، وأنشأ يقول (الهارب هو أبو عثمان الهُدَليُّ، ويقال له الرَعَّاشُ. ويقال أن الرجز المذكور بعد هذا لِحِماسِ بن قيس، أخي بني بَكْرِ بن عبد مناة، أنشده له أبو إسحق، والخَنْدمةُ جبل دخل منه النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وقيل: الخندمة مشيٌ فيه إسراع، فأضيف إلى اليوم لما كَثُرَ فيه):

إنْ تُقْبلوا اليومَ فبما بي عِلَّهْ ... هذا سِلاحٌ كاملٌ وألَّهْ
وذو غِرارَيْنِ سريعُ السَلَّهْ

الألَّةُ الحَرْبة، والغرار ههنا الحدّ، ويعني بذي غرارين السيفَ. فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل، فلامتْهُ امرأته، فقال:

إنكِ لو شَهِدْتِ يومَ الخَنْدَمَهْ ... إذا فَرَّ صَفْوانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ
ولَحِقْتنا بالسيوف المُسْلِمَهْ ... يَفْلِقْنَ كلَّ ساعدٍ وجُمْجُمَهْ
ضَرْباً ولا تَسْمَعُ إلاّ غَمْغَمَهْ ... لهم نَهيتٌ[2] حولنا وجَمْجَمَهْ

(١) الخندمة: جبل معروف في مكة.

(٢) النهيت: صوت يخرج من الصدر شبيه الزمير.

لم تَنْطِقي في اللوْمِ أدْنى كلمةْ

وأما الطُمْطمانيَّةُ[1] ففيها يقول عَنْتَرَةُ:

تَبْري[2] له حولُ النَعام كأنها جِزَقٌ يمانيةٌ لأعْجَمَ طِمْطِمِ

وكان صُهَيْبٌ أبو يحيى صاحِبُ رسول اللّه ﷺ يَرْتَضِخُ لُكْنَةَ روميّةً، ويذكرون أن نَسَبهُ في النَمِر بن قاسطٍ؛ صحيح، وقد قال رسول اللّه ﷺ: صُهَيْب سابِقُ الروم، وسلمانُ سابِقُ الفُرْسِ، وبِلالٌ سابِقُ الحَبَشةِ. وقال عمر لصهيب في قوله أنه من النمر بن قاسط: قد سمِعتَ ما قال رسولُ اللّه ﷺ فيمن انْتَمى إلى غير نسبه. فقال صُهَيْب: أنا من القوم، ولكن وقع عليَّ سِباءٌ. وكان عبدُ بني الحَسْحاسِ يَرْتَضِخُ لُكنةً حبشيةً، ؛ فلما أنشد عمرَ بن الخَطّاب:

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إن تجهزتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرْءِ ناهيا

فقال عمر: لو كنتَ قَدَّمْتَ الإسلامَ على الشيبِ لأَجَزْتُكَ. فقال: ما شَعَرْتُ، يريد ما شَعَرْتُ. وكان عُبَيْدُ اللّه بن زِياد يرتضخُ[3] لكنةً فارسية، وإنما أتته من قِبَل زوج أمه شِيرَوَيْهِ الإسْوارِي[4]. ويقال إن علياً عليه السلام عادَ زِياداً في منزل شِيرَوَيْهِ، فقال عُبيد اللّه يوماً لرجل كلمَّه، فظن به رَأى الخوارج (الرجل الذي كلمه عُبيد اللّه بن زياد، وظن أنه من الخوراج هانئُ بن قَبيصة): أَهَرُورِيٌّ مُنْذُ اليوم، أَحَرورِيٌّ، وهذه الهاء تشترك في قلبها من الحاء أصنافٌ من العجم. وكان زيادٌ الأعْجَمُ، وهو رجل من عبد القَيْسِ، يرتضخُ لكنةً أعجميةً يذهب فيها إلى مذهب قوم بأعيانهم من العجم، وأنشدَ المُهَلَّبَ بن أبي صُفْرةَ في مدحه إياه:

---

(١) الطمطانية: بالضم ما في لغة حمير من الكلمات المنكرة.

(٢) تبرى: تعترض له.

(٣) يرتضخ: لكنة رومية.

(٤) الاسواري: الأسوار بالضم نسبة إلى الأسوار وهو قائد الفرس من العجم.

فتىً زاده السُلتانُ في المدح رغبةً إذا غَيَّـرَ السُلتـانُ كـلَّ خَليـلِ

يريد السلطان. وذلـك أن بين التاء والـطاء نسباً، فلذلـك قلبها تـاء، لأن التاء من مخرج الطاء، فقال السلتان. وأما الغُنَّةُ فتُسْتَحْسَنُ من الجارية الحديثةِ السن، لأنها ما لم تُفْرِطْ تميل إلى ضرب من النَغْمةِ. قال ابن الرِقـاعِ العامليُّ يصف الظبية وولدها:

تُـزْجي[1] أغنَّ كـأنَّ إبْـرَةَ رَوْقِه[2] قَلَمٌ أصـابَ من الـدواةِ مِـدادَهـا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) تزجي: تسوق وتدفع برفق وهو فعل رباعي بالتحقيق والتشديد.
(٢) الروق: بالفتح القرن وإبرته عرفه الأسود.

٤٣ ـ باب في أشعار العرب

قال محمد بن عبد اللّه بن نمَيْرٍ الثَقَفِيُّ:

لم تَرَعَيْني مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ ... خَرَجْنَ من التَنْعيم[١] مُعْتَجِراتِ
مَرَرْنَ بفَخٍ[٢] ثم رُحْنَ عَشِيَّةً ... يُلَبِّينَ للرحمن مُؤْتَجِراتِ
تَضوَّعَ مِسكاً بَطنُ نُعْمانَ إن مَشتْ ... به زينبٌ في نسوةٍ عَطِراتِ
وقامتْ تَرَا أي يومَ جَمْعٍ[٣] فافتَنتْ ... برؤيتها مَن راح من عَرفاتِ
ولما رأتْ رَكْبَ النُمَيْرِيِّ أعرضَتْ ... وكُنَّ من آنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ
دَعَتْ نِسْوةً شُمَّ العَرانينِ بدناً[٤] ... نَواعِمَ لا شُعْثاً ولا غَبِراتِ

(ويروى لا غَفِراتِ بالفاء أختِ القاف من الغَفَرِ، وهو الشعر الذي ينبت في اللحيين. يقال: غَفِرَتْ المرأةُ إذا نبت لها ذلك الشعر).

فأدْنَيْنَ لما قُمْنَ يَحْجُبْنَ دونها ... حِجاباً من القَسِّيِّ[٥] والحَبراتِ
أحَلَّ الذي فوق السمواتِ عَرْشُهُ ... أوانِسَ بالبَطْحاءِ مُعْتمراتِ

---

(١) التنعيم: موضع على ثلاثة أميال وأربعة من مكة أقرب أطراف الحل إلى البيت سمي به لأن على يمينه جبل نعيم وعلى يساره جبل ناعم والوادي الذي هو به إسمه نعمان بفتح النون.

(٢) فخ: موضع بمكة دفن به عبد اللّه بن عمر.

(٣) يوم جمع: هو يوم عرفة وأيام جمع هي أيام منى.

(٤) بدناً: البدن جمع بادنة وهي الجسيمة الممتلئة الجسم.

(٥) القسي: بفتح القاف نسبة إلى قس وهو موضع بين العريش والغرماء من أرض مصر تجلب منه ثياب من كتان مخلوط بحرير.

يُخَبِّئْنَ أطـراف البـنان من التُقى ويخـرجْنَ جُنْحَ اللَيْـل مُخْتَمِراتِ

قوله مثلَ سِربٍ رأيته، هو القـطعة من النسـاء أو من الظِبـاءِ أو من البقر أو من الطير، كما قال:

لم تَـرَ عيـني مثـلَ سِـرْبٍ رأيتُـهُ خَـرَجْنَ علينـا من زُقـاقِ ابن واقِفِ

فهـذا يعني نساء (القـطيـع من السِباع يقـال لـه سِـرْبٌ، قـال ابن جنيّ، وكذلك من الماشية كلها). ويقال: مَرَّتْ بنا سُرْبَةٌ من الطير، في هذا المعنى. قال ذو الرُمّةِ:

سِوى ما أصـابَ الذئبُ منـه وسُرْبـةٌ أطـافتْ بـه من أمّهـاتِالجَوازِلِ[1]

ويقال: فلان واسعُ السِرْبِ يعني بذلك الصدر. ويقال: خَلِّ لفلانٍ سَرْبَهُ أي طريقه الذي يَسْرُبُ فيـه. ويقال لـلابل كـذلك بـالفتح: لأذْعَـرَنَّ سَرْبَـكَ. ويقال: حَذِراتٌ وحَذُراتٌ، ويَقِظٌ ويَقُظٌ. وقال ابن أحمر:

هـل يُنْسِئَنْ يَـومي إلى غيـره أنـي حَـوَالِـيٌّ[2] وأنـي حَـذُرْ

وقوله: وكن مَن آن يلقَينـه حذِرات، الأصـل من أن يلقينه، ولكن الهمـزة إذا خففت وقبلها ساكن ليس من حروف اللين الزوائد فتخفيفها متصلةً كـانت أو منفصلة، أو تُلْقِيَ حركتها على ما قبلها وتحذفها، تقـول: مَنَ أبوك؟ فتفتـح النـوف وتحذف الهمـزة، ومَنِ اخوانـك، ومَنُ أمُّ زيد؟ فتضم النـون وتكسرهـا وتفتحها على ما ذكرتُ لك، وتقول: الذي يُخْرِجُ الخَبَ في السموات، وفلانٌ لـه هَيَةٌ، وهـذه مَرَةٌ إذا خففتَ الهمـزةَ في الخَبْءِ والهيئة والمـرأة. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿سَلْ بني إسرائيل﴾[3]، لأنهـا كانت اسْئَلْ، فلمـا حُرِّكت السين بحركة الهمزة سقطت ألفُ الوصل لتَحَرُّكِ ما بعـدها، وإنمـا كان التخفيف في

---

(١) الجوازل: أفراخ الحمام.

(٢) الحوالي: شديد الاحتيال.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١١.

هذا الموضع بحذف الهمزة، لأن الهمزة إذا خُففت قَرُبَتْ من الساكن. والدليل على ذلك أنها لا تُبْتَدأ إلاّ مُحَقَّقةً كما لا يُبتدأ إلا بمتحرك، فلما التقى الساكنُ وحُروفٌ تجري مجرى الساكن حذفتَ المعتلّ منها كما تَحْذِفُ لالتقاء الساكنين. وقوله: دعت نسوة شم العرانين، فالشَّمّاءُ السابغة الأنف، والمصدر الشَّمَمُ.

وقال أحد الشعراء يمدح قُثَمَ بن العباس:

نَجَوْتِ من حَلَّ ومن رِحْلةٍ ... يا ناقَ إنْ قَرَّبْتِني من قُثَمْ
إنّك إن قَرَّبْتنيهِ غداً ... عاش لنا اليُسْرُ ومات العَدَمْ
في باعِهِ طولٌ وفي وجهه ... نورٌ وفي العِرْنينِ منه شَمَمْ
لم يَدْرِ ما لا وبَلى قد دَرَى ... فعافَها واعتاضَ منهم نَعَمْ

(قال أبو الحسن: أنشدَنيه أبي لسليمان بن قتّةَ وزادني:

أصَمُّ عن ذكر الخَنا[1] سَمْعُهُ ... وما عن الخير به من صَمَمْ)

والعِرْنينُ والمَرْسِنُ والأنف واحد لما يحيط بالجميع. وللبُدَّنُ واحدها بادِنٌ، كقولك: شاهدٌ وشُهَّدٌ وضامِرٌ وضُمَّرٌ، وهو العظيم البدن. يقال: بَدُنَ فلانٌ إذا كثُرَ لحمهُ، وبَدّنَ إذا أسن. وفي الحديث عن رسول اللّه ﷺ: إني قد بَدّنْتُ فلا تسبقوني بالركوع والسجود. (من رواه بَدُنْتُ بضم الدال فقد أخطأ، لأن بَدُنَ بمعنى ضَخُمُ، ولم يكن صفته عليه السلام أنه ضخمُ الجسم، ولكنه الرجُل بين الرجلين. ومعنى بَدّنَ بالتشديد أسَنّ). والأشعثُ والشَّعْثاءُ: الخاليان من الدُّهْنِ. وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل:

مَنْ كان حين تَمَسُّ الشمسُ جبْهتَه ... أو الغُبارُ يخافُ الشَّيْنَ والشَّعَثا
ويَألَفُ الظل كيْ تَبْقى بَشاشَته[2] ... فسوف يَسْكُنُ يوماً راغماً جَدَثا

---

(١) الخنا: الفحش في القول.

(٢) بشاشة: طلاقة الوجه.

(قال أبو الحسن: وزادني أبي:

في بطنُ مُظْلِمَةٍ غَبْراءَ مُقْفِرةٍ ... كْيما يُطيلُ بها في بطنها اللبَثا[1]

تَجَهَّزي بجَهازٍ تَبْلُغينَ[2] به ... يا نَفْسُ واقْتَصِدي لم تُخلَقي عَبَثا)

من أشعار عمر بن أبي ربيعة

وقال عمر بن أبي ربيعة: ونظر إلى أم عمر بنت مَرْوانَ بن الحَكمِ، وكانت صارت إليه متنكِّرة، فرَأَتْهُ وقَضَتْ من محادثته وطَراً ثم انصرفت. فلما رجعت من مِنىً عرفها، فعلمت ذلك فبعثت إليه: لا تَرْفَع بي صوتاً. وأهدتْ إليه ألف دينار، فاشترى بها عطراً وبَزّاً وأهداه لها، فأبت أن تقبله فقال: إذاً واللّه أُنْهِبَهُ[3] فيكونَ أَذْيَعَ له. قبلته. وفي ذلك يقول:

وكم من قَتيلٍ لا يُباءُ به دَمٌ[4] ... ومن غَلِقٍ رَهْناً إذا ضَمّهُ مِنى

وكم مالىءٍ عينيه من شيءٍ غيرِهِ ... إذا راحَ نحوَ الجمرة البيضُ كالدُمى

يُجَرِّرْنَ أَذْيالَ المُروطِ[5] بأسْوُقٍ ... خِدالٍ إذا وَلَّيْنَ أعجازُها رِوَى

أوانِسُ يَسْلُبْنَ الحَليم فُؤادَهُ ... فياطولَ ما حُزْنٍ وياحُسْنَ مُجْتَلى[6]

فلم أَرَ كالتجمير[7] مَنْظَرَ ناظِرٍ ... ولا كليالي الحج أفتن ذا هَوى

وفيها أيضاً يقول:

أيها الرائح المُجِدُّ ابتكارا ... قد قَضى من تِهامةَ الأوطارا

---

(١) اللبثا: المكوث.

(٢) تجهزي بجهاز: جهاز المسافر والعروس.

(٣) أنهبه: أحمل الناس على نهبه.

(٤) لإيباء به دم: من البواء ـ انطلق. إذا بقي في يد المرتهن، لا يقدر، راهنه على تخليصه يريد أن النساء أكثرت القتل في رجال لا يكافئهم دم لشرفهم وعزهم وكم من قلب أخن لا يقدر صاحبه على أخذه ورده.

(٥) المروط: جمع مرط بالكسر هو كساء صوف.

(٦) المجتلي: المنظر يقال إجتال إذا نظر إليه.

(٧) لتجمير: أن تجمع المرأة شعرها في قفاها.

ليت ذا الحجّ كان حَتْماً علينا كلّ شَهْرَيْنِ حجّةً واعتمارا

قوله: وكم من قتيل لا يُباء به دم، يقول: لا يقادُ به قاتِلُهُ، وأصل هذا أنه يقال: أبأتُ فلاناً بفلانٍ فباءَ به إذا قتلْتَه به، ولا يكاد يستعمل هذا إلّا والثاني كُفْءٌ للأول.

للحرث بن عباد في مقتل ابنه

فمن ذلك قول مُهَلْهِلِ بن ربيعة حيث قَتَلَ بُجَيْرَبن الحرث بن عُبادٍ، فقيل للحرث، ولم يكن دَخَلَ في حربهم: إن ابنك قُتِلَ. فقال: إن ابني لأعْظَمُ قتيلٍ بَركةً إذا أصلح اللّهُ به بين ابني وائلٍ. فقيل له. إنه لما قُتِلَ قال مهلهل: بُؤْ بِشِسْعِ[1] نَعْلِ كُلَيْبٍ. فعند ذلك أدخل الحرث يده في الحرب وقال:

قَرِّبا مَرْبِطَ النعامةِ[2] مني لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيالِ
لا بُجَيْرٌ أَغْنى فتيلاً[3] ولا رَهْـ ـطُ كُلَيْبٍ تَزاجروا عن ضَلال
لم أكن من جُناتها عَلِمَ اللّه وإني بحَرِّها اليومَ صالي

وقالت لَيْلى الأخْيَلِيّةُ:

فإن تكن القَتْلى بَواءً فإنكم فَتىً ما قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامر

وقال عمرو بن حُمَيٍّ التَغْلَبِيُّ:

ألا تَنْتَهي عَنّا مُلوكٌ وتَتّقي محارَمنا لا يَبؤ الدمُ بالدم

ويقال: باءَ فلانٌ بذَنْبِهِ أي بَخَعَ به وأقرّ. قال الفرزدق لمعاوية:

فلو كان هذا الحكمُ في غيرُ مُلكِكمْ لَبُؤْتُ به أو غَصّ بالماء شارِبُهْ

---

(١) الشسع: بالكسر قبال النعل.
(٢) النعامة: فرس الحارث بن عباد.
(٣) الفتيل: ما يكون في شق النواة أو ما فعلته بين أصابعك من الوسخ وما أغنى عنك فتيلاً أي شيئاً.

ويقال: باءَ فلانٌ بالشيء، من قولٍ أو فعلٍ، أي احتمله، فصار عليه. وقال المفسرون في قول اللّه جلّ وعزّ: ﴿أريدُ أن تَبوءَ بإثمي وإثمك﴾[1]، أي: يجتمعا عليك، فتحملهما. وأما قوله: ومن غلق رهن فمن جرّ فهو من قولهم رَهْنٌ غَلِقٌ، فلما قَدَّمَ النعت اضطراراً أبدل منه المنعوت. ولو قال: ومِنْ غَلِقٍ رَهْناً، فنصب على الحال من المعرفة بقي الاسم المضمر في غَلِقٍ. وقوله: إذا ضمه مِنِيٌّ، فإنما سميت مِنى لما يُمْنى فيها من الدم. يقال في المَنِيِّ وهو النُطفة مَنى الرجُل وأمْنى. والقراءة: ﴿أفرأيتم ما تُمْنونَ﴾[2] ويقال: مَذى الرجلُ وأمْذى ووَدى وأوْدى. فقولهم: ودَى يعني البِلَّةَ (بكسر الباء رواية عاصم وبفتحها رواية ابن سراج) التي تكون في عَقِبِ البول كالمَذْي، وأما المذي فيعتري من الشهوة والحركة. وقال علي بن أبي طالب رحمه اللّه: كلُّ فحلٍ مَذَّاءٌ، ومن كلام العرب كل فحل يَمْذي وكل أنثى تَقْذي وهو أن يكون منها مثلُ المذي. ولِمنى موضع آخر. يقال: مَنى اللّهُ لك خيراً، أي قدَّر لك خيراً. ويقال: مَنى اللّه أنْ ألقى فلاناً، أي قدَّرَ، والمَنيَّةُ من ذا. يقال: لقي فلان منيته، أي ما قُدِّرَ له من الموت. فأما المَنيئةُ بالهمزة فهي المَدْبغةُ وهي المكان الذي يُدْبَغُ فيه. وقوله: إذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدُمى: الجمرة، إنما سميت لاجتماع الحصى فيها، ومن ثم قيل: لا تُجَمِّروا المسلمين فتفتنوهم وتفتنوا نساءهم، أي لا تجمعوهم في المَغازي. والتجميرَ التجميعُ، وكذلك قيل في جَمَرات العربِ وهم بنو نُمَيْر بن عامر بن صعصعة وبنو الحرث بن كعب بن عُلَةَ بن جَلْدٍ وبنو ضَبَّةَ بن أُدِّ بن طابخةَ وبنو عَبْسِ بن بَغيضِ بن رَيْثٍ لأنهم تجمَّعوا في أنفسهم ولم يُدْخِلوا معهم غيرهم. وأبو عبيدة لم يَعْدُدْ فيهم عَبْساً في كتاب الديباج، ولكنه قال: فَطَفِئَتْ جَمرتان وهما بنو ضَبَّةَ لأنها صارت إلى الرِباب فحالفت، وبنو الحرث لأنها صارت إلى مَذْحِجٍ، وبقيت بنو نُمَيْرٍ إلى الساعة لأنها لم تُحالِفْ.

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٩.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٥٩.

جواب النميري لجرير

وقال النميريُّ يُجيبُ جريراً:

نُمَيْرٌ جمرةُ العرب التي لم ... تَزَلْ في الحرب تَلْتَهِب التهابا
وإني إذ أُسَبُّ بها كُلَيْباً ... فتحتُ عليهمُ للخسف بابا

وقال في هذا الشعر:

ولولا أن يقال هَجا نميراً ... ولم نسمع لشاعرها جوابا
رَغِبْنا عن هِجاءِ بني كُلَيْبٍ ... وكيف يُشاتِمُ الناسُ الكِلابا

من أشعار عمر بن أبي ربيعة

وقال عمر بن عبد اللّه بن أبي ربيعة:

ليْتَ شِعْري هل أقولنْ لرَكْبٍ ... بقَلاةٍ هُمْ لديها هُجوعُ[1]
طالما عَرّسْتُمُ[2] فاستقلوا ... حانَ من نَجْمِ الثُرَيّا طُلوعُ
إن هَمّي قد نفى النوم عني ... وحديثُ النفس شيء ولَوعُ
قال لي فيها عَتيقٌ مَقالاً ... فَجَرَتْ مما يقولُ الدُموعُ
قال لي ودِّعْ سُلَيْمى ودَعْها ... فأجابَ القَلْبُ لا أستطيعُ
لا تَلُمْني في اشْتياقي إليها ... وابْكِ لي مما تُجِنُّ الضُلوعُ

قوله: حان من نجم الثريا طلوع كناية، وإنما يريد الثريا بنت علي بن عبد اللّه بن الحرث بن أُمَيَّةَ الأصغر وهم العَبَلاتُ[3]، وكانت الثريا وأُخْتها عائشة أعْتَقَتا الغَريضَ المغني واسمه عبد الملك ويُكْنى أبا يزيد. ويقول اسحقُ ابن إبراهيم الموصلي: إنما سُمِّي الغَريض بالطَلْعِ لأن الطلع يقال له الإغْريضُ.

---

(١) الهجوع: النوم ليلاً.

(٢) عرستم: نزلتم آخر الليل للإستراحة.

(٣) العبلات: بالتحريك أمهم عبلة بفتح العين وهي إمرأة من تميم والنسبة إليهم.

وليس هو عندي كما قال: إنما سمي الغَريضَ لِطَراءتِهِ. يقال لحم غَريضٌ. وكانت الثريا موصوفة بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فنقلها إلى مصر، فقال عمر يَضْرِبُ لهما المثل بالكَوْكَبَيْنِ:

أيها المُنْكِحُ الثُرَيّا سُهَيْلاً ... عَمْرَكَ اللّه كيف يلتقيان
هي شامِيّة إذا ما اسْتَقَلَّتْ ... وسُهَيْلٌ إذا استقَلَّ يماني

وقوله: قال لي فيها عتيق مقالاً، يزعم الرواة أن كل شيء ذَكَرَ فيه عتيقاً أو بَكْراً، فإنما يَعني ابن أبي عَتيق (ابن أبي عتيق هو عبد اللّه بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قُحافةَ، وأبو عتيق اسمه محمد وهو صحابي وأبوه عبد الرحمن صحابي وجده أبو بَكر صحابي، وجد أبيه أبو قحافة صحابي، ولم يكن أحد من الصحابة كذلك غيرهم، وعبد اللّه بن أبي عتيق غلبت عليه الدُعابةُ وشُهِرَ بها) وكان ابن أبي عتيق من نُسَّاكِ قريش وظُرَفائهم بل كان قد بَذَّهُمْ ظَرْفاً، وله أخبار كثيرة سيمر بعضها في الكتاب إن شاء اللّه، فمن طَريف أخباره أنه سَمع وهو بالمدينة قولَ ابن أبي ربيعة:

فما نِلْتُ منها مَحْرَماً[1] غير أننا ... كِلانا من الثوب المُطَرَّفِ لابسُ

فقال: أبِنا يَلعَبُ ابن أبي ربيعة، فأيُّ مَحرمٍ بقي؟ فركب بغلته متوجهاً إلى مكة، فلما دخل أنصابَ[2] الحرم قيل له: أَحْرِمْ. قال: إن ذا الحاجة لا يُحْرِمُ، فلقي ابن أبي ربيعة فقال: أما زعمت أنك لم تركب حراماً قط. قال: بلى. قال: فما قولك؟ كلانا من الثوب المطرف لابس. فقال له: إذاً أخبرَك.. خرَجتْ بعِلَّةِ المسجدِ فصرنا إلى بعض الشِعابِ، فأخذتْنا السماءُ فأمَرْتُ بمُطْرَفي[3] فَسَتَرنا الغِلْمانُ به لئلا يَرَوْا بها بِلَّةٍ، فيقولوا: هلا استترتِ بسقائف المسجد؟

---

(١) المحرم: بفتح الميم وتخفيف الراء المرحم بالضم والتشديد.

(٢) أنصاب الحرم: أعلام الحرم.

(٣) المطرق: كمكرم ومنبر مثل المطرف بالتشديد تقول المرفق الثوب أطرافاً مثل طرفته فهو مطرف، وتكسر الميم تشبيهاً بالالة وربما جعل إسماً برأسه غير جاز على فعله وهو ثوب من خزله أعلام.

فقال له ابن أبي عتيق يا عاهر، هذا البيت يحتاج إلى حاضنه. وهو الذي سمع قولَ عمر بن أبي ربيعة.

مَنْ رسولي إلى الثُّرَيّا بأني ضَقْتُ ذرعاً بهجرها والكتاب

فلبس ثيابه وركب بغْلته وأتى باب الثريا فاستأذن عليها، فقالت: واللّه ما كنت لنا زوَّاراً. فقال: أجَلْ! ولكني جئت برسالة يقول لك ابن عمك عمر بن أبي ربيعة، ضقتُ ذرعاً بهجرك والكتاب، فلامَهُ عمرُ، فقال له ابن أبي عتيق: إنما رأيتك مُتَلَدِّداً تلتمس رسولاً فخَفَفْتُ في حاجتك، فإنما كان ثوابي أن أُشْكَرَ، ومن طَريف أخباره، أن عائشة بنت طلحة عَتَبَتْ على مُصْعَب بن الزبير فهجرته، فقال مصعب: هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني، فقال له ابن أبي عتيق: عَدِّل المال، ثم صار إلى عائشة فجعل يستعتبها لمصعب. فقالت: واللّه ما عزمي أن أكلمه أبداً، فلما رأى جِدَّها قال لها: يا بنت عمّ إنه قد ضمن لي أن كلّمتِه عشرة آلاف درهم، فكلميه حتى آخذها ثم عودي إلى ما عَوَّدَكِ اللّه.

من طرائف «أبي عتيق»

ومن أخباره أن مَرْوان بن الحَكَم قال يوماً: إني لمشغوف[1] ببغلة الحسن بن علي رحمهما اللّه. فقال له ابن أبي عتيق إن دفعتُها إليك، أتقضي لي ثلاثين حاجة قال: نعم. قال: إذا اجتمع الناسُ عندك العشيَّةَ فإني آخذٌ في مآثر قريش ثم أُمْسِكُ عن الحسن، فَلُمْني على ذلك. فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ في مآثِرِ قريش. فقال له مروان: ألا تذكر أوَّلية أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد. فقال: إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر الأنبياء، لَقَدَّمْنا ما لأبي محمد، فلما خرج الحسنُ ليركب تبعه ابن أبي عتيق، فقال له الحسن، وتبسَّم: ألك حاجةٌ؟ فقال: ذكرتُ البغلةَ. فنزل الحسنُ ودفعها إليه. ومن طَريف أخباره، أن عثمان بن حيان المُرِّيَّ لما دخل المدينة والياً عليها، اجتمع الاشراف عليه من

(١) مشغوف: العاشق المحب

قريش والانصارُ فقالوا له: إنك لا تعمل عملاً أجْدى ولا أوْلى من تحريم الغِناء والرِثاءِ ففعل، وأجَّلَهُمْ ثلاثاً. فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة فحَطَّ رحله بباب سلامةَ الزَرْقاءِ وقال لها: بدأتُ بك قبل أن أصير إلى منزلي. فقالت: أوَ ما تدري ما حَدَثَ، وأخبرتْه الخبر. فقال: أقيمي إلى السَحَر حتى ألقاه. فقالت: إنا نخاف أن لا تُغني شيئاً ونُنكَظَ[1] (تعني تَنالَنا شِدَّةٌ). فقال: إنه لا بأس عليك. ثم مضى إلى عثمان فاستأذن عليه، فأخبره أن أحَذَّ ما أقدمه عليه حُبُّ التسليم عليه، وقال له: إن من أفضل ما عملتَ به تحريمُ الغِناء والرِثاءِ. قال: إن أهلك أشاروا عليَّ بذلك. قال: فإنك وُفِّقْتَ ولكني رسولُ امرأة إليك تقول: قد كانت هذه صِناعَتي فَتُبْتُ اللَّه منها، وأنا أسألك أيها الأمير أن لا تَحولَ بينها وبين مجاورة قبر النبي ﷺ. فقال عثمان: إذن أدَعَها لك. قال: إذن لا يَدَعَها الناسُ ولكن تَدْعُو بها فتنظر إليها، فإن كانت ممن يُتْرَكُ تركتَها. قال فادعُ بها. قال: فأمرها ابن أبي عتيق فَقَشَفَتْ وأخذت سُبْحةً في يدها وصارت إليه، وحدثته عن مآثر آبائه ففَكِهَ[2] لها. فقال لها ابن أبي عتيق: اقْرئي للامير، ففعلتْ فأُعْجِبَ بذاك. فقال لها: فاحْدي للأمير فحَرَّكَهُ حُداؤُها. ثم قال لها: غَيِّري للأمير، فجعل يُعْجَبُ بذلك عثمانُ، فقال له ابن أبي عتيق: فكيف لو سمعتها في صناعتها، فقال: قل لها فلتقل فأمرها، فغَنَّتْ:

سَدَدْنَ خَصاصَ[3] الخَيْمِ لِما دَخَلْنَهُ بُكلِّ لَبانٍ واضحٍ وجبين

فنزل عثمان بن حَيّان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال: واللَّه ما مثلُكَ يَخْرُجُ عن المدينة. فقال له ابن أبي عتيق: إذاً، يقولَ الناس أُذِنَ لِسَلامةَ في المُقامِ ومَنَعَ غيرها. فقال له عثمان: قد أُذِنتُ لهم جميعاً.

---

(١) وننكظ: من النكظ بالتحريك وهو الجهد والشدة.

(٢) فكه لها: أي طابت نفسه بها وارتاح إليها.

(٣) خصاص بالفتح: كل خلل وخرق.

من أشعار ابن نمير الثقفي

وقال ابن نُمَيْرٍ الثَقَفيُّ:

أشاقَتْكَ الظَعائنُ يومَ بانوا ... بذي الزِيِّ الجميلِ من الاثاثِ
ظعائنُ أُسْلِكتْ نَقْبَ[1] المُنَقَّى ... تَحُثُّ إذا وَنَتْ أي احْتِثاثِ
كأنَّ على الظَعائنِ يوم بانوا ... نِعاجاً تَرْتَعي بَقْلَ البِراثِ[2]
يُهَيِّجُني الحمامُ إذا تَغَنَّى ... كما سَجَعَ النوائحُ بالمَراثي

قوله: الظعائن واحدتُها ظَعينةٌ، وإنما قيل لها ظعينة، وهم يريدون مظعونا بها، كقولك قتيل في معنى مقتول، ثم استعمل هذا وكثر حتى قيل للمرأة المُقيمة ظَعينةٌ. وقوله: بذي الزِيِّ الجميل من الاثاث، هي الرواية الصحيحة، وقد قيل بذي الريِّ الجميل واسْتَهواهُمْ إليه قولُ اللَّه جل ثناؤه: ﴿هم أَحْسَنُ أثاثاً وريئاً﴾[3]، فالأثاثُ متاع البيت، والريُّ ما ظهر من الزينة. وإنما أخذ من قولك: رأيت، فالرِيُّ غير الأثاث والزِيُّ من الأثاث، فمن ههنا غلطوا. وقوله: أُسْلِكَتْ نقب المنقى، فالمنقى موضع بعينه، والنَقْبُ الطريق في الجبل، والخَلُّ الطريق في الرمل، فإن اتسع الطريق في الجبل وعلا، فهو ثنِيَّةٌ. قال ابن الأيَهمِ التَغْلَبيُّ:

وتراهنَّ شُزَّباً[4] كالسَعالي ... يَتَطَلَّعْنَ من ثَنايا النقابِ

وقوله: نعاجاً ترتعي بقلَ البِراثِ، فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية، وحكم البقرة عندهم حكم الضائنة، وحكم الظبية عندهم حكم الماعزة، والعرب تكني بالنعجة عن المرأة، وبالشاة.

---

(١) النقب: بالفتح الطريق في الجبل ونحوه.

(٢) البراث: جمع برث وهو أسهل الأرض وأحسنها.

(٣) سورة مريم: الآية ٧٤.

(٤) الشزب: الضامرات من النوق.

قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿إن هذا أخي لـه تسع وتسعـون نعجة﴾[1] وقـال الأعشى:

فـرميتُ غَفْلةَ عينـه عن شـاتِـهِ فـأصبتُ حَبّـة قلبهـا وطِحـالَهـا

يريد المرأة. وأما البِراثُ فهي الأماكن السهلة من الرمل، واحـدُها بَـرْثٌ مفتوح موضع الفاء من الفعل وتقديرها كلْبٌ وكِـلابٌ. والسجعُ من الكـلام أن يأتلف أواخره على نسق كما تأتلف القوافي، وهو في البهائمُ موالاةُ الصـوت. قال ابن الدُمَيْنةِ:

أإنْ سَجَعتْ وَرْقاءُ[2] في رَوْنَقِ الضُحى على فَنَنٍ غَضٍّ النبـات من الـرَنْـدِ

(الرند صغار الآس).

من أشعار عمر بن أبي ربيعة

وقال عمر بن عبد اللّه بن أبي ربيعة:

قـال لي صـاحبي ليَعْلَمَ مـا بي أتحبُّ القَتـولَ أختَ الـرَبـاب
قلتَ وجْـدي بها كـوَجْدِكَ بالمـا ء إذا مـا مُنِعْـتَ بَـردَ الشـراب
مَنْ رسـولي إلى الثُـرَيّـا بـأني ضِقْتُ ذَرْعـاً بهجـرهـا والكتـاب
سَلْبَني مُجاجةُ[3] المِسْـكِ عقلي فَسْلوهـا بمـا تُجِـلُّ اغْتصـابي
أزْهَـقَتْ أمُّ نَـوْفَـلٍ إذ دَعَـتْـهـا مُهْجَتي مـا لقـاتلي من مَتـاب
حين قـالتْ لهـا أجيبي فقـالت مَنْ دعـاني قـالت أبـو الخَـطّاب
فـاستجابت عنـد الدعـاء كمـا لـ ـبّى رجـالٌ يرجـون حُسْنَ الثواب
أبـرزوهـا مثـلَ المهـاةِ تَهـادى بيـنَ خَـمسٍ كَـواعِـبَ أتـرابِ
وهـي مكنـونـة تَحيَّـرَ منهـا في أديم الخَدَّيْنِ ماءُ الشَّبـاب[4]

---

(١) سورة ص: الآية ٢٣.

(٢) الورقاء: الحمامة والجمع وراقي كصحارى وصحار ورونق الضحي صفاؤه وحسنه.

(٣) المجاجة: الريق ترميه من فيك شبهه بالمسك لأنه ريق من يحب.

(٤) ماء الشباب: رونقه وبهجته.

ثم قـالـوا تُحِبُّهـا قـلتُ بَهْـراً عـدَد النجْم والحَصَى والتُـراب
دُميـةٌ عند[1] راهبٍ ذي اجتهـاد صَـوَّروهـا في جـانب المحراب[2]

قوله: قلت وجدي بها كوجدك بالماء، معنى صحيح وقد اعْتَوَرَهُ الشعراءُ وكلهم أجاد فيه. وقوله: إذا ما منعت برد الشراب، يريد عند الحاجة، وبذلك صحَّ المعنى. ويروى عن علي بن أبي طالب رحمه اللّه أن سائلاً سأله، فقال: كيف كان حبكم لرسول اللّه ﷺ؟ فقال: كان واللّه أحَبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظَمَأ. وقال آخر وأحسبه قَيْسَ بن ذَريحٍ:

حَلَفْتُ لهـا بـالمشْعَرَيْنِ وزَمْـزَمٍ وذو العرش فوق المُقْسمينَ رقيب

(قال أبو الحسن: ويروى واللّهُ فوق المقسمين وهو أحب إليّ):

لئن كـان بَرْدُ المـاء حَرّانَ صـادياً إليَّ حـبيبـاً إنـهـا لَـحـبيبُ

وقال القُطاميُّ:

يَقْتُلْنَنـا بِحَـديث لـيس يَعْـلمـهُ مَنْ يَتَّقينَ[3] ولا مَكْـنـونُـهُ بـادي
فهنَّ يَنْبِـذْنَ من قـول يُصِبْنَ بـه مواقعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصادي

والقول فيه كثير. وقوله: ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب. قوله: والكتاب قَسَمٌ. وقوله: أرهقتْ أمُّ نوفل إذ دعتها مهجتي تأويله أبطلت وأذهبت. قال اللّه جل وعز: ﴿فَيَدْمَغُهُ، فإذا هو زاهق﴾[4] وللزاهق موضع آخر وهو السمين المُفْرِطُ. قال زُهَيْرٌ:

القـائدُ الخيـلَ مَنْكـوباً دَوابِرُهـا[5] منها الشَنونُ ومنها الزاهِقُ الـزَهِمُ

---

(١) دمية هي دمية وهي الصورة المصورة يتأنق في صنعها ويبالغ في تحسينها.
(٢) المرحاب: الموضع الذي يجلس فيه للعبادة.
(٣) يتقين: أي يجدرن.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٨.
(٥) الدوابر جمع دابر وهو ما حاذى مؤخر الرسغ من الحافر.

وقوله: ما لقاتلي من متاب، أي من توبةٍ، والمصدر إذا كان بزيادة الميم من فَعَلَ يَفْعُلُ فهو على مَفْعَلٍ. قال اللَّه جل وعز: ﴿فإنه يتوب إلى اللَّه مَتاباً﴾[1]. وأما قوله جلّ ذكره: ﴿غافِرِ الذَّنْبِ وقابلِ التَّوْبِ﴾[2] فيكون على ضربين يكون مصدراً ويكون جِماعاً، فالمصدر قولك، تاب يتوب توْباً، كقولك، قال يقول قولاً، والجمع تَوْبةٌ وتَوْبٌ مثل تَمْرةٍ وتَمْرٍ وجَمْرةٍ وجَمْرٍ. وقوله: أبرزوها مثل المهاة تهادى، المَهاةُ هي البقرة في هذا الموضع، وتُشَبِّهُ المرأةُ بالبقرة من الوحش لحسن عينها ولمشيتها، والبقرة يقال لها العَيْناءُ والجِماعُ العِينُ، وكذلك يقال للمرأة، وتكون المَهاةُ البِلَّوْرةَ[3] في غير هذا الموضع. وقوله: تهادى، يريد يهدي بعضها بعضاً في مشيتها، ومشية البقرة تُستحسن. قال ابن أبي ربيعة:

أبْصَرتُها ليلة ونِسْوتَها ... يمشين بين المَقام والحَجَر
يمشين في الرَّيْطِ والمُروطِ كما ... يمشي الهُوَيْنا سواكنُ البقر

وقوله: كواعب، الواحدة كاعِبٌ، وهي التي قد كَعّبَ ثدياها للنُهودِ وأترابٌ أقرانٌ، يقال تِرْبُ فلان. والمكوّرة المُكْتَنِزةُ. وقوله: ثم قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهراً، قال قوم: أراد بقوله تحبها الاستفهام، كما قال امرؤ القيس: أحارِ تَرَى بَرْقاً أريكَ وميضَهُ.. فحذف ألف الاستفهام وهو يريد أترى، وقالوا: أراد أتحبها وهذا خطأ فاحش، إنما يجوز حذف الألف إذا كان في الكلام دليل عليها، وسنفسر هذا ونذكر الصواب منه إن شاء اللَّه. قوله: تحبها، إيجاب على غير استفهام، إنما قالوا أنت تحبها، أي قد علمنا ذاكَ فهذا معنى صحيح لا ضرورة فيه. وأما قول امرىء القيس فإنما جاز لأنه جَعَلَ الألف التي تكون للاستفهام تنبيهاً للنداء واسْتَغْنى بها ودلّتْ على أن بعدها ألفاً منوية فحُذفت ضرورةً لدلالة هذه عليها. ونظير قول امرىء القيس: أحار ترى برقاً، فاكتفى بالألف عن أن يعيدها في تَرَى، قولُ ابن هَرْمةَ:

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧١.
(٢) سورة غافر: الآية ٣.

ولا أراهـا تـزال ظـالـمـةً تُـظْهِـرُ لي قـرْحـةً وتَنْكَؤُها[1]

إستغنى بلا الأولى عن إعادتها، كما قال التميمي وهو اللَعينُ المِنْقَريُّ:

لَعَمْـرُكَ مـا أدري وإن كنتُ داريـاً شُعَيْثُ بن سهم أم شُعَيْثُ بن مِنقَـرِ

يريد أشعيث، فدلت أمْ على ألف الاستفهام. وقال ابن أبي ربيعة:

لعمـرك ما أدري وإن كنت داريـاً بسَبْـعٍ رَمَيْنَ الجمـر أم بثمَـان

لهو مثل ذلك. وبيت الأخْطَلِ فيه قولان وهو:

كَـذَبَتْـكَ عينُـك أم رأيتَ بـواسِطٍ غَلَسَ الـظلام من الـرَبـاب خَيـالا

قال: أراد اكذبتك عينك، كما قلنا فيما قبله. وليس هذا بالأجود ولكنه ابتدأ متيقناً ثم شك فأدخل أم، كقولك إنها لإبِلٌ ثم تشك فتقول، أم شاءٌ يا قوم وقوله: قلت بهراً، يكون على وجهين أحدهما حُبّاً يَبْهَرُني بَهراً أي يملؤني. ويقال للقمر ليلة البدر باهر، أي يبهر النجوم أي يملؤها، كما قال ذو الرُمَّة: كما يَبْهَرُ البدرُ النجومَ السواريا. وقال الأعْشى:

حَكَّمتمـوه فَـقَضَـى بينكـم أبْلجُ مثـلُ القمر البـاهِـرِ

والوجه الآخر أن يكون أراد: بهراً لكم أي تَبّاً لكم حيث تلومونني على هذا، كما قال ابن مُفَرِّغٍ:

تَفـاقدَ قَـوْمي إذ يَبيعـون مُهْجتي بجاريـة بَهْـراً لم بعـدهـا بَهْـراً

وقوله: عدد النجم والحصى والتراب، فيه قولان أحدهما أنه أراد بالنجم النجوم ووضع الواحد في موضع الجمع لأنه للجنس، كما تقول: أهْلَكَ الناسَ الدرهمُ والدينارُ وقد كَثُرت الشاةُ والبعيرُ، وكما قال اللّه جلّ وعز: ﴿إنَّ الانسانَ لفي خُسْرٍ إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[2] وقال الشاعر:

---

(١) تنكؤها: تقشرها.

(٢) سورة العصر: الآية ٢.

فبات يَعُدُّ النجمَ في مُسْتجيرةٍ سَريعٍ بأيدي الآكلين جُمُودها

يريد النجوم، ويعني بالمستجيرةِ أهالةً. والوجه الآخر أن يكون النجم ما نجَمَ من النَّبت وهو ما لم يقم على ساق، والشجر ما يقوم على ساق، واليَقْطينُ ما انتشر على وجه الأرض.

قال اللّه عز وجل: ﴿والنَجْمُ والشَجَرُ يسجدان﴾[1] وقال الحرث بن ظالم للأسود بن المُنذِرِ بن ماء السماء:

أخُصْبَيْ حمارٍ بات يَكْدِمُ[2] نَجْمةً أيُؤكَلُ جيراني وجارُكَ سالِمُ

ومن طريف شعره، قوله:

فلما فَقَدْتُ الصوت منهم وأُطْفِئَتْ مَصابيحُ شُبَّتْ بالعِشاء وأنْوَرُ[3]
وغاب قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيوبه ورَوْحَ رُعْيانٌ ونَوَّم سُمَّرُ
ونَفَّضْتُ عني العينَ أقبلتُ مِشْيةَ الـ ـحُباب ورُكْبي خِيفة القوم أزْوَرُ
فَحَيَّيْتُ إذ فاجأتُها فتَوَلَّهَتْ[4] وكادتْ بمكنون التحيَّة تَجْهَرُ
وقالت وعَضَّتْ بالبَنان: فَضَحْتَني وأنتَ امرؤ ميسور أمرِك أعْسَرُ
أرَيْتَكَ إذ هُنَّا عليكَ ألم تَخفْ رَقيباً وحولي من عَدُوِّكَ حُضَّرُ
فواللّه ما أدري أتَعْجيلُ حاجةٍ سَرَتْ بك أم قد نام من كنتَ تَحْذَرُ
فقلتُ لها بل قادني الشوقُ والهوى إليك وما عَيْنٌ من الناس تنظرُ
فيا لكَ من ليل تقاصَرَ طوُلُهُ وما كان ليلي قبل ذلك يَقْصُرُ
ويا لكَ من مَلْهى هُناكَ ومَجْلسٍ لنا لم يُكَدِّرْهُ علينا مُكدِّر
يَمُجُّ ذَكيَّ المسكِ منها مُفَلَّجٌ[5] رقيقُ الحواشي ذو غُروبٍ مُؤشَّرُ

---

(١) سورة الرحمن الآية ٦.

(٢) يكدم: يعض.

(٣) نعتبر هذه القصيدة أروع ما قاله عمر فهي حلقة تمهيد قبل المسرحية الحديثة فيها نفس ملحمي ظاهر وطريف.

(٤) تولهت: خافت وتحيرت.

(٥) مفلج: يريد صغراً مفلجاً أي تباعد ما بينها. يصف طيب ريح فمها.

يَـرِفُّ إذا يَـفْـتَـرُّ عـنـه كـأنـه ... حَـصـى بَـرَدٍ أو أقْـحـوانٌ مُـنَـوَّرُ

وتَـرْنـو بعينيهـا إليَّ كـمـا رَنَـا ... إلـى رَبْرَبٍ[1] وَسْطَ الخَـمـيـلة جُـؤْذُرُ

فـلمّـا تَـقَـضَّـى الـلـيـلُ إلّا أقَـلَّهُ ... وكـادتْ تُـوالـي نجـمـهِ تَـتَـغَـوَّرُ

أشـارَتْ بـأن الحيَّ قـد حـان منهمُ ... هُـبـوبٌ ولكنْ مَـوْعِـدٌ لـكَ عَزْورُ[2]

فـمـا راعَـنـي إلّا مُـنـادٍ بِـرِحْـلةٍ ... وقـد لاحَ مَفْـتـوقٌ من الصبـح أشْقَـرُ

فـلمـا رأتْ مَنْ قـد تَثَـوَّر[3] منـهـمُ ... وأيْـقـاظَهُمْ قـالت أشِـرْ كيف تـأمُـرُ

فـقلت أبـادِيـهـمْ فـإمّـا أفـوتُـهـم ... وأمـا يَـنـالُ السيفُ ثـأراً فَـيَـثْـأرُ

فقالتْ أتحقيقاً لِمـا قـال كـاشِـحٌ ... علينـا وتَصْـديقـاً لمـا كـان يُؤْثَـرُ

فـإن كـان مـا لا بُـدَّ منـه فغيـرُهُ ... مـن الأمـر أدْنى لـلخَفـاء وأسْـتـرُ

أقُصُّ عـلى أُختيَّ بَـدْءَ حـديثـنـا ... ومـالـيَ من أنْ تَـعـلمـا مُـتَـأخَّـرُ

لعلَّهمـا أن تبْغيـا لـكَ مَخْـرَجـاً ... وأن تَـرْحُبا سِـرْبـاً بما كنتُ أحْصَـرُ

فقـامتْ كئيبـاً ليس في وجههـا دَمٌ ... من الحـزن تَـذْري عَبْـرةً تَتَحَـدَّرُ

فقـالتْ لأُختيهـا أعِينـا على فَـتىً ... أتـى زائـراً والأمْـرُ لـلامـرِ يُقْـدَرُ

فـأقبَلَتـا فـارتـاعَـتـا ثم قـالـتـا ... أقِلّي عليكِ الهَمَّ فـالخَـطْب أيْسَـرُ

يـقـوم فيـمشي بيـنـنـا مُـتَـنَكِّـراً ... فـلا سِـرُّنـا يَفشو ولا هـو يَـظْهَـرُ

فكـان مِجَنّي دون مَـنْ كنـتُ أتَّقـي ... ثـلاثَ شخـوصٍ كـاعِبـانٍ ومُعْصِرُ[4]

فلمـا أجَـزْنـا سـاحـةَ الحيِّ قُلْنَ لي ... ألـم تَتَّقِ الاعـداءَ والليـلُ مُـقْمِـرُ

وقُلْنَ أهـذا دَأبُـكَ الـدهـرَ سادِراً[5] ... أمـا تَستحي أو تَـرْعَـوي أو تُفَكِّـرُ

قـولـه: شُبَّتْ يقـولُ أو قدتْ، يقـال: شَبَبْتُ النارَ والحَـرْبَ أي أوقدتهمـا.

وقـولـه: وانوِّر أن شئت همـزت وإن شئت لم تهمـز، وإنمـا الهمـزة لانضمـام

---

(١) الربرب: بالفتح القطيع من بقر الوشحي.

(٢) عزور: بالفتح موضع قرب مكة.

(٣) تثور: أي صاح ونهض من أهلها.

(٤) معصر: المرأة التي بلغت شبابها وأدركت أو دخلت في الحيض أو قاربت العشرين.

(٥) سادراً: اللاهي الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع.

الواو، وقد مضى تفسير هذا. وقوله: قمير، إنما صغره لأنه ناقص عن التمام وهذا في أول الشهر، وكذلك في آخر الشهر، لأن النقصان فيهما واحد. قال عمر:

وقُمَيْرٌ بَدَا ابن خمسٍ وعشـ ـرين لـه قالت الفَتاتان قُوما

وقوله رُعْيان، يريد جمع الراعي، ومثله راكب ورُكْبان، وفارِس وفُرْسان. والسمَّر، جمع السامر. . وهم الجماعة يتحدثون ليلاً، والحبابِ حبة بعينه. وقوله: ونفضت عني العين، يقول احترست منها وأمِنتُها. والنَفَضةُ أمام العَسْكرِ هم القومُ يتقدمون فينفضون الطريق. وقوله أزور، يعني متجافياً، يقال تَزَاوَرَ فلان إذا ذهب في شِقٍّ. وقوله: ذو غروب، غرْبُ كلِّ شيء حَدُّهُ وإنما يعني الاسنان، وقوله مؤشر يعني له أُشُرٌ وهو تشرير الأسنان في قول الناس جميعاً، يقال لاسنانه أُشُرٌ فهذا الشائع الذائع، وأما الشَنَبُ فهو عندهم جميعاً بَرْدٌ في الاسنان. وحدثني الرياشي عن ابن عائشة قال: أخذ أبي حَبّة رُمَّانٍ بين اصبعيه فإذا هي تَرِفٌ، فقال هذا الشَنبُ. وقوله: وكادت توالي نجمه تتغور، التوالي التوابع، وتتغور تَغورُ فتذهب، وهو مأخوذ من الغَوْرِ. وقوله: أشارت بأن الحي قد حان منهم هبوب، يقول انبتاه. يقال هَبَّ من نومه يَهُبُّ. قال عمرو بن كُلْثومٍ:

ألا هُبِّي بصَحْنِكَ[1] فاصْبَحينا (ولا تُبقي خُمورَ الاندَرينا)

وقال الآخر:

هَبَّتْ تلوم وليستْ ساعةَ اللاَّحي هلا انتظرتِ بهذا اللومِ إصْباحي

وعزوَر موضع بعينه. وقوله: وأيقاظهم جمع يَقُظٍ. وقوله فقالت: أتحقيقاً أي أتفعل هذا تحقيقاً، ومن كلام العرب أكُلَّ هذا بخلاً وذاك أنه رآه يفعل شيئاً أنكره، فقال أتفعل كل هذا بخلاً. وقوله: أباديهم يعني أظهر لهم، غير

(١) الصحن: القدح العظيم وهنا آنية الخمرة.

مهموز، يقال بَدا يَبْدو غير مهموز إذا ظهر، وبدأت بهذا مهموز إذا أردت به معنى الأول. وقوله بدء حديثاً يريد أولَ حديثنا. وقوله: وإن ترحبا يريد أن تتسعا أي تتسع صدورهما من قولهم فلان رَحيبُ الصدر. وقوله: أحْصَر أضِيق به ذَرْعاً، وقد مضى تفسيره. وقوله: مِجَنِّي يريد تُرْسي. وقوله: ثلاث شخوص والوجه ثلاثة أشْخُصٍ، ولكنه لما قَصَدَ إلى النساء أنَّث على المعنى وأبان ما أراد بقوله: كاعبان ومعصر. ومثل قول الشاعر:

فإنَّ كِلاباً[1] هذه عَشْرُ أبْطُنٍ وأنتَ بريءٌ من قَبائلها العَشْرِ

فقال: عشر أبطن، لأن البطن قبيلة، وابان ذلك في قوله من قبائلها العشر. وقال اللّه جل وعز: ﴿من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها﴾[2]. لأن المعنى حسنات. ويروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عُقْبةَ المُرِّيّ إلى المدينة اعترض الناسَ، فمر به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْسٌ قبيح، فقال له: يا أخا أهل الشام! مِجَنُّ بن أبي ربيعة أحسنُ من مِجَنِّكَ، يريد قولَ ابن أبي ربيعة:

فكان مجني دون مَنْ كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبانِ ومُعْصِرُ

وقوله: أما تستحي يريد تستحيي وله تفسير يبعد في العربية قليلاً وسنذكره بعد ذلك إن شاء اللّه تعالى:

---

(١) كلاباً: يريد القبلة التي تسمى بهذا الاسم.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٤٤ ـ باب في الغناء عند العرب

قال أبو العباس: وحُدِّثتُ أن عُمَرَ الوادي قال: أقبلتُ من مكة أريد المدينة، فجعلت أسير في صَرْدٍ[1] من الأرض، فسمعت غِناءً من القَرار لم أسمع مثله، فقلتُ: واللَّه لأتَوَصَّلَنَّ إليه ولو بذَهاب نفسي. فانحدرتُ إليه، فإذا عبد أسود، فقلت له: أعِدْ عليَّ ما سمعتُ. فقال لي: واللَّه لو كان عندي قِرىً أقْرَيك ما فعلتُ، ولكني أجعله قِراكَ فإني ربما غَنَّيْتُ هذا الصوتَ وأنا جائع فأشبع، وربما غنيته وأنا كَسْلانُ فأنشَطُ، وربما غنيته وأنا عطشان فأرْوَى، ثم انْبَرى يُغَنِّيني:

وكنتُ إذا ما زُرْتُ سُعْدَى بأرضها ... أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويَدْنو بعيدُها
من الخَفِرات[2] البيض وَدَّ جَليسُها ... إذا ما قَضَتْ أُحْدوثةً لو تُعيدُها

(وبعده:

تُحَلِّلُ أَحْقادي[3] إذا ما لَقيتُها ... وتَبْقى بلا ذنب عليَّ حُقودُها
وكيف يُحِبُّ القلبُ مَنْ لا يُحِبُّهُ ... بَلى قد تريد النفسُ مَن لا يريدها)

قال عمر: فحفظتُهُ عنه ثم تغنَّيت به على الحالات التي وَصَفَ فإذا هو كما ذَكَرَ. وتَحَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّونَ عن خالدِ صامَةَ أنه كان من أحسن الناس ضرباً

---

(١) الصرد بالفتح المكان المرتفع في الأرض أو الجبال.

(٢) الخفرات: جمع خفرة وهي الحياء.

(٣) الاحقاد: جمع حقد وهو الانطواء على العداوة والبغضاء.

بالعُود، قال: فَقَدِمْتُ على الوَليد بن يَزيد وهو في مجلسٍ ناهيكَ به مجلساً، فألفَيته على سريره وبين يديه مَعْبدٌ ومالك بن أبي السَمْحِ، وابن عائشة، وأبو كامل غُزَيِّلٌ الدِمَشْقيُّ، فجعلوا يغنّون حتى بلَغت النَوْبةُ إليَّ فَغَنَّيْتُهُ:

سَرَى هَمّي[1] وَهمُّ المَرْءِ يَسْري ... وغارُ النَجْمُ إلاّ قيدَ فِتْرِ
أراقِبُ في المَجَرّة كلَّ نَجْمٍ ... تَعَرَّضَ أو على المَجْراةِ يَجْزي
لِهَمٍّ ما أزالُ له قَريناً ... كأنَّ القلبَ أُبْطِنَ حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخي فارقتُ بَكْراً ... وأيُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بعدَ بَكْرِ

فقال لي: أَعِدْ يا صامَ، ففعلتُ، فقال لي: مَنْ يقولُ هذا الشعر؟ فقلت، هذا بقوله عُرْوةُ بن أُذَيْنةَ يرثي أخاه بكراً. فقال لي الوليد: وأي العيش يصلح بعد بكر. هذا العيش الذي نحن فيه واللّه قد تَحَجَّر واسعاً[2] على رَغْمِ أنْفِهِ. وحُدِّثْتُ أن سُكَيْنةَ بنت الحسين أُنْشِدَتْ هذا الشعر: فقالت ومَنْ بَكْرٌ؟ فوصف لها، فقالت: أذاك الأَسَيِّدُ الذي كان يمر بنا واللّه لقد طاب كلُّ شيء بعد ذاكَ حتى الخبزُ والزيتُ. ورَوى أصحابنا أن يزيد بن عبد الملِكِ ـ وأُمُّه عاتِكةُ بنت يزيد بن معاوية وإليها كان يُنْسَبُ ـ قال يوماً: يقال أن الدنيا لم تَصْفُ لأحد قَطُّ يوماً، فإذا خَلَوْتُ هذا فاطْووا عني الأخبار وَدَعوني وَلَذّتي وما خَلَوْتُ له. ثم دعا بحَبابةَ، فقال: اسقيني وغَنّيني فَخَلَوا في أطيب عَيْشٍ، فتناولت حَبابةُ حَبَّةَ رُمّانٍ فوضعها في فيها، فَغَصَّتْ بها فماتت، فجَزِعَ يزيدُ جَزَعاً أذهَلهُ ومَنَعَ من دفنها حتى قال له مشايخ بني أُمَيَّةَ، إن هذا عيب لا يُسْتقالُ وإنما هذه جيفةٌ، فأذِنَ في دفنها وتَبِعَ جِنازَتها. فلما واراها قال: أمسيتُ واللّه فيكِ، كما قال كُثَيِّرٌ:

فإن تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعِ الهَوى ... فباليأسِ تَسْلو عنك لا بالتَجَلُّدِ
وكلُّ خليلٍ راءَني فهو قائلٌ ... مِن آجْلِكِ هذا هامةُ اليومِ أو غَدِ

---

(١) سرى همي: أي دب إلى نفسي كما يقال سرى مرق الشجر إذا دب تحت الأرض.
(٢) قد تحجر واسعاً: أي ضيق على الناس وعلى نفسه.

فعُدَّ بينهما خمسةَ عشر يوماً. وقوله راءني يريد رآني ولكنه قَلبَ فأخر الهمزة. ونظير هذا من الكلام قسيٌّ في جمع قَوْسٍ وإنا الأصل قُؤوسٌ، ولما أُخِّرَ الواوين أَبْدَلَ منهما ياءين كما يجب في الجمع، تقول دَلْوٌ ودُلِيٌّ وعاتٍ وعُتِيٌّ، وإن شئت قلت عِتِيٌّ ودِلِيٌّ من أجل الياء، فإن كان فُعولٌ لواحد، قلت عُتُوٌّ. ويجوز القلبُ. والوجه في الواحد إثبات الواو، كما تقولُ مَغْزُوٌّ ومَدْعُوٌّ ويجوز مَغْزِيٌّ ومَدْعِيٌّ.

وفي القرآن: ﴿وعَتَوْا عُتُوّاً كبيراً﴾[1]. وقال ﴿أيُّهُمْ أشَدُّ على الرحمن عِتِيّاً﴾[2] وقال: ﴿إرْجِعي إلى ربك راضيةً مَرْضيةً﴾[3] والأصل مَرْضُوَّةٌ لأنه من الواو من الرضوان. ومن القلب قولهم طامَنَ، ثم قالوا: اطْمأنَّ فأخروا الهمزة وقدموا الميم، ومثل هذا كثير جداً: وقوله: هذا هامةُ اليوم أو غَدِ، يقول مَيِّتٌ في يومه أو في غده، يقال إنما فلان هامة أي يصير في قبره وأصل ذلك شيء كانت العرب تقوله، وقد مضى تفسيره. وحدثني عبد الصمد بن المُعذَّلِ قال: سمعتُ اسحق بن إبراهيم المَوْصليَّ يتحدث قال: حَججتُ مع أمير المؤمنين الرشيدِ، فلما قَفَلْنا فنزلنا المدينة آخيْتُ بها رجلاً كان له سِنٌّ ومعرفة وأدَبٌ فكان يُمْتِعُني فإني ذاتَ ليلة في منزلي إذا أنا بصوته يَسْتأذن عليّ، فظننت أمراً قد فَدَحَهُ[4] ففَزِعَ فيه إليّ. فأسرعت نحو الباب، فقلت: ما جاء بك؟ فقال: إذن أخبرَكَ، دعاني صديقٌ إلى طعام عَتيدٍ وشراب قد التقى طرفاه[5] وشِواءٍ رِشْراشٍ[6] وحديث مُمْتِعٍ وغِناء مُطْرِبٍ فأجبته وأقمت معه إلى هذا الوقت فأخذتْ مني حُمَيّاً الكأسِ مأخذها ثم غُنِّيتُ بقول نصيب:

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢١.

(٢) سورة مريم: الآية ٦٩.

(٣) سورة الفجر الآية ٢٨.

(٤) قد فدحه: أي أثقله.

(٥) التقى طرفاه: يريد أعلاه وأسفله وكنى بهذا عن رقته وصفائه.

(٦) الرشراش: السمين من الشواء.

بـزينبَ أَلِمْ قبل أن يَـرْحَـلَ الـرَكْبُ وقـل ان تمَلَّينـا فَمـا مَـلَّكِ القـلبُ

فكدتُ أطير طرباً. ثم وجدت في الطرب نقصاً إذ لم يكن معي مَنْ يَفْهَمُ هذا كما فهمته ففزعتُ إليك لأصفَ لك هـذه الحال ثم ارجع إلى صاحبي، وضَـرَبَ نَعْلَيْهِ مُـوَلِّيا عني، فقلت: قِفْ أكلِّمْـكَ. فقال: مـا بي إلى الوقـوف إليك من حاجة.

وحـدَّثني غير واحـد من أصحابنـا عن أبي زيد سعيـد بن أوس الأنصاري يُسْنِـدُهُ قال: كـانـت وَليمـةٌ في أخـوالنـا، وهم حَيٌّ يقـال لهم بنـو نُبَيْطٍ من الانصار. قال: فحضر الناس وجاء حَسّان بن ثابت وقد ذهبَ بصـرُه ومعه ابنـه عبد الرحمن يقوده. فلما وُضِعَ الطعام وجيء بالثريد، قال حسان لابنه: يا بنيّ أطعامُ يَدٍ أم طعام يَدَيْنِ؟ فقال بل طعـام يد، فـأكل. ثم جيء بـالشواء فقـال: أطعـام يد أم طعـام يدين؟ فقـال: طعام يـدين فأمسـك. وفي المجلس قَيْنَتان تغنيان بشعر حسان:

انـظُرْ خَـليـلي بببـاب جِـلّقَ هـل تُـؤنِسُ دون البَـلْقـاءِ[1] مـن أحـد

قال: وحسان يبكي يـذكر مـا كان فيـه من صحة البصـر والشباب، وعبـد الرحمن يومىء إليهما أن يزيداً، قال أبو زيد: فلأعْجَبني ما أعْجبهُ من أن تُبكِّيا أبـاه، يقول: عَجِبْتُ مـا الـذي اشتَهى من أن تبكيـا أبـاه، فقـولـه أعجبني أي تركني اعْجَبُ،

ومثله قول ابن قَيْسِ الرُقَيّاتِ:

ألا هَـزِئَـتْ بنـا قُـرَشيـ ـةٌ يَـهْـتَـزُّ مَـوْكِـبُـهـا
رأتْ بي شَيبـةَ في الـرأ سِ عـني مـا أُغَـيِّبُـهـا
فـقـالـتْ أبْـنُ قـيسٍ ذا وبعضُ الشيب يُـعْجِبُـهـا

أي تتعجب منـه. وحدثني عبـد الصمد بن المُعَـذّلِ قـال: كـان خَليـلانُ

---

(١) البلقاء: بلد بالشام.

الأمُوَيُّ يتغنى ويرى ذاك زائداً في الفُتُوّةِ. وكان خَليلانُ شريفاً وذا نعمة واسعة، فحضر يوماً منزل عُقْبَةَ بن سَلْمٍ الهُنائي[1] وهو أمير البصرة وكان عاتياً جباراً، فلما طَعِما وَخَلوَا نظر خليلانُ إلى عودٍ موضوع في جانب البيت فَعَلِمَ أنه عُرِّضَ له به فأخذه فتغنّى:

بابنة الأزْدِيِّ قلبي كَئيبُ مُسْتهامٌ عندها ما يؤوبُ
ولقد لاموا فقلتُ دَعُوني إنّ مَن تَلْحَوْن[2] فيه حبيبُ

فجَعَلَ وجهُ عقبة يتغير وخليلانُ في سَهْوٍ عما فيه عقبةُ يَرى أنه محسن، ثم فَطَنَ لتغير وجه عقبة، فعلم أنه لِما تَغنى به، فَقَطَعَ الصوت وجعل مكانه:

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها

فَسُرِّيَ عن عقبة، فلما انقضى الصوت وضع خليلانُ العودَ ووَكدَ على نفسها الحلف ألا يُغَني عند من يجوز أمرُه عليه أبداً. وحُدثتُ أن رجلاً تغنى بحضرة الرشيد بشعر مُدِحَ به عليُّ بن رَبْطَه وهو عليّ بن أمير المؤمنين المَهْدي، وتَغَنّاهُ المُغَني على جهل وهو:

قل لعليٍّ أيا فَتى العرب وخيرَ نامٍ وخيرَ مُنتَسِبِ
أعْلاكَ جَدّاك يا عليُّ إذا قصَّرَ جَدٌّ في ذِرْوةِ الحَسَب

ففتش عن المغني فوجده لم يَدْرِ فيمن الشعرُ فبَحثَ عن أول مَن تغنى فيه فإذا هو عبد الرحمن الرَقّاصُ، فأمر به فضرب اربعمائة سوط. وحُدّثْتُ أن معاوية استمع على يزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناءً أعجبه، فلما أصبح قال ليزيد: من كان مُلْهيكَ البارحةَ. فقال له يزيد: ذاك سائبُ خاثِرٍ. قال: إذاً فاخْثِرْ له من العطاء[3].

---

(١) نسبة إلى هناءة كثمامة ولعله إسم قبيلة.

(٢) تلحون: أي تلومونني وتعذلونني من أجله.

(٣) فأخثر له من العطاء: أي أكثر صلته وجائزته.

وحُدِّثْتُ أن معاوية قال لعمرو: امضِ بنا إلى هذا الذي قد تَشاغَل باللهو وسعى في هدم مُروءتِهِ حتى نَنْعَى عليه، أي نعيب عليه فعله، يريد عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب. فدخلا إليه وعنده سائبُ خاثِرٍ وهو يُلقي على جَوارٍ لعبد اللّه، فأمر عبد اللّه بتنحية الجواري لدخول معاوية وثبتَ سائبٌ مكانه. وتَنَحَّى عبدُ اللّه عن سريره لمعاوية فرفع معاويه عمراً فأجلسه إلى جانبه، ثم قال لعبد اللّه: أَعِدْ ما كنتَ فيه. فأمر بالكَراسيْ فألقيت وأُخْرِجَ الجَواري، فتغنى سائب بقول قيس بن الخَطيم.

ديارُ التي كادتْ ونحن على مِنىً تحُلُّ بنا لولا نَجاءُ الرَكائبِ
ومثلِكِ قد أصبيتُ ليست بكنَّةٍ ولا جارةٍ ولا حَليلةِ صاحبِ

وردَّدَهُ الجواري عليه، فحرك معاويةُ يديه وتحرك في مجلسه ثم مَدَّ رجليه، فجعل يضربُ بهما وجه السرير. فقال له عمرو: اتَئِدْ يا أمير المؤمنين، فإن الذي جئتَ لتَلْحاهُ أحسنُ منك حالاً، وأقل حركة. فقال معاوية: اسكتْ لا أبالك فإن كلَّ كريم طَروبُ. وحُدِّثْتُ من غير وجه أن سفيان بن عُيَيْنة قال لجلسائه يوماً إني أرى جارنا هذا السَهْمِيَّ قد أثرى وانفسحتْ له نِعمةٌ، وصار ذا جاه عند الامراء، ووافداً إلى الخلفاء، فَمِمَّ ذاكَ؟ يعني يحيى بن جامعٍ. فقال له جلساؤه: إنه يصير إلى الخليفة فيتغنى له. فقال سفيان: فيقول ماذا؟ فقال أحد جلسائه: يقول:

أطُوفُ نهاري مع الطائفين وأرْفَعُ من مِئْزَري المُسْبَلِ

فقال سفيان: ما أحسَنَ ما قال؟ فقال الرجل:

وأسْهَرُ ليلي مع العاكفين واتْلو من المُحْكَمِ المُنْزَلِ

قال: حَسَنٌ واللّه جميلٌ. قال: إنّ بعد هذا شيئاً. قال سفيان: وما هو؟ قال:

عَسى فارِجُ الكَرْب عن يوسفٍ يُسَخِّرُ لي رَبَّةَ المِحْمَلِ

٢٥٦٦ ش

فزَوَى سفيان وجهه، وأومأ بيده أن كُفّ وقال: حَلالاً حلالاً. ولقي ابنُ ابْجَرَ عَطاءَ بن أبي رَباحٍ وهو يطوف، فقال: اسمَعْ صوتاً للغريض. فقال له عَطاءٌ: يا خَبيثُ أفي هذا الموضع؟ فقال ابن ابْجَرَ: ورَبِّ هذه البَنِيّةِ لَتَسْمَعَنَّهُ خُفيْةً أو لأشيدَنَّ به. فوقف له فتَغَنّى:

عوجي علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ ... إنّكِ إن لا تَفْعَلي تَحْرَجي
أنّى اتيحت لي يَمانيةٌ ... إحدى بني الحرث من مَذْحجِ
نَلْبَثُ حولاً كاملاً كلّه ... لا نَلْتَقي إلاّ على مَنْهَجِ
في الحج إن حَجّتْ وماذا مِنىً ... وأهْلُهُ إن هي لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء الكثير الطَيّبُ يا خبيثُ. وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملك مُتَغَنِّياً في عسكره فقال: اطلبوه. فجاؤوا به فقال: أعِدْ ما تغنّيتَ فتغنى واحْتَفَلَ، وكان سليمانُ مُفْرِطَ الغَيْرةَ، فقال لأصحابه: واللّه لكأنها جَرْجرةُ[1] الفحل في الشَوْلِ[2]، وما أحسبُ انثى تسمع هذا إلاّ صَبَتْ. ثم أمر به فَخُصِيَ. وحُدِّثْتُ أن الفرزدق قدم المدينة، فنزل على الأحْوصِ بن عبد اللّه بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلَحِ، فقال له الأحوصُ: ألا اسْمِعُكَ غِناءً من غِناءِ القُرى. فأتاه بمُغَنٍّ فجعل يغنّيه. فكان مما غنّاه:

أتَنْسى إذْ تُوَدّعُنا سُلَيْمى ... بفَرْعِ بَشامةٍ سُقِيَ البَشامُ[3]
ولو وَجَدَ الحَمامُ كما وَجَدْنا ... بسُلْمانَيْنِ لاكْتأبَ الحمامُ

فقال الفرزدق: لمن هذا؟ فقالوا: لجرير. ثم غناه:

اسْرى لخالِدَةَ الخَيالُ ولا أرى ... شيئاً الذَ من الخيال الطارق
إن البليةَ من تَمَلُّ حديثه ... فانقَعْ فُؤادكَ من حديث الوامق

---

(١) الجرجرة: صدت البعير عند الضحى.

(٢) الشوال: بفتح: فسكون، النوق التي شال لبنها وارتفع ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها أو ولادتها ومفرده شائلة وهو جمع على غير قياس.

(٣) البشام: شجر طيب الريح.

فقال: لمن هذا؟ فقيل: لجرير. ثم غناه:

إن الـذيـن غـدَوْا بلُبِّـكَ غـادروا وَشَلاً[1] بعينـك مـا يـزال مَعيناً[2]
غَـيَّضْـنَ من عَـبَـراتِـهـنّ وقُـلْنَ لـي مـاذا لـقيـتَ من الـهـوى وَلقـيـنـا

فقال: لمن هذا؟ فقالوا: لجرير. فقال الفرزدق: ما احوَجهُ مع عَفافه إلى خُشونةِ شِعْـري، واحْوجَنَي مـع فُسوقي إلى رِقّـةِ شعره. وقـال الأحْوَصُ يـوماً لمَعْبَـدٍ: امضِ بنـا إلى عَقيلةَ حتى نتحـدث إليهـا ونسمـع من غنـائهـا وغناء جـواريها، فمضيـا فألفيـا على بابهـا مُعاذاً الأنصـاريّ، ثم الزُرَقيّ[3] وابنَ صائد النجاري، فاستأذنوا عليها جميعاً فأذنت لهم إلاّ الأحوص، فـإنها قـالت: نحن غِضـابٌ على الأحـوص. فـانصـرف الأحـوص وهـو يلوم أصحـابـه على استبدادهم، فقال:

ضَنّتْ عَقيلةُ لمـا جئتُ بـالـزاد وآثرت حاجةَ الثاوي[4] على الغادي[5]
فقلتُ واللّه لـولا أن تقـولَ لـه قد باح بـالسِرِّ أعـدائي وحُسّـادي
قلنـا لمنـزلهـا حُيّيتَ من طَلَلٍ ولـلعَقـيق ألا حُـيّـيـتَ مـن وادي
إني جعلتُ نَصيبي من مـودتهـا لِـمَعْبـدٍ ومُعـاذٍ وابـن صَـيّـاد
لابن اللّعين الذي يُخبِا الدخانُ له وللمُغَنّي رسـولِ الـزورِ قَـوّادي
أمـا معـاذٌ فـإني لـستُ ذاكِـرَهُ كـذاك أجـدادُهُ كـانـوا لأجْـدادي

قال الزبيري: وكان مُعاذٌ جَلْداً فخاف الأحوصُ أن يضربه، فحلف مَعْبدٌ أن لا يكلم الأحوص ولا يتغنى في شعره، فشق ذلك على الأحوص فلما طالت هِجْرتهُ إياه رحل نجيباً له وجعل طِلاءً في مِذْرَعٍ (والمذرع زِقٌّ سُلِخَ حين سُلِخَ مما يلي الذراعَ)

---

(١) وشل: بالتحريك. الكثير من الدمع.
(٢) المعين: بفتح الميم: الماء الجاري.
(٣) الزرقي: نسب إلى بني زريق.
(٤) الثاوي: المقيم.
(٥) الغادي: المسافر.

في حقيبة رحلةٍ، واعدّ دنانير ومضى نحو معبد فأناخ ببابه ومعبدٌ جالس بفنائه، فنزل إليه الأحوصُ فكلمه، فلم يكلمه معبد، فقال: يا أبا عَبّادِ أتهجرني؟ فخرجت إليه امرأته أمّ كَرْدَمٍ فقالت: أتهجُرْ أبا محمد؟ واللّه لتكلمنه. قال: فاحتمله الأحوص، فأدخله البيت وقال: واللّه لا رِمْتُ هذا[1] البيت حتى آكل الشِواءَ، وأشرب الطِلاءَ، وأسمع الغِناء. فقال له معبد: قد أخزى اللّه الأبْعَدَ هذا الشِواء أكلتَهُ، والغناء سمعته، فأنّى لك بالطِلاء؟ قال: قُمْ إلى ذلك المذرع ففيه طلاء ومعه دنانير، فأصلح بها ما تريد من أمرنا. ففعل كل ما قال. فقالت أم كَرْدمٍ لمعبد: أتهجر مَن إن زارنا أغدر[2] فينا فضلاً ونَيْلاً، وإن فارقنا خَلّفَ فينا عقلاً ونُبْلاً! فانصرف الأحوص مع العصر فمر بين الدارين وهو يميل بين شُعْبَتَيْ رحله.

إتهام سعد بن مصعب بن الزبير

وحُدِّثْتُ أن سعد بن مُصْعب بن الزبير اتُّهم بامرأة في ليلةِ مَناحةٍ[3] أو عُرْسٍ، وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد اللّه بن الزبير. فقال الأحوص: وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار:

ليس بسَعْدِ النارِ مَنْ تذكرونه ... ولكنّ سعدُ النار سعدُ بن مُصْعبِ
ألم تَر أنّ القومَ ليلةَ جمعهم ... بَغَوْهُ[4] فألفوه لدى شَرِّ مَرْكبِ
فما يَبْتَغي بالشرّ لا دَرّ دَرُّهُ ... وفي بيته مثلُ الغزال المُرَيّبِ

فأمر سعدُ بن مصعب بطعام، فصنع ثم حُمِلَ إلى قباب العرب، وقال للأحوص، وكان له صديقاً: تعالَ نمضِ فنصيب منه. فلما خلا به أمَر به

---

(١) لا رمت: لا برحت منه.

(٢) أغدر فينا فضلاً أي ترك وأبقى.

(٣) ليلة مناحة: موضع النوح يقال ناحت المرأة على الميت إذا بكته وعددت محاسنه والاسم النواح بالضم وربما قيل النياح بالكسر.

(٤) بغوه: طلبوه ـ يقال بغيته بغياً إذا طلبته والاسم البغاء.

فأوثق وأراد ضربه فقال له الأحوص: دَعْني فلا واللّه لا أهجو زُبَيْرِيّاً أبداً. فحله ثم قال: إني واللّه ما لُمتك على مزحك ولكني أنكرت قولك:

وفي بيته مثل الغزال المريب

وحُدِّثْتُ أن ابن أبي عَتيق ذُكِرَ له أن المُخَنّثين بالمدينة خُصُوا، وإنه خُصِيَ الدَلالُ فيهم فقال: أنا له، وأما واللّه لئِن فُعِلَ ذلك به لقد كان يُحْسِن:

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ ـش[1] أمْسى دارساً خَلَقا

ثم استقبل ابنُ أبي عتيق القبلةَ يصلي، فلما كبَّر سَلَّمَ، ثم التفت إلى أصحابه فقال: اللهم إنه كان يُحْسِنُ خَفيفَهُ فأما ثقيلهُ فلا. اللّه أكبر. وحُدِّثْتُ أن مَدنيّاً كان يصلي مذ طلعت الشمس إلى أن قارب النهار أن ينتصف ومن ورائه رجل يَتَغَنّى، وهما في مسجد رسول اللّه، فإذا رجل من الشُرَط قد قبض على المغني فقال: أَتَرْفعُ عقيرتَكَ بالغِناءِ في مسجد رسول اللّه ﷺ، فأخذه. فانفتل[2] المدنيُّ من صلاته، فلم يزل يَطلُبُ إليه فيه حتى استنقذه، ثم أقبل عليه فقال: أتدري لمَ شَفَعْتُ فيك؟ قال: لا، ولكني إخالُكَ رحمتَني. قال: إذاً فلا رحمني اللّه. قال: فأحسبكَ عرفت قرابةً بيننا. قال: إذاً فقطعها اللّه. قال: فلِيَدٍ تقدمتْ مني إليك. قال: لا واللّه ولا عرفتُكَ قبلها. قال: فخَبِّرْني. قال: لأني سمعتك غَنَّيْتَ آنِفاً فأقمتَ واواتِ مَعْبدٍ، أما واللّه لو أسأتَ التأدية لكنتُ أحد الأعوان عليك. والصوتُ الذي ينسبُ إلى واوات معبد شعْرُ الأعْشى الذي يُعاتبُ فيه يَزيدَ بن مُسْهِرٍ الشيباني، و هو قوله:

هُرَيْرَةَ وَدِّعْها وإنْ لام الائمُ غداةَ غد أم أنتَ للبينِ واجِمُ[3]
لقد كان في حَوْلٍ ثَواءٍ ثَوَيْنَهُ تُقَضّى لُباناتٌ[4] ويَسْأمُ سائِمُ

---

(١) بذات الجيش: واد قرب المدينة فيه انقطع عقد عائشة رضي اللّه عنها.

(٢) انفتل المدني في صلاته أي انصرف عنها وتحول.

(٣) الواجم: العبوس المطرف لشدة الحزن.

(٤) اللبانات: بالضم الحاجات من غير فاقة واحدها لبانة.

قالوه: هريرةَ ودعها وإن لام لائم، منصوب بفعل مضمر تفسيره وَدِّعْها كأنه قال: وَدِّعْ هريرة، فلما اخْتَزَلَ الفعل أظهر ما يدلُّ عليه، وكان ذلك أجود من أن لا يُضْمِرَ، لأن الأمر لا يكون إلاّ بفعل، فأضمر الفعل إذا كان الأمر أحقَّ به. وكذلك: يزيداً أضربه، وزيداً فأكرمه. وإن لم تُضمر ورفعتَ جاز وليس في حُسْنِ الأول ترفعه على الابتداء وتُصَيِّرُ الأمر في موضع خبره. فأما قول اللّه عزّ وجل: ﴿**والسارِقُ والسارِقةُ فاقطعوا أيديهما**﴾[1] وكذلك: ﴿**الزانيةُ والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة**﴾[2] فليس على هذا، والرفعُ الوجهُ، لأن معناه الجزاء كقوله: الزانيةُ أي التي تزني، فإنما وجب القطع للسَرَقِ والجَلْدُ للزنا، فهذا مجازاة. ومن ثم جاز: الذي يأتيني فله درهم، فدخلت الفاء لأنه استحقّ الدرهم بالاتيان. فإن لم ترد هذا المعنى قلت: الذي يأتيني له درهم، ولا يجوز: زيد فله درهم على هذا المعنى. ولكن لو قلتَ: زيد فله درهم، على معنى: هذا زيد فله درهم، أو هذا زيد، فحسنٌ جميل جاز على أن زيداً خبر وليس بابتداء، وللإشارة دخلت الفاء. وفي القرآن: ﴿**الذين يُنْفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانيةٍ فلهم أجرهم عند ربهم**﴾[3]. ودخلت الفاء لأن الثواب دخل للانفاق. وقد قرأت القُرَّاءُ: الزانيةَ والزاني فاجلدوا، والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا، بالنصب على وجه الأمر والوجه الرفع والنصب حسن في هاتين الآيتين، وما لم يكن فيه معنى جَزاءٍ فالنصب الوجه

ويروى أن مَعْبَداً بلغه أن قُتَيْبَةَ بن مسلم فتح خمس مَدائن فقال: لقد غَنَّيْتُ خمسة أصوات هُنَّ أشد من فتح المدائن التي فتحها قتيْبة بن مسلم. والأصوات:

وَدِّعْ هُرَيْرةَ إن الرَكبَ مُرتحل وهل تُطيقُ وَداعاً أيها الرجلُ

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٨.

(٢) سورة النور: الآية ٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٤.

وقوله:

هـريـرةَ وَدِّعْـهـا وإن لامَ لائِـم ... غَـداةَ غـدٍ أم أنت للبَيْنِ واجِـمُ[1]

وقوله:

رأيـتُ عَـرابـةَ الأوْسيَّ يَـسْـمـو ... إلـى الخيـراتِ مُنـقَـطِعَ القَـرين

وقوله:

ودِّعْ لُـبـابـةَ قـبـل أنْ تَـرَحّـلا ... وأسـألْ فـإن قَـليـلةً أن تَـسْـألا

وقوله:

لعَمْـري لئن شَطَّتْ بعَتْمـةَ دارُهـا ... لقـد كنتُ من خـوف الفِراقِ أليحُ[2]

أما قوله: ودّع هريرة أن الركبُ مُرتحل. وقوله: هريرة ودّعها وإن لام لائم، فللأعْشى يعاتب فيهما يَزيدَ بن مُسْهِرٍ الشَيبانيّ يقول:

أبْلِغْ يَـزيـدَ بني شَيْبـانَ مَـألُكةً[3] ... أبـا ثُـبَيتٍ أمـا تَنْـفَـكُّ تَـأتَكِـلُ
ألسْتَ مُنتهيـاً عـن نحـتِ أثْلَتِنـا ... ولستَ ضـائِرَهـا مـا أطَّتِ الإبـلُ
كنـاطِحِ صَخْـرةً يـومـاً ليَفْلِقَهـا ... فلم يَضِـرْهـا وأوْهى قَـرْنَـهُ الـوَعِـلُ

ويقول في الأخرى يعاتبه أيضاً:

يـزيـدُ يَغُضُّ الـطَرْفَ دوني كـأنمـا ... زَوى بين عَيْنَيْـهِ عليَّ المحاجِمُ[4]
فـلا ينبسِطْ من بين عينيك ماانْـزَوى ... ولا تَـلْقَنـي إلّا وأنـفُـكَ راغِـمُ
فـأقْسِمُ ان حَـدَّ التقـاطُـعُ بيننـا ... لتَصْطَفِقَنْ يـومـاً عليكَ المـآتِمُ[5]

---

(١) واجم: عبوس.

(٢) اليح: أخاف تقول لاح الرجل إذا خاف وحاذر.

(٣) المألكة: بضم اللام وقد تفتح الرسالة.

(٤) المحاجم: جمع محجم منير ما يحجم به.

(٥) المآتم: جمع مأتم وهو في الأصل مجتمع الرجال والنساء في الغم والفرح.

وتُلقى حَصانٌ[1] تَنْصُفُ[2] ابنة عَمِّها كما كان يُلْقى الناصفاتُ الخوَادِمُ
إذا اتصلتْ قالت أَبَكْرَ بن وائل وبَكْرٌ سَبَتْها والأنوفُ رَوَاغمُ

الشماخ يمدح غرابة بن أوس

فأما الشعر الثالث فللشَّمّاخ بن ضِرارِ بن مُرَّةَ بن غَطفَانَ يقوله لعَرابةِ بن أَوْس بن قَيْظِيٍّ الأنصاري:

رأيتُ عَرابةَ الأوْسيَّ يَسْمو إلى الخيراتِ منقطعَ القرين
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاها عَرابةُ باليمين[3]
إذا بَلَّغْتِني وحملتِ رَحْلي عَرابةَ فاشْرَقي بِدَمِ الوَتين[4]

والرابع لعمر بن عبد اللّه بن أبي رَبيعةَ يقوله في بعض الروايات:

وَدِّعْ لُبابةَ قبلَ أنْ تَتَرَحَّلا واسأل فإن قليلةٌ أن تَسألا
أَمْكَنْتَ لَعَمْرُكَ ساعةً فتأنَّها فعسى الذي بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا
لَسْنا نُبالي حين نُدْرِكُ حاجةً إن باتَ أو ظَلَّ المطِيُّ مُعَقَّلا

والشعر الخامس لا أعرفه قائله، ولم يَتَغَنَّ معبد في مدح قط إلّا في ثلاثة أشعار، منها ما ذكرنا في عرابة، ومنها قول عبد اللّه بن قَيس الرُّقيّاتُ في عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب:

تَقَدَّتْ بيَ الشَّهْباءُ[5] نحوَ ابنِ جعفر سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

والثالث قول موسى شَهَواتٍ في حمزةَ بن عبد اللّه بن الزُّبَيْرِ:

---

(١) حصان: المرأة الحرة.
(٢) تنصف: تخوم ابنة عمها أي تخدمها.
(٣) اليمين: أي تلقاها بيد مبسوطة لا مقبوض يريد أنه ينهض إلى المجد ويصل إليه بأقوى الاسباب.
(٤) فاشرقي بدم الوتين: دعاء عليها بالموت.
(٥) الشهباء: إسم الدابة التي كان عليها.

حمـزةُ المبتـاعُ بـالمـال الثَنـا ويَـرى في بيعـه أن قـد غَبَنْ
وهـو إن أعْـطى عَـطاءً كـامـلاً ذا إخـاءٍ لـم يُكَـدِّرْهُ بـمَـنْ

ونحن ذاكروا قصص هذه الأشعار التي جرت في عقب ما وصفنا إن شاء اللّه تعالى.

مدح لعبد اللّه بن قيس

الرقيات في مصعب بن الزبير

قال أبو العباس: كان عبد اللّه بن قيس الرَقيّات منقطعاً إلى مُصْعَبِ بن الزبير، وكان كثير المدح له، وكان يقاتل معه، وفيه يقول:

إنمـا مُصْعبٌ شِهـابٌ من الـ ـله تَجَلَّتْ عن وجهه الـظَلْماءُ
مُـلْكُـهُ مُلْكُ قُـوة لـيس فيـه جَبَـروتٌ منـه ولا كِبْـرِيـاءُ
يَتَّقي اللّه في الأمـور وقـد أفـ ـلحَ من كـان هَمَّـهُ الإتّـقـاءُ

قال أبو العباس: وله فيه أشعار كثيرة. فلما قُتل مصعب، كان عبد الملك على قتل عبد اللّه بن قيس، فهرب فلحق بعبد اللّه بن جعفر، فشَفَعَ فيه إلى عبد الملك، فشَفَّعَهُ في أن تَرَكَ دمه، فقال: ويدخل إليك يا أمير المؤمنين فتسمعَ منه. فأبى، فلم يزل به حتى أجابه.

قيس يمدح عبد اللّه بن جعفر

ففي ذلك يقول لعبد اللّه بن جعفر:

أتيـنـاكَ نُـثْـني بـالـذي أنتَ أهْـلهُ عليكَ كما أثنى على الأرض جارُها
تَقَـدَّتْ بيَ الشَهْبـاءُ نحـو ابن جعفـرٍ سـواءٌ عـليهـا لـيلُهـا ونـهـارُهـا
تـزورُ فتىً قـد يَعْلَمُ الـنـاسُ أنـه تَجـودُ لـه كفٌّ قليـلٌ غِـرارُهـا[1]

(١) غرارها: بالكسر أصله حد الرمح والسهم والسيف وأراد به الأذى.

فواللّه لـولا أن تَـزور ابن جعفـر لكـان قليـلاً في دِمَشْـقَ قـرارُهـا

قيس يمدح عبد الملك

والشعر الذي مَدَحَ به عبدَ الملك:

عـادَ لَـهُ من كثيـرةَ الـطَرَبُ فعينُـهُ بـالـدمـوع تَنْسَكِبُ
كـوفيَّـةٌ[1] نازِحٌ[2] مَحِلَّتُها[3] لا أمَـمٌ دارُهـا ولا صَـقَـبُ

واللّه ما إن صَبَـتْ إلـيَّ ولا يُـعْلَمُ بيني وبينهـا نَسَبُ
إلاّ الـذي أورثَتْ كثيرةُ في الـ ـقـلب وللحُـبُّ سَوْرَةٌ[4] عَجَبُ

وفيها يقول:

مـا نَـقَمُـوا من بني أُمَيّـةَ إلاّ أنـهـم يَـحْـلُونَ أن غـضِبـوا
وإنَّـهُـمْ سـادَةُ الـمـلوك فـلا تَـصْـلُحُ إلاّ عـليهـمُ الـعَـرَبُ
إن الفَنيقَ[5] الذي بـأوه أبـو الـ ـعاصي عليه الـوَقـارُ والحُجُبُ
خـليفـةُ الـلّه في رَعِـيَّـتِـهِ جَفَّتْ بـذاكَ الأقـلام والكُتُبُ
يَعْتَـدِلُ الـتـاجُ فـوق مَفْـرِقِـهِ على جَبينٍ كـأنـه الـذَهَبُ

فقال له عبد الملك: أتقول لمصعب:

إنـمـا مُصْـعَبٌ شِـهـابٌ من الـ ـلّه تَجَلَّتْ عن وجهـه الـظَلْمـاءُ

وتقول لي:

---

(١) كوفية: نسبة إلى الكوفة.
(٢) النازح: البعيد.
(٣) المحلة: المنزل الذي يحل به.
(٤) سورة الحب: بالفتح حدته وشدته.
(٥) الفنيق: كامير هو الأصل في الفحل المكرم من الإبل.

يعتَـدِلُ التـاجُ فـوق مفـرقـهِ على جبينٍ كـأنـه الـذهـبُ

وأما شعر الشَمّاخ في عرابة فقد ذكر في موضعه بحديث.

مدح موسى شهوات لحمزة بن الزبير

وأمـا الشعر في حمـزة بن عبد اللّه بن عبـد اللّه بن الزبيـر فـإنـه لمـوسى شَهَواتٍ. وكان موسى قال لمعبد: أقول شعراً في حمزة، وتتغَنّى أنت بـه، فما أعطاك من شيء فهو بيننا. فقال هذا الشعَر:

حمـزةُ المُبْتـاعُ بـالمـال الثَنـا ويَـرَى في بيعـه أنْ قـد غَبَنْ
وهـو إن أعْطى عـطاء كـامـلاً ذا إخـاء لـم يُـكَـدِّرْهُ بـمَـنْ
وإذا مـا سَـنَـةٌ مُـجْـحِـفـةٌ بَـرَت المـال كَبَـرْيٍ بـالسَفَنْ
حَسَرَتْ[1] عنـه نَقِيّـاً لـونُـهُ طـاهـرَ الأخـلاق مـا فيـه دَرَنْ

فأعطاه مالاً، فقاسمه موسى.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) حسرت عنه: انكشفت وزالت والضمير في الفعل للسنة وجعل نقاء اللون وبعده عن الادران كناية عن عزه ومجده.

٤٥ ـ باب في المدح والشكوى والرثاء

مدح عمر بن العزيز

قال أبو العباس: قال عُتْبةُ بن شَمّاسٍ:

إنّ أَوْلى بالحقّ في كل حقٍّ ... ثم أحْرى بأن يكون حَقيقاً
مَن أبوه عبدُ العزيزِ بن مَرْوا ... ن ومن كان جدُّه الفاروقا
رَدَّ أموالنا علينا وكانتْ ... في ذُرا شاهقٍ يفوت الأنوقا[1]

يقول هذا الشعر في عمر بن عبد العزيز بن مروان، وأمُّ عمر أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رحمه الله. والأنوقُ الرَخَمَةُ ولا يقال الانوق إلّا للرخمة الأنثى. ومن أمثال العرب: هو أعَزُّ من بيض الأنوق. وتقول العرب لمن يَطْلُبُ الأمر العسير: سألتني بيض الأنوقِ. وذاك أنها تبيض في رؤوس الجبال، فلا يكاد يوجد بيضها لبُعد مَطلبه وعسره، فإن سأله مُحالاً قال: سألتني الأبْلَقَ العقوقَ، وإنما هو الذكر من الخيل. ويقال: فرس عَقوقٌ، إذا حملتْ فامتلأ بطنها، فالأبْلَقُ العقوق مُحال. ويروى أن رجلاً سأل معاوية أمراً لا يوجد فأعلمه ذلك. فسأل أمراً عَسِراً بعده، فقال معاوية:

طَلَبَ الأبْلَقَ العَقوقَ[2] فلما ... لم يَنَلْهُ أراد بيض الأنوق

وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

ما عَدَّ قومٌ كأجداد تَعُدُّهُمُ ... مَرْوانُ ذو النور والفاروقُ والحَكَمُ

---

(١) الأنوق: الصبور.
(٢) العقوق: طلب ما لا يمكن.

أشْبَهْتَ من عُمَرَ الفاروقِ سيرتَهُ ... قادَ البَرِيّةَ وائتَمَّتْ بهِ الأممُ
تدعو قُرَيْشٌ وأنصارُ الرسول لهُ ... أن يُمْتَعوا بأبي حَفْصٍ وما ظَلموا

وفيه يقول جرير أيضاً:

يعودُ الحِلْمُ منكَ على قُريش ... وتَفْرُجُ عنهمُ الكُرَبَ الشِدادا
وقد آمَنْتَ وَحْشَهُمُ برِفْقٍ ... ويُعْيي الناسَ وَحْشُكَ أن يُصادا
(وتَبْني السَجْدَبا عُمَر ابن لَيْلى ... وتَكْفي المُمْحِلَ[1] السنةَ الجَمادا)
وتدعو اللهَ مجتهداً ليَرْضى ... وتذكر في رَعِيّتِكَ المَعادا
(فما كَعْبُ بن مامةَ وابن سُعْدى ... بأجود منك يا عمرُ الجوادا)

شكوى جرير من سعد الأزدي

وكان ابن سعدٍ الأزدي قد تولى صدقات الاعراب وأعْطِياتِهِمْ، فقال جرير يشكوه إلى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه.

إنّ عيالي لا فواكِهَ عندهم ... وعند ابن سَعْدٍ سُكّرٌ وزبيبُ
وقد كان ظَنّي بابن سَعْدٍ سَعادة ... وما الظنُّ إلّا مُخْطِئٌ ومُصيبُ
فإن تراجعوا رِزْقي إليَّ فإنه ... متاعُ ليالٍ والاداءُ قَريبُ
تَحَنّى العظامُ[2] الراجفاتُ من البِلى ... وليس لداء الركبتين طَبيبُ

في نعي عمر بن عبد العزيز

وفيه يقول أيضاً لما نُعي:

نَعى النُعاةُ أميرَ المؤمنين لنا ... يا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بيتَ اللهِ واعتَمَرا
حملتَ أمراً جَسيماً فاضْطَبَرْتَ له ... وقُمْتَ فيه بحقِّ اللهِ يا عُمَرا
فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ ... تَبْكي عليكَ نُجومَ الليلِ والقَمَرا

---

(١) المحل: المجدب.

(٢) العظام: الراجفات المطرية.

قوله: يا عمرا نُدْبَةٌ، أراد يا عُمَراهْ وإنما الألف للندبة وحدها، والهاء تزاد في الوقف لخفاء الألف، فإذا وصلتَ لم تزدها، تقول: يا عمرا ذا الفضل، فإذا وقفتَ قلتَ: يا عمراه، فحذف الهاء في القافية لاستغنائه عنها. فأما قوله: نجومَ الليل والقمرا، ففيه أقاويل كلُّها جيدٌ، فمنها أت تنصب نجوم الليل والقمرا بقوله بكاسفة. يقول: الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ نجومَ الليل والقمر. يقول: إنما تكسف النجومَ والقمرَ بإفراطِ ضيائها، فإذا كانت من الحزن عليه قد ذَهبَ ضِياؤُها ظهرت الكواكب. ويقال: إن الغبار يوم حَليمةَ سَدَّ عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدةُ عن مَطْلِعِ الشمس. ويومُ حَليمة[1] هو اليوم الذي سافر فيه المُنْذِرُ بن المنذر بعَرَبِ العِراقِ إلى الحرث الأعْرجِ الغسّاني، وهو الأكبرُ، والحرث في عَرَب الشام، وهو أشهر أيام العرب. ومن أمثالهم في الأمر الفاشي: ما يَوْمُ حَليمةَ بِسِرٍّ. وفيه يقول النابغة:

تُخَيِّرْنَ من أزمان يوم حَليمةٍ إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كلَّ التجاربِ

وأظن قول القائل من العرب: لأُرِيَنَّكَ الكواكب ظُهْراً، إنما أُخِذَ من يوم حليمة. قال طَرفةُ:

إن تُنَوِّلْهُ فقد تَمنعُهُ وتُريهِ النَّجْمَ يَجْري بالظُّهُرْ

وقال الفرزدق لخالد بن عبد اللّه القَسْريِّ:

لَعَمْري لقد سار ابنُ شَيْبَةَ سيرةً أرَتْكَ نُجومَ الليل مُظْهِرةً تَجْري

ويجوز أن يكون نجومَ الليل والقمرَ، أراد بهما الظَّرْفَ يقول: تبكي الشمس عليك مدة نجومِ الليل والقمر. كقولك: تبكي عليك الدهرَ وتبكي عليك الليلَ والنهارَ يا فتى، ويكون تبكي عليك الشمس النجومَ. كقولك بَكَيْتُ زيداً على فلانٍ لما رأيتُ به، وقد قال في هذا المعنى أحَدُ المُحَدَثِينَ

---

(١) يوم حليمة هي حليمة بنت الحارث بن أبي شحر الغساني وكان ذلك اليوم بين ملك الشام وملك الحيرة.

شيئاً مليحاً وهو أحمد أخو أشجع السُلَمِيّ يقوله لنصْرِ بن شَبَثٍ العُقَيْليّ، وكان أوقع بقوم من بني تَغْلِبَ بموضع يعرف السَواجير وهو أشبه بالشعر قال:

لـلَّه سـيـفٌ فـي يَـدَيْ نَـصْـرٍ ... في حَـدِّهِ مـاءُ الـرَدى يجْـري
أوَقـعَ نَصْرٌ بـالسَـواجيـر مـا ... لم يُـوقِـعُ الجَحّـافُ[1] بـالبِشـرِ
أبـكي بـني بَـكْـرٍ عـلى تَـغْـلِبٍ ... وتَـغْـلِبـاً أبـكـي عـلى بـكـرِ

ويكـون تبكي عليك نجـومُ الليلِ والقَمَـرَ على أن تكـون الـواو في معنى مع، وإذا كانت كذلك فكان قبل الاسم الذي يليه أو بعـده فعل انتصبَ، لأنـه في المعنى مفعولٌ وَصَلَ إليه فنصبه. ونظيرَ ذلك استوى المـاءُ والخشبةَ لأنـك لم تـرِدْ استوى المـاءُ واستوت الخشبـةُ، ولو أردتَ ذلـك لم يكن إلاّ الـرفـع، ولكن التقـدير سـاوى الماءُ الخشبـةَ. وكذلـك: ما زلتُ أسيـرُ والنيلَ يـا فتى، لأنك لست تخبر عن النيل يسير، وإنما تريد أن سَيْرك بِحـذائِهِ ومعـه، فوصـلَ الفعلُ. وهذا باب يطول شرحه، فإن قلت: عبدُ اللَّه وزيدٌ أَخَوَاك، وأنت تريد بالواو مع لم يكن إلاّ الرفع، لأن قبلها إسماً مبتدأ، فهي على موضعه. وأجـود التفسيرين عندنا في قول اللَّه عزّ وجل: ﴿فأجْمِعوا أمركم وشُرَكاءَكمْ﴾[2]، إن تكون الواو في معنى مع لأنك تقول: أجمَعْتُ رأيي وأمري، وجَمعْتُ القـومَ. فهذا هو الوجه، وقوم ينصبونه على دخوله بالشِـركةِ مـع اللام في معنى الأول، والمعنى الاستعداد بهما، فيجعلونه كقول القائل:

يـا ليتَ زَوْجَـكِ قـد غَـدا ... مُـتَـقَـلِّداً سـيـفـاً ورُمْـحـاً

والرمح لا يُتَقَلَّدُ، ولكن أدخله مع ما يُتَقَلَّدُ، فتقديره متقلداً سيفـاً وحامـلاً رمحاً، ويكون تقدير الآية: فأجمِعُـوا أمرَكم وأعِـدُّوا شركاءَكم، والمعنى يؤول إلى أمـر واحد. ومن ذلـك قولـه: شَرّابُ ألْبـانٍ وتَمْر واقِطْ. فـأما مـا جـاء من

---

(١) الجحاف: فارس من فرسان العرب.

(٢) سورة يونس: الآية ٧١.

القرآن على هذا خاصة فقوله عزّ وجل: ﴿واللّهُ خَلَقَ كلَّ دابة من ماء﴾[1] فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، فأدخل مَنْ ههنا، لأن الناسَ من هذه الأشياء. فجَرَتْ على لفظ واحد، ولا تكونَ مَن إلاّ لمن يعقل إذا أفردتها.

شكوى أحدهم إلى عمر بن عبد العزيز

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه اللّه يشكو إليه عُمّاله:

إنَّ الذين أمرتَهُمْ إن يَعْدِلوا ... نَبَذوا كِتابكَ واستُحِلَّ المَحْرَمُ
وأردتَ أن يَليَ الامانةَ منهمُ ... بَرٌّ وهيهاتَ الابرُّ المسلمُ
طُلْسُ[2] الثِيابِ على منابرِ أرْضِنا ... كلٌّ بنَقْصِ نصيبِنا يَتَكَلَّمُ

أنشدنيه الرياشي عن الأصمعي، ونظيرُ هذا قول ابن هَمّامٍ السَلوليّ:

إذا نصَبوا للقول قالوا فأحْسَنوا ... ولكنّ حُسْنَ القولِ خالَفَهُ الفعلُ
وذَمُّوا لنا الدنيا وهم يَرْصَعونها ... أفاويقَ حتى ما يَدُرُّ لها ثُعْلُ

وقد مرّ تفسير هذا الشعر. والأطلَسُ الأغبر، وربما اشتدّت غُبْرتَهُ حتى يخفى في الغبار وإنما أراد بقوله طلس الثياب، إنهم يُظْهِرونَ تَقَشُّفاً، ويكون أن يكونَ جعلهم بمنزلة الذئاب، وهو أحسن.

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه وَلّى رجلاً بلداً فوَفَدَ عليه، فجاءهُ مُدَّهِناً حسن الحال في جسمه عليه بُرْدان، فقال له عمر رضيَ اللّه عنه: أهكذا وَلّيْناكَ؟ ثم عَزَلَهُ ودَفع إليه غُنَيْماتٍ يرعاها، ثم دعا به بعد مدة فرآه بالياً أشْعَثَ في ثوبين أطلسين. وذُكِرَ عند عمر بخير فرده إلى عمله وقال: كلوا واشربوا وادّهنُوا فإنكم تعلمون الذي تُنْهَوْنَ عنه. ويروى عن الحسن أنه قال:

---

(١) سورة النور: الآية ٤٥.

(٢) طلس الثياب: جمع الملمس وهو الأسود الوسخ.

اقرُبُوا من هذا الأعواد فـإنهم إذا رَقوهـا لُقِّنوا الحِكْمـةَ لتكون عليهم حجـةً يومَ القيامة.

في رثاء عمر بن عبد العزيز

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه، أنشدنيه الرياشي:

قـد غيّب الدافنـونَ اللَّحْـدَ إذْ دَفَنـوا ... بِـدَيْـرِ سَمْعانَ[1] قُسْطاسَ[2] الموازين
مَنْ لم يكن هَمُّهُ[3] عينـاً يُفَجِّـرُهـا ... ولا الـنخيـلَ ولا رَكضَ البَـراذيـن[4]
أقـول لـمـا أتـانـي ثَـمَّ مَـهْـلَكُـهُ ... لا يَـبْعَـدَنَّ قِـوامُ الـمُلْكِ والـديـن

يقال: هذا قِوامُ الأمير ومِلاكُهُ لا غير. وتقول: فلان حسن القَوام بالفتح، تريد بذلك الشَطاطَ[5] لا يكون إلاّ ذلك. وقوام، إذا كـان إسماً لم تنقلب واوه ياء من أجل الكسرة لأنها متحركة إلاّ أن يكون جمعاً قد كانت الـواو في واحده ساكنة فتنقلب في الجمع لأن حركتهـا العلة. تقـول: سـوط وسِيـاطٌ، ثـوبٌ وثيابٌ، وحَوْضٌ وحِياض فإن كانت الواو في الواحد متحـركة ثبتت في الجمـع نحو طويل وطِوالٌ. وكذلك: فِعـالٌ إذا كان مصـدراً صح إذا صـح فعله واعْتَلَّ إذا اعتل فعله، فما كان مصدراً لفاعَلْتُ فهو فِعالٌ صحيح نحـو: قاولتـه قِوالاً ولاوَذْتُهُ لِواذاً، كقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿قد يَعْلَمُ الـذين يتسللون منكم لِواذاً﴾[6] أي مُـلاوذَةً. وإذا كان مصـدر فَعَلْتُ اعْتَلّ لاعتـلال الفعل فقلتَ: قمتُ قِيـاماً ونِمتُ نِياماً ولُذْتُ لياذاً وعُذْتُ عِياذاً.

---

(١) دير سمعان: موضع بحمص فيه دفن عمر بن عبد العزيز.

(٢) قسطاس: كناية عن وصفه بالعدل.

(٣) يريد أنه لم يكن مشغولاً بالدنيا حريصاً عليها وإنما كان رضي اللّه عنـه همه الـدين والآخرة ولقـد صدق الشاعر في ذلك.

(٤) كناية عن اللهو واللعبة.

(٥) الشطاط بالفتح الطول وحسن القوام.

(٦) سورة النور: الآيـة ٦٣.

عويف القوافي يرثي سليمان بن عبد الملك

وقال عُوَيْفُ القوافي شعراً يَرْثي سليمانَ بن عبد الملك ويذكر عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه، هذا ما اخترناه منه:

لاح سَحابٌ فرأينا بَرْقَهُ ... ثم تَدانى فسَمعنا صَعْقَهُ
وراحت الريحُ تُزَجّي بُلْقَهُ[1] ... ودُهْمَهُ[2] ثم تُزَجّي وُرْقَهُ
ذاكَ سَقى وَقْاً فرَوّى وَدْقَهُ ... قَبْر امرىءٍ أعْظَمَ ربي حقه
قبرَ سليمانَ الذي مَنْ عَقَّهُ[3] ... وجَحَدَ الخيرَ الذي قد بَقّهُ
في العالمين جِلَّهُ[4] ودِقَّهُ ... لما ابتَلى اللّهُ بخيرٍ خَلْقَهُ
وكادتِ النفسُ تُساوي حَلْقَه ... ألْقى إلى خير قريش وَسقَهُ
يا عمرَ الخْيرِ المُلَقّى وَفْقَهُ ... سُميتَ بالفاروق[5] فافْرُقْ فَرْقَهُ
وارْزُقْ عيال المسلمين رَزْقَهُ ... واقصد إلى الخير ولا تَوَقّهُ
بحرُكَ عذبُ الماء ما أعَقّهُ[6] ... رَبُّكَ والمرحومُ من لم يُسْقَهُ

يقال: لاح البرق إذا بدا وألاح إذا تلألأ. وهذا البيت يُنْشَدُ: من هاجهُ الليلة برقُ ألاح. ويقال: شَرَقت الشمس إذا بَدَتْ، وأشرقت إذا أضاءتْ وصَفَتْ. ويقال: صاعقة وصاقِعةٌ. وبنو تميم تقول صاقِعة. والصَعْقُ شدة الرَعْدِ، ويُعْني به في أكثر ذلك ما يَعْتري مَن يسمع صوت الصاعِقة. وقوله: نزجي يقول تسوقه وتَسْتَحِثُّهُ. والابلق من السحاب ما فيه سواد وبياض، وفي الخيل كلُّ لونٍ يخالطه بياض فهو بَلَقٌ، والأوْرَقُ الذي بين الخُضْرةِ والسواد

---

(١) بلقه: جمع بلقاء وهي التي فيها بياض وسواد.
(٢) الدهم جمع دهماء وهي السواداء.
(٣) عقه: أذاه وعصاه.
(٤) ودقه: بالكسر فيهما وقد بفتح الأول أي كبيره وصغيره.
(٥) الفاروق: عمر بن الخطاب.
(٦) أعقه ربك: أي لم يكدره ربك ولم يرمه بالملوحة وهذا مثل لنواله وفضله الذي من ولا يلحقه أذى.

وهو ألأمُ ألوانِ الإبل. ويقال إن لحم البعير الأوْرَق أطيبُ لُحْمانِ الإبل. والوَدْقُ المطر، يقال: وَدَقتِ السماءُ يا فتى تَدِقُ وَدَقاً.

قال اللّه جلّ وعزّ: ﴿فترى الوَدْقَ يخْرُجُ من خلاله﴾[1]. وقال عامر بن جُوَيْنٍ الطائيُّ:

فلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ وَدْقَها ولا أرضَ أبْقَلَ إبْقالَها

وأصل العَقِّ القَطْعُ في هذا الموضع. وللعَقِّ مواضعُ كثيرة. يقال: عَقَّ والدية يعَقُّهما إذا قطعهما. وعَقَقْتُ عن الصبي من هذا. وقالوا: بل هو من العَقيقة[2]، وهي الشَعرُ الذي يولَدُ الصبيُّ به. يقال: فلان بعَقيقتِهِ إذا كان بشَعِر الصِبا لم يحلقه. ويقال: سيف كأنّهُ عَقيقةٌ، أي كأنه لَمْعةُ برقٍ. يقال: رأيت عقيقة البراق يا فتى، أي اللمعةَ منه في السحاب. ويقال: فلانٌ عُقَّتْ تميمته ببلد كذا، أي قُطِعتْ في ذلك الموضع. قال الشاعر:

ألم تَعْلَمي يا دارَ بَلْحاءَ أنني إذا أخْصَبَتْ أو كان جَدْباً جَنابُها[3]
أُحَبُّ بلادِ اللّه ما بين مُشْرِفٍ[4] إليَّ وسَلْمَى[5] أن يَصوبَ سَحابُها[6]
بلادٌ بها عَقُّ الشبابُ تَميمتي وأوّلُ أرض مَسَّ جلدي تُرابها

وقوله: وجحد الخير الذي قد بقّه. يقال: بَقّ فلانٌ في الناس خيراً كثيراً وبقّ ولداً كثيراً وأبق كلاماً كثيراً وقوله: ألْقى إلى خير قريش وسقه، فهذا مثل يريد قَلَّدَهُ أمره، والوَسْقُ الحِمْلُ. وقوله: الملقى وفقه. يقال: لُقِّيَ فلانٌ خيراً أي جُعِلَ يَلْقاه، والوَسْقُ من الكيل مقدار خمسة أقْفِزَةٍ بقفيز البصرة، وهو

---

(١) سورة النور: الآية ٤٣.

(٢) العقيقة هي خرزة كانت العرب تعلقها لأولادها إتقاء للضرر.

(٣) الجناب: بالفتح الناحية.

(٤) مشرق: كمحسن رمل بالدهناء.

(٥) سلمى بالفتح موضع في نجد.

(٦) صوب السحاب: انصبابه.

قفيزان ونصف بقفيز[1] مدينة السلام[2]. وقوله: ليس في أقلَّ من خمسة أوْسُق صدقةٌ، إنما مبلغ ذلك خمسة وعشرون قفيزاً بقفيز البصري، والوَفْقُ التوفيق وقوله: سميت بالفاروق، فتأويل الفاروق هو الذي يَفْرُقُ بين الحق والباطل وكذلك قال المفسرون في الفرقان. وقد أبان ذلك بقوله: فافرُقْ فرقه. وقوله: وارزق عيال المسلمين رزقه. يقال: رزقه يَرْزُقُهُ رَزْقاً، والاسم الرزْقُ. وقوله: بحرُك عذبُ الماء ما أعقه، مقلوب إنما هو ما أعَقُّهُ ربك. يقال: ماء قُعاعٌ وماءٌ حُراقٌ، فالقعاع الشديد الملوحة. يقول: ما أمْلحَهُ ربُّك، والحُراق الذي يُحْرِقُ كل شيء بملوحتهِ، والماء العذب يقال له النُقاخُ[3] وما دون ذلك شيئاً يقال له المسوسُ.[4] أنشد أبو عبيدة:

لو كنتَ ماءً كنتَ لا عَذْبَ المذاق ولا مَسوسا

يقال: ماءٌ عَذْبٌ وماءٌ فُراتٌ، وهو أعْذَبُ العَذْبِ. ويقال: ماء مِلْحٌ ولا يقال مالح، وسمك مملوح ومَليحٌ ولا يقال مالح، وأشدّ الماء ملوحةً الأجاجُ قال الفَرزْدَقُ:

ولو اسْقَيْتَهُمْ عَسَلاً مُصَفّىً بماء النيل أو ماء الفُراتِ
لقالوا إنه مِلْحٌ أُجاجٌ أراد بنه لنا إحْدى الهَناتِ

وقوله: ذانك سَقى ودقاً فَرَوّى وَدْقَهُ، يقال فيه قولان: أحدهما فرَوّى الغيمُ وَدْقَهُ هذا القبرَ يريد من ودقه، فلما حَذَفَ حرف الجر عَمِل الفعل، والآخر كقولك: رَوّيْتُ زيداً ماءً، ورَوّى أكثرُ من أرْوَى، لأن رَوّى لا يكون إلا مرة بعد مرة. يقول: فرَوّى اللّه ودقه أي جعله رَوّاءً فأضمر لعلم المخاطب لأن قوله: لاح سحاب إنما معناه ألاحه اللّه، فالفاعل كالمذكور لأن المعنى عليه.

---

(١) القفيز: مكيال يتواضع الناس عليه ويختلف باختلاف الأمصار وهوعند أهل العراق ثمانية مكاكيك والمكوك كتنور مكيال يسع صاعاً ونصف.

(٢) مدينة السلام بغداد.

(٣) النقاخ: الماء البارد العذب الصافي.

(٤) المسوس بالفتح الماء بين العذب والملح.

ونظيره قوله جلّ وعزّ: ﴿إني أحببْتُ حُبّ الخير عن ذكر ربي حتى تَوارت بالحجاب﴾[1]. ولم يذكر الشمس وكذلك ما تَركَ على ظهرها من دابة ولم يذكر الأرض. وقال قوم وَدقهُ يريد ودْقةً واحدة. وهذا رديء في المعنى ليس بمبالِغٍ. وقال ابن الموْصِليّ:

لعَمْري لئن حُلِّئْتُ[2] عن مَنْهَلِ[3] الصِبا ... لقد كنتُ وزّاداً لمنْهَلِهِ العَذْبِ
لياليَ أمشي بين بُرْدَيّ لاهياً[4] ... أميسُ كغُصْنِ البانةِ الناعمِ الرَطْبِ
سلامٌ على سير القِلاصِ مع الرَكب ... ووَصْلِ الغَواني والمُدامةِ والشرْبِ
سلامُ امرىءٍ لم تَبْقَ منه بَقِيّةٌ ... سوى نظرِ العينين أو شَهْوةِ القلبِ

قوله: والشرب يريد جمع شارب يقال: شاربٌ وشَرْبٌ وراكبٌ ورَكبٌ وتاجِرٌ وتَجْرٌ وزائرٌ وزَوْرٌ. قال الطِرِمّاحُ:

حَبّ بالزَوْر[5] الذي لا يُرى ... منه إلّا صَفْحةٌ عن لِمام[6]

وهذا باب متصل كثير قال العَجّاجُ:

بواسِطٍ أكْرَمُ دارٍ دارا ... واللّهُ سَمّى نصْرَكَ الأنْصارا

يريد أنصارك فأخرجه على ناصر ونَصْرٍ. وقوله: سلام امرىء، على البدَل من قوله: سلام على سير القلاص، وإن شئتَ نصبتَ بفعل مضمر، كأنك قلتَ: أُسَلِّمُ سلامَ امرىءٍ، لأنك ذكرتَ سلاماً أوّلاً. ومثل ذلك: له صوْتٌ صَوْتَ حمار لأنك لما قلت له صوت دللتَ على أنه يصوّت، كأنك قلت: يصوّتُ صَوتَ حمار. وكذلك له: حَنينٌ حَنينَ ثَكْلى، وله صَريفٌ صَريفَ

---

(١) سورة ص: الآية ٣٢.
(٢) حُلِّئْتُ: مُيِّعْتُ، طُرِدْتُ.
(٣) منهل: بالفتح المشرب.
(٤) أميس: اتبختر.
(٥) حب الزور: يقال حب بفلان بالضم أي ما أحبه اليّ وصفحه كل شيء وجهه وناحيته.
(٦) اللحام: بالكسر الغب وهو في الزيارة أن تكون كل أسبوع وكأنه يعني خيالاً.

العَقْوِبالمسد[1])، أي يصرف صريفاً. فما كان من هذا نكرة فنصبُه على وجهين على المصدر وتقديره يَصْرفُ صريفاً[2] مثل صريف جَمَلٍ وإن شئتَ جعلته حالاً، وتقديره يخرجه، في هذه الحال. وما كان معرفة لم يكن حالاً، ولكن على المصدر. فإن كان الأول في غير معنى الفعل لم يكن النصب البَتّةَ، ولم يصلح إلاّ الرفع على البدل. تقول: له رأسٌ رأسُ ثورٍ، وله كفٌّ أسدٍ. فالمرتفع الثاني إذا كان نكرة كان بدلاً أو نعتاً، وإذا كان معرفة كان بدلاً ولم يكن نعتاً، لأن النكرة لا تُنْعَتُ بالمعرفة. وكذلك إذا كان الأول ابتداء لم يجز إلاّ الرفع لأن الكلام غير مُسْتَغْنٍ. وإنما يجوز الاضمار بعد الاستغناء، تقول: صوتُهُ صوتُ الحمار وغِناؤُهُ غِناءُ المُجيدين. وكذلك إن خَبَّرتَ بأمر مستقرّ فيه اختير الرفعُ. تقول: له عِلْمٌ عِلْمُ الفقها، وله رأيٌ رأيُ القضاةِ. لأنك إنما تمدحه بأن هذا قد استقر له وليس الابلغُ في مدحه أن تخبر بأنك رأيتَه في حال تَعَلُّمٍ، ويجوز النصب على إنك رأيته في حال تَعَلُّمٍ فاستدللتَ بذلك على عمله، فهذا يَصْلُحُ. والأجودُ الرفع، فإذا قلت: له صوتٌ صوتَ حمارٍ، فإنما خَبَّرْتَ أنه يُصَوِّتُ فهذا سوى ذلك المعنى. ومما يُخْتارُ فيه الرفعُ قولك: عليه نوحٌ نَوْحَ الحَمامِ، وإنما اختير الرفع لأن الهاء في عليه اسم المفعول له، والهاء في له إسم الفاعل. ويجوز النصب على أنك قلت: عليه نوح، دلّ النوم على أن معه نائحاً، فكأنك قلت: ينوحون نوح الحمام، فهذا تفسير جميع هذه الأبواب. وقال ابن الخَيّاط المَدينيُّ يعني مالك بن أنس:

يَأبى الجواب فما يُراجَع هَيبةً ... والسائلون نَواكِسُ الأذْقانِ
هَدْيُ التَقيْ وعِزُّ سُلطانِ النُهى ... فهو العزيزُ وليس ذا سُلْطانِ

أراد له هَديُ التقي أو معه هدى التقيّ.

---

(١) العقو: كرة تكون على البئر.

(٢) الصريف: الصوت.

الفهرس

مقدمة الكتاب ٥
في شرح معنى فزع ـ وغيث ٧
بعض ما جاء في خطبة عمر بن الخطاب الأولى ١٤
رسالة عمر «لأبي موسى الأشعري» ١٦
بعض ما جاء في رسالة من عثمان بن عفان إلى
علي بن أبي طالب ٢٠
عتاب عثمان لعلي ٢٢
شرح رد علي على عثمان ٢٥

١ ـ باب في أهمية الاختصار
والاطناب عند العرب ٢٩

من الألفاظ الغريبة والمستهجنة ٣٠
ما يفضل العرب من ألفاظ ٣٢
في ما يستحسن ويستجاد ٣٧
في الأشعار السهلة ٤٢
نبذة من كلام الحكماء ٤٧
ذو الرمة يمدح هلال بن أحوز المازني ٥٠
رثاء الأشهب لقوم قتلوا الفلج ٥١
من فخر القطامي ٥٦

٢ ـ باب في أقوال الحكماء ٥٩
٣ ـ باب في الرثاء والإرث والغزل ٦١
٤ ـ باب نبذ من كلام الحكماء ٦١
٥ ـ باب في الوصف والمدح ٦٧
في رثاء الفرزدق لصديقه عطية ٧٣
مدح سوار بن عبد الله القاضي ٧٦
في بعض ما يحب العرب وما يكرهون ٧٨
إعرابي يرد على مغنية عابثة بالقصر ٨٠
٦ ـ باب في مدح لصبرة بن
شيمان بحضور معاوية ٨٣
من أقوال علي بن أبي طالب ٨٣
أقوال وتفاسير للحسن البصري ٨٥
٧ ـ باب من أشعار الصقيل العقيلي
وابن حبناء التميمي ٨٧
من شعر أعرابي من بني الحارث بن كعب ٨٩
بعض أشعار الفخر ٩٤
٨ ـ باب في بعض أقوال الحكماء ٩٩
في حادثة تعلق الفرزدق بأستار الكعبة ١٠٠
من أشعار النسك عند الفرزدق ١٠٢
٩ ـ باب في الخمريات ١٠٥
١٠ ـ باب في كلام الأحنف بن قيس ١٠٩
١١ ـ باب في حديث لرجل من بني تميم في الوصف ١١٣
١٢ ـ باب في كلام ابن عباس
وعبد الله بن جعفر ١١٩
في الفخر ١٢١

١٣ ـ باب بعض ما قيل في المال ١٢٥
في الفخر ١٢٧
١٤ ـ باب في أقوال بعض الحكماء ١٢٩
في أقوال علي بن أبي طالب ١٣٠
أقوال لعمر بن عبد العزيز ١٣٤
وعظ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٣٤
من أقوال الحجاج ١٣٥
١٥ ـ باب في الحض على القتال ١٣٧
في هجاء جرير للفرزدق ١٤٤
في أفضل المديح ١٤٥
١٦ ـ باب في أطايب المجالس ١٤٧
في خير المجالس ١٤٧
في ما يفعله القعقاع بن شور ١٤٨
في المحافظة على تقاليد العرب ١٤٩
١٧ ـ باب حديث عبد الملك مع
اسلم بن الأحنف ١٥١
حديث أبي وجزة السلمي ١٥٦
في استجداء إعرابي لعمر بن هبيرة ١٥٨
في هجاء الصخر بن عمرو الشريد ١٥٩
ما قيل في القرية ١٦٨
في الرثاء ١٦٩
١٨ ـ باب في أمثال العرب ١٧١
١٩ ـ باب في الرثاء والعتب ١٧٧
من رثاء الفرزدق لابني مسمع ١٨٣
في تكفير الحجاج ١٨٥
في رثاء الفرزدق لابنيه ١٨٦

في فخر الفرزدق بكرمه ١٨٩
فيما تتفاضل فيه العرب ١٩٢

٢٠ ـ باب في اللذة والعيش والرغد ١٩٥
أم ثواب الهلالية تصف عقوق ابنها ١٩٨

٢١ ـ باب في بعض أقوال عائشة
وتحريم الخمر ٢٠١
يزيد بن هبيرة ينصح المنصور ٢٠٣

٢٢ ـ باب في هجاء لحسان بن ثابت ٢٠٧
في وصف أعرابي لابنه ٢١١
في الوصف والرثاء ٢١٣
في رثاء أخي ذي الرمة لابن عمه ٢١٥
في بعض أشعار الهجاء ٢١٧

٢٣ ـ باب في أقوال الحكماء ٢١٩
في تعييب عمرو بن العاص لمعاوية ٢١٩
فاضت أو فاظت ٢٢١
خطبة الحجاج في أهل العراق ٢٢٢
في قتل مصعب بن الزبير ٢٢٣
في جواب عرار لعبد الملك ٢٢٥
كتاب عبد الرحمن بن الأشعث لعبد الملك وجواب
عبد الملك ٢٢٦

٢٤ ـ باب في بعض الأشعار وتفسيرها ٢٣٣
في الغزل ٣٣٦
أقوال في العناق ٢٤٠
وصف عمر بن أبي ربيعة ٢٤٢

٢٥ ـ باب إكرام رسول الله لعبد
الله بن الزبير ٢٤٧
خطبة ابن الزبير في مقتل أخيه مصعب ٢٤٧
بعض ما قاله أبو طالب ٢٤٩
حديث الحجاج مع أزاذ مرد بن الهرمذ ٢٥٠
في فرائض الدين ٢٥٢
حديث الحجاج مع محمد بن عمير ٢٥٣
٢٦ ـ باب في وصف الشجاعة والنجدة ٢٥٥
في تصنع العجائز ٢٥٦
في وصف الفقر والغنى ٢٥٩
في رثاء المهلهل أخاه كليباً ٢٦١
في ما تقول العرب زفت أو زففت ٢٦٢
أقوال ضابىء بن الحرث البرجمي وهو في السجن ٢٦٣
٢٧ ـ باب محاولة البجلي أخذ البيعة لعلي بن
أبي طالب من معاوية ٢٦٧
٢٨ ـ باب في مدح رجل من بني أسد ٢٧٧
في وصف الصبر ٢٧٩
في الكرم ٢٨٢
٢٩ ـ باب في تحريض عبد الملك على
خالد بن يزيد ٢٨٥
في زواج الحجاج ٢٨٦
في الوعظ ٢٨٨
في خديعة الحجاج بن علاط السلمي ٢٨٩
في الفقر ٢٩١
في الظلم ٢٩٢
السواقط عند العرب ٢٩٣

٣٠ ـ باب في ما أنشد السعدي ٢٩٧
في حديث عمر بن عبد العزيز لمؤدبه ٢٩٩
في وصف الذئب ٣٠١
في الكرم والجود ٣٠٩
٣١ ـ باب في الخطابة ٣١١
خطبة الحجاج في أهل العراق ٣١٢
حديث أبي شجرة السلمي لعمر بن الخطاب ٣١٧
في أقوال عمر بن الخطاب ٣١٩
للحطيئة في أيام ردته ٣٢١
٣٢ ـ باب في أشعار المولدين ٣٢٣١
حلم الحسن بن علي بن أبي طالب ٣٢٥
من أشعار اسحق بن خلف البهراني ٣٣٧
من أقوال أبي دلف العجلي ٣٤٠
بما يحكم بالنبل والاستصغار ٣٤٢
في سؤال كسرى لهوذة بن علي عن بنيه ٣٤٣
في هجاء أبي عيينة ٣٤٣
عتاب أبي عيينة لذي اليمنين ٣٤٩
٣٣ ـ باب في كلام الحكماء ٣٥٩
حديث خالد بن صفوان مع بلال بن أبي بردة ٣٦٠
في الدهاء والاحتيال والمكر ٣٦١
حلم سوار بن عبد الله ٣٦٣
في الرثاء ٣٦٥
٣٤ ـ باب في بعض هجاء جرير ٣٧٣
هجاء يحيى بن نوفل للعريان بن الهيثم ٣٧٧
المؤنث الذي يصاغ على وزن فعال ٣٨٠
من كلام إمرأة زوجت في طيء ٣٨٣

جرير يعير الفرزدق ٣٩٠
غارة النعمان بن المنذر على تميم ٣٩٢
صعصعة بن ناجية بين يدي الرسول ٣٩٣
هو النعمان بن المنذر ٣٩٩

٣٥ ـ باب ٤٠١

من كلام الموالي ٤٠٢
هروب العديل بن الفرخ العجلي من الحجاج ٤٠٥
أقوال عبد الرحمن بن حسان في عبد الرحمن بن الحكم ٤٠٧
سوار بن المضرب يهرب من الحجاج ٤٠٨
حديث محمد بن عبد الله وقد هرب من الحجاج ٤٠٩
الحجاج عند دخول مكة ٤١١
الحجاج يفقد ابنه وأخاه ٤١٢
كتاب الحجاج إلى الوليد لما مات أخوه ٤١٥
فعل معاوية إزاء كيد البطريق ٤١٧
كتاب معاوية إلى قيس بن سعد ورد قيس عليه ٤١٩

٣٦ ـ باب ٤٢١

إتصال أم بلال بجرير ٤٢٤
كياسة أولاد السراري ٤٢٦

٣٧ ـ باب في طول اللحية ٤٢٩

في تفسير لفظة النكاح ٤٣٢
طلاق عمرو بن عثمان ابنة السائب ٤٣٣
في مدح عبد الله بن الزبير ٤٣٤
جواب علي بن الحسين عن سبب إخفاء نسبه
عند السفر ٤٣٨
جرير يمدح هشام بن عبد الملك ٤٣٨
عمر بن الخطاب أول المؤرخين ٤٤٢
في مدح أبي البختري ٤٤٣

٣٨ ـ باب في حضرة عبد الملك
ابن مروان ٤٤٥
بنات ذي الأصبع العدواني ٤٤٧
مدح الحجاج للمهلب ٤٥٠
كثير عزة ينقد أشعار العرب ٤٥٤
ما قالته عائشة لما رأت رجلاً متماوتاً ٤٥٨
حديث سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
مع هشام بن عبد الملك ٤٦١
مدح أبي الأسود الدؤلي لعبد الله بن زياد ٤٦٢
لنصر بن الحجاج ٤٦٦
٣٩ ـ باب قيس بن عاصم
يخاطب زوجته ٤٦٩
قيس بن عاصم يقسم الصدقات ٤٧١
في الهجاء ٤٧٢
حديث الحطيئة مع الزبرقان ٤٧٣
حديث الحطيئة لأبناء عم الزبرقان ٤٧٦
استعطاف الحطيئة لعمر ٤٧٩
الحجاج والخوارج ٤٨٠
٤٠ ـ باب في تكذيب الأعراب ٤٨٣
ليلى بنت عروة تنشد لأبيها ٤٨٥
غارة بكر بن وائل على بني تميم ٤٨٧
أكاذيب المهلهل في شعره ٤٨٨
فخر أبي ربيع ٤٨٨
حديث ابن حطان للفرزدق ٤٩٠
كذب عمرو بن معدي كرب ٤٩١
من كذب أحدهم على رسول الله ٤٩٢
عبد الله بن الزبير يدعي الشعر ٤٩٣

٤١ ـ باب ما يجوز فيه يفعل فيما
ماضيه فَعَلَ مفتوح العين ٤٩٥
٤٢ ـ باب في عيوب النطق ٤٩٧
أحاديث معاوية في الفصاحة ٥٠١
٤٣ ـ باب في أشعار العرب ٥٠٥
من أشعار عمر بن أبي ربيعة ٥٠٨
للحرث بن عباد في مقتل ابنه ٥٠٩
جواب النميري لجرير ٥١١
من أشعار عمر بن أبي ربيعة ٥١١
من طرائف «أبي عتيق» ٥١٣
من أشعار ابن نمير الثقفي ٥١٥
من أشعار عمر بن أبي ربيعة ٥١٦
٤٤ ـ باب في الغناء عند العرب ٥٢٥
إتهام سعد بن مصعب بن الزبير ٥٣٣
الشماخ يمدح غرابة بن أوس ٥٣٧
مدح لعبد الله بن قيس الرقيات في
مصعب بن الزبير ٥٣٨
قيس يمدح عبد الله بن جعفر ٥٣٨
قيس يمدح عبد الملك ٥٣٩
مدح موسى شهوات لحمزة بن الزبير ٥٤٠
٤٥ ـ باب في المدح والشكوى والرثاء
مدح عمر بن العزيز ٥٤١
شكوى جرير من سعد الأزدي ٥٤٢
في نعي عمر بن عبد العزيز ٥٤٢
شكوى أحدهم إلى عمر بن عبد العزيز ٥٤٥
في رثاء عمر بن عبد العزيز ٥٤٦
عويف القوافي يرثي سليمان بن عبد الملك ٥٤٧